المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

سياسات الدول المتحاربة

الجزء الثانى

كتاب لمؤلف مجهول

جمعه وأعده

ليو شيانغ

ترجمة

محسن فرجانى



1498



سياسات الدول المتحارية

(الجزء الثانى)

المركز القومي للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد: 1498
- سياسات الدول المتحاربة (ج٢)
- ليو شيانغ
- محسن فرجاني
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب:
中国历代名著全译丛书
战国策全译

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo.
E.Mail:egyptcouncil@yahoo.com **Tel.:** 27354524 - 27354526 **Fax:** 27354554

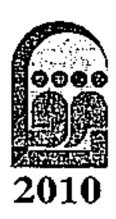
سياسات الدول المتحاربة

(الجزء الثانى)

(كتاب لمؤلف مجهول)

جمعه وأعده : ليــو شيـانـغ

ترجمـة : محسن فرجانى



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

شيانغ، ليو
سياسات الدول المتحاربة (الجزء الثاني)؛ جمع وإعداد : ليو شيانغ؛
ترجمة: محسن فرجاني.
ط١ - القاهرة: المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٥٣٦ ص؛ ٢٤ سم
١- الصين القديمة - الأحوال السياسية
٢- الصين القديمة - تاريخ
(أ) فرجاني ؛ محسن (مترجم)
(ب) العنوان ٣٢٠,٩٣١

رقم الإيداع ٢٠٠٩/٢١٣١٤
الترقيم الدولى I.S.B.N 978 - 977 - 479 - 679 - 5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

تقـــديم

بين يدى القارئ، الآن، ترجمة الجزء الثانى والأخير، من كتاب "سياسات الدول المتحاربة"، بعد أن صدر الجزء الأول منه – عن المركز القومى للترجمة (المشروع القومى للترجمة – العدد رقم ١١٤٠ – القاهرة) وهو واحد من أهم وثائق التاريخ الصينى القديم، بالإضافة إلى كونه سجلاً تراثيًا، ذا مكانة وشهرة في تاريخ الكتابة بالصينية، حتى قيل إن الأباطرة ورجال الحكم والمثقفين كانوا يحرصون على اقتنائه ومطالعته على الرغم من اقتصار نصوصه على محتوى يتعلّق مباشرة بتلك الطائفة من المخططين السياسيين وآرائهم وتصوراتهم لإدارة الصراع بين الدويلات الصينية المتحاربة فى الفترة الممتدة من القرن الرابع إلى الثانى قبل الميلاد، دون أن تتطرق موضوعات هذا السجل القديم إلى أى مضامين فكرية أو فلسفية، سوى ماهو مشهور عنه من أنه المدونة التى سجلت الخطوط العريضة للجهود النظرية التى أسست لما يقال بأنه مذهب فى الفكر السياسى، يطلق عليه "مدرسة الصراع بين التحالف الأفقى والرأسى"، وهو فى ذلك يختلف عن باقى كتب التراث القديم التى لاتخلو من أصداء واضحة لمختلف مدارس الفكر فى الصين القديمة: من الكونفوشية إلى الطاوية، مرورًا بالموهية، والتشريعية، بل الريفية والثنائية (الين/يانغ).. وغيرها، فهذا الكتاب – فى معظمه – مجرد سرد لأحوال العلاقات السياسية والدبلوماسية، والمعارك العسكرية والمناوشات السياسية بين دويلات الصين على مدى مائتى سنة تقريبًا.

هو كتاب غريب، بحق، يتفرّد وحده بين كتب التراث بخصائص تضعه فى سياق مختلف عما هو معهود فى الوثائق القديمة، غير أنه لم يحظَ باهتمام الكثير من الدارسين التراث الصينى فى بلادنا العربية، ولا كان موضع احتفاء من قبل الدارسين الأجانب،

والغربيين منهم بخاصة، وقد حاولت كثيرًا البحث عن ترجمة كاملة له فى الإنجليزية، فلم أجد سوى مختارات قليلة (غير منشورة، وإن كانت متاحة للاطلاع عبر شبكة الإنترنت).

فى فترة مايسمى فى ثبت العصور الصينية بـ "الدول المتحاربة" (٤٧٥ -٢٢١ ق.م.) كان يستطيع كل صاحب موهبة سياسية فى التخطيط أو ترتيب شئون الاتصال والعلاقات الدبلوماسية بين الدويلات القديمة أن يمثل بين يدى الملوك وأن يعرض لآرائه ويبلغ أرقى المناصب (وفى أمثلة كثيرة.. كان يمكن أن يفقد حياته، إذا ماثبت فشله أو خيانته). كانت الموهبة والقدرة على إفحام المتناظرين واقتحام ساحات الجدل والنقاش، والذكاء فى إقناع الملوك والأمراء بوجهات النظر والخطط المناسبة هى العنصر الرئيس فى نجاح رجال التخطيط ووصولهم إلى مصاف النفوذ؛ ومن ثم كان الطموح الشخصى يدفع هؤلاء الرجال (كان هناك غير قليل من النساء، أيضًا..) ليشقوا طريقهم نحو الغايات الفردية بكل الوسائل الممكنة، دون مراعاة، أحيانًا، لأية مبادئ. بل إن واحدًا مثل "تشانغى"، ذلك السياسى الداهية، تحول إلى النقيض تمامًا؛ إذ تحول من رجل يدعو إلى التحالف مع دولة تشين، فيما سمى بالمحور الأفقى، (حيث تملك هذه الدولة القوية وحدها حق تقرير شئون الممالك وتسيدها جميعًا) إلى الدعوة لمجموعة التحالف المناهضة، فيما كان يشار إليه باسم: التحالف الرأسى (مجموعة الدول التى تقع على محور رأسى يمتد من الشمال إلى الجنوب، بزعامة دولة تشو).

ولست أوافق كثيراً من وجهات نظر بعض الدارسين الصينيين فى وصفهم لهؤلاء المخططين بالطموح الزائد والوصولية..إلخ، (حيث تتم إدانة هؤلاء الرجال، من وجهة نظر كونفوشية صارمة، تجعل من قواعد الأخلاق كهنوتًا مقدسًا)، وإنما الصحيح أن تعتبرهم رجال دولة (بالمعنى الحرفى، أو المهنى الفنى) من طراز فريد، وقد أتيح لهم أن يشاركوا فى إدارة الصراع السياسى بين الممالك القديمة فى زمن الدول المتحاربة، وعلى جبهة عريضة ضمت كل أصحاب الرأى فى الصراع القائم، وقتئذ، بين العروش الحاكمة. وستجد فى فصول الكتاب أدوارًا يقوم بها رجال ونساء،لا تربطهم أدنى علاقة بالتخطيط السياسى (بعضها يبدو أقرب إلى طبيعة الحكى الأسطورى!)

مما يمكن معه القول بأن رجال التخطيط، في ذلك الوقت، كانوا طليعة مجتمع كبير يستكشف سبلاً مؤدية إلى اتفاق كبير، يلم شتاته ويدعو الأطراف المتصارعة في أمة كبيرة إلى مائدة مفاوضات لحسم قضايا مصيرية بعيداً عن ساحات القتال، في محاولة أشبة ماتكون بالمقابل النظرى لمقولة "كلاوزفيتز" الشهيرة: (إن "الحرب هى السياسة، بوسائل أخرى"؛ في حين كان المخططون الصينيون، إبان عصر الدول المتحاربة، يزعمون بأن السياسة هى المجال الذى يتيح للخطط والتسويات السياسية أن تلعب دوراً أكثر حسماً وجدوى مما تقوم به المعارك الحربية)، وهكذا؛ فقد راحوا يقنعون الجميع بأن النصر النهائى - أو حتى الهزيمة المروعة - لايتقرران بالقوة العسكرية وحدها، إلا على نحو نسبى، (فالكلمة الأخيرة في المسألة كلها، معقودة بمدى النجاح الذى تبلغه الخطط السياسية في تقديرها لعناصر وحجم وتوازن القوة بين الطرفين المتصارعين: دولة تشين - في المحور الأفقى؛ ودولة تشو، في كتلة المحور الرأسى) تلك تحديداً، وبإيجاز شديد، هى الفكرة الأساسية في كتاب "سياسات الدول المتحاربة".

ولا ينبغى أن ننسى أن المرتكز الذى تقوم عليه الفلسفة الكونفوشية هو ضبط العلاقة بين الجماعة البشرية بمختلف انتماءاتها وطبقاتها ووظائفها الاجتماعية؛ فهى فلسفة الحشود الإنسانية بالدرجة الأولى، وتتجلّى بأبرز معانيها في مجال ترتيب الشأن السياسى، بل إن عميدها الأكبر (كونفوشيوس) نفسه كان واحداً من الساعين إلى العمل في منصب وزارى، وكان يعد تلاميذه ليتبوأوا "وظائف سياسية ذات شأن"؛ وبالتالى، فقد كان رجال التخطيط - بمعنى ما - جزءاً من بناء كونفوشى كبير، يتحركون فيه وبه ومن خلاله في مساعيهم المتواترة بين العروش الحاكمة، إبان زمن الحرب. ومن هذه الزاوية نستطيع أن نلحظ أهمية دورهم، تاريخيًا، حيث أفضت جهودهم، جنباً إلى جنب ظروف التطور التاريخية، إلى توحيد الصين، لأول مرة في تاريخها كله، (في عام ٢٢١ ق.م.)، أما السبب في عدم ذيوع شهرة هذا الكتاب، فيرجع أساسًا، إلى خلوه من أية انتماءات فكرية واضحة للأفكار التقليدية التى شكلت الفلسفة الصينية (الكونفوشية، الطاوية)؛ فلاهو جزء من صرح كونفوشى، ولا هو تابع للطاوية، أو لغيرها من المذاهب التقليدية.

وإنما هو مجرد سجل تاريخي حافل بالحكايات والأحداث والأساطير، وهذا وحده كفيل بأن يخرجه من دائرة الاعتبارالكونفوشي الذى لم يكن يعتد، فى مجال الإبداع، إلا بالشعر وحده، بموسيقاه التى تنتظم قواعد النغم والإبداع (حيث الموازين محددة، والمقامات محفوظة)، ولم يُعرف عن الكونفوشية أنها نظرت بعين الاحترام إلى الحكايا والأقاصيص أو الرواية والأساطير.

طريقة تدوين الكتاب تلتزم بنسق واحد يعتمد على إيراد النصوص المتعلقة بسجلات الدول الرئيسة في عصر الدول المتحاربة – كما لاحظت، سيدى القارئ، فى الجزء الأول من هذا الكتاب – دون مراعاة الترتيب المنطقي فى سرد الأحداث؛ مما يربك القارئ ويخل بتطور السرد فى معظم الأحوال، وكثيراً ماسنصادف تكرار فصول وأحداث محددة، دون داعٍ أو مناسبة أو حتى ضرورة إبداعية بلاغية، والأغرب من هذا كله أننا قد نصادف مايتصل بذكر أحوال شخصية ما، من نشاط وحركة وشئون حياة، بعد أن تكون قد ماتت وشبعت موتًا فى فصول سابقة، ثم إذا بها تنهض من تحت الأرض، فجأة لتتنسم الحياة من جديد، وعلى نحو يتحدى منطق التتابع السردى، ويغرق النص فى فوضى هائلة هى أشبه شيء بما كان يذكره المؤرخ الأندلسى الشهير، ابن حيان القرطبى، وهو يحكي طرفًا من سيرة ملوك الطوائف الذين ظلوا، على مدى أجيال يوقظون الموتى بعد أن قبروا ليقوموا إلى سدة العرش ثانية، فى ثنايا فصول صراعهم على السلطة؛ لدرجة أنهم أماتوا وأحيوا أحد الأمراء (..الأمير هشام المؤيد)، ثلاث مرات! افتراء على الحق وسخرية من التاريخ، وجريًا وراء مطامع السلطة.

وليس من الغريب أن نرى فوق ذلك ملامح شبه كبيرة، بين سيرة الأمم المتحاربة فى الصين وتاريخ الدول العربية الاسلامية فى الأندلس، فالصراعات تكاد تنطبق حرفًا بحرف ؛ فالولايات الأندلسية تكاد تكرر فى مسار تحالفاتها واضطرابها وتحللها حكاية النزاع بين الدويلات الصينية المتحاربة؛ فهنا: فصول من معارك دولة "تشين" مع "تشو" و"هان" وغيرها من الدول الصينية القديمة، لتنتهى بانتصار "تشين".

وهناك صراعات الطوائف، فالمرابطين والموحدين؛ لتخلص إلى علو شأن الدولة الحفصية في شمال أفريقيا، فقط مع فارق أساسي؛ هو أن تطاحن الدويلات الصينية تمخض عن وحدتها تحت راية "تشين"، بينما انتهت صراعات الأندلس بالسقوط المروع.

ويبقى أنه لا مجال لمقارنة هنا، ولا أقصد إلى ذلك سبيلاً؛ فالصين مارست صراعها على أرضها بحثًا عن صيغة للوحدة في ظروف معينة من التطور التاريخي، بينما كانت الدولة العربية في الأندلس مجرد تجربة لها شروطها في ظل جهود الفتح خارج إقليم الحضارة العربية، قريبًا من تخومه مُشارفه.

وليس ابن حيان القرطبي كزميله الصيني (ليو شيانغ)، فالأول عاش التجربة وعاصر فصولها شاهد عيان، بينما الثاني نقل عن ست مدونات مختلفة، وقد حاول جهده أن يضبط ويصحح، لكن الأديب الكامن في أعماقه كان أقوى من المؤرخ، فعالج سيرة شخصياته بمزاج أسطوري.

وختامًا، فلست أريد أن أكرر ماسبق أن ذكرته في مقدمة الجزء الأول، لكني أود القول بأني أردت بهذه الترجمة أن أضع بين يدي القارئ نصًا جديدًا من التراث الصيني، ربما لايجد السبيل إليه، على الأقل فيما هو متاح من الترجمات في اللغات الأوروبية وأن أضيف إلى المكتبة العربية واحدة من أهم مدونات مذهب الخطط السياسية المعروف في الاصطلاح الصيني باسم: "تسون هنغ"، وأن أقدم أيضًا للباحث المتخصص، نصًا تاريخيًا من لغته الأصلية، مزودًا بحواشٍ وشروح.

وسيجد القارئ بعضًا من تعليق المحققين واردًا بين قوسين هلاليين، أما الإضافات التي تتعلق بموضوع النص، عرضًا، فقد حصرتها بين قوسين مربعين، علمًا بأن النص، بالإضافة إلى كونه مصدرًا تاريخيًا أصيلاً، فهو قطعة من الأدب الصيني القديم، رائدها التذوق الحر، مفتاحها في كنزها الأخفى، بيد أن النص لا يخلو من شروح وأسانيد.

ليست هذه سوى محاولة لترجمة كتاب آخر من التراث الصينى، ومثل كل محاولة، فهى تنطوى، لابد، على مجازفات وأخطاء وتقديرات غير دقيقة؛ فمن المكابرة الادعاء بأن هذه الترجمة على درجة تامة من الدقة، لكنى أؤكد للقارئ أنى بذلت كل ما أستطيعه من جهد لكى تكون الترجمة أقرب مايمكن لأجواء النص الاصلى كاملاً ووافيًا وصحيحًا، عن لغته الأصلية.

محسن فرجانى

سجل تشى السادس

- لما كان المدعو هونشوان

كان المدعو هونشوان يقيم بإحدى ضواحى عاصمة دولة تشى، وقد اشتهر بالصراحة والتعبير عن الرأى والنصيحة لذوى الشأن دون مواربة، إلا أن جلالة الملك "مين" حاكم "تشى" أصدر ضده قراراً بالإعدام، وجرى تنفيذ الحكم بمدينة"تانشو"، ومن ثم فقد ارتاب الناس فى أمره، وتوجسوا منه شراً. ثم ظهر رجل آخر من آل تسونغ (قومية تسونغ) - أحد بطون دولة تشى - وأخذ يتحدث بالآراء الصريحة والنصائح الجريئة فأعدمه الملك مين عند البوابة الشرقية للعاصمة، فتغيرت قلوب آل تسونغ وقلبوا للملك ظهر المجن، ولم يكتفِ جلالته بذلك، بل إنه أعدم أيضًا أحد كبار مستشاريه السياسيين ويدعى" يانغ جو"، مما باعد بينه وبين وزرائه جميعًا. وكان ذلك هو السبب الذى شجع دولة "يان" على شن حملة عسكرية ضده؛ إذ أرسلت جيشًا بقيادة" شانغ كوجن" للهجوم على "تشى" [تنطق كما فى - الدوتشى] وردت هذه على ذلك التحرك بإرسال قوات بقيادة كبير الوزراء" شيانزى" لملاقاة جيش يان، إلا أنها لاقت الهزيمة على يديه، وفر شيانزى هاربًا فوق إحدى المركبات ناجيًا بنفسه، فقام "طازى" [الوزير الأعظم بدولة تشى] بتجميع فلول قواته المشتتة وأعاد تنظيم الصفوف واستعاد للقوات ما تبدد منها ماديًا ومعنويًا، واستعد للالتحام بقوات "يان" المعتدية، وطلب من جلالة الملك أن يرسل إليه بمدد من المقاتلين وأن يمنحه لقبًا شرفيًا بوصفه جنديًا مقاتلاً فى الميدان، فرفض الملك تلبية طلبه، ومنيت قواته بهزيمة نكراء وتفرقت صفوفها بدداً.

- الجزء الثانى من الفصل نفسه

فر الملك "مين"، حاكم "تشى"، إلى دولة "جيو"؛ فاستقبله هناك أحد كبار رجال الدولة، ويُدعى "ناوتشى"، فلما التقى به راح يحصى عليه جرائمه، قائلا:" هل بلغك، يامولاى، ماحدث بأرضك فيما بين منطقتى" تشيان شن" و " بوشان" - وهى بقعة تبلغ مساحتها تسعمائة لى مربع - من سقوط المطر الغزير من السماء مختلطًا بالدماء، حتى فزع الأهالى وقد تلوثت ثيابهم بالدماء؟"؛ فرد عليه الملك بالنفى . فعاد "ناوتشى"يسأله:" وهل بلغك ماحدث بين مدينتى"إينغ"، و"بوا" من تصدع الأرض فى خط مستقيم بلغ مشارف (هوانشيوان) ؟" فأجابه؛ بقوله:" لا أعرف شيئًا من ذلك!"، وسأله السائل:"، وهل علمت بما حدث من تردد صوت بكاء الناس أمام قصرك، فلما حاول المسئولون تتبع آثار الصوت، اكتشفوا بأنه صوت ينطلق من حناجر غير مرئية؛ إذ إنهم لما عادوا إلى مكاتبهم، تردد الصوت ثانية، بغير صائت"؛ فأجابه الملك بأنه لم يبلغه شيء من هذا، فأفصح له ناوتشى بما وراء تلك الموضوعات من دلالات، قائلا له:" أما المطر المختلط بالدماء التى تخضبت به ثياب الناس، فقد كان نذيرًا إليك من السماء والصدع الذى انشقت به الأرض، فقد كان صوت غضب الأرض بلاغًا لك، فلم تنصت إليه، فأما الصوت الباكى أمام قصرك، والذى لم يُرَ صاحبه، فقد كان شكوى الناس إليك، لكنك لم تسمع شيئًا، قد أنذرتك السماء والأرض ورفع الإنسان إليك شكايته، فلم تأخذ الحذر، فما الذى يعفيك من حكم السماء؟"، ثم أنه أخذه إلى منطقة بوسط العاصمة، يقال لها" كولى" وقتله هناك؛ فذلك ما كان من أمر إعدام الملك"مين" حاكم تشى.

- الجزء الثالث من الفصل نفسه

(وعلى إثر ما سبق من الأحداث) فقد آثر الأمير "فاجان" - أمير تشى - الفرار إلى بيت"هوجياو"، كبير مؤرخى القصر، وذلك بعد خلع ملابس الإمارة وألقى عنه شارة الحكم، وصار مقيمًا بمنزل الرجل، بوصفه بستانيا يزرع الورود ويشذب الأوراق. وأعجبت به ابنة المؤرخ الرسمى - وهى التى ستصبح، فيما بعد - ملكة تشى؛ لما عُرف من كريم أخلاقه، صارت هى التى تقوم بخدمته ورعاية شئونه.

وفى تلك الأثناء تمكن "تيان دان" من تحويل منطقة "جيمو" إلى حصن منيع ومركز لتجميع القوات الشاردة، مما ساعد على إعادة بناء القوة الضاربة من جديد فتمكنت من إنزال الهزيمة بجيش دولة يان بعد أن نجح تيان دان فى مخادعة وتضليل القائد "تشى جيه"، ثم عادت لـ(تشى) أراضيها المسلوبة، وعمل تيان دان على عودة الأمير من دولة "جيو" إلى بلاده، وتنصيبه ملكاً، فكانت تلك هى بداية ولاية من سمى فيما بعد بالملك شيانغ على عرش تشى، ونصبت ابنة المؤرخ ملكة على البلاد – بعد اقترانها بجلالته وكانت هى التى أنجبت – من أصبح فيما بعد – الملك "وانجيان".

– لما كان وزير شئون القصر الملكى

لما بلغ "وان سونجيا" (وزير شئون القصر بدولة تشى، فيما بعد) عامه الخامس عشر صار موكلاً بخدمة الملك "مين"، فلما هرب جلالته، على إثر الأحداث سالفة الذكر، فكر سونجيا فيما يمكن أن يكون الملك قد حل به من المواطن، دون أن يهتدى إلى شىء منها، فقالت له أمه: "اخرج فى الصباح الباكر، فابحث عن جلالته، ولاتعد إلا فى المساء، وسأبقى فى انتظارك متكئة على مصراع الباب، ثم اخرج تحت ظلمة الليل باحثًا عنه وسأظل مكانى لا أغادره، فأنت المنوط بك خدمة مولانا، ففيم بقاؤك وقد غاب عنا، اذهب وراءه، فإن لم تجده فلاتعد أبداً".

– الجزء الثانى من الفصل نفسه

ومشى "وان سونجيا" حتى دخل السوق، ثم صرخ فى الناس: "هلموا إلىّ، أما دريتم بما أوقع "ناوتشى" من الاضطراب فى بلادنا، وما اقترفه من اغتيال مولانا الملك الأعظم، فمن أراد منكم الذهاب معى للثأر من القاتل فليكشف عن ذراعه الأيمن"، فمضى معه زهاء أربعمائة فرد، بغية الثأر للملك المقتول، ثم إنهم ساروا حتى أنفذوا غايتهم وقتلوا ناوتشى بأيديهم.

- لمـا أغارت دولة يان على تشى

لمـا أغارت يان على تشى وغلبتها واستولت على أكثر من سبعين مدينة وإقليمًا، سوى إقليمى "جيميو"، "جيو" فلم تستطع السيطرة عليهما وهو ما أتاح لـ"تيان دان" أن يجعل من جيمو معقلاً حصينًا فى وجه يان، ثم كان هذا المعقل هو الخطوة الأولى فى توجيه الضربة القاضية إلى قوات دولة "يان" وقتل القائد العسكرى" تشى جيه".

- الجزء الثانى من الفصل نفسه

لمـا كان القائد العسكرى لقوات دولة "يان" على وشك إسقاط دفاعات مدنية "لياو" بدولة (تشى) فقد وصل إلى سمعه أن أحدهم قد وشى به لدى جلالة الملك - قائده الأعلى - مما أوغر صدر جلالته ضده، فخشى على نفسه أن تناله يد الغدر فلزم مواقعه بمدينة "لياو"، محاذرًا من العودة إلى الوطن، مما جعله عرضة لهجوم قوات "تيان وان" التى ظلت تحاصره وتضربه مدة تزيد على العام، حتى هلك الكثير من جنوده وتفرق عنه مقاتلوه دون أن يستسلم وبقيت مدينة لياو صامدة برغم كل ذلك.

- الجزء الثالث من الفصل نفسه

وهنالك تناول "لوجون ليان" ورقة وقلمًا، وكتب رسالة ثم ربطها إلى سهم وأطلقه إلى داخل المدينة، وكان نص ما كتبه إلى القائد المتحصن بالمدينة على النحو التالى: "قد بلغنى أن العاقل الذكى لا يضيع حظه مما ينفعه ولايدع الفرصة السانحة تسقط من بين يديه. إن الرجل الشجاع لا يلطخ سمعته خشية موت وشيك أو خطر محدق، والمخلص الشريف لايهمل حق مليكه ليتدارك ما يشغله من أمر نفسه، وأنت قد أهدرت أمر سيدك جلالة الملك المعظم، وتغاضيت عن الآلاف المؤلفة من أرواح الجند التى زهقت بسبب غضبة جاش بها صدرك، فلا أراك وفيت الإخلاص والشرف حقهما. كما لا أرى

من الشجاعة أن تبقى مكانك حتى تموت كمداً، فلا أنت نفعت نفسك، ولا أفدت دولة "تشى" شيئًا مما تراه عنصرًا فاعلاً فى الاحتفاظ بقوة أو ميزة أو نفوذ ما، وليس من الحكمة أن تضيع ما سبق لك فى سالف الأيام من فضل، فتخسر كل ما اختزنته لك الأيام من صيت ذائع وشهرة طيبة، فلا يبقى لك الثناء فى فم الأجيال اللاحقة، فالحكيم لايتردد، والجرئ لايجزع من الموت، فهذا وقت الحسم بين أقدار الموت، والحياة، والشرف والعار، والرفعة، والذلة، والإجلال والاستصغار. فأرجو أن تتأمل الأمر جيداً وتنظر فيه بالعقل الراجح وتنأى بفكرك عن خواطر الدهماء وظنون العامة التى لا تستبطن فى قلوبها مراجع الحكمة.

ثم إن ما قامت به كلٌ من دولة "تشو" من مهاجمتها لمدينة "نانيانغ" ودولة "وى" باعتدائها على مدينة "بينلو"، لم يحرك لدى "تشى" ساكنا؛ إذ لم تتحرك صوب الجنوب لمهاجمة "تشو" أو وى؛ لأننا فى دولة "تشى" قد رأينا أن خسارتنا فى مدينة "نانيانغ" لا تساوى شيئًا بالمقارنة بما نكسبه فى الشمال (حيث نضع أيدينا على مدينة "لياو") ومن ثم فقد صممنا على التشبث بتلك المدينة، وإذا كانت دولة "تشين" قد سارعت بدعم "تشى"، فسيكون من نتيجة ذلك شل ذراع "وى" الممتدة للهجوم من ناحية الشرق، وهكذا يتحقق التحالف الأفقى بين جهتى "تشى"، و"تشين"، مما يضع دولة "تشو" فى خطر بالغ. أضف إلى ذلك تجاهل بلادنا للقلق الذى تثيره "تشو" بمحاولاتها الهجومية فى "نانيانغ"، وذلك لأننا فى تشى نعلق أهمية كبرى على إحباط الهجوم ضد بينلو وحماية مدينة لياو وسوف نحسم خطتنا على هذا الأساس.

وقد اتضح أن دولة "تشو"، و"وى" قد سحبتا قواتهما تماماً قبل أن يصل المدد الكافى لإنقاذ دولة "يان"، فى الوقت الذى لم تشهد فيه أية محاولة من قبل الدويلات أو الإمارات الصغيرة للغدر بدولة "تشى"، وأستطيع أن أؤكد لك بما توصلت إليه من تقدير للموقف وحساب الخسائر التى منيتم بها نتيجة إصراركم على الاحتفاظ بمدينة "لياو" طوال عام كامل أؤكد لك أن النصر لن يكون حليفك؛ ولابد أن "تشى" سوف تدخل معك فى معركة حاسمة فى مدينة "لياو" ولن تجد فى جعبتك الكثير من الحيل أو الخطط الجيدة، إن بلادك – يان – أصبحت ساحة فوضى عارمة بعد أن فشلت كل تدابير الملك والوزراء والسياسيين وخططهم،

وصار الجميع أسرى الاضطراب والحيرة، من كبيركم إلى صغيركم، حتى قائد جيشكم المظفر" ليفو" أمسى يلعق جراحه بعد أن تبددت قواته ذات المليون كتيبة؛ خصوصاً بعد أن أصيب بضربات قاصمة في خمس جولات حربية خارج الوطن، وبالنسبة لبلدٍ - مثل بلدكم - كان لديه في يوم من الأيام عشرة آلاف مركبة عسكرية، يستيقظ فجأة فيجد على أبوابه حصاراً شديداً من دولة "جاو"، وتقع أطنان من الهموم في قلب قائده وهو يرى بعينيه انتهاك سيادته الوطنيه فوق أرض بلاده، حتى انسحقت كرامته أمام الدويلات والإمارات الصغيرة، ولا أدرى إن كان لديك طرف من هذه الأنباء أم لا؟، لكن الأمر المؤكد هو أن الملك "شي" - حاكم "يان" - في الوقت الراهن قد فترت عزيمته وخارت همته وقد جلس مهموماً بغير سند أو معتمد؛ فلا وزراؤه يهبون لنجدته، ولا المصائب تتحول عن بلاده، ولا شعبه يذعن بالخضوع والانقياد له، ولئن كنت تتقوى الآن بأهل مدينة لياو الذين أرهقهم الحصار ونالت منهم تحديات المقاومة في مواجهة جيش تشي المترصد لك طوال عام كامل فلا أظن هذه إلا حيلة حربية في تحصين المدن قد تعلمتها من فن الحرب عند "موتسي" (فيلسوف الموهية)، أما بقاؤك وصمودك داخل المدينة، وأنت تأكل الجيفة وعظام الموتى؛ وتتحالف مع جنودك على البقاء معاً حتى الموت بغير خيانة؛ فتلك طريقة "سون بين" (مفكر عسكرى) في التحصن بالمدن وهكذا، فإن أفكارك معلومة لنا وطرائقك الحربية مكشوفة لكل الناس".

- **الجزء الرابع من الفصل نفسه**

"لذلك فقد تدبرت أمرك ورأيت أن من الأفضل لك أن تحقن الدماء وتغمد سيف الحرب، وأن ترجع إلى بلادك بكامل جيشك وعدتك وعتادك وأن ترعى حق مليكك عليك. لعله يرضى عنك ويبتهج قلبه بعودتك، ويستقبلك الأهالي بكل ود واحترام كأنهم يلقون عزيزاً عليهم، ويشمر أصدقاؤك ورفاقك عن أكمامهم ويشيرون نحوك بأيديهم زهواً وافتخاراً بك أمام العامة فتذيع مآثرك ويعلو قدرك، فيجد فيك الملك ناصحاً ومشيراً

(حرفيا: بعد أن عز وجود الناصح الأمين) وتصير الأعلى سطوة فوق الولاة والوزراء، ويجد فيك الرعية أبا وراعيا ونصيرا، وتصبح سيرتك البطولية نموذجا يقتدى به ويتناقله الرواة والخطباء، ويشرق نجم سعودك؛ إذ تمتد بك يد الصلاح إلى أحوال البلاد السياسية وأعرافها الاجتماعية، ومن ناحية أخرى، دعني أسألك بصراحة.. ألا يمكنك أن تدفع بأمور دولة يان كلها وراء ظهرك، ألا يمكنك أن تتجاهل تخرصات السوقة والدهماء وآراءهم فيك وتضرب صفحا عن ذلك، وتسرع الخطو باتجاه الشرق دولة تشي. ألا يمكنك أن تأتي إلينا؟ باستطاعتي أن أتقدم إلى جلالة ملك تشي بطلب يمنحك بموجبه إقطاعا سخيا، فتحوز من الثروة والجاه ما لم يبلغه قط كل من القائد العسكري الأشهر "يرانغ"، و"شان يانغ" على الرغم مما يحظيان به من المكانة والشرف، ويطير صيتك في الآفاق ويبقى ذكرك مخلدا جيلا بعد جيل، مابقيت الدولة (دولة تشي) قائمة، فتلك حيلة بارعة تستطيع أن تتدبر بها مخرجا مما أنت فيه، فدونك طريقتان تبلغ بهما آفاق المجد وتنال غاية الشهرة والفوز العظيم، فتدبر أمرك جيدا بمنتهى الحرص والحذر، واختر لنفسك طريقا"!

- الجزء الخامس من الفصل نفسه

"وبالإضافة إلى ذلك، فقد بلغني أن من اتخذ من صغائر الأمور معلما ومرشدا، فلن يبلغ الرفعة والعلا، ومن كانت تتأذى نفسه بالغ الأذى من مجرد أحقر الصغائر، فلن يكون ذا شأن عظيم وصيت ذائع.

وقد قام كوانجون فيما سلف من الزمان بإطلاق سهامه على مشد إزار الحاكم تسي هوانكون، وكانت تلك محاولة لاغتصاب العرش؛ وكان من قبل قد تخلى عن كون تسي جيو، ولم يبذل له حياته دفاعا عنه، وكانت تلك خسه ونذالة، ثم إنه ألقى القبض عليه وتعرض للعقاب فوضعت يداه في القيود وقدماه في الأصفاد، وتجرع كأس المذلة، وعرف طعم الهوان، إن امرءا جرت عليه تلك الأحوال الثلاثة لن يلقى من مواطنيه إلا التجاهل، وستوصد أمامه أبواب الصعود إلى مرتقى الشرف، وهكذا فلو كان صدر قرار

باعتقال "كوانجون" وذاق في سجنه - مرارة الهوان وضيق الحال حتى وافاه الموت - وهو، بعد، في محبسه - لكان قد أصبح مكروها من الناس، ونموذجا ماثلا على الضعة والصغار. وبرغم ارتكابه للوقائع الثلاث المخجلة، فقد اعتلى العرش وصارت إليه السلطة النافذة في البلاد، فقام بإصلاحات واسعة في أرجاء الممالك، وعقد ثمانية تحالفات مع أمراء الدويلات، وجعل من دولة تشي واحدة من خمس امبراطوريات عظمى فارتفعت رايات مجده في سماء الدنيا بأسرها، وانتشرت ظلال أنواره فوق أرض الولايات المجاورة. وعندما تولى "تساوكوي" منصب قائد الجيش في دولة "لو"، قام بثلاث جولات حربية. خسرها جميعا وعاد مهزوما مدحورا وقد خسر أرضا هائلة المساحة (ثلاث آلاف لي مربع)، (ومع ذلك، فقد آثرأن يفكر بطريقة عملية؛ بحيث يتجنب الوقوع في مزيد من الخسائر، وهكذا فإنه..) لو كان قد بقي في ساحة القتال، يواصل محاولاته الهجومية اليائسة - دون أن يعمل حسابا للمستقبل - لوقع في الأسر، وصار أكبر الأسرى رتبة وسط جيش مهزوم؛ لكنه لم يكن يريد لنفسه ملاقاة ذلك المصيرالذي رأى فيه إذلالا لكرامته وتضييعا لمآثره وإخمادا لسيرته فلا تبقى له مع الأيام بقية من الذكرى لدى الأجيال اللاحقة، ولا يلهج فم بالثناء عليه، ولايرد له في سجل التاريخ وارد من ذكرى حكمته وعبقريته، فنحى عن نفسه خزي هزائمه وغض الطرف عما يمكن أن يكون لحقه من شعور بالعار، وتراجع عما كان ماضيا إليه، وراح يناقش الأمور مع حاكم" لو" معتبرا أن ماحدث له كان مجرد فرصة ضاعت على الرغم منه.

ولما ذهب الأمراء في زيارة رسمية لجلالة الامبراطور هوانكون - حاكم تشي - (وقد أصبح ملكا متوجا فوق الممالك)، قام تساوكوي (المشار إليه آنفا) وصعد إلى المنصة الكبرى وقام باختطاف جلالته، مشهرا سيفه في وجهه، ومهددا باغتياله، وهكذا، قدر للأرض التي خسرها في هزائمه الثلاث أن تعود إليه دفعة واحدة، وفي ساعة واحدة أيضا، مما كان له وقع الصاعقة على البلاد من أقصى الأرض إلى أقصاها، ومنذ يومئذ انعقد النفوذ والهيبة للدولتين: "أو" و "تشو" وطار صيتهما في الآفاق. وكتب لهما المجد الذي تناقلت سيرته أجيال وراء أجيال.

إن الرجال من أمثال "هوانكون"، و"تساوكوى" ليسوا ممن يغمضون عيونهم على قذى المهانة، حتى لو كان بالقدر الضئيل (هم فى ذلك مثل كل الناس، لافرق بينهم وبين من يتألم بسبب أدنى شعور بالخزى)، لكنهم رأوا أن من خطل الرأى وسوء التدبير أن يضحوا بأرواحهم، فيموتوا وتندثر، على المدى، آثارهم؛ لذلك لايظفر المرء بشهرة ذائعة ومجد باق على الدهر إلا من استطاع أن ينزع من جوفه جذور السخط والغضب؛ ولا يقيم من المآثر ماتخلد به ذكراه إلا إذا نحى عن نفسه ماتذل به الجباه من العار، فمثل هذا الشخص هو الذى يحوز من الإجلال والرفعة مايترقى به إلى مكانة لصيقة بالملوك الثلاثة (الحكماء القديسين)، وينعقد له من الصيت وخلود الذكر ما يدوم بدوام الأرض والسماء، فانظر فيما قلت لك وتدبر.

الجزء السادس من الفصل نفسه

وهنالك أجاب القائد العسكرى لدولة "يان"، قائلا: "وإنى لأنزل على رأى سيادتك، بكل احترام وتقدير، وآخذ بما تأمرون به!" ثم راحت قوات دولة يان تغمد سيوفها وتنزع أقواسها وتخلى مواقعها استعدادا للجلاء عنها؛ فلهذا قيل إن الفضل فى فك الحصار عن دولة تشى وتخليص أهلها من براثن الموت ومهالك القتال، يرجع إلى براعة اللفظ وحسن العبارة (فيما صدر عن "جونليان" من منطق وبيان).

لما قامت يان بمهاجمة دولة تشى

قامت يان بمهاجمة دولة تشى واقتحمت عاصمتها فهرب الملك "مين" إلى دولة "جيو"، حيث لقى حتفه على يد" ناوتشى" وكان"تيان دان" – فى تلك الأثناء – يتولى حماية مدينة "جيمو" وقد أبلى بلاء حسنا فى مقاومة دولة يان، بل إنه استطاع أن ينازل قواتها ويردها على أعقابها ويهزمها شر هزيمة، ثم راح؛ بعد ذلك، يجدد عمارة العاصمة ويبنى بدل ماتهدم من مبانيها وجرى إقرار الملك شيانغ وليا على العرش بوصفه الأمير الوريث، فلما كانت تشى قد ردت يان على أعقابها وأنزلت بها هزيمة منكرة،

فإن كثيرا من الشكوك ثارت حول مدى جدية "تيان دان" فى تنصيب خليفة للملك المقتول ووقع فى ظن أهالى دولة تشى أن الرجل يتحين الفرصة ويهيئ لنفسه الظروف ليقوم بنفسه مقام الملك، فإذا به يؤازر الأمير شيانغ ويقوم إلى جواره مساعدا له حتى تولى العرش، ملكا على البلاد، ولم يقصر فى خدمته.

- الجزء الثانى من الفصل نفسه

كان تيان دان مارا ذات يوم فى طريقه بجوار شاطئ نهر "زيشوى"، فرأى رجلا متقدما فى السن يجلس قرب حافة الماء وقد أخذ يرتجف من شدة البرد بعد أن عبر النهر سيرا على الأقدام، وفكر تيان دان فى أن يأمر رجاله بأن يلقوا إلى الكهل الذى أقعده البرد والإنهاك عن المشى برداء يدفئه، لكنه لم يجد عند أحد منهم فضلة من الثياب، فخلع رداءه وأعطاه للمسكين.

فلما وصلت أخبار تلك الواقعة إلى الملك شيانغ، تكدرت نفسه للغاية، وحدث نفسه قائلا:

"هو ذا" تيان دان" ينثر على الناس من عطفه الشئ الكثير فما أراه إلا ظافرا بما يؤهله للوثوب إلى العرش فيقصيني ويقوم مكاني، فلأعجل باتخاذ الحيطة الواجبة قبل أن تنقضى الأمور وينفلت الزمام." ونظر الملك حواليه فلم يجد أحدا بالقرب منه، فتطلع فى المدى، فشاهد بالقرب من القصر واحدا من رجال البلاط.. يدعى "كوان شو" فأدناه الملك إليه بإشارة منه، وسأله: "أسمعت ما كنت أحادث به نفسي بصوت عال منذ قليل؟" فلما رد عليه بالإيجاب سأله الملك:"فكيف ترانى أصنع معه؟ وبماذا تشير على فى هذا الأمر؟" فأجابه كوان شو، قائلا: "أرى من الأفضل أن تجعله من رجال حاشيتك المحسنين، فتمتدح سيرته وتثنى على أفعاله، وتصدر أمرا تقول فيه، بالنص" لما نما إلى علمنا أن أفرادا من الشعب يقاسون الجوع، فقد أصابنا ذلك بمزيد القلق والضيق، فدفعنا إلى"تيان دان" بما يسد أبواب المجاعة من الحبوب والغذاء؛ وإذ جزعت لمصاب الناس من البر وقلة الكساء؛ فقد أراد"تيان دان" أن يدخل على قلبى السرور

بما أقدم عليه من خلع رادئه كي يستدفئ به من يقاسون الزمهرير؛ وكم يحزنني أن يشقى الناس ويرهقهم ضيق العيش، وهو الأمر الذى انتقل تأثيره إلى قلب؛ تيان دان ومشاعره، فصار هو الآخر ينزعج لما يضايقنى؛ مما جعله يترفق بالناس، لما يعلمه من إشفاقى عليهم".

وهكذا، فكلما سلك" تيان دان" بين الناس بالعطف والرفق والرحمة، ونال منك الثناء والتقدير، بدا الأمر (للناس كلهم) وكأنك أنت العطوف، والبرالرحيم".

وهنالك استحسن الملك رأيه، وقرر مكافأة سخية لـ تيان دان وأهداه من الخمر واللحم ما لامزيد عليه وأثنى على أفعاله كثير الثناء.

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وماهى إلا أيام قليلة حتى عاد "كوان" لزيارة الملك "شيانغ" فلما التقى بجلالته، قال له: "أرى أنه من اللائق – يامولاى – أن تنتهز فرصة وجود الأمراء فى قصرك، بعد أيام قلائل، لتقدم التحية، على رؤوس الأشهاد، لـ"تيان دان"، وتتكرم عليه بالهدية المناسبة والمكافأة السخية، ثم تصدر أمرا ملكيا فى الحال، بالبحث عن المحرومين والجائعين، لاتخاذ الإجراءات العاجلة لإيوائهم والعناية بأحوالهم، ثم ترسل بعيونك إلى الضواحى البعيدة [هكذا] لمراقبة ردود أفعال عامة الناس، والإنصات لما يقولونه فى أحاديثهم، حيث ستجدهم جميعا يرددون، قائلين :" لئن كان تيان دان يعطف على الناس ويترفق بهم من الرحمة والود والشفقة، فالفضل فى ذلك يرجع إلى جلالة الملك نفسه!".

لما كان "دياو بو" يقدح فى أخلاق تيان دان

كان "دياو بو" [من أهالى تشى] يقدح فى أخلاق وسمعة "تيان دان"، قائلا عنه: "إن ذلك المدعو آن بنجون [لقب تيان دان] رجل حقير، دنىء لاقدر له". فلما بلغ ذلك القول سمع تيان دان أسرع بعمل وليمة فخمة دعا إليها" دياوبو"، وقال له وهو حاضر:

"لئن كنت قد أسأت إليك في بعض المواطن، فقد أمتدحتني لدى البلاط الحاكم، وأثنيت عليَّ داخل أروقة القصر الملكي" فأجابه:" إن الكلب الذي كان يربيه السيد "طاوجي" كثيرا ماجعل ينبح على السيد "باو"؛ وبالتأكيد فهذا لايعني أن الكلب يبجل السيد طاوجي، أو ينقص من قدر السيد"باو"، فالكلب، عادة، ينبح على الرجل الغريب، ثم إننا لو افترضنا أن السيد كونسون رجل حكيم ذو فضل وعقل راجح، بينما السيد شيوتسي رجل خائب لايرجي منه خير ولا نفع، ثم قام كلاهما وتعاركا، فلابد أن كلب السيد شيوتسي سيهاجم خصم سيده ويعض ساقه، فإذا باعدنا بين الكلب وسيده الأول الخائب، قليل المروءة (كونسون) ثم أعطيناه للرجل الفضل ليقوم على تربيته، حتى صار كلبه الوفي، فهل يظل – مثل حاله الأول، مع سيده الخائب – يهاجم الناس ويعقرهم كلما واتته الفرصة؟" فهنالك قال له تيان دان:" قل ما شئت، إذن، وسأصغي لك بكل احترام وإجلال." وفي اليوم التالي قدم توصيته إلى جلالة الملك يزكيه ويوصي بتوليته وظيفة مرموقة.

الجزء الثاني من الفصل نفسه

ثم إن الملك شيانغ – حاكم تشي – جمع إليه الوزراء التسعة الذين كانوا محل ثقته التامة؛ وذلك بغرض التآمر على تيان دان فما كان من الوزراء التسعة إلا أن أشاروا على الملك بقولهم: "عندما هاجمت يان دولة تشي، أسرع حاكم تشو بإرسال القائد العسكري "ناوتشي" على رأس عشرة آلاف مقاتل لمساندة تشي في مقاومة عدوان يان عليها، أما وقد تم ردع العدوان و.. بناء ماتهدم، وإعادة تعمير عاصمة البلاد وانتشار الأمن والاستقرار في الأنحاء كلها، فما الذي يمنع جلالتك من إرسال مبعوث إلى حاكم تشو تعبيرا عن تقديرك وشكرك لما قام به نحوك من جميل؟" فسألهم الملك عما يرونه مناسبا للقيام بهذه المهمة من مساعديه، فأجابوه بأن أنسب من يختاره لذلك الغرض هو "دياوبو".

وبالفعل فقد ذهب الرجل مبعوثا إلى بلاط "تشو" الحاكم. وتقبل جلالة الملك مشاعر الود والشكر من طرف دولة تشي وامتنانها لما قام به نحوها، واستبقى "دياوبو" لديه وقدم له المآدب العامرة، يأكل ويعب كئوس الخمر على هواه، وظل الحال على ذلك

عدة أيام دون أن يعود المبعوث إلى بلاده، وحدث أن اجتمع الوزراء التسعة مرة أخرى، وتحدثوا إلى الملك، قائلين: "من الغريب أن يتم استبقاء رجل عادى ذى سلطة ومكانة متواضعة فى بلد يحوز عددا هائلا من السلاح والجنود والمعدات، ويبقى طوال هذا الوقت فى كنف حاكم تلك البلاد. ويدور بخلدنا أنه ما كان يمكن للرجل أن يبقى هناك دون أن يكون مستندا فى ذلك إلى قوة ونفوذ تيان دان، ومن ناحية أخرى فإنا نلاحظ أن تيان دان هذا كثيرا ما يتجاوز حدود اللياقة والأدب مع جلالتكم دون مراعاة للفرق بين الأسياد والأوغاد، هذا فضلا عما يجيش به صدره من نوايا الغدر والتآمر، إذ يسوس أمور الناس - داخل البلاد - ويهدئ خاطرهم، ويمد يد الإحسان للناس ويعين المكروب، أما فى الخارج، فهو يهادن البرابرة المسلحين ويشمل بعنايته ذوى العلم والحكمة، ويتحالف سرا مع المبّرزين من المقاتلين والأبطال فى الدويلات والممالك، وقد انطوت جوانحه على اغتصاب العرش؛ فلعل جلالة الملك يفتح عينيه ويرقب الأحوال بمنتهى الحرص والدقة".

ثم إن الملك شيانغ نادى بالأمر، ذات صباح طلب استدعاء وزيره الأكبر تيان دان، فصدع هذا بالأمر، وجاءه عارى الرأس (دون أن يرتدى القبعة الرسمية) حافى القدمين، مكشوف الصدر (بغير إزار أو قميص فوق جذعه) فلما مثل بين يديه، تأخر للخلف قليلا طالبا من جلالته إصدار الحكم بإعدامه والإطاحة برأسه، وبعد خمسة أيام تكلم معه الملك، قائلا: "لا أراك ارتكبت مايوجب إعدامك، فلم أعهد منك خيانة لى، فلتبذل غاية جهدك فى الوفاء بحقى عليك، وستجد منى كل الوفاء بحقوق معاملتك كوزير رفيع القدر تحت سلطانى، وليقم الأمر على ذلك مابينى وبينك".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وحدث أن رجع دياوبو من بعثته فى دولة تشو، فأكرمه الملك غاية الإكرام وخلع عليه، وأقام له مأدبة، وملأ له بنفسه كئوس المدام، ولما شرب الملك الخمر، بلغت به النشوة مداها وانبسطت أساريره فأمر باستدعاء تيان دان إلى الحفل قائلا: "أحضروا "تيان دان" إلى هنا" وهنالك قام "دياوبو" من مقعده وتوجه إلى الملك وركع أمامه مؤديا

التحية أكثر من مرة، وتحدث بكل احترام، قائلا لجلالته:" عفوك ياسيدى، كيف يصدر عن فمك مثل هذا القول الذى يمكن أن يعرض البلاد للخطر؟ ولتنظر فيما مضى من سيرة الملوك العظماء، مثل الملك أون حاكم جو، ولتتأمل، وتساءل نفسك أيكما أوفر حكمة واقتداراً أنت أم الملك أون؟" فأجابه: "بل الملك أون أكثر نجابة وأعظم نجاحا".
فسأله دياوبو ثانية:" نعم ياًمولاى، قد علمت أنك ستجيب بذلك، فدعنى أسألك عمن وراءك من الملوك، مثل الملك هوانكون حاكم تشى؟، أترى، إذا قارنت بينك وبينه، أيكما أكثر سدادا فى الرأى ورجاحة العقل؟" فأجابه:" بل هوانكون الأكثر رجاحة وحكمة." فقال له دياوبو: "قد عرفت ذلك قبل أن أسألك ياسيدى، لكنك مادمت قد قلت ذلك بنفسك، فدعنى أذكرك بما فعله الملك أون – حاكم جو – عندما اتخذ لوشانغ وزيرا فى بلاطه الحاكم، إذ منحه اللقب الفخرى "تايكون"، ولما اتخذ الملك هوانكون وزيره كوانجون رئيسا لحكومته، فقد لقبه باللقب الرسمى الفخم: جونفو؛ فانظر، يامولاى وقد اتخذت آن بنجون وزيرا أعظم فى بلاطك، فإنك تناديه باسمه المجرد"دان"، هذا بالإضافة إلى أنه لم يوجد على ظهر الأرض، منذ بدء الخليقة، من ينازع آن بنجون فى مآثره الجليلة حسن قيامه على شئون البلاد، ومع ذلك فلا تناديه جلالتكم إلا بالاسم المجرد دان [يعنى، فى الصينية: ضحل خفيف، معزول..] فكيف يصدر عنك مثل هذا اللفظ المجرد الذى يمكن أن يودى بالأوطان إلى المهالك؟ ولما كنت جلالتك غير قادر، على تقديم الدعم والحماية لما تبقى من عرش الملك "مين"، فقد استغلت دولة يان الفرصة وقامت بحشد الحشود وشن الغارة على عاصمة تشى، فولى جلالته الأدبار واختفى فى تلال "تشنغ يان"، أما "آن بنجون" (.. تيان دان) فقد وضع يده بيد أهالى مدينة جيمو (.. على الرغم مما أحاط بالأجواء من الخوف والقلق..) وحشد وراءه أهالى المدينة الداخلية ذات الأميال الثلاثة، بالإضافة إلى الضواحى الخارجية ذات الأميال الخمسة، وعلى الرغم من فلول الجيش المنهكة، فقد استطاع أن يجهز قوات قوامها سبعة آلاف مقاتل، وتمكن بكل تلك العوامل أن يوقع بقائد القوات العادية فى كمين (يقصد "تشى جيه") وأعاد إلى تشى آلاف الأميال من الأراضى المسلوبة، وكانت تلك، وغيرها، بعضا من مآثره الجليلة، ولو كان قد فكر فى مثل تلك الظروف أن يغلق أبواب المدينة، وينصب نفسه ملكا على

عرش البلاد لما منعه أحد في طول البلاد وعرضها، سواء في الممالك كلها أو مدينة "تشنغ يان" لكن" تيان دان" لم يكن بالرجل الذي يمكن أن يصدر عنه مثل هذا التصرف؛ انطلاقا من إيمانه بالمبادئ وعملا بالأصول الأخلاقية في كل مايدبره من خطط؛ لذلك فقد سارع باقامة الدروب الخشبية المعلقة وذهب، من فوره، إلى منطقة التلال الكائنة بمدينة"تشنغ يان" ليستقبل جلالة الملك والسيدة حرمه، ويقودهما في طريق العودة إلى الوطن ليجمع شمل الملك وشعبه مرة ثانية وهكذا فقد كان للرجل الفضل في أن ينتشر الاستقرار والأمن في ربوع البلاد، فيهنأ الناس بسعادة أيامهم.. ثم يأتي جلالة الملك، اليوم، ويناديه باسمه مجردا من دون ألقاب.."دان".. ولا أظن أن صبيا عابثا يمكن أن يدور بخلده مناداة الرجل، بهذه الطريقة ولا أرى إلا أن يسرع مولاى الملك بالتخلص من أولئك التسعة ثم يبادر بعد ذلك إلى تقديم الاعتذار إلى "آن بنجوان" وإلا تعرضت البلاد لمخاطر جمة واضطربت الأحوال. وبالفعل، فقد أقام الملك السيف على رءوس المستشارين التسعة وطرد ذويهم خارج البلاد، ثم تكرم بمنح "آن بنجوان" إقطاع بلدة "إيه".

- لما أعد تيان دان العدة لمهاجمة أرض دى

لما كان تيان دان على وشك الإغارة على "دايدى"، فقد توجه للقاء "لوجون ليان"

(.. وذلك ضمن ترتيبات الإعداد للهجوم..) ودار بين الرجلين حوار بدأه "لوجون ليان"، بقوله: "لا أظنك تستطيع احتلال دايدى"، فقال له تيان دان: "إنني أعتمد في خطتي على مجموعة من العناصر القوية؛ إذ قمت بتهيئة الأجواء في المواقع الداخلية للمدينة البالغ مساحتها خمسة" لى" وعلى الضواحي التي بأطراف المدينة بمساحتها البالغة سبعة" لى" وبرغم الحالة المتردية للقوات فقد استطعت الإغارة على دولة يان - ذات القوات العسكرية الهائلة - وألحقت بجيشها الهزيمة، وتمكنت من استعادة الأراضى المحتلة، فلماذا أعجز عن ضرب واحتلال منطقة دايدى؟" وما إن فرغ تيان دان من قوله، حتى ركب العربة العسكرية وانطلق عائدا دون استئذان محدثه؛ ثم إنه قاد الجيش وهاجم أرض "دايدى"، لكنه لم يستطع التغلب عليها مدة ثلاثة أشهر كاملة".

- الجزء الثانى من الفصل نفسه

وكان مما تردد فى الأهازيج التى تغنى بها الأطفال في دولة "تشى" أغنية تقول كلماتها:

"يا للقبعة التى تبدو مثل مذراة القمح،

والرمح الذى مثل عصا يستند إليها الرأس المائل،

قد ضربنا أرض دايدى،

فطاشت الضربات،

وانتثرت فوق الأرض المقابر".

وهنالك وقع الخوف بقلب "تيان دان"، وذهب إلى لوجون ليان يستفسر منه عن حقائق الأمور، قائلا: "كنت قد كلمتنى، ياسيدى، بشأن منطقة "دايدى"، وذكرت لى صعوبة مهاجمتها، فهل لى أن أعرف وجهة نظرك فى ذلك الموضوع؟"، فقال له: "قد لاحظت أنك كنت قائدا للجيش فى إقليم "جيمو"، تتصرف بكثير من التواضع والعزم، فكنت تغزل السلال بنفسك، وتحفر الخنادق بالمعول والجاروف، وتحث جنودك على القتال بقولك: "فلنحمل على أعدائنا! ففيم قعودنا وقد تهدمت المعابد، وطارت أرواح أهلنا شعاعا، وتهدمت البيوت!".. ولما كنت قد نذرت حياتك فداء لوطنك، فقد استهان جنودك بالحياة وسلكوا على دربك، عازمين على خوض المعارك الحاسمة وهم يلوحون بأيديهم ويمسحون عار الجبن عن جباههم، وكانت لهم الغلبة آخر المطاف على دولة "يان".

أما اليوم، وقد صارت لك بالمنطقة الشرقية الإقطاعات التى تغل عليك المال الوفى (.. الضرائب والإيجارات)، وانشغل قلبك بمباهج منظر الأنهار الجارية، وقد تدلَّى فوق ردائك علائق من الحلى والزينة، وتركب الجياد الرامحة فى السهول بين الأنهار الجارية [نهرى زيشوى، ميان شوى] تبتهج بلذة العيش، وتتناءى عن ملاقاة الموت فى ساحات القتال، وهو ما لن يمنحك أوسمة النصر بأى حال من الأحوال."، فقال "تيان دان": "لكنى،

منذ اللحظة، عازم على أن يكون النصر حليفى.. فاذكر قولى هذا ولسوف تنبئك الأيام بما قد عزمت عليه"!

وفى اليوم التالى، ذهب فى جولة تفقد فيها حشود القوات على الجبهة، وراح يستحثهم على القتال، ويستنهض معنوياتهم، بل قام واقفا عند حافة خطوط المواجهة مع العدو [حرفيا: حيث تسقط السهام ويقع النبل!] يضرب طبول الحرب، ولم يمض من الزمان الكثير حتى استسلم أهالى داى.

- لما قتل قائد قوات دولة تشى

لما قتل" شن تشى"، قائد قوات تشى فى معركة نهر"بو" [تنطق كما فى "البوصيرى"]، لم يلبث نائبه "جانغ تسى" أن هرب من الميدان، ولم يبق من القادة الكبار سوى" تيان بان"، الذى ذهب إلى الملك شيوان - حاكم تشى - وقال له:" أرى من الأفضل [للخروج من الأزمة] أن نرسل بفائض الحبوب إلى دولة سونغ، وهو ما ستتلقاه ببالغ السرور؛ ومن ثم، يتعذر على دولة "وى" عبور أراضى سونغ لمهاجمتنا، واعلم، يامولاى، أنى ما كنت لأقترح على جلالتكم مثل هذا الرأى فى استرضاء دولة سونغ [حرفيا: رشوتها] إلا لما هو معلوم من تردى أحوالنا (فى دولة تشى) حتى إذا مابدلتنا الأيام من بعد ضعف قوة، فلنا أن نطالب دولة سونغ - حينئذ - بتسديد ما عليها من دين لنا، فإذا تقاعست عن ذلك صار من الوارد أن نتخذ من موقفها هذا تُكَأة للهجوم عليها".

- لما قتل الملك مين على يد ناوتشى

لما لقى الملك "مين" - حاكم دولة تشى - حتفه على يد "ناوتشى"، فقد سارع ولده الأمير "فاجان" بتغيير لقبه ونزل فى بيت السيد "جياو" كبير مؤرخى الدولة الكائن بمنطقة "إيندى" أجيرا، وذلك دون أن يتعرف أحد على شخصيته إلا ابنة المؤرخ، التى راقبت سلوك وتصرفات هذا الخادم الجديد، وخالجها شعور بأنه ليس كعامة الناس،

ثم إنه شغفها حبا، فهامت به عشقا، وانفطر قلبها عليه حنانا وشفقة، وصارت تحضر إليه أحسن المـأكل والمشرب، في الخفاء، وأمسى كلاهما يختليان خلوة الرجل بامرأته.

وكان الوزراء الهاربون من دولة "تشى" قد اختلطوا بأهالى منطقة"إيندى" وأخذوا يبحثون في كل مكان عن الأمير "فاجان"، ولد الملك المقتول "مين"؛ إذ اجتمعت إرادتهم على تنصيبه حاكما على دولة "تشى"، خلفا لأبيه، وحدث أن الأمير "فاجان"، حكى حكايته وكشف عن شخصيته وسيرة حياته لأهالى إيندى، فتعرفوا عليه، واجتمع لديه الوزراء وقاموا بتنصيبه ملكا على البلاد [فذلك هو الملك الملقب بـ"شيانغ"] فما استقر فوق العرش، حتى أصدر قرارا بتنصيب ابنة المؤرخ الرسمى ملكة على تشى بوصفها (زوجة الحاكم)، وكانت قد وضعت له مولده الذى أسماه بـ"طاى تشيجيان"، وهنالك تكلم المؤرخ الرسمى السيد جياو، وقد بلغ به الغضب مبلغه، قائلا:" إن الفتاة، التى أنا أبوها، قد ارتبطت برجل، دون إقامة مراسيم الزواج على النحو المعهود، فهى ليست ابنتى، منذ الآن، مادامت قد جلبت عليَّ العار، وداست على كرامة عائلتى ولوثت شرف الأسرة الكريمة." وهكذا، فقد امتنع الرجل عن زيارة ابنته طيلة مابقى من عمره، أما هى، فقد حرصت – وهى زوج الملك الحاكم – على التحلى بالخلق الكريم والفضائل الجمة؛ إذ بقيت حريصة على التزام قواعد الأخلاق نحو أبيها، على الرغم من مجافاته لها.

– الجزء الثانى من الفصل نفسه

فلما توفى الملك شيانغ، خلفه ولده طاى تسيجيان على العرش وكانت جلالة الملكة [زوجة الملك الراحل شيانغ ووالدة الملك القائم] حريصة على القيام بما يراعى مصالح دولة تشين، وتتوخى الحذر، فى ذلك، حتى عرفت بين أمراء الدويلات بحفظ العهود، والتمسك بالمواثيق، فكان ذلك من بين الأسباب التى ساعدت على بقاء الملك طاى تسيجيان فى الحكم مدة تزيد على الأربعين عاما، دون أن تتعرض بلاده لأهوال الحرب والمعارك. وكان الملك"جاو" – حاكم تشين – قد أوفد الرسل إلى جلالة الملكة الأم بهدية، عبارة عن مجموعة من الحلقات المتداخلة فى سلسلة مترابطة من الأحجار

الكريمة مرفقة برسالة من ملك تشين يقول فيها.. "أما وقد عرفت أن دولة تشى تأوى بين جنباتها الكثير من الأذكياء، فهلا استطاع أحدهم فك عقدة الحلقات المتداخلة ليحرز هذا اللغز؟" فعرضت الملكة أمر تلك الحلقات الملغزة إلى الوزراء علهم يهتدون إلى تبيان طلاسمها، فعجزوا عن ذلك. فما كان من الملكة إلا أن تناولت مطرقة وانهالت بها على الحلقات المتداخلة فتكسرت، فقدمت اعتذارها لمبعوثى دولة تشين، قائلة:" لم أجد سوى تلك المطرقة لفك الحلقات بعضها عن بعض".

- الجزء الثالث من الفصل نفسه

لما اشتدت وطأة المرض على جلالة الملكة، وأوشكت على الموت؛ نصحت الملك جيان بقولها: "احفظ عنى أسماء الثقات المخلصين من وزرائك، فهم قليل". وعندما طلب إليها التصريح بأسمائهم وافقته على ذلك، فطلب قلما ولوحا من البامبو ليكتب ما يملى عليه من وصايا الملكة المحتضرة، ثم لما سألها عمن تراه موضع ثقة من الوزراء والمسئولين، ردت قائلة:" بأنها نسيت أسماءهم وماعادت تذكر شيئا".

ولَّما وافاها الأجل المحتوم، تم تنصيب الوزير"هوشنغ" رئيسا للوزراء، ثم إنه لم يجد غضاضة فى أن يقبل ما أغدقه عليه جواسيس دولة تشين من الأموال والهدايا الثمينة، وقام من فوره، بإيفاد الوفود إلى تشين، فلما عادوا تحدثوا بلسان التضليل والكذب؛ بعد إذ دبروا تدبيرهم وأوقعوا فى روع الملك بأن من مصلحته التوجه إلى تشين لتقديم التحية للعرش الحاكم، وكان الإهمال قد امتد ليشمل أحوال وأدوات الاستعدادات الدفاعية والهجومية للبلاد بأسرها.

- لما كان جيان فى طريقه إلى دولة تشين

لما كان الملك "جيان" - حاكم تشى - فى طريقه قاصدا التوجه إلى دولة "تشين" لتقديم دلائل الطاعة والاحترام، فقد أقبل عليه "يونغمن صما"، وقال لجلالته: "أتظن جلالتك أن الناس ينصبون الملوك فوق عروش بلادهم لأجل حماية الأوطان أم لمجرد

الرغبة في إقامة التيجان الملكية؟" فأجابه الملك: "بل لحماية الأوطان". فقال له القائد: "فما دام الأمر كذلك، فما الذي يدعوك، يامولاي، لمغادرة الوطن والذهاب إلى تشين؟" وهنالك استدار الملك عائدا إلى القصر.

وظن مدير إقليم "جيمو" أن نزول الملك على وجهة نظر يونغمن، والعمل بنصيحته، علامة طيبة على استعداده لأن يسمع المزيد من الخطط والآراء، فتشجع وذهب لمقابلة جلالته، فلما التقى به، قال له:" تعرف يامولاى أن محيط دولة تشى يزيد على بضعة آلاف "لى" وأن عدد المقاتلين من لابسي الدروع يتجاوز المليون مقاتل، وتعرف أيضا أن مديرى المناطق المسماه بـ"سان جين" قد تركوا المناطق المخصصة لنفوذهم وجاءوا للإقامة فى مناطق متاخمة لدولة تشين، فما رأيك فى أن تجمعهم إلى صفك وتضع فى أيديهم العدة والعتاد الكافيين لاستعادة مناطق نفوذهم السليبة، وهو الأمر الذى لاتقف دونه الكثير من العقبات؛ ثم إن عددا هائلا من مديرى ولايتى "يان"، و"إينغ" يبدون السخط والتبرم من نفوذ تشين فوق ولاياتهم، ويعلنون رفضهم الإذعان لسلطة تشين، وهو السبب فى مغادرتهم المناطق التى كانوا يرأسونها وتفضليهم الإقامة فى "تشنغ نان شيا" فلماذا لاتسارع إلى حشد صفوفهم، وشد أزرهم بالقوات اللازمة لاسترداد هيبتهم ونفوذهم، والأرض التى تم اقتطاعها من دولة تشو، وهو الأمر الذى لن تجد القوات أى مشقة فى تحقيقه، حتى لو كانت المناطق المطلوب استردادها تقع فى مضيق "أكوان" فإذا ما تحقق هذا كله، فسوف تنعقد لدولة تشى - تحت سلطانكم - الثقة والهيبة النافذة بين الممالك، وتنخسف الأرض بمملكة تشين الكبرى، فلا تقوم لها بعد ذلك قائمة، ولا أريد لجلالتكم إغفال أهمية هذا الاقتراح، لما فيه من تقدير عظيم لدوركم ومكانتكم ونفوذكم فليس هناك أسوأ من الخضوع لإرادة "تشين". ومع ذلك، فقد أغفل حاكم تشى أهمية الاقتراح وصرف عنه النظر تماما.

- الجزء الثانى من الفصل نفسه

أرسلت دولة تشين من طرفها السيدة "تشن تشى" [.. يقال بأنها إحدى محظيات القصر الحاكم لدولة تشى] لإقناع الملك جيان حاكم تشى بضرورة السفر إلى تشين،

بزعم أن البلاط الحاكم هناك لديه استعداد لعقد اتفاقية يمنح بمقتضاها دولة "تشى" أرضا تبلغ مساحتها خمسمائة لى مربع، ولما كان جلالة الملك قد أغفل نصيحة مدير إقليم جيمو، وآثر التصرف وفق ماأغرته به السيدة تشن تشى، فقد سافر إلى دولة تشين التى ما أن نزل بأرضها حتى ألقى القبض عليه، وأجبر على الإقامة بإحدى غابات الصنوبر حيث تم تحديد إقامته، فبقى هناك رهن الاعتقال حتى مات جوعا، وقيل فى الحوادث إنه قبيل وفاة الملك المحبوس، ذاعت فى دولة تشى إحدى الأغنيات التى تقول كلماتها:

"آه منك .. يا شجيرات الصنوبر ..

قد نزل عندك الملك جيان .. ضيفا ذات يوم ..

وكان الذين أشاروا عليك باستضافته

هم الضيوف الوافدين إليك من تشى

ذات يوم .."

- لما وقعت المشاحنة بيد دولتى تشى وتشين

صارت دولة "تشى" تشعر ببالغ الكراهية نحو دولة "تشين" بسبب مااقترفه "ناوتشى" من التهور والحماقة وعلى إثر ذلك فقد انتهزت دولة تشين ذلك الوضع وراحت تجرى محاولات لإقامة الوحدة مع دولة تشى؛ فأرسلت" صوجوان" إلى تشو، وأوفدت - أيضا وفى نفس الوقت - مبعوثها "رانقو" إلى دولة تشى. وهنالك اجتمع" تشيمنغ" - كبير وزراء تشو- إلى الملك، وقال له:" يبدو لى، أن الملك تشاو - حاكم تشين - متلهف على إقامة الوحدة مع تشى، أكثر من لهفته على إقامتها مع تشو، وهو إذ يرسل مبعوثه صواجون إلى جلالتك (فى دولة تشو)، فإنما يقصد من ذلك أن يبلغ دولة تشى رسالة فحواها أنه ينظر إلى مصلحته فى تقوية العلاقة معكم، بحكم الجوار وهو المعنى الذى

يدعم محاولات رسوله رانقو إلى تشي، فى استمالة مضيفه إلى صفه، ثم إن حاكم تشي سيسارع، على الفور بتلقف مايعرضه رانقو عليه من وجهات نظر، خشية أن تسبقه تشو إلى التحالف مع تشين لما تتميز به من أنها تقع إلى جوارها مباشرة.

فإذا ما انطلى كلام صواجون على جلالتك، كنت كمن يقدم خدمة جليلة لمهمة رانقو فى تشي، حيث ستسارع هذه إلى عقد اتفاق الوحدة مع تشين؛ وهو الأمر الذى إذا ماقدر له أن يتم فسوف يمثل خطورة هائلة لدولة تشو، أضف إلى ذلك أن ماسيقوله صواجون إلى جلالتك، سيختلف ويتناقض، بالتأكيد، مع ماسيبلغه رانقو إلى تشي؛ ولذلك فالأفضل أن تبلغ دولة تشي بكل ماقيل لك على لسان صواجون، كى تفتح عينى أهل تشي على مقدار الغش والتضليل الذى جاءهم به رانقو، وهو ما سيعوق قيام الوحدة بين تشين وتشي، وبذلك تتحقق لك مكانة بارزة ويصبح دورك أكثر أهمية، وتتاح لك مجالات اختيارات عديدة.. فإذا أردت التحالف مع تشي ضد تشين، أتيح لك مهاجمة هذه الأخيرة، لاستعادة منطقة السهول عند منخفض نهر "خان"، وإذا مافكرت فى الاستفادة من علاقة الجوار مع تشين لمحاربة تشي، صار من الممكن استعادة وادى نهر "هواى"، ونهر "سيشوى".

سجل تشو الأول

- لما وقعت العداوة والبغضاء بين دولتى تشى وتشين

لما وقعت العداوة والبغضاء بين دولتي تشى وتشين، حاولت دولة سونغ التزام الحياد بينهما، إلا أن تشى أجبرتها على الإنحياز إلى صفها، فما كان منها إلا الإذعان لإرادة تشى.

فذهب زيشيانغ [أحد مسئولي دولة تشو] للقاء حاكم سونغ، فى محاولة لاستنقاذ مصالح بلاده، وقال لجلالته: "كنتم بالنسبة لدولة تشو فرصة فوز ساحق خسرناه بسبب حرصنا على الاستقامة والنزاهة والخلق الكريم، لكننا تعلمنا الدرس من دولة تشى، وأدركنا ما لسياسة الضغوط والإجبار من قيمة، وهو ماسوف نلجأ إليه مع دولة سونغ منذ الآن.

ثم إن الإنحياز إلى دولة تشى في حربها ضد تشين لن يكون بالضرورة ذا فائدة لدولة سونغ؛ التى ستجد نفسها فى مواجهة أكيدة مع الخطر، إذا ماانتصرت تشى على تشين – جدلا – فأما إذا لم يتحقق لها ذلك الانتصار، فسيكون موقف سونغ مخزيا جدا؛ لأنها ستبدو – وهى الدولة الصغيرة الضعيفة – مجرد لعبة فى يد تشى، لمواجهة دولة كبرى قوية مثل تشين. وعندما تقع دولة صغيرة تحت تأثير الضغط الذى تمارسه دولتان قويتان (حرفيا: تملكان العدة الهائلة والعتاد الوفير) وذلك لتحقيق أغراضهما، يصبح أمن تلك الدولة فى خطر بالغ".

عندما قامت الدول الخمس بمهاجمة تشين

قام التحالف بين الدول الخمس: تشو، هان، وى، يان، جاو، وقامت بشن هجوم جماعى ضد تشين، فذهب جاويان [قائد جيش تشو إلى جلالة الملك]، وقال له: "إذا تحقق النصر للدول الخمس، واستولت على أراضى تشين، فسوف تتجه أنظارها جميعا صوب الجنوب، ويتطلعون إلى اقتسام بلادنا - تشو - فيما بينهم" فسأله الملك: "فما العمل، إذن، مادام الأمر كذلك؟" فأجابه: "أرى أن مصير دولة هان مرتبط بما يؤول إليه حال دولتنا، وكل منهما يتعلق بمصير الآخر [حرفيا: كما بين الأسنان والشفتان] وقد لاحظت أن سياسة هان تقوم على السعى إلى ما فيه مصلحتها، فى الوقت الذى تتجنب فيه أن تزج بنفسها إلى الكوارث والنكبات.

(وهكذا) فنحن نستطيع أن ننفذ إلى الثغرة التى تطمح فيها، إلى السعى نحو تأمين مصالحها، فنوقعها فى الزيغ والأوهام، [هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى..] فنأخذ بناصيتها فيما تتجنب أن تزج بنفسها إليه من الأزمات فندخل فى قلبها الرعب والهلع.

(وتفصيل ذلك .. إننا..) يمكن أن نغريها بالمال الطائل فنبذل لها الأموال على سبيل الرشوة التى تحقق لنا نحن أغراضنا، فيبدو الأمر وكأنهم قد حققوا لأنفسهم مايسعون إليه من المصالح والمنافع الذاتية، فتتخبط قلوبهم فى مهاوى الزيغ وترتبك تصوراتهم وقد اختلطت بالأوهام. ثم نحرك قواتنا لمهاجمتهم فتتزلزل أعماقهم من الخوف. ومن ثم يجدون أنفسهم أسرى موقف دقيق لاخلاص منه، فهم - من ناحية - ترتعد أوصالهم هلعا بسبب مايرونه من أسنة رماحنا المشرعة، ومن ناحية أخرى، لايجدون دفعا لمصير الخوف بسبب حاجتهم لما نبذله إليهم من الأموال، وبناء على ذلك، فإن أى محاولة تجريها الدول الخمس لمهاجمتنا سوف يكون مصيرها الفشل، وهو ماسيؤدى،آخر المطاف إلى انهيار التحالف، مما سيمكننا من الاحتفاظ بأراضينا دون التفريط فى شبر منها لأى جهة، مهما كانت".

وهنالك وافقه ملك "تشو" على رأيه، وأوفد رئيس وزرائه "طاكون شي" إلى دولة "هان"، حيث التقى برئيس وزرائها "كونجون"، وقال له: "لابد أن جلالة الملك قد شهد بعيني رأسه ماحدث من وقائع في جبل "نيولان"، وما حل بمنطقة "مالينغ" من نكبات [.. لا نجد أية تفاصيل أو إرشادات توضح المقصود بهذه العبارة] ومن ثم فنحن نعرض على جلالته أن نهديه خمسة مدن كبرى مقابل أن ينسحب من التحالف المناوئ لدولة "تشين"، وسوف تمتثل قواتنا العسكرية بكامل قيادتها إلى توجيهاتكم وأوامركم، وتضع نفسها تحت تصرفكم، ذلك بهدف الاستيلاء على دولة تشي".

وحدث في الحوادث أن دولة تشي امتنعت عن مهاجمة تشين، دون أن تبلغ ذلك علانية لحليفتيها: دولة جاو، ودولة وي. ولم تنجز تشو وعدها بإعطاء ما وعدت به من مدن إلى دولة هان، وهكذا وقع تحالف الدول الخمس المهاجمة لـ تشين في مأزق كبير".

- لما اجتمع ملك تشو مع الوزراء

التقى الملك"شيوان" حاكم تشو مع وزرائه، وسألهم: "بلغني أن كل دول الشمال صارت ترتعد خوفا من رئيس وزرائنا (الصدر الأعظم: جاو شيشو) فهل هذا الأمر صحيح؟" فسكت الوزراء جميعا وتكلم "جيانغي" [من مواطني دولة وي، انتقل ليعمل في بلاط تشو واحدا من كبار المسئولين]، فقال: "(مما يذكر في الحكايات..) إن نمرا أراد افتراس الوحوش، فهجم عليهم فوقع في قبضته أحد الثعالب، فوقف للنمر وقال له:" لا أظنك تجرؤ على افتراسي أيها السيد الكريم، فقد رفعتني السماء ملكا فوق الوحوش جميعا، فإذا دار بخلدك الوثوب علي، كنت كمن يجترئ على إرادة السماء، ولاأخالك تكذبني وإلا فهأنذا أسير أمامك وأنت تتبعني، نمرق وسط صفوف الوحش والطير، وسوف تشهد بنفسك أنهم سيفرون من أمامي لهيبتي وعظيم مكانتي فيهم،... فوثق النمر في كلامه وسار خلفه، ودخل الغابة، فكانت الوحوش تهرب من الطرقات وتفزع في كل اتجاه وقد ولت أدبارها رعبا وهلعا، ولم يدر النمر أن الوحوش فرت خوفا منه، لا من الثعلب، فانظر، وتأمل الأمر جيدا - يامولاي، واعلم أنك تبسط سلطانك فوق أرض

يبلغ محيطها خمسة آلاف لى، وقدبلغ عدد المقاتلين فى جيشك من لابسى الدروع، خمسة ملايين جندى، جعلت سلطة الأمر والنهى فيهم صادرة عن جاوشيشو، فلذلك وقعت هيبتة فى نفوس أهل الشمال جميعا . ولئن صار له من عظيم المكانة على نحو ماترى، فإنما الهيبة لجلالتك ولجيشك وقواتك الضاربة، تماما مثلما كان الرعب والفزع الذى قصصت عليك قصته آنفا، راجعا لشدة بأس النمر وعظيم مهابته".

- لما تناظر "جاو شيشو" مع "بن شن جون"

قامت مناظرة بين "جاوشيشو" و"بن شن جون" [أحد مواطنى تشو] فى حضور ملك تشو، كان موضوعها يتناول الأمور الكبرى ذات الأهمية المتعلقة بسياسات البلاد، ومال الملك على"جيانغى"، وسأله عن رأيه فيما دار بين الرجلين من جدل، فأجابه: "قد تكلما بأحسن مايكون من فنون الكلام، لدرجة أنى استطيع الجزم - بعد إذنك يامولاى - بأنه لا مزيد على قولهما [.. يقصد أنه لا يجد عنده ما يمكن أن يضيفه من آراء، وهى صياغة تهكمية مغلفة بالتواضع والتوسل بأدب الحديث..]. فذلك مايقال له تنقية صدر الملك من أسباب الشك فى كلام الحكماء".

- لما وقعت معركة هاندان

لما وقعت معركة "هاندان"، ذهب "جاوشيشو" إلى الملك "شيوان" حاكم "تشو"، وقال له: "أرى أنه من الأفضل ألا نمد يد العون إلى دولة جاو، بل نعطى الفرصة لدولة وى كى تحشد كل قواتها (لضرب جاو)؛ باعتبار أن تعاظم قوة هذه الأخيرة سيمكنها من اقتطاع الكثير من أراضى غريمتها جاو، فإذا بدا أنها لن تستسلم للأمور بكل سهولة، فسوف نثابر على سياستنا تجاهها بغير أدنى تبديل، وهو ماسيؤدى إلى استنزافهما معا".

وتكلم "جينشه" [وزير عظيم بدولة تشى] قائلا: "هذا التصور غير صحيح مطلقا، وليس فيما قاله جاوشيشو أى قدر من النجابة أو الحكمة؛ ذلك أنه بينما تقوم دولة وى

بمهاجمة جاو، فسيداخلها القلق من أن نستغل نحن ذلك الموقف فى تشو ونباغتها بالهجوم من حيث لاتدرى، هذا من جانب، أما من جانب آخر، فإذا لم نبادر إلى مساعدة دولة جاو، فسوف تعتريها أعراض الضعف وتوشك على الانهيار، فإذا أضفنا إلى ذلك إقدام دولة وى على ضرب جاو دون أن تنتابها الهواجس بأن تشو سوف تنتهز الفرصة، وتنقض عليها من الخلف، فمعنى ذلك أن تشو، هى الأخرى، تدعم الهجوم ضد جاو، فكأنها تضع يدها بيد وى لمحاربة جاو، وهو ما يعرض هذه الآخيرة لخطر داهم لاقبل لها به. فما الذى يدعو سيادته إلى القول بأننا سننتظر لنرى كلتا الدولتين تستنزفان طاقتيهما معا؟" ناهيك عن أن وى قد أصدرت الأمر إلى قواتها باقتطاع أكبر قدر ممكن من أراضى جاو التى إذا مااستشعرت نذر الهلاك والانهيار التام، وقد أيقنت فى أعماقها بامتناع تشو عن مساعدتها، فى هذه الأزمة المستحكمة، فلابد أنها، حينئذ ستسارع إلى التحالف مع وى، للتآمر ضدنا (ضد تشو) لهذا كله، أرى أنه من الأفضل يامولاى، أن تتفضل جلالتك بتقديم قدر محدود من القوات لمساعدة جاو، ومن المتوقع أنها عندما تشعر بأن تشو، بكل قواتها وعتادها، يمكن أن تساندها فى محنتها، فسوف تستميت فى القتال مع وى، وبالتالى فإن هذه الأخيرة عندما تلمس روح التحدى والعناد من جانب تشو فسوف تثور غضبتها، لكنها إذ تدرك أن حجم المساعدة الذى تتفضل به تشوعلى جاو ضئيل جدا، ولا يشكل أى عقبة فى طريقها، فسوف تمضى فى محاولة القضاء على وى.

عندئذ فقط، سيلتحم الطرفان: دولة جاو، ودولة وى فى صراع، يستنزف آخر قطرة من دمائهما، ولابد أن كلا من دولتى تشين وتشي وقد علمتا بما تقدمه تشو من مساعدة إلى جاو، سوف تنتهزان الفرصة وتهجمان على دولة وى فينشبان أظفارهما فى جسدها حتى تلقى هزيمة نكراء على يديهما".

وهكذا، فقد أوفد حاكم تشو، وزيره الأعظم جينشه؛ لقيادة القوات التى أرسلها لمساندة دولة جاو، فلما سقطت عاصمتها هاندان فى يد دولة وى، سارعت قوات تشو بالاستيلاء على الأرض الواقعة فى أرض جاو بين نهرى "صوى"، و"ويشوى" وهى أرض كبيرة المساحة جدا.

لما حاول جيانغى أن يوغر صدر الملك

أراد جيانغي أن يوغر صدر الملك على جاوشيشو، إلا أنه لوقام بمحاولته منفردا، لما استجاب له الملك، ولقصرت همته دون مايسعى إليه، فذهب للقاء جلالته وقدم طلبا باسم الماجد "شان يانجون" [أحد مواطنى دولة وى]، يرجو فيه الإنعام عليه بمنحة ملكية [أن يقطعه الملك الإقطاعات الكبرى، ويمنحه ألقاب الشرف]، فلم يبد جلالته أدنى اعتراض (من حيث المبدأ)، لكن جاوشيشو احتج على هذا الأمر، بقوله.. "إن شان يانجون لم يقدم لدولة تشو من الخدمات الجليلة أو المآثر العظيمة ما يوجب له التمتع، أو الحصول على شيء مما يزمع الملك منحه إياه" وهكذا عثر جيانغى على ضالته؛ إذ كسب إلى صفه شان يانجون بما أثار في نفسه من شعور بالامتنان، وأصبح كلاهما يبغض جاوشيشو أشد البغض والكراهية".

لما تكلم الضيف القادم من دولة وى

وتكلم الضيف القادم من دولة وى، أمام الملك شيوان حاكم تشو، بما احتشد فى صدره من ضغائن ضد جاوشيشو، ثم لم يلبث الملك نفسه حين التقى به، فيما بعد، أن حكى له ماحدث، فعلق بقوله: "هأنت ترى جلالتك بأنى أسمع وأطيع ماتأمرنى به وأقوم على خدمتك ليل نهار (دون أن تجرب على مايغضبك منى)، ثم يأتى ذلك الرجل القادم من دولة وى ليثير البلبلة والفتنة، وقد داخلنى شعور بالخوف، لا أدرى كنهه، ولست أخاف ذلك القادم من وى، ذلك الذى يبذرالشقاق بيننا، وينشر الأكاذيب فى أرجاء الممالك، فمثل ذلك الصنف من الناس هم المفسدون الساعون إلى الشر دائما، وإذا كان واحد – كهذا – من الغرباء لم يجد أدنى صعوبة فى السعي بالشر بيننا، فما بال جلالتك بذوى النوايا السيئة والأغراض الدنيئة من مواطنى بلدنا، أتظن أنهم يقصرون عن السير على ذات المنهاج؟ وما أرى إلا أنهم سيسلكون على منوال الضيف فى أقرب وقت". فقال له الملك: "قد وعيت كل ماذكرت وأدركت حقيقة الأمور، ولا أدرى ما الذى يدعوك إلى كل هذا القلق؟"

- لمـا كان جيانغى يبغض جاوشيشو

كـان جيـانغى يمـقت جاوشيشـو غاية المقت، فلما تكلم مع الملك شيوان، قال: "بلغنى، يا مولاى، إن رجلا كان يقتنى كلبا يقعى عند باب بيته، وكان يدلله ويحبه؛ لأنه يحرس منزله، وحدث أن الكلب نزل إلى بئر فتبول فيه، ورآه أحد الجيران، فراح ليخبر صاحبه بماوقع منه، فوقف له الكلب عند باب البيت بالمرصاد يريد أن يفتك به، فخاف الرجل على نفسه ضراوة الكلب فتراجع عما كان ينوى من إبلاغ سيد البيت حقيقة ماخفى عنه.

مـا أود أن أقوله لك ياسيدى هو أنه أثنـاء موقعـة هاندان قامت قواتنا بشن الغارة على تلك العاصمة الكبرى، وتمكنت من احتلالها، وانتهز جاوشيشو الفرصة، فاستولى على الكثير من الكنوز والمجوهرات الثمينة بدولة وى، ولأنى كنت مقيما، وقتئذ بالعاصمة المنكوبة، فقد أتيح لى أن أعرف دقائق الأمور بوضوح كاف؛ وهوالأمر الذى أثار سخط جاوشيشو على، فأضمر لى الحقد، وحال بينى وبين لقائى بجلالتك".

لمـا قرر جيانغى أن يشوه سمعة جاوشيشو

راح جيانغى يتدبر الحيل لتشويه سمعة جاوشيشو فى كل أنحاء دولة تشو، ثم إنه قصد إلى الملك شيوان، وقال له: "اعلم ياмولاى أنه.. إذا أقامت الدهماء لنفسها زمرة تستعين بها على قضاء مصالحها، صار علية القوم فى خطر ماحق، لكن عندما يتورط أسافل الناس فى صراعاتهم المتبادلة وتطحنهم الأطماع والمنافسات، يحل الهدوء والسلام على الوجهاء وأماثل الناس، وأرجو من جلالتك ألا تغفل عن هذه الحقيقة ماحييت. واسمح لى أن أسأل جلالتك ماظنك بمن يحب أن يذيع على الملأ فضائل الناس ويشيد بمناقبهم وخصالهم الحسنة؟" فأجابه الملك: "ذلك هو الماجد الكريم، ولابد أن نسعى إلى صحبته". فسأله: "فما قولك فيمن يجتهد فى إفشاء مثالب الناس والجهر بقبائحهم؟"، فأجابه: "فذلك هو الدنئ الحقير الذى نتناءى عن مجالسته". فقال جيانغى: "ومع ذلك، فهناك – من بين الناس – الابن القاتل أباه وأمه، وهناك أيضا الوزير السافك دم سيده الملك،

ثم إنك لا تعلم شيئا من ذلك كله ياجلالة الملك، أتعرف السبب فى احتجاب معرفة ذلك عنك؟ السبب هو أن جلالتك لاتريد إلا سماع الأخبار الطيبة، وتبغض الاطلاع على شر الأنباء والحوادث الدائرة بين الناس." وهنا، قال له الملك:

"فلا مانع، إذن، من أن أنصت إلى كل طيب وخبيث من أخبار الناس".

– لما كان جيانغى يشرح وجهات نظره السياسية

راح كان جيانغى يشرح بعض وجهات نظره السياسية للوزير المقرب من البلاط الحاكم، فى تشو [الوزير آن ليجون] قائلا له: "أراك تحصل على راتب كبير، وتشغل منصبا رفيعا، وذلك دون أن يكون لك فى سجل المآثر والخدمات الجليلة شىء يذكر، ودون أن تربطك بجلالة الملك وشائج القربى أو صلة الدم، وهو الأمر الذى يدهش له الناس فى أرجاء البلاد، خصوصا أنك لاتجيد القيام بطقوس الاحترام اللائق بين يدى الملك، مما يدفعهم للتساؤل عن السبب فى المزايا التى تحظى بها على الرغم من كل ذلك. "فأجابه آن لينجون: الأمر كله لايزيد عن أن جلالته قد تكرم على بمنصب يفوق ما استحقه بعض الشىء، وليس هناك أية أسباب أخرى غير ذلك". وهنالك قال له جيانغى: "إن من يعتمدون على المال فى إقامة علاقاتهم الاجتماعية مع الناس والتودد إليهم، يأتى عليهم زمان تبدد فيه الأموال، فينقطع ماأقاموه من ود جميل، وإذا كان الجمال وسيلة لأسر القلوب، فإن الجمال يذوى وينقشع، فتتبدل القلوب؛ ولطالما تناءى قلب المحب عن عشق امرأة جميلة قبيل انتهاء مأدبة ساهرة، وكثيرا ماتبددت الثقة فى أحد رجال الحكم قبل أن يجف المداد فوق أوراق تعينه. وأنى لأنظر إلى حالك فأجدك قد تقلدت زمام السلطة فى أكثر المواقع أهمية بالبلاط الحاكم، ومع ذلك فأنت تتقاعس عن توطيد العلاقة مع جلالة الملك، مما يمثل تهديدا محتملا لموقعك فى المستقبل فسأله آن لينجون، قائلا:" فما العمل، إذن، مادام الأمر على ماذكرت؟" فأجابه: "ليتك تتقدم إلى جلالته راجيا أن تبقى فى خدمته حتى الموت، بل حتى بعد الموت؛ إذ تطلب منه أن يسمح بدفن رفاتك فى مقبرته، أملا فى البقاء إلى جواره على طول المدى، فتلك هى الطريقة التى تضمن لك البقاء فى منصبك داخل بلاط آل تشو الحاكم، لفترة طويلة." وهنا قال الرجل: "وإنى لأقبل توجيهاتك بكل احترام وتبجيل".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

ومرت ثلاث سنوات دون أن يتصرف "آن لينجون" حسب ما أوصاه به جيانغي، فلما التقى هذا به، قال له: "مالى أراك قد أغضيت الطرف عن العمل بمقتضى مانصحت لك، وكأن كل مادبرت لك من الحيل كان مجرد كلام بغير طائل، فاعلم أنى لن أحضر إليك هنا البتة، مالم تعمل بما خططت لك". فقال له آن لينجون: "إن نسيت فلن أنسى فضلك على، ونصحك لى، فأنا لم أغفل عما دبرت لى من حيل، لكنى لم أجد الفرصة السانحة حتى الآن" .

ثم لم يلبث الملك شيوان، حاكم تشو، أن خرج فى رحلة صيد فى بحيرة "يونمن" وفى إثره سارت مواكب العربات والخيول المطهمة، بينما ارتفعت الأعلام والرايات من كل صنف حتى كادت تحجب نور الشمس، فلما جن الليل، صارت ألسنة النار فوق المشاعل تضىء الآفاق بألوان بديعة كأنها قوس قزح، وفى كل الأنحاء، ترددت صيحات النمور، وعواء الوحوش، كأنها الرعد يزلزل أركان البرية، ثم طلع من جوف الليل سبع ضار وهجم على موكب الملك، فنزع جلالته السهم وضرب عن قوسه فأصاب الوحش برمية قاتلة، فخلع الملك قصبة إحدى الرايات القريبة منه وراح يضرب بكعبها رأس السبع المحتضروهو يضحك، ويقول فى شىء من السخرية: "ما أسعد حظنا إذ ظفرنا الليلة بصيد هانئ وأجمل ما فى هذه الرحلة هو تلك الصحبة الطيبة.. ترى هل يجد المرء مثل تلك السعادة بعد الموت؟" فلما سمع آن لينجون قول الملك، بكى وتحدرت دموعه على وجنتيه، واقترب من الملك وهو يقول: ".. قد دخلت قصرك يامولاى، وجلست قرب مجلسك فكنت فى صحبتك فى السراء والضراء، داخل القصر وخارجه، فلم أفارقك لحظة، وليتنى إذا مانقضى من زمان الملك العمر الطويل [..إذا ما توفى الملك (حرفيا): بعد عشرة آلاف سنة..] أموت وأدفن معك، ليت رفاتى بعد مماتى تنثر تحت جسدك النبيل تقيك شرالهوام والنمل والزواحف، وليس أهنأ لقلوبنا إلا أن تسعد بنا فى الحياة وبعد الحياة." وقد ابتهج الملك للغاية، وأنعم على "آن لينجون" باللقب النبيل.

فلما علم الناس بذلك، قالوا: "هذا دليل على أن جيانغى هو أبرع مخطط سياسى، بينما "آن لينجون" هو أحسن من يجيد انتهاز الفرصة السانحة".

– لما حضر جيانغى إلى دولة تشو مبعوثا

قبل أن يستقر الحال بـ"جيانغى" مسئولا رسميا فى دولة تشو، كان قد حضر إليها، فيما مضى، مبعوثا رسميا من دولة وى، وكان قد تحدث إلى الملك شيوان، فقال له: "لما وطئت قدماى أرض بلادكم، سمعت أن عندكم تقليدا عجيبا وهو أنكم لاتحجبون ماتعلمونه فى الناس من مزايا وحسنات، ولا تذيعون – فيما بينكم – مساوئهم، فهل الأمرعلي ما سمعت؟" فلما رد عليه الملك بالإيجاب، قال له:" فمادام الأمر هكذا، فلعل الأمير بايكون قد أفلت بما جلبه من نكبات [.. والأمير بايكون هو ولد أحد أمراء تشو السابقين وكان قد هرب إثر مقتل أبيه إلي دولة أو، فأعاده أحد حكام تشو إلى البلاد وخلع عليه وأكرم وفادته] ولعل الوزراء إذا وقعوا فى أوجه التقصير وجدوا لديكم العفو والتسامح." فسأله الملك عن السبب فى قوله هذا، فأجابه: "كان "جوهو" [أحد الوزراء المقربين من البلاط الحاكم فى تشو] يتفانى فى العمل لمصلحة دولة تشو، حتى بلغ درجة عالية من الرفعة، ثم إنه كلما ترقى فى درجات الشرف، زادت سطوته وسلطاته، فصار له القول الفصل دون غيره؛ فطغى وتجبر، ومع ذلك، فقد أخذ الناس من حوله يقولون عنه إنه".. ليس على الأرض كلها من يدانيه مكانة وشرفا "وهو القول الذى اتفق الجميع عليه، حتى كأن الأفواه كلها نطقت بلسان واحد".

– لما أقيمت دعوى قضائية ضد أحد مواطنى مدينة إينغ

أقيمت دعوى قضائية ضد أحد سكان مدينة إينغ، ولم يبت فيها لمدة ثلاث سنوات، فاتفق مع واحد من الناس أن يدعى بأنه يريد شراء منزل الرجل المتحفظ عليه رهن المحاكمة [وكان القانون الصينى القديم يخول السلطات حق مصادرة منازل المحكوم عليهم والتصرف فيها بالبيع، فإذا لم يصدر ضد المتهم حكم إدانة امتنع التصرف فى أملاكه] ليتبين له إن كان مذنبا من عدمه (.. ففى حالة رفض طلب الشراء، كان ذلك دليلا على أن الرجل قد تبرأ ساحته ويخلى سبيله)، فذهب الرجل الذى يزعم شراء المنزل، إلى جاوشيشو، وقال له: "أريد شراء منزل الرجل المدعو (فلان) المقيم بمدينة إينغ".

فأجابه: "إن الرجل المشار إليه ليس محل إدانة، وبالتالى فهو غير مستحق لأى عقاب ضده؛ ولذلك فلن يمكنك شراء منزله". فقام الرجل المتظاهر بالشراء معتذرا وأراد الانصراف. وفى الحال أدرك جاوشيشو أنه تسرع فيما صرح به من القول، فعض على أصابعه من الندم، وقال للرجل: ".. إننى، فى كل الأحوال، أريد أن أساعدك، حتى دون أن تأتى إلى متعللا بحجة شراء منزل. سعيا للكشف عن نواياى". فأجابه: "كلا، لم أتعلل بأية حجة للكشف عن أى شيء". فقال له شيشو: "قل لى، من فضلك مامعنى أن يأتيك سائل يسألك شيئا، ثم إذا رفضت طلبه، انفرجت أساريره وتهلل وجهه.. إن لم يكن ذلك إدعاء مكشوفا وتصنعا ظاهرا، فماذا يكون إذن؟".

لما خرج تشين هوى من دولة جو ليجوب البلاد

لما خرج تشن هوى من دولة جو ليجوب الأقطار المختلفة داعيا إلى أفكاره وخططه السياسية، التقى فى طريقه باثنين من رفاق السفر، فسار ثلاثتهم نحو الجنوب حتى بلغوا دولة تشو، فدخلوها وشقوا طريقهم صوب مدينة "شين تشنغ".

والتقى "تشن هوى" برئيس المدينة، فانتهز الفرصة وراح يعرض عليه مافى جعبته من التصورات والخطط السياسية، قائلا: "إن دولتى جنغ، و، وى، ينظر إليهما، من جانب بلادكم، بوصفهما دونكم فى القوة والتسلح. وليس هناك سوى دولة تشين هى الوحيدة التى تمثل أكبرعدو لكم، ولئن قلت لك بأن دولتى جنغ و وى، ضعيفتان، فلأنكم فى تشو تستطيعون مواجهتهما بقواتكم المرابطة فى شانليان، ثم إنكم تقدرون أيضا على مواجهة قوات إيانغ القوية التابعة لدولة تشين بدفاعات منطقة "شين تشنغ" على تواضع قدراتها، وتستطيع تشين، فى ليلة واحدة، أن تشن هجوما مباغتا ضد مدينتى "بوبان"، و"بين يان" [فى دولة وى] على الرغم مما بينهما من مسافة تبلغ مائة لى؛ وذلك دون أن تشعر عاصمة وى [آنى] بما حدث من اعتداء على أراضى البلاد، كما تقدر تشين أيضا على مباغتة مدينتى شين تشنغ، وشانليان بالهجوم الساحق، على الرغم مما ما يفصل بين هاتين المدينتين من مسافة قدرها خمسمائة لى [.. خطأ فى الأصل والصحيح أن

المسافة تبلغ مائة لى فقط]؛ وذلك قبل أن تفيق شانليان من دهشتها. ثم إنى نظرت فرأيت أن المدن الحدودية لديكم ليس لها ظهير قوى تستند إليه، ولايمكن اعتبار منطقة "جيانان" ولا نهر سيشوى سندا يعتد به، فما الذى يمنع حاكم تشو من أن يجعل من مدينة "شين تشنغ" ولاية مركزية، بحيث تصبح ذات قيمة دفاعية للمدن الواقعة على الحدود؟".

فلما علم رئيس مدينة شين تشنغ بذلك فرح للغاية، وجهز عربة عسكرية تجرها أربعة جياد ليركبها تشن هوى فى تنقلاته وأنعم عليه وأعطاه خمسمائة ليانغ وزنة من الذهب ليستعين بها على نفقات السفر والترحال. وكان من نتيجة ذلك أن توثقت عرى الصداقة بين تشن هوى ودولة تشو، ثم إن حاكم البلاد أخذ بنصيحته وجعل من مدينة شين تشنغ واحدة من أهم الولايات المركزية فى طول المملكة وعرضها".

- لما كان كونشو يتمتع بتأييد دولتى تشى و وى

كان كونشو [أحد الوزراء العظام بدولة هان] يتمتع بتأييد دولتى تشى، وى، بينما كان أمير البلاد نفسه يحظى بمساندة دولتى تشين، تشو، (وعلى خلفية تلك الاعتبارات) راح كلاهما يتنافسان لشغل منصب رئيس الوزراء. فلما ذهب وزير دولة تشو الأعظم، جنشن موفدا - فى مهمة رسمية - إلى دولة هان، زعم، كذبا فى تصريح له، بأن جلالة الملك هواى حاكم تشو قد أمر بمنح اقطاعات مدينتى "شين تشنغ" و"يانغ رن" لسمو الأمير، فلما علم جلالته بذلك غضب بشدة وشرع فى اتخاذ إجراء عقابى صارم ضد الوزير الأعظم، الذى ماإن عرف ذلك حتى ذهب إلى الملك، وقال له: "اعلم يامولاى أنى ما ادعيت كذبا أن جلالتك قد منحت إقطاع تَيْنِكَ المدينتين لسمو الأمير إلا لمافيه مصلحة البلاد، قلت بأن ولى عهد دولتنا قد حصل على إقطاع شين تشنغ ويانغ رن؛ فلأنه يتنازع مع كونشو حول اختصاصات رئيس الوزراء، ومثل هذا التصريح الذى صدر عنى كفيل بأن يدفع دولتى "تشى" و "وى" لمهاجمة بلادنا (هان)، فنقع فى مأزق

شديد التعقيد، مما سيدفعنا إلى تعليــق مصائرنا بيد دولة تشو، فهل نجسر إذا ماوجدنا أنفسنا نستنجد بتشو لحمايتنا أن نطالبها برد مدينتى "شين تشنغ" و"يانغ رن" إلى أراضينا فهما، أساسا، تتبعان دولة هان..، فإذا لم يستطع سمو الأمير الفوز برئاسة مجلس الوزراء والتفوق على غريمه كونشو، ثم حالفه الحظ وأفلت من براثن الموت [هكذا] فلابد أننا سنقلب القبعة رأسا على عقب [.. يعنى سنسرع فى لهفة] ونطلب تأييد ونصرة "تشو" لنا، وهو مايعنى استحالة أن نطالبها برد أراضينا التى استولت عليها".، وهنالك استصوب الملك رأيه وأعفاه مما كان مقررا من العقاب.

لما نصح "دوها" لحاكم تشو بسرعة التقدم

كان المدعو "دوها" [من مواطنى تشو] قد نصح الملك بالسعى للحصول على مساندة وتأييد دولة جاو، وأراد جلالته أن يهديه اللقب الفخرى (أوطافو) [.. رتبة الشرف الخامسة] ويفوضه سلطة التصرف فى الأمور دون الرجوع إليه.

وهنالك ذهب "تشين جن" إلى الملك، وقال له: "اعلم أنه إذا عجز "دوها" عن أن يحصل على مساندة دولة جاو، فلن يمكنك أن تسترد مامنحته إياه من مراتب الشرف، وتصبح كمن أنعم بأثمن الجوائز على من لم يقدم للبلاد أية خدمة جليلة، أو مأثرة خالدة؛ أما إذا استطاع أن ينال تأييد جاو لجلالتك فسوف تكون مطالبا بأن تقدم له ماهو أعظم من مجرد منح الألقاب الفخرية، فإن لم تفعل، فستبدو وكأنك لم تكافئه بشيء. وأرى أن أفضل مايمكن أن تفعله هو أن تعطيه عشر عربات عسكرية وتكلفه بعمل اللازم للحصول على مساندة دولة جاو، فإذا نجح فى مسعاه منحته لقب الشرف". ووافقه الملك على رأيه، وأعطى الرجل عشر عربات عسكرية مطالبا إياه باتخاذ اللازم لضمان تأييد جاو، لكن دوها لم يعجبه مابلغه من الملك، فغضب وتراجع عن فكرة الذهاب إلى جاو. وذهب تشن جن إلى الملك، وقال له: "ها قد لمست بنفسك مدى عجز صاحبنا عن الحصول على تأييد دولة جاو".

لـما ألقى تشو سؤالا

ألقى الملك هواى - حاكم تشو - سؤالا على المدعو فانهوان، قائلا: "أريد أن أعد ترتيبات لتنصيب رئيس وزراء تابع لنا فى البلاط الحاكم بدولة تشين، فمن تراه الأنسب لشغل هذا الموقع؟" فأجابه، قائلا : "لا أستطيع أن أحدد فردا بعينه"، فقال الملك: "فما رأيك فى أن أكلف كانماو بهذه المهمة ؟" فرد عليه فانهوان بالنفى، فلما سأله الملك عن السبب فى اعتراضه هذا، قال له: "قد علمت أن"شيجوى" [أستاذ كانماو ومعلمه الأول] كان يعمل بوابا فى منطقة "شان تساى"؛ فهو لا يدرى شيئا عن أصول العمل فى خدمة الملوك، ولاعلم له - فى أقل القليل - عن الأمور المعيشية البسيطة لعامة الناس، (ومع ذلك) فقد اشتهر بالنزاهة والأمانة فى أنحاء البلاد، وقد تطبع كانماو بطبعه على مدى السنوات التى عمل فيها مساعدا له، ولربما كان أنسب أن يعمل فى خدمة رجل فاضل حكيم مثل الملك هوى، ورجل ذكى البصيرة مثل الملك أو، ومسئول حكومى بارز شغوف بذكر مثالب الناس هو كانماو نفسه، ومهما تعددت الوظائف التى يمارسها فلن يجرب عليه أحد تجاوزا أو خروجا عن القوانين والأصول المتبعة، فقد عهدت فيه كفاية الفضل وتمام الخلق، ومع هذا فلا يصح أن تبعث به ليتولى منصب رئيس الوزراء، إن وجود رئيس وزراء يتحلى بالكفاءة وحسن الخلق فى دولة تشين، لن يكون، بالضرورة، مفيدا لنا فى دولة تشو. وقد سبق أن أرسلت "جاوهوا" مبعوثا إلى دولة يوى ليتولى منصب رئيس الوزراء هناك وحدث ما حدث من تطورات أوصلت إلى قبولنا بضم أراضى جيوجان؛ مما أدى، فى آخر الأمر إلى زج قائد الجيش " تان مى" فى أزمات ومصاعب لاحصر لها. (واعلم يامولاى) إن وقوع دولة يوى فى مستنقع الاضطربات الداخلية، يمكن تشو من التقدم نحو الجنوب للحصول على أرض "لاى خو" وتحويل منطقة شرق النهر إلى ولاية كبرى، ولتحسب الأمر - يامولاى - من هذه الزاوية؛ لأن ما بلغتموه جلالتكم من النفوذ والسطوة إنما كان بفضل ماوقعت فيه يوى من اضطرابات داخلية، وهأنت اليوم تضرب صفحا عن تعامل تشين بما سبق أن عاملت به دولة يوى، أو ربما أنك قد نسيت ماأتخذته من سياسات سابقة، لما أصاب جلالتك من داء النسيان [هكذا]. فلئن كنت تريد حقا، أن تعد العدة لتنصيب رئيس وزراء

لدولة تشين، فالأنسب لهذا الغرض هو ذلك المدعو "كونسون هاو" [رئيس وزراء تشو]: ذلك إن علاقته بملك تشين على خير مايرام، فقد كان صاحب سنى صباه الأولى؛ (إذ عاش بصحبته..) يرتدى مثل ملابسه، فلما بلغا سن النضج، صارا يركبان العربة الملكية جنبا إلى جنب، بل كان كونسون هاو يرتدى الزى الملكى ويباشر إدارة الشئون العامة، دون أن يخلع شارة الملك، فذلك هو الرجل الذى أرى أن يقع عليك اختياره لإيفاده بغرض تولى منصب رئاسة الوزراء، وهو الأمر الذى إذا تحقق، على النحو الذى تريده، فسوف يعود ببالغ النفع على دولة تشو".

- لما راح سوتشين يعمل على نشر سياسة التحالف

أخذ سوتشين يعد العدة لتوسيع نطاق سياسة دولة جاو القائمة على التحالف الرأسى [وذلك فى عام ٣٣٣ق.م، حيث ائتلفت الدول الضعيفة فى كتلة مناوئة للدول القوية، وهى الدول الست التى اتحدت فى جبهة واحدة ضد تشين]، فذهب للقاء حاكم دولة "وى"، داعيا إلى الدخول فى صف التحالف، وقال له:" إن دولة "تشو" أقوى مملكة تحت السماء (.. بين الممالك)، وأنت، سيدى الحاكم، أوفر الملوك حكمة وأعظمهم حلما، (وإذا تأملنا أحوال دولة تشو، وجدنا أنها..) ذات أراض شاسعة، تمتد غربا فتشمل مناطق "تشيان جون"، و"أو جون" وفى شرقها توجد مناطق: "شياتشو"، و"خايانغ"، وفى الجنوب تشمل: "دون تين"، و"تصانغو" وإلى الشمال من أراضيها تمتد حصون "فن تشيو"، و"جيتشان"، و"شون يانغ" . ويبلغ محيطها خمسة آلاف لى، وفى جيشها مليون مقاتل من لابسى الدروع، بالإضافة إلى ألف عربة حربية وعشرة آلاف من الجياد المدربة على خوض القتال، وفى خزائنها مايكفى عشر سنوات من الحبوب؛ فتلك كلها عناصر أساسية تؤهلها لمكانة الدولة العظمى، وأرى أن مالديك من الحكمة والحلم إذا ما انضم إلى قوة ورهبة دولة تشو، فسينتج ائتلافا لاتجرؤ أعتى الممالك على مواجهته . لكنك إذ تفكر الآن فى الذهاب غربا إلى دولة تشين لخدمة أغراضها وتلبية مطالبها، فسيحذو حذوك كل الأمراء، ولن يتأخر أحد منهم عن التوجه إلى عتبات القصر الملكى فى تشين لتقديم

أسمى أيات العرفان. إن دولة تشين لاتحسد بلدا على ظهر الأرض قدر حسدها لـ"تشو"، واعلم إن قوة "تشين" في ضعف غريمتها المذكورة والعكس صحيح، فلا غرو أن تشتد العداوة بينهما؛ ولهذا كله فليس أفضل (لجلالتكم) من سرعة الانضمام إلى التحالف الرأسي [تحالف الدول الست التي تقع على محور رأسي] بغية عزل دولة "تشين"؛ فإذا لم ترق لجلالتكم فكرة الانضمام إلى التحالف، فستسارع تشين إلى إرسال فرقتين عسكريتين لمهاجمة "تشو"، بحيث تندفع الفرقة الأولى من مضيق "أوكوان" [داخل أرض تشين]، بينما تتقدم الفرقة الأخرى من منطقة "تشيان جون" وهو ما يمكن أن يعرض إقليمي "يان"، و"إينغ" للخطر الداهم. وقد بلغني، يامولاي، أن الإدارة الناجحة لشئون الممالك لاينبغي لها أن تتلكأ في دروب التواني وإلا فالفوضى تضيع فرص الإصلاح السديد، والتخطيط الجيد يسبق تطور الأحداث، وإلا فلا نفع ولاجدوى من تدارك العاقبة إذا ما وقعت النكبات، وهكذا فإني أرجو من جلالتكم انتهاز الفرصة ورد، المخاطر بسرعة التبصر والتدبر في هذا الأمر".

- الجزء الثاني من الفصل نفسه

"فإذا أصغيت إلى قولي، جعلتُ لك الولاية فوق الإمارات، حتى قدتُ إليك مواكب الأمراء من شرقي جبل "هواشان"، يأتونك بالهدايا ويصلونك بالصلات ويدفعون إليك جزية الفصول الأربعة، ويخضعون لأوامرك ومنهاجك المرسوم، وصار في إمكانك التكفل بشئون المعابد التابعة للدولة وتدريب الجنود وصقل الأسلحة، وستجد الجميع طوع أمرك، قائمين على خدمتك بما يشرح صدرك. فاعلم أنك إذا أخذت بما وضعت لك من الخطط والسياسات وجدت صفوف المغنيين والمطربين وذوات الحسن والجمال من نساء الدول المختلفة: هان، ووى، وتشي يان، وجاو، ويه؛ يخطرن في أفنية قصورك الخلفية ليدخلن في زمرة حريمك ومحظياتك، ثم إن حظائرك ستمتلئ بأحسن الجياد والنوق التي ترعرعت في دولة "جاو" ومنطقة "دايدى"؛ فلذلك أقول لجلالتك إن نجاح خطة التحالف الرأسي يضمن لدولة تشو السطوة والنفوذ فوق الممالك. أما إذا قدر لخطة الحلف الأفقي أن تنتصر، فسوف يعني هذا استتباب السيادة لدولة تشين.

وما أشهده ماثلا أمام عينى، اليوم، من إهمالكم شأن السطوة والسيادة، وقبولكم لما يذاع عنكم من خضوعكم للغير، فهو ما أعتبره - فى قرارة نفسى - غير جدير بكم ولا ينبغى لكم انتهاجه بأى حال".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

"إن دولة "تشين" أشبه ما تكون بالسبع الضارى أو الذئب الجائع، فهى لا تنفك تسعى لالتهام الممالك التى فوق الأرض جميعا؛ ولذلك فقد صارت أبغض الأعداء إلى الناس كلهم. واعلم أن أولئك الذين يدعون إلى الارتباط بالتحالف الأفقى [.. مع تشين وفى ظل رئاستها وقيادتها للكتلة الأفقية (مجموعة الدول التى تقع إلى الجوار مع "تشين" على خط عرضى واحد)] - أولئك القوم - إنما يقدمون على التضحية بأجزاء من أراضى الممالك والدويلات، بغية تقديمها إلى دولة "تشين"، على سبيل الخضوع والإذعان؛ فذلك ما يقال له.. "زرع بذور الشر تمهيدا لاستنباتها"، أن وزراء الدويلات والإمارات لا يتورعون عن اقتطاع مساحات من أراضى بلادهم وأملاك أسيادهم الملوك لتقديمها عن طيب خاطر لذلك الذئب النهم المدعو "دولة تشين"، كى تفتح شهيته لابتلاع وضم المزيد من الأراضى، ثم يجد أولئك المسئولون أنفسهم، فجأة، أمام كارثة اسمها "أطماع دولة تشين"، وعندئذ يتركون أوطانهم فى قلب الخطر ويرحلون بعيدا حيث يجدون من "تشين" كل مايحتاجون إليه من العون، فوق أنها تظلهم بنفوذها بعد إذ تمكنوا من إجبار الملوك على تسليم أراضى الأوطان إلى تشين الكبرى، وتلك جريمة كبرى، لا توجد على ظهر الأرض أشنع منها. فمن ثم، كان الانضمام إلى التحالف الرأسى يعنى أن تقوم الممالك بتسليم أجزاء من أراضيها لدولة تشو، فإذا انتصر التحالف الأفقى، فستقوم تشو بتسليم الأراضى إلى تشين، هناك فرق شاسع بين السياستين، فرق هائل جدا فشتان ما بين تينك الخطتين، فأين موقع جلالتكم منهما؟ ذلك مانود أن نعرفه، وقد أوفدنى حاكم "جاو" إلى بلدكم لإطلاعكم على خطتنا المتواضعة، فها هى ذى بين يديكم، ولجلالتكم القول الفصل فى الاختيار".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

ورد عليه حاكم تشو، قائلا: "إن حدود بلادى تتاخم دولة "تشين" فى الجهة الغربية، وأعرف أنها تطمع فى مهاجمة منطقتى" باتشو"، "هانجون" لتضمهما إلى حدودها؛ فيما عرفت من نهمها، كالسبع الضارى، إلى الاستيلاء على كل ماتطوله يدها، قررت أن أبتعد عن خططها وأتناءى عنها قدر الإمكان . ولما كانت دولتا "هان" و "وى" قد أجبرتا على الانضمام إلى تشين لما فرضته عليهما من أسباب قاهرة لموقفهما هذا، فلن أجازف بالاشتراك معهما فى وضع أية خطط أو تصورات بعيدة المدى، خشية أن يسارع الخونة بإفشاء أسرار التخطيط أو إبلاغها إلى تشين، فتدور علينا الدائرة قبل أن نشرع في تنفيذ أى مما تصورناه بالفكر المجرد، وأظن، من وجهة نظر شخصية جدا، أن اللجوء إلى دولة تشو باعتبارها الجبهة القادرة على صد ومقاومة تشين لايعد بالكثير من فرص النجاح والنصر، كما أن الخطط التى يتم التوصل إليها، داخليا بالمناقشة مع الوزراء ورجال الدولة لايمكن أن تكون، بالضرورة، محل ثقة كبرى؛ ولهذه الأسباب مجتمعه فلم أعد أهنأ بنوم ولا أستسيغ طعاما، ولايهدأ لى بال، كأنى راية معلقة فى الهواء، لا تستند إلى دعامة مثبتة راسخة الجذر في الأرض، ومادمت قد جئتنا بهدف توحيد الممالك، ونشر الاستقرار فى ربوع الدويلات، وإزالة أسباب الخطر المحدق بالبلاد، فهأنذا أحمل بلدى بيدى هاتين وأتبعك خطوة بخطوة".

- لما حاول تشانغى ضرب التحالف

حاول "تشانغى" ضرب التحالف الرأسي والدعوة للتحالف الأفقى، ومن ذلك فإنه ذهب لمقابلة الملك "هواى"، حاكم تشو، فى محاولة لإقناعه بآرائه، وقال له أثناء لقائه: "إن نصف أراضى الممالك تقع فى حوزة تشين، هذا بالإضافة إلى ماتملكه من قوة عسكرية قادرة على مواجهة الدويلات؛ فوق ماتتميز به من ظروف وأحوال طبيعية تحميها من الخطر الداهم إذ تحيط بها الجبال وتدور بها الأنهار وتترامى على حدودها، من الجهات الأربع، طبيعية ثابتة، ويزيد عدد مقاتليها على المليون جندى، وتبلغ حصيلة عرباتها

العسكرية ألف مركبة مقاتلة، بجانب عشرة آلاف فارس، ثم إن الحبوب فى مخازنها مكدسة فى أكوام تكاد تغالب قمم الجبال طولا، وقد سادت هيبة القانون فى أرجائها، واستعد جنودها للخطر، غير هائبين ملاقاة الردى، ومليكها يلحظ بعين الحرص مكانتها وشدة بأسها بين الأمم، ووراءه قادة ورجال، النجابة والشجاعة والعزم من أبرز خصالهم، يغيرون على أعاديهم، ويقذفون فى قلوبهم الرعب، حتى قبل أن يرفعوا لواء الحرب، فإذا ما أقدموا على الزحف، انطوت تحتهم الجبال وانهارت الحصون وانقصم ظهر الممالك [هكذا حرفيا] وكان آخر من أذعن لهم بالغلبة من الأمراء هو أول الهالكين.

ثم إنى أرى أولئك الداعين إلى تأليف حلف رأسي لمحاربة التحالف الأفقى، وكأنهم يسوقون النعاج الضالة للنزال مع سبع شديد الافتراس، فتأمل كيف يكون القتال بين نمر ضار ونعاج مضطربة، وإلام تنتهى نتيجة مثل تلك المواجهة؟ ألا ترى أن النصر والهزيمة، فى مثل ذلك الحال مسألة بديهية لا تحتاج إلى كثير جدل. وإنى إذ أرى جلالتكم تنأون بأنفسكم عن الدخول فى صف النمور الضارية وتذهبون إلى صفوف النعاج والخراف، وأقرر بأن خطتكم، فى هذا الشأن، من وجهة نظرى الشخصية، يشوبها الخطأ البالغ".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

"ليس على الأرض، من الدول القوية إلا واحدة من اثنتين: إما دولة "تشين" أو دولة "تشو"، فإن لم تكن هذه هى القوية، فلابد أنها تلك الأخرى، فإذا ماقام صراع مسلح بينهما، وهما على هذا النحو من التكافؤ فى ميزان القوة، فستتعاظم حدة التناقض بينهما بطريقة تهدد بقائهما كليهما؛ وهكذا فإنك إذا لم تبادر إلى إقامة الصلات مع تشين، فسوف تدفع بقواتها للنزول شرقا حيث ستتقدم للاستيلاء على مدينة إيانغ، وهو ماسيؤدى بالتالى إلى إغلاق طريق "شان طانغ" المار بدولة "هان"، وباضطراد تقدم قوات "تشين" نحو منطقة "خدونغ" تصبح قادرة على احتلال منطقة "تشين قاو"؛ مما سيفرض على دولة هان الخضوع تحت سطوة تشين، وعندئذ، تطأطئ دولة "وى" رأسها

للعاصفة وتسير مع ركب الخاضعين تحت جناح "تشين"؛ وهكذا يتيسر لهذه أن تهاجم دولتكم من جهة الغرب، بينما تقوم حليفتاها "وى"، و"هان" بشن الغارة عليكم من الجهة الشمالية، ولا أدرى، كيف لبلادكم أن تتخلص من ذلك المأزق الداهم والخطر الوشيك؟"

- الجزء الثالث من الفصل نفسه

"هذا من ناحية، أما من جهة أخرى، فإن تلك الدول المقبلة على توقيع ميثاق التحالف الرأسى، لاتمثل إلا حفنة من الكيانات المتهافتة الضعيفة التى تدبر لمهاجمة أكبر وأقوى دولة على وجه الأرض. ومن المعلوم أن تحدى أطراف ضعيفة لدولة قوية، والتسرع فى الإقدام على اشتباك عسكرى معها دون تقدير كاف لحجم قواتها، بالإضافة إلى اضطلاع دول فقيرة بمجهود قتالى كبير يتجاوز طاقة احتمالها كل ذلك يعد طريقا محفوفا بالمخاطر، ومنذرا بالتهلكة، وقد بلغنى أنه لاينبغى لبلد يتضاءل حجم قواته عما يملكه عدوه أن يقدم على استفزازه، وليس لدولة يقل مخزونها من الحبوب عما يتوافر لدى أعدائها أن تشرع فى حرب طويلة الأمد.

إن أولئك الداعين إلى التحالف الرأسى يزيفون الأدلة والبراهين، ويزينون القول لملوكهم، بما يمتدحون من حكمتهم وشرفهم وهيبتهم، ولا يذكرون لقادتهم إلا النواحى الإيجابية فى مشروع التحالف، دون أن يعرجوا على جوانبه السلبية المنذرة بالويل؛ مما يعرض الجميع لنكبة مروعة تتمثل فى تعرض دولة "تشو" لهجوم "تشين" المدمر، الذى لن يبقى ولن يذر، ولن يمكن تفاديه إذا ما تفاقمت الأوضاع ووصلت إلى نقطة يتعذر معها الابتعاد عن حافة الإنزلاق إلى كارثة؛ لذلك كله، فإنى أرجو من جلالتكم مراجعة تلك الأمور بتأن ودقة شديدة".

- الجزء الرابع من الفصل نفسه

" وإذا ماقدر لدولة "تشين" أن تستولى على إقليم "باجو" فستبادر على الفور إلى تسيير سفينتين محملتين بالحبوب من منطقة جبل "مين" حيث تنطلقان بين شاطئى نهر "اليانغتسى" وتنحدران مع مياهه صوب الشرق، فتصلان بعد مسافة ثلاثة آلاف لى إلى

العاصمة "إينغ دو" وعلى ظهر كل منها عدد هائل من الجنود حيث تتسع السفينة الواحدة لما مقداره خمسون مقاتلا، بالإضافة إلى شحنات من الحبوب تكفى لمدة ثلاثة أشهر، وتقطع السفينة الواحدة منهما مايبلغ ثلاثمائة "لى" فى اليوم الواحد، وبرغم تلك السرعة الهائلة، إلا أنها لن تؤثر على أو تستنزف المجهود القتالى للقوات، فماهى إلا عشرة أيام حتى تكون الرحلة قد بلغت مضيق "هانكون" الذى ستتملكه الدهشة والفزع، مما ستسرى آثاره صوب الشرق، فتهب مدن وقرى المنطقة الواقعة شرقى مدينة "جين لين"، فتصف الجنود وتتأهب للدفاع، إلا أن منطقتى "تشيان جون". و" أوجون" ستقعان تحت سيطرة الغزاة وتخرجان من دائرة أملاك جلالة الملك إلى الأبد؛ وحينئذ، ستدفع "تشين" بقواتها من إقليم "أوكوان" وتقوم بمهاجمة تشو من الجنوب وهو ماسيؤدى إلى قطع الطريق المار بمحاذاة الحدود الشمالية، وهنالك تقوم قوات دولة "تشين" بمهاجمة "تشو"، التي ستجد نفسها تحت ظلال الخطر مدة لاتقل عن ثلاثة أشهر كاملة، فى حين إن مايمكن أن يصل إليها من الإمداد والعون لن يأتي قبل ستة أشهر فى أحسن تقدير، فمن ثم تجد "تشو" نفسها في موقف أسوأ مما تواجهه "تشين" وأقول لك، يامولاى،: "إن أكثر مايثير القلق عليكم والإشفاق بكم، هو مايبدو فى ظاهر أحوالكم من الارتكان إلى مساعدة الدول الضعيفة، بينما تتغافلون عما تحمله لكم "تشين" فى أنيابها من السم الناقع، هذا بالإضافة إلى ما تحملتموه من أعباء شديدة فى تدبير شئون الدفاع عن المدن والقرى التى اجتاحتها قواتكم إبان حربها المظفرة ضد دولة " أو"، حيث قمتم بإبادة قواتها بالكامل، فأنيط بكم أمر حماية المعاقل والأقاليم، فزادت مسئولياتكم فى الوقت الذى تفاقمت فيه الأحوال المعيشية السيئة التي تمر بها الأهالى فى ذلك البلد المنكوب. وقد بلغنى أنه من المحتمل لمن يهاجم بلدا قويا أن يصادف أصعب المخاطر-وهو مايضيق به صدر الأهالى، فتضطرب صدورهم بالغضب، وتمتلئ جوانحهم بالكراهية ضد سلطات الاحتلال. وهكذا فإن احتمال وقوع أزمات شديدة إثر قيام قواتكم بمهمة الدفاع [فى دولة أو] بالإضافة إلى عصيانكم وتحديكم لإرادة "تشين" فى المنطقة، كل ذلك يثير لدىَّ – وعلى نحو شخصى جدا – مشاعر القلق لما يحيط بكم من الخطر".

- الجزء الخامس من الفصل نفسه

"ولئن كانت دولة "تشين" قد أحجمت، طوال خمس عشرة سنة عن تحريك قواتها لضرب الدويلات، فقد كان السبب فى ذلك يكمن فيما تدبره من خطط سرية تهدف إلى تحقيق طموحها فى ضم كل الدول والإمارات التى تحت السماء.

وقد جاء حين من الدهر، وقع فيه الجفاء بين "تشو" و"تشين"، واشتبكت قواتهما فى موقعة "هانجون" حيث كانت الهزيمة من نصيب "تشو" التى فقدت من خيرة نبلائها الحاملين الألقاب الاجتماعية العليا مايزيد على سبعين فردا، وانتهى الأمر بسقوط منطقة "هانجوان" فى أيدى قوات العدو . وهنالك حمى غضب ملك "تشو"، فأرسل جيشا لمهاجمة "تشين"، ودارت بين الطرفين معارك فى منطقة "لانتيان"، ومنيت "تشو"، فى هذه المرة أيضا، بهزيمة ساحقة.

ولطالما دارت بين الدولتين معارك طاحنة، فكأنهما فهدان يتعاركان، لا يكاد يهدأ أحدهما حتى يثب عليه الآخر، يدعوه للنزال، ومع ذلك فهما الخاسران الوحيدان؛ إذ تبذل كل من "هان"، و"وى" كل جهدهما فى تقوية حشودهما الخلفية، لذا كانت خطط "تشين" و"تشو" خرقاء ينبغى تصويبها، وإنى لأرجو من جلالتكم مراجعة تلك الأمور بدقة متناهية".

الجزء السادس من الفصل نفسه

"وإذا ما انطلقت قوات "تشين" صوب الشرق، وهاجمت دولة "وى" وإقليم "يانجين"، فسيكون ذلك بمثابة عملية خنق أو كتم أنفاس للدويلات والإمارات المنتشرة تحت السماء، وإذا قمت جلالتك بتحريك قواتك لمهاجمة دولة "سونغ"، فسوف تتمكن من احتلالها، ثم تشرع بعد ذلك فى التقدم شرقا، حتى تَخْضَع لك الاثنتا عشرة دويلة الواقعة بمحاذاة نهر "سيشوى".

الجزء السابع من الفصل نفسه

"وقد كان سوتشين أكثر من عمل جاهدا بثقة وعزم راسخ لإقامة التحالف الرأسى وتقريب وجهات النظر والعلاقات بين البلاد، وهوالأمر الذى وضعه موضع التبجيل البالغ، حتى أنعم عليه الملك "سو" حاكم "جاو" بأحد ألقاب التشريف وأقامه رئيسا لوزراء دولة "يان"، فراح يخطط سرا لمهاجمة دولة تشى؛ وذلك بالاتفاق الودى مع حاكم دولة "يان"، على أن يفوز "سوتشين" بنصيبه المقرر من أراضى "تشى" بعد احتلالها، وهكذا فقد تظاهر "سوتشين" [ذات يوم] بأنه ارتكب جرما شنيعا، وهرب من فوره إلى دولة "تشى" حيث استقبله الحاكم بكل ترحاب، وأكرم وفادته وشمله برعايته، وعينه رئيسا لوزراء بلاده، فما كاد ينقضى من الزمن عامان، حتى اكتشفت تفاصيل المؤامرة السرية، فاشتاط الملك (حاكم تشى) غضبا وأصدر حكمه بالإعدام ضد سوتشين؛ حيث) جرى تقطيع جسده بواسطة جنازير حادة موصولة بين جسده وعربات ضخمة تجرها الجياد القوية.

(ولذلك فإنى أخلص إلى القول بأن) الاعتماد على رجل ماكر ومخادع ومتقلب، مثل "سوتشين"، بهدف التخطيط لإدارة وقيادة وتوحيد الممالك والدويلات التى تحت السماء، يعد أمرا مستحيلا وقد قام الدليل الواضح على ذلك".

الجزء الثامن من الفصل نفسه

"إننا إذا تأملنا أحوال كل من تشين وتشو، وجدنا أنهما بلدان متجاوران، وحدودهما مشتركة، وطبيعة أرضهما متناظرة، ولا غرو فى ذلك فهما أختان متجاورتان، وإذا قبلتَ ما أعرض عليك، فسوف أبادر إلى إرسال أمير دولة "تشين" ليأتيك فيبقى فى كنفك رهينة سلام، بحيث ترسل دولتكم إلى "تشين" بالمقابل ولدكم الأمير [الملك شيانغ فيما بعد] ضمانا للسلام بين البلدين، كما أرجو أن توافق جلالتكم على مجيء ابنة ملك "تشين" لتقيم فى القصر عندكم، مجرد محظية تقوم بأعمال الخدمة المنزلية البسيطة،

كما أن تشين سوف تمنحكم حق الانتفاع بما تجلبه مدينة كبرى (ذات عشرة آلاف أسرة مقيمة) من ضرائب؛ وذلك ليقوم التآخي الدائم بين بلدينا، ونضع نهاية للحرب بيننا، فهذا أفضل مايمكن أن نتوصل إليه من الخطط المشتركة. وعلى ذلك، فسوف يقوم جلالة الملك حاكم "تشين"، بإيفاد رسل يقومون بتسليم رجال الحاشية لديكم الوثائق والرسائل ذات الصلة، حتى يصدر قراركم النهائي في هذا الأمر".

- الجزء التاسع من الفصل نفسه

ثم تكلم ملك "تشو"، قائلا: "إن دولة "تشو" ذات موقع ناء وموارد محدودة، وتعتمد في بقائها على نهر "دونهاي". وقد كنت في شبابي، أجهل الكثير من ضرورات التخطيط بعيد المدى، وكم أسعدني ان أتعلم منك اليوم - أيها الضيف الكريم - الكثير مما يتصل بالقرارات المهمة، وأود أن أبلغك بكل تقدير، بعد ما سمعت من قولك، موافقة دولتنا ونزولها على رأيك". ثم إن الملك أرسل (إلى تشين) وفودا تحمل الهدايا وهي عبارة عن: مائة عربة عسكرية، ومجوهرات ثمينة وتحف نادرة ونوع من اليشب [المستخدم في إقامة الطقوس الدينية] يضاء ليلا عندما يشتد الظلام".

- لما كان تشانغي يشغل منصب رئيس الوزراء

لما كان "تشانغي" يشغل منصب رئيس وزراء دولة "تشين"، فقد تحدث، ذات مرة إلى "جاوجي" [وزير عظيم في "تشو"]، قائلا: "هب أن دولة تشو فقدت إقليم "ياندي"، والعاصمة "إينغ"، ومنطقة "هانجون"، فهل يتبقى لديها شيء مما يمكنها الاحتفاظ به؟" فرد عليه "جاوجي" بالنفي، فقال له "تشانغي": "وهب أنكم، في دولة "تشو"، لم يعد لديكم رجال دولة أكْفَاء مثل "جاوكو"، و"تشن جن"، فهل يبقى هناك أحد من المؤهلين للقيام بمسئولياتهم وتولي الوظائف العامة؟"، فلما رد عليه الرجل بالنفي، قال له: "فأرجو منك، إذن، أن تبلغ ملك "تشو"، عن لساني، إصدار قرار بإبعاد "جاوكو" و"تشن جن" من وظيفتهما، وسنرد على ذلك بإعادة "ياندي"، والعاصمة "إينغ"، و"هانجون" إلى بلادكم". فلما عاد "جاوجي" وأبلغ الملك بذلك الطلب، فرح جلالته جدا بما سمعه وسر بالغ السرور.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وقد ذهب إلى "جاوكو" من قال له: "قد تجاوزت الأمور الحد المعقول، فهذا ملك "تشو" قد غشى على بصيرته، فلم يعد قادرا على التميز بين النابهين الحكماء، والطامعين إلى السطوة والشهرة. (ويذكر التاريخ) أن دولة "هان" كانت فيما مضى من الزمان، قد طالبت دولة "آل جو" بترقية "كون شن جيه" إلى منصب رئيس الوزراء، فلم يلتفت إلى طلبه، ثم حاولت دولة "وى" إقناع "آل جو" بتولية "تشيمو هوى" منصب وزير عظيم فى دولتهم، وللمرة الثانية قوبلت تلك المحاولة بالرفض، أتعرف السبب فى ذلك ؟ السبب ياسيدى، هو ماجاء على لسان حاكم "آل جو" بنفسه، إذ قال: "إنهم بطلبهم هذا، يعاملوننا كما لو كنا مجرد ولاية تابعة لسلطانهم".

والحال أن دولة "تشو" واحدة من الكيانات القوية، بما تملكه من عتاد يبلغ عشرة آلاف عربة حربية، وملك البلاد واحد من أكثر الحكام رجاحة وبصيرة، ومع ذلك فقد صدق ماقاله له "تشانغى" من وجوب إبعادكم و"تشن جن"، وهو مالم يقدم عليه "آل جو"، فى ماضى الزمان، بل أصبح "تشانغى" بذلك، أكثر مهابة من حكام دولتى "وى" و"هان"، فى سالف الأيام، أضف إلى ذلك أنه، فيما يسلك من تصرفات وينصح من كلمات، إنما يهدف إلى ترسيخ مآثره وأفضاله فى صفحة مجده بدولة تشين، هذا بالإضافة إلى مايسعى بكل جهده، إلى تحصيله من مال وجاه فى دولة "وى"، التى إن كان سينصح لها بشئ، فلابد أنه ناصح لها بالتقدم نحو الجنوب لمهاجمة "تشو".

لذلك كان من الأنماط المعهودة فى شن الغارات على الممالك، والبدء - كضرورة حتمية - بقطع العلاقات الدبلوماسية ـ للدولة المستهدفة - مع باقى الدول، وذلك فيما يتعلق بالشئون الخارجية، أما بالنسبة للداخل، فتجرى محاولة طرد واستبعاد وزرائها المحنكين.

ومن المعلوم أن الوزير "تشن جن"، واحد من أبناء مناطق السهول الوسطى، ولذلك فهو أكثر دراية بأحوال "سانجين"؛ فمن ثم كان إصرار "تشانغى" على إبعاده عن منصبه، وهو ما يضمن تفريغ دولة "تشو" من رجال السياسة الأكْفاء؛ ولأنك - أنت نفسك -

واحد من أكثر رجال الدولة قدرة على إدارة وضبط وتوجيه شئون الناس فى "تشو"، فها هو "تشانغى" يطالب باستبعادك، فلاتجد البلاد من يقوم على إدارة شئونها؛ فهذا مايقال له مهاجمة الأوطان من الداخل، وهو الأمر الذى يغفل الملك عن فهم خباياه والتحقق بدقة من ملابساته . فلماذا تمتعنى من محاولة الالتقاء بجلالته، لأرجوه إيفادى إلى دولة "تشى" كى أحول دون قطع العلاقات بين البلدين (تشى، وتشو)، فإذا بلغ مسامع تشانغى بقاء عرى الصداقة على حالها، فسوف يعمل على تأجيل تنفيذ خطة إعادة "ياندى" و"إينغ" و"هانجون" إلى السيادة الوطنية لتشو، مما يضعف الثقة فى آراء جاوجى ويسخط عليه قلب الملك فيقصيه عن حاشيته".

- لما استفسر حاكم تشو من مستشاره الخاص

توجه الملك "وى"، حاكم "تشو" إلى مستشاره "تسى هوا" (الخاص بالأوامر والاستعلامات)، بسؤاله: "أتعرف أحدا من المسئولين ممن تولوا منصبا رسميا منذ ارساء دولة "تشو" حتى وقتنا هذا، تفانى فى العمل والسهر على مصلحة البلاد دون مطمع فى منصب عال أو مال وفير أو مكافأة جزيلة؟" فرد عليه مستشاره، قائلا: "تلك مسألة ليس لمثلى علم بها". فقال الملك: "ألم يبلغك خبر واحد من الناس على هذه الشاكلة قط، سواء سألت احدا من كبار رجال الدولة عنه أم عرفته من مصادرك الشخصية ؟" فأجابه مستشاره: "فأى صنف من الناس تريد أن تستفسر عنهم؟، فهناك من تشغله شئون البلاد على الرغم فى ضيق ذات يده وبساطة عيشه، وهو مع ذلك شريف، نزيه، عفيف اليد واللسان، وهناك من يعمل على الارتقاء بنفسه فى سلم الوظائف بغية زيادة راتبه، وهو فى الوقت نفسه مشغول بأمر بلده، مهموم بشئونه، وهناك من لديه الاستعداد بأن يقطع له الناس رأسه، ويبقروا بطنه، أو يفتح عينيه فلا يرى شيئا فى العالم سوى وطنه، فلا يشغله شىء من أمر نفسه ولا جسده سوى السهر على مصلحة بلده؛ ثم هناك كذلك من يكد ويسعى لتحقيق طموحه وآماله، لكنه مشغول أيضا بما فيه صالح الوطن، وهناك من يهتم لأمر بلاده دون طمع فى مال أو مكافأة أو منصب". فسأله الملك: "فمن تقصد تحديدا بقولك هذا؟"

– الجزء الثانى من الفصل نفسه

رد المستشار "تسى هوا" على الملك، قائلا: "كان أحد رؤساء الوزرات، فى الزمن القديم، ويدعى" تشيون"، يذهب إلى القصر مرتديا قميصا حريريا أسود اللون، فإذا انتهى عمله، وعاد إلى بيته خلع القميص الحريرى وارتدى حلة خشنة من جلود الأيائل، ولم يحدث مرة أن تأخر عن عمله، كان يذهب فى الصباح الباكر ويظل واقفا عند باب القصر فى انتظار الإذن له بالدخول (قبل أن يستيقظ أحد من الناس)، ولاينتهى من عمله إلا عندما تشتد ظلمة المساء، فيرجع إلى منزله، ولم يكن ميسور الحال، وإنما كانت عيشته الكفاف، حتى لم يكن يدرى فى الصباح كيف يقيم أوده إذا حل المساء وهو، مع ذلك لايكاد يختزن مايكفيه مدة شهر من الحبوب؛ لذلك فقد اشتهر بالنزاهة والشرف وعفة اليد، وهو بسيط الحـال أقرب للضيق منـه إلى اليسار، ثم إنه، بجانب هذا كله حريص على مافيه مصلحة بلاده، مهتم برفعة شأنها؛ فهذا الرجل (المدعو تسيون) خير نموذج فى هذا الباب".

– الجزء الثالث من الفصل نفسه

"ومن أخبار ماسلف من الزمان أيضا أن الوالى "تسيكاو" كان واحدا من رجال الدولة الذين تم اختيارهم للترقى فى صفوف النبلاء وهم أصلاً ممن عاشوا حياتهم فى الأوساط الشعبية البسيطة، ويذكر له من المآثر المجيدة قيامه بالقضاء على الاضطرابات الداخلية الناجمة عن تمرد "بايكون" [ولد الأمير الذى ثار على ملك تشو وطرده خارج القصر]، بل قام بتوسيع نطاق الأراضى التابعة لسلطان "آل تشو"، وبسط الاستقرار فى ربوعها، ثم أعاد للسيادة الوطنية الأرض السليبة الواقعة شمالى جبل "فان تشنغ" فأمنت البلاد على حدودها الأربع مخاطرالغزو والاحتلال، وأذعنت الدويلات لسلطان "آل تشو"، وخضعت الجباه [التى كانت تسخر من العرش الحاكم بالأمس] لنفوذ وهيبة القصر الحاكم، ولم يعد يدور بخلد أحد من أمراء الممالك الصغيرة تحريك

قواته صوب الجنوب لاقتحام حدود "تشو"، وهكذا أنعم جلالة الملك بإقطاع من الأرض تبلغ مساحته ستمائة ألف مو [وحدة مساحة قديمة للأراضي = ٠٦٦٧. من الهكتار] مكافأة له على خدماته الجليلة، وهكذا، فإن "تسيكاو" خير مثال لأولئك الذين يرتقون الدرجات الشريفة ويفوزون بنصيب وافر من الثروة، وهم يبذلون كل جهد وطاقة".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

" "من وقائع الماضي البعيد، أن الحرب لما قامت بين دولتي" أو" [تنطق كما في "أوبرا"] و"تشو" والتحمت القوات في موقعة "بايجو" وبخاصة قوات المشاة - التي وقع بينها القتال فيما بين صفوف العربات العسكرية، وراح "موهاوداشين" [أحد نبلاء دولة تشو] يشد على أيدي سائقي العربات العسكرية، ويقول لهم: "ها إن مصير الهلاك يكاد يحل ببلادنا، فاثبتوا ساعة، ريثما أتخلل صفوف قوات العدو، فإما أن أثخن فيهم أو أن أقبض على الأسرى، ليت الجميع يقاتل معي، حتى تنجو البلاد من الدمار الوشيك".. فلهذا قلت لك بأن هناك من يستهينون بالموت نفسه، ويعدونه مجرد إغماضة عين عابرة، ولديهم الاستعداد التام للتضحية بأنفسهم في سبيل مجد بلادهم، فتأمل سيرة "موهاوداشين" تجد مصداق قولي".

- الجزء الخامس من الفصل نفسه

"وكانت الحرب قد وقعت قديما، بين دولتي "أو" و"تشو" في موقعة تدعى" بايجيو"، وكان أن تمكنت قوات دولة "أو"، بعد خمس معارك من احتلال العاصمة "إينغ"، فهرب الملك "جاو" حاكم تشو، خارج البلاد وتبعه كبار رجال الدولة، وتفرق الناس شذر مذر، وتقطع مابين الوالد وولده والأم وأبنائها، وهنالك تحدث "فن ماوبوصو" [أحد أبناء نبلاء تشو] قائلا.. "ماذا لو أني تدرعت بدرعي وانتضيت سلاحي، وقمت إلى صفوف العدو غير هياب ولامتردد، غير أني لست إلا مجرد واحد من المقاتلين، ولعلي إذا طرقت باب الدويلات

المجاورة وجدت لديهم العون والنجدة". ثم حمل كمية وافرة من الحبوب وتسلل خفية بين شعاب الجبال ودروب التلال الوعرة، وعبر الوديان والبحار، يمشي تارة ويسبح تارة أخرى ويتسلق القمم الشاهقة بعض الأحيان، وتسلخت منه الأيدى وتورمت الأرجل، حتى وصل بعد أيام سبعة إلى بوابة القصر الملكي. فقام واقفا هناك دون أن يتحرك أو ينطق بشيء، كأنه طائر الكركي، ومرت عليه الساعات الطوال وهو ينشج ببكاء مرير ويرفع صوته بالاستغاثة ومرت عليه سبعة أيام وهو على هذه الحال، دون أن يجيبه أحد بشئ، فلما انقضت عليه تلك المدة دون أن ينزل جوفه شيء من طعام أو شراب، تبددت قواه وخر مغشيا عليه، فلما علم الملك بأمره، أسرع إليه في الحال دون أن يرتدي قبعته أو يلف حزامه حول قميصه، فأقعى عنده وتناول رأسه بيديه وراح يصب الماء في فمه حتى استرد" فن ماوبوصو" وعيه، فسأله الملك: "من أنت، وماحكايتك؟".. فأجابه.. "ما أنا إلا مبعوث دولة "تشو" بأرضكم، فأنا (الذى لم تنصفه الأيام..) المدعو "فن ماوبوصو"، قد شهدت بعيني موقعة "بايجيو" حيث قامت الحرب بين "أو" و"تشو" التى وقعت فيها العاصمة "إينغ" في يد أعدائنا بعد خمس معارك، وإذا بالملك قد هرب مع رجال الحاشية وكبار المسئولين، وتفرق شمل الناس جميعا، وتشتت الأهالى، فقمت ساعيا إليكم لأخبركم بهروب سادتنا خارج البلاد، راجيا منكم الغوث والنجدة". فتطلع إليه حاكم "تشين" وأشار إليه بالنهوض، قائلا: "قد بلغني إنه لا يصح لحاكم يملك عشرة آلاف عربة عسكرية أن يحقر من شأن فارس من أرومة الكرم والشجاعة. وإلا انتقض أساس حكمه، وقد رأيت اليوم بعيني وقائع تشهد بصحة ذلك" .. ثم إن جلالته أمر بسرعة إرسال ألف عربة عسكرية وعشرة آلاف مقاتل تحت قيادة القائدين المظفرين "تسي بو"، و"تسيخو"، وقد مرت القوات في طريقها بمنطقة الحصون الشرقية فعبرتها، وتقدمت إلى الشرق حتى اشتبكت مع قوات دولة" أو "عند نهر "جوشوى" وهزمتها شر هزيمة، وقيل إن تلك الوقائع حدثت في إقليم "صوبو"؛ فلذلك قلت لكم: إن هناك من يكدحون ويبذلون غاية مايملكون من جهد، حدبا على أوطانهم ورعاية لما فيه مصلحتها، وخير مثال على ذلك ماذكرت لك من أمر"فن ماوبوصو".

- الجزء السادس من الفصل نفسه

"كان القتال قد نشب بين دولتى "أو"، و"تشو" فى موقعة بايجيو، وبعد خمس جولات سقطت العاصمة "إينغ"، ثم هرب حاكم "تشو" مع كبار رجال القصر، (وكان الدمار والتخريب قد نال من البلد كلها.. حتى) فر الناس بأرواحهم فى كل اتجاه فتشتت شمل الأهالى وتفرق المذعورون أيْدى سبَأ، بينما ظل" منكو" [القائد الأعلى لقوات دولة تشو المدحورة] يقاتل أعداءه من دولة "أو"، وذلك بالقرب من منطقة" كونطان"، ثم بدا له أن يغادر أرض المعارك عائدا إلى العاصمة إينغ، وهو يقول: "لو استطعنا أن ننصب وريثا للعرش فى القصر، فستظل آلهة الزراعة تحمي دولتنا وتحفظ بقاءها!"، وما هو إلا أن دخل القصر وجمع سجلات الدساتير والقوانين والوثائق الرسمية فحملها فوق ظهره وخرج يجوب القفار، ويخوض الأنهار حتى بلغ منطقة "يونمن"، ثم بلغه أن ملك "تشو" قد عاد إلى العاصمة دون أن يستطيع السيطرة التامة على زمام الإدارة الحكومية؛ وذلك لغياب رجال الحكم والمسئولين، وتغلغل روح الفوضى والارتباك بين الأهالى، فذهب إليه "منكو" وسلمه الوثائق وسجلات القوانين الخاصة بالدولة؛ مما ساهم فى إعادة الانضباط إلى نظام الإدارة وموظفيها (الذين وجدوا فى اللوائح مادة جاهزة لإعادة تشغيل دولاب العمل)، فعاد الضبط والربط والنظام يسود الأجواء، وانصلحت أحوال الناس، وعندما أخذت مآثر "منكو" وأفضاله فى الاعتبار، فقد جرى النظر بوصفها جزءا لايتجزأ من شرف كيان الدولة وأساس بقائها، فأنعم عليه الملك بأعظم ألقاب التشريف، وأقطعه أرضا مساحتها ستمائة ألف"مو"؛ فلما علم "منكو" بذلك تملكه الغضب وصاح محتدا: "لست فقط مجرد وزير لدى جلالته، لكنى أيضا رجل دولة ومسئول عن وطن، ولقد ظننت أنى عندما أقدم القرابين لآلهة الأرض حامية الدولة، فسوف يبقى العرش الملكى فى بلادنا محوطا بالعناية الآلهية، وينزاح عن صدرى الخوف الذى أرقنى على مصير الوطن"، ثم أنه قام وغادر إلى جبل موشان، حيث اعتزل الناس والعمل العام، ومازال أحفاده إلى اليوم يتجنبون الانخراط فى الوظائف العامة أو العمل فى المواقع المتنفذة؛ وهكذا، فلئن قلت بأن من الناس مَنْ يهتم لصالح الوطن دون مطمع فى جاه أو مال، فقد كان "منكو" واحدا من ممن يصدق عليه ذلك القول".

- الجزء السابع من الفصل نفسه

وهنالك تنهد ملك "تشين"، ثم قال: "كان كل هؤلاء من الغابرين الذين انقضى زمانهم منذ وقت بعيد، فهلا ذكرت لي أحدا ممن يعيشون في زماننا، أليس منهم أحد بين ظهرانينا الآن؟" فأجابه المستشار "تسي هوا"، بقوله: "كان دهاة الملوك ونجباء القادة، فيما مضى من العهود القديمة، يتخذون عمالهم ممن استدق خصرهم ونحفت أجسادهم، وكان المتعلمون من بني دولة "تشو" يميلون إلى الاقتصاد في الطعام والشراب. (حتى تذوى أجسادهم..) فلا يتكاسلون عن القيام والقعود؛ فتنشط حركة أبدانهم. وإذا كان الطعام اشتهاء غريزيا في الإنسان، (فليس له أن ينساق وراء غريزته.. بل) يجب أن يصبر على الصوم كثيرا؛ ولئن كان الموت أمرا بغيضا إلى النفس، إلا أنه قدر لا مفر منه.

وقد بلغني أن الملوك إذا ارتادوا ساحات الرماية واقبلوا على التدرب عليها، سار وزراؤهم على دربهم فشغفت قلوبهم بحب الرمي والقنص. (وكان يمكن لجلالتكم أن تحضوا الوزراء على النزاهة والحكمة..) لولا أني أراكم تنأون عن الحكماء وتضيق صدوركم بهم، ولو كنتم تحبون ذوي الحكمة والعلم حقا، لكان في مقدوركم الآن أن تدعوهم فيسعون إلى جلالتكم من فورهم".

سجل تشو الثاني

لما توفى رئيس وزراء دولة "وى"

لما توفى "جاى تشيانغ" رئيس وزراء دولة "وى"، ذهب إلى الملك "هواى"، حاكم "تشو"، من نصح له باختيار "كانماو" رئيسا للوزراء، خلفا للراحل الكريم، قائلا: "ربما كان فى نية دولة وى تعيين الوالى" كونزجين" رئيسا لوزرائها، وهو الأمر الذى من شأنه أن يعمق العلاقات الودية بينها وبين دولة تشين، وعندما تشتد عرى الصداقة مع تشين فسوف تشعر دولة تشو بأنها لاتلقى من جانبك ماتستحقه من أهمية؛ ولهذا أرى من الأفضل أن تجرى مناقشات مع دولة تشى بهدف الاتفاق على ترشيح كانماو لمنصب رئيس الوزراء، ولابد أن الملك شيوان - حاكم تشى - سيسعد جدا عندما يعلو قدره، ويرتفع اسمه عاليا فوق أى حاكم آخر، وعندما نبلغ سفراء تشى بضرورة مشاركة دولتهم معنا فى تنصيب رئيس الحكومة الجديد، فلابد أن بلادهم ستفرح كثيراً (لما أدركت من مكانتها عندك). أما إذا أصرت وى على عدم الالتفات إلى هذه النصيحة وضربت صفحا عن ذلك، فسوف تسوء علاقاتها مع تشى، وتقع العداوة والبغضاء بينهما، فإذا ماتدهورت العلاقات بينكم وبين تشى، فلابد أن هذه سوف تسارع إلى كسب ود دولة تشو، أما إذا استمعت وى إلى نصيحتى، فسوف تشتد العداوة والكراهية بين كل من "كانماو" و "تشو ليز"، وتتقد فى قلبها نار البغضاء حتى يتمنى أحدهما أن يسحق رأس الاخر، مما ينجم عنه تدهور العلاقات مع دولة تشين، وسيكون من جراء ذلك أن الجميع سيسعى إلى تأكيد روابطه الودية مع دولة تشو".

- لمـا تم الاتفاق بين تشى وتشين

تم الاتفاق بين "تشي" و"تشين" على مهاجمة دولة "تشو"، فبادر حاكم هذه الأخيرة إلى إيفاد قائد قواته "جين تسوى" ليعرض على دولة تشى (التراجع عن خططها الهجومية مقابل ..) أن يهديها ست محلات من أرض بلاده، بالإضافة إلى إرسال ولده الأمير ليقيم فى تشى رهينة لضمان السلام بين البلدين . وهنالك التقى جاوجى بالقائد جين تسوى، وقال له: "ربما كانت دولة تشين تفكر في الضغط على دولة تشو للتنازل لها عن أجزاء من أرضها، وهى تمارس هذا الضغط بواسطة كل من" جين لى" [رئيس وزراء تشو] و"سولى" [أخو سوتشين، المقيم وقتئذ فى تشو]؛ فإذا تنازلت عن أجزاء من أرضك على سبيل التودد والتقرب من دولة تشي، فسوف يطالب كل من سولى وجين لى دولة تشو بالتنازل لدولة تشين عن أقاليم وأجزاء هائلة من أرض بلادكم إرضاء لخاطرها، وهو ماسوف يحبط مهمتك ويصيبك بالعجز عن أداء دورك وأرى من الأفضل أن يسارع حاكم تشو إلى إغداق الرشوة على كل من سولى، وجين لى، على أن يتم إيفادهم إلى تشين، وعندئذ فإن دولة تشى سوف تساورها الشكوك والمخاوف، مما سيحول بينها وبين المطالبة بالتنازل لها عن الأراضى، بل ستسارع إلى عقد الوحدة مع تشو، وعندئذ فقط، تواتيك الفرصة الذهبية لعقد ميثاق الصداقة بين البلدين".

- لمـا تقدم القائد شوشى على رأس القوات

لما تقدم القائد شوشي على رأسى قوات تشين لمهاجمة دولة تشو، فقد أمر حاكم هذه الأخيرة قائده العسكرى جاوشو بقيادة حجافل الجيش لدخول منطقة هانجون والمرابطة فيها. هذا وقد تمكن جاوجى من هزيمة قوات تشين في موقعه جونشيو، وهنالك التقى سولى مع جاوشو [القائد العسكرى العام]، وقال له: "إن ملك تشو يفكر في أن يأمر جاوجى بانتهاز فرصة انتصاره على قوات تشين والوثوب على دولة تشين نفسها لمهاجمتها، وبهذا فسوف يصدر إليك الأمر بدفع جزء من قواتك مددا لقوات جاوجى، فإذا علمت دولة تشين بهذه التجزئة للقوات، فسوف تقوم باحتلال هانجون،

فاسمح لى (أن أساعدك فى هذا الأمر؛ وذلك بـ..) أن أبعث "شين رونغ" [أحد مواطنى تشو ممن تربطهم علاقة حميمة بدولة تشين] إلى ملك تشو ليقول له: "إن قوات دولة تشين توشك على مهاجمة هانجون".. وهو الأمر الذى سيحول دون تجزئة القوات ويعفيك من معاناة نقص عدد الجنود".

- لما تحالفت الدول الأربع لمهاجمة تشو

لما تحالفت الدول الأربع: تشين، وتشي، وهان، ووى، وحشدت قواتها لمهاجمة تشو، أصدر حاكمها أمرا إلى جاوجى بقيادة القوات لصد هجوم دولة تشين، وكان ملك تشو (فى تلك الأثناء) يبيت النية على مهاجمة تشين فى عقر دارها، وهو الأمر الذى لم يكن يروق كثيرا للقائد جاوجى، وهكذا فقد ذهب "هوان صان" [ربما كان أحد المقربين إلى جاوجى!] إلى حاكم تشو، ليقول له.. [على لسان جاوجى].. "اعلم يامولاى أنه إذا كان النصر حليف قائد قواتك جاوجى، فسوف تشتد كراهية الدول الثلاث الأخرى وسخطهم عليك وعلى بلادك، وربما بدا لهم تردد تشين وميلها إلى مسالمتك والخضوع لشروطك أمرا وشيك الحدوث مما قد يدفعهم إلى الصمود وتعزيز قوتهم لمحاربتك دعما لحليفتهم الكبرى تشين هذا من ناحية، ومن جانب آخر فإن ملك "تشين" إذا ذاق مرارة الهزيمة أمامك، فسوف يستجمع كل طاقته لقتالك بكل ما أوتى من قوة، وهو مايعنى دخولك فى معارك مطولة مع تشين تستنزف فيها جهدك وطاقتك، وبالطبع فإن المستفيد الوحيد من ذلك الموقف هو الدول الثلاث الأخرى؛ ثم إننا إذا عجزنا عن الانتصار على تشين، فلابد أنها ستتقدم لضربنا؛ لذلك كله فإنى أرى من الأوفق أن نعزز قوات جاوجى ونترك له حسم الموقف بالشكل الذى يراه مناسبا (لتحقيق النصر دون النيل من كرامة تشين). ومن المعلوم إن ملك تشين لايبغض شيئا قدر بغضه لدخوله معارك طويلة مع تشو يبدد فيها طاقته، على النحو الذى لاينال به إلا الضرر بينما تستفيد باقى الدويلات. وهكذا فقد تكتفى تشين باقتطاع جزء من أراضيك لتنهى حربها معك. فإذا ماقامت الوحدة بين تشين وتشو، فلن تملك الدول الثلاث: يان، وجاو، ووى إلا الإذعان لهما، مما يشيع فوق الجميع أجواء الهدوء والاستقرار".

لمـا قام حاكم دولة تشو بتحديد إقامة تشانغى

قام الملك هواى بتحديد إقامة تشانغى تمهيدا لإعدامه، فذهب الوزير "جين شان" [أحد المقربين لجلالته] إلى الملك، وقال له دفاعا عن تشانغى: "إن قيامك بحبس تشانغي سيثير ضدك شعورالبلاط الحاكم فى تشين، فإذا ماتبين لباقي الدويلات تدهور العلاقات بين البلدين؛ فلن ينالك إلا الاستهانة بقدرك، وضياع مهابتك وسط الجميع". ومن ناحية أخرى فقد تحدث تشانغى، نفسه، إلى السيدة جنغ شيو [إحدى زوجات الملك، القريبات إلى قلبه]، قائلا: "لابد أنك تعرفين تماما، ياسيدتى، ما سوف يحل بك من استصغار الملك لشأنك وابتعاده عنك في قادم الأيام، وتعلمين السبب في ذلك أيضا!" فلما دهشت وسألته عن مغزى كلامه هذا، فرد عليها الوزير جين شان، بقوله: "إن تشانغى من أخلص الوزراء وأقربهم وأكثرهم ثقة عند حاكم تشين، ولابد أن جلالته سيسعى بكل جهده لتخليصه من الحبس بعد أن علم بتقييد إقامته. ومن المعلوم أن لحاكم تشين ابنة رائعة الجمال، يسهر على إرضائها وتدليلها بشتى الوسائل، حتى أنه اختار لها، من بين فتيات القصر، أملحهن وجها، وأبرعهن مسامرة وعزفا للموسيقى، للترويح عنها، وإدخال البهجة على قلبها، بحيث تبقى معها تتبعها كظلها، وتذهب بها لتقيم في بيتها كقطعة من أثاث منزلها بعد الزواج، وقد أهدى الملك إلى ابنته أروع الجواهر والحلى، ثم أقطعها ست مناطق بولاية" شانيون" هدية لعقد قرانها، وهو يرتب لتزويجها من ملك تشو وذلك عبر رسوله تشانغى ولابد أن حاكم تشو سيهيم بها حباً، ثم إنها ستأتى إلى دولة تشو موفورة الحظ من شرف مكانة قومها وبلدها بين الأمم، وفى شوَارها ماتتيه به فخرا من الأراضي والأقاليم والمال الذى ليس له حصر، ولابد إنها ستطرق أبواب القصر الحاكم فى تشو بوصفها زوجة جلالة الملك، الذى سيجد من فرحته بها ومتعته بصحبتها ماتدور له رأسه من النشوة، وعندئذ؛ فلن يسعه إلا المقام بين يديها والتقرب إليها بما يرضيها، ومن ثم يهجرك ويحقر قدرك يوما بعد يوم"، فقالت له:" فليكن لك التصرف فى هذا الأمر، على الوجه الذى تريد، لكن قل لى: ما الذى ينبغى عمله، وما السلوك الواجب اتباعه؟"، فأجابها: "لا أرى إلا أن تسارعى إلى إقناع الملك بالإفراج عن تشانغى. الذى – إذا ما عادت إليه حريته – فلن ينسى لك الجميل،

وسيعمل على إفساد مشروع تزويج ابنة ملك تشين لحاكم تشو، ويعظم قدرك لدى دولة تشين بأسرها، وتخلص لك ساحة الشرف والجاه فى تشو، لاينافسك فيها منافس، وتصبح لك اليد الطولى فى إقامة صلات الود مع تشين ويصير لك تشانغى مثل ربيبك الذى يتصرف رهن مشيئتك، ويصبح أبناؤك أمراء تشو، فيما بعد، وهو مطمح لامزيد عليه وشرف ليس أعظم منه". وهرعت جنغ شيو إلى الملك فأقنعته، بالإفراج عن تشانغى، فأخلى سبيله.

لما أقدم ملك تشو على الإفراج عن تشانغى

اتخذ ملك تشو كل الإجراءات التى تقضى بالإفراج عن تشانغى، غير أنه كان يخشى، فى قرارة قلبه، يسىء الرجل إلى سمعته، وسط الممالك، وتحدث بهواجسه: إلى خلصائه.. فقال له وزيره المقرب إليه جين شان:" دعنى اتبع خطاه أينما ذهب، فإذا مابدرت منه بادرة سوء فى حق جلالتك، فلتأذن لى بقتله". وكان فى قصر حاكم تشو أحد أفراد الحاشية ممن يبغضون جين شان، فتكلم سرا مع جانماو [وزير عظيم بدولة وى] قائلا: "يبدو أن مايحظى به تشانغى من ذكاء وحصافة رأى يؤهلانه للترقى فى بلاط كل من دولتى تشين وتشو؛ ما يعنى المزيد من المتاعب لك، فى المستقبل، وأرى من الأفضل لك أن ترصد له من يقوم باختطافه وقتله، وبالطبع فسوف تثور ثائرة ملك تشو، وقد ينجم عن ذلك أن يتحرج موقف تشانغى، وبالتالى يعلو نجمك، وتحظى بما كان وقفا عليه من تقدير وتكريم، فإذا ما اندلعت الحرب بين تشين وتشو، تجنبت دولة وى الويلات وانزاحت من طريقها العقبات".

وبالفعل فقد أوصى "جانماو" بالرجل من اختطفه ودق عنقه، فهاج ملك تشو وماج، واشتعل أوار المعارك بين تشو وتشين، وتأجج نطاها بمرور الأيام، وراحت كلتاهما تتقرب من دولة وى وتخطب ودها، ثم إن جانماو تَرَقَّى فى مراقى التقدير وبلغ غاية التكريم.

لما أغارت تشين على هانجون

أغارت تشين على هانجون وكبدت قوات دولة تشو خسائر فادحة، وهزمتها شر هزيمة، واقتيد ملك تشو، بالخديعة، إلى دولة تشين، حيث جرى اعتقاله والتحفظ عليه، وذهب أحد المناظرين السياسيين لينافح عنه لدى ملك تشين، حيث قال لجلالته: "لوكان في نية جلالتكم تكبيل يدى ملك تشو، وإلقائه فى الحبس، كى يخلو لكم طريق مهاجمة بلاده، بالتحالف مع باقى الممالك والدويلات، فهذا تدبير غير أخلاقى، يسىء إلى هيبتكم، أصلا، ولايجدر بكم اللجوء إليه؛ فإذا رأيتم مهاجمة تشو وحدكم دون التحالف مع باقى الدويلات، فذلك أمر يضر أبلغ الضرر بمصالح بلادكم، والأصوب من ذلك كله، أن تقوم بعقد حلف مع ملك تشو وتدعه يعود إلى بلاده، إذ قد لمستم مدى خشيته من قوة بلادكم بالدرجة التى تحول بينه وبين خيانة مواثيقه معكم، وحتى لو حدث أن خرج على اتفاقه معكم فستستطيعون، وقتئذ، تنسيق هجوم مشترك مع الدول الثلاث: تشى، وهان، ووى ؛ ولن يمارى أحد فى أنها ستكون حربا عادلة بحق".

لما كان ملك تشو مقيما، وهو أمير صغير بدولة

عندما كان الملك شيانغ، حاكم تشو، مقيما بدولة تشى، رهينة لضمان استقرار السلام، وهو بعد أمير صغير، بلغه، فى تلك الآونة خبر وفاة الملك هواى، فذهب إلى الملك" مين" – حاكم تشى – ليستأذنه فى العودة إلى الوطن، فرفض جلالته، قائلا: "لن أسمح بعودتك إلا إذا تنازلت لى عن منطقة "هوايبى" الملاصقة لحدودنا مع بلادكم والتى تبلغ مساحتها خمسمائة لى" فقال الأمير: " دعنى أتكلم فى هذا الأمر مع أستاذى الذى تلقيت العلم على يديه، ثم قصد إلى أستاذه "جنزى"، وكان مما أجابه به هذا المعلم أرى أن تجيب الملك طلبه، وتهديه الأرض التى اشترط الحصول عليها، صونا لحياتك، ثم إنه ليس من البر أن تجعل من حرصك على الأرض سببا يحول بينك وبين حضور جنازة أبيك؛ لذلك فمن الصواب أن تذعن بالموافقة"، وهكذا فقد طلب الأمير الإذن بالمثول بين يدى الملك لينهى إليه قراره، قائلا: "بمزيد الاحترام نهدى إلى جلالتكم الأرض التى مساحتها خمسمائة لى". وعندئذ، أشار الملك بالسماح للأمير بالعودة إلى وطنه.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وبعد أن عاد الأمير إلى الوطن اعتلى سدة العرش، وقد تم تنصيبه ملكا على البلاد، وحدث أن دولة تشي أرسلت خمسين عربة عسكرية مع وفد رسمي إلى القصر الحاكم في تشو؛ وذلك لاستلام منطقة "هوايبى" الملاصقة للحدود بين البلدين، فتكلم الملك مع معلمه جنزى، قائلا:" ها قد وصلت وفــود من تشي لاستلام أرض هوايبى، فما العمل؟ وكيف نتصرف إزاء ذلك الأمر؟" فأجابه: "أقترح عليك أن تطلب من الوزراء، عندما يحضرون غدا للقائك، تقديم وجهات نظرهم فى هذا الشأن".

فلما حضر إلى القصر كبير الموظفين الرسميين، المدعو" تسى ليان" لحضور الاجتماع، ابتدره الملك قائلا:" ماكنت أستطيع العودة إلى البلاد، والمشاركة فى تشييع جنازة الملك الراحل، والالتقاء بالسادة الوزراء والمسئولين فى بلادنا، واعتلاء العرش الملكى إلا لما وعدت به دولة تشي من أن أتنازل لها عن أرض هوايبى، التى تقدر مساحتها بخمسمائة لى، وها قد وصلت الوفود من تشي تريد استلام الأرض وإنجاز الوعد، فما القول فى ذلك الأمر، وكيف نتصرف لمعالجة تلك المسألة؟" فأجابه الرجل بقوله: "ليس لجلالتك أن تمتنع عن تسليم الأرض لهم؛ فكلامك له وزنه وأهميته، ومادمت قد وعدت المسئولين فى بلد كبير، مثل تشي، ذى قوة ومهابة (وعتاد عسكرى يبلغ عشرة آلاف عربة عسكرية) فليس لك أن تخلف الوعد، وإلا فقدت مصداقيتك، وتزعزعت ثقة القوم فيك، وتعذر عليك منذ اليوم، أن تعقد المواثيق والمعاهدات مع أى من الدويلات والممالك، فالمطلوب منك أن تنجز وعدك، ولك بعد ذلك أن تسترد الأرض بالقتال. فإنجازك الوعد يدعم الثقة فيك، واستردادك الأرض بالقتال تصرف يليق بالشجعان؛ ولذلك كله فإنى أرى من المناسب أن تعطيهم الأرض التى وعدتهم بها".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

فلما انصرف "تسى ليان"، دخل الوزير الأعظم" تشاو شانغ" لمقابلة الملك، الذى قال له:" قد أرسلت دولة تشي فى طلب الأرض ذات المساحة البالغة خمسمائة لى، فماذا ترى للخروج من ذلك المأزق؟" فأجابه: "لا تسلمهم شيئا، ولا يهولنك ما يقال من

امتلاكهم عشرة آلاف عربة مقاتلة، فإنما هذا مجرد زعم يناسب بلدا هائل المساحة ممتد الأطراف، ثم إذا سمحت لهم باقتطاع منطقة هوايبى بمساحتها الخمسمائة لى، فإنما تقتطع مامقداره نصف أراضي بلادك كلها، ولئن كنا نزعم (من باب التهويل) إننا نملك عشرة آلاف عربة مقاتلة، فإن مبلغ مقدرتنا الحقيقية لايتجاوز ألف عربة، كلا، لست أوافق على إعطاء الأرض لهم، بل أرجو أن تسمح لى جلالتك بالذهاب إلى تلك المنطقة تأهبا للدفاع عنها.

ولما خرج تشاو شانغ من عند الملك، دخل جين لى ليمثل بين يدى جلالته، حيث كلمة، قائلا: "ترى ما الذى تشير عليّ به؛ إذ أرسلت تشى تريد ضم أرض هوايبى بمساحتها التى لا تقل عن خمسمائة لى؟" فأجابه: "مستحيل أن توافق على ذلك، غير أنى أرى من الأوفق ألا نركن إلى قوتنا المحدودة فى الدفاع عن أرضنا، وقد تكلمت كرجل دولة مسئول، فإذا تقاعست عن تحقيق ما وعدت به ذاع الأمر فى الممالك والتصقت بك سمعة رديئة مفادها أنك غير ذى ثقة، لكننا يجب أن ننتبه إلى أن دولة تشو لن تتمكن، وحدها، من الوقوف فى وجه محاولات اقتطاع أرضها؛ لذلك أرجو منك التوجه غربا لطلب العون من دولة تشين".

- الجزء الرابع من الفصل نفسه

لما انتهت مقابلة "جين لى" مع الملك وخرج من عنده، دخل جنزى إلى جلالته، فأخبره بأمر الخطط الثلاث التى ارتآها المسئولون البارزون الذين التقوا به، قائلا: "قابلت" تسى ليان فقال: "لابد أن تعطيهم الأرض، ولك أن تستردها بالقتال بعد ذلك، ثم لما قابلت تشاو شانغ، قال لى: "لا تفرط فى الأرض بل أرجو أن تأذن لى بالتحصن فيها والدفاع عنها، فلما سألت جين لى عن رأيه، أجابنى بقوله: " لاتسلمهم الأرض، غير أنك لن تقدر بالاعتماد على قوتك فقط أن تحمى موقفك، فاسمح لى بالذهاب إلى تشين طلبا للعون"... فما هى الخطة الأنسب من بين تلك الثلاث؟" فأجابه أستاذه: "كلها معا، فى وقت واحد يامولاى!"، فتغير وجه الملك من الغضب، قائلا: "ماذا تقصد

بقولك هذا؟"، فأجابه: "ائذن لي بتوضيح ماذكرت لك حتى ترى الأمر على النحو الذى أبينه لجلالتك، وبادئ ذى بدء فإنك ستقوم بإيفاد تسى ليان (أكبر الموظفين الرسميين) لقيادة خمسين عربة عسكرية تتجه شمالا نحو دولة تشى لتسليم الأرض ذات الخمسمائة لى، وفي اليوم التالي مباشرة، توفد تشاوشانغ بوصفه قائدا للفرسان وتأمره بالدفاع عن أرض هوايبى، ثم تقوم في اليوم التالى بإرسال جين لى على رأس بعثة قوامها خمسين عربة عسكرية ليتجه إلى دولة تشين طلبا للتدخل والعون". وهنالك أقره الملك على رأيه معلنا موافقته التامة، ثم إنه أرسل تسى ليان شمالا تجاه دولة تشى لتسليم الأرض، وفى اليوم التالى قام بتعيين تشاو شانغ قائدا للفرسان وأمره بالتوجه إلى هوايبى لحمايتها والدفاع عنها، ثم أوفد جين لى إلى تشين طالبا تدخلها العاجل لإنقاذه.

الجزء الخامس من الفصل نفسه

ما أن وصل تسى ليان إلى دولة تشى، حتى أسرع حاكمها بإرسال الجنود (من لابسى الخوذات والدروع) تحت قيادة موفده بغرض استلام أرض هوايبى، فلما وصلت القوات إلى هناك وجدت.. تشاوشانغ وقد قام معترضا طريق الوافدين قائلا: "أنا المسئول الأول عن حماية منطقة أرض هوايبى، ولن يقترب منها أحدإلا على جثتى [حرفيا: انا والأرض سواء، بقائى ببقائها وهلاكى فى استلابها!]، وقد حشدت لكم الحشود من الشيوخ والشباب، حتى اجتمع لدى جيش قوامه ثلاثمائة ألف مقاتل وسنصبر على حربكم، ولو كانت الدروع صدئه، وسنثخن فيكم وإن كانت النصال كليلة". ثم إن حاكم تشى تكلم مع تسى ليان قائلا: " مادمت قد جئت ياسيدى لتنهى إلى مسألة استلام الأراضى، ففيم مرابطة تشاوشانغ للدفاع عن الإقليم المزمع التنازل عنه؟" فأجابه: "لكنى قد تلقيت الأمر الذى أنهيته إلى جلالتك عن حاكم تشو شخصيا، ولابد أن تشاوشانغ يتصرف على مسئوليته الشخصية متعللا بحجة واهية ينسبها إلى مليكه، سيد البلاد، دون سند أو دليل، فاضربه حيث وجدته". فجهز ملك تشى الجيوش وأغار، بحملة كثيفة الرجال والأسلحة على هوايبى، يريد الظهور على تشاو شانغ،

فلمـا اقتـربت القوات من المنطقة المطلوبة، فوجـئت فى طريقـهـا بـجيش قـادم من دولة تشين قوامه خمسمائة ألف مقاتل، يزحف تجاه حدود تشى فى المنطقة الغربية، واقترب منها قائد قوات تشين ليقول: "إن الحيلولة دون عودة الأمير إلى وطنه للمشاركة فى تشييع جثمان أبيه الملك المتوفى، يعد سلوكا مجانبا للإنسانية، هذا بالإضافة إلى استغلال الأوضاع لاقتطاع ما مساحته خمسمائة لى من منطقة هوايبى، يعد مسلكا ظالمـا، لاعدل فيه ولارحمة، فإذا رجعتم من حيث أتيتم، فنعم الأمر،إذن، وإلا (إذا استمرأتم المضى قدما) فانتظروا الحرب".. فلمـا كان حاكم تشى يرهب جانب تشين للغاية، فقد استدعى تسى ليان، وطلب إليه سرعة العودة إلى تشو، اجتهادا فى إظهار نوايا المصالحة، كما أرسل جلالته وفدا إلى الغرب، لزيارة دولة تشين بهدف توضيح ملابسات الأمور، وسعيا لإزالة التوتر وسوء الفهم بين البلدين؛ وهكذا استطاعت دولة تشو أن تحتفظ بإقليم هوايبى، دون أن تدفع بقواتها إلى ميدان القتال.

– لمـا تكلمت مربية أمير تشو مع سوشين

تحدثت خادمة الأمير [المرأة التى تولت تربية أمير تشو] إلى سوتشين، فقالت له: "كنت انت السبب في اعتقال ملك تشو بدولة تشين، وتحديد إقامته بها، مثلما كنت السبب فى المصائب التى حلت بأمير البلاد؛ وذلك لأنك ترى فى عودة الملك من محبسه، والأمير من القيود المفروضة عليه، خطرا عليك، وأيما خطر، وأرى من الأفضل لك أن تبعث من يقول للأمير.."لو نما إلى علم سوتشين أنك تبغضه، فسوف يفكر فى شتى الطرق التى لن تجلب عليك إلا المزيد من المصائب، فلا معـدى لك من التودد إليه، وعقد أواصر الصداقة معه؛ مما سيدفعه إلى مساعدتك فى العودة إلى الوطن"، وبالفعل، فقد أرسل سوتشين إليه من أقنعه بتلك الأفكار، وهكذا أخذ الأمير يسعى من جديد، فى إقامة جسور الثقة والمودة مع سوتشين.

سجل تشو الثالث

لما تحدث سوتشين مع الملك هواى

تحدث سوتشين إلى الملك هواى، حاكم تشو، فقال له: "(اعلم) ان الرجل الفاضل الكريم يحب الناس ويعطف على رعيته بكل صدق وإخلاص، ويتحدث إليهم بأطيب الكلمات، (كما أن) الأبناء البررة يبذلون كل مادى ومعنوى شفقة ورفقا بأبويهم، كذلك فإن الوزير المخلص هو من يرشح ذوى الحكمة والرشاد ليكونوا أعوانا لمليكهم (فى إدارة شئون الحكم).

غير أن رجال الملك ووزراءه لم يعودوا يسلكون هذا النحو، بل أصبحوا مولعين بالإساءة إلى الحكماء، تزكية لأنفسهم، وطمعا فى ترقى مراتب الشرف وحدهم، وأثقلوا على الناس وعلى الشرفاء والنابهين بما فرضوا عليهم من الضرائب الباهظة، حتى أوقعوا فى قلوب الأهالى السخط على سيد البلاد، فلايمكن أن يكون مثل هؤلاء الوزراء مخلصين لمليكهم. ثم إنهم، بعد إذ رموا وجه الملك بكل نقيصه أمام شعبه، قاموا باستغلال أرضه فى رشوة من يروق لهم من أمراء الدويلات والأقاليم، فأزاحوا من طريقهم كل الوزراء الذين وجدوا حظوة لدى جلالته (كى يفوزوا وحدهم بأقرب المواقع إلى قلبه واهتمامه) فهؤلاء، أيضا، ارتدوا قناعا زائفا من الأخلاص، فأوقعوا بالبلاد فى أدهى الكوارث، وكل ما أرجوه من جلالتك هو ألا تصدق مايشاع على أفواههم من الوشايات والافتراءات والأكاذيب، وأن تتوخى بالغ الحذر والفطنة عند تعيين رجال الدولة والولاة؛ وذلك بأن يقع اختيارك على أكثر الناس قبولا من الشعب، كما أرجو منك أن تضبط ميولك وأهواء نفسك، كى تبسط فوق الجميع مظلة الأمن والاستقرار. إن أصعب مايمكن أن يواجهه رجل الدولة المسئول، هو أن يتولى بنفسه ترشيح ذوى

الحكمة للترقى فى المناصب العليان دون أدنى شعور بالغيرة أوالحسد. وقد يكون من السهل على الكثيرين أن يضحوا بأنفسهم فداء لجلالة الملك، بل قد حدث بالفعل أن عددا غفيرا من الناس قتلوا فى المعارك الدامية دفاعا عن التاج الملكى، وقد يسهل على المرء أن يوصم بالمخازى وأن يتلقى كل ألوان المهانة ليسلم الشرف الملكى من النقائص، ثم إن الجميع، بما فى ذلك أكبر موظفى القصر إلى أدنى عامل بسيط، لن يتوانوا عن مقاساة التجريح والإهانة لأجل العاهل الكريم. (كل ذلك ممكن ووارد، بكل تأكيد..) أما أن يقوم المرء بترشيح ذوى الكفاءة والخلق الكريم (فى المواقع الوظيفية المرموقة) دون إحساس بالغيرة أو الحسد؛ فهذا مالم أسمع أن أحدا قام به (على هذا الوجه من السهولة..) من قبل؛ لذلك فإنه ينبغى على الحاكم ذى البصيرة الثاقبة أن يختبر وزراءه، ليقف على مدى مايحتمل فى قلوبهم من مشاعر الغيرة، ودرجة مايتمعون به من القدرة على (النزاهة والموضوعية التى تمكنهم من..) ترشيح الأكْفاء من الناس، فإن أولئك الموسومين بالاقتدار والحكمة، هم بدورهم القادرون على التفانى فى العمل مع الملك، وفى ترشيح نظرائهم للعمل فى البلاط الحاكم دون تباغض أو تحاسد؛ حيث إن مكمن الصعوبة فى هذا، هو أن الوزير الذى يقوم بترشيح أكفأ الناس لخدمة جلالته، يخاطر بأن يأتى بمن يتفوقون عليه، فيرذل فى عين مولاه؛ ذلك أن صعود الآخرين على سلم المجد يعنى سقوطه وضياع قدره، وهو ما يشق على المرء احتماله".

لما وصل شوتشين إلى دولة تشو

لما وصل سوتشين إلى دولة تشو، فقد بقى ثلاثة أيام جالسا فى انتظار أن تتاح له فرصة مقابلة جلالة الملك، (وعندما التقى بجلالته و..) انتهت المباحثات بينهما، استأذن سوتشين فى الانصراف عائدا إلى بلاده، فقال له الملك: " قد سمعت الكثير عنك، وبلغنى مايشنف الآذان من شهرتك ومجدك وعلو قدرك، فأكبرتك بما يليق بك، بل بذلت من الاحترام مثلما أبذل ما فى قلبى للحكماء والقديسين، من الأقدمين والحاضرين، وإنى لأعجب إذ أراك تقطع كل تلك المسافة الطويلة مسافرا إلينا، ثم تبادر (إثر انتهاء اللقاء معنا) إلى السفر حالا، دون أن تبقى للمقام قليلا، فما الذى يمنعك من البقاء

هاهنا (.. أخبرني بالسبب)، إذا سمحت لي بهذا السؤال، من فضلك [هكذا حرفيا]" فأجابه سوتشين، بقوله: "قد لبثت في بلادكم قليلا، فإذا بي أفاجأ بأن ثمن الطعام أغلى من سعر المجوهرات الثمينة، وأن الحطب (االذى توقد به النار) أعز من النباتات والأعشاب الطبية، واكتشفت أن السعاة والموظفين المكلفين بترتيب الإجراءات الإدارية والعمل على تسهيل مهمتي، يمرقون من أمامي كالأشباح الهاربة فلم أجد منهم من أستعين به في قضاء المهام الضرورية، وبدا لي أن اللقاء مع جلالتك أعز طلبا من مقابلة رب السماء، وعلى أية حال، فها قد أتيح لي - أخيرا - أن أطعم الجواهر الثمينة وأن أستعمل الأعشاب الطبية في إشعال الوقود بدلا من الحطب، وأن ألتقي بمقامك الأشرف كما لوكنت ألتقي بإله السماوات ". فقال له الملك:" أرى أيها السيد الكريم أن تذهب إلى دار الضيافة لتريح جسدك فقد فهمت ما ترمي إليه".

لما طلب الملك الحاكم من دولة وى

طلب الملك هواى، حاكم تشو، من دولة وى القيام بطرد تشانغى من البلاد، فلما سأله تشين جن عن السبب في طلبه هذا، أجابه الملك بقوله: "لم أعهد فيه، كرجل دولة مسئول، أي قدر من الإخلاص ولا أية دلائل من الثقة". فقال له تشين جين: "إن كان غير مخلص، فلا تتخذه وزيرا، ومادمت قد وجدته غير جدير بثقتك، فلا تعقد معه ميثاقا أبدا، وفوق ذلك كله، فما الذى يضيرك إذا كان الرجل الذى تراه غير أهل للثقة والإخلاص أحد وزراء دولة وى وليس أحد رجالك المقربين!؟ وما النفع الذى كان يعود عليك لو كان تشانغى على القدر التام من الإخلاص والثقة؟ والآن، وبعد أن رأيت أنه من المناسب أن يتم طرد تشانغى من منصبه الوزارى، فيمكنك ان تعبر عن رغبتك هذه لملك وى، وربما يستجيب جلالته لطلبك، ولو سار الأمر على هذا النحو، لما كانت هناك آية مشكلة، لكن افتراض أنه رفض طلبك، فكيف بك وأمراء الأقاليم والدويلات يرون طلباتك تلقى الرفض، وتوسلاتك تقابل بالاستهانة، أما تصير في مأزق شديد، وأزمة على درجة بالغة من الحرج؟ ثم انظر إلى الأمر من الجهة المقابلة، وتأمل الوضع الذى يمكن أن تجد دولة وى نفسها فيه، خصوصا أن دولة وى بعتادها العسكرى البالغ عشرة

آلاف عربة مقاتلة، هي التي يراد منها أن تسحب الثقة من وزيرها الأعظم... وأقل ما يمكن أن يقال عنها أو أن توصف به عندما توافق على طلبك، هذا أنها تذعن لإملاءات تفرض عليها تحت التهديد والضغط، وكفى بهذا إهانة بالغة". [وكانت مشكلة تشانغي، أنه، وهو الوزير الأعظم لدولة وي، يخطط لعقد تحالف بين وي وتشين وهان لضرب كل من تشي وتشو؛ فلذلك أراد حاكم تشو عزله من منصبه وطرده].

لما ذهب تشانغى فى زيارة إلى دولة تشو

ماكادت تنقضى فترة من الوقت بعد وصول تشانغى إلي دولة تشو، حتى نفدت الأموال التى كان يحملها معه في سفارته، فضج العاملون الذين كانوا يقومون بخدمته ورعاية شئونه، وفكروا في العودة إلى بلادهم، فقال لهم تشانغى: "لابد أنكم تريدون العودة؛ لأن ملابسكم قد تهرأت، فانتظروا حتى ألتقى بملك تشو (وأتدبر أمر توفير بعض المال!) وكان ملك تشو في تلك الأثناء يقرب إليه امرأتيه: السيدة نانهو، والسيدة جنيشو، ويميل إليهما بكل قلبه، فلما ذهب تشانغى لمقابلة جلالته، بدا عليه الضيق والتبرم بهذه المقابلة، فابتدره تشانغى قائلا: "أريد أن أعرف طلبات جلالتك من دولة سان جين [.. أي دولة "وي"، وهي تسمية اشتهرت بها تلك الدولة أثناء فترة" الدول المتحاربة"] فأجابه: "لدينا في تشو كل ماتشتهيه الأنفس من: الذهب، والعاج، وقرن الكركدن [هكذا] فليس هناك مايمكن أن نطلبه من دولة وي". فقال له تشانغى: "ألاتحب النساء يامولاى؟" فأجابه: "ماذا تقصد بقولك هذا؟" فقال: "ألا ما أجمل وأشهى وأحلى نساء" الهان" و"جاو" ببشرتهن البيضاء وشعرهن الأسود الفاحم، إنهن يخطرن في الطرقات فيتهيأ لمن لايعرفهن أنهن الحور أو بنات الآلهة قد نزلن من الجنان أو هبطن من علياء السماء". وهنالك قال له الملك: "هاقد أدركت أن دولة تشو شديدة البعد (عن لمسات التحضر والجمال) بموقعها المتطرف وحدودها النائية؛ إذ لم يسبق لى أن رأيت، في حياتي، مثلما وصفت من تلك الروعة والحسن والجمال، فلماذا أنأى بنفسى (أنا الآخر) عن الاستمتاع بالجمال الأنثوى الفتان؟"، وهكذا فقد سارع ملك تشو إلى الإغداق على تشانغى بالكثير من المجوهرات والأحجار الكريمة و اللآلئ الثمينة.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

فلما علمت المرأتان: نانهو، وجنشيو بما عزم عليه تشانغى من إدخال السرور على قلب الملك باللهو مع الحسناوات، تكدر حالهما وبلغتا من الخوف مبلغا عظيما، وأرسلتا إلى تشانغى من همس له: "إنه قد بلغنا أن فخامة القائد ذاهب إلى دولة وى (فى مهمة عاجلة) ولما كنا نجد بحوزتنا ما يكفى من المال والجواهر، فقد رأينا أن نهديك منه ماتسخو به على عمالك وتتجهز به فى حملتك [حرفيا: تشترى به علفا لجيادك!]" ثم إنهما أرسلتا له ما مقداره خمسمائة مثقال من الذهب.

ولما أوشك تشانغى على الرحيل، تكلم مع الملك، قائلا: "قد صارت كل الطرق مغلقة بسبب ماأقدمت عليه الممالك من سد كل الممرات المؤدية إلى مواقعها الحصينة، ولا أدرى [إذا خرجت فى سفرى هذا] متى أعود إليك، فكم أتوق إلى شراب معك نخب الوداع". وأبدى الملك كل الترحيب وقدم له أقداح الخمر، ولعبت النشوة بالرءوس، وأصاب تشانغى قدرا من الثمالة، وتكلم مع ملك "تشو" بكلام مشوب بسكرة الشراب، وراح يشكره ثانية ويرجوه قائلا: "ليتك، يامولاى، تدعوإلى جلستنا هذه من تطيب لك صحبته، فنشرب جميعا ويصفو لنا الوقت". وهكذا فقد وافق الملك على هذا الاقتراح، ودعا برفيقتيه جنشيو ونانهو لمشاركته تلك الجلسة الرائقة، وهنالك أثنى تشانغى على الملك وقال له فيما يشبه الاعتذار: "أريد أن تغفر لى ما اقترفته فى حق جلالتك من إساءة بالغة"، وعندما استفسر منه جلالته عن سبب قوله هذا، أجابه: "قد طفت بأرجاء البلاد والممالك كلها، فلم أر مثيلا لهاتين السيدتين فى حسنهما ورقتهما وظرفهما، فكم كنت ضالا ومخادعا وكاذبا عندما طالعتك بموضوع النساء الفاتنات وماإلى ذلك". فقال الملك : "لا عليك من هذا الأمر، فلطالما ظننت أن ليس على الأرض كلها نساء فى مثل جمال وفتنة هاتين المرأتين".

لما قام الملك هواى بإيفاد جاوجى

قام الملك هواى، حاكم تشو بإيفاد جاوجى إلى دولة تشين، وذلك للقيام بحملة دعاية سياسية تهدف إلى إقناع المسئولين هناك بتعيين تشانغى (فى منصب بارز)، لكن القدر لم يمهل حاكم تشين (جلالة الملك هواى) الذى توفى فى تلك الأثناء، فما كان من خليفته على العرش (الملك أو) إلا أن قام بطرد تشانغى من البلاد، ومن ثم فقد تحرك ملك تشو، على الفور وقام، من جانبه بإلقاء القبض على جاوجى فى محاولة منه للتودد إلى دولة تشى، وقد حاول "هوان سان" أن يخرج جاوجى من تلك الأزمة بأن ذهب مباشرة إلى ملك تشو، وقال له: "تعرف جلالتك أن التحالف بين الدول الثلاث: تشين، وهان، ووى، لم ينجح بعد، ويرجع ذلك إلى حجم السلطة التى يملكها تشانغى فى تصريف الأمور بدولة تشين ثم إن علاقته وثيقة جدا بذلك المدعو جاوجى، فلئن كان الملك هواى قد توفى، وقام مكانه الملك أو، وتم طرد تشانغى؛ فلابد أن نفوذ كل من كانماو، وكونسون هاو سيبلغ شأوا كبيرا، ولك أن تعرف أن علاقة كانماو بدولة وى قوية جدا، وكذلك فإن صلة كونسون هاو بدولة هان متينة للغاية، وإذا عرفنا أيضا أن علاقة هذين الرجلين بـ"جاوجى" بالغة السوء، فلابد إنهما سيقترحان على دولة تشين التحالف مع كل من وى، وهان، وإذا كانت هاتان الدولتان تعظمان شان تشانغى (فى وقت ما من الأوقات)؛ فلأنه كان الرجل الذى يقبض على زمام السلطة الفعلية فى تشين، بل كان جاوجى يعظم شأنه أيضا، ويبجله كل التبجيل معتمدا على قوة دولة تشو؛ وبالنظر إلى ذلك كله وإلى مانره اليوم ماثلا أمامنا؛ إذ نجد تشانغى مطرودا من تشين وجاوجى تحت الاعتقال، فلابد أن كلا من هان، و وى ستسعيان إلى توثيق علاقتهما بـ كانماو وكونسون هاو، إذا مابدا لهما أن تستميلا تشين لمؤازرتهما، ولابد أن هــذين الرجلين سيحثان هان و وى على مهاجمة دولة تشو، تحقيرا واستصغارا لشأن تشانغى، وهو مايعرض مصير مدينة "فان" للخطر الشديد، وأرى ياامولاى، أن من الأفضل إعادة الاعتبار إلى جاوجى وتمكينه من سلطاته السابقة، مما سيدفع بدولتى وى، وهان إلى تنصيب تشانغى فى

أهم المواقع الوظيفية، وهكذا يتمكن، فى موقعه الجديد، من مهاجمة تشين، معتمدا على قوة تشو وقوة منصبه ونفوذه فى وى. وعندما تقلع دولة وى عن أى نشاط للتحالف مع تشين، فلابد أن دولة هان (هى الأخرى) ستمتنع عن أن تكون مجرد ذيل تابع لـ"تشين" وهنالك تزول سحابات الخطر المنعقدة فوق مدينة "فان".

– لما قام تشانغى بطرد هويشى

قام تشانغى بطرد هويشى [أحد مواطنى سونغ، عمل رئيسا لوزراء وى، ويقال بأنه كان فيلسوفا مشهورا فى زمانه] من دولة وى، فقصد إلى دولة تشو، حيث استقبله حاكمها وشمله برعايته؛ مما دفع بواحد من المسئولين (ويدعى فنغهاو) إلى أن يقصد جلالته، ليقول له: "(اعلم) يامولاى أن الرجل الذى قام بطرد هويشى هو تشانغى، ومع ذلك فهأنت تستقبل الرجل لاجئا فى أرضك وتكرم وفادته؛ وهو مايمكن أن يوصف باعتباره خداعا وغدرا بما بينك وبين تشانغى من المواثيق؛ لذلك فإنى أستطيع الحكم على تصرفك هذا بأنه سلوك غير صائب؛ ذلك بأن لجوء هويشى إلى تشو مطرودا بيد تشانغى يمكن أن يفسد أجواء علاقتك مع تشانغى، وهو أمر لن يرضاه اللاجئ المسكين، هذا بالإضافة إلى ما يعلمه الجميع من قيمة هذا الرجل والاحترام البالغ الذى يشغله فى قلب ومشاعر ملك سونغ.

وتقديرى أن الإقدام على تصرف من شأنه أن ينقل أحد أخلص وأنبل أصدقائك من صف الموالين المبجلين إلى صفوف الأعداء الناقمين؛ يعد قرارا بالغ التسرع والتخبط، (فمن ذا يمكن أن يقتنع بأن قرارك يهدف إلى تحقيق مصالح البلاد العليا؟) وهكذا، فالأفضل أن ترسله إلى دولة سونغ، حيث ينخرط فى صفوف مواطنيها (بكل ترحيب وقبول) ثم تبلغ تشانغى بما نصه.." أرجو الإحاطة بأنى سوف أقوم بإبعاد "هويشى" عن بلادنا، لأجلك أنت، رعاية لحقك علينا!" ولابد أن تشانغى سيشعر ببالغ الامتنان لجميلك هذا، (هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى) فإن جلالتك ستبدو أمام

اللاجئ الكريم وكأنك لم تشأ أن توقعه في مزيد من التعقيدات والمحن التي يمكن أن تواجهه (إذا ما أقام بأرضك) ومن ثم فقد رأيت من الأوفق أن تصحبه إلى طريق سفره نحو دولة سونغ، وهو ماسيحمده لك ببالغ الشكر والاحترام؛ وبهذه الطريقة تكون قد ساندت موقف تشانغي على نحو ملموس، وأثَرْتَ في قلب هويشي مشاعر الامتنان لك". وعندئذ فقد أبدى الملك موافقته التامة على هذا الرأى وبالفعل فقد بادر إلى إرسال هويشي إلى دولة سونغ حيث يتم استقباله بكل سرور.

لما قامت الدول الخمس بمهاجمة تشين

قام تحالف الدول الخمس: تشو، وجاو، ووى، وهان، ويان بمهاجمة دولة تشين، ورأت دولة وى أن تسعى فى إقرار المصالحة مع تشين، ومن ثم، فقد أرسلت هويشي إلى دولة تشو، حيث تم الإعداد لإيفاد هويشي إلى تشين ليرأس مباحثات الصلح معها.

وهنالك، ذهب دوها إلى تشاويانغ [وزير عظيم بدولة تشو] وقال له: "من الملاحظ أن الدول الخمس المهاجمة لدولة تشين قد تحركت تحت قيادة دولة تشو، التى تستقبل اليوم هويشي قادما إليها باسم دولة وى، ثم إنكم ستوفدونه إلى تشين لعقد المصالحة، والمعنى المبطن فى الأمر كله، والذى ستفهمه تشين بوضوح، هوأن الحرب إذا قامت فإن "تشو" لها اليد الطولى والزعامة فى إشعال فتيل النار، أما إذا تعلق الأمر بالسلام فإن وى هى التى تتزعم الجميع، وأرى من الأفضل أن تضرب صفحا عما يقوله لكم هويشي، على أن ترسلوا، من قبلكم، وفدا يطالب بالمصالحة والإذعان لمطالب تشين". .. وبالفعل فقد وافق تشاويانغ على هذا الرأى، وقال لـ هويشي: "(كما تعرف) فإن كل الدول المهاجمة لدولة تشين كانت تتحرك ضمن فريق بزعامة دولة وى، فإذا ذهبت معى الآن إلى تشين لعقد مباحثات الصلح، فسوف تكون الفوائد الطيبة من نصيب دولة تشو، أما بلادكم (وى) فلن تجنى سوى الحسرة والمرارة، فارجع الآن إلى بلدك، وسوف أوفد من طرفى رسولا إلى وى ليرتب معها اتفاق السلام مع تشين، بحيث تتم الوساطة، فى ذلك، عن طريقها".

- الجزء الثانى من الفصل نفسه

ثم عاد هويشى إلى دولته، وقد صار قلب الملك مشغولا، ودارت برأسه الأفكار وركبته الهموم، وحدث أن ذهب دوها إلى تشاويانغ، وقال له: "تعرف أن دولة وى لم تبادر إلى إشعال فتيل الحرب إلا لأجلكم، وتعرف أيضا أنها خسرت نصف قواتها فى هذه الحرب وعندما أبلغتكم بما تعرضت لها قواتها من أزمات ومشاكل، تغافلتم عنها، بل عجزتم عن إقرار السلم عندما طالبت الجميع بالنهوض إليه، ولاأظنكم تستطيعون الخروج من المأزق الحرج الذى يمكن أن تضعكم فيه إذا ماعنّ لها أن ترجع القهقرى؛ لتطلب المدد والعون من دولتى تشى، وتشين، فهل حقا تملكون الخروج من تلك الورطة لو وقعتم فيها؟ (من الوارد جدا) أن تجد دولة تشو نفسها داخل إطار كبير من العزلة تحيط بها من كل جانب، حيث تكمن لها، جهة الشرق، دولة" يوى" بما يمكن أن تخلفه لها من عقبات (ومضايقات) وإلى الشمال تقبع دولة وى، التى لن تتحمس لتقديم أى عون يذكر، هذا بالإضافة إلى أن تشو لم تبادر حتى الآن، إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع كل من دولتى تشين، وتشى . وهكذا فليس أفضل من الإسراع إلى طلب الصلح مع دولة تشين"، وهنالك أقرّه تشاو على وجهة نظره، وأرسل مبعوثا إلى كل من وى وتشين لإبلاغهما برغبة تشو فى الصلح معهما .

عندما طلب تشن جن من ملك تشين الإذن بالسفر

طلب تشن جن من حاكم تشين الإذن بالسفر إلى دولة وى، وكان تشانغى قد التقى بحاكم وى وتحدث إليه بما يسئ إلى تشن جن أشد إساءة، قائلا: "(ولتعلم جلالتك) أن المدعو تشن جن مافتئ يعمل لما فيه مصلحة دولة تشو، ويبذل كل جهد ممكن للحصول على مساحات من الأرض كى يضعها تحت سيادة تشو". وهنالك تحدث تسو شوان [أحد مواطنى دولة وى] إلى تشن جن، قائلا: "إن العلاقة بين تشانغى وجلالة ملك وى لاتنفصم عراها، وهو موضع ثقة جلالته للغاية، ومهما حاولت أن تقنع القصر بوجهة نظرك؛ فلن تجد آذنا صاغية، وهكذا، فإنى أرى من الأفضل لك أن تتخذ من مقالة تشانغى ضدك تكأة (للاحتجاج) والعودة إلى تشو".

فاقتنع تشن جن بكلام محدثه، وأرسل من قبله من قام بنشر افتراءات وأكاذيب تشانغي وسط الممالك، كي تصل الأخبار بذلك إلى مسامع ملك تشو، وبالفعل فقد علم جلالته بما قيل وسر بالغ السرور وعزم على سحب مبعوثه تشن جن من دولة وى.

لما قامت قوات تشين بغزو عاصمة دولة هان

قامت قوات تشين بمهاجمة "إيانغ" عاصمة دولة هان، وحدث أن تكلم الملك هواى، حاكم تشو، مع تشن جن، فقال له: "بلغنى إن "هانشى" [رئيس وزراء دولة هان] يتمتع بذكاء خارق، وأنه يعرف تفاصيل ودقائق الأمور والأحداث فى مختلف الولايات والدويلات وأكبر الظن أنه سيجد وسيلة ما يحفظ بها العاصمة إيانغ من السقوط فى براثن الاحتلال؛ ولذلك فقد واتتنى الفكرة بأن ندفع بقواتنا كى تقوم بالتحصن فى العاصمة لحراستها، على سبيل المؤازرة له، فى ذلك الوقت العصيب، وهو ماسيظل يذكره لنا بوافر الامتنان". فأجابه تشن جن: "دعك من هذه الفكرة، يامولاى، فلست فى حاجة للدفاع عن العاصمة إيانغ، ثم إن ذكاء وعبقرية ودهاء هانشى، لن ينفعه بشىء عندما يتعلق الأمر بالعاصمة، بل أظن أنه سيقع فى مأزق كبير هناك.. (وقد قيل فى الحكايات..) إن الأيائل البرية الكائنة بجبال" شانزى" هى أكثر الدواب دهاء ومكرا (وعلى الرغم من ذلك..) فإنها عندما تشعر بالصياد وقد أعد شباكه وأقبل نحوها يريد أن يوقع بها فى أحابيله، تلتفت نحوه وتثب عليه؛ تريد أن تنطحه بقرونها، مما يمكنه من صيدها بسهولة، وقد أدرك عاداتها، بتكرار محاولات اصطيادها والوقوف على طبائعها وألاعيبها، وها هى ذى الدويلات قد عرفت أن الأمور تنطوى على الكثير من الألاعيب والمؤامرات الخفية، ولابد أنها قد نثرت شباكها وأعدت أحابيلها وتقدمت بخطوات حريصة ومحسوبة، فالأسلم لنا ولك يامولاى، أن تصرف النظرعن فكرتك تلك، ولاشأن لك بالدفاع عن إيانغ، خصوصا بعدما صار ذكاء الرجل الداهية هانشى محل اختبار صعب"، وهكذا، فقد أخذ الملك بنصيحة الرجل، وحدث فيما بعد أن سقطت العاصمة إيانغ، بالفعل، فى أيدى قوات تشين، وهو ما كان قد توقعه تشن جن وعمل له ألف حساب.

لما ذهب تانجيو لزيارة رئيس وزراء دولة تشو

ذهب تانجيو لزيارة شونشن جوين [رئيس وزراء دولة تشو، في عهد الملك كاولي]، وقال له: "يتظاهر أهل دولة تشي بامتلاك ناصية القول وفنون الكلام ومهارات العلوم؛ أملاً في الحصول على المناصب والثروات، وهو ماأراه سلوكا معيبا ومشينا للغاية، ويحسن بالمرء ألا يحاول تحصيله والسير على منواله.

وقد عزمت على أن أخوض غمار البحار وأن أجوب الطرق والمسافات الطويلة كي ألقاك؛ لأني أحترمك وأعظم قدرك النبيل، وألمس صدق مشاعرك الكريمة، وأرى أنك بالغ في مسعاك غاية النجاح والتوفيق. ثم إنه قد بلغني أن الممالك تنظر إلى السيدين "منغ بن" و"جوانجو" بوصفهما بطلين من أشجع الرجال، مع أنهما، في الواقع، لا يحملان في قلبيهما إلا العداوة ونوايا الغدر [حرفيا: يخبئان داخل صدريهما المدى والمخارز المدببة القاتلة] وعلى هذا النحو فإن الناس جميعا يتطلعون بعين الإعجاب إلى "شيس" ويعدونها أجمل امرأة في الدنيا، برغم أنها لاترتدي إلا الخشن (الرديء) من الثياب.

ولئن كنت تجد نفسك غير قادر على بلوغ ماتؤمل من النجاح وما تصبو إلى تحقيقه من الأهداف، على الرغم من موقعك الوظيفي كرئيس لوزراء دولة تشو ذات القدرات العسكرية الجبارة [حرفيا: دولة تملك عشرة آلاف مركبة عسكرية] على الرغم من مانعقد لك من السيادة التامة فوق الحشود العسكرية المتمركزة في دويلات السهول الوسطى؛ فإنما السبب في هذا يرجع إلى قلة مساعديك من الوزراء، وكذلك فإن الرّخ [قطعة رئيسية في لعبة الشطرنج الصيني القديم] يمتلك قدرة هائلة على التصرف والتحرك بفضل ما تمده إياه القطع الخمس من السانزي التي تحيط به، فإذا ضاعت تلك القطع وصار الرّخ وحده، عجز عن الظفر بأنداده على الشطر المقابل، وهذا أمر مفهوم بالبداهة، فما الذي يمنعك من أن تصبح الرّخ فوق رقعة الممالك ويصير الوزراء أعوانك الخمسة المحتشدين حولك لنصرتك ؟".

سجل تشو الرابع

لما تحدث أحدهم إلى جلالة الملك كاولى

ذهب إلى الملك كاولى، حاكم دولة تشو، من قال له: "قد بلغنى أن أولئك الذين يدعون إلى خطة التحالف الرأسى بين الأمم، إنما يبغون من ذلك أن يجمعوا إليك أمراء الدويلات وقد ائتلف حشدهم تحت رايتك، ليعظموا أمرك ويخضعوا لسلطانك وسطوتك، فانظر فيما أقول لك من كلمات، لا أريد بها إلا النصح لك.. ألا إنه لامناص من أن تبادر إلى العدل؛ فتصلح به ماجار عليه الظلم، وأن تسدد خلل المحن بما مددت من يد العون، فذلك مالاتقصر دونه همة ذوى المروءة. واعلم أن من الطرق الحكيمة فى تصريف الأمور أن تعمد إلى النحوس فتحيلها إلى طوالع السعد والتفاؤل، وأن تجعل مع القليل الكثير، (واذكر) أن الكريم من لانت له مقاليد الأمور، وأدرك مغزى تقلب الأشياء، وتبدل الأحوال من كسب وخسارة أو شقاء وسعادة؛ فالكرب قرين الفرج، والموت رفيق الحياة، فلا ذكر لمن طغت به كفة الموت، ولا حكمة لمن استبدت به مطالب الحياة .. وغفل عن الموت، واعلم أنه لن يسلم من يد أعدائه، من لم تقع بلاده تحت نير الاحتلال الغاشم، ولطالما طعنت دولة تشين فوق الأرض وعاثت فسادا دون أن ترعى للخلق الكريم ذمة أو تقيم لمنهاج السماء اعتبارا، وأهل الممالك، عن ذلك غافلون. إن من يسيرون بين الأمم، اليوم، يدعون بلسان معسول وقول فصيح إلى خطة التحالف الأفقية (مع دولة تشين)، لايريدون بذلك إلا مرضاة الولاة وسلب الناس أقواتهم أكثر من ذى قبل، ويتظاهرون بالعمل لما فيه مصلحة الدولة غير أن قلوبهم تتستر على المطامع والأهواء الذاتية، وقد هانت عليهم هيبة السلطة الحاكمة، فاستصغروا شأنها، حتى غدت مقاليد الحكم فى البلاد أهون من ريشة فى جناح طائر، بينما تراكمت الفتن والمصائب حتى أمست أرسخ وأطول من الجبال والتلال".

- لما اهدى ملك دولة وى إلى حاكم تشو جارية حسناء

أهدى الملك "آى" حاكم دولة وى امراة بارعة الجمال إلى الملك هواى حاكم تشو، فأعجب بها جدا، وعلمت امرأته جنيشو بذلك الخبر، ولمست بنفسها مدى افتتان الملك، بعروسه الجديدة، فأحبتها وبذلت لها العطف والحنان، وصارت تأتى لها بما تحب من الثياب وأدوات الترويح عن النفس، ومنحتها من الأثاث والحجرات ما حسن فى عينها أن يكون فى حوزتها، حتى فاق حبها للمرأة الجديدة حب الملك، (مما أثار دهشته..) حتى قال: "إن السيدة، حرمنا الغالية [المقصودة هنا هى جنشيو] لم تقصر فى خدمتنا بأغلى ماالديها، حتى لقد بذلت فى ذلك مالاتبذله عامة النساء؛ إذ الغيرة طبع فطرى فيهن؛ ولئن كنت ما ألحظه من الحب الذى تشعر به السيدة جنشيو نحو الزوجة الجديدة (صادقا وغامرا) زائدا عما أكنه لتلك العروس من مشاعر، فإنما هوالبرّ الذى يبذله المرء لوالديه، والإخلاص الذى تفيض به جوانح أكثر المعاونين (الوزراء) بمنتهى التفانى".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وعرفت السيدة جنشيو أن الملك يدهش لعدم شعورها بالغيرة مثل باقى النساء (وساءها ذلك كثيرا) فذهبت إلى العروس الجديدة وأسرّت لها قائلة: "إن جلالة الملك معجب بملامحك الجميلة ووجهك الفاتن، لكنه، للأسف الشديد، يبدو ناقما على شكل أنفك، ولذلك فقد رأيت ان أنصح لك بأن تدارى هذا الأنف التعس، كلما التقيت بسيدك الملك"، ولاحظ جلالته أن العروس الجميلة تحجب أنفها بيدها، إذا ما التقت به فاستغرب جدا وراح يسأل السيدة جنشيو عن سر هذه الظاهرة، قائلا: "إنى أدهش لأمر تلك المرأة التى كلما صادفتنى، غطت أنفها بيدها، أتعرفين السبب وراء ذلك؟" فأجابته:" نعم، أعرف السبب يامولاى، (.. لكنى لا أدرى كيف أقول لك؟)" فاستحثها بقوله: "أخبرينى بما تعرفين، مهما كان السبب"، فتكلمت قائلة: "الحقيقة انها لاتحتمل رائحة جسدك، وتزعم أنها لاتطيق ماتشمه من رائحة كريهة"، فصاح جلالته غاضبا: "ياللوقاحة!"، ثم أصدر امرا ملكيا بجدع أنف تلك المرأة الجميلة مع التنويه بسرعة التنفيذ دون قبول أى نقض أو إبطاء مهما كانت الأسباب.

لمـا توفيت امرأة حاكم تشو

توفيت امرأة حاكم تشو، (ومضى وقت طويل) دون أن يختار جلالته من تخلفها لتصير زوجة له، فذهب إلى تشاويو [وزير عظيم بدولة تشو] من قال له: "لماذا لاتطلب من جلالة الملك الإسراع في اختيار امرأة أخرى لتصير زوجة ملكية لترث موقع المرأة المتوفاة؟"، فأجابه: "أخشى إذا لم يكترث الملك بكلامي ألا تلقى وجهات نظرى أى قبول عنده، مما يعنى الوقوع فى الكثير من الأزمات والمشاكل، بل قد يصل الأمر إلى حدوث القطيعة بينى وبين الزوجة الملكية الجديدة، فيحل الجفاء معها محل الود والتفاهم" فاقترح عليه محدثه أمرا؟ إذ قال له: "فإذا كان الأمر على هذا النحو حقا، فلماذا لاتبادر إلى شراء خمسة أقراط، مما تتزين به النساء فى آذانهن، على أن تجعل بينها قرطا واحدا يتميز، دون الباقى، بروعة تصميمه وحسن منظره وجودة سبكه، ثم تهديها جميعا إلى جلالته، ثم تتطلع فى اليوم التالى إلى آذان نساء القصر فمن رأيتها ترتدى القرط المميز، كانت هى موضع ترشيحك، إذ تخاطب الملك بشأنها فتقترح عليه اتخاذها زوجة ملكية".

لمـا تحدث الوزير جوانشين إلى الملك

تحدث الوزير جوانشين [وزير عظيم بدولة تشو] إلى جلالة الملك شيانغ حاكم البلاد، وقال: "أراك يامولاى قد قربت إلى مجلسك، عن يمينك وشمالك، كلا من (الوزيرين) جوهو، وشياهو؛ وجعلت من خاصة أتباعك (الذين يسيرون خلف موكب عربتك) الوزيرين "يان لينجون"، و" شولينجون" (وفى أجواء تلك الصحبة) صرت تتقلب فى مراتع اللهو والاستهتار والخلاعة والتبذير والإسراف، دون أن تعطى الانتباه الكافى لأخطر قضايا البلاد، مما سيعرض مصير العاصمة "إينغ" للخطر الشديد". ورد عليه الملك، قائلا:" هل جننت أيها الرجل؟ هل فقدت صوابك؟ أم أنك ترانى نذير شؤم على الوطن؟" فأجابه :" بل أستطيع أن أتصور النتائج المؤكدة، المترتبة على تصرفات جلالتك، وليس لى أن أجرؤ على القول بأنك نذير شؤم على البلاد، لكنى أرى بأنك مادمت قد

عزمت على أن تقرب إليك أولئك الأربعة المشار إليهم، فسوف تنهار البلاد وينتهي مصيرها إلى الزوال، ولي رجاء عند جلالتك بأن تذهب إلى دولة "جاو" سرا، دون أن تفصح عن شخصيتك على أن تقيم هناك بعيدا عن الأنظار، وتراقب تطورالاحوال"، وغادر جوانشين دولة تشو ذاهبا إلى جاو وأقام هناك مدة خمسة أشهر، وبالفعل فقد قامت دولة تشين بالإغارة على عدة مناطق في تشو منها: يان، وإينغ، وأو، وشان تساى، وتشن . وكان الملك شيانغ مختبئا في مدينة " تشن يانغ"، حيث طلب سرعة إرسال مبعوث خاص لاستعادة الوزير جوانشين من دولة جاو، وقد لبى الرجل أمر الملك، فلما عاد إلى تشو ومثل بين يدى جلالته ابتدره قائلا:" لم أكن أستطيع أن آخذ بنصيحتك، فكيف العمل الآن وقد وصلت الأمور إلى هذا الحد؟ (ماالذى تقترحه علينا الخروج مما نحن فيه؟".

- الجزء الثانى من الفصل نفسه

ورد عليه الوزير جوانشين، قائلا: "قيل فى المثل الشعبى السائر:" قد تنصلح الأحوال، حتى بعد فوات الفرصة وضياع الغنيمة" [حرفيا: قد يمكنك أن تستحث كلبك على مطاردة الأرنب البرى، حتى بعد فراره، وربما أفلح من أصلح باب حظيرته حتى بعد ضياع ماشيته!] وقد بلغنى أن الإمبراطورين (الحكيمين) "طانغ" (من آل شانغ) و"أو" (آل جو) استطاعا، فى قديم الزمان أن يقيما عروش حكم امبراطورى وطيد الأركان، بما تمكنا من استغلاله من أراض لا تتجاوز مساحتها مائة "لى" مربع، (ومن ناحية أخرى) فقد كان الملكان الطاغيتان: تشو (آل تشانغ)، وجيه (آل شيا) يحشدان وراءهما شعوبا ويتسيدان فوق الممالك، ومع ذلك فقد تبدد ملكهما وعفت الأيام آثارهما.

ولقد يقال الآن، بأن دولة تشو صغيرة المساحة، لكنها مازالت تحوز عدة آلاف "لى" مربع (أى أكثر من مساحة تلك الدويلات التى لم تزد عن مجرد مائة لى مربع!).

الجزء الثالث من الفصل نفسه

"ألم يسبق ياجلالة الملك أن تأملت أحوال حشرة اليعسوب الطائر؟ هو ياسيدى مجرد مخلوق ضئيل الجسم، له ستة أقدام وأربعة أجنحة، ويطير فى الهواء، ويصطاد البعوض والذباب، وعندما يعطش يرفع رأسه ويلعق قطرات الندى، يمرح فى أجواء الفضاء دون أن تهدده الأخطار، وبما أنه لايؤذى أحدا، من الناس، فلا يتوقع أن تمتد إليه يد العدوان، ومع ذلك فهو لاينجو من أحبولة يصنعها له صبى، يكاد لايتجاوز طوله ثلاثة "تشى" [حوالى المتر]؛ إذ يرفع فى الهواء قصبة رفيعة قد طليت بالغراء والمواد اللا صقة، فيقع عليها اليعسوب ويلتصق بها جسده، ثم يموت ويصير حطاما تأكله دواب الأرض والنمل؛ بل ربما كان مايلقاه العصفورالأصفر أسوأ مآلا من مصير اليعسوب؛ ذلك أن مثل هذا النوع من العصافير قد اعتاد ان يهبط من عليائه فيلتقط حبوب الأرض، حتى إذا شبع، وطار وجثم فوق الأغصان النضرة، وهو إذ يمد جناحيه ويرفرف مزهوا فى أجواز الفضاء، ويمرح آمنا مطمئنا دون أن ينغص عليه مكروه؛ فهو لايضمر أية نوايا سيئة لأى إنسان، ولذلك فقد أمن جانب البشر، وعلى الرغم من ذلك، فإن كثيرين من أبناء الأمراء وذوى الجاه يعمدون إلى اصطياده، وقد جهزوا (لاصطياده) المقاليع والحجارة [حرفيا: فى اليد اليسرى المقلاع، وفى اليمنى أمسكوا بالحجارة] ثم رموها وهى تحلق فى قلب الفضاء، وجعلوا أعناقها هدفا لوابل من الحصى والحجارة (وهكذا..) فإذا الطيور اللاهية بين الأغصان الزاهية فى الصباح، تتحول إلى شرائح من اللحم المطهى فى أطباق الموائد العامرة وقت المساء؛ ذلك أنها، بين طرفة عين وانتباهتها، قد وقعت فى الشرك الذى نصبه لها الأطفال الأشقياء [يقول المحققون: إن فى النص تقديم وتأخير، فكان يجب أن تتقدم هذه العبارة الأخيرة على سابقتها].

الجزء الرابع من الفصل نفسه

"ولا أبالغ إذا قلت لك إن أمر العصفور الأصفر يهون كثيرا، إذا ما قورن بحال الإوز البرى الذى لاتراه إلا سابحا فى مياه البحار، أو قابعا فى جنبات النهار، يلتقط بمنقاره أسماك الشبوط، او طحالب الماء، وبين الحين والآخر يشرع جناحيه ويضرب

بهما فى الهواء ثم يطير محلقا فى الأعالي، ولايصده عن الطيران شيء، ولا يفزعه تقلب الأحوال والأقدار، وقد انعقدت بينه وبين بني البشر معاقد الأمن والسكينة؛ لأنه لايؤذى أحدا منهم، ومع ذلك فلم يكن يدرى بما يخبئه له القدر، على يد الرماة الذين أصلحوا سهامهم، فركبوا عليها الأوتار وتنكبوا السهام (السوداء)، بعد أن ربطوها بالأشرطة الحريرية الرفيعة، ورموا بها الإوز الطائر فى الأجواء العالية الممتدة فى السماء لمسافة تزيد على سبعمائة تشى [حوالى مائتين وثلاثين مترا] حيث تنغرس فى الأجساد السابحة فى الهواء، وقد تدلت منها الخيوط الحريرية، فيجذبها بها الرماة بأيديهم فتهوى بالطيور الدامية إلى الأرض؛ وهكذا فإن الطيور التى كانت تلهو فى الصباح بين شطآن الأنهار والخلجان، لايأتى عليها المساء إلا وقد صارت لحما سائغا للآكلين على مآدب العشاء".

الجزء الخامس من الفصل نفسه

"ثم إن حكاية الإوز البرى تعد هينة إذا ماقابلناها بموضوع النبيل" تساى شنهو": الذى دأب على السفر إلى الجنوب للهو والمتعة فى إقليم"قاوبى" (ثم إذا قضى وطره من الرحلة هرع..) إلى الشمال ليواصل المجون والعربدة فوق تلال "أوشان"، وينزل إلى سفح التلال ليشرب هنيئا من مياه نهر شيانغ، ويأكل مريئا من أسماكه، وإذ تغمره نشوة الترف الماجن، يحيط عنق محظيته بيده اليسرى، ويمناه تضم إليه صدر فتاته الحبيبة، ويدور معهما فى دائرة الأيام على هواه، وقد أطلق لجوادالقصف الماجن كل العنان، يرمح أينما رمحت به الليالى، فلايدع موطنا للمجون إلا حلّ به، حتى لم يعد يكترث لشئون البلاد ومصالح الوطن، وهكذا فلم يكن له أن يدرك مايدبر له من قبل القصر الحاكم، حيث أصدر جلالة الملك شيوان، حاكم تشو، أمرا بسرعة القبض عليه وإحضاره إليه مقيدا بحبال حمراء اللون، وهو الأمر الذى أصدره جلالته إلى رئيس وزرائه "تسى فا" بينما صاحبنا غارق حتى أذنيه فى تهتكه وعربدته".

الجزء السادس من الفصل نفسه

"ولربما كان موضوع تساى شنهو أقل فداحة مما يمكن أن يعترى أحوالك أنت ياسيدى؛ إذ تصر على أن تجعل من "جوهو" نصيرا لك، كساعدك الأيسر، وتنصب "شياهو" سندا لك كذراعك الأيمن، وترضى بأن يكون "يان لينجون" و"شولينجون" من أتباعك الذين يسيرون إثر خطواتك، فينزلون حيث نزلت، ويقيمون حيثما تقيم، بل قد رضيت لنفسك بأن تأكل مما جنته الإقطاعيات، وأن تغترف مما عمرت به خزائن المال، فركضت مع الراكضين، تمرح ملء أيامك كيفما بدا لك أن تمرح، حيثما عن لك هواك أن تلهو مع اللاهين، وقد ضربت صفحا عن الاهتمام بشئون العرش ومصلحة البلاد . ولابد أنه غاب عنك علم ما حدث من أن "رانخو" [رئيس وزراء تشين] إذ تلقى الأمر من حاكم البلاد [الملك تشاو، حاكم تشين] بأن يقتحم عليك حدود وطنك، فقد صدع بالأمر وتوجه إليك على رأس قواته حتى نزل بمضيق" منغساى"، وسد عليك الطريق إلى الجنوب، عازما على مطاردتك حتى الحدود الشمالية".

نزلت هذه الكلمات على الملك شيانغ، [حاكم تشو] كالصاعقة، فاربدّ وجهه، وارتعدت أوصاله، وأسرع إلى اتخاذ الوزير جوانشين مستشارا له فمنحه أذكى لقب نبيل [لقب "جيجوى"، أى حامل اليشم الكريم"] وأقطعه أرضا بناحية" يان لين"، ولم يمض من الزمان الكثير حتى كان ذلك الوزير النابه "جوانشين" قد استطاع أن يعيد إلى السيادة الملكية فى تشو أرض "هوايبى".

لما حاول تشى مين أن يقنع تشوهوا

حاول "تشى مين" [وزير عظيم بدولة جو الشرقية] أن يستميل "تشوهوا" [أحد مستشارى التخطيط السياسى بدولة تشو] إلى جانبه بغية إقناعه بضرورة مهاجمة دولة تشين، فلم يوافقه تشوهوا على رأيه، فقال له تشى مين:" ماجئت هذه المرة، إلى بلدكم، إلا لكى أنوب عن "تشوليز" فى محاولة الوقوف على أحوال الصداقة بين تشو وتشين، وقد دعوت كبار رجال الدولة عندكم إلى الإقرار بخطة مشتركة لمهاجمة تشين،

فوافقني الجميع ولم يعارضني سواك، وسأبلغ هذا الرأي إلى تشوليز بطبيعة الحال". وهنالك أخذ "تشوهوا" يهتم بأمر تشي مين بمزيد من الجدية.

لما تحدث المتحدث إلى "هوان تشي"

ذهب إلى "هوان تشي" [وزير عظيم بدولة تشو] من قال له: "يرى الناس كلهم أن علاقتك بالوزير الأعظم "فوجي" ليست على مايرام، ولست أدري إن كنت قد علمت شيئا مما قاله "لاو ليتسي" [أحد مواطني دولة تشو في زمن الربيع والخريف] لـ"كونفوشيوس" وهو يعلمه مبادئ العمل في البلاط الامبراطوري [أصول اللياقة في خدمة جلالة الإمبراطور]؟ وقد قيل إن الرجل كشف أسنانه كي يتأملها كونفوشيوس جيدا، فإذا هي قد تآكلت بفعل الزمن بعد أن تجاوز عمر صاحبها ستين عاما، ولم تعد قوية سليمة كما كانت في سني الشباب الأولى؛ ذلك أن طول الاحتكاك بين الفكين قد نال كثيرا من بنية العظام ومتانتها. (فإذا انتقلنا للحديث عن موضوعنا الذي نحن بصدده..) فأنت رجل موهوب، ذو جدارة واقتدار، لكن الجفاء بينكما مستحكم، والتطاحن على أشده، والأمر أشبه مايكون بما بين صفين متقابلين من الأسنان في الفم الواحد يتطاحنان فيتآكلان ويهلكان معا، والمثل السائر يقول:" ينبغي على المرء إذا ما صادف شيخا نبيلا راكبا ركوبته، أن ينزل عن جواده، وكذلك لابد للكريم إذا ما مرّ به عجوز يتوكأ على عصاه أن يقف له إكبارا وتبجيلا".

وهأنت ترى جلالة الملك نفسه يحب فوجي، ويجله ويعظم قدره، بنيما تمقته أنت وتزدريه، وهو مالايليق برجل يشغل منصبا وزاريا مثلك".

لما وقعت الكارثة بأرض تشانغشا

لما وقعت الكارثة بإقليم تشانغشا [تفاصيل الحدث غير معلومة] تم إيفاد" طاي تسيخوان"، أمير دولة تشو إلى دولة تشي ليبقى هناك رهينة سلام، وحدث أن توفى الملك، هواي حاكم تشو، فقام شوكون بإعادة الأمير طاي تسيخوان إلى بلاده، وأعلن،

فى تلك الأثناء عن قيام التحالف بين قوات دولتى وى، و"هان" وبدء الهجوم على منطقة هوايبى بدولة تشو، وهى المنطقة المتاخمة لحدود تشى، وهنالك أحس الأمير طاى تسيخوان برهبة الموقف (الذى يواجه بلاده، فتكلم معه تشاوكاى [وزير عظيم بدولة تشو] قائلا: "أرى من الأفضل أن تأمر قائد قواتك، "تشيوشو" بأن يسارع إلى التفاوض للمصالحة مع دولة تشى (وذلك بأن يهديها إقليم هوايبى) وهو الأمر الذى سيكون له بالغ التأثير فى موقف دولة تشين، التى ستنظر بعين الحذر والخوف إلى مايمكن أن يتحقق لدولة تشى من سطوة هائلة فوق الممالك إذا ماتم لها الحصول على ذلك الإقليم من دولة تشو، مما يدفعها إلى تقديم العون لنا. "فوافقه الأمير على رأيه وأصدر أوامره الفورية إلى "تشيو شو" بأن يعرض على دولة تشى التفاوض بشأن إقليم هوايبى سعيا للمصالحة معها، فلما بلغت أنباء ذلك مسامع الملك تشاو، حاكم تشين، اعتراه القلق، وأصدر أوامره إلى "تشين رونغ" بأن يبلغ دولة تشو بمانصه: "لا حاجة لكم بأن تسلموا أرض هوايبى إلى دولة تشى، اعرضوا عن ذلك، وسنبادر إلى تنسيق العمليات الحربية بين قواتنا".

لما ذهب إلى ملك تشو من أهدى له

ذهب إلى بلاط تشو الحاكم من أهدى إلى القصر الملكى إكسير الحياة [دواء يطيل العمر] واستلم الحاجب الهدية ودخل بها إلى المقصورة الملكية، فسأله الموظف المسئول عن الأمن، قائلا: "هل يؤخذ هذا الدواء عن طريق الفم؟" فلما رد عليه الحاجب بالإيجاب انتزع منه الدواء وابتلعه كله، فلما عرف الملك بذلك ثار غاضبا وكلف أحد رجاله بإعدام الموظف المسئول عن أمن جلالته، إلا أن موظف الأمن قام، من جانبه، بتوكيل أحدهم كى يذهب إلى جلالة الملك ويشرح، باسمه، حقيقة الموقف، قائلا:" ليتك، يامولاى، تستجوب فى هذا الشأن، حاجب قصرك، فهو الذى زعم بأن الدواء يؤخذ عن طريق الفم، فلم أزد على أن صدقت زعمه ووضعت الدواء فى فمى وابتلعته، فلم يكن الذنب ذنبى وإنما يسأل فى ذلك الحاجب الذى يتحمل مسئولية ماحدث بنفسه، ثم إن

الهدية التى أرسل بها إلينا الضيف عبارة عن دواء يطيل العمر، وإذ يصدر الأمر بإعدامى من قبل جلالته، فكأن الدواء لاقيمة له، أو قل إن الدواء كان سببا فى التعجيل بموتى، ثم إن صدور الأمر بإعدام برىء، معناه أن أحدهم قد استطاع أن ينجو بفعلته الآثمة مادام رجل آخر برىء يموت بدلا منه، وأنه قد نجح بذلك فى خداع جلالة الملك". وهنالك ألغى الملك الحكم الصادر ضده وعفا عنه.

لما تكلم أحد الضيوف مع "تشون شن"

تحدث أحد ضيوف (البلاط الملكى) إلى الأمير تشون شن [أحد أشهر أربعة نبلاء فى زمن الدول المتحاربة، تولى رئاسة وزراء دولة تشو] فى محاولة لإقناعه بأحد الخطط السياسية، قائلا: "اعلم أنه ماكان للإمبراطور طانغ (آل تشانغ) أن يؤسس عرشه الإمبراطورى إلا مستندا إلى حاضرة الدولة "بوجين"، وماكان للملك أو (حاكم جو) أن ينجح فى تأسيس قواعد حكم راسخ ومزدهر إلا بحسن استغلاله لمزايا عاصمة البلاد "هاوجين"، وعلى الرغم من أن مساحة كل من المدينتين لم تزد عن مائة "لى" مربع، إلا أنهما صارتا حاضرتين لعروش بسطت نفوذها فوق الممالك بأسرها، وإنى لانظر اليوم فى الحوادث فأراك قد أنعمت على"شيون تسى" بإقطاع ذى شأن، تبلغ مساحته مائة لى مربع، وهو مايمكن أن يضفى المزيد من النفوذ والمهابة على رجل يتميز أصلا بالنبوغ والنجابة، ولئن سألتنى الرأى؛ فسأجيبك بأن مثل هذا التصرف ليس فى مصلحتك، فأنت وذاك، والرأى رأيك"، واستحسن الأمير كلامه وأرسل إلى شيون تسى من صرفه عن منصبه فى أدب وهدوء، فغادر الرجل دولة تشو ولجأ إلى دولة جاو حيث جرى تعيينه فى منصب وزير عظيم بالبلاط الحاكم. وهنالك أسرع الضيف النازل على بلاط تشو إلى مقابلة الأمير تشون شون، وقال له: "يذكر فى الحوادث الماضية أن "ايين" [أحد حكماء العصر القديم تولى رئاسة وزراء الملك طانغ فى أسرة شانغ] كان قد ترك دولة شيا مغادرا إلى دولة يين، حيث تمكن حاكم هذه الأخيرة (بفضل مساعدة وذكاء ضيفه الجديد) أن يؤسس إمبراطورية كبرى حازت السيادة فوق الممالك، بل قد أخضعت تحت

سيطرتها دولة شيا، التي تضعضعت أركانها وسقط ذكرها آخر المطاف، (وكذلك رحل كوانجون عن دولة "لو" ذاهبا إلى دولة تشي، حيث عظمت مكانة هذه الأخيرة وتدهورت أحوال" لو" حتى زالت هيبتها وضاع كيانها؛ ذلك أنه مامن بلدة يحل به رجل حكيم إلا أحرزت الازدهار والرفعة، ونال حاكمها السيادة والنفوذ، وقد كان لك في "شيون تسي" خير مثال للرجل النجيب الذكي ذي الحكمة والعقل الراجح، فما الذي دعاك إلى التخلي عنه؟"، واستصوب الأمير تشون شن رأي محدثه، وأرسل إلى شيون تسي، وهو في دولة جاو، من يبلغه بدعوة الملك إياه للعودة إلى البلاد.

الجزء الثاني من الفصل نفسه

وتناول شيون تسي ورقة وكتب خطاب اعتذار جاء فيه.. "هناك مقولة مفادها.." أن أعجب العجب هو أن تجد الرجل المصاب بالجذام والبرص يبكي حر البكاء على الملك الذي غدر به أعوانه" وعلى الرغم مما في هذا القول من إساءة للأدب والذوق السليم، إلا أنه لاينبغي أن تغفل عن تأمل دلالاته العميقة؛ لأنه يستهدف الإشارة إلى حال الملك، الذي تتربص به حبائل الغدر والخيانة، خصوصا عندما يكون صغير السن، حديث العهد بالملك شديد الثقة بنفسه مع قلة التمرس بفنون الحكم ودقائق السياسة، غير قادر على إدراك بوادر الفتن والمؤامرات وهي بعد في منبت جذورها، فحينئذ يعمد كبار الوزراء إلى التخلص من الملك العجوز، وتنصيب الأمير الصغير مكانه، بل قد يزيحون من طريقه أكبر أبناء الملك (من زيجاته الملكية) ليثبتوا أقدام أبعد الناس عن الرحمة والعدل؛ بغية تحقيق أطماعهم والاستبداد بما في أيديهم من المناصب، خلاصا لرقابهم من الفتك والتنكيل.

وقد ورد في كتاب "الربيع والخريف" [مدونات تاريخية] تحذيرا في هذا الشأن، جاء فيه.."إن رجال الدولة في بلاط تشو الحاكم، قد أوفدوا الأمير في زيارة إلى دولة "جنغ" وقبيل مغادرة الأمير حدود البلاد في مستهل تلك الزيارة الرسمية، بلغه نبأ اشتداد المرض على أبيه جلالة الملك، حاكم البلاد، فألغى إجراءات السفر وعاد على الفور

للاطمئنان على صحة الملك المريض، ثم إنه مال عليه وهو راقد وخنقه بشراريب قبعته حتى أزهق روحه، وجلس مكانه على العرش (وفى نموذج آخر يثبت مصداق قولى لك، فإن..) الوزير المشهور تسويجو [الوزير المقرب من الملك هواى، حاكم تشى، كانت له كلمة نافذة فى شئون الحكم] كانت له زوجة بارعة الجمال، ونشأت علاقة سرية بينها وبين النبيل جوانكون، مما استدعى من الوزير تسويجو أن يجمع أنصاره لمحاربته، فعرض عليه جوانكون أن يقتسم معه مايملكه من أراض، فرفض، فأبدى الرجل رغبته فى الانتحار داخل جدران المعبد(خلاصا مما يعانيه من مطاردته له) فرفض أيضا، فعزم على الفرار خارج البلاد، وبينماهو يقفز فوق أسوار الحدود رماه تسويجو بسهم اخترق ساقه، ثم وثب على عرش البلاد. ثم إننا إذا تأملنا الأحداث القريبة طالعتنا الوقائع التالية: فى دولة جاو – مثلا – نجد أن "لى توى" القائم على مسئوليات الحكم، هو نفسه الذى قام بنفى الملك السابق إلى منطقة "شان تشيو": [التلال الجبلية] وتركه هناك حتى هلك جوعا بعد مائة يوم؛ (وكذلك فعل) ناوتشى، قام بانتزاع (الخيوط العصبية من جسد) الملك "مين" ثم علّقه فى العوارض الخشبية المتقاطعة فى سقف المعبد، وتركه حتى مات قبل طلوع فجر اليوم التالى. ولقد ظننت أننا إذا قارنا بين المعاناة التى يجدها المريض بالجزام (المريض الذى يولد مصابا بتلك العاهة) طوال حياته وبين مقاساة الملوك الأقدمين المقتولين غدرا وغيلة، لما وصلت إلى حد الألم الناتج عن "خنق الرقاب بالأشرطة أو رمى السيقان بالسهام"، وإذا عقدنا المقارنة بين مبلغ معاناة مرضى البرص الجلدى وبين ماتعرض له ملوك الزمن القريب من فظائع، لما وصلت فى بشاعتها إلى درجة .."انتزاع خيوط الأعصاب او التجويع حتى الموت"، بل إنى لعلى اقتناع بأن ماكان يلقاه الملوك من ضحايا الغدر والخيانة، عند موتهم، من ألوان البؤس والألم النفسى والبدنى ليكاد يبلغ درجة المأساة التى يعانيها مرضى الجذام طول عمرهم، فمن ثم، نستطيع أن نفهم ونصدق ماقد يقال من تعاطف هؤلاء مع الملوك المعذبين حتى الموت".

ثم إن شيون تسى كتب "رباعية" شعرية، نصها كما يلى:

"من لى بمن يعرف قيمة الجواهر،

أو يعرف كيف يزين صدره بالنياشين.

من لى بمن يدرك جمال الألوان المطرزة

والملابس الحريرية ؟

من لى بمن يعرف التميز والتقدير والتثمين ؟

دارت الفتاة الحلوة فى الطرقات ،

ولم تجد زوجا يطلب يدها ؛

والمرأة الدميمة "موامو" عرفت كيف

توقع فى غرامها الملك هواندى ،

تربعت فى قلبه وارتسمت حلوة فى عينيه ،

الأعمى يقال له ذو العيون النواظر ،

والأصم يدعى رهيف الأذنين ،

والخير هو الشر الداهم ،

والخطأ هو الصواب الذى تراه رأى العين .

رحماك أيتها السماء ،

متى تتجلى الحقائق للبصائر ؟"

وقد جاء فى كتاب الشعر القديم، ما نصه:

"إن يد القدرة السماوية ،

أقدر (أعظم) من أن تستثير مكامن

الشر الداهم فى خفاء القضاء والقدر" .

لما تحالفت الممالك لمقاومة دولة تشين

تحالفت الدويلات والممالك للوقوف في وجه دولة تشين؛ فأرسلت دولة جاو الوزير الأعظم "ويجيا" لمقابلة تشون شن، المسئول البارز بدولة تشو، فلما التقى به سأله: "هل قمتم بتحديد القائد العسكرى العام؟"، فأجابه: "نعم، ولقد قمنا بتكليف "لينوجون" [أحد أكبر القادة العسكريين بدولة تشو] ليكون القائد العام للقوات" فرد عليه ويجيا، قائلا: "أريد أن أقول لك بأنى عندما كنت صبيا حدثا، أحببت الرماية جدا (حتى صرت أهيم بفنونها والحديث عنها دائما) فهلا سمحت لى بأن أجيبك مستخدما رموز وإشارات فنون الصيد والرماية؟" فلما أذن له محدثه فى أن يتكلم كيفما يريد، قال له ويجيا: "يقال بأن ملك دولة وى كان يجلس، ذات مرة فيما مضى من الزمان مع رجل يدعى" كنلى"، وكانت جلستهما أسفل إحدى المنصات العالية، والطيور تحلق فوقهما فى الأعالى، فتطلع إليها كنلى وهو يقول لجلالته.."أستطيع أن أعرض عليك يامولاى مشهدا سحريا بارعا لاصطياد الطيور، بحيث أرفع القوس وأجذب الوتر، دون أن أطلق السهم، وسيسقط الطائر المستهدف أمامك، بغير أن أرميه بسهم حقيقى"، فاستغرب الملك، قائلا له: "أمعقول أن تكون قد بلغت مثل هذا الحد من البراعة فى الرمى؛ بحيث تسقط الطائر بدون إطلاق السهم؟!" فرد عليه محدثه بالإيجاب، وبعد هنيهة، ظهر فوقهما أحد طيور الإوز البرى محلقا جهة الغرب، فقام كنلى وجذب سِيَة قوسه ورمى رمية شكلية بغير سهم رائش، وإذا بالطائر يسقط من عليائه، ودهش ملك وى للغاية وقال: "أيمكن أن يبلغ المرء فى فن الرماية هذه الدرجة من البراعة؟!" فأجابه الرجل قائلا: "بل هو طائر قد أصابه سهم قاتل، حتى قبل أن أصوب قوسى نحوه"، فسأله الملك مستغربا: "وكيف عرفت ذلك؟" فأجابه: "لاحظت بطء طيرانه، ورنة الأسى فى صوته؛ فأما طيرانه البطئ فبسبب جرحه المؤلم، وأما صوته الأسيان؛ فلطول افتراقه عن إخوانه، ولما كان الجرح داميا لحداثة إصابته، فلم يبلغ حد البرء التام، وبالتالى فقد كان تحت تأثير بقايا الفزع الذى ألم به وقت الرمية القاتلة؛ وإذ قد سمع صكة القوس فقد شرع جناحيه يريد التحليق عاليا وسريعا وهكذا فقد اتسع الجرح وتجدد النزيف وتضاعف الألم، فسقط فى الحال، كما رأيت".. (فتأمل ذلك) وتذكر أن "لينو" – ذلك الذى من المقترح، أن يكون

قائدا عاما لقوات التحالف ضد تشين - قد سبق أن لقى هزيمة نكراء على يد قوات تشين نفسها؛ فهو أشبه ما يكون "بالطائر الجريح الذى أسقطته رمية قوس وهمية" مما يستحيل معه تكليفه بمهمة القيادة الرئيسية لحشود التصدى لدولة تشين".

لما ذهب خانمين للقاء تشون شن

نزل خانمين ضيفا على الأمير الأعظم تشون شن، فلما طلب مقابلته، قيل له أن.. ينتظر ثلاثة أشهر، وبالفعل فبعد انقضاء تلك المدة، تم اللقاء بين الرجلين، وبعد أن انتهت المناقشات بينهما، كان تشون شن قد انبهر بمحدثه، ومال إليه بمشاعر الود والإعجاب، وكذلك شعر "خانمين" بأن الحوار والمناقشة مع سمو الأمير تدور فى أجواء ودية للغاية، حتى أنه تمنى لو أمكن مواصلة اللقاء واستمرارالمناقشات بغير نهاية، وهنالك قال له تشون شن: "قد وعيت وأدركت تماما فحوى كلامك ياسيدى، وحان وقت الراحة، فاذهب لتسترح قليلا"، وشعر خانمين بشئ من الحرج، وهو يقول له: "بل أتمنى الآن أن أستزيد من علمك ومشورتك، وعندى سؤال أرجو ألا يبدو لك ساذجا.." ترى من الأكثر حكمة والأوفر عقلا وكياسة، أنت أم (الامبراطور المقدس) ياو؟"، فأجابه: "ماكان يصح، ياسيدى، أن تتصور عقد مقارنة على هذا النحو (بين رجل بسيط مثلى، وقديس حكيم خلدته الدهور مثل "ياو!"، فقال خانمين: "فمن، إذن تراه الأكثر اقتدار ونجابة، أنا أم القديس شون؟"، فأجابه سموه: "بل أراك تشبه القديس الحكيم فى خصاله كلها، ياسيدى". فقال خانمين: "على رسلك، ياسمو الأمير، واسمح لى بأن أقول لك كل ماعندى، بصراحة؛ ذلك أنك بكل ماتتميز به من حكمة فلايمكن أن تكون موضع مقارنة مع القديس الملك ياو، ومهما كان حظى من النجابة فلا يمكن أن أبلغ مرتبة القديس الحكيم شون، بل إن القديس ياو، ببصيرته الرشيدة وحكمته الفذة لم يستطع أن يسبر غور مساعده الأمين (القديس الملك، فيما بعد..) الشيخ الحكيم ياو، إلا بعد انقضاء ثلاث سنوات، ولئن كنت قد استطعت، بجلاء بصيرتك، أن تدرك خصالى فى وقت وجيز، فقد كنت جديرا بأن تفوق القديس "ياو" فهمًا وإدراكا، وكنت أنا أزكى من القديس

شون موهبة وبراعة"، وهنالك استحسن الأمير منطقه وأثنى على تقديره، قائلا: "قد أحسنت القول، ثم إنه استدعى الضابط المكلف بحراسة البوابات، وأمره بتدوين اسم خانمين فى سجل الزائرين على أن يتجدد له التصريح بلقاء الأمير كل خمسة أيام بصفة دائمة.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وقال خانمين: "أظنك تعرف ياسيدى، حكاية الجواد الأصيل؛ فهو ذلك الجواد الذى إذا بلغ سن القوة واكتمال النمو البدنى، استطاع أن يجر العربات المحملة بالملح [هكذا فى المتن] متجها نحو مرتفعات جبل" طايهان"؛ حوافره الأربعة مفرودة بينما ركبتاه مثنيتان، (يرفع قوائمه) لكن ذيله منسول إلى أسفل، قد تآكلت بواطن أقدامه، وسال الزبد من فمه، وتنضح جسده عرقا غزيرا، حتى إذا بلغ أول طريق المنحدر الطالع إلى تلال "طايهان" لبث مكانه وقد تعذر عليه التقدم بالعربة ذات العريش المنبسط فوق الأحمال الثقيلة، وهو منظر لم يتمالك أمامه الفارس الشهير "بولا" إلا أن ينزل من مركبته، ويتقدم إلى الجواد فيمسك عنانه، وقد غامت عيناه فى سحابة من الدموع، ثم إنه مالبث أن خلع رداءه الكتانى، وأسدله على جسد الجواد النبيل، الذى طأطأ له رأسه، ونفث بقوة من منخاره، ثم رفع رأسه بصهيل ارتجت له الأجواء، وكأنه صوت طبول من نحاس.

أتعرف حقا دلالة ذلك؟!" (أقول لك) إن المغزى وراء تلك الظواهر الغريبة التى بدت على الجواد، إنما تدل على أن المسكين أدرك، بحاسته، أن الفارس "بولا" كان خير من يفهم أحواله، ويقيل عثرته.

وهأنذا اليوم أمامك، لايرجى منى نفع، ولست أفقه شيئا، وقد صرت مكدودا بأشقى وأحقر الوظائف فى أدنى درجات السلم الوظيفى بالإدارة الرسمية، ولايأوينى إلا بيت من الطين يقع فى زقاق متواضع الحال، وإذ طال بى المدى فى أتعس حال

وأشأم ظروف يمكن أن يمر بها إنسان، فهلا انتشلتنى من الضعة، وطهرتنى من دنس الظروف المزرية، فلعلى صائح لك فى الوديـان (بآيات الثناء العطر)، صـادحا بمدحك فى كل الأجواء؟".

لما كان الملك كاولى رجلا عاقرا لاذرية له

كان الملك كاولى، حاكم تشو [ولـد الملك تشينغ شيانغ، تولى العرش من ٢٦٢ إلى ٢٣٨ق.م] رجلا عـاقرا، لاذرية له، وفكر الأمـيـر (النبيل) تشـون شن فى أن يزوج الملك بامرأة ولود، وكان جلالته قد تزوج أكثر من مرة، بغير طائل.

وجاء رجل من مواطنى تشو [يدعى ليوأن] إلى القصر بأخته، يريد تزويجها الملك، لكنه عندما سمع أن جلالته ربما كان غير قادر على الإنجاب أصلا، فقد خشى أن يرده دون أن ينال حظوة لديه، وهكذا فقد حاول الرجل أن يتقرب إلى الأمير تشون شن، بل إنه تقدم إليه راجيا أن يتخذه تابعا، أو حتى خادما يعمل عنده فى بيته، فلما وافق الأمير وأبقاه معه بقى يعمل فى خدمته فترة من الوقت، ثم استـأذن فى العودة إلى بلدته، ليعود بعد أجل معلوم، لكنه تعمد أن يتأخر عن الموعد المقرر، وعندما ذهب إلى الأمير ليسلم عليه، استفسر منه عن سبب تأخره، فأجابه: "كان ملك تشى قد أرسل رسولا ليخطب أختى زوجة له، فسهرت مع رسول جلالته أسامره وأشرب الخمر، فثملت وفاتنى الوقت وتأخرت عن العودة حسب الميعاد". فسأله تشون شن: "وهل تمت اجراءات الزواج؟" ولما رد عليه بالنفى، عاد الأمير يسأله: "وهل لى أن أقابل أختك؟" فأجابه الرجل بأن هذا ممكن جدا وبكل سرور، وهكذا سارع ليوان إلى تقديم أخته إلى الأمير تشون شن ليتم التعارف بينهما، وتوثقت الصلة بين ليوان والأمير، ووجد حظوة لديه، وكان أن عرف ليوان (فيما بعد) بأن أخته قد صارت حبلى، فذهب إليها واتفق وإياها على تدبير خطة ماكرة.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وانتهزت المرأة، التى هى أخت "ليوان"، فرصة القرب من تشون شن وراحت تنصح له، قائلة: "أرى أن جلالة الملك يحترمك ويحبك كثيرا، ويضعك فى مكانة يكاد لايبلغها أى واحد من أخوتك، وها أنت قد بقيت فى منصب رئيس وزراء جلالته مدة تزيد عن عشرين عاما، لكنك عندما تدقق النظر فى بعض الأمور المهمة، تجد أن المشكلة تكمن حقا، فى أن هذا العرش العظيم ليس له وريث من صلب الملك، فإذا ماتوفى جلالته، فسيتولى الحكم أحد إخوته، ومعنى هذا أن إخوة الملك باعتلائهم منصة الحكم الملكى، سيعملون على اتخاذ أقاربهم وتابعيهم فى المناصب الكبرى، فمن يضمن حينئذ أن تبقى موضع حب واحترام الجميع، فى ظل تلك الظروف المستجدة، ولأطول فترة ممكنة؟ هذا من جانب، أما من جانب آخر فلربما يتذكر لك أولئك الإخوة وقد اعتلوا سدة العرش، ماكنت قد أغضبتهم به من تصرف غير لائق أثناء وجودك فى المنصب طوال المدة الماضية، التى كنت فيها مسئولا حكوميا بارزا عظيم المكانة، بل من المؤكد تماما أنه إذا آل الحكم الملكى إلى أحد إخوة جلالته، فلن تلقى إلا المصائب تترى عليك من كل ناحية، فكيف ستتمكن، وقتئذ، من الحفاظ على مكانتك، أو حتى الاحتفاظ بإقطاعاتك الكثيرة بأرض جيانتون [منطقة جنوب نهر اليانغتسى حيث بلغت بها جملة إقطاعات الأمير المذكورة نحو اثنتا عشرة محلة]؟ وقد تأكدت الآن من أنى أحمل جنينا فى أحشائى، وهو أمر لايعرفه أحد غيرنا، أنا وأنت، ولما يمض وقت طويل على ماخصصتنى به من حب واهتمام، وأرى أنك إذا قدمتنى إلى جلالة الملك، أوذكرتنى عنده، فلابد أنى سأحظى بتفضيله لى عمن سواى، وذلك طبعا بفضل مكانتك الأثيرة لديه وكلمتك المسموعة عنده، وإذا تفضلت علىّ السماء وقدرت لى أن أنجب مولودا ذكرا، فسيكون ولدك هو الذى يصير فيما بعد حاكم دولة تشين (بجلال قدره وقدرها)، وتصبح البلد كلها خاضعة لهيبتك ونفوذك أنت وأولادك، ألست ترى معى بأن مثل هذا المصير أفضل كثيرا مما قد يجره عليك تربص إخوة الملك بك وبغضهم إياك لو صار الأمر بأيديهم؟"

واقتنع تشون شن بكلامها واعتقد أن قولها هو الرأى الصائب بكل تأكيد، وهكذا فقد أمر بأن يتم إعداد مسكن ملائم لإقامة المرأة أخت ليوان بحيث تنتقل للسكنى به على وجه السرعة، وقام من جانبه بالتحدث مع الملك (بشأن الزواج منها) فاستدعاها جلالته إلى قصره، ودخل بها مخدعه، فبات وإياها على فراش واحد، وكان أن وضعت مولودا ذكرا تم إعداده ليكون وريثا للعرش، وأصدر الملك قرارا يقضى بأن تكون أخت ليوان زوجة ملكية (جلالة الملكة) كما تفضل جلالته على ليوان بتعيينه فى أرقى منصب رسمى، فصار متنفذا ذا شأن فى أروقة البلاط الامبراطورى.

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وهكذا، فقد تحقق للمدعو ليوان الكثير مما أراه! إذ صارت أخته ملكة على البلاد، وبذلك فقد ضمن أن يكون وليدها وريث العرش الملكى؛ وعلى الرغم من هذا، ظلت الهموم تساوره خشية ان يفتح الأمير تشون شن فمه، ويفشى كل الأسرار، فيتوطد مركزه وتنعقد له المهابة فيتيه فخرا، أو يستبد طغيانا واقتدارا، ومن ثم فقد راح يفكر فى قتله، تصفية لوجوده، فينغلق فمه إلى الأبد. وتسرب شىء من هذا الخاطر إلى أجواء العلن وذاعت النوايا بين كثيرين (وأصبح معلوما أن ليوان يدبر مكيدة ما للتخلص من تشون شن!).

واشتد المرض على الملك، وبات طريح الفراش، وقام تشون شن بإدارة شئون القصر وكان قد ظل يعمل رئيسا لوزراء جلالته مدة خمس وعشرين عاما، وهنالك تحدث إليه تابعه الأمين "جويين" [من مواطنى جاو، وهو من أخلص أتباع الأمير تشون شن] قائلا: "إن المصادفات تحمل فى طياتها الحظ السعيد مثلما تحمل الكثير من نذر الشؤم بل الأنكد من ذلك أنك تعيش وسط أناس يتحركون كيفما سارت بهم الأهواء التى يصعب التكهن باتجاهاتها، وتبذل جهدك فى خدمة ملك مريض لاتعرف ماتخبئه له المقادير، ولئن كنت أعجب لشىء، فإنما أعجب لك إذ تواجه كل تلك الأحوال الغريبة وحدك، دون أن تكلف نفسك عناء البحث عن رجل تدخره لك الأقدار! "فسأله تشون شن دهشا: "فماذا تقصد أولا، بمصادفات الحظ السعيد؟" فأجابه جويين، قائلا: "قد مضى عليك خمس وعشرون سنة وأنت رئيس لوزراء تشو، وعلى الرغم من قيامك على شئون منصبك الرفيع

كمسئول حكومي عالي المستوى إلا أنك كنت في الواقع تدير شئون البلاد باعتبارك الملك الحقيقي، وكان أبناؤك الخمسة يعملون كمعاونيين لأمراء الدويلات، ويبدو الآن أن الملك، وقد اشتد عليه المرض، لن يعمر طويلا، فلابد انه سيقضي نحبه في غضون أيام قليلة، والأمير وريث العرش مازال صغيرا، وستتولى أنت الوصاية عليه، ومن ثم فستؤول إليك مقاليد الحكم باسم الأمير الناشيء ونيابة عنه، تماما مثلما حدث في حالة كل من "آيين"، والملك "جوكون"، حيث يظل الصغير تحت وصايتك، ولاتعيد إليه مقاليد السلطة إلا بعد وصوله سن البلوغ، ويبقى هناك احتمال آخر وهو أن تستأثر وحدك بالسلطة وتعلن نفسك ملكا على البلاد، وتبسط نفوذك بالكامل فوق دولة تشو.. ذلك هو ماقصدت إليه من قولي لك بأن المصادفات تأتي أحيانا بمفاجآت الحظ السعيد. "فسأله الأمير: "فماهي، إذن المصادفات التي تحمل نذرالشؤم فأجابه جويين : "أنت تعرف ان ليوان ليست له اية صلة بشئون الإدارة السياسية للبلاد في مجلس الوزراء، وإنما هو فقط مجرد خال السيد الصغير (الأمير الوريث) فهو شقيق والدة ذلك الطفل الملكي، ليس أكثر من ذلك، فهو مثلا لا يملك القدرة على قيادة الجيش وتوجيه القادة الكبار، ثم إنه متورط في تدبير خطط سرية بالاتفاق مع عدد من الانتحاريين، ولابد أنه سيسارع إلى التمركز داخل القصر، إذا ما توفي الملك، ليشرع في تنفيذ خططه متذرعا بأنه يتصرف طبقا لأوامر شفوية من الملك، مستهدفا القضاء عليك بتصفيتك جسديا (حرفيا: بإغلاق فمك وإبادة لسانك) فذلك هو ما أشرت إليه باعتباره نذيرالشؤم الذي تومئ إليه المقادير"، فسأله الأمير: "فمن الرجل الذي تخبئه الأقدار؟" فأجابه: "عليك أولا أن تأمر بتعييني في منصب"لانجون" [رئيس الشئون الداخلية (بالقصر الملكي)] حتى إذا مات الملك فجأة، وحاول ليوان أن يسارع بدخول القصر (لتنفيذ تدابيره السرية) قمت إليه وطعنته في قلبه ودققت عنقه؛ فهو ذا أنا الرجل الذي تخبئه لك المقادير". فزجره الأمير تشوشن، قائلا: "دع عنك هذه الأفكار، ولا تعد إلى الحديث في تلك الأمور نهائيا، فإنما ليوان رجل ضعيف، لاحول له ولا قوة، ثم إنني أعامله بكل الخير، ولي عليه أياد كثيرة، فكيف يمكن للأمور بيننا أن تصل إلى هذا الحد؟".

واستشعر جويين الخوف، وداخله إحساس بعدم الأمان، فقام وهرب خفية خارج دولة تشو.

– الجزء الرابع من الفصل نفسه

ولم يكد يمر سبعة عشر يوما بالتمام، حتى مات الملك "كاولى"، وكان أن هرع ليوان إلى القصر الملكى (لما بلغه الخبر) واتصل بأفراد الفرقة الانتحارية وأعد لهم مخابئ يكمنون بها داخل القصر، وما أن دخل الأمير الأعظم تشون شن من الباب الكبير، حتى وقع فى قبضة المتآمرين عليه، فاعتقلوه، ثم وثبوا عليه وفتكوا به فقطعوا رأسه وألقوا بجثته خارج القصر وهى بغير رأس، وفى تلك الأثناء كان ليوان قد أمر المسئولين بإبادة عائلة تشون شن من الوجود، فأنزلوا فى كل أفرادها القتل واثخنوا فيهم الجراح حتى فنوا عن آخرهم.

وكان مبتدأ الأمر كله أن أخت ليوان قد حملت من الأمير تشون شن، ثم دخلت القصر الملكى (زوجة للملك الحاكم) ووضعت طفلها، وصارت ملكة [تتصرف، فى الواقع باعتبارها ملكة] من وراء ستار.

وفى تلك السنة نفسها، كان قد مضى على حكم الامبراطور (الأشهر) تشين شيهوان [أول امبراطور حكم الصين كلها تحت عرش واحد] تسع سنوات، (وللغرابة) فقد كان الخصى المدعو "لاواى" [أشهر خصيان القصر بدولة تشين، كان "ليوبوى" قد أهداه للملكة الأم، فراح يحيك الدسائس مع الزوجة الملكية ويقود العصيان، فلما اكتشفت مؤامراته أعدم، وأبيدت أسرته عن آخرها [يشار لذلك فى الصينية بـ"الأفرع العائلية الثلاثة": أقارب الأم، الأب، الأصهار [وتم إقصاء ليوبوى عن منصبه الرسمى نهائيا.

– لما تحدث الوالى يوشين إلى الأمير الأعظم

تحدث الوالى يوشين [أحد دعاة الخطط السياسية، أنعم عليه ملك جاو بإقطاعات هائلة وعينه فى منصب" شانغ تشين" (الوالى) إلى الأمير الأعظم تشون شن [نلاحظ أن المتن يشير إلى الأمير، هنا وهو بعد، على قيد الحياة، بينما فى الجزء السابق، يذكر تفاصيل الفتك به، مما يدل على أن " ليو شيانغ – محقق الكتاب الأصلى – لم يكن يعنى بدقة تتابع الأحداث!] فقال له: "قد بلغنى شيءٌ مما ورد فى كتاب" تشون شيو"

الربيع والخريف: (مدونة تاريخية) [مفاده أنه ينبغي على المرء، فى وقت السلم، أن يعمل ألف حساب للخطر، مثلما يجب عليه، وسط أهوال الخطرأن يتدبر وسيلة، لإعادة الهدوء والسلم . أقول لك ذلك وأنا ألاحظ أن الملك قد بلغ من العمر أرذله، ولما تحصل منه على تحديد نهائي فيما يتعلق بالإقطاع الممنوح لك وهو أمر لا يمكن التسويف فيه وإذا سألتني حول ماينبغي لك فى هذا الموضوع، فإنى أرى أن تحرص على أن تختار إقطاعك من أقصى الأرض، أبعد المناطق عن الإدارة المركزية فى تشوو هناك سوابق لمثل ذلك التفكير، فهناك مثلا الوالى شياو – من دولة تشين – لما أراد أن يقطع" سون إينغ" أرضا فقد أختار أن يقطعه من أرض شانغ، فلما مات الوالى شياو، لم ينج"سوان إينغ" من غدر الملك به، ولما أراد الملك تشاو، حاكم تشين أن يقطع" ران تسى" أرضا فى إقليم" رانغ" فقد ظل الأمر معلقا فى الهواء حتى إذا تولى الحكم من بعده حاكم آخر، استولى على الإقطاع المخصص للرجل، وغلبه على حقه (هذا على الرغم من أن ..) الوالى "سون إينغ" كان واحدا من أعظم رجال الدولة فضلا وعطاء، مثلما كان" ران تسى" يرتبط مع ملك تشين بصلة المصاهرة والنسب ومع ذلك فلم ينج أحدهما من استلاب الحاكم أرضه، والآخر من إزهاق الملك روحه، وكان السبب فى كلتى الحالتين يرجع إلى قرب منطقة الإقطاع من تخوم العاصمة.

(ومن الجدير بالذكر أن) "تايكون وان" قد حصل على إقطاعه فى أرض تشى [وهو مكان بعيد جدا عن الدولة التى ينتمى إليها] بينما تقرر أن يكون إقطاع"شاوكون شى" على أرض دولة يان، وهى أماكن تبعد كثيرا عن مركز دولة الحكم؛ فهذا هوالسبب فى أنهما عاشا حياة هانئة وماتا على فراشهما فى سلام.

وقد وردت الحوادث، اليوم، بما مفاده أن دولة يان قد ارتكبت اسوأ جرائمها، على الأطلاق بالهجوم على جاو، مما فجر الغليان المكتوم فى صدرهذه الأخيرة؛ ومن ثم فإنى أقترح عليك أن تدفع بقواتك صوب الشمال؛ مما سيحقق ميزتين: أولاهما: امتنان دولة جاو لك، والثانية: سحق رأس دولة يان، المنسحقة فى التراب أصلا، وبذلك تحصل على حقك كاملا فى الإقطاع الممنوح لك، حيث تتاح لك الفرصة لتحقيق ذلك وهى فرصة نادرا ماتتكرر".

– الجزء الثانى من الفصل نفسه

وردّ عليه تشون شن قائلا: "إن طريق الهجوم على دولة يان، سيمر بأرض دولة تشى أو دولة وى، وهما دولتان تبغضان تشو وتكنان لها أسوأ النوايا. فقل لى، إذن، من أى طريق تتقدم قوات دولة تشو، إذا ما أرادت الهجوم على يان؟" فأجابه يوتشين، بقوله: "تستطيع أن تتفضل بطلب وعد رسمى من دولة وى بأن تعيرك طريقا عبر أراضيها". فسأله تشون شن عن الوسيلة الممكنة للحصول على هذا الوعد، فأجابه: "ائذن لى بالسفر إلى وى، كى أشرح للمسئولين هناك المغزى المهم فى طلب استخدام طريق للمرور عبر أرضهم، عسى أن أقنعهم بالحجة والرهان".

وسافر يوتشين إلى وى، حيث التقى هناك بجلالة الملك، وقال له:" ليس لدولة تشو أى أعداء على وجه الأرض، وذلك لما يعرف الجميع من قوتها ومنعتها، وكل مافى الأمر، أنها تدبر للهجوم على دولة يان". فسأله الملك، قائلا:" ذكرت لى، فى أول كلامك، أن دولة تشو ليس لها أعداء، ثم مالبثت أن قلت أنها تدبر لمهاجمة يان، فما الداعى لذلك (مادامت على ثقة بأن فى قوتها ومهابتها مايغنى عن طلب الصراع مع الآخرين؟) "فأجابه يوتشين: "إذا قلت لجلالتك، الآن، إن الجواد ذو قوة وجلد، (من بين الدواب جميعا)، فهذا قول يحتمل الصحة والصواب؛ أما إذا زعمت أمامك بأن للحصان القدرة على حمل مامقداره ألف جوين [مايقرب خمسة عشر ألف كيلو غرام من الأحمال] فهذا زعم باطل وغير صحيح على الإطلاق، لماذا ؟ لأن أى حصان لايقدر بتاتا على احتمال مثل هذا الثقل فوق جسده .

أما ذكرت لك إن دولة تشو ذات قوة عظيمة، فهذا صحيح، فإذا كان الموضوع هو مدى احتمال تشو لتكاليف الاشتباك مع دولة يان عبر أراضى أى من جاو، أو وى، فهذا أمر يفوق قدرة تشو، ومعنى ذلك أنها لو أصرت على المضى قدما فى هذا الطريق، فستعرض قوتها للتدمير، وتستحيل إلى الضعف، وتعرف جلالتك أن الخصم من قوة تشو معناه الزيادة فى طاقة بلادكم (دولة وى) والعكس صحيح أيضا فانظر فى الأمر وتأمله جيدا، وأمامك أحد خيارين، فاختر لنفسك الأنفع لك".

سـجـل جـاو الأول

لمـا قام جيبو بحشد قوات وى وهان

جمع جيبو قوات دولتى وى وهان وتقدم لمهاجمة جاو، وقام بحصـار "جين يانغ" وحول إليهـا مجرى النهـر فـأغرقـهـا تحت طوفانه، حـتى بلغ منسوب المياه نحو اثنى جـانغ وأربعـة تشى [نحـو سبـعـة أمتـار] وهنالك تحـدث شـيـتشـى [من مـواطنى جـاو، ومستشـار جيبو للتخطيط السياسى] إلى جيبو، قائلا: "إنى لعلى يقين من أن حاكمى البلدين وى، وهان يخدعانك". فسـأله جيبو عن السبب فى اقتناعه هذا، فأجابه: السبب هو ما ظهر من تصرفاتهما، فقد تقدمت معك قوات البلدين لمهاجمة جاو فإذا انحرت هذه الدولة تحت القتال: فلابد أن شيئا من الآثار السيئة لهذا الأندحار سيجد طريقه إلى كل من الدولتين المذكورتين. ولذلك فعندما يحين الوقت اللاتفاق معهما فيجب أن تبذل لهما الوعد بأنك ستقتسم معهما أراضى جاو، فى حالة الظهور عليها، باعتبار أن أرضـها ستوزع بالتساوى بينكم كأطراف ثلاثة متحـالفين معا فى القتـال، وإذا تأملنا حـال المدينـة الكبرى جـين يانغ الآن، وجـدنا أنهـا صـارت أنقـاضـا تغـمـرهـا المياه، ومـابقي من أثاث المنازل فيها، كمدقات الأرز والمواقد، باتت كهوفا تسكنها الضفادع ورواسب النهر، والأحياء من أهلها لا يجدون مايقتاتونه، حتى أنهم اضطروا إلى أكل الجياد الهزيلة والجيفة، وعلى الرغم من أنه كان يحق للدول التى شاركت فى تحطيم المدينة المنيعة أن تفرح بما أوقعته بها من تنكيل، إلا أنك تجد حكام وى و"هان" ينظرون بعين ملؤها القلق والحذر والهموم، ولما يمض على انتصارهم فى موقعة جين يانغ الوقت الطويل، أفلا تجد فيما ذكرت لك نذر الخيانة ودلائلها المبكرة؟"

وماكاد يطلع نهار اليوم التالى، حتى كان جيبو قد التقى بحكام الدولتين وى وهان وذكر لهما ما اثاره (مستشاره) شيتسى من موضوعات، قائلا:" قال لى شيتسى أنكما ستتآمران على بالخيانة"، فتكلم العاهلان الكبيران، قائلين:" قد قام الاتفاق بيننا على أن نقوم ثلاثتنا باقتسام أرض جاو فيما بيننا، عندما يتم لنا الانتصار التام عليها، وهاهى ذى المدينة الحصينة (..جين يانغ) توشك على السقوط فى أيدينا، ولايمكن بأى حال، مهما بلغت درجة غبائنا وجهلنا أن نضيع المكاسب التى صارت قطوفها دانية، أو أن نخالف العهد الذى بيننا، ونهدر مواثيقنا سعيا وراء مطمع لاسبيل لنواله وأمور لايرجى منها نفع، وتلك مسألة واضحة وبديهية، لا ينبغى أن تفوتك ملاحظتها وأنت الألمعي النجيب.. فصاحبك شيتسى إنما يعمل لمصلحة دولة جاو، ويخطط لما يعود عليها بالنفع؛ ولذلك فهويريد إقناعك بضرورة الشك فى إخلاصنا لك، فيفتر حماسك للهجوم على جاو، لكن يبدو أنك أصغيت طويلا لحديث مستشاريك الذين يطعنون فى مصداقية حلفائك، فأنكرت مابيننا من التفاهم والود، وإننا لنأسف على تلك الحال، ونأسف أيضا على حالك، ويحزننا ماأنت صائر إليه!". فلما انتهوا من كلامهم معه خرجوا من عنده بخطى سريعة، فهرع شيتسى إلى جيبو وقال له: "لماذا أخبرت قادة وى وهان بالقول الذى ذكرته لك؟"، فسأله جيبو بدهشة:" وكيف عرفت أنت بأنى قلت ماقلته؟" فأجابه:" لما رآنى حاكما البلدين أرقبهما متفحصا حركاتهما، ابتعدا عنى سريعا واختفيا عن ناظرى!". وأدرك شيتسى أن كلامه لم يؤخذ بعين الاعتبار، بل لم يوثق بصدق وإخلاص وجهة نظره، فتقدم بطلب إيفاده إلى دولة تشى، فوافق جيبو على طلبه. وحدث أن كلا من قادة وى وهان قد نكثا ميثاقهما مع جيبو، وغدرا به.

لما تولى جيبو قيادة قوات الدول الثلاث

تولى جيبو قيادة قوات جاو، ووى، ووهان لمهاجمة قبيلتى فان" وجون هانغ" فأثخن فيهما حتى استأصل شأفتهما. ثم ركن إلى الراحة بضع سنوات، وبعدها أرسل إلى دولة هان يطالبها بنصيبه فى الأرض (التى حررها من سيطرة القبائل المذكورة)

إلا أن "كـانزى" - حـاكم دولة هـان - لم يسـتـجب إلى طلبـه فنصـح له توانكوى [مستشاره لشئون الخطط السياسية] قائلا: "ليس من الصواب أن ترفض ذلك الطلب الذى تقدم به إليك جيبو؛ فهو، بطبيعته شديد الجشع، قوى البطش، إذ طمع فى الحصول على شيء فلن يتورع عن ارتكاب الفظائع فى سبيل الحصول عليه، ومادمت قد رفضت أن تعطيه نصيبه من الأرض التى طلبها، فلابد أنه متوجه إليك بقواته، عازم على التنكيل والبطش، والأفضل أن تجيبه طلبه، فمثل هذا التصرف من جانب جلالتك كفيل بأن يوسع صدره الجرأة على طلب المزيد من الأراضى التابعة لباقى الدويلات والممالك، التى ستجد نفسها مضطرة إلى أن تذعن له، تجنبا لما قد تلاقيه من ويلات القتال معه، ومعنى ذلك أن دولة هان ستصبح فى موقف تأمن فيه شرور النزال مع ذلك الجامح الجشع، ومن ناحية أخرى فستتمكن من أن تراقب تطور الأحداث دون انزعاج".

وعندئذ وافقه كانزى على رأيه، وأوفد من قبله مبعوثا إلى جيبو لإهدائه بلدة آهلة بالسكان [هكذا حرفيا: بمعنى أنها بلدة عامرة بأسباب الحياة، تغل الحصاد والضرائب] مما أدخل السعادة إلى قلب جيبو ودفعه إلى مطالبة دولة وى بأن تعطيه نصيبه من الأرض المستحقة له، فلما أراد الملك شيوانزى - حاكم وى - الامتناع عن إجابته إلى طلبه، أسرع إليه مستشاره للتخطيط السياسى، جاوجيو، قائلا له:" تذكر، يامولاى، أن دولة هان أذعنت لمطلبه عندما تقدم إليها يريد تسليمه الأرض التى أشار إلى حقه فى الحصول عليها، وعندما يتقدم بطلب مماثل إلى دولة وى، ثم يفاجأ بالرفض، فسوف يستدل من ذلك على أنها قد بلغت من الإحساس بالقوة المتزايدة مايدفعها إلى استفزاز الآخرين وإثارة غضبهم، وأول هؤلاء الآخرين هو، جيبو نفسه، وهو ماسيدفعه إلى استخدام القوة العسكرية ضد وى ! ولذلك فالتصرف الأمثل فى هذه الأحوال هو أن توافقه إلى الطلب الذى تقدم به إليك." وبالفعل فقد أخذ شيوازى بنصيحته، وأرسل إلى جيبو برسول يحمل إليه هدية تتمثل فى بلدة عامرة بالأهالى، وهو الأمر الذى انشرح له صدر جيبو وملأ قلبه بالابتهاج . ثم إنه أوفد إلى دولة جاو سفارة تطلب منها تسليم بلدتى "لين"، و"كاولن" إليها، فلم يذعن الملك شيانزى - حاكم جاو - إلى هذا الطلب، فتدبر جيبو خطة سرية، بالاتفاق مع دولتى وى وهان، للهجوم على جاو فى غفلة من أهلها.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

استدعى الملك شيانزى، حاكم جاو، مستشاره للتخطيط السياسى "جان منتان "، وقال له: "إن الظاهر من سلوك وتصرفات جيبو يشير إلى أنه قريب من أفكارك وتصوراتك، لكنه فى واقع الأمر أبعد من أن يتفق معك فى شيء، لاحظ مثلا أنه أرسل بوفوده ثلاث مرات متتالية إلى دولتى وى، وهان دون أن يتصرف على هذا النحو معى، وبالتالى فلابد أن أستنتج أنه عازم على تحريك قواته ضدى، فانظر أى المواقع أنسب للتحصن فيها - استعدادا لملاقاته؟" فأجابه الرجل:" كان المدعو جيان تسى من أكفأ رجال الدولة الذين عملوافى خدمة الأمير"تون أنيو"، وقد بذل وقته كله للعمل على إصلاح أحوال" جين يانغ" وقد بلغت تلك الإصلاحات حدا من البراعة لدرجة أن رجل دولة آخر، مثل الوزير "أيطو" [أحد وزراء جاو] سار على دربه الذى بدأه فى إصلاحاته، متخذا نفس الوسائل، ومن ثم فقد خلف لنا كلا الرجلين تراثا باقيا فى الفكر السياسى مازال قائما حتى اليوم وسيظل هذا التراث باقيا مادمت تؤثر البقاء فى جين يانغ، وهذا هو ماأراه لك: أن تبقى فى تلك البقعة من الأرض، ولاتبرحها." فوافقه شيانزى على رأيه وأرسل من طرفه "يان لينشن" [وزير عظيم بدولة جاو] كى يبدأ فى تحريك المركبات والخيالة تجاه جين يانغ على أن يلحق به فيما بعد.

فلما وصل شيانزى إليها، راح يتفقد أحوال تحصيناتها ومتانة أسوارها، ومخازن وحواصل الحبوب والخزائن الكبرى الكائنة فيها، ثم إنه استدعى إليه" جان منتان"، ليقول له: "قد رأيت الأسوار فى أحسن حال، والحواصل مليئة والمخازن عامرة بما يكفى، بل لدينا من الحبوب مايزيد عن الحاجة، ولكن المشكلة الوحيدة تكمن فى إننا لانجد مايكفى من السهام فما العمل إذن؟" فأجابه: "مبلغ علمى أن الأمير" تون آينو" كان قد بذل عناية فائقة فى بناء جدران القصر الملكى الكائن بمدينة جين يانغ، وذلك إبان إصلاحاته الشهيرة التى قام بها فى تلك المدينة، وقد بلغنى أنه استخدم فى بناء حوائط المبانى أجود أنواع الأخشاب حتى بلغت الجدران غاية الصلابة بأحجامها الضخمة وارتفاعاتها التى تصل إلى أكثر من "جانغ" [أربعة أمتار] وهكذا، فيمكنك أن تستخدم تلك الأخشاب (لتعويض ما ينقصك من مواد صناعة السهام)".

وبالتالى، فقد شقوا الجدران واستخرجوا مادتها على سبيل التجربة، فوجدوا فى صلابتها ما لايزيد عليه، بيد أنها كانت أجود من أخشاب البامبو، وهنالك تحدث شيانزى، قائلا:" قد وجدنا من الأخشاب مايكفى، لكننا مازلنا بحاجة إلى المزيد من النحاس [هكذا حرفيا، وإن كان المقصود، حقيقة، هو معدن الحديد] فما العمل؟"، فقال له: "كنت قد سمعت أن الأمير تون آنيو، إبان إصلاحاته المعروفة وإنشاءاته العديدة فى جين يانغ، قد استخدم النحاس المصهور فى أعمدة القصر الملكى، فتستطيع أن تجد فيها مادة وفيرة لما تحتاج إليها، وستجد مايمكن أن يسد الحاجة"، واستصوب شيانزى رأيه، فلما صدر الأمر بتمام الاستعداد واتخاذ كل الاحتياطات، صارت كل المواد المطلوبة للدفاع جاهزة على أتم وجه".

- الجزء الثالث من الفصل نفسه

فلما وصلت قوات الدول الثلاث إلى جين يانغ، دار القتال بين الطرفين، واستمر الحال على ذلك مدة ثلاثة أشهر، دون أن تسقط المدينة، فقامت القوات المهاجمة بعملية انتشار وتطويق، وتم تسريب المياه من سد نهر جين، عندما أحدثت القوات شرخا فى جدار السد، فسالت المياه وأغرقت المدينة المحاصرة، التى ظلت تحت الحصار لفترة امتدت إلى ثلاث سنوات، حتى لجأ بعض السكان إلى المناطق العالية (البعيدة عن المياه) فابتنوا بها الكهوف للسكنى وطهى الطعام، وهنالك أوشك المال والغذاء على النفاذ، وفتك المرض بالجنود وأورثهم الضعف والهزال، وعندئذ تحدث شيانزى إلى جان منتان، قائلا له: "قد نقص الطعام، وشح المال، وفترت حماسة الجنود بعدما صرعهم المرض، وماعدت أستطيع الصمود بعد اليوم، وأفكر، جادا، فى أن أتقدم على رأس القوات مذعنا بالخضوع رافعا راية التسليم، فهل ترى ثمة أمل فى شىء؟"، فأجابه:" قد سمعت، ياسيدى قولا أجد صداه فى مسمعى، مفاده.."أن من عجز عن استنهاض إرادة بلاده، واستعادة طاقة وجودها بعد تعرضها للانهيار، فقد ضيع الحكمة واستهان بالعقلاء، ومن تقاعس عن استرداد الأمن لبلده الذى استبد به الخطر، فقد أساء إلى أولى العزم

والقوة والنجابة". فالزم الفطنة، ودع عنك تلك الأفكار، وأرجو ألاتعد إلى مثل القول الذي سمعت منك توا، وليتك تسمح لي بالذهاب لمقابلة قادة دولتي وي وهان!"، وأجابه شيانزيإلي هذا الطلب.

وحدث أن "جان منتان" استطاع أن يلتقي سرا بقادة البلدين المذكورين، وقال لهما: "أما سمعتما القول المشهورالذي يفيد مامعناه أن.." الشفتين للأسنان خير حجاب وحماية؛ فإذا تقلصت الشفتان (في جو عاصف) تعرضت الأسنان إلى تيارات من البرودة القارسة!".. ها أنتم تشهدون جيبو وهو يقود قوات بلدين كبيرين لضرب جاو التي ستنهار بالتأكيد تحت ضرباته، لكن الأمر الذي يجب أن تعلماه جيدا هو أن سقوط جاو سيستتبعه على الفور سقوطكما معا"، فأجابه الرجلان بقولهما: "قد عرفنا وتأكدنا أيضا من صدق استنتاجك في هذه الناحية، (ونثق أن ذلك هو ماسوف يحدث، إذا ضاعت دولة جاو، فقد عهدنا في جيبو الجشع والقسوة والغلظة، وسرعة الغدر بأقرب المقربين إليه، فإذا اتفقنا على خطة ثم ذاع أمرها ووصلت أنباؤها إلى مسامعه، فسوف تكون العواقب جد وخيمة، فقل لنا كيف العمل ما الطريقة المثلى التي تتجنب بها حدوث أية تعقيدات؟، فأنبأهما جان منتان عن نفسه قائلا بصراحة:" إذا خرج الكلام من فمكم إلى مسامعي أنا فقط، فلن ينتقل من عندي إلى أي طرف آخر"، وهكذا فقد أسرّ الرجلان إلى جان منتان بالاتفاق حول تحركات الجيوش الثلاثة وحددوا فيما بين ثلاثتهم موعدا وليلة للتنفيذ، ثم سارا برفقته، حتى أوصلاه إلى مشارف مدينة جين يانغ، ولم يكد يبلغها الرجل حتى قدم تقريره إلى شيانزي، فلم يسعه إلا أن يعبر له عن شكره واحترامه وعميق امتنانه.

- الجزء الرابع من الفصل نفسه

وفكر جان منتان في زيارة جيبو دفعا لأي شك يمكن أن يسيطر على ذهنه، وهكذا فقد ذهب إليه، والتقى عند البوابة الخارجية للمقر الرسمي بمستشاره الخاص لشئون التخطيط السياسي، وهو المدعو جيكاو، فلما انتهى اللقاء ذهب مستشار

التخطيط إلى جيبو، وقال له:" أخشى أن يكون قادة وى وهان يدبرون القيام بتمرد عسكرى". فلما سأله جيبو عن السبب الذى دعاه إلى مثل هذا القول، أجابه:" كنت قد التقيت عند البوابة الخارجية بجان منتان، ورأيت الثقة المشوبة بالغرور تكتسى ملامح وجهه، وخطوات أقدامه تدق الأرض فى زهو وخيلاء"، فقال له جيبو:" لاأظن أن تصل الأمور إلى حد تدبير عصيان عسكرى؛ فهناك اتفاق ومعاهدة موثقة مع كل من وى وهان، ولقد قطعت عهدا على نفسى أمام الجميع بأن يتم اقتسام أراضى جاو، بعد هزيمتها، بالتساوى بين الأطراف الثلاث المهاجمة، فلا أظنهم يخادعوننى، دع عنك تلك الفكرة، كما أرجو منك ألا تردد ذلك القول فيما بعد . ثم قام جيكاو بزيارة إلى حاكمى وى وهان، وعاد أدراجه إلى جيبو ليقول له:" تأملت الرجلين، فوجدت أمارات الخيانة بادية على الوجوه، فسيماهم تنطق بالغدر ونواياهم تنضح بالمخادعة، فاضرب الأعناق، تسلم مما يمكرون بك"، فقال له جيبو:" منذ ثلاث سنوات والقوات تحاصر جين يانغ حتى انهكتها ولابد أن النصر قريب، وأياً ماكان، فستكون لنا الغلبة فى النهاية، ونقتسم الغنيمة، ومن غير المعقول أن تنقلب النوايا فى مثل هذا الوقت بالذات، خصوصا وأننا أوشكنا على الظفر بأرض جاو "فقال جيكاو:" فإن لم تكن ضاربا أعناقهم، فعلى الأقل لاتدعهم يبتعدون عن ناظريك، بل اقترب منهم، وراقب أحوالهم عن كثب"، فسأله جيبو عن كيفية ملاحظة أحوالهم على النحو الذى يقترحه، فأجابه بقوله:" الملك شيوان حاكم وى يستعين بمستشار سياسى، اسمه"جاوشيا"، وبالمثل فالملك كانزى – حاكم هان – يستشير أحد خبراء التخطيط السياسى، ويدعى" توان كوى"؛ وهذان الخبيران يستطيعان تغيير خطط سادتهما وتحويلها من النقيض إلى النقيض، وأرى أن تجرى مع هذين المستشارين اتفاقا ينص على أن ينال كل منهما جائزته، وهى عبارة عن محلة آهلة بالسكان والعمران، فى حال التغلب التام على دولة جاو واقتحام أراضيها، فمثل هذا الاتفاق يضمن لك ثبات حكام وى وهان على بنود الاتفاق ومثابرتهما على الالتزام والإخلاص للمواثيق المبرمة معك، (ومن ناحية أخرى) يحقق لك السيطرة الكاملة على الأرض التى كنت تسعى للحصول عليها"، فرد عليه جيبو، قائلا: "معنى هذا أنى سأضطر إلى التخلى عن قطعتين من الأرض لأعطيهما لهذين السيدين،

بالإضافة إلى خطة تقسيم الأرض التى تقوم على توزيع حصص مساوية للأطراف الثلاثة الرئيسية، مما يعنى تقلص المساحة النهائية التى ستخصنى فى المحصلة الأخيرة، وهو مالايمكننى القبول به أبدا". ولما أدرك جيكاو أن جيبو لم يعد يقيم لآرائه وزنا أو يعتد بكلامه، فقد خرج من المقر الرسمي، وقام بتغيير اسمه ولقبه إلى فوشى، وغادر البلاد نهائيا، ولم يعد للعمل عند جيبو من يومئذ.

الجزء الخامس من الفصل نفسه

فلما وصلت أنباء تلك الأحداث إلى مسامع جان منتان، توجه، على الفور، لمقابلة الملك شيانزى، وقال له:" كنت قد التقيت بجيكاو، عند البوابة الكبرى، ولاحظت أنه طوال الوقت يتطلع إليّ فى ريبة، ثم إنه دخل ليتحدث إلى جيبو، ولما خرج، قام بتغيير اسمه ولقبه، وأرى إنك إذا بادرت الليلة إلى مهاجمة جيبو، فسوف تنال منه وتلقنه درسا لاينساه، ولتسرع لئلا تضيع منك الفرصة، ويفوتك الوقت ". وأومأ الملك برأسه، علامة الإيجاب، وأوفده لمقابلة قادة دولتى وى وهان، حيث اتفق معهم على قتل حراس سد النهر، وفتح ثغرة فى جنب ذلك السد ليقتحمها الماء، ويهدر منها بغزارة فيغرق قوات جيبو، التى إذا ما أوقعها فيضان الماء في الارتباك والفوضى، انقضت عليها قوات دولتى وى وهان المتربصتين بها عن اليمين والشمال، وانطبقتا عليها انطباق الجناحين على جانبى فرخ الطائر، بينما قام الملك شيانزى حاكم جاو على رأس قواته وضرب فى الصميم فأصاب من قوات جيبو مقتلة عظيمة، وأثخن فيهم، وقبض على جيبو حيا.

وكان أن انتهبت البلاد وهلك الرجال (حرفيا: قتل جيبو) وصار هزأة بين الأمم، وذلك كله بسبب استيلاء عقدة الجشع عليه، وعدم إصغائه إلى خطط جيكاو، مما عدّ أحد أهم أسباب انكساره، وضياع بلاده، (بل لقد قيل إن ذلك كان سببا فى) القضاء على كل من تلقب باللقب جى (جيبو، جيكاو، وأمثالهما) وانقطاع المتسمى بهذا الاسم من الوجود، ولم ينج من تلك العائلة إلا رجل واحد غير اسمه إلى فوشى.

لما قام جان منتان بتثبيت أركان دولة جاو

لما فرغ جان منتان من تثبيت أركان دولة جاو، وتقوية قبضتها فوق أرضها وتوسيع حدودها، فقد راح يغذى الروح الطامح إلى السلطة والسيادة فوق الممالك (حرفيا: على طريقة الأباطرة الخمسة [أولئك الذين حكموا إبان زمن الربيع والخريف وكانت لهم الغلبة فوق الأمم]) فكان كلما اجتمع إلى مولاه الملك شيانزى، أخذ يثنى على وصايا الملك القاهر جيانزى [حاكم جاو الأسبق]، قائلا: " يؤثر عن الإمبراطور جيانزى، إبان حكمه لدولة جاو فيما مضى، قوله.. " إن السبب الأساسى فيما أبداه الأمراء من دعم للملوك الخمسة (الذين ملكوا القلوب والأفئدة، حتى انصاعت لهم الأمراء والدويلات) يكمن فى عدة نقاط بسيطة للغاية، خلاصتها أنه ينبغى العمل على أن يكون للملوك اليد العليا فوق الوزراء، لأن تكون للوزراء السطوة النافذة فوق ملوكهم؛ لذلك لم يكن يسمح مثلا لمن نال رتبة الشرف (النبالة) من الدرجة العليا الثانية، أن يتولى رئاسة الوزراء، ولا كان مسموحا للضباط الذين تتفوق رتبتهم على رتبة القائد العام للجيش أن يعملوا فى منصب "دافو" [مسئول عظيم فى الدولة]".

أما اليوم، فإن أى وزير ينال قدرا من الصيت والشهرة، ينظر إليه بوصفه واحدا من النبلاء الجديرين بالتعظيم والإجلال ويتعاظم نفوذه، وتصير له الكلمة المسموعة فوق الناس؛ لذلك فقد نويت جادا، التخلى عن الألقاب، والتنحى عن كل سلطاتى والانعزال عن الدنيا بأسرها". فتأثر شيانزى وتهدج صوته بالحزن وهو يقول له: " لاأرى سببا يدعوك إلى ذلك، ثم إنه ليقال أحيانا، (وبعض القول صحيح!) إن أكثر من يساندون ويدعمون سلطة ملوكهم هم الأكثر شهرة، وكذلك فإن أصحاب المآثر والإنجازات الكبرى يصيبون حظا من المجد والتقدير الذى يرفع بهم إلى مراتب النبالة، كما أن أصحاب المناصب والسلطات المرموقة مثل رؤساء الوزارات، يتمتعون بنفوذ عظيم، لكنهم إذا ما أضافوا إلى سلطتهم قيمة الإخلاص والصدق، نالوا ثقة الناس وطاعتهم. (وليس ذلك شيئا أقوله من عندى بل..) هو من ميراث الحكماء والقديسين الأقدمين فيما درجوا عليه من التنسيق مع ذويهم وأقاربهم فى تولى شئون البلاد وقيادتها،

بغية استقرار الأوضاع فيها، فلماذا تخرج عن مثل هذا المنهاج؟"، فأجابه: "إن جلالتكم، بهذا الكلام، تشيرون إلى روعة العمل الدؤوب والفخر بإنجاز المآثر العظيمة وهذا صحيح تماما في نطاق ذلك المعنى، ولكن ما أقصد الحديث عنه، يدخل في إطار الأساليب والقواعد التي تحكم العمل السياسي فتحمي الأوطان . وقد درست الكثير من قضايا الإنجازات الكبرى، وسمعت ما تتناقله الحكايات من سيرة الأقدمين، فوجدت أن معاني المجد ودلالات الإنجاز والروعة، تتصف جميعا بخصائص واحدة ومشتركة في كل مكان تحت السماء، لكني لم أهتد إلى ما يفيد الإقرار بكمال وروعة الفكرة القائلة بأن الملوك والوزراء يتقاسمون النفوذ والمسئوليات على نحو متكافئ ومتساو، دون أدنى فرق.

إن في خبرات ودروس الماضي ما يصلح لأن يؤخذ به أو أن يكون موضع اعتبار في قادم الأيام، فإذا لم يستطع الأباطرة أو الملوك تأمل تلك الأمور بدقة ووعي، فإن الوزراء أعجز من أن يقدروا على ذلك"، ولاحت على وجه "جان منتان" نظرة وداع مشحونة بالأسى والشجن، فأذن الملك شيانزي له بالإنصراف، (فذهب إلى بيته) وبقي مدة ثلاث أيام، وهو راقد على الفراش، وأخيرا فقد أرسل إلى الملك "شيانزي" له رسولا من عنده يسأله: "ماهو رد الفعل المتوقع من جانب جلالتكم، لو أني تقاعست أو امتنعت عن تنفيذ الأوامر الرسمية ؟"/ فأجابه الملك برسالة موجزة كتبها معاونوه، تقول في كلمتين اثنين: "رد الفعل هو الحكم بالإعدام"، ورد عليه "جان منتان"، قائلا: "لقد عمل الحصان العجوز في خدمتكم وخدمة البلاد، وبذل جهده من أجل استقرارها، ولكي يثبت لجلالتكم حسن إخلاصه وتفانيه، فهو لن يهرب من قدر الموت على أيديكم، فاعجل بما صح عليه العزم!"، وأجاب شيانزي (بدوره) قائلا: " فاذهب وافعل مابدا لك فقد عفوت عنك".

وهكذا فقد أقره الملك على اختياره، ومضى جان منتان – بكل شجاعة وثقة – يسلك فيما اقتنع به، وتنحى عن سلطاته ومناصبه وألقابه (فإذا به يرسخ لنفسه اسما اشهر ولقبا أكثر ذيوعا! وسلم للحكومة إقطاعاته والأراضي الممنوحة له، فلما ألقى عن كاهله مسئوليات العمل الرسمي وأبهة المناصب العليا وألقابها الفخمة، ذهب ليزرع قطعة أرض صغيرة كان يملكها في منطقة تلال "فوتشين"، لذلك يقال بأن مسلك جان

منتان يشهد بأنه أحد أولئك الحكماء القديسين (الذين يرد ذكرهم فى كتب الأقدمين) كما أن السياسةالتى اتبعها شيانزى، حاكم جاو، هى بحق نموذج للسياسة الرشيدة التى انتهجها واحد من أكثر الحكام رجاحة ووعيا.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

ويقى جان منتان يزرع أرضه، فلما انقضت ثلاث سنوات، حدث أن الدول الأربع: هان، ووى، وتشى، ووتشو، جميعا قد نقضت ميثاقها الذى عقدته فى الماضى، وأخذت أهبتها لمهاجمة جاو، التى هرع حاكمها شيانزى إلى لقائه (أى: جان منتان) ليقول له: "عندما جرى تقسيم أراضى آل"جى" فيما مضى من الزمان، فقد اقتطعت عائلة جاو لنفسها، عشر مدن إضافية، (وها قد عادت الأيام سيرتها الأولى.. وعاد أولئك الطامعون مرة أخرى..) فاليوم أرى أمراء الدويلات قد أعدوا العدة لمهاجمتنا، فماالعمل، وكيف التصرف؟"، فأجابه جان منتان: "احملنى إلى العاصمة فى إحدى المركبات، وائذن لى فى الإقامة هناك، بأحد المعابد قريبا من القصر وامنحنى بعضا من السلطات المقررة لرجال الدولة، وسأضع لك خطة مناسبة لمواجهة تلك الأزمة"، فأجابه الملك إلى ماطلب، وهكذا فقد خرج معه جان منتان وقصد إلى طريق السفر، ثم إنه أرسل زوجته إلى دولة تشو، وبعث أكبر أبنائه إلى دولة هان، وثانى الأبناء إلى دولة وى، ثم أمر الأصغر بالذهاب إلى تشى؛ وهو التصرف الذى أثار دهشة وحيرة الدول الأربع، وألقى بظلال من الشك حول التقديرات المختلقة بشأن مهاجمة جاو وكان من جراء ذلك أن فشلت خطط الهجوم وتقطعت خيوط المؤامرة.

لما كان المدعو "ويرانغ" يعمل فى خدمة

كان المدعو ويرانغ – أحد الفرسان المشهود لهم بالوفاء والإخلاص [وهو أيضا حفيد بيانغ، أحد الفرسان المشهورين بالشجاعة فى دولة جين] يعمل، فى أول الأمر، لدى كل من "آل فان"، و" تشون هان" ؛ وإذ لم يشعر بالارتياح، فقد سئم العمل لديهما،

وترك خدمتهما وذهب ليعمل لدى جيبو الذى أحبه وأغدق عليه من الفضل الشيء الكثير، وحدث أن تفرق آل جيبو أيدى سبأ، لما أصابهم من المحنة على يد الدول الثلاث: هان، ووى، وجاو، التى سلبت أرض تلك العائلة واجتزأت كل دولة منها قسما لتضمه إلى رقعة أملاكها، وكان الملك شيانزى أشد الجميع بغضا وتحاملا على جيبو، حتى أنه (لم يكتف بقتله، بل قطع رأسه وأفرغ جمجمته وجعل منها قنينة يشرب فيها الخمر، فلما رأى ويرانغ ماحدث لسيده.. فقد أسلم ساقيه للريح) وفر هاربا إلى منطقة شانجون، وكان إذ ذاك يناجى نفسه قائلا:" الويل لى؛ إذ تركت دم سيدى يضيع هدرا، ألا إن الشجاع الكريم لايتوانى عن أن يبذل روحه فداء لمن أحسن إليه، وأغدق عليه إحسانا وعرفانا، بل إن الفتاة الحسناء تتزين وتتجمل لمن آثرها بحبه [هكذا حرفيا].. (إن الشيء الذى يحسن صورتى لدى جيبو، هو أن ..) أنتقم له!".

ثم إنه انتحل اسما ولقبا آخرين، وتظاهر بأنه أحد المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة، ودلف إلى القصر الملكى، بحجة أنه مكلف بتنفيذ العقوبة لدى القصر وأمسك بالفرشاة والطلاء وذهب ليطلى جدران الحمام الملكى، لينتهز فرصة وجوده بالداخل فيثب على الملك ويقتله، فلما همّ الملك بدخول الحمام لقضاء حاجته أخذته رعدة مفاجئة وانتبه إلى الرجل المتربص له فقبض عليه، واستجوب العاملين فى الحمام عنه، فتكشف له أنه ويرانغ بلحمه ودمه وأقر المذكور بحقيقة حاله وأشهر فى وجه جلالته المدية التى خبأها فى أدوات الطلاء، صارخا فى وجهه:" لابد أن أنتقم لسيدى جيبو!" فأحاط به الحراس يريدون أن يفتكوا به، فنهرهم الملك قائلا: "هو ذا فارس نبيل وشجاع، دعوه، ولا تؤذوه بشيء ويكفينى أن أحترس منه وأتقى شره.. هذا الرجل ذو مروءة حقا).. فعلى الرغم من أن جيبو قد مات دون أن ينجب أنجالا، فإن مساعده المخلص، آثر أن ينتقم له بنفسه، وتلك خصلة من خصال الشرف العظيم".

وهكذا فقد أطلق سراح يوارنغ لكنه مافتئ يتحيل كل مافى وسعه للثأر فدهن جسده بدهان يوهم الناس بأنه مصاب بالبرص، وأزال لحيته وحاجبيه وشوه قسمات وجهه، واتخذ هيئة شحاذ، وعاد إلى بلدته يتسول فى الطرقات، فلما رأته زوجته أنكرته، قائلة :"إن صوته كصوت زوجى، لكن وجهه ليس الوجه الذى ألفته" فلم يلبث يوارنغ أن

وضع الفحم في حلقومه فصار أجش الصوت وتغيرت نبرة نطقه المعهود، وقال له صديقه وهو يحاوره: "أراك تتوسل بأصعب الحيل لتنفيذ مأربك، ومع ذلك فلا أظنك تنال بغيتك [حرفيا: الوسائل صعبة ومعقدة لكن النجاح بعيد ومستحيل] فقد أصبت من العزم والإرادة أكثر مما أتقنت من الدهاء والمكر، فماذا لو استعملت عقلك ومهارتك وأظهرت الطاعة للملك شيانزى وقمت على خدمته بكل تفان، حتى إذا ماغمرك بعطفه وشملك بإحسانه، كنت أقرب إليه وأدل عليه من الآخرين وأصبحت – من ثم – أقرب إلى تنفيذ ماعقدت عليه عزمك فنلت منه أقرب طريق، وتحقق لخطتك النجاح على النحو الذى تريد"، وإذا بـ ويرانغ يجيبه ساخراً: "فهكذا، إذن، أنتقم للرجل الكريم الذى غمرنى بعطفه وإحسانه من رجل آخر أكثر كرما وشرفا وإحسانا، تلك إذن هى الطريقة المثلى كى أثأر للسيد الأول من السيد الثانى إن ما تقترحه على لا يختلف كثيرا عما يلجأ إليه المنتهكون لمواثيق سادتهم، والمخربون والمجرمون فى حق أولياء النعمة عليهم، واعلم أن السبب الذى يدفعنى ويدفع أمثالى فيما انتويته هو تبيان للمسلك القويم الذى يتأسس على الحق والعدل فى العلاقة مع الملوك والوزراء، وربما كنت متخذا فى تحقيق ذلك أصعب الطرق والأساليب، لكن المسألة، هنا، لاتتعلق بالصعوبة أو السهولة وإنما بمشروعية المبدأ وأصالته هذا، وليس من المقبول أن أرفع لسيدى الهدايا وأقسم له على الطاعة وأنذر روحى فداء لحياته، بينما أحمل له بين جوانحى نية الغدر به، فذلك وفاء يستبطن نفاقا وغشا، وإذا كنت أسلك فى طريق وعر، وأتحيل حيلة أعسر من العسر، فإنما أردت من وراء ذلك أن ألقن درسا لكل الخونة والمنافقين والمرائين لأسيادهم، على مر الأيام والدهور، لعلهم يستشعرون العار والخجل".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

فما هى إلا أيام حتى قام الملك شيانزى وخرج فى بعض شئونه، فكمن له ويرانغ تحت أحد الجسور التى طالما عبر عليها فى طريقه، فما درى به شيانزى وهو يقترب من الجسر، إلا عندما أجفل جواده واضطرب بشدة، فصاح الملك من فوره قائلا: "قلبى يحدثنى أن ويرانغ مختبئ هاهنا". وأرسل أحد رجاله يتحسس له الخبر، فإذا هو

قد قبض على ويرانغ وأحضره إليه، فلما مثل بين يديه، عاتبه الملك عتابا شديدا، قائلا له: "أما كنت قد قمت على خدمة أسيادك من بني فان وآل تشونهان؟ فماذا فعلت إذ نكل بهما مولاك جيبو وقضى عليهما بعد أن أعمل فيهما السيف وأنزل بهما الدمار، فلماذا لم تنتقم لأسيادك حينئذ؟ بل الأدهى من ذلك أنك جندت نفسك لخدمة جيبو، قاتل ولاة أمرك من قبل، ففيم إيثارك للرجل بكل هذا التذكار والعرفان، وهو قد مات وشبع موتا، مثل الباقين؟"، فأجابه ويرانغ قائلا: "صحيح أني خدمت آل فان وتشونهان من قبل، لكني لم أكن عندهما سوى عامل كباقي العاملين عندهم، وبالتالي فقد تصرفت حيالهما مثل الآخرين، وماكانوا قد آثروني بشيء لأرده لهم على نحو خاص، فلم يختصوني بجميل ولاعاهدوني بفضل أو مأثرة كي أنتقم لهم دون غيرهم لكن جيبو عرف لي قدري واتخذني لديه وزيرا كما يتخذ السادة العظماء أمراءهم ورجال دولتهم؛ ولذلك فقد كان لزاما على أن أقتص لموته، كما يقتص الوزراء لسادتهم وذوي الفضل عليهم"، فتنهد شيانزي طويلا ثم كلم ويرانغ بصوت تخنقه العبرات: "وأسفا عليك أيها الرجل، قد قضيت على نفسك بعد أن خلدت اسمك في الخالدين، فما عدت لأعفو عنك ثانية، بعد أن سامحتك آنفا، فانظر ما أنت صائر إليه وتأمل أحوالك ؛ إذ لن يعود بإمكاني إطلاق سراحك".

وأمر الملك رجال الحرس فأحاطوا به، فقال له ويرانغ: " كنت قد سمعت أن العاقل الحكيم لايحول بين المرء وبين أن تذاع على الناس مآثره، ويذكر له، على الدوام محاسن عمله، هذا على الرغم مما هو معروف من أنه " لايجتمع في امرئ الإخلاص والحرص على الشهرة" وقد امتدحك الناس لسابق فضل منك، إذ عفوت عني في المرة الفائتة، ولاأنكر أنه كان من المتوقع أن يخترط جسدي بسيوف جنودك إثر ماوقع اليوم من وقائع وأن ألقى في الحال جزاء فعلتي؛ ومع كل ذلك، فلكم تمنيت أن تأذن لي بقطعة من ثيابك فأغمد فيها السكين، فأموت هانئا وقد وفيت بعهدي فأفرغ قلبي من البغض لك والتحامل عليك، وماكان ذلك هو مبتغى جهدي في أول الأمر، لكني لا أملك، الآن، إلا تلك الرغبة وقد صارحتك بما يعتمل في صدري".

وتأمل الملك برهة، وعرف أن للرجل ذمة وشرفا، فأرسل إليه بقطعة من ملابسه مع أحد العاملين، فأخذها ويرانغ، واستل مديته ووثب صائحا بأعلى صوته وهو يقطع الثوب بحد السكين: " ألا هل وفيت بجميلك وأفضالك على ياسيدى جيبو؟!" ثم طعن نفسه ومات منتحرا، فلما انتشر خبر موته، فى ذلك اليوم، بين العاملين فى القصر فقد غلبهم التأثر وترقرق الدمع فى العيون.

لما طلب الملك أونهو من دولة جاو السماح له

تقدم الملك أونهو – حاكم دولة وى – إلى دولة جاو بطلب السماح له بعبور أراضيها وذلك لمهاجمة (دولة) جونشان، وكان الملك ليهو – حاكم جاو – قد اعتزم الرد عليه برفض طلبه، فتقدم إليه جاولى [أحد المخططين السياسيين من آل جاو] وكلمة قائلا: "قد جانبك الصواب يامولاى، فتأمل إذا قامت دولة وى بمهاجمة جونشان، ثم عجزت عن هزيمتها واحتلالها ألا تكون وى، حينئذ، قد نالها من الإرهاق مايميل بكفتها فى حساب القوة ويرفع سهم جاو ويعزز من نفوذها ووزنها؟ وهب أن دولة وى انتصرت على جونشان، فهى لن تقدر على تجاوز تلك المسافة لتبسط نفوذها فوق جونشان عبر أرض جاو، وهذا معناه أنه إذا كان الجيش جيش وى والحرب حربها، إلا أن الفائز بالغنيمة هو "جاو" نفسها ؛ فالأفضل أن تجيب وى إلى طلبها، لكن حذار من أن يبدو الاغتباط عليك وأنت توقع على الموافقة فإذا بدت عليك السعادة، فسوف يتضح للناس غرضك ونواياك المبيتة لاستغلال قواتهم لما فيه مصلحتك، فيحجمون عن الهجوم وتضيع عليك ثمار الفوز ومن ثم فإنى أقترح عليك أن توافق على طلبهم؛ بحيث تبدو أمامهم كمن ألجأته الظروف القاهرة إلى الموافقة رغم أنفه".

لما قامت تشين وهان بتطويق دولة ليانغ

قامت كل من دولتى تشين وهان بتطويق ومهاجمة دولة ليانغ، فهبت لنجدتها كل من يان وجاو، فذهب إلى الوالى "شان يانجون" من قال له: "(اعلم) أنه إذا انتصرت تشين على الدول الثلاث، فسوف تخترق أرض جو وهان للاستيلاء على أرض ليانغ؛

أما إذا كانت الغلبة للدول الثلاث على تشين، فإنها جميعا وعلى الرغم من عجزها أن توقع بـ تشين هزيمة ساحقة فسوف تتمكن من مهاجمة واحتلال أرض "جنغ" وأرى، من الأفضل، لما فيه مصلحة هان، سرعة التحالف مع الدول الثلاث لمهاجمة دولة تشين".

لما شيد الوزير لنفسه قصرا عظيما

أمر الوزير"فوجى" [أحد الوزراء العظام بدولة جاو] بتشييد قصر عظيم ليقيم فيه، فأسرع الوزير"شينغ كان" بإبلاغ هذا الأمر إلى جلالة الملك، (فاستدعى جلالته فوجى إليه) فقال له: "ما السبب الذى دعاك إلى بناء القصر الشامخ؟"، فأجابه فوجى، قائلا: "إنى، يا مولاى، وبرغم مكانتى ومرتبتى الاجتماعية الفائقة، أقيم فى مكان بعيد (فى مسكن مؤجر!) وذلك لتواضع المخصصات المالية الممنوحة لى، وكان الناس ينظرون إلىّ وأنا أقيم فى بيت ضئيل، وليس معى من الأهل والأقارب سوى عدد محدود جدا، فكان البعض يتهامسون قائلين.. "ليس فوجى بالرجل الذى يؤبه له ولمكانته، ولاوزن له فى الأحداث والشئون الجارية" مع أنى موضع ثقة جلالتك، وواحد من رجالك المسئولين؛ فلهذا شيدت دارا عظيمة، لعلى أحوز بها ثقة الناس وتقديرهم". فاستحسن الملك إجابته.

لما ذهب سوتشين إلى "لى توى"

ذهب سوتشين إلى"لى توى" (ليعرض عليه "بضاعته" من الخطط السياسية)، وقال له: "أنا سوتشين، المولود فى "شوانلى"، من أعمال لويانغ، ابن أسرة فقيرة، قاست شظف العيش والحرمان، وقد طعن الآباء في السن، فلم نجد من نلتجئ إليه أو نلتمس عنده مايسد الرمق وقد جئتك أجرعربة ذات عجلات خشبية متهالكة؛ إذ لم أجد فرسا ولا فارسا، وفى يدى حقيبة من القش، وحول ساقى رباط،

(ليشتد الخطو عبر مراحل السفر والطريق) وقد انحنيت سائرا وكتبي على ظهري، وفوق كتفي جوالق أودعته أمتعتي، وظللت ماشيا تنهال على عواصف التراب، ويلفحني البرد والريح، حتى عبرت النهرين: "جانغ" و "خه"، ولم أتوقف خلال الرحلة إليك، فتشققت مني الأقدام، وبعد مسيرة أيام طوال وجدت نفسي أمام بوابة قصرك، فمنيت النفس بلقائك، كي أحدثك حديثا عن أحوال الممالك"، فقال لي توى: "فأهلا بك إذا كنت ستحدثني بأمر من أمورالجن والشياطين، أما إذا أردت أن تكلمني عما يتصل بدنيا الإنس وشئون البشر، فهذا أمر أعرف عنه مايكفي ويزيد"، فرد سوتشين بقوله:" ماجئت أزورك إلا لأفاتحك بالكلام في شئون الجن والعفاريت، وليس في جعبتي شيء يختص بأحوال البشر". فرحب به لي توى وأدخله عنده فقال له سوتشين: "ماكدت أصل باب المدينة حتى كانت السماء قد أظلمت ظلمة الليل، فأغلقت الأسوار أبوابها، فأردت أن أبيت على بساط من الحصير فما وجدت شيئا منه، فما وسعني إلا أن أبيت في أرض يملكها أحد معارفي، وكان إلى جوار الأرض بستان أشجار كثيفة، فلما انتصف الليل، تراءى لي تمثال من الطين يتحدث مع تمثال من الخشب وكان يقول له.." على رسلك .. لست في شئ مماتظنه بنفسك، وأين أنت مني؛ فأنا من طين، لاأعبأ بعواصف الريح والمطر، فإذا اجتاحتني السيول فما على من شي سوى أني إذا جرفني التيار وحطم جسمي، فسأعود ثانية إلى الأصل الذي منه التأم كياني؛ أما أنت فلست إلا مجرد غصن جاف (بل إنك لم تكد حتى أن تبلغ مكانة الجذر العريق الممتد في باطن الأرض) فإذا عصفت بك العواصف، فسوف تلقي بك في مجرى تيار نهر جانغ السابح جهة الشرق، نحو البحرالأعظم، حيث تتشرد في الآفاق بغير مأوى تصير إليه". وأظن، ياسيدي أن التمثال الطيني على حق، بل هو (الفائز في تلك المناظرة). فلئن كنت تريد القضاء على الملك الوالد وقطع دابر حاشيته، لكي تخلفه على العرش، فأنت كمن يجعل البيض في كومة كبيرة متراكمة تكاد تتداعى فتتحطم كلها معا، (وإني قائل لك نصيحة) فإن أخذت بقولي نجوت، وإلا فأنت وشأنك"، فعندئذ قاطعه لي توى، قائلا: "(أراك قد تعبت ونال منك الجهد) فاذهب الآن إلى مبيتك واسترح، وموعدنا في الغد". فقام سوتشين وخرج.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وجاء إلى "لى توى" أحد مستشاريه، وقال له: "قد علمت مادار بينك وبين سوتشين من حوار؛ إذ تابعت لقاءكما من وراء حجاب وأرى أن الرجـــل ذا علم ومعرفة واسعة، وعلى دراية تامة بفنون الإقناع والجدل والمناظرة، فهل اقتنعت بشيء مما قال، أو هل فهمت شيئا مما تحدث به إليك؟" فلما رد عليه لى تـوى بالنفى، قـال له مستشاره: فإذا جاء ليتكلم معك فى المرة القادمة فانتبه جيدا إلى مقالته، فإن لم تفهم منه شيئا، فأرجوك أن تضع أصابعك في أذنيك وتحكم غلقها جيدا لئلا يبلغ مسامعك شيء من حديثه".

فلما حضر إليه "سوتشين" فى اليوم التالى وتحدث إليه طويلا وظل سحابة النهار يتكلم إليه فى مسائل شتى حتى آذن اللقاء على الانتهــاء، وحان موعـد الانصراف، جاء المستشار ليصحب سوتشين مودعا إلى باب الخروج، فقال له سوتشين:" أعجب لهذا الأمير الذى حدثته بالأمس حديثا مبهما مليئا بالألغاز وجدته مدركا فاهما مغزى كلامى، فإذا كلمته اليوم فى موضوعات أيسر فهما وأكثر وضوحا، وجدته متبلدا ساكنا كأنه لم يسمع منى كلمة واحدة، ولاأدرى السبب فى هذا التبدل الغريب!"، فأجابه المستشار، قائلا:" قد عرضت عليه خطة صعبة، يتعذرعليه الأخذ بها؛ ولهذا فقد كنت أنا الذى رجوته أن يسد أذنيه عند لقائه بك، ورغم هذا فسوف أطلب إليه أن يبذل لك نفقة سخية إذ تأتيه فى الغد".

وفى اليوم التالى، التقى سوتشين بالأمير وتحدثا فى جو مفعم بالود، وأهداه لى توى الحجر الكريم (المسمى بـ القمر الوضاء) وياقوتة (تسمى "الجدار العائلى الكريم") وجبّة من فراء السمور وألفى ليانغ من الذهب [نحو مائة كيلوغرام]، فأخذها سوتشين لينفق منها على شئونه، ثم إنه توجه غربا نحو دولة تشين.

لما تحالفت جاو مع باقى الممالك استعداد لمهاجمة

تحالفت جاو مع باقى الممالك استعدادا لمهاجمة دولة تشى بتلك القوة الكثيفة؛ وأرسل سوتشين إلى هوين، ملك جاو، كتابا [يدافع فيه عن موقف تشى] يقول له فيه: "قد بلغنى يامولاى، أن الخصال الكريمة للملوك الحكماء، فيما مضى من العصور القديمة، لم تكن تنتشر من خلالهم لتعم الديار كلها، وتفيض على رعاياهم، ولا كانت مواعظ الرحمة وتعاليم العدل تسرى فى نفوس الناس جميعا، ولاحدث، ولو مرة واحدة، أن كانت القرابين والأضاحى المهداة إلى العابد سببا فى استجلاب رضا الأرواح من عالم الغيب. بل لم يهبط على الناس، من علياء السماء سوى ندى شهى المذاق، ولاجاء من لدن الغيب إلا الريح والمطر فى أوقات معلومة (فعمرت الأرض بالخيرات)، وحصد الزراع حصادا وفيرا؛ فامتلأت الحواصل بالحبوب والغلال. وانشرحت صدور الناس عندئذ، فكان ذلك كله سببا فى عموم الرخاء والسعادة والرضا، إلا الملوك؛ إذ تكدرت خواطرهم لعجزهم عن أن يعطوا الناس كعطاء السماء وجلالتك أيضا مثل أولئك الملوك؛ لأنك إذ تعجز عن أن تقدم نفعا ماديا ملموسا، فإنك بدلا من ذلك تقعد حزينا، وتمتلى نفسك بالقلق والتوتر والكراهية.

وإذا كان صحيحا أن المراقب لقدراتك وطاقاتك، يلاحظ أنك لم تشتبك فى قتال مع دولة تشين ولاحتى حاولت مهاجمتها، إلا أن الملاحظ أيضا أن ما تحمله لـ تشين من ضغائن، وما تراكم فى نفسك من الغضب والحنق عليها؛ يفوق كثيرا ما تشعر به دولة تشى نحوها من كراهية ونفور. وقد أتيح لى يامولاى، أن أنصت كثيرا إلى مايردده الوزراء، بل العامة والدهماء، فى كل مكان، فوجدتهم متفقين على أنك كنت تتشبث دائما بوجهة نظرك القائلة بأن تشين لاتحمل إليك سوى الحب والتفاهم، على عكس ماتضمره لـ تشى من النفور والكراهية. واسمح لى بأن أصارحك بأنى تأملت تلك المسألة على ضوء الحقائق، وعلى نحو سرى مضمر [هكذا فى المتن] واستغربت جدا وأخذت أتساءل.. متى كانت تشين تشعر نحوكم بأى صورة من صور الحب والتفاهم، ومتى كانت تبغض دولة تشى وتنفر منها؟! فإنما الحقيقة هنا هى أن.. تشين تتخذ

من تشى تكأة أو طعما لاصطياد أرض دولتى جو الشرقية والغربية وابتلاع دولة هان؛ إلا إنها تشيع فى الأسماع (حكاية) كراهيتها لدولة تشى، رغبة منها فى اقناع دول الجوار بذلك، وهى تخشى ألا تكلل جهودها، فى هذا الشأن، بالنجاح، ثم إنها تتظاهر أمام دولتى وى، وجاو بالإغارة على دولة هان، وتفزع من أن تفيق الممالك والدويلات وهو الأمر الذى دعاها إلى الاقتراب من (موضوع) الهجوم على هان (بشىء من الحذر) بغية إزالة الشكوك التى رانت على قلب باقى الممالك؛ فمثل هذه الشكوك تعد أسوأ مايمكن أن تواجهه من عقبات، فمن ثم أفرجت عن كل من كانت تحتجزهم فى أرضها من الرهائن التابعين لمختلف الممالك والدويلات إظهارا للثقة. ولاتفتأ دولة تشين تطلق بين الحين والآخر التصريحات الودية فيما يتعلق بكتلة الدول المتحالفة، على الرغم من أنها فى واقع الأمر قد أقدمت على مهاجمة دولتى هان وجنغ، وحسب ماتوفر لى من ملاحظات عميقة لخطط دولة تشين، فإنى أتوقع أن يكون كل ماتدبره من حيل (ودسائس) نابعا وظاهرا من تلك النقطة تحديدا.

– الجزء الثانى من الفصل نفسه

"وبالإضافة إلى كل ما تقدم، فقد انتهت تقديرات وتصورات المخططين (السياسيين) إلى (مجموعة من الأفكار) خلاصتها أن .." بعد أن قامت دولة هان بإبادة منطقة سانسوان، وكذلك بعد أن أقدمت دولة وى على تخريب منطقة جيانغ – الكائنة بدولة جين – فقد أصبحت دولة جاو بين براثن الخطر، وذلك حتى قبل أن تسقط منها مدينة "تساو" .

هذا مع العلم بأن طابع مثل تلك الأمور كان ينطوى دائما أبدا على حقيقة مفادها أنه.. "قد تتباين وتختلف أنماط المخاطر وراء واجهة واحدة من المواقف ذات الطبيعة المشتركة، وقد يحدث العكس.. إذ، تتشابه أو تتماثل صور الخطر بينما تختلف المواقف والظروف.

وقد تعرضت دولة تشو، فى قديم الزمان، لغزوات متكررة، على مرالسنين والأيام، من جانب الدويلات المختلفة (فلم تنل منها كل تلك الغزوات شيئا .. سوى أن دولة جاو

انتهزت الفرصة وانقضت على منطقة تشون شان، فأنزلت بها دمارا ساحقا [فكان ذلك نموذجا واحدا للخطر بين مواقف متعددة من التهديدات المتعاقبة] وهاهى ذى دولة وى، قد استطاعت، اليوم، الاستيلاء على الجانب الشمالى من دولة تشى، فيما يقدر بثلاثمائة لى تمتد من منطقة شاتشيو إلى بلدة جيولوعند الحدود الشمالية، (بالإضافة إلى جزء آخر من الأرض) يمتد بمحاذاة المنطقة الحدودية فى الشمال مسافة ألف وخمسمائة لى من منطقة هانكوان إلى يوتشون. (هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى) فقد قامت دولة تشين باحتلال كامل أرضى دولة هان، ومنطقة "شانتانغ" بدولة وى مما مكنها أيضا من أن تبسط نفوذها على جزء ملاصق لحدودها مع دولة جاو، وهو جزء تبلغ مساحته سبعمائة لى، واستطاعت تشين أن تحشد عددا هائلا من فرسان ومقاتلى الدول الثلاث لتحصن بهم منطقة، لا تكاد تبعد كثيرا عن هـانـدان [إحـدى أهم عواصم الدويلات] إذ كانت تبعد عنها مسافة مائة وعشرين لى تماما.

ولم تكتف تشين بذلك، بل قادت جيوش الدول الثلاث لمهاجمة منطقة شانتانغ مما جعل تخومها الشمالية عرضة للخطر، بل نتج عن هذا الهجوم أيضا؛ أن صارت الأراضى الواقعة غرب جبل "جيوجو" خارج سيطرة حاكم البلاد، وهكذا (فقد أصبح بإمكان تشى) إغلاق طرق المواصلات عبر ممرات جبل " تشانغ شان"، وهى أرض تمتد حتى منطقتى" تشيونى"، و"تاندى" – داخل حدود دولة يان – بمسافة تبلغ ثلاثمائة لى – وهو مايعنى أن جياد كل من "دايدى" و" هودى" لن يمكنها التوجه شرقا لجلب الجواهر من تلال كونشان، ويعنى أيضا أن جلالة الملك (فى ذلك البلد) لن يعود بإمكانه الحصول على مايشتهى من الأحجار الكريمة ولا أن يمد سيطرته فوق تلك المنطقة الغنية بمواردها.

وكل ما أخشاه، ياسيدى، هو أن يكون اتباعك لدولة تشين، وسيرك على إثرها فى معركتها الطويلة مع دولة تشى، سببا فى جر الويلات عليك.

كان حكام الدول الخمس الكبرى – فيما مضى – [الدول الخمس المشار إليها هى: تشين – تشى – وى – هان – يان] قد عقدوا النية على مهاجمة دولة جاو، بموجب ميثاق التحالف القائم بينهم، واتفقوا على تقسيم أرضها فيما بينهم إلى ثلاث أجزاء،

وعقدوا اتفاقا رسميا لتوثيق ذلك التقسيم، وكتبوه على أوعية من النحاس والبرونز وأقاموا، على شرف الاتفاق وليمة كبرى، امتلأت فيها الكئوس وعمرت الأقداح للشاربين، فلما حان خروج قوات التحالف للقتال، سارعت قوات دولة تشي بالتقدم جهة الغرب فأوقفت تحركات دولة تشين ومنعتها من التقدم ونزعت عنها قلادة السيادة فوق الممالك وأجبرتها على إصدار قرار ينفي عن حاكمها التلقب "بالإمبراطور" وأن يرتدي جنودها الثياب البيضاء (علامة التكفير عن الأخطاء) وعلامة الخضوع والإذعان وأرغمتها على إعادة الأقاليم الثلاثة: "أوندى" و"جيدى" و"كاوبين" إلى دولة وى، وإعادة إقليمى "سانقون"، "شى تشين" إلى دولة جاو، وهو أمر تعرفه جلالتك تمام المعرفة.

ولا أتجاوز الحق إذا قلت بأنه يجب على دولة تشى أن تبذل لدولة جاو ما تستحقه من الإجلال والإحترام والتقدير على النحو الذى ينبغى أن تقوم عليه العلاقات مع الدول ذات الشأن، ومع ذلك فإن الطرفين يستبدلان ذلك بتوجيه الاتهامات وإنذرات القتال، وأخشى، يامولاى، أن يكون مثل هذا الحال سببا فى إحجام المزيد من الدول عن توطيد العلاقات معك فى المستقبل، أما إذا بادرت الآن إلى التحالف مع تشى، فسوف تقدر لك الدويلات هذا الصنيع وترى فيك سمات العدل والرحمة، مما يسهل على تشى أن تدعو باقى الممالك إلى الوقوف وراءك صفا واحدا والعمل على رفعة شأنك بمزيد الاحترام والتقدير والإكبار؛ وإذ يتأكد لدى تشى صدق وأصالة تمسككم بالرحمة والعدل، فسيكون من دواعى فخرها أن تقلدكم قيادة عرشها المجيد، (أما أن تتوقع فى الوقت الحالى) أن يصدر عن تشى – وهى دونكم ودون مرتبتكم المعروفة بين الأمم – أية أعمال تنم عن البطش والصلف والهمجية فهذا غير وارد بالمرة، إذ إنكم تستطيعون إيقافها عند حدودها بقوتكم وقوة التحالف القائم بين الدويلات.

فهذه إذن، مقادير هذه الحقبة من التاريخ، وأقدار عهد من العهود قد صارت بأيديكم وتحت سلطانكم، فأرجو تاج عرشكم العظيم التشاور مع مساعديكم بمزيد الدقة والاهتمام فيما أعرضه عليكم من خطط، ومراجعة ما تنطوى عليه من صحة المنطق أو فساده كدأب كل مراجعة مستفيضة لكل عمل من الأعمال والإنجازات الناجحة".

لما قامت دولة تشى بالهجوم على دولة سونغ

قامت دولة تشى بالهجوم على سونغ، (فلما دعى الملك فن يانغ [لقب آخر لـ"لى توى"] للمشاركة فى الهجوم) فقد تراجع وأعلن رفضه للزج بنفسه في هذا المعترك، فذهب إليه أحد أصحاب الخطط والمشروعات (السياسية) قائلا له:" قد بلغت سن المشيب، ولما تحصل على إقطاعك المقسوم لك، فلا بد، إذن، من أن تتروى فى التفكير، (وتتأمل الأمور باستفاضة:) فانظر إلى أحوال الدول الماثلة تجد مايلى: إن دولة تشين قد أعماها الطمع والجشع فلا يشغلها سوى السلب والنهب، ودولتى وى، وهان تقعان على حافة الخطر، أما يان، وتشو، فمنعزلتان عن باقى الممالك، وبالنسبة لدولة جونشان، فهى لاتملك إلا أرضا قاحلة مجدبة، فإذا تأملنا أحوال دولة سونغ، وجدناها مثقلة بمشاعر الإثم والذنب (فى حق الجميع) أما دولة تشى، فغاضبة وحانقة، يتطاير من عينها شرر العدوان.

ومن ثم فإن الهجوم على دولة سونغ – خصوصا وهى تعانى الارتباك والاضطراب فى الوقت الراهن – خليق بأن يضمن لك الحصول على إقطاعك المأمول، هذا بالإضافة إلى ما سيغدقه عليك من شعور دولة تشى [القوية، ذات النفوذ]، فهذه فرصة لايجود بها الزمان كثيرا".

لما تحدث الملك تشاو إلي فون تسيتا

تحدث الملك تشاو – حاكم تشين – إلى [أخيه الشقيق] فون تسيتا، فقال له: "كانت دولة هان،إبان معركة شياوشيا، فى العام الماضى تترأس قلب الهجوم، ثم إنها تحالفت مع باقى الدويلات وجاءت لتضرب بلادنا [تشين] ، وكانت هناك منطقة مشتركة بيننا على الحدود تبلغ مساحتها (فى الجانب الخاص بدولة هان نحو ألف لى، (ولم يكن ذلك سببا كافيا لإقناعها) بالالتزام ببنود التحالف، إذ أنها كانت دائمة التقلب والتردد.

وتذكر أنه.. لما نشب القتال، فى الماضى، بيننا وبين دولة تشو، فى موقعة" لانتيان"، فقد سارعت دولة هان بإرسال نخبة مختارة من أفضل قواتها العسكرية لمساعدتنا، إلا أن نتيجة المعركة لم تكن في صالح تشين؛ فمن هنا تحولت عنا دولة هان وراحت تعقد تحالفها مع دولة تشو، مما يوضح أنها ليست بالبلد الذى يتمسك بوعوده، بل يلهث وراء مصلحته الذاتية دائما؛ لذلك فهى تمثل الخطر الدفين على بلادنا، وهو الأمر الذى يدعونى إلى الاستعداد لمنازلتها، فما رأيك فى هذا؟"، ورد عليه قون تسيتا، قائلا: "إذا دفعت بقواتك تجاه دولة هان، فهذا كفيل بأن يثير فى قلبها الرعب، فإذا استطعت أن تثير لديها تلك المشاعر حقا، فلن تحتاج إلى النزال معها، بل ستتمكن – بمنتهى السهولة – من اقتطاع ماتريده من أراضيها"، فاستصوب الملك تشاو رأيه، وقام بتحريك قواته، فدفع أحد جيوشه للاقتراب من منطقة" شين يانغ" بينما أمر الجيش الآخر بالتقدم نحو إقليم "تايهانغ".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

استولى الفزع على دولة هان وأرسلت "يان تشن" [وزيرها الأعظم] إلى دولة تشين، لتقديم الاعتذار اللائق، ومحاولة عقد مصالحة معها، بل عرضت عليها التنازل لها عن أرض شانتانغ، ولم يكتف الملك" هوان هوى" حاكم هان بذلك، بل أرسل أيضا يان تشنغ إلى "جين هوانغ" محافظ إقليم شانتانغ ليبلغه بما مفاده" إن دولة تشين قد دفعت بجيشين من جيوشها لمهاجمة بلادنا وهو مايمكن أن يعنى إزالة هان من الوجود، وبناء على ذلك فقد أمرنا، نحن ملك هان، بإرسال حملة عسكرية (إلى ساحة المعارك) [على أن تقوم، من ناحية أخرى وبالتزامن مع تعبئة القوات] بإهداء منطقة شانتانغ إلى دولة تشين، سعيا للسلم وعقد التصالح معها، وقد تم إيفاد رسولنا إليكم بهذا الغرض لعمل اللازم [حرفيا: لتقوموا – بصفتكم محافظ الإقليم – بإتمام عملية التسليم]"، فأجاب جين هوانغ بقوله: "هناك مثل سائر يردده الناس، مفاده.." مهما بلغت سذاجة المرء، فليس له أن يعير الناس الأطباق التى يأكل فيها طعامه"، وللملك بالطبع أن يصدر

أوامره بتعبئة ودفع القوات، ولكن من حقى أن أمارس سلطتى بوصفى محافظا للإقليم، أقول هذا ولاأبالى بما قد يثور في نفسك، أو فى نفس جلالته من الشكوك بشأن قرارى وموقفى هذا، فقط لى رجاء واحد، وهو أن يتم دفع كامل القوات للتصدى لهجوم تشين، فإذا لم تتمكن من الثبات في وجه تلك الهجمة الشرسة، فلن أتوانى عن أن أبذل روحى دفاعا عن الوطن".

وقام "يانغ" بإبلاغ جلالته بكل مادار بينه وبين محافظ الإقليم، فرد عليه الملك قائلا:" كنت قد عقدت اتفاقا (بشأن هذا الموضوع) مع النبيل "إينخو"، فإذا نكصت عن اتفاقي الآن، فسيعد ذلك خيانة وخداعا له" وهكذا فقد أوفد الملك، من جهته، المدعو "فينغ تين" ليحل محل "جين هوانغ".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وقام "فينغ تين" على حماية الإقليم مدة ثلاثين يوما، (إلا أنه راح يراسل ملك جاو، سرا) وأرسل إليه يقول له: "لم يعد فى مقدور دولة هان الاحتفاظ بإقليم شانتانغ، بل إنها ستضطر إلى التنازل عنه لدولة تشين، غير أن أهالى الإقليم لايرغبون أن يصبحوا ذات يوم يجدون أنفسهم فيه من رعايا تشين، بل إنهم يتمنون أن يصيروا من رعاياكم المخلصين، ومن الجدير بالذكر أن إقليم شانتانغ، بوصفه واحدا من الولايات الكبرى، فهو يتكون من سبع عشرة محافظة، وإننا لنرجو أن نهديكم هذه المنطقة، وكلنا أمل فى أن تسارع جلالتكم بإصدار قراركم بهذا الشأن"، وكاد الملك يطير من شدة سعادته لما بلغه فى تلك الرسالة، واستدعى [أخاه الشقيق] "بين يانغ" وقال له: "بلغنى إن دولة هان لم تعد تستطيع الدفاع عن ولاية شانتانغ، ولذلك فسوف تهديها إلى دولة تشين، لكن المشكلة تكمن فى أن أهالى الإقليم لايريدون أن يصبحوا من رعايا هذه الدولة بل يرغبون فى أن يكونوا من رعايانا نحن، وها قد أرسل إلى "فينغ تين" مبعوثا يعرض على قبول الحصول على الإقليم، فما رأيك ؟" فأجابه أخوه جاوياو [لقب آخر

للمدعو" بين يانغ"] قائلا: "قد بلغنى إن الحكماء القديسين يعدون" الجائزة التى ترد على المرء بغير سبب مفهوم" إيذانا بحلول المصائب". فقال له ملك جاو:" من قال لك بأنها جائزة بغير سبب، أما قد علمت أن الناس يرغبون فى أن يكونوا رعاياى، امتنانا وشوقا نبيلا (لمن يجدون عنده النعمة السابغة)؟"، فأجابه جاوباو بقوله:" إن تشين الآن بصدد الاحتلال التدريجى لأرض دولة هان، ولابد أنها ستقطع خطوط المواصلات التى تربط بين شانتانغ وباقى أراضى هان، على النحو الذى يعوق وصول العون والإمداد إليها، ولذلك فإن تشين تثق فى أنها ستحصل على الإقليم (إن عاجلا أو آجلا) دون أن تحرك ساكنا (هذا من ناحية، وأما من ناحية أخرى..) فإن السبب الذى يدعو دولة هان لكى تتنازل لك عن إقليم شانتانغ، يكمن فى أنها تسعى بكل وسيلة لتفادى مايمكن أن تلقاه من مخاطر تتعلق بهذا الإقليم وذلك بإلقاء تبعة ما يجلبه من مشاكل عليك وحدك؛ فتكون دولة تشين هى التى ذاقت مرارة الهجوم على الإقليم، فى حين تجنى دولة جاو أشهى ما يجلبه عليها من ثمرات ومنافع من دولة صغرى، فكيف نصدق أن دولة ضعيفة يمكن أن تستحوذ على كل المنافع لنفسها من بين براثن دولة كبرى على درجة بالغة من القوة؟ وهل تقتنع جلالتك، حقا، بأن هناك أسبابا مفهومة لحصولك على منطقة شانتانغ؟ وهل تستطيع (فى سبيل الحصول على تلك المنطقة) أن تحارب تشين لتحصل منها على شانتانغ، بعد إذ حرثت أرضها وبذرت فيها الزرع وجعلت من مياهها مؤونة لجيوشها المقتلة، وأقامت لجنودها فى كل شبر منها المتاريس والحصون وصفوف الجنود المتراصة، وأدارت شئونها الحكومية بنظام قانوني صارم ولوائح منضبطة،سيرت بها أمور الحياة على نحو أكثر سلاسة ومرونة ونظاما؟ كلا، بل يحتاج الأمر منك، يامولاى، المزيد من التأمل والمراجعة "، وهنالك استشاط جلالته غضبا، ورد عليه بقوله:" إننى، بعد كل تلك السنوات الطويلة التى خضت فيها معارك وحروب بقوات يزيد عددها عن المليون مقاتل، لم أكسب مدينة كبرى ولا إقليما بمثل هذه الضخامة، وها أنا، اليوم، أحصل على سبع عشرة مدينة دفعة واحدة، بغير حرب ولاقتال، فكيف أرفض هذا العرض؟"وعندئذ، قام جاوباو، وتنحى عن مجلسه وخرج.

الجزء الرابع من الفصل نفسه

وأرسل ملك جاو في استدعاء جاوشن [لقب آخر للمدعو"بين يوان"] و"جاويو" [وزير عظيم بدولة جاو] وقال لهما: "بلغني إن دولة هان لم تعد تقدر على حماية منطقة شانتانغ، حتى أن محافظها أرسل إلي يعرض تسليمها لنا على سبيل الهدية، (وللعلم) فإن تلك المنطقة تتكون من سبع عشرة مدينة"، فأجابه كلاهما بقولهما: "قد طالما قمت على رأس قواتك وحاربت الحروب الكثيرة، لكنك لم تفز بمدينة واحدة (من بين ماحاربت من المدن) ثم إذا بك تجد ذلك الملك العريض والعدد الهائل من المدن ينتظر إشارة منك، وأنت جالس مكانك، لكي تتولى زمام السيطرة عليه، فذلك، إذن، من علامات الخير الطائل والحظ السعيد"، وهكذا، أوفد الملك جاوشين لاستلام الإقليم المذكور.

فلما انتهى جاوشين في رحلته إلى ذلك الإقليم، تحدث (إلى المسئولين هناك) قائلا: "جئتكم موفدا من قبل حاكم جاو، فأنا وزير جلالته إليكم، وأدعى"جاوشين"، وقد بلغتنا دعوة الوالي الكريم وإذ أوفدني الملك لمقابلة حضرتكم، فائذن لي أن أقول لكم مايلي: "إننا نعرض عليك التكرم بقبول (إنعامنا عليك) بإهدائك مدينة ذات ثلاثين ألف نسمة، كما نرجو تسليم وكيل الإقليم مدينة يبلغ تعدادها (ألف عائلة) على أن يجرى ترقية كل الموظفين ثلاث درجات اجتماعية دفعة واحدة، والتكرم على العائلات (التي تقدر على حشد أفرادها في مجموعات كبرى) [هكذا في المتن] بدفع مامقداره مائة وعشرين وزنة من الذهب لكل عائلة"، وهنالك أطرق" فينغ تين" برأسه وسالت دموعه على وجنتيه وأخذ يقول:" قد أوقعت نفسي في ثلاثة مثالب مزرية وشائنة .. أولها: أني عجزت عن أن أبذل كل جهدي (حتى الموت) دفاعا عن الإقليم الذي أنيطت بي مهمة الحفاظ عليه، وتخاذلي عن واجبي حين قررت التنازل عنه للآخرين؛ وثانيها، أني أهديت أرض الإقليم إلى دولة جاو مخالفا بذلك الملك حيث طلب تسليمه إلى دولة تشين، وثالثها: التفريط في أملاك جلالة الملك والاستيلاء على خراجها".

ثم أنه رفض، بأدب جم، العرض السخي الذي تقدمت به إليه دولة جاو، وأرسل إلى ملك هان، يقول له: "لما بلغ دولة جاو عجز هان عن الاحتفاظ بإقليم شانتانغ بين أيديها،

فقد حركت قواتها واحتلت أرض الإقليم"، وأرسلت دولة هان إلى تشين كتابا تقول فيه: "قامت دولة جاو بدفع قواتها واحتلت إقليم شانتانغ".

فاستشاط ملك تشين غضبا ووجه أمره إلى "بايتشى" [قائد الجيش] و "وانخى"؛ بسرعة إعداد القوات والتوجه بها للاشتباك مع جيش جاو فى عقر داره [حرفيا: فى قرية تشان بين داخل حدود جاو].

لما ذهب شوتشين موفدا من قبل ملك جاو

ذهب سوتشين إلى دولة تشين، موفدا من قبل ملك جاو، فلما عاد أدراجه إلى جاو، بقي ثلاثة أيام فى انتظار مقابلة جلالة الملك بغير طائل، فلما التقى بجلالته قال له:" كنت قد مررت، فى طريقى، منذ زمان بعيد، بجبل "تشو" فشد انتباهى منظر شجرتين هناك، وكانت إحداهما تنادى على صاحبتها، بينما كانت هذه تبكى بصوت أسيان يثير الشجن، فسألتهما عن أحوالهما وسبب تلك الظواهر التى اعترتهما [.. الأولى تبث رفيقتها لواعجها، والثانية تبكى حر البكاء..]، فأجابت إحداهما قائلة.. "قد تقدم بى السن ووهن العظم منى، ودبت الشيخوخة فى أوصالى، واشتد بى الذعر لما رأيت النجارين يرفعون الخيط والأوتاد وهم يقيسون جسدى بالأمتار والأشبار، ويضعون علامات فى أجزاء متفرقة من لحاء جسدى"، وصرحت الثانية بدفين مشاعرها، قائلة: "(لست خائفة مما تخاف منه رفيقتى) بل هو أكثر إيلاما إذ يتخذ النجارون من جسدى مقابض وعددا وآلات يقطعون بها الأشجار) ولشد ما أبغض أن أجد نفسى جزءا من يد مثقاب، ينخر أجساد الشجر ويفتت أكبادهم [حرفيا: إذ تثقب أجساد الشجر فيخرج منها نثار قلبها: نشارة خشبها] وهأنذا قد ذهبت موفدا من قبلكم إلى دولة تشين، فلما عدت، ظللت انتظر لقاءكم ثلاثة أيام بلياليها، فلربما كان هناك من يظن أنى مثل المثقاب الذى ينخر الأجساد ويفتت كبدها".

لمـا قام كانماو بمهاجمة مدينة

قـام كـانماو بمـهـاجـمـة مـدينة" إيانغ" التـابعـة لدولة هان، وذلك لمساعدة أهداف التحالف بين تشين ودولة وى، ثم توغل جهة الشمـال، صوب دولة جاو؛ وهنالك تحدث "لن شيـان" مع تشيانقو [وزير عظيم بدولة جاو]، قائلا له:" أرى أن أفضل مـايمكن أن تفعله دولة جاو الآن، هو أن تقوم باعتقال كانماو، وتحدد إقامته، تمهيدا لعمل صفقة بشأنه، مع كل من تشى، وتشين، وهان؛ بحيث يطلب من تشى تقديم تنازل عن الإقليم الذى تقطنه قبائل "هو" [تنطق كما فى "الجمهور"] إذا كانت تريد أن يتم الضغط على دولة هان لكى تتنازل عن محافظتي "لو"، و"تشى" وقبائل توان، مقابل الحصول على موطئ قدم فى مدينة إيانغ؛ وفيما يتعلق بالمساومات مع تشين فيمكن الاتفاق مع الملك"أو" حاكم تشين، على أن يتم تلبية طلبه في الحصول على مدينة إيانغ، بشرط أن يتخلى عن تمسكه الزائد بالمجوهرات والأحجار الكريمة [أى: مقابل هدية سخية يقدمها طواعية، من نفيس الدر والجواهر].

وبالفعل، فقد أخذت دولة جاو بهذا الرأى و.. قامت باعتقال" كانماو"، فأسرعت دولة تشين بتعيين كل من " كون صونهو"، و" تشوليجى"(فى مناصب عليا).

لمـا ذهب إلى "بيشان كو" من قال له

ذهب إلى "بيشان كو" من قال له: "ما السبب فى تعيين رجال من أمثال" جيان شينجوان" و " شيمن" [فى مناصب حكومية عليا] فى وقت يشهد ضعف وتهافت الأحوال داخل دولة جاو؟ (ولربما قيل) إن السبب فى إسناد وظائف مهمة إليهم، يعود إلى براعتهم فى إقامة خطة التحالف الرأسى [تحالف الدول الواقعة على محور رأسى ضد دولة تشين] (هذا مع العلم بأن دولة تشى ترفض قيام هذا التحالف، ثم إن جيان شينجوان يدرك أن التحالف الرأسى لن يكتب له النجاح، فكيف يمكن، إذن لرجل يعرف مقدما، ماينطوى عليه هذا التحالف من أسباب للفشل، أن يستخدمه فى إيذاء أو تهديد

دولة تشين؟ (ومادام..) يتعذر استخدام خطة تحالف متهافتة لتهديد تشين فلن يبقى أمام الرجل إلا أن يدفع بجيشه لمساعدتها (هى ودولة تشو) فى هجومها ضد وى، لكى يقتسما معا أراضى دولة تشى.

ذلك هو ماتفتق عنه ذهن جيان شينجوان، وآخر ماتبقى من عصارة أفكاره فى تصور الحيل (السياسة). إن فشل كل من جيان شينجوان وتشون شن فى إقامة التحالف الرأسى، يمثل تهديدا، أيضا، لدولة تشين، كما أن النجاح فى تقسيم أراضى دولة تشى، وتدمير دولة وى عن آخرها، يمكن أن يؤدى إلى عقد أواصر الصداقة والمودة مع تشين(فإذا كان الأمر على هذا النحو من الارتباك) فكيف يمكن القول بأن جيان شينجوان، وشيمن؛ يجيدان تقدير ماهو ناجح أو فاشل من الوسائل، عند وضع خططهما [.. فأين النبوغ والدهاء الذى يحلو نسبته إليهما!!].

لما ذهب البعض إلى "بيشان كو"

ذهب البعض إلى بيشان كو، وقالوا له:" قد قامت دولة وى بإعدام قائد جيوشها، (المدعو) "لولياو" ووقعت دولة ويه فى براثن دولة تشين، التى سلبتها منطقة "بيانغ" وبوقوع هذه المنطقة فقد.. تعرضت دولة وى لخطر شديد صار يجثم على أنفاسها، أما بالنسبة لدولة جاو، فسينالها خطر أشد هولاً وجسامة إذا لم يتم تحديد المنطقة الحدودية لإقليم "خيجان" التابع لها.

ومن جملة تكدر الأحوال أن الأمنيات التى ظل (رجل دولة عظيم مثل) ليوبوى، يحلم بتحقيقها، قد تبددت، وهو الأمر الذى أثار قلق الدول الثلاث: هان وجاو ووى، مما زاد شعور ليوبوى بالتوتر، وضاعف من هواجسه، أن الخزى الذى أصاب دولة وى (أمام الدول والممالك قاطبة) لم يتبدد، والهموم التى غاصت فى قلب دولة جاو لم تزايلها.

كما أن إحجام دولة تشى عن الانضمام إلى دول التحالف الرأسى، أوجد إحساسا عاما فى الدول الثلاث هان، ووى، وجاو، بالشك فى إمكان قيام التحالف أصلا. وكان بعض من الدول التى أرقها الشعور بالقلق قد هرعت إلى الدخول فى صف دولة

تشين دون سابق تخطيط جيد، بالإضافة إلى أن عددا آخر من الدول التى انتابتها الشكوك فى قيام التحالف الرأسى سارعت إلى العمل على التقرب إلى تشين.

وقد تم الاستقطاب بين دولتى ىى وتشين قبل أن يجرى توزيع حصص الأرض بينهما، وبادرت كلتاهما، بالإضافة إلى دولة تشو، بمهاجمة دولة تشى. ثم أقدمت تشين وحدها - ودون إشراك الآخرين معها - على ابتلاع دولة جاو، مما يعنى أن دولتى تشى وجاو، لن تقوم لهما قائمة".

لما أهدى ملك جاو إقطاع المدينة

أهدى الملك "هوى أون" حاكم جاو، إقطاع مدينة" أوتشن" إلى منغ شان، فاستدعى هذا الأخير مستشاريه وانتخب منهم عددا ممن أوكل إليهم مهمة الإشراف على المدينة، فلما حان وقت سفرهم لاستلام مهام العمل اجتمع معهم، وقال لهم:" أما سمعتم المثل السائر الذى يقول.. " إن استأجرت عربة، فأسرع فى قيادتها، وإن استعرت ملابس الناس، فاتخذها رداء فوق جسمك"؟"، فردوا عليه بالإيجاب، فقال لهم: "ومع ذلك فلست أوافق على الأخذ بنص هذا المثل؛ لأن الذين يستعيرون الملابس والعربات ليسوا سوى الأصدقاء والأقارب. وأرى أنه لايصح أن يسرع المرء وهو يقود سيارة استعارها من إخوته أو أقاربه، ولا يليق أن يستعير قميصا من أحد أصدقائه، ثم يستبقيه لديه ولا يعيده له.

وأظن أن ملك جاو قد غاب عنه أنى لست بالرجل المعروف بالفضل والحكمة، لكنه - مع ذلك - أهدى إلىّ مدينة "أوتشن"، فأرجو من الوكلاء الأفاضل الذين اخترتهم للذهاب إلى المدينة أن يبذلوا كل جهدهم للحفاظ على الأمانة التى ستؤول إلى أيديهم..) فلا يقطعوا شجرة قائمة ولايهدموا منزلا (وأن يتصرفوا على النحو الذى) يجذب انتباه الملك إلى تقدير خصالنا بطريقة متوازنة وبوعى جديد يفطن إلى مزايانا وجدية إخلاصنا وحسن نوايانا . وعلى الجميع أن يسلكوا، فى أداء الأعمال بالحرص والتزام الحذر البالغ؛ بحيث نتمكن من إعادة الإقطاع إلى صاحبه، سليما صحيحا، دون أن تمسه يد العبث والفساد (كأننا استعرناه منذ قليل)".

لمـا ذهب إلى حاكم جاو بعض الناس

ذهب واحد من الناس إلى الملك "أولينغ " [حاكم جاو، تولى العرش مدة سبع وعشرين سنة من ٣٢٥ إلى ٢٧٨ق.م]، وقال له: "(اعلم) أن فى اتحاد الدول الثلاث، ضرراً بالغا لـ(تشين)، مثلما أن تفرق كلمتهم يعود على تشين بالنفع، ويقوى مركزها، وهو أمر مفهوم وواضح لكل أهل الممالك؛ ثم إن تشين تستطيع - إذا تقاربت مع دولة يان - أن تغزو جاو، (أو..) أن تتقارب مع جاو فتهجم على يان، ثم يمكن لـ"تشين" أن تتحالف مع دولة ليانغ فتهاجم جاو، ثم تتحالف مع هذه الأخيرة لضرب دولة وى؛ وكذلك تقدر تشين أن تصادق دولة تشو ثم تهاجم دولة هان، (أو..) أن تتقارب مع هان لضرب تشو. وتلك كلها موضوعات يفهمها الناس فى شتى الدويلات والممالك بكل سهولة، وإذا كانت الدول الست الواقعة شرقى"هواشان" عاجزة عن عرقلة دولة تشين عن المضى قدما فى طريق (ضم الدويلات إلى) التحالف الأفقى [التحالف القائم على محور أفقى ويضم الدول المجاورة المتاخمة لـ تشين، مقابل الدول الأخرى على الخط الرأسى]، فلأنها ضعيفة التسليح، ضئيلة القوة العسكرية، أضف إلى ذلك تفسخ علاقاتها البينية، وتفكك الروابط بينها، وهو أمر يبرز ذكاء وبراعة دولة تشين (فى التخطيط السياسى) مقابل مايصم الدول الست من غباء شديد، هذه هى النقطة التى تثير قلقى ومخاوفى بشأن موقف تلك الدول.

قد يقترب النمر من الفريسة، دون أن تشعر بخطورة تربصه بها، وقد يرقب النمر فريستين تتقاتلان معا حتى تتبدد طاقاتهما ويسقطان بعد أن يأخذ منهما التعب مأخذه، فتصيران غنيمة للنمر الرابض؛ وهو الأمر الذى إذا عرف مغبته أى من المتعاركين، أدرك سوء العاقبة، فأمسك عن العراك، وقد أوشك قادة الدول الست أن يهلكوا جميعا بعد أن طحنتهم المعارك، وكادت بلادهم تسقط فى براثن تشين، فلا أظنهم قد بلغوا من الوعى والذكاء والبصيرة مثلما بلغت الفرائس من الوحش والبهائم، (فنصيبهم من الحكمة أدنى مما لدى الدواب السائمة)، وكل ما أرجوه من جلالتكم النظر فى هذه الأمور ومعاينة دقائقها ومراميها".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

"وهناك الآن أمر على درجة بالغة من الخطورة، ألا وهو محاولة دولة تشين شن الهجوم على كل من هان، و وى، هذا بالإضافة إلى تطلعها الدائم جهة الشرق وتربصها بعرش آل جو [تنطق كما فى "المانجو"] فهى لاتكاد تغفل عما تدبره فى تلك الناحية، طرفة عين، ثم إن السبب فيما تقوم به دولة تشين فى توجيه دفة الهجوم، الآن، صوب دولة تشو، فى الجنوب، يعود إلى كراهيتها لقيام الوحدة بين الدول الثلاث، (ولنلاحظ) أن تشين قد احتلت مساحات شاسعة من الأراضى فى السنوات الخمس الماضية، وهى الفترة التى أوقفت فيها هجومها ضد دولة تشو وأعفتها من الضرائب المقررة عليها، بل قد أرسل ملك تشين لحاكم تشو، يقول له:" سنرد على زيارتكم الكريمة لنا، بتوطيد أواصر الصداقة والأخوة بين بلدينا، وسنرد عنكم كيد دولتى هان، و وى ؛ وذلك بمهاجمتهما، ودك حصونهما، واستعادة أراضيكم المسلوبة من بين براثنها" مما أوقع فى روع ملك تشو أن تشين قد رفعت له لواء الصداقة، وراح يتأمل ذلك وهو غاضب من دولتى وى وهان، لموقفهما المتخاذل منه، وعزم على زيارة البلاط الحاكم فى تشين، بينما كانت الأخيرة تعد العدة لإرسال مبعوثها إلى دولة جاو فى محاولة منها لاستخدام خططهما المشتركة التى تهدف لضرب يان، طمعا لإغواء دولة جاو، بحيث تتفكك عرى الوحدة بين الدول الثلاث.

ولربما ظن الملك محاولات تشين لعقد الصلات الأخوية مع تشو والشروع، من ثم، فى مهاجمة دولة يان، هو الأمر الذى يبدو فى ظاهره مؤملا واعدا بأطيب النتائج، لكنه فى الحقيقة، ينطوى على الكثير من أفدح العواقب.

وإذا ماذهب ملك تشو إلى بلاط تشين، فسوف يقوم التحالف بين بلديهما، ثم يتجهان كلاهما لمهاجمة دولة هان فى الشرق، وإذ تتلفت هان حولها، فلاتجد يد العون التى كان يمكن أن تقدمها لها دولة تشو، فى الجنوب، وتجد جاو قد تخلت عن نصرتها فى الشمال، فلن تلبث حتى تهرع إلى أبواب تشين، تعرض عليها التنازل لها عن مزيد من الأراضى؛ فإذا ماصفت أجواء العلاقات بين تشين وهان، وتحولت نذر الحرب نحو

دولة وى، ثم تجد نفسها، هذه الأخيرة، فى مواجهة تشين التى تعاظمت قوتها بإضافة طاقات كل من دولتى تشو، وهان إليها، فلن تقعد حائرة ملتاعة فى انتظار كارثة الدمار الداهمة، بل ستهرول [حرفيا: تقفز أسرع من الخيل وتثب أفزع من أرنب مذعور] إلى عتبات تشين تعرض عليها أجزاء من أراضيها مقابل كف العدوان عنها، فإذا تحسنت العلاقات بين وى وتشين وحل الوئام محل العدوان، تبدلت نظرة تشين إلى جاو، فراحت تنظر إليها كأنها" النقطة المحاصرة داخل الدائرة"، ثم إن دولة جاو ستجد نفسها، أمام قوة تشين الجبارة، المدعومة بكل من هان، و وى وتشو، وبان (المشحونة، أساسا، بالغضب ضد جاو) ستجد نفسها مضطرة إلى التنازل عن الكثير من الأراضى. وإذا وصلت أحوال البلاد هذه الدرجة، (فلابد من التحرك لعمل شىء) فلهذا جئت اليوم إليكم، وها أناذا أقول لكم أنه يجب الإسرا ع فى عمل أشياء كثيرة".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

"ولتنتهز الدول الثلاث فرصة تلكؤ ملك تشو فى الذهاب إلى بلاط تشين لتوقع ميثاق الوحدة فيما بينها تدعيما للروابط القائمة، ولترسل جيشا كثيفا لحماية الحدود الغربية لكل من وى وهان، وهو النبأ الذى إذا بلغ مسامع ملك تشو، فلن يقدم على زيارة حاكم دولة تشين، التى ستغضب ويحمى وطيس ثورتها فتقوم بمهاجمة تشو، وهذا يعنى أن تشين ستظل تطارد تشو بتهديداتها العسكرية، مما يعود بالنفع على الدول الثلاث.

أما إذاكان ملك تشو، قد حل ضيفا على بلاط تشين، بالفعل، فلاأظن أن البلاط الحاكم هناك – وقد بلغته أنباء الوحدة بين الدول الثلاث – سيدع ملك تشو يعود إلى دياره دون التنازل عن المزيد من أراضيه لتشين، وهو مايعنى كذلك أن سيف التهديد العسكرى سيظل يلاحق تشو، مما سيعود نتيجته بالنفع على الدول الثلاث، فأرجو من جلالتكم سرعة اتخاذ اللازم بشأن وضع الخطط المناسبة فى هذا الاتجاه".

ومن ثم فـقـد أسـرع ملك جـاو بإرسـال حـملـة عـسكرية نـحـو الجنوب للدفـاع عن مناطقه الحدودية الغربية لكل مـن وى وهـان، فلمـا عرفت تشين مـاحدث من قيام الوحدة بين الدول الثلاث وتوثيق التضامن بينها، فقد ضـغطت على ملك تشو حتى تنازل لها عن مساحات هائلة من الأراضي.

سـجـل جـاو الـثـانـى

لمـا انتقل سوتشين من دولة يان

انتقل سوتشين من دولة يان فذهب إلى جاو، وراح يدعو لآرائه وخططه السياسية الموالية لفكرة إقامة تحالف رأسى، ومن ذلك أنه التقى بالملك "شياوهو" - حاكم جاو - وأخذ يناظره ويحاوره، فى سياق دعوته السالفة، قائلا:" مامن أحد وسط رعاياك جميعا إلا وهو يثنى على سياستك الرامية إلى استتباب أسس العدل والاستقامة، يستوى فى ذلك النبلاء والوزراء مع العامة والدهماء، ولو شاءت الظروف لأظهرت لك مدى إخلاصهم ورغبتهم فى إبداء الولاء لك والموالاة لسياستك الرشيدة بينهم منذ زمان بعيد، بيد أن "فن يانغ" وقف بينك وبينهم حائلا دون ذلك، لشدة ما ران على قلبه من الحسد والغيرة والعداء لكل ذى براعة وحكمة واقتدار، بل أظن أن جلالتك قد وجدت العقبات دون تصريف شئون الحكم والقيام على أمر البلاد، أضف ذلك تهَيب الضيوف والدعاة للخطط (السياسية) من إبداء النصح والإخلاص لجلالتك فى حضوره [يقصد الأمير فن يانغ]، أما وقد توفى سمو الأمير، فقد سنحت الفرصة، منذ اليوم لاستتباب الثقة بينك وبين وزرائك وأهل مملكتك، وهو ما يشجعنى على تقديم أسمى دلائل الإخلاص والتفانى لشخصك الكريم، يامولاى .

وإذا كان لى أن أتصور خطة (ناجحة) لجلالتك، فلابد أن أضع فى الحسبان أنه لاشىء يعدل - عند العامة - استقرار دعائم الهدوء والأمن والسكينة فيما يتعلق بأحوال البلاد، وهو الأمر الذى يحدونى إلى النصح لجلالتك بألا تحرص على تغيير الأوضاع القائمة والتأكيد على بقاء الأحوال على ماهية عليه دون أدنى تغيير [مبدأ "اللافعل" (دعه يعمل..!) الذى تدعو إليه الطاوية!]

(واعلم) أن أساس الاستقرار الذى تريده الناس، يكمن فى براعة اختيار العلاقات الدبلوماسية الصحيحة مع باقى الممالك، ذلك أن التحديد الصحيح لاتجاه هذه العلاقات هو الذى يشكل عناصر الاستقرار وأسس الحياة لكل الناس، أما الفشل فى اختيار العلاقات الخارجية المناسبة فيترتب عليه ارتباك الأحوال.

وائذن لى بأن أتناول موضوع المخاطر الماثلة فى الشئون الخارجية: وأتصور بداية أنه إذا صارت كل من دولتى تشين وتشى عدوتين لبلادك، فلن يذوق شعبك طعم الاستقرار نهائيا، وإذا رأيت الاستناد إلى قوة تشين لضرب تشى، فلن تنعم الناس بأرضك بشئ اسمه الأمن والسلام ؛ وكذلك إذا قررت اللجوء إلى تشى لمهاجمة تشين، فستكون النتيجة واحدة.

وأرجوك أن تلاحظ أن هناك الكثير ممن يخططون للسادة الملوك ويصورون لهم ضرورة مهاجمة الدول الأخرى، فأولئك النفر من رجال التخطيط يسعون بكل وسيلة ويتحدثون بكل لسان بليغ ومنطق عذب؛ بهدف الإيقاع بين الدويلات لقطع علاقاتها الخارجية بين بعضها بعضا، فالزم الحذر يامولاى، واحفظ قولى لك سرا مطويا فى صدرك، ولاتصرح به لأحدٍ من الناس، كائنا من كان".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

"وأرجو من جلالتك أن تأمر مستشاريك (القائمين عن يمينك وشمالك) بالتنحى عن مجلسنا هذا، حتى يتسنى لى أن أشرح لك أسباب النجاح والفشل، أو منافع ومضار أساليب الاختيار المختلفة فيما يتصل بالعلاقات الخارجية، واعلم أن هناك وجهين متناقضين لكل اختيار، مثلما أن هناك محورين للتحالف بين الدول المحور الرأسى والأفقى . وإذا شئت أن تعمل بما أقول لك، فستجد دولة، مثل يان، تقصد إلى أعتاب قصرك وتمثل بين يديك؛ لتهديك أوفر أراضيها إنتاجا للجياد والدواب والفراء؛ فما أن يصير لك ماتريد منها، حتى تأتيك وفود دولة تشى تعرض عليك قبول أفضل الأجزاء المطلة على البحر من أراضيها الساحلية المشهورة بثروتها السمكية والملحية.

ثم لاتلبث دولة تشو أن ترسل إليك الوفود لكى تهديك أرض "يونمن" العامرة بأحسن ثمار البرتقال والليمون، بل ستجد أيضا دولتى وى وهان تخطب ودك بما تعرض عليك من قبول الأموال الطائلة من رسوم إيجارات وضرائب أراضيها الكثيرة، (فيعم الخير وتشملك الدنيا بالثروة والجاه والسلطان) فتتكرم بالإقطاعات الهائلة والألقاب الشريفة ودرجات النبالة على أقاربك وأصهارك؛ وقد طالما كانت الأراضى الممنوحة للعروش الحاكمة وأموال الجباية هما الهدف الذى من أجله بذلت الإمبراطوريات دماء جنودها حتى أهلكت الجيوش الجرارة (فى سبيل تحقيقه)، بل كثيرا ما اقتتل القادة وألقى فى غياهب السجون بالأبطال (من أجل الحصول عليه). بل كان ذلك الهدف هو الذى أهلك عروش (طانغ) آل شانغ والطاغية (المخلوع عن الحكم) شياجيه، اللذين تهالكا عليه رغبة فى الإنعام على الأمراء والأصهار بألقاب الشرف والإقطاعات العامرة.

وتستطيع، اليوم، إن أردت يامولاى، أن تجنى ثمار كلا الجانبين، وهو ماأرجوه لك وأتمنى ألا يغيب عن ناظريك.

ذلك أنك إذا انضممت إلى دولة تشين، فلابد (أن هذه الدولة الكبرى) ستعمل على إضعاف طاقات كل من وى وهان؛ أما إذا تحالفت مع تشى، فلابد أن هذه ستنال من قوة كل من تشو، و وى، فإذا تناقصت قوة هذه الأخيرة، فلابد أنها ستقدم الكثير من التنازلات من أرضها الواقعة وراء منطقة " خواى"، وكذلك إذا تبددت طاقة دولة هان، فلا أظنها تتأخر عن التنازل عن أرض (العاصمة) إيانغ، فإذا ماحدث ذلك انقطعت خطوط الاتصال مع ولاية" شانجون"، وكذلك إذا تم التنازل عن أرض ماوراء" خواى"، فستنقطع طرق المواصلات، وعندما تتبدد طاقة دولة تشو، فإن بلدكم يخسر أهم مورد من موارد المساعدة وقت الحاجة، ويفقد أهم سند؛ فهذه الخطط الثلاث التى عرضتها عليك، تحتاج التنقيح والتأمل المستفيض.

ومن ناحية أخرى، (فإذا تصورنا إمكان أن) تقوم دولة تشين بالهجوم عبر طريق "جيداو"، فسوف تترامى تأثيرات ذلك الحدث إلى منطقة نانيان، وربما أصيبت بالذعر والهلع، نتيجة ذلك، ثم إذا تم الاستيلاء على دولة هان ومحاصرة دولة آل جو، فستكون بلادكم قد آذت نفسها بيديها وجلبت حتفها بظلفها.

(واعلم أنه) إذا تم لدولة تشين احتلال" وايدى"، وأخذ نهر" تشى"، صار لزاما على دولة تشى أن تهرع إلى بلاط تشين الحاكم إذعانا لما يملى عليها، ولما كان الموقف شرقى منطقة هواشان مواتيا لدولة تشين لأن تشرع فى تنفيذ خططها، فسوف تسارع إلى تعبئة قواتها والهجوم على بلادكم، ذلك أن جيش تشين لن يتوقف عن التحرك مهما كانت العوائق أمامه وسيتخطى النهر الأصفر ونهر جانغ، ثم يقوم باحتلال منطقة "بوهو" التابعة لبلادكم، مما سيفرض على قواتكما الالتحام فى منطقة"هاندان"، وهو مايثير قلقى على موقفكم، ويبعث على الإشفاق عليكم".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وإذا تأملنا الأحوال فى الوقت الراهن، فليس هناك دولة أقوى من بلادكم (جاو)، خصوصا فى المنطقة الواقعة شرقى هواشان، إذ تبلغ مساحتها ألفى لى مربع، ويتجاوز عدد مقاتليها مئات الآلاف من الجنود، وتملك من المركبات العسكرية ألف عربة، ومن الجياد عشرة آلاف رأس، ولديكم من الحبوب مايكفى استهلاك عشر سنوات قادمة، وإلى الغرب منكم يقوم جبل" تشانغ شان" ويحاذيكم من الجنوب النهر الأصفر ونهر جانغ، وإلى الشرق يمتد شريط نهر" تشينغ"، وعند الشمال تقع دولة يان التى لايمكن أن تدخل فى عداد الدول القوية؛ بمعنى أنها ليست مبعث خوف على أمن بلادكم وتظل جاو (موطئ عرشكم الكريم) من أكثر البلاد التى تعمل لها دولة تشين ألف حساب، فهل سألت نفسك عن السبب فى عدم إقدام تشين على مهاجمة جاو حتى الآن؛ [وتشين – كما تعرف – تريد أن تبسط نفوذها على أعتى وأقوى الممالك، لواقتضى الأمر ذلك!]؟ السبب، يامولاى يكمن فى خشية تشين مما يمكن أن تدبره لها كل من وى وهان اللتين تساندان جاو فى طى الخفاء، من خطط ماكرة. فهاتان الدولتان بمثابة حاجز وقائى يحمى بلدكم من جهة الجنوب، ومع ذلك فسيختلف الأمر كثيرا إذا أقدمت تشين على مهاجمتها، خصوصا أن البلدين لاتحدهما موانع طبيعية من جبال أو أنهار كبرى، مما يسهل على تشين التقدم لابتلاعهما واحدة بعد الأخرى، ولن يوقف

مسيرة تشين إلا حدود العاصمة، وبالطبع، فليس لكلتى البلدين طاقة بمدافعة هجوم تشين، ومن ثم، فسوف تذعنان لها بالولاء والطاعة، وإذ تشرع تشين أسنة رماحها، فلن يوقف تقدمها بعد ذلك أى عائق ولن تمنعها موانع، مما ينذر بوقوع الكارثة على رأس جاو، وهو الأمر الثانى الذى يثير خوفى وقلقى على بلدكم".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

"قد بلغنى (من أخبار الملوك الحكماء الأقدمين) أن (الامبراطور الحكيم) ياو لم يكن يملك أرضا تتسع للحرث والزرع، ولا كان (الملك القديس) "شون" يحوز أدنى مساحة من الأراضى ومع ذلك فقد كانا كلاهما يبسطان نفوذهما فوق الممالك المترامية، ولم يكن (الملك الحكيم) "يو" يملك قرية آهلة بالسكان، ومع هذا فقد امتدت رقعة سلطانه لتشمل العديد من الدويلات والإمارات التابعة له، كما لم يكن جند أعتى الإمبراطوريات [طانغ (من أسرة شانغ الملكية) والملك أو حاكم جو] يزيدون عن ثلاثة آلاف فرد، ولا كانت المركبات الحربية تزيد، بأى حال، عن ثلاثمائة عربة، وعلى الرغم من ذلك فقد استتبت فى أيديهم مقاليد الحكم ودانت لهم العروش بالطاعة، ولا أظن أنه كان ممكنا أن تسهل الأمورعلى هذا النحو، إلا بما اتخذوا من وسائل قويمة ومناهج سديدة فى الحكم الرشيد؛ ولهذا فقد تمكن أولئك الملوك الحكماء من تقدير قوة أعدائهم من عدمها (فيما يتعلق بأحوال وعلاقات البلاد الخارجية) بالإضافة إلى ما مهروا فيه من الوقوف على التصوير الصحيح لحجم قوة جيوشهم (فى الداخل) وما أدركوا عين الصواب، فيه باعتبار مقاييس الحكمة، الطيش لاتتحد بمقارنة (حجم تسليح) القوات مقابل بعضها البعض، بل تكمن، أساسا، فى القدرة على تحقيق النصر مقابل الهزيمة أو المثابرة على البقاء مقابل التفكك والارتباك.

(وإذ رسخت تلك المفاهيم فى عقل الملوك الحكماء) فقد كان من المستحيل أن تنطلى عليهم الكلمات المخادعة، بله التهور والطيش فى اتخاذ القرار".

الجزء الخامس من الفصل نفسه

"وقد تسنى لى أن أطالع خريطة الممالك، - فيما كنت أتأمل الأمور بمفردى - (فوجدت أن) أرض الممالك كلها تكاد تبلغ خمسة أضعاف مساحة دولة تشين، ثم قدرت أن حجم قوات الدويلات مجتمعه، يبلغ عشرة أضعاف قوة تشين، فإذا ما اتحدت ست دول واتجهت صوب الغرب لمهاجمة تشين، فستكون الهزيمة الساحقة هى قدر تشين الذى لامفر منه، ومع ذلك فالحاصل الآن هو أن تشين هى التى تعتدى على الدول، مما يضطرها، جميعها، الى الرضوخ لها والانضواء تحت نفوذها والسعى إلى خدمة مصالحها، (حتى صارت تذعن بالكامل لإرادة تشين).

(والسؤال الآن هو:) هل يمكن أن يستوى طرح الأمور على صعيد واحد، بحيث يتساوى - مثلا - أن تهاجم أعداءك أو أن يبادروا هم إلى مهاجمتك، وهل يستوى أن تذعن لمشيئة عدوك مع خضوعه لمشيئتك أنت؟

إن أولئك المخططين والدعاة السياسيين المنافحين عن خطة التحالف الأفقى، يطرحون فكرة مضمونها أن تقوم الممالك بتسليم أجزاء من أراضيها إلى دولة تشين، سعيا للمصالحة وتوطيدا لعلاقات السلم؛ ذلك أنه عندما يقوم السلام مع تشين، سيستمتع أولئك المخططون بالمقصورات العالية فوق التلال تجرى من تحتها الأنهار وينمقون المبانى ويشيدون الجدران العالية، تشنف آذانهم الموسيقى، وتلتذ أفواههم بأشهى المذاق، تقودهم المركبات إلى حيث يريدون، بصحبة أجمل النساء والفتيات حيث تصدح الضحكات الرنانة فى أحلى الأفواه، وفجأة تنعقد فى الأجواء سحابات الكوارث الداهمة وقد أطلقتها تشين من عقالها، وعندئذ تطلب أولئك الداعين إلى التحالف مع تشين فلاتجدهم؛ لأنهم لن يكونوا مستعدين لتحمل نصيبهم فيما حل من المصائب، (بزعم العجز عن مواجهة تشين) ومن ثم، لايفتأ الدعاة إلى التحالف مع تشين (التحالف على المحور الأفقى) يتخذون من قوة تشين ونفوذهما وسيلة لتهديد الممالك وإلقاء الرعب في نفوسها، سعيا لاقتطاع المزيد من أراضيها. فهذه مسألة تتطلب التخطيط الواعى والدقيق من جانبكم".

الجزء السادس من الفصل نفسه

"وقد علمت أن العاقل الحكيم لايطأ موطئ الشك، ولاينزل بساحة الوشاية (بصرف نفسه عن الاستماع للوشايات الكاذبة) وينبذ القيل والقال، ويترفع عن أن يمضى فى طريق التواطؤ والتحزب مع الغير، فمثل تلك القيم هى الأساس فى التخطيط لتوسيع رقعة الأراضى الإمبراطورية ودعم القوة القتالية، وذلك هو السبيل الذى يشد رجالك إلى ساحتك ويوردهم مورد الإخلاص لك والثقة بك.

وبناء على ذلك كله أستطيع أن أعرض عليك، وفى سرية تامة، خطتى التى أراها مناسبة لك، ومفادها: أنه ليس هناك أفضل من قيام تحالف الدول الست التى يتشكل منها المحور الرأسى، وهى: هان – وى – تشى – تشو – يان – جاو؛ التى تتمكن بتقاربها وتكتلها من مناوأة دولة تشين.

فليجتمع رؤساء وزرات الدول المعنية فى لقاء عام بمنطقة نهر" خوان" ولتتبادل الدول رهائن السلام، ثم توقع جميعها مواثيق الصداقة بأيد غمست فى دماء جواد أبيض [هكذا، حرفيا]، ويقسم الجميع على القسم المنصوص عليه، كالتالى: نقسم نحن المتحالفين على أنه..) إذا قامت تشين بمهاجمة دولة تشو، تقوم دولتا وى وهان بإرسال قواتها المسلحة بأقوى وأمضى الأسلحة لمساعدة تشو، وأن تقوم هان بقطع طرق الإمداد والتموين (تموين الحبوب..) على جيش تشين، وأن تدفع جاو بقواتها فتعبر النهر الأصفر ونهر جانغ حتى تتماس مع قوات تشين (وتبقى هناك إلى حين صدور أوامر أخرى) بينما تتشبث قوات بالدفاع عن منطقة "يونجون"؛ فإذا قامت تشين بمهاجمة دولة تشى، بادرت تشو إلى قطع الطريق على مؤخرة قوات تشين، بينما استماتت قوات هان فى الدفاع عن المنطقة العسكرية الحصينة فى" تشن قاو" فى حين تسارع دولة وى إلى قطع طرق المواصلات فى منطقة"أوطاو"، بينما تعبر قوات جاو النهر الأصفر ونهر جانغ، ثم تتمركز فى منطقة" مضيق بوكوان"، أما دولة يان فترسل بأمضى الأسلحة وأقوى العدة والرجال والعتاد لمساندة دولة تشى.

فإذا ما كان هجوم تشين مبتدئا بدولة يان، تقوم جاو بالدفاع عن منطقة" تشانغ شان" بينما ترابط قوات تشو في" أوكوان"، على أن تعبر قوات تشي نهر بوهاي، مرورا بالنهر الأصفر، حتى تتمركز بالقرب من قوات تشين وتكمن هناك انتظارا للأوامر وفي الوقت نفسه، ترسل كل من وي، وهان بقوات كثيفة لمساعدة دولة يان.

وبافتراض أن تبدأ تشين بمهاجمة جاو، تهرع قوات هان؛ لكي ترابط في العاصمة إيانغ، بينما تتمركز قوات تشو في منطقة" أوكوان"، وتنزل قوات وي بمنطقة خواي، وتمكث هناك (حتى صدور أوامر أخرى)، ثم تعبر قوات تشي فوق نهر تشينغ، في حين ترسل دولة يان بأمضى أسلحتها وأفضل قواتها لمساعدة جاو؛ فإذا صدرت عن إحدى الممالك أية مخالفة لهذا الميثاق بادرت الدول الخمس الباقية، إلى شن الغارة عليها، في تكتل جماعي.

ويصير لزاما على دول التحالف الست التكاتف حول محور التحالف الرأسي ونبذ دولة تشين، ولابد أنه سيتعذر على هذه الأخيرة محاولة العبور بقواتها من مضيق هانكو لتهديد التحالف السداسي بمنطقة شاندونغ.

فإذا تحققت أهداف التحالف على النحو المذكور، صار في حكم المقرر اعتبار الأئتلاف السداسي" قوة ذات هيمنة عظمي" [امبراطورية عظمى]".

وهنالك قال له شياوهو، حاكم جاو:" (أنت ترى ياسيدى) أنى مازلت، بعد، حدثا صغير السن، ولم تمض على في الحكم سوى أيام قليلة، ولاعهد لى بتلك الأمور ذات الصلة بـ "خطط الإدارة السياسية طويلة المدى" وقد استمعت إليك وفهمت ماترمي إليه، أيها الضيف القدير، من التخطيط بهدف استقرار أحوال الممالك، وحماية أمنها، وسوف تعمل بلادى بما تشير على من ارشادات وتوجيهات" ثم أنعم على سوتشين بلقب "أوانجون" وأهداه مائة مركبة، وألفى مثقال من الذهب، ومائة زوج من اليشب (حجر كريم) وألف قطعة من القماش المطرز، وطلب إليه البدء في محاولة ضم باقي الممالك إلى خطة التحالف الرأسي.

لمـا قامت دولة تشين بمهاجمة دولة جاو

قامت تشين بمهاجمة دولة جاو، وراح سوتشين يقول لحاكم تشين: " قد بلغني أن الملك الحكيم يثابر على مد جسور العلاقة بينه وبين وزرائه، ولايمل من توجيههم والعمل على تزويدهم بكل المهارات والقدرات المناسبة، مما يساهم في إنجاز المسئوليات الجسام بغير إبطاء، وتخفيف الأعباء عن الناس، وينبغي على القائد الفطن أن يحسن الاستماع والإصغاء إلى معاونيه وأن يأخذ بما يراه ملائما من مشورتهم، فذلك يضمن السداد والتوفيق في القيام على شئون الممالك، فتزدهر الأحوال، وتتراجع المساوئ والسلبيات، وأرجو من جلالتك أن تراجع ماأعرضه عليك من اقتراحات بمنتهى الدقة، بحيث تتمكن من استخلاص ثمرة نتائجه الطيبة وتحقيق فاعليته على الوجه الأكمل وفي الوقت الأنسب.

وقد سمعت ياسيدي أن الناس لاتحمل النفائس والمجوهرات وتسير بها في الطرقات المظلمة، وسمعت أيضا أن من يتولون أمور البلاد وشئونها الكبرى لاينبغي لهم أن يستصغروا شأن أعداء بلادهم؛ لذلك فالعاقل الحكيم من يتصرف بالاحترام الواجب وهو يحمل على كتفيه المسئوليات الجسام، وكذلك فالذكي من عظمت انجازاته وتواضعت كلماته، بحيث يعرف له الناس قدره بغير مقت ولاضغينة، وتبجله العامة وتذكر فضله بغير حقد ولاحسد.

ويلغني أيضا أن الناس تتسابق في الخضوع والإذعان لإرادة بلد فسيح الأرجاء.

وعرفت أن العاقل الكفء ذا المهارة والاقتدار المنقطع النظير، لا يكون موضع اهتمام كبير لدى سيد البلاد والممالك. [حرفيا: لا يعلي شأنه ولايعينه في منصب عظيم] كما أن فاقدي العزم وخائري القوى لا يجدون قبولا، حتى لدى أطيب الناس قلبا وأشدهم رحمة وعدلا. [حرفيا: لن يجدوا من يوليهم الوظائف، ويضمن لهم لقمة العيش].

إن من يتعفف عن الإلحاح في الرجاء، مع شدة الحاجة والتلهف على الطلب، فهو القديس الحكيم، وهذا دأبه على طول المدى.

. إن العمل على توفير أسباب الحياة التى يسعد فيها الناس بأوقاتهم، ويجددون بها طاقتهم ونشاطهم، بعد تمام الوفاء بالمهام الكبرى؛ لهو من صميم مبادئ الجندية والتعبئة العسكرية.

ومع ذلك، فقد مضى زمان طويل، والحرب دائرة والقتال لا ينتهى، وقد كلّت سواعد الناس، واستنزفت دماؤهم ومازالوا، على الرغم من ذلك يجدون من يسند إليهم الأعمال دون توقف.

(واعلم) أنك إذا أثرت غضب جاو، فستستطيع (فى آخر المطاف) أن تغلبها، وتضمها إلى أرضك كأنها مدينة من مدائنك، وتصير أرضها كلها لك! ومع ذلك، فليكن الحذر رائدك؛ لأن) دولة جاو قد جربت الكثير من المحن والهزائم، فلا يكن كل همك وقصارى جهدك وكل خططك المستقبلية منحصرة فى ذلك الاتجاه، حتى لو وقعت فى يدك (المدينة الحصينة) هاندان.

وأظن، يامولاى، أن أرضا فسيحة الأرجاء بغير زرع ولاثمر، وشعبا مسوقا إلى السخرة (يلهث من الكد ولا يرتاح)، مقهورا بسيف العقاب، مقيدا بسلاسل الخوف والذل، لن يطول بقاؤه لديك، مهما أبدى من الخضوع والإذعان، وقد جاء فى المثل:" إن النصر الذى يجلب على الوطن أجواء الخطر، يطيل أمد الحرب والكرب، وكذلك الهمم، العالية بغير سلطة نافذة، لاتضيف إلى مساحة الأرض شبرا واحدا.. [.. الهمة بغير ذمة جهد ضائع!].

ولذلك، فالوالد لايستطيع أن يحصل من أبنائه على أكثر مما تتحمله طاقتهم، ولا يمكن للأمير أن يجد وزراء مثابرين مخلصين مادام يطلب منهم الوفاء بمتطلبات لاتنتهى إلى حد معلوم.

ومن ثم، فمن عرف كيف يحيل الذر الضئيل إلى أشياء بارزة ملموسة [من عرف كيف يستنبت الثمار من أضأل البذور..] هو وحده الذى يملك أعظم الطاقات الخلاقة، ومن أدرك أهمية توفير أسباب الحياة لشعبه من أجل إنعاش طاقاتهم، ودفع عزائمهم

وهممهم، وبلغ قمة السيادة فوق الممالك، ومن استوعب كيفية تحويل مقاليد النفوذ البسيطة المتواضعة إلى مراتب النفوذ العظمى؛ فهو الملك الأعظم الذى وجبت له السيادة والسطوة الغالبة".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وهنا، تحدث ملك تشين قائلا له: "فماذا لو أوقفت تحركات الجيش، وتركت الناس يخلدون إلى الراحة، ألا تبادر الممالك إلى إقامة التحالف الرأسى فيما بينها لمناوأة تشين؟"، فرد عليه سوتشين بقوله: "إنى لعلى يقين من عجز الممالك عن تحقيق التحالف الرأسى فى وجه تشين، وأرى أن تصرف كل من السيدين: تيان دان، و رو آر [من كبار رجال الدولة فى وى] بعيد عن الصواب تماما، فهل يمكن أن نستنتج أن ليس هناك مخطئ آخر غيرهما؟ كلا، بل قد أخطأ الجميع، بما فى ذلك حكام الدويلات والممالك كلها!

صحيح أنهم قد جمعوا شتات الدول، فضموا إلى حلفهم دولة تشى، المنهدمة الخربة؛ وتشو، المنهكة عن آخرها؛ ودولة وى، المنهارة على عروشها؛ وجاو التى لاتنظر إلى أبعد من قدميها]حرفيا: التى لاتعرف مايخبئه لها القدر من بقاء أو فناء[وذلك كله بهدف حشد قوتهم والترصد لـ تشين بغية وضع العراقيل فى طريقها وخلق المتاعب لها، وإخضاع دوله هان، وهو مايبدو لى تحركا شديد الغباوة والغفلة.

وقد قام على عرش دولة تشى، اثنان من أعظم الحكام، هما: الملك" وى" و الملك "شيوان" اللذان حازا من الخلق أكرمه ومن النفوذ أعظمه، حتى بلغت بلادهما من المجد والثروة مالايزيد عليه، وانقادت لهما جموع الناس إذعانا وتسليما ورضا بحكمهما الرشيد، وفاضت قلوب قادتهما العسكريين بالشجاعة والعزم، وانعقد لجيوشهما لواء العزة والقوة،حتى سيرهم الملك شيوان واقترب بهم من دولة هان وراح يهدد دولة وى ثم انطلق جنوبا لضرب تشو، واتجه غربا للإغارة على تشين، بل قام بحصار قوات

تشين فى منطقة جبال" شياو" وفى مضيق" هانكو"، وظل طوال عشر سنوات يغتصب أجزاء متفرقة من أرض تشين، قطعة بعد أخرى، حتى فر الأهالى من الذعر وهاجروا إلى مناطق نائية، لكنهم لم يستسلموا، وظلت تشى ترفع رماح الحرب حتى هجرها الناس وصارت أرضها خالية من السكان؛ أما السبب فيما حاق بجيش تشى من الهزيمة، وفى تدهور أحوال دولتى وى وهان؛ فيكمن فى أن عدوانهما على تشين وتشو قد كبدهما أفدح الخسائر وأصابهما بأسوأ الكوارث.

(لكنا إذا تأملنا ماهو قائم..) اليوم، وجدنا أن الممالك لم يعد يتولى عروشها رجال أمثال الملك "شيوان"، أو الملك وى، (حاكم دولة تشى) لم يعد هناك، الآن، من يصارع هذين الرجلين جاها وثروة، ولاعاد فى الممالك جيش فى مثل قوة جيش تشي وجرأته (عند حصاره وتهديده لدولتى وى وهان)؛ كما أنه ليست هناك الآن خطط (عبقرية) يبدعها تصور رجال محنكين، من أمثال تيان دان، وصمارانجو.

فلذلك أزعم أن محاولة ضم شتات دولة تشى المتهدمة الخاوية على عروشها و"تشو" المنهكة، و"وى" التى تخربت وتهدمت مبانيها، و"جاو" التى لا يعرف لها بقاء من فناء [هكذا] وذلك بظن إمكان استخدام مجموع قوتهم فى إثارة الأزمات أمام دولة تشين وإخضاع دولة هان؛ أزعم بأن هذا هو أفدح وأبشع الأخطاء جميعا، وأرى استحالة نجاح التحالف الرأسى (فى أداء مهامه وتوحيد كلمته)، بيد أن الكثيرين يقدحون فى صحة آرائى ويلقون عليّ باللوم، وهو أمر يثير لديّ الكثير من القلق والتوتر.

[وهناك الآن اتجاه فلسفي من أصحاب مدرسة "الجوهر والصفات"] وهؤلاء يستشهدون على صحة مذهبهم بعبارة بسيطة و (مشهورة) مفادها :"إن الحصان الأبيض ليس حصانا] باعتبار أن الصفة اللونية أخرجت جوهر الاسم من كيانه ومنحته وجودا آخر وآفاق تعريف أخرى] وكان الأجدر بهم أن يؤكدوا بأن الحصان الأبيض لا يختلف عن باقى الأحصنة، أما انتشار المقولة المشهورة المذكورة آنفا (.. الجواد الأبيض ليس جوادا) فهى من أكثر الأشياء الداعية للإحساس بالقلق والترقب".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

"كانت دولة تشين - فيما مضى من الزمان - قد أغارت بقواتهاعلى منطقة" هوايدى" [أرض تابعة لدولة وى] وقامت بإخضاع أهلها. وكان الأمر يحتم على جاو، وتشى، وتشو أن يسارعوا بالهجوم على قوات تشين، إلا أنه - لما كان قادة الجيوش أنذاك (رجالا من أمثال:) "جاوشى"، و"باونين" فإن دولة تشو، لم يخرج منها سوى أربعة رجال فقط، وقفوا فى وجه اعتداءات تشين، وعلى الرغم من انهيار منطقة "هوايدى" فإن جيش تشين اضطر إلى الانسحاب لافتقاره إلى الدعم المطلوب (لمواصلة الهجوم).

ولا أعرف ما إذا كانت الدول الثلاث تبغض تشين وتشفق على هوايدى (مما تتعرض له)، أو إذا كانت تكره هوايداى نصرة لدولة تشين؟

صحيح أن القوات المعادية (في تلك الحالة) قد هاجمت بغير سند أو دعم (من آخرين)، وأن الجيش المهاجم اضطر إلى الانسحاب دون أن يواصل القتال، مماأوقع بقوات الدول الثلاث فى أزمة حرجة، إلا أنه قد قام الدليل (بما لايدعو للشك) على براعة كل من" باويين"، " جاوش" فى القدرة على تقدير موقف العدو.

كانت الدول الخمس، قد اتحدت، فيما سلف من التاريخ، لضرب دولة تشى واقتسام أراضيها، وقام تيان دان على رأس خيرة قوات تشى، لكنه لما كان (قبل حدوث تلك الواقعة) ينتهج في الداخل سياسة قائمة على العسف والاستبداد، بالإضافة إلى السنوات الطويلة التى قضاها بعيدا عن ساحات القتال، فقد عجز آخر المطاف عن الإغارة على تشين، ودحر دولة هان، وهكذا فقد راح يرمح داخل حدود بلاده على ظهر حصانه، وقد اختلطت عليه الأمور، فلم يعد يدرى ماإذا كان هناك أمل في إمكان قيام التحالف الرأسي من عدمه".

وهكذا ففى ظل هذه الظروف، اتخذ الملك قراره بإيقاف القتال وعدم تحرك القوات إلى خارج الحدود، ونزع فتيل الحرب بين الدويلات والممالك، فهدأت الأحوال وحل الاستقرار تحت السماء وظل السلام منتشرا فى ربوع الممالك طيلة تسع وعشرين سنة.

لمـا التقى تشانغى بالمـلك هوى

التقى تشانغى بالملك هوى، حاكم جاو، فى إطار مساعيه لإقامة التحالف الأفقى الموالى لدولة تشين، وحاول سوتشين استمالة جلالته، قائلا له:" إنه لما يشرف أرضنا ومليكنا ملك تشين أن يوفدنى إليكم كى أستأذن جلالتكم فى السماح لى بأن أسلم لكم رسالة من طرفه، (هذا، ولابد من الإشارة إلى..) أن جلالتك تقود الممالك والدويلات فى حملة ترمى إلى إقصاء ونبذ دولة تشين، لدرجة أن جيشها ظل لمدة عشر سنوات غير قادرعلى الخروج من مضيق "هانكو" (ومن المعلوم جيدا) أن لكم وسط الممالك هيبة، ولصوتكم صدى مسموعٌ فى كل الأرجاء وقد تجاوز ماوراء جبال هواشان من جهة الشرق.

إن بلادنا تعيش فى خوف وهلع؛ وهى تحاول أن تستفيد من الوقت فهى تصلح أسلحتها وترمم ماانكسر من دروعها، وتشحذ إرادتها وقد أخذت فى إعادة تنظيم فرق الفرسان والمركبات، وتدرب القوات على الفروسية والرماية، بجانب الاهتمام بزراعة الأرض وجنى المحاصيل وحماية الحدود والثغور، وعلى الرغم من ذلك فهى تشعر بأن يدها مغلولة؛ لما أحاط بها من أجواء القلق؛ وذلك بسبب خشيتها من أن تؤاخذها جلالتك بأخطائها، وإذا كانت تشين قد تحركت صوب الغرب، فلم يكن يتم لها ذلك، لولا الاحتماء فى ظل سلطانك وهيبتك، وحيث استطاعت أن تحتل منطقة" باجو" وأن تضم أرض "هانجون"؛ هذا بالإضافة إلى ما استولت عليه فى الشرق، من أراضى كل من جو الشرقية والغربية، حيث تمكنت (بعد احتلال البلدين) من نقل" الجيودنغ" [الأوانى التسع.. الرمز المقدس القديم، الذى تسعى الدول للحصول عليه] إلى أرضها وأحكمت قبضتها فوق معبر" بايما" النهرى.

وعلى الرغم من أن تشين بلد بعيد يقع فى أقصى الأرض، فإنه قد اختزن فى أعماقه غضب السنين وغيظ الأيام والدهور. (وعلى الرغم مما أيدينا من) دروع قديمة محطمة ورماح صدئة، فقد قرر مليكنا أن ينزل بالقوات فى منطقة"ميان تشى" أملا فى أن يعبرالنهر الأصفر ونهر جانغ، للاستيلاء على" بوأو" [بلدة فى دولة جاو]

حيث يتسنى التصدى لقواتكم بالقرب من مدينة هاندان، والأمل قائم فى أن تدور رحى القتال، مثلما كانت تدور فى ساحات حروب "جياتسى" [حرب قامت فى قديم الزمان ضد الملك الطاغية" تشو" سليل آل "يين" والخطاب هنا يستعير دلالة الحرب ضد الطغاة فى تهديد واضح لدولة جو وحاكمها!] حيث تدور دائما الحروب العادلة تأديبا للطغاة من أمثال الملك تشو.

وإذ يشرفنا أن نلتقى بجلالتكم فى هذه الزيارة الرسمية التى جرى تكليفنا بها فقد حرصنا على إطلاعكم وإبلاغ مساعديكم بما ذكرته لكم منذ قليل".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وواصل تشانغى كلامه، قائلا: "لا أكاد أشك لحظة، فى أن كل ماقمتم به فى هذا الشأن [تأسيس قواعد التحالف الرأسى] عن اقتناع وحماس، وإنما هو من تخطيط ووضع سوتشين، وهو رجل مضلل، يصور الحق كأنه باطل، ويزين الباطل فى إطار الحق واليقين، وقد حاول كثيرا أن يطيح بنظام الحكم القائم فى تشى، لكن محاولاته باءت بالفشل، بل دفع حياته ثمنا لذلك الفشل إذ حكم عليه بالإعدام بأن قُطِعَتْ أوصاله وربطت إلى عربات رامحة فى الطرقات.

إن استحالة قيام الوحدة بين الممالك أمر مفهوم وواضح لكل ذى عينين.

ثم إننا نطالع الأحوال اليوم، فنجد أن دولة تشين وتشو قد عقدتا من المودة ماصارتا به كأنهما أختان شقيقتان، بينما تحرص كل من وى وهان على أن تتصرفا بوصفهما تابعين مخلصين لدولة تشين تحرسان حدودهما الشرقية. وإذ تسعى دولة تشى لإهداء تشين أفضل وأشهرأراضيها فى إنتاج الملح وتربية الأسماك، فهى بذلك تقصم ذراع جاو اليمنى، فما ظنك بدولة فقدت ذراعها الأيمن ومازالت تسعى إلى الحرب مع الآخرين، هذا بالإضافة إلى فقدانها لرفاقها وانعزالها عن الدنيا بأسرها، على الرغم من العيش الآمن والسعى إلى الاستقرار، أتظن أن دولة تتصرف على هذا النحو يمكن أن تحصل على الأمن والاستقرار حقا؟

قد أوفد ملك تشين ثلاثة من كبار القادة العسكريين، كل في وجهة محددة ولغرض معلوم؛ إذ أرسل أول القادة إلى منطقة" أوطاو" لإغلاق طرق المواصلات بها، والاتفاق مع دولة تشي على أن تدفع بقواتها لعبور نهر تشينغ والتمركز شرقي مدينة" هاندان"، وأوفد القائد الثاني لقيادة القوات إلى منطقة" تشنكاو" بهدف حث دولتي وي وهان على الدفع بقواتهما للتمركز جنوبي النهر الأصفر، أما القائد الثالث فقد تلقى الأوامر بالتوجه إلى منطقة ميان تشي، والمرابطة فيها؛ حيث تم الاتفاق بين الجميع على.. أن تتحالف الدول الأربع في الهجوم المشترك ضد جاو، والإغارة عليها من الجهات الأربع بهدف اقتسام أراضيها" وهو موضوع يصعب إخفاؤه والتستر على مقاصده الحقيقية (ولذلك)، فقد آثرت أن أفاتح مساعديك بشأنه، وسوف أضع لك خطة سرية، أرى من الأفضل لكم أن تلتقوا فيها بملك تشين، لعلكم تدخلون معا في ميثاق تحالف مشترك، (ومن ناحيتي) فسوف أتقدم لملك تشين برجائي في تجميد تحركات القوات، وأتمنى أن تتدبروا أمركم بعد التأمل العميق".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وتحدث الملك هوى، قائلا: "عندما كان" فنغ يانخون" يعمل رئيسا للوزراء في عهد الملك الأسبق، فقد استبد وسار بالعسف وعمل على تضليل الملك، وفرض نفوذه على الحكم، وكنت – وقتئذ – أقيم بالقصر الملكي، وأتلقى العلم على يد أساتذتي، وأعمل تحت إشرافهم، ولم يكن لي حق المشاركة في التخطيط لشئون الحكم ولا القيام بأعباء الإدارة والاضطلاع بمسئولياتها الكبرى، حتى أني لم أكن قد كبرت وخرجت عن الطوق عندما أعلنت وفاة الملك الأسبق، ولا كنت قد قدمت الكثير من القرابين في المعابد (وبالتالي، فلم يتح لي أن أبلغ مبلغ الكبار في التبصر بالأمور ومع ذلك..) فقد كنت، في قرارة نفسي، متشككا في جدوى ومغزى قيام التحالف الرأسي؛ ولطالما اعتقدت بأن أي تحالف بين الدول الست لن يأخذ مصالح تشين بعين الاعتبار، سيتغافل عن العمل بما يناسب تطلعاتها ويخدم مصالحها على المدى الطويل؛ ومن ثم،

فقد رأيت (أن من الأوفق والأجدى) أن يتم تغيير الفكرة الأساسية التى انطلق منها مشروع التحالف بحيث يقوم الجميع بالتنازل عن أجزاء من أراضيهم إرضاء لـ تشين وعرفانا بدورها ومكانتها، وتصحيحا لجملة أخطاء قديمة وقعنا فيها جميعا دون استثناء؛ وماكدت أنتهى من عمل الترتيبات اللازمة لإيفاد مبعوثنا الخاص إليكم بخصوص التنازل عن الأراضى لكم حتى فوجئنا بزيارتكم ومشاوراتكم معنا".

ثم إن الملك – حاكم جاو – قام على رأس ثلاثمائة عربة عسكرية حتى بلغ منطقة "ميان تشى" حيث التقى هناك بملك تشين، وتنازل له عن أراضى منطقة "هيجيان" على سبيل أبداء النوايا الحسنة تجاه دولة تشين".

لما كان حاكم جاو جالسا إلى الوزير

كان الملك" أولينغ"، حاكم جاو، جالسا فى إحدى ساعات النهار، يتجاذب أطراف الحديث مع كبير وزرائه "فاى" الذى اقترب منه وقال له: "هل تأملت جلالتك تقلبات الأحوال الجارية، وتدبرت حالة القوات العسكرية، وتذكرت مآثر جيانزى، وشيانزى، مسترشدا بسيرتهم فى وضع خطط لمجابهة أطماع قبائل الشمال ومنها قبيلتى "خو"، و"داى؟"، فأجابه الملك، قائلا: "لا يحق لمن ورث عرش الملوك أن يتغافل عن ذكر مآثر الحكماء الأقدمين؛ فذلك أساس استحقاق الملك وشرط الشرف والسيادة، باعتبار أن الاهتداء بسبيل الملوك الأقدمين ومعرفة مناقبهم الحسنة؛ هو القاعدة المثلى لمن وقف نفسه على إدارة شئون الممالك وانغمس فى شئون السياسة وحكم الممالك، ومن ثم كان العاقل الرشيد هو من أدرك حكمة العمل على هداية الناس إلى السبل الملائمة لانجاز الأعمال فى يسر وسهولة، إذا ماكان الوقت رخاء والأجواء فى الممالك مستقرة، أما إذا كان الزمان داعيا لتكبد المشاق، فالواجب على (الملك) الحكيم، الاعتبار بمآثر الأقدمين فيما سلكوه من منهاج، استطاعوا به الإتيان بأمجاد تجاوزت آثارها العظيمة حدود زمانهم (الماثل فى تجربة حياتهم).

وعلى الوزراء أن يلتزموا السلوك الكريم القائم على الاحترام والإجلال للكبار والتواضع وذلك في وقت عسر الأحوال [هكذا] أما في أوان الشهرة والمجد فينبغي عليهم إقالة عثرة العاثرمن الناس وتوسيع دائرة نفوذ أمرائهم.

تلكم هما القاعدتان الأساسيتان اللتان يجب على الأمراء والوزراء(كل على حدة) الالتزام بهما والعمل بمقتضاها. وها أناذا، اليوم، أفكر في الاعتبار بمآثر سيدي الملك (السابق) شيانزي؛ حيث أنوي استصلاح أرض قبيلتي" خو"، و"داي"، وهو أمر لم ينبه إلى أهميته كثير من الناس [في زماننا هذا].

إن أتخاذ الضعفاء أعداء يمكن أن يجعل المرء صاحب إنجاز رائع بأقل جهد ممكن، وقد يستطيع المرء أن يحقق الكثيرمن المآثر على غرار ماحققه كل من "جيانزي" و" شيانزي"، وذلك دون أن يكلف الناس ما لا يطيقون من الأعمال.

إن من يحققون إنجازات تتجاوز طاقة معاصريهم، فسيلقون أشد اللوم والتأنيب بوصفهم مخالفين للأعراف والتقاليد السائدة، وكل صاحب رأى مبدع خلاق، سيكون محط بغض وكراهية العامة والدهماء. وقد قررت اليوم، أن أرتدى زى أهل قبيلة"خو" [تنطق كما في "خوفو"] وأنزل إليهم كي أعلمهم فنون الطعن والرماية، بيد أني أعرف تماما أن الناس [الآن] سيتناولوني بألسنتهم في أحاديث القيل والقال".

الجزء الثاني من الفصل نفسه

فرد عليه" فاي"، قائلا: "قد بلغني، ياسيدي، مامفاده أن التردد في الأمور لايثمر نجاحا، وأن التلكؤ في أداء الأعمال لا يرفع الناس إلى مصاف الشهرة، فمهما كانت قراراتك مخالفة للمعهود بين الناس، فامض في سبيلك ولا تلتفت إلى ما يمكن أن يثار حولك من أقاويل.

إن من يتناولون مآثر الحكماء (بالتقييم والبحث) لا يلتفتون إلى معايير الأعراف والتقاليد القديمة، كما أن ذوى الإنجازات العظمى لا يناقشون خطط أعمالهم مع العامة من الناس.

وقد حدث فى قديم الزمان أن الملك الحكيم شون وقف وسط حلبة رقص وأمسك بفأس فى يد وحربة فى اليد الأخرى. وراح يرقص وسط قبائل" يومياو" [قبائل صينية قديمة] (وكانت تلك هى وسيلته فى إخضاعهم لنفوذه)، مثلما أن الملك (القديس) "يو" خلع ملابسه، ودخل وسط العراة [القبائل القديمة فى المناطق النائية] (يرقص ويغنى بينهم، عاريا كما ولدته أمه!) ليس رغبة منه فى اللهو والمجون أو إرضاء رغبة جامحة، وإنما استجابة لمظاهر طقوسية يجرى بمقتضاها توزيع الألقاب والوظائف على رعاياهم من أهل المناطق البدائية.

إن الأغبياء لا يفهمون ما تجلت به المعانى أمام أبصارهم، أما النجباء، فيحيطون ببواطن الأمور قبل أن تتبدى لهم الإيماءات وظواهرالإشارات، فامض، يامولاى، إلى ماعزمت عليه من ارتداء زى أهل خو فى محاولة لتدريبهم على فنون الرماية"، فقال الملك:" لايخالجنى أدنى شعور بالتردد إزاء الذهاب إلى أهالى منطقة خو والتزيى بلباسهم وتعليمهم فنون الرماية، لكنى أخشى أن يهزأ منى أهل الممالك، فيفرح الجهلاء المغرورون، ويحزن النجباء، بينما يمتلئ قلب الأغبياء سرورا، ويحزن الحكماء وتقطر قلوبهم أسى ولوعة، لكنى لواستطعت أن أفرض نفوذى فوق أهل الممالك [القبائل النائية] فسوف ينقاد الجميع، ويصير مافعلته من التزين بردائهم، وتدريبهم على مهارات الرماية إنجازا رائعا لامثيل له تحت السماء، وعندئذ لن أعبأ بالمستهزئين والساخرين مادمت قد أحكمت قبضتى فوق منطقتى "خو"، و "جونشان".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وبالفعل، فقد قام الملك أولينغ، حاكم جاو، بارتداء الزى التقليدى لأهل خو، وأرسل "وانصون شى" [أحد النبلاء] إلى "كون زيش" [عم الملك] ليبلغه مامفاده : "قد قررت بصفتى حاكم جاو ارتداء زى أهل خو، طوال فترة وجودى بالقصر الملكى، وأريد – جديا – أن يقوم العم الكريم [عمى - شقيق والدى] بارتداء ذلك الزى أيضا، إن طاعة الآباء والأمهات واجب على أفراد أى عائلة، مثلما أن الإذعان للأوامر الملكية

أمر مقرر على أهل الممالك، فهذا قرين بذلك، وتلك كلها وصايا ورثناها من قديم، بشأن السلوك القويم؛ فليس للابن أن يعصى والديه، ولا للوزير أن يخالف أمر سيد البلاد، ولطالما كان ذلك هو المبدأ المتوارث على مر الزمان منذ العهود الملكية الفائتة. وبما أنى قد أرسيت قاعدة تغيير الزى، بارتداء ملابس أهل خو، فلابد للجميع أن يسيروا على هذا المنوال، وإلا.. فإذا عصانى أقرب الناس لى (يقصد عمه) فسيتحدث أهل الممالك بهذا الأمرفيما بينهم. ثم هناك قواعد مقررة تحكم شئون الإدارة الحكومية، وعلى رأسها جميعا" مراعاة المصلحة العامة"، أى: مصلحة الناس، عامة الشعب، التى تتخذ بشأنها إجراءات أساسية محددة، وينتخب لذلك أقدر الناس على وضع تلك المبادئ والإجراءات موضع التنفيذ، لذلك فقد كان تدعيم قواعد الحكم الرشيد، وتوسيع آفاق الاستنارة والوعى والعدل لدى السلطة الحاكمة، يكمن فى مراجعة أحوال البسطاء من الناس [من ذوى المواقع الاجتماعية المتدنية (هكذا حرفيا)]، كما أن مناط الأمر فى الإدارة الحكومية مرهون بإسناد شئون الإدارة العليا إلى النبلاء.

إن ما قررناه بشأن تغيير الزى الرسمى، لايهدف إلى إشباع رغبة طارئة، أو تلبية حاجة من حاجات الترف والتسلية، ولكل أمر عظيم فاتحته ومبتدأ مادته، كما أن لكل إنجاز كبير عاقبته ومجتنى ثمرته.

فإذا ما ارتفع شاهد المجد على منصة الإنجاز، بدت بشائر الحكم الرشيد جلية للناظرين، ولشد مايثير قلقى أن أسمع بمخالفة العم الكريم لأسس وقواعد الإدارة الحكومية فى البلاد، موالاة لآراء النبلاء المناهضين لتغيير الزى.

وقد قيل إنه لاينبغى للماجد أن يضمر نوايا سيئة لما فيه مصلحة البلاد، وقيل أيضا.. إن من يتخذ أقرباءه - من النبلاء - أعوانا له، يتمجد اسمه وتتنقى سمعته من أى سوء؛ لذلك أتمنى أن تكون - أيها العم الجليل - عونا لنا، بالقول والفعل، فى إنجاز موضوع تغيير الزى، على الوجه الأكمل، ورسولنا إليكم هو النبيل" وانصون شى"، الموفد لمقابلتكم وإبلاغكم بطلبنا الخاص بتغيير الزى، ونرجو إجابة الطلب".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

فما كان من (العم) "كون زيشن" إلا أن أثنى على جلالته، بعد أن بدأ كلامه بتوجيه الشكر إليه، ثم قال : "عندما بلغني قرار جلالة الملك بتغيير الزى كنت ملازما الفراش لما أصابني من المرض، وبالتالى فلم أتمكن من الحضور لمقابلتكم، وبالتالى لم تتح لى الفرصة لتقديم آرائى إليكم لكنى، إذ عرفت بقراركم الكريم الذى أصدرتموه بشأن موضوع الزى الرسمى فسأبذل كل جهدى فى سبيل تنفيذ مانص عليه القرار بكل إخلاص وتفان.

وقد بلغنى إن المنطقة الوسطى (من الممالك)، موطن الموعظة والحكمة والقداسة، وموئل العدل والرحمة، ومغرس الأدب والشعر والفن والموسيقى، ومنبت كل إبداع أصيل ونادرة عبقرية، ومقصد البلدان للعلم والمعرفة، ومحط آمال الشعوب والقوميات الممتدة فى آفاق الأرض فى اقتباس التجارب والعلوم والمعارف؛ لكنك آثرت تنحية كل تلك (الثوابت [حرفيا]) جانبا، وفضلت استخدام الزى الشائع فى (البلاد النائية) أقصى الأرض، فبدلت تعاليم الأقدمين، ونهلت من غير معينهم، فخرجت عما استقر فى الأذهان، وما درج عليه الدارسون والعلماء من أفكار ومناهج وماترسخ فى طول البلاد وعرضها من العادات والتقاليد، ومن ثم فإنى أرجو من جلالتكم تأمل ومراجعة هذه الأمور بمزيد من العمق والروية".

الجزء الخامس من الفصل نفسه

وعاد الرسول إلى الملك فأبلغه بما كان من" قون زيش"، فقال الملك"اولينغ": "نعم كنت قد سمعت آنفا، بما أصاب العم من المرض الذى أقعده الفراش"، فقام فى الحال، قاصدا بيت عمه، حتى إذا التقى به، تحدث إليه مباشرة، قائلا:" ليست الملابس إلا أشياء نستعملها بقصد التيسيرعلى أنفسنا فيما يتعلق بالمظهر اللائق، ولم تقم قواعد الأدب والأخلاق إلا لتيسير سبل التعامل (بين الناس) بمقتضى المعايير المهذبة؛ وهو الأمر الذى دفع الحكماء إلى التدقيق فى ملاحظة الأعراف السائدة (والأنواق المعهودة)

لاتخاذ الأزياء والملابس التى تتناسب مع الظروف المحيطة بكل بلد ومنطقة على حدة، مثلما وضعت قواعد السلوك والآداب وفق ما يتلاءم مع تسهيل المعاملات (والسلوكيات) المعتادة، وهو التصرف الذى يستهدف العمل على دعم وتقوية كيان الأوطان.

ومثلا فإن إسدال الشعر مسترسلا على الكتفين، مع نقش الوشم فوق الأجساد، والوقوف مع تقاطع الذراعين أفقيا وحجب الجزء الأيسر من القمصان، هو مجموع المظاهر التقليدية المتبعة فى (عادات وتقاليد) قومية "أويو"؛ بينما استخدام المساحيق العشبية فى دهان الأسنان باللون الأسود، وتزيين العنق برسوم الأزهار والنباتات باللون الأحمر الفاقع، مع استخدام قبعات للرأس مصنوعة من جلود الأسماك وارتداء الخشن من الثياب (كل ذلك) من عادات وأعراف أهالى دولة" أو".

(وهكذا) وعلى الرغم مما يوجد من فروق واختلافات هائلة بين أزياء تلك الشعوب والقبائل وماتعارف عليه أهلوها من الآداب وقواعد السلوك والأخلاق، فإنها تتفق جميعا فى أنها تقوم على مبدأ تيسير القيام بأمور الحياة المختلفة.

ومن هنا فقد تنوعت الآلات، فى مختلف البلدان، بتنوع الملابس والأزياء، مثلما تعددت قواعد وأصول المعاملات، بتعدد أساليب الحياة وشئون الناس فى كل مكان.

وبناء على ذلك، فقد كانت سياسة القديسين والحكماء فيما يتصل بأمور الممالك وهى تتطلع إلى مافيه مصلحة الناس، تتجنب أى محاولة لفرض أسلوب موحد فى الأزياء، أو فى نمط استخدام الآلات، بل إنها وهى تهدف إلى تيسير سبل التواصل السلوكى والأخلاقى، فقد كان طبيعيا أن تتحاشى إخضاع الجميع لنمط (قالب) واحد من آداب المعاملات.

أما رأيت إلى أتباع المذهب" الروجى" (الكلاسيكى) الذين يتخذون من كونفوشيوس أستاذا وشيخا ومعلما، ويتفقون جميعا حول ريادته لهم، ومع ذلك فلهم طرائق شتى فى تقدير أصول المعاملات وآداب السلوك. هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى

فهناك المنطقة الوسطى من الممالك، التى تتشابه فيها العادات والتقاليد وتتقارب أوجه الحياة فيها بدرجة هائلة، بينما تختلف فى كل بلد منها اللوائح والقوانين، وطرائق السياسة المحلية والعبادات والمعتقدات الدينية - وإذا كان الأمر على هذا النحو فى المناطق الوسطى - فماباك بالأقاليم الجبلية النائية، أليست - هى الأخرى - جديرة بما يناسب طبيعة الحياة فيها من أساليب ووسائل متباينة؟

فبما أن قواعد وأصول المعاملات تختلف فيما بينها حول ما ينبغى اتباعه، وما يتوجب اجتنابه، فليس للعاقل أن يتخذ نمطا واحدا منها باعتباره قالبا واحدا يفرضه على الجميع (دون مراعاة للفوارق القائمة)؛ فلاحاجة للقديس الحكيم أن يوحد أسلوب الزى والكساء فى المناطق الوسطى والنائية على حدٍ سواء.

إن الفارق بين القاصى والدانى من الأقاليم، يولد الاختلاف فى الأعراف والتقاليد، مثلما أن التباين بين الآراء والمذاهب (صحيحها وسقيمها) يقود إلى الجدل والمناظرة، فمن ثم كان النظر بعين الحياد فيما يجهله المرء منقبة كريمة، وكان التأمل فيما يناقض الرأى السائد دون التعجل بالدحض والنفى دليلا على اعتدال النفس المتطلعة إلى الحسن التام.

وبعد فإن مايشغلك هو العادات والتقاليد (فى المطلق وبأسلوب مجرد تماما) وإنما أحدثك عن السيطرة على التقاليد وإخضاعها تحت زمام سلطتك. (وإذ أتطلع إلى الخواص الطبيعية لبلادنا) أجد أن النهر الأصفر يحد دولتنا من جهة الشرق، ويرفده فى ذلك نهر" بولو"، حيث تقع منطقة نهرية كبرى بين حدودنا مع دولتى جونشان وتشى، ومع هذا، فمازلنا نجهل أهمية وكيفية استخدام القوارب، وعلى خط ممتد من سلسلة جبال تشانغ حتى منطقتى "شاندانغ" و"داى". تترامى جهة الشرق المنطقة الحدودية مع كل من "خو" الشرقية ودولة يان، بينما تمتد حدودنا ناحية الغرب مع "لوفان" ودولتى تشين، وهان؛ وعلى طول تلك الحدود، لم نقم بعد، بإنشاء تحصينات دفاعية من الرماة والفرسان؛ وعلى ذلك فقد قمت بإعداد المواد اللازمة لاستخدام القوارب،

وحشدت عددا هائلا من الأهالى المقيمين عند المسطحات المائية، وأقمت معهم قوات للدفاع عن منطقة النهر الأصفرونهر" بولو"، كما قمت بتغيير الزى للمتدربين على الفروسية والرماية ضمن جهود التجهيزات الدفاعية ضد محاولات الهجوم أو الاختراق من جانب دولة يان أو منطقة سانجو [عبارة عن تجمع يضم ثلاث قبائل من الأقليات القومية وهي: لينجو - دونخو - لوفان] أو دولة تشين أوهان.

وكان الوالى "جيان" - فيما مضى من الزمان ـ قد فتح مابين منطقة "جين يانغ" وبين باقى الأقاليم - مثل شاندانغ - من طرق مواصلات [مما مكّنه من الانطلاق فى المواجهة التى أرادها بغير عوائق!] أما النبيل" شيانغ" فقد احتل منطقة" رونغ الغربية" واستولى بالكامل على منطقة"؛ دايداى" وذلك لكى يتمكن من مواجهة قبائل خو بأكملها؛ فهذا مبلغ ماعندى من معلومات مؤكدة، أعرفها عن ظهر قلب.

وكانت دولة "جونشان"، منذ وقت قريب، قد احتلت أرضنا بفضل ما قدمته دولة تشى لها من مساعدات عسكرية، فأثخنت فى بلادنا، وأوقعت الأهالى فى أصفاد الأسر، وحولت مجارى الأنهار باتجاه بلدة" خاو" [فى دولة جاو] فحاصرتها بالمياه، ولولا أن تداركت آلهة الأوطان " شيجون" هذه البلاد برحمتها وأسدلت عليها ستر حمايتها، لما كتب لبلدة" خاو" البقاء، وهو الأمر الذى أثار غضب السيد الجليل (جلالة الملك السابق) وقد مات دون أن يثأر لكرامته ويشفى غليله.

ثم إن قرار إلزام الفرسان والرماة بارتداء زى أهل "خو" (يمكننا) من التنبه للمخاطر المحدقة بمنطقة شاندانغ ذات الأهمية الكبرى (وذلك فى المدى القريب، أما فى حسابات المدى البعيد فهذا تصرف يمكننا من أن) نثأر من دولة جونشان. ومع ذلك فإن العم الكريم (سيادتك) يأبى إلا أن يساير عادات وتقاليد البلاد - مهما كان فى ذلك من خروج - عما أقره كل من الملكين "جيان " و"شيانغ"؛ ذلك بأن سيادتك تمقت كل ما له صلة بالزى الجديد، وتنسى ما يجلل البلاد من العار والمهانة، ولا أحب لك، كما لا أتمنى، أن تقف مثل هذا الموقف!".

الجزء السادس من الفصل نفسه

ثم إن "قون زيشن" انبطح على الأرض وسجد للملك طويلا [على سبيل التحية والإجلال] وقال له:" ماكنت - لشدة غبائي - لأدرك حكمة جلالتك وتخطيطك للأمور على هذا النمط، مما حداني إلى الجهر بآرائي (السقيمة) بشأن الأزياء التقليدية، فامض لما تطلعت إليه من السير على منهاج الأباطرة السابقين، وأكمل مسيرة سلفيك الراحلين" شيانزى"، و" جيان"، وأنا لك مطيع فيما تراه وتأمر به". وهنالك تقدم الملك أولينغ بأسمى آيات الشكر - للمرة الثانية - إلى (عمه) القون زيشن وأهداه أردية من الزى التقليدى لشعب خو.

الجزء السابع من الفصل نفسه

وأقبل "جاوين" ورفع نصائحه، قائلا:" من الأعراف التى لاتتبدل فى مفاهيم السياسة الحكومية أن يشقى المزارع لكى يشبع السيد (الملك) ومن القواعد المقررة فى التقويم الأخلاقى أن يتحدث السفيه بكل مايعتمل فى صدره؛ كى يصحح له الأريب الفطن ماغمض عنه فهمه فتتجلى له حقائق الأمور وتكمن أسباب الخير والسعادة للأوطان فيما إذا عاهد الوزير نفسه بالإخلاص التام لسيده ومليكه، وألزم الملك نفسه بمصارحة وزيره فلايحجب دونه شيء مما يعرض له من الموضوعات. وإذ أعترف بما يشوب فطنتى من الغفلة والغباء، فقد عاهدت نفسى على بذل الإخلاص التام (لجلالة الملك)"، وقال له الملك أولينغ: "من أراد أن يتأمل الأموربدقة واستفاضة، فلا ينبغى له أن يضيق بالرأى المعارض له، وليس مع الإخلاص لوم ولاانتقاد فقل ماشئت، وأنا مصغ لك"، فرد عليه جاوين، قائلا: "إن مسايرة الأحوال الراهنة واتباع التقاليد السائدة أمر مقرر من قديم الزمان، كما أن نمط الزى الشائع، مسألة تحكمها قواعد الأخلاق والسلوك القويم، (وكذلك فإن) اتباع المعايير الأخلاقية درءا لما قد يقع فيه المرء من أخطاء وهفوات، واجب على الجميع [أساس الواجبات العامة] فتلك هى القواعد الثلاث التى أوصى بها القديسون القدماء خلفاءهم من الملوك بالسير على نهجها، فإذا بك تضرب بكل هذا

عرض الحائط، وتوصى (بدلا من اللالتزام بالنهج المعهود) باستعمال الزى الذى لم نألفه فى بلادنا وإنما قد اقتبسته من بلاد بعيدة عنا كل البعد، فبدلت وصايا القدماء، وغيرت المنهاج القويم، وكل ما أرجوه من جلالتك أن تعيد النظر فى الموضوع كله من شتى جوانبه". وهنالك قال له الملك أولينغ :" إن ماذكرته الآن جزء مما تحيط به علما بشأن التقاليد السائدة، أما صاحب العلم والمعرفة، فيحصر اهتمامه بالعلوم والدلائل المعرفية التى تكونت لديه بالسماع، وكلاهما (.. الفرد العادى من الدهماء، والمتعلم الدارس) وسيلة جيدة لتنفيذ المهام والوظائف الحكومية يقومان، فى المجال الوظيفى الحكومى، بدورهما خير قيام، بمعنى أنهما قادران على الاستجابة البارعة لنصوص وبنود اللوائح الحكومية والعمل بمقتضى ما تفرضه من التزامات، لكنهما يدخلان فى عداد العباقرة بعيدى النظر، القادرين على تناول المبادئ السياسية لسياسة الممالك وإدارة شئونها (بحكمة واقتدار).

أضف إلى ذلك أن الأسرالملكية الثلاث (الأشهر فى التاريخ :) شيا - شانغ - تشو، استطاعت أن تفرض سيادتها فوق الممالك، وذلك على الرغم مما بين ثلاثتها من تباين واختلافات، وكذلك كان يوجد بين (الإمبراطوريات) الخمس العظمى فروق هائلة فيما سارت على نهجه من المبادئ الأخلاقية، ومع ذلك، فقد تمكنت جميعها من تنفيذ مآربها وإدارة سياستها وسط الممالك على خير وجه.

إن النجباء، هم الذين يصوغون الوصايا والمواعظ، أما الأغبياء فيعدونها مناهج ثابتة الأركان. وإذا كان الحكماء يقدرون على التفكير فى تعديل العادات والتقاليد السائدة، فإن الآخرين (من غير الحكماء) يحرصون باستمرار على التقيد بالسبل المعهودة. إن أولئك الذين انطبعت عقولهم بطابع الزى الشائع ليسوا جديرين بأن نفتح معهم حوارا صريحا، ولا كان المتزمتون المتبعون للنمط السائد مستحقين للتفاهم الودى أوللإفضاء إليهم بمكنون القلب.

بيد أن العادات والعصور عُرضة للتقلب والتغير اللذين يفرضان أحكامهما على القوانين والنظم (فيتطرق إليها التبدل أيضا). تلك هى الحكمة التى ورثناها، حقا، عن القديسين والحكماء.

ولم يكن للعامة والدهماء سوى العمل وفق الأوامر الحكومية، واتباع اللوائح والقوانين دون إبداء أية آراء شخصية، وأما النجباء والمرموقون (العباقرة) فهم القادرون على التأقلم مع مشاهداتهم وحصيلة معارفهم (التى تمدهم بآفاق المعرفة الداعية إلى الاستجابة للمتغيرات. إن الفاهمين لضرورات تغيير وتبديل قواعد السلوك، هم الذين يسيرون إزاء الزمان المتغير، ويحذون حذوه. (واعلم) أن الطامحين إلى تهذيب النفس ونقاء الخلق الأسمى، لا تدفعهم دوافع الثناء والمديح، وأن إصلاح شئون الناس فى زمانهم الراهن وعصرهم القائم لا يقوم أبدا على تقليد الأقدمين وترسم خطى الغابرين. فاهدأ بالا، ودع عنك أثقال الهموم".

الجزء الثامن من الفصل نفسه

ودخل "جاوتساو" على الملك، وقال له:" إن التنحى عن الإخلاص والتخلى عن العمل بعزم وجد، لون من ألوان النفاق والغدر، كما أن تضليل الأوطان (المصالح العامة) لتحقيق مآرب شخصية، يدخل فى عداد الأعمال التخريبية التى تمس مصالح البلاد العليا.

ويجب أن يعاقب المسئول الحكومى المتهم بخرق القوانين (الإهمال وعدم توافر الإخلاص الكافى للعمل) بالإعدام (الذى يطال رقبته وحده) أما المسئول الحكومى الذى يضلل البلاد بأسرها بأساليب الغش والخداع، (فلا يكتفى بإعدامه وحده، بل) ينبغى إبادة قبيلته عن آخرها.

فتلك هى العقوبات التى أقرها القديسون الحكماء، من قديم، بوصفها أقسى عقوبات واجبة على هذين النمطين من رجال الحكم وعلى الرغم من أنى لست ممن حباهم الحظ بحدة الذهن ووقدة الذكاء، فإنى طالما وددت أن أبذل غاية الإخلاص والتشمير عن ساعد الجد". وهنا قال الملك أولينغ:" إن الصراحة والصدق دون التستر على خطأ أو إخفاء عيب، هو دليل الإخلاص الحقيقى، وقد رأيت من دواعى الحكمة والجد ألا أصد

أحدا عن الحديث بحضرتى (عما يعن له من الأمور) ثقة منى بأن المخلصين لا يهربون من الخطر، وبأن رجل الدولة الحكيم لا يكمـــم الأفواه، ولا يمنع من أتى إليه بنصيحة أو رأى سديد، من التحدث إليه، فقل ماعندك".

الجزء التاسع من الفصل نفسه

وواصل"جاوتساو" كلامه، قائلا: "كنت قد سمعت قولا مأثورا، مفاده.. أن القديس الحكيم مهما ألقى من مواعظ، فلن يغير الناس أو يبدل من طباعهم، وأن الذكى الأريب مهما سلك بالفطنة والنجابة، فلن يقدر على أن يقنع الناس بتغيير عاداتهم وتقاليدهم؛ بل إن الوصايا (التعاليم) الأخلاقية التى تستند إلى واقع حال الجماعة من الناس، هى التى تبلغ مبتغاها بأيسر جهد، والتخطيط الواعى المخلص (لتبديل السلوكيات) القائم على أسس من الأعراف الراسخة، يؤتى ثماره فى سهولة وسرعة، وأرى أن ما أتيته، يامولاى، من تغيير للعادات والقوانين والآداب، دونما مراعاة للتقاليد السائدة فى(طول البلاد وعرضها) [حرفيا: المنطقة الوسطى.. المركز الأوسط!] وإحلال الزى المتبع بين شعب "خو" محل (الأزياء التقليدية السائدة) متجاهلا رفض الناس ومعارضتهم – وهم السواد الأعظم من أهالى الممالك – (أرى أن ذلك كله) لايمكن أن يكون الوسيلة(المثلى) لحث الناس على اتباع القواعد الأخلاقية وآداب السلوك. ثم إن الذين يدلوا أزياءهم لايلتزمون بمظهر الجد والوقار، بل يتصرفون على نحو غريب يثير حيرة الناس وارتباكهم.

وبناء على ذلك، فليس لمن قام على الناس سيدا وفوق البلاد ملكا أن يرتدى أغرب الملابس وأعجب الأردية، ولايجب – أيضا – لأهل الممالك الوسطى، أهل البلد، أن يسلكوا على نحو مايسلك به الهمج والمتوحشون من أهل القبائل النائية؛ ذلك أنه لاضرر فى التمسك بقواعد الأخلاق ولاضير من التأدب بآداب المعاملات، فأرجو من سيدى الملك أن يتدبر تلك الأشياء جيدا".

الجزء العاشر من الفصل نفسه

وأجاب عليه الملك قال: "قد اختلفت كثيرا عادات الأمس عن اليوم، فأى ماضٍ هذا الذى ينبغى علينا أن نتعلم منه؟! إن يد التبديل والتغيير مست كل القوانين والنظم والعادات التى ورثها الملوك الأقدمون عن الأباطرة (الخمسة المشهورين) السابقين عليهم، فأى من هذه القوانين أحق بالاتباع وأى الأنظمة أولى بالالتزام؟! وقد قيل إن زعماء وشيوخ العشائر والقبائل القديمة، مثل: "فوشى"، و" شن نون" لم يدخروا وسعا فى تعليم الناس طرائق الصيد والزراعة، دون أن يصدروا أحكاما بالتغريم أوالإعدام على أحد من الناس، (أما الملوك الثلاثة:) الإمبراطور"هوانداى" والملكين: ياو، وشون؛ فقد أصدروا لوائح تفرض على الناس دفع الغرامات وتعاقب بالإعدام، لكن هؤلاء الملوك حرصوا تماما على روح الحياد فى تطبيق القوانين (بحيث تصدر الأحكام بنزاهة وعدل). فلما كان زمن الإمبراطور يو (آل شيا)، والملك طانغ (آل شانغ) والملك أون (آل تشو) فقد وضعت القوانين بما يلاءم ظروف الزمان القائم وقتذاك، وتأسست قواعد الأخلاق على حقائق الأوضاع السائدة فى حينها؛ ذلك أن مختلف الأحكام والأوامر والنواهى، كانت تساير الظروف والأحوال الماثلة، فى ذلك الزمان البعيد، بيد أن ما تفتق عنه إبداع الإنسان فى الأزياء والملابس وأدوات الحياة، يتوخى، جميعا، اليسر والبساطة؛ ومن ثم، فليس من الحكمة، الآن، محاولة فرض نمط واحد من القوانين والنظم (الأخلاقية والتشريعية) إذا ما أردنا إصلاح أحوال البلاد، كما أن أى محاولة، من جانبنا، للتيسير (على الناس) واتباع قواعد السهولة والبساطة لن تلجأ أبدا للتعلم من القدماء. بل إن روعة الإنجاز الذى قام به القديسون الحكماء (فيما مضى من العصور) تتمثل فى أن أحدا منهم لم يلجأ قط، وهو بصدد تأسيس عروش حاكمة وسياسات لإدارة شئون الممالك إلى استعارة عادات وتقاليد أقدم وأبعد عهدا، (وقد علمنا من أحداث الزمان) أن سقوط عرش الأسرتين الكبيرتين" شيا"، و" شانغ" لم يكن بسبب تغيير قواعد الآداب وأصول التقاليد. وبناء على هذا، فلا ضير من الاستغناء عن التعلم من القدماء، بل أظن أن اتباع منهاجهم لن يكون محل تقدير عظيم. أما من جهة القول بأن ارتداء الأزياء الجديدة قد يثير الشعور بالغرابة والاستهجان

ويودى بالجد والعزم ويوهن الإرادة، (لوكان هذا صحيحا، إذن) لما استطاعت دولتا "تسو"، و" لو" [تنطق كما فى "وادى الملوك"] أن تحوزا قواعد معاملات تفوق المعهود فى بابها، وتجاوز السائد فى مادتها؛ أما لوكانت غرابة العادات والتقاليد سببا لنزوع الناس إلى السلوك الطائش والتصرفات المتهورة، لما حازت دولتا" أو"، و" يوى" أعظم الشخصيات وأنبل المرموقين من الناس بين الممالك كافة.

ومن ثم، أطلق القديسون على ما يستر البدن، الملبس والرداء، (واتخذ الحكماء) من كل ماتتيسر به سبل التفاهم والحياة بين الناس، قواعد الآداب والأخلاق. على هذا الأساس، فقد صارت أصول المعاملات التى تندرج فى باب السلوك المهذب، وأشكال الملابس والأردية المختلفة مجرد وسائل لضبط المظهر الشكلى للناس، دون أن تكون – أبدا – معايير لتقييم الأخلاق والفضائل، وهنا يكمن السبب فى أن القديسين كانوا يبحرون وراء العادات المتغيرة (فى كل تيار يهيمون!)، بينما كان الحكماء يسيرون حسب خطى الزمان المتنقل فى أطوار متباينة، وهنا أذكر ما يقوله المثل السائر (من أن :) "من أراد أن يقود المركبات حسب ماتنص عليه قواعد السير، فلن يفهم طبائع الجياد والأفراس (التى تجر العربات)، ومن أقدم على استعارة قوانين الماضى لضبط تشريعات الحاضر، فلن يفقه سر تطور الزمان".

فلهذا نجد أن كل إنجاز كبير قام على قاعدة اتباع آثار الماضى القديم، لايفوق قامة الحاضر ارتفاعا، وكانت استعارة علوم الغابرين أسلوبا ناجحا فى ضبط شئون الوقت الراهن وتنظيم مصالحه وأحواله، فأنا الذى أرجو من سيادتك عدم الاعتراض على اتخاذ ملابس شعب" خو" زيا رسميا!".

لما قام الملك أولينغ بتعيين جوشاو

أصدر الملك أولينغ قرارا بتعيين "جوشاو" فى منصب "المعلم المستشار للأمير" وقال:" كنت، ذات مرة، أتفقد الأقاليم، فلما مررت فى طريقى ببلدة" فانو"(رأيتك) وكنت وقتئذ صبيا حدثا، أما ماشد انتباهى، فهو أن كل البالغين، فى البلدة،

أثنوا على طاعتك وبرك بوالديك، مما حدا بى أن أحمل إليك حجر اليشب [حجر كريم] والخبز والنبيذ، هدية لك، بل أرسلت إليك لألقاك، لكنك اعتذرت عن المقابلة بسبب مرضك، وجاءنى من يعرفك جيدا، وتحدث عنك، قائلا: "إن البار بوالده هو المخلص الوفى لسيده" وإنى لمقتنع بأن ذكاءك وحلمك وحسن منطقك كفيل بالتأثير فى الناس أيما تأثير؛ كما أن إخلاصك وخلقك الكريم ونقاء معدنك خير معين فى مواجهة المحن والعقبات، وميزة الإخلاص أنك ستصارحنى بكل مايعتمل فى ذهنك، وفضيلة البر والوفاء بالعهد أنك ستبقى، على مر السنين، مخلصا لاتتبدل مع الأيام، وقد جاء فى أحد أبيات الشعر (مجهولة المؤلف) ما نصه:

"استعن بالشجاعة على المحنة،

ولتضبط الحكمة مابددته الفوضى،

وماتركه العبث مهملاً سائبا.

تلك هى عدتك للأيام،

وليكن مستشارك هو ساعدك الأيمن،

وقد تجلى لك أصيل معدنه،

وليكن العلم عمادك فى

تهذيب الأجيال الناشئة،

فذلك منهاج العدل والحق،

وليس مع استقصاء المعرفة

خوف ولامحنة"!

فلذلك، وددت لو ارتديت رداء أهل "خو" وشمرت عن ساعد العون لأميرك، ملك البلاد".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

ورد عليه جوشاو، قائلا: "جانبك الصواب، يامولاى، إذ وقع علىّ اختيارك، فلست بالرجل الذى يقدر على تحمل ما أسندت إلى من مسئولية"، فقال له الملك أولينغ: "ليس أخبر من الأب بولده، إذا ماوقع عليه اختيار (لمهمة ما) ولاأفقه من الملك بوزرائه، إذا عنّ له أن يفاضل ويختار، وأنا، عندئذ، الملك، سيد البلاد". وهنالك قال له جوشاو: " إن تنصيب المعلم المستشار يقوم على معيار أساسى ذى ستة بنود"، فسأله الملك عن تلك البنود، فأجابه: "أن يدرك تقلبات الأموربعين الحصيف الذكى غيرالمراوغ الداهية؛ وأن يكون ملما بقواعد الأخلاق، ذا حلم وقلب رحيم؛ وأن يكون ذا عزم وجد، فى غاية الانضباط فيما يتعلق بواجباته الوظيفية دون تراخ أو تهاون؛ وألا يفسد باطنه أمام المصلحة الأنانية مهما عظمت؛ وألا يتهاون فيما يتعلق بالهيبـــة والاحترام وأصول المعاملات (الأخلاقية)؛ وأن يكون لين الجانب لطيف المعاملة مع مرؤوسيه بغير تبذل أو رياء.

فمن حاز تلك الصفات الست، كان جديرا بمنصب المستشار المؤدب لولد جلالته، بيد أنى لا أجد فى نفسى واحدة منها، إذ إن أسوأ مايعيبنى هو أنى فاتر الهمة خامل الإرادة، لا أقول الحق فى صراحة ووضوح وهـــو ما يعنى إنى إذ اضطر إلى.. الإذعان للأمر الملكى فسوف ينجم عن ذلك.. انتهاك قدسية الوظيفة الرسمية مما يعرض المسئول نفسه للمتاعب، ويلحق به الذل والمهانة ؛ فلذلك أرجو من جلالتكم العدول عن اختيارى لهذا المنصب".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وتكلم الملك أولينغ، فقال: "فبعد أن أحطتنى علما بالبنود الستة، فإنى أكلفك بتولى مسئولية هذه الوظيفة". فرد عليه جوشاو، قائلا: "إن الناس، فى كل أرجاء البلاد، الآن، مازالت فى حيرة وبلبلة، ولا تفهم، بعد، ما يقصد إليه الملك بشأن استعمال الزى المنسوب إلى شعب "خو"؛ وإذ أصبح وزيرك، بعد أن تكلفنى بموقع وظيفى مهم جدا ومرموق،

فهل يصير من حقى الاعتراض على تنفيذ الأوامر خصوصا فى مثل هذه الظروف المحيطة بنا؟ ولم يسع جوشاو إلا أن يشكر جلالة الملك على ثقته الغالية به، فتكرم عليه الملك بإهدائه كسوة من رداء "خو".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

وقال الملك أولينغ: "إنى إذ أسند إليك مهمة المعلم المؤدب للأمير، فإنما أريدك أن تبذل له الحب والرعاية الواجبة وأن تبين له كيف يكبح جماح نفسه، وأن يصد عن ذاته غوائل النفس وخبث الطوية؛ وذلك بأن ترشده إلى سبل الحق والعدل، ولا تدعنه يشقى بالدرس والمطالعة، ولتقم على شئون البيت الملكى بما يوافق إرادة سيد البلاد، فلا تخالف له إرادة ولاتعص له أمرا. ويجب على من يتولى للملك شأنا أن يكشف عن أحسن الخصال وأن يرد النفس عما يعرض لها من المزالق.

إن بلدا يقوم بين جنباتها مثل هذا الوزير لهى أسعد البلاد حظًا، فإن سرت على هذا النحو، ووفيت حق الوظيفة وواجب المسئولية، فنعم إذن.

وقد ورد فى كتاب "شانغ شو" [السجلات التاريخية] مانصه: "إن عزمت على استئصال شأفة السوء، فلا تتردد، وإن اتخذت عاملا حكيما فاضلا، فلا تقهر" وقد اخترتك وفضلتك على الجميع وقضى الأمر على ذلك!".

ثم أنه خلع على جوشاو خلعة سنية؛ إذ أهداه رداء أهل خو وغطاء رأس مما يلبسونه، وزناراً جلديا مطرزا بأبهى زينة، مزودا بقفل ذهبى بديع، تكريما له إثر تكليفه بالعمل مؤدبا لولده الأمير.

لما ارتدى الوزير الأكبر الزى الجديد

تناول جاويان [الوزير الأكبر بدولو جاو] الزى الجديد بيد مترددة وارتداه على مضض، فلما علم الملك أولينغ بذلك، أرسل إليه يعاتبه، بقوله: "إن من آداب العمل فى

خدمة الأمير (الملك، سيد البلاد) أن تدخر وسعا فى القيام بواجبات عملك؛ فإذا عنّ لك أن تنصح بشيء فقدم مشورتك بلغة المجاز والرمز فى غير ضجة أو غلظة طبع، فإذا استفسر الملك عما بدا له من الأمور فلتكن إجابتك في صبر وأناة؛ فلا تتبرم بما يوجه إليك من أسئلة واستفسارات ولاتعص أمر ولاتك، وتشمخ بأنفك صلفا واختيالا بما قدمت يداك من الفضل أو جميل الصنيع. وحذار ثم حذار أن يكون منصبك الذى تشغله بقرب الأمير تكأة لأن تتخذ لنفسك المقام الرفيع، ليزهو قدرك فوق قامته ومجده وسلطانه.

ليس على الولد تجاه أبيه إلا الإذعان للنصح والاسترشاد بالوصايا والمواعظ، دون عصيان أو مخالفة؛ وليس على الوزير تجاه الأمير إلا التواضع له، والترفع عن معاندته أو التعصب ضده.

ذلك أنه إذا سلك الولد تجاه أبيه سلوكا نابيا (عن جادة الحق) اختل نظام الأسرة ودبت الفوضى فى أنحاء البيت. وإذا حاد الوزير عن محجة الصواب (مع جلالته) أحدق الخطر بالأوطان.

إنه ما من ولد عَقَّ والديه إلا نبذوه من وسطهم، مهما بلغا من العطف والرحمة؛ وما من وزير اتخذ منصبه وسيلة لتحقيق مآربه وتأسيس قواعد مجده (دون، سيده مليك البلاد) إلا استغنى عنه، مهما اتسع صدر سيده بوافر الرحمة والتسامح. وبعد، فقد بلغنى امتناعك عن ارتداء ماقررناه زيا رسميا (مقتبسا من ملابس شعب خو) وليس – لدينا – أسوأ من عصيان أوامر الملك جرأة وجناية.

إنك إذ تصرفت بهذه الطريقة فقد أقحمت آراءك الذاتية واعتبرت تغيير الزى الرسمى – وهو مسألة سياسية بحته – عبئا شخصيا يثقل كاهلك، وجعلت من عصيانك لأميرك مجالا للفخر والسؤدد، وإعلانا للشرف الشخصى ورفعة القدر؛ فليس أفدح من هذا انصياعا للهوى الشخصى وإقحاما له فى الشأن العام.

وأخشى أن ما اقترفته من اجتراء وجرم يوجب تقرير عقوبة الإعدام [حرفيا: قطع الرقاب] لذا لزم التنويه على الجهات الرسمية والقانونية باتخاذ اللازم دون أدنى تهاون".

وهنالك سجد جاويان فوضع جبهته على الأرض، وقال: "قد أبلغني المسئولون، في هذه الآونة، بالأمر الملكي النافذ بشأن ارتداء الزي الجديد، أما وقد غمرني جلالته، آنفا بفضله وأحسانه، فإني أستشعر فداحة ما ارتكبته بمخالفتي الإذعان للأمر الملكي الصادر بالمعنى المذكور، لكني أعرف أيضا أن جلالته لن يرضى بأن يضع العقاب والعذاب موضع النصح والإرشاد؛ فذلك ماعلمته من جميل إحسانه وكريم أخلاقه [لكني لما كنت قد أبلغت بالأمر شفويا، بواسطة الأخرين، فأرجو] مع عظيم الاحترام، أن أتشرف بالإطلاع على الأمر الملكي محررا بحيث يتسنى لي لاتخاذ اللازم بشأن الشروع في ارتداء الزي الرسمي المقرر، وأنا في خدمة مولاي ترقبا لاستلام تلك الإحاطة".

لما أصدر الملك قراراً بإلغاء الحامية

أصدر الملك أولينغ، قرارا بإلغاء الحامية العسكرية المرابطة في " يوانيان" [مدينة في دولو جاو] وأقام مكانها القوات (الخيالة) الراكبة، فصارت يوانيان مركزا لتدريب الخيالة، وهنالك تقدم " نيو سان" [وزير عظيم بدولة جاو] إلى البلاط الحاكم، بآرائه التي ضمنها تقديراته ونصائحه، وجاء فيها.." إن للبلاد قوانين أساسية وللجيش مبادئه العسكرية التي لا تتبدل على مر الزمن، وإذا كان المساس بالقوانين الأساسية حقيق بنشر الفوضى والاضطراب، فإن انتهاك المبادئ العسكرية يعرض القوات للضعف والتفكك. وقد أصدر جلالته، اليوم، أمرا يقضي بإلغاء الحامية العسكرية القديمة، التي ترابط في يوانيان، تمهيدا لإقامة قوة جديدة من الخيالة، وتحويل يوانيان إلى مركز لتدريب الفرسان، هو أمر مخالف للقوانين الأساسية، بل الأدهى من ذلك أنه يتجاهل المبادئ العسكرية. إن القادة والضباط الذين تمرسوا على استخدام أسلحتهم واتخاذ الإعداد اللازم (للقتال) هم وحدهم القادرون على ملاقاة العدو والاشتباك معه بغير تردد أو أبطاء. إن الذين تذللت لهم مصاعب استخدام السلاح، ستتيسر لهم كل الصعاب.

(وفى بلادك الآن) الكثير من الذين تذللت لهم صعاب استعمال الأسلحة؛ وإذ تفاجئهم، اليوم، باستبدال كل مامهروا فيه وأجادوا استخدامه بأسلحة أخرى ونظم مختلفة فهذا تصرف ينال من سمعة الملك ويضعف من قوة البلاد؛ ولذلك فلا يستحسن المساس بالعادات والتقاليد السائدة، مالم تبلغ المزايا التى تعود على الناس من جراء ذلك مائة ضعف ماهو قائم ولا داع لتغيير نظام التسليح، إلا إذا كانت الفائدة المرجوة تتجاوز عشرة أضعاف ما يتميز به النظام الحالى.

وعلى أية حال، فمادمت (يامولاى) قد اتخذت قرارك النهائى فى ذلك الشأن (إلغاء الهيئة العسكرية القائمة فى يوانيان، سعيا لإنشاء مركز إعداد الرماة والخيالة) فأخشى أن المكاسب التى يمكن أن يحققها فى ميدان القتال ستتراجع كثيرا وراء ماسوف يتحمله من تكاليف الخسارة".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وتكلم الملك أولينغ، فقال: "إن المزايا والمساوئ تختلف كثيرا اليوم عنها بالأمس. من مظاهر هذا الاختلاف، أنه يمكن استبدال المعدات والأسلحة فيما بين المناطق النائية والأقاليم الوسطى، إن لكل طرف بين حدين متناقضين معياره ووزنه [حرفيا: لكل تغير بين كفتى الـ ين والـ يانغ (الأرض والسماء، الليل والنهار، الذكر والأنثى..إلخ) نظامه وميزانه] ولكل تبدل بين الفصول الأربعة طبيعته التى تناسبه. ولهذا، فالعاقل من ارتفع بالتأمل والملاحظة والتعديل فوق العادات والتقاليد، وليس من وقع فى إسارها، وتقييد بسيرورتها.

إن الإنسان هو الذى يصنع السلاح وأدوات القتال، فلا يمكن أن يكون السلاح مقيدا للإنسان.

أنت تهتم كثيرا بلوائح وتدابير واختصاصات الإدارات الحكومية، لكنك لاتنظر إلى الفائدة المرجوة والممكنة المترتبة على استبدال نظم الأسلحة. ولا شك أنك تفقه الكثير عن استخدام الأسلحة والدروع، لكنك تكاد لا تعرف شيئا عن الإجراءات المناسبة للتلاؤم مع متغيرات حياة الناس وأحوال الدنيا بأسرها.

وبناء على ذلك فإنى أتساءل عما إذا كان هناك مايمنع من استبدال سلاح ما إذا ماتضح أنه غير ملائم للاستخدام الأمثل؟ (وأتساءل) ما الذى يحول دون استبدال العادات والتقاليد طالما باتت عصية على مسايرة الأحوال فى يسر ومرونة؟

كان سلفنا، الملك الراحل شيانزى قد ذهب ذات مرة، إلى المنطقة الحدودية المشتركة بين بلادنا وحدود دولة "داى"، وتأمل المنطقة طويلا، ثم أقام جدارا كبيرا لتحديد معالم الخط الحدودى الفاصل بين البلدين وأسماه بباب "أوتشيون" [بمعنى بوابة" طريق الأبد"] وكانت هذه التسمية إشارة رمزية تحمل رسالة إلى الأجيال القادمة، يرجو منها الملك أبناء الزمن القادم بالسعى الدؤوب لفتح الطرق عبر الحدود نحو الآفاق البعيدة.

إن الدروع الثقيلة والخوذات المصفحة (التى كانت، ذات يوم، ذخيرة قتال ذات شأن) والرماح الطويلة، لم تعد تصلح اليوم، لعبور المناطق ذات الأهمية الحاسمة فى القتال، وبالقدر نفسه فإن إطلاق شعار المبادئ الأخلاقية والرحمة والإنسانية، لن يخضع لنا رقاب أهل (شعب، قومية) خو بالإذعان. وقد علمت أن قيمة" الثقة" لا تتعارض مع مفهوم "استجلاب النفع". والذكى لايدع الفرصة السانحة تفلت من بين يديه.

لكنك تأتى اليوم بحديثك عن اللوائح الرسمية والإدارات الحكومية لتفسد على محاولاتى فى تعديل الزى الرسمى وإنشاء قوات الخيالة والرماة، وتلقى بكل العراقيل فى طريق دعم بناء الجيش، "والتطلع نحو الآفاق البعيدة" وتلك أمور عليك سبر أغوارها وفهم حقائقها".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وهنالك سجد نيوسان عند قدمى الملك، وضرب الأرض برأسه عدة مرات، قائلا: "وكيف لى أن أجرؤ على عصيان أوامرك يامولاى؟"، ثم إن الملك خلع عليه أردية أهل خو، وقام على رأس قواته من الخيالة فاقتحم بها أرض شعب" خو"، متقدما من جهة ممر "تينكوان" مارا فى طريقه بمنطقة "جيوان" [فى أرض جاو] الحصينة، فعبر مضيق "جين شين" حتى وصل إلى منطقة "يوتشون"، حيث شق طريقا عبر ما مساحته ألف لى فى المنطقة الحدودية.

سجل جاو الثالث

لما كان العام الثلاثون من حكم الملك

في العام الثلاثين من حكم "هوى أون" - حاكم جاو - تقلد "تيان دان" منصب رئيس وزراء جاو (ولقب فخريا بـ"آن بنجون") [العام الثلاثون من حكم هوى أون، أى سنة ٢٦٩ق.م، والثابت تاريخيا أن تيان دان لم يكن قد تولى بعد رئاسة الوزراء فى ذلك العام، وكان قبل التاريخ بزمان يتولى قيادة قوات تشى وأبلى بلاء حسنا فى الحرب ضد دولة يان، وفى ٢٦٥ق.م . قامت دولة جاو بإهدائه إقطاعا لابأس به، وعينته قائدا عاما للجيش، وفى العام التالى مباشرة شغل منصب رئيس الوزراء فيها]، وتصادف أنه التقى بالقائد العسكرى الشهير"جاوشى"، وقال له:" لاأستطيع القول بأنى مستاء من طريقة توزيعك وقيادتك للقوات، وأنما أقول: إنى لا أجد ما يحملنى على الإعجاب بأسلوب القيادة نفسها، والسبب (الوحيد) فى ذلك يرجع لطريقة استخدامك حشودا هائلة من الأفراد فى الاشتباكات؛ فهذه الطريقة تعنى أولا: أن عدد المزارعين من الأهالى سيتناقص، بل لن يتمكن الناس من زراعة الأراضى، أصلا، وثانيا: فإن عملية نقل الحبوب إلى العتاد الحربى (لتموين القوات) ستعجز عن تلبية الطلبات المعتادة.

وإذن، فهى طريقة القعود جانبا وتبديد الطاقة والجهد قبل بدء القتال، وهو ما يختلف تماما عما يمكن أن أفعله (فى مثل هذه المواقف) وقد بلغنى أن مجموع ماكان يحشده الملوك والأباطرة (العظام) فى القتال لم يكن يزيد، بأى حال، عن ثلاثين ألف مقاتل، وهو عدد كان يكفى لإخضاع الممالك التى تحت السماء. لكنك تعتمد اليوم، على حشود تبلغ المائة ألف أو المائتى ألف مقاتل للدخول فى الاشتباكات، وهو الأمر الذى يضطرنى إلى التحفظ على إبداء إعجابى".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وتحدث مافو [لقب شرف للمدعو جاوشى] فقال: "لايبدو أنك تفقه الكثير عن فنون الحرب والقتال، بل إنك لا تعرف، أيضا الصورة الكاملة عن الموقف الحالى على جبهات القتال. إن دولتى "أو"، و" قان" تملكان من السيوف القاطعة، ما لو ضربت به أعناق الخيل وأجساد البقر، لقطعتها أشلاء مبعثرة، وإذا سلطتها على صفائح المعادن، لمرقت فيها كما تمرق فى أوهن المواد، وقسمتها قطعا صغيرة تصنع منها الأطباق النحاسية والملاعق؛ أما إذا ضربت بها الأعمدة الحجرية المنتصبة، لانكسرت السيوف شظايا متفرقة [حرفيا: تحطمت إلى ثلاث قطع متفرقة!]، وإذا هويت بها على المقاعد الرخامية تحطمت السيوف شظايا ضئيلة متناثرة [حرفيا: تفرقت إلى مائة شظية].

وإذ نقوم الآن، بدفع قوات تعدادها ثلاثون ألف مقاتل، فكأننا نضع السيف الضارب أمام كتلة عمود حجرى بالغ الضخامة، ثم إن أحدا منا لا قبل له بالمادة التى تصنع منها سيوف دولتى "أو" و"قان"، فهى سيوف ذات مضاء؛ حتى أن السيف الواحد منها لايقطع الأشياء إلا بما زاد فى سمكه من الثخانة وفى نصله من الحدة، ولايكاد يبتر بحده الأشياء، إلا بدقة جسده المعدنى الرقيق [هكذا]. وحتى إذا توافرت للسيوف هاتان الصفتان دون أن يكون مزودا بحمالة وقبضة ذات عوارض، ونصل رهيف الحد وعلائق مناسبة، فلن تصلح للضرب والطعان، وإلا أصابت الضارب قبل المضروب، فكيف يمكن للمرء أن يحرز النصر، دون حشد قوات بهذه الكثافة (مائة، أو مائتى ألف مقاتل وهو الحشد الذى يصعب فى غيابه، تحقيق أى شيء؛ لأننا عندئذ نكون كمن نزل ساحة الحرب، بين الممالك بقوات قوامها ثلاثون ألف مقاتل وسيوف ثلمة النصال كليلة، بغير علائق ولاحمائل أو مقابض.

وإذا تأملنا أحوال البلاد فى العصر القديم، ولاحظنا أن الأرض كانت موزعة – فيما بين البحار الأربعة (بطول الممالك وعرضها) – بين مايزيد عن عشرة آلاف دويلة، وبرغم ماكانت عليه الأسوار المحيطة بتلك الدويلات من متانة وقوة، فلم تكن تزيد – فى أكثر منعة وضخامة – عن ثلاثين جانغ (تسعين مترا تقريبا)، وعلى الرغم مما

قيل عن كثرة الأهالى واحتشاد الناس فى الممالك، فلم يكن يزيد نصيب البلد الواحد من السكان عن ثلاثة آلاف عائلة، أى أنه لم تكن هناك أية مشكلة فى حشد ثلاثين ألف مقاتل لمناوأة الواحد منها.

وإذا حاولنا اليوم – على سبيل المثال – تقسيم تلك الدول القديمة، التى تجاوز عددها عشرة الآلاف وقسمناها إلى سبع دول كبرى ذات قدرات قتالية عالية، بحيث يصير فى مقدور الدولة الواحدة منها تجهيز قوات ذات عدد وافر من المقاتلين (مائة ألف مقاتل)، فإن أية قوة مكونة من ثلاثين ألف جندى، مهما ثابرت على القتال، مع أى دولة من هذه السبع، فلن تجنى سوى الهزيمة النكراء، مهما طالت بها السنين، تماما كما حدث لدولة تشى وقد شهدت أنت بنفسك تلك التجربة!، حيث كانت قد دفعت بجيش قوامه مائتا ألف جندى لمهاجمة تشو، وظل القتال دائرا خمس سنوات حتى أفرغ كل مافى جعبته وتوقف نهائيا بعد تلك المدة. وكذلك أيضا حاولت دولة جاو مهاجمة دولة جونشان بقوات تفوق المائتى ألف مقاتل لكنها بعد خمس سنوات، ارتدت على أعقابها. وانظر الآن، إلى دولتى "تشى"، و"هان" وهما تحشدان كل قواتهما فى مواجهة بعضهما البعض فى محاولة للتطويق المتبادل، فهل يعقل أن يأتى الآن من يزعم بأنه قادرعلى نجدة إحداهما بدفع ثلاثين ألف محارب؟ إن البلاد الآن تحوطها أسوار مرتفعة تبلغ ألف جانغ ويترقب الحرب على الجبهتين سكان كل واحدة منها، الذين لا يقل تعدادهم عن عشرة آلاف عائلة، إذ تدفع الآن بقوات تبلغ ثلاثين ألف مقاتل لحصار مدن حصينة عالية الأسوار [يبلغ أرتفاع أسوارها عشرة آلاف جانغ]، فإن ذلك العدد الضئيل من القوات لن يكفى لإحكام حصاره حول ضلع واحد من أضلاع المدن المسورة، بل إنك لن تجد ما يتبقى (من القوات) لخوض المعارك الميدانية، (وهنا يبرز السؤال الأساسى) فما قيمة المقاتلين الذين أرسلت بهم مددا وعونا للمتحاربين؟ وفيم دفعهم إلى جبهات القتال، إذن ؟"

وهناك تنهد"آتنجون" عميقا، قال: "أعترف بأنى لم أبلغ ماأصبته بثاقب رأيك وسديد فكرك!"

لمـا أرسلت دولة جاو وزيرها الأعظم

أوفدت دولة جاو وزيرها الأعظم "تشوها إلى دولة تشين، وذلك فى محاولة منها لحث هذه على تعيين "وايرانغ" فى منصب رئيس الوزراء، وتكلم" سونتو"]أحد كبار الوزراء فى جاو] إلى تشوها، فقال له:"(اعلم) أنه إن لم تستجب تشين إلى طلبك، فسوف يضمرها لك "لواهوان" [من مواطنى جاو - أصلا - لكنه وقتئذ رئيس وزراء تشين] والأفضل أن تتجاذب أطراف الحديث سرا مع"لوهوان"، فتقول له.." إن دولة جاو أوفدتنى فى محاولة منها لإقناع تشين بعدم التسرع فى تكليف ويرانغ برئاسة الوزراء"، وإذ يلاحظ الملك تشاو، حاكم تشين - عدم إلحاح جاو فى حثه على تعيين ويرانغ رئيسا للوزراء، فلن يأخذ كلامك على محمل الجد - هذا طبعا فى حالة عدم نجاح مسعاك ـ وهو ماسيجعل لوهوان ممتنا لك، حافظا جميلك فى أعماق قلبه".

لمـا هاجمت تشى دولة يان

قامت دولة تشى بالإغارة على دولة يان، وكانت دولة جاو ترمى،فى سياستها، إلى الحفاظ على يان والدفاع عن أى تهديد لوجودها، (وبخصوص هذا الموضوع،) فقد تحدث "يؤى" [ينطق المقطع الأول كما فى"فيديو"، والثانى كما فى "اسرائيل"] إلى الملك أولينغ،حاكم جاو، وقال له:"إن هجومك على تشى دون أن تدخل فى حلف مع الممالك المتحاربة، يجعلك هدفا لعدائها وتصرفاتها العدوانية ضدك والأفضل أن تتقدم إليها بطلب استبدال منطقة "خدونغ" (شرقى النهر) بمنطقة أخرى من أراضى دولة يان التى سلبتها من جاو (فى نزاعات سابقة)، ولما كانت لكم فى" شرقى النهر" مناطق سيادة ونفوذ، مثلما لدولة تشى أيضا الكثير من المناطق التى تقع تحت سيطرتها هناك، فلاأظن أنه من الممكن أن ينشأ نزاع بينكم وبين دولة يان (حولك إدارة تلك الأراضى). فتلك هى الطريقة التى يمكن أن تتقارب بها دولتان (فى سياستهما). ثم إن استخدام أراضى شرقى النهر لتقوية ودعم مركز دولة تشى - بين الدول - وكذلك مايمكن أن تقدمه دولة يان للمساهمة فى دعم بناء قوة تشى، كل ذلك سيدفع باقى الممالك والدويلات

على التبرم بما تحققه تشين من درجات قوة متصاعدة، ولابد أن الممالك، جميعها، سوف تهرع إليك وترجوك الإسراع فى الإغارة على تشى، ومن ثم تواتيك الفرصة الحاسمة لضرب تشى مستعينا برصيد من القوة الهائلة الذى توفره لك باقى الممالك".
وهنالك استحسن الملك أولينغ الفكرة، وشرع فى استبدال الأرض الواقعة شرقى النهر (على النحو الذى أخبر به) مع أراضى دولة تشى، وهو مادفع دولتى وى وتشو إلى الإعراب عن استيائهما البالغ من هذا التصرف، فبعثتا رجليهما تشوهاو [وزير عظيم بدولة تشو] وهويشى [وزير عظيم بدولة وى] إلى دولة جاو وقدمتا إليها طلبهما بالإغارة على تشى حفاظا على قوة وكيان دولة يان.

لما قامت تشين بمهاجمة جاو واحتلال المناطق

قامت دولة تشين بمهاجمة دولة جاو وأغارت على المناطق التابعة لها فى"ليندى"، و"ليشى"، و"تشيدى"، وأوفدت دولة جاو أحد نبلائها، (القون "تسيهو") [القون هنا تعريب للكلمة الصينية التى تعنى"النبيل"؛ لجأت إلى التعريب - أى كتابة صوت الكلمة بحروف عربية لكثرة ورود هذا اللقب الشرفى فيما يلى من نصوص الكتاب، ولأنه لقب، ذو دلالة خاصة تختلف عما يشار إليه "النبيل" - المترجم -] إلى دولة تشين ليقيم هناك، بوصفه "رهينة لضمان السلام"، ثم عرضت عليها تسليمها مناطق" جياو" [كانت تابعة أصلا، لدولة تشين، فيما مضى ["ولى"، "ونيوخو" مقابل إعادة أقاليم ليندى، وليشى، وتشيدى، إليها، فلما أذعنت دولة تشين لذلك الطلب وأعادت إليها الأقاليم الثلاثة المذكورة، نكثت دولة جاو بعهدها ورفضت تسليم مناطق جياو، ولى، ونيوخو؛ بالمقابل، فحمى غضب الملك تشاو، حاكم تشين، وأوفد القون"تسيزن" [أحد أشراف دولة تشين] إلى جاو مطالبا بالتنازل عن أجزاء من أراضيها. فأرسل له الملك" هوى أون" حاكم جاو، وزيره الأكبر "جنجو"، ليقول له:" إن المناطق الثلاث المذكورة، وهى: ليندى، وليشى، وتشيدى، تقع فى أقصى أطراف بلادنا، وما استطعنا أن نبقيها تحت سيادتنا إلا بفضل مابذله الملوك الأقدمون ورجال الدولة السابقون من جهد نذكره لهم على مر الأيام، وأعترف

بأنى لا أحوز مثل ما للقدماء من مجد وشرف فإذا بقيت، هكذا،غير قادر على استلهام مجد القدماء، فستضيع البلاد كلها، بما فى ذلك الأقاليم الثلاثة المشار إليها. وأعترف أن حولى، الآن كثير من الوزراء الفاسدين وأنهم هم الذين أفسدوا كل شىء، وهذا أمر محتمل جدا". وتجاهلت جاو ذلك الموضوع الذى أثارته دولة تشين برمته.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

واشتد غضب الملك تشاو، حاكم تشين، وأصدر أمره إلى كبير القادة العسكريين "هوشان" بالهجوم على جاو، فتقدمت القوات واحتلت منطقة "يوى"، فسارعت قوات جاو، بقيادة جاوشى بالتقدم لتخليص المنطقة من يد الغاصبين، وأرسلت دولة وى قائدها القوى "تسيجو" على رأس قوات مدججة بالسلاح، فرابط فى منطقة "أنى" [تابعة لدولة وى]، وذلك فى محاولة لعرقلة تقدم قوات تشين، وبالفعل فقد لاقت هذه هزيمة منكرة فى منطقة "يوى"، فعادت أدراجها، فعرجت فى طريق عودتهاعلى منطقة" جيدى"التابعة لدولة وى فأغارت عليها، ودافع" القائد المشهور ليانبو" عن هذه المنطقة، وأنزل بقوات تشين الفتك والتدمير فهزمها شر هزيمة.

لما أراد "فودين" التحالف مع الدولتين

أراد "فودين" [أحد كبار الوزراء ورجال الدولة فى جاو] أن يدخل، باسم دولة جاو، فى التحالف مع دولتى وى، وتشى؛ بينما كان لوهوان يفكر فى تحالف، باسم جاو، مع دولتى تشين وتشو، وكان أكثر مايخشاه فودين، أن يقتنع الملك أولينغ - حاكم جاو - بكلام لوهوان، فينضم - من ثم - إلى تشو وتشين، وذهب "سيما شيان" [أحد وزراء جاو] إلى الملك، ليتحدث معه، على لسان فودين ودفاعا عن موقفه، قائلا: "أرى من الأفضل - يامولاى - أن تنضم بلادنا إلى صف دولة تشى؛ ذلك أننا إذا شرعنا، اليوم، فى مهاجمة تشين، دون التحالف المسبق مع تشى، فسوف تتحالف تشو مع تشين ويقومان بمهاجمة كل من هان، و وى، فتلجأن كلتاهما إلى دولة تشى طلبا للنجدة والعون، فإذا لم تسارع

هذه بالإغارة على تشين، فستتعلل بضرورة البدء بضرب جاو، وهكذا فإنها إذ تعجز عن ضرب تشين، فلن تواتيها الجرأة إلا على ضرب جاو؛ ومادامت قوات تشى ستمتنع عن توجيه ضرباتها صوب الغرب، فسوف تنصت دولة هان إلى صوت تشين، فتتمرد على تشى وتقلب لها ظهر المجن، وإذ تنقلب على صاحبتها تقربا إلى تشين، فستحيق الهزيمة النكراء بدولة جاو.

وأتصور أننا إذا تقاربنا الآن، مع تشى، وامتنعت هذه عن توجيه دفة هجومها جهة الغرب، فلابد أن دولتى وى وهان ستقطعان علاقاتهما مع تشى، وهو ما يعنى أنهما بعد انهيار علاقاتهما مع تشى، سوف يخطبان ودنا ويتقربان إلينا، هذا طبعا بالإضافة إلى ما قلته آنفا من أننا إذ نتقارب مع تشى، فلن تسلط هجومها على الجبهة الغربية.

ومن المعلوم أن لوهوان كان قد سبقت له الإقامة مدة ثلاثة أشهر فى دولة وى، (وعلى الرغم من مسعاه الدائب) فإنه لم يستطع فسخ العلاقة القائمة بين وى وتشى.

وإذ تصورنا أننا بعد التقارب مع تشى، أنها قامت بالاشتراك مع دولة وى فى التقدم بهجوم مشترك جهة الغرب، فسيكون ذلك وبالا على تشى نفسها التى ستنهكها الحرب وتنال من طاقتها وتنال أيضا من قوة تشين، وتصبح دولة جاو محط اهتمام الممالك والدويلات"، ورد عليه الملك أولينغ، قال: "لكنى إذا تحالفت مع الدول الثلاث وتقدمت معهم لمهاجمة تشين، فسينزل بى، معهم، الدمار والتخريب من جراء ماسيطولنا من أيدى تشين العدوانية"، فأجابه سماشيان، قائلا:"كلا .. لن يحدث شىء من ذلك، ولن يمسك أى قدر من السوء؛ لأننا نتحالف مع الدول الثلاث، فسنتعلل بغياب شرط المصالحة بيننا وبين دولة جونشان للتحلل من مهمة الاشتراك معهم فى الهجوم على تشين، فإذا ثبت لدينا صدق عزم الدول الثلاث على مهاجمة تشين، فلابد أن ينتظروا قرارنا النهائى فى هذا الشأن، إذا ما بدالهم إجراء مصالحة بيننا وبين دولة جونشان، وإذا أذعنت هذه لشروط الصلح معنا، فستكون تلك فرصتنا الذهبية لمنع جونشان من إجبارنا على التنازل لها عن الأراضى كشرط للمصالحة معتمدين فى ذلك على ضغوط الدول

الثلاث عليها؛ فإذا رفضت شروطنا، فستقطع الدول علاقتها بها، وهو مايعنى وقوعها فى إسار العزلة وهو أمر مرغوب فيه تماما.

وإذ تعجز الدول الثلاث عن توقيع المصالحة بيننا وبين جونشان فلامانع من أن نساهم فى المجهود القتالى بعدد قليل جدا من القوات، وبذلك نكون قد أنجزنا هدفين: أولهما: عزل دولة جونشان؛ وثانيهما: القدرة على توزيع قواتنا المقاتلة (على نحو مرن)، وإذا انعزلت جونشان، فستضعف وتسقط من تلقاء نفسها، وهو يعطينا الفرصة للمشاركة بباقى القوات فى ضرب تشين. ونكون بذلك قد اكتسبنا حق اقتطاع نصيب وافر من أراضى كل من تشين وجونشان بضربة واحدة فقط".

لما أقدمت دولة وى على التحالف مع

أعدت دولة وى العدة للتحالف مع تشين، وذلك بسبب (سياسات) "فودين"، وهو ما أثار موجة من القلق والخوف فى أجواء دولة جاو، فوجهت إليها طلبا تعرب فيه عن استعدادها للتنازل لها عن أجزاء من الأراضى، وذلك استجابة لتوجيهات شوكون [كان وزيرا - وقتئذ - فى دولة وى].

وتحدث "ليكى" [وزير عظيم بدولة جاو] إلى "لى توى"، وقال له: "إن جاو تخشى أن تنجح سياسة التحالف الأفقى وهو مادفعها إلى التفكير فى التنازل لدولة وى عن أجزاء من الأراضى تلبية لنداء وتوجيهات شوكون [وزير دولة وى] وأرى من الأفضل - فى هذه الظروف - أن تقنع جلالة الملك بإقطاع تلك الأراضى (المزمع تسليمها إلى وى) للوزير "جوسوى" [صاحب سياسة" الاهتمام بدولة تشى وتجاهل أمر تشين"] دعما له فى جهوده ومهماته التى يمكن أن يكلف بأدائها فى دولة وى، حيث ينصح له بالسفر إليها واعتلاء كرسى رئاسة الحكومة فيها وكلنا نعرف أن جوسوى هوالرجل الذى يقود الممالك كلها فى حملة شديدة ضد تشين، بإعلان السخط عليها والتحريض على كراهيتها وازدرائها، وإذ يتولى الآن رئاسة وزراء وى، فلا أظن التحالف قائما بينها

وبين تشين، (وهذا من ناحية أخرى..) فلن يمكن لكل من وى وتشى – مهما بلغتا من القوة – أن تقدرا على إيذاء دولة جاو، خصوصا بعد أن فقدتا دعم تشين لهما، ثم إن وى ستتعالى وتشمخ بأنفها فوق تشى ولن تأخذ بتوجيهاتها انطلاقا من احتقارها لها واستصغاراً لشأنها.

وبنفس القدر، يمكن القول بأنه.. مهما بلغت كل من تشين و وى من درجات القوة ومعدلات التفوق، فلن تستطيعا الإغارة على جاو، من دون مساعدة دولة تشى لهما، وهكذا، فالظروف تخدم دولة جاو وتيسر مهمة جوسوى على نحو غير مسبوق، فاغتنم الفرصة فورا".

لما أوفدت دولة وى إلى دولة جاو

أوفدت دولة وى إلى جاو مبعوثا يعرض عليها الانضمام إلى التحالف الرأسى – وكان وسيطها فى ذلك "بينيوان" [رئيس وزراء جاو، وقتئذ] (وتحدث المبعوث طويلا) إلى ملك جاو، دون أن يستجيب لدعوته، وخرج من عنده بينيوان والتقى بـ"يوتشين" [أحد كبار رجال دولة جاو] وقال له: "إذا كنت داخلا للقاء جلالته، فحدثه فى موضوع التحالف الرأسى"، فلما أقبل يوتشين على الملك، ابتدره جلالته بحديثه، قائلا: "كان بينيوان عندى منذ لحظات، وكان يعرض على اقتراح دولة وى فى الانضمام إلى تحالف المحورالرأسى، لكنى لم أوافق، فما رأيك أنت فى هذا الموضوع؟" فأجابه يوتشين بأن دولة وى مخطئة فى هذا الاقتراح، فلما استفسر منه الملك عن السبب، أجابه، قائلا: "إن أى شأن يدور بين دولتين إحداهما أعظم وأقوى من الأخرى سيتم معالجته بحيث تجنى الدولة العظمى الفائدة منه ولا يعود للدولة الأضعف إلا تحمل الخسائر والتبعات، ولئن كانت دولة وى ترجو منك الانضمام إلى التحالف الرأسى، وأنت ترفض الانصياع لهذا الاقتراح، فإن ذلك سيجرعلى وى الويلات والمصائب، غير أن جلالتك ترفض أن تجنى الفوائد الماثلة، وهكذا فإن رأيى هو أن دولة وى مخطئة وجلالتك – إن أذنت لى – مخطئ تماما (مخطئ بدرجة أكبر!)".

لمـا تحدث بينيوان مع أحد الدعاة

تحدث بينيوان مع فنجى [أحد دعاة الخطط الساسية] وقال له: "أفكر فى التقدم صوب الشمال للإغارة على منطقة "شان طانغ"، ثم أرسل حامية لضرب دولة يان، فما رأيك فى هذه الخطة؟"، فأجابه، قائلا:" لا أوافقك على هذه الخطة، وقد كان فيما مضى أن .. "بايتشى" أعظم القادة العسكريين فى دولة تشين قد دخل واحدة من أخطر المعارك فى منطقة "تشان بين" وذلك بصحبة "جاوكو" (ولد مافو - رجل الدولة الشهير) معتمدا على سيرته التى تشهد له بانتصاره الساحق، سبع مرات متتالية، على دولة جاو، وحدث أنه في تلك الموقعة ألحق الهزيمة النكراء بقوات جاو، وانتهز فرصة انتصاره الرائع، وقام بحصار مدينة" هاندان" بما تبقى لديه من العدة والعتاد، غير أن دولة جاو (كانت دائما تفعل الشيء نفسه فى المرات السبع المتوالية) جمعت فلول الجند الشاردة وبقايا المؤن والذخائر، وحشدتها للدفاع عن هاندان، واستماتت فى الدفاع حتى لحق النصب والإعياء بجنود تشين. وكان السبب فى ثبات دولة جاو فى الدفاع واستبسالها فى الصمود الذى يحول دون انهيارها يكمن فى صعوبة مهاجمتها مع سهولة الصمود فى الدفاع عنها، ومن ثم فلا تملك دولة جاو فخرالانتصار المدوى فى سبع معارك متتالية وعلى الجانب الآخر فإن دولة يان لم تتعرض لمحنة الهزيمة فى معركة (مثل معركة" تشان بين") بل إن الدولة المهزومة [مشيرا بذلك إلى جاو] مازالت حتى اللحظة لم تثأربعد لخسارتها الفادحة، والأغرب من ذلك أنها تفكر فى حشد قواتها المنهكة لضرب دولة يان القوية الجبارة، حيث تتصرف الدولة الضعيفة المفككة الأوصال (جاو) على غرار ماقامت به العملاقة القوية تشين إبان هجومها على هاندان، على أمل أن تسلك الجبارة العظيمة يان مثلما سلكت به المهزومة المنهارة جاو فى دفاعها المستميت عن هاندان، وهذا معناه (ن تشين القوية حقا تنتهز الفرصة وتضرب بجيشها الذى أعيد تنظيمه وتسليحه بعد أن نال قسطا كافيا من الراحة - تضرب به جاو المنهكة المزولة، على حين غرة... على نحو ماحدث مثلا لدولة "أو" القوية الجبارة وكان سببا فى

انهيارها، بينما اشتد ساعد الضعيفة المتهافتة "يوى" وكان هجومها الباغت، حينئذ، سببا فى وصولها إلى ذرا القوة والإمبراطورية والمجد، ولذلك لا أرى داعيا لمهاجمة دولة يان"، فاستحسن بينيوان رأيه، قائلا: "الرأى ماقلت".

لما تحدث بينيوان إلى أخى الملك

تحدث بينيوان إلى بين يانغ [أخو الملك هوين، حاكم جاو من الأم وقال له: "كان "قونزيمو" [أحد نبلاء دولة وى] عاقدا العزم على الترحال إلى دولة تشين، فمر فى بعض الطريق وعرج شرقا صوب دولة وى، يريد توديع "إينخو"، فكلمه هذا، قائلا: "مادمت قد عقدت العزم على السفر، سيدى القون، أفلا تعظنى بشىء (من الحكمة)؟" فأجابه "قونزيمو"، قال: "بل كنت نويت أن أهديك كلمات من عندى، حتى قبل أن تطلب منى ذلك فاسمع ما أقول لك، واعلم أن العاقل الكريم لا يرنو إلى المال، وإنما يأتيه المال (من تلقائه)؛ (واعلم أيضا..) أن المال، وإن لم يعقد وعدا مع الجمال واللذة [ملاحة الوجه، ولذيذ الطعام .. حرفيا] فإنهما يجتلبان معه، كما أن ملاحة الوجه ومستساغ لذة الطعام وإن لم يقترنا بالجاه والثراء العريض، يلحق فى إثرهما؛ ثم إن الجاه والعز لا يطلبان مع الموت لقاء، لكنه يأتيهما حتما وبغير سابق دعوة. فهى غفلة تنتاب الناس، وخطأ يعالجونه بالتكرار على مر الأعوام والدهور [حرفيا: كلما مرت السنون، كثر المخطئون"].

فقال له إينخو: "إن ماتعظنى به حكمة عميقة المغزى [حرفيا: تكاد تنطبع فوق جسدى كأثر النحت فى الصخر!]".. وإذ يهتف بى هاتف تلك الكلمات، تترسخ فى قلبى ويثبت بها رشدى، فأتمنى أن تطوى عليها صدرك وتظل تذكرها ماحييت"، فوافقه "بين يانغ" وأقره على صواب ماقاله.

لمـا قامت قوات تشين بمهاجمة جاو

قامت قـوات تشين بمهاجـمة جيش جاو فى منطقـة "تشان بين" وألحقت به شـر هزيمـة، ثم صـدر الأمـر للقوات بالـعـودة [حدثت مـوقـعـة تشان بين فى عام ٢٦٠ق.م. وكان بايتشى قـائد قوات تشين، فلمـا انتصـرعلى جيش جاو أعمل القتل والفتك بأفراده حتى أنه قتل من الأسرى والمستسلمين أربعمائة ألف جندى، فنقم عليه رئيس وزراء "تشـين" "فـانجيـو" ذيوع شـأنه وأنكر عليه شـهـرته وشجـاعته ووقـف له بالمرصـاد،.. ونجمت الأحداث عن انسحاب الجيش المظفر إلى قواعده!!] ثم أوفدت تشين إلى جاو تطلب التنازل لها عن ست مدن بسكانها مقابل إجراء الصلح معها، ولم تكن جاو قد استـقـرت على رأى. وتصـادف أن كـان لوهوان عـائدا من دولة تشـين، فـالتـقى به الملك"شياوتشن" - حـاكم جاو - وراح يفكر معـه فى تصـور خطة مناسبة، قائلا له: "قد احترت وأعيتنى الحيل، هل أوافق على التنـازل الذى طلبتـه تشين، أم أرفض؟ وما نتيجة القبول أو الرفض؟" فأجابه لواهوان، "تلك أمور من الصعب علىّ أن أجزم فيها برأى قاطع". فقال له الملك: "وحتى لو لم تكن الأمور تبين عن رأى جازم، فلتجرب الخوض فيها بتصـورات وأفكار"، فرد عليه لوهوان، قال :"هل سمعت، يامولاى، حكاية الوالى" كنفو وينبو" وأمه العـجـوز؟ الحكـاية باختـصـار هى أن كنفـو هذا، كان يعمل موظفا فى البلاط الحكومى بدولة "لو" [تنطق كما فى "الملوك"] فأصيب بمرض عضـال وتوفى على إثر ذلك، وكانت له ست عشرة زوجة يقمن معه فى بيته [تعدد الزوجات أمر شـائع فى الصـين القديمة]، فلمـا عرفـن بخبر وفـاته، صـدمتـهن الفـجـيـعة فقمن وقتلن أنفسـهن فى آن واحد، فلما بلغ ذلك الحادث مسامع والدته كفت عن البكاء ومسحت دموعها، ولاحظت الخادمة تحجر مشـاعرها، فعلقت بقولها.." كيف يطيع الأم قلبها أن يموت ولدها فلاتبكى عليه!"، فردت الأم، قائلة.." كان كونفوشيوس رجلا بارا فاضـلا، ومع ذلك فقد طردته السلطات من بلده، مسقط رأسه - دولة لو - (فتبعه الناس جميعا) إلا ولدى، تركه يذهب إلى منفاه دون أن يتبعه أو يكون فى وداعه، ثم إن زوجاته انتحرن فور علمهن بخبر وفاته؛ مما يدل - بكل وضوح - أن ابنى لم يكن بالرجل الذى يوقر الكبير ويبجل الفاضل الكريم، وإنما كان يصرف كل انتباهه وحبه واحترامه لزوجاته".

وهكذا، فإذا أخذنا بكلام الأم الذى قالته بلسانها، فسنحكم بأنها أم كريمة النفس، فاضلة الخلق؛ أما لوكان قائل هذه الكلمات زوجاته أنفسهن، لاستنتج السامع، بالبداهة، أنه كلام نساء استولت على قلوبهن الغيرة .

ولذلك، فقد تكون العبارات والألفاظ والكلمات نفسها، يختلف قائلها، فتختلف مراميها ودلالاتها، (وقد سألتنى جلالتك سؤالك الذى ابتدرتني به) وأنا قادم من دولة تشين فإذا قلت: إن من الأفضل الامتناع عن تلبية طلب تشين، وعدم تسليمها الأراضى، فقد تكون تلك خطة غير صائبة، وإذا قلت عكس ذلك، فلربما وقع في ظنك أني إنما قلت هذا منحازا لجانب تشين، وبالتالى فقد عييت عن الإجابة. (وعلى أية حال) فإن كنت ترانى أهلا لتدبير تلك الخطط لك، فالأجدر بك أن تكلفني بذلك تكليفا". فرد عليه الملك بالموافقة (على أن يسند إليه مشروع التخطيط لهذا الشأن).

الجزء الثانى من الفصل نفسه

فلما اتصل خبر ذلك إلى يوتشين، أسرع إلى القصر، وقابل الملك، فقص عليه ماسمعه من لوهوان، فقال له يوتشين: "بل هو محض زيف وكلام فارغ!" فلما سأله الملك عن السبب فى حكمه هذا، أجابه بقوله: "السؤال هو: هل انسحبت قوات تشين بعد شروعها في مهاجمتك بسبب الإنهاك؟ ولنقل إن جلالتك تظن بأنها تدخر المزيد من طاقة القتال، فهل كان إحجامها عن التقدم فى القتال بسبب افتتانها بجمال عينيك وعطف قلبها الرحيم عليك؟"، فقال له الملك (حاكم جاو): "مما لاشك فيه أن تشين؛ إذ قررت الهجوم على بلادى، فلم تكن لتدخر جهدا في مواصلة تقدمها بشتى الطرق، ولابد – إذن – أن انسحاب القوات كان سببه ما أصابها من تعب وإرهاق". وهنالك، قال له يوتشين: "لما كانت تشين قد استخدمت كل قوتها و طاقتها في الهجوم على ما لا طاقة لها باستلابه والاستيلاء عليه من الأقاليم والمدن والمناطق المختلفة، فقد لقي جيشها الإعياء والأرهاق واضطرإلى العودة من حيث جاء، ثم إن جلالتك تفكر بجدية – وهو الأدهى والأعجب – فى أن تتنازل لها عن المناطق التى لم تستطع هى نفسها

الاستيلاء عليها بهجومها الكاسح، وكأنك تعطيها المزيد من المدد والدعم مكافأة لها على مهاجمتك (وهى، بالطبع، لن تدخر وسعا فى إعادة الكرّة فيما بعد..) وهكذا، فلن تجد ماتخلص به نفسك من براثنها عندما تعاود تشين الهجوم عليك مرة أخرى، فى العام القادم".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

ولم يلبث ملك جاو أن نقل ماسمعه من يوتشين إلى لوهوان، الذى رد عليه بقوله: "وهل يدرك يوتشين هذا، كل أحوال وتفاصيل القدرات العسكرية لدى دولة تشين بما في ذلك أقصى مايمكن أن تبلغ إليه طاقتها القتالية؟ وعموما، فإذا كنا نعرف، حقا أن قدرات تشين العسكرية لا تؤهلها للوصول إلى ماترمى إليه، فلنا ألا نفرط فى حبة رمل من أرضنا، لكن إذا أقدمت تشين، فى العام القادم، على مهاجمة جاو فلربما تطلّب الأمر أن تتنازل لها جلالتك عن أراض – من قلب بلدك – من الأقاليم الداخلية، للتفاوض من أجل المصالحة".

وراح الملك يسأله.. "فإذا أخذت بكلامك وتنازلت لـ تشين عن بعض الأراضى، فهل تضمن لى ألا تقدم تشين على مهاجمتنا فى العام المقبل؟"، فأجابه محدثه: "هذه مسألة لا أملك لها أية ضمانات. إننا إذا طالعنا التاريخ القريب، وجدنا أن الدول الثلاث: هان، ووى، وجاو كانت قد أقامت علاقات ودية للغاية مع دولة تشين، وإذ تقدم تشين على الهجوم اليوم، فقد تغاضت عن كل من وى، وهان بينما صبت جام غضبها عليك أنت. ربما، لأن هديتك إلى تشين لم تكن فى روعة وفخامة ما أهدتها إياه كل من وى وهان. وبإمكانك – على أية حال – أن تدع لى مهمة تصفية الأجواء بعد مالحق بك من هجوم تشين إثرالتوتر الذى أصاب العلاقات بينكما بالجفاء والعداوة الشديدة، بحيث تتبادلون معا الوفود الدبلوماسية، وتقيمون مراكز اتصال على الحدود بين بلديكما، على غرار ماهو قائم بين تشين وهان، و وى.

أما إذا ظللت، يامولاى حتى العام القادم دون أن تستطيع تدبير وسيلة لإزالة ما كدر الصفو بينكما، وتحوز مودة ملك تشين ورضاه، فسيكون كل ما بذلته وماقدمته من جهد وهدايا إلى ملك تشين، قد تضاءل بالقياس إلى ما تقوم به كل من وى وهان فى هذا الشأن، وإذا وصلت الأمور إلى هذا الحد، فلن يمكننى أن أعدكم بشيء".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

وأسرع الملك ليخبر يوتشين بما دار بينه وبين لوهوان، فقال له: "حسب ماذكره لوهوان فإنك إذا تقاعست عن المصالحة مع تشين الآن، فسوف تهاجمك فى السنة القادمة مرة أخرى، وربما اضطررت، عندئذ إلى التنازل عن أجزاء من الأراضى الواقعة فى قلب البلاد طلبا السلم معها، بل حتى لو قامت العلاقات الودية بينك وبين تشين، الآن، فإن لوهوان لن يضمن لك عدم إقدام تشين على مناوشتك مرة ثانية فى العام المقبل، فما الفائدة من أن تتنازل لها عن أجزاء من أرضك إذن؟! وإذا صح التقدير بأن تشين لن تقلع عن محاولة ضربك بعد أن يحول الحول، فإن تنازلك لها عن أراض، لاتقدر الحصول عليها بقوتها العسكرية، نوع من السعى لإلقاء النفس فى التهلكة، وبناء على هذا كله، فلن يكون هناك داع للمصالحة، من البداية.

واعلم جيدا أن دولة تشين لن تقدرعلى أخذ المناطق الست، مهما مهرت فى القتال، وبرعت فى الهجوم. (ومن ناحية أخرى)، فإن دولة جاو لن تخسر المناطق الست المشار إليها مهما عجزت وتخاذلت عن الدفاع.

وبما أن قوات تشين انسحبت نتيجة لما أصابها من الإرهاق، فلابد أن حالة الإنهاك ستأخذ منها مأخذا عظيما فلتنتهز هذه الفرصة ونحاول ضم الدويلات إلى جانبنا، ولو اضطررنا إلى شراء وقوفهن معنا مقابل التنازل عن خمس مدن كبرى من مدننا الآهلة بالسكان، ثم نهجم على تشين المرهقة المكدودة التى لم تعد تقدرعلى مواصلة القتال، فلعلنا نستطيع تعويض ماقد خسرناه . ومهما يكن من شيء، فسنكون قد حصلنا ولو على قدر ضئيل من المكسب، بدلا من التنازل عن أجزاء متوالية من الأرض (بغير طائل)،

مما قد يخصم من قوة البلاد لصالح الإضافة إلى قوة تشين (فأى الموقفين أحظى وأنفع؟!).

ألم يقل لك لوهوان، ما نصه أن.." السبب فى محاباة تشين لكل من وى وهان؛ مقابل هجومها على جاو، يكمن فى عجزكم عن خدمة مصالح تشين بالقدرالذى تقوم به وى وهان!

فما أظنه إلا ساعيا إلى دفعك للتنازل كل عام، عن ست مدن إلى دولة تشين، خدمة لمطامعها؛ أى باختصار شديد، تسليم أرضك لها على نحو متدرج ومن دون أى سند أو مبرر أو تفسير.

ومثلا فعندما تأتيك تشين فى السنة المقبلة لتطالبك بالتنازل لها عن أجزاء من أراضيك، هل تذعن لها وقتئذ؟ إنك حتى لو لم تذعن لها، فستكون قد بددت ثمن ما أعطيتها إياه من قبل، وجلبت على نفسك كارثة لا مخرج منها، أما إذا أردت أن تجاريها وتعطيها أرضك، لا أظنك تجد المزيد مما يمكن أن تتنازل لها عنه.

إن المثل السائر يقول.." لا يملك البطش إلا القوى الجبار أما الصغار، فلايملكون، حتى مايصدون به الأذى عن أنفسهم". إن الإذعان المطلق لمطالب تشين يدفع بقواتها إلى المزيد من احتلال الأراضى دون أن تجازف بخسارة أى شىء، وهذا بعينه هو ما يضيف إلى قوة تشين طاقة جبارة متجددة، ويضعف فى الوقت نفسه من قدرة جاو، وهكذا فإن هذه الطريقة التى تزيد القوى (تشين) قوة، والضعيف (جاو) هزالاً واندحاراً، ستطيل من أمد الخطة التى تسير عليها تشين لاستلاب جاو قطعة إثر قطعة.

أضف إلى هذا أن المعهود فى سلوك تشين أنها أشبه ماتكون بالذئب الضارى الذى لا يقيم وزنا للآداب والأخلاق، على أى نحو؛ حيث لاتتوقف الأطماع عند حد، بينما هى تريد منك أن تعطى بلاحدود. وعندما تعطى من أرضك المحدودة لمن لاتقف أطماعه عند أية حدود، تكون النتيجة التى تصل إليها الأمور هى ضياع أرضك بالكامل؛ لذلك كله أقول: تلك كلمات يقولها مخطط (سياسى)، تنطوى على زيف وخداع وتتوارى تحت قناع (ومساحيق ملونة) وحذار، يامولاى ثم حذار أن تتنازل عن قطعة من أرضك لدولة تشين!"، ووافقه الملك على رأيه، وقال: "فنعم الرأى إذن".

الجزء الخامس من الفصل من نفسه

فلما بلغ لوهوان من الأنباء مابلغه، دخل القصر الملكي والتقى بملك جاو الذى أخبره بما كان من حديث يوتشين، فقال له لوهوان: "ليس الموضوع على ذلك النحو، ومايقوله يوتشين محدود بوجهة نظره الضيقة التى تتركز على جانب واحد فقط من الموقف كله، دون مراعاة لباقى الجوانب التي كان يجب عليه أن يأخذها فى الحسبان؛ ذلك أن قيام العداوة بين تشين وجاو سيتحول إلى نكبة حقيقية (فوق رأس جاو) وهو ماسيثير موجة من الفرح والسعادة الغامرة بين الدويلات، لماذا؟ لأنهم سيقولون.." ها قد وجدنا من نلجأ إليه لإذلال دولة جاو، هاقد عثرنا على تشين القوية التى تنتصر بها على تلك الحمقاء الوضيعة!". فما بالك وقد لاقت قوات جاو الصعاب على أيدى تشين، مما دفع الجميع لتهنئة المنتصر، والوقوف إلى جانبه صفا واحدا، لذلك فالأسلم أن يسارع مولاى بالتنازل عن الأرض طلبا للمصالحة، وهو ما سيثير الحيرة والارتباك فى نفوس الممالك ويشيع فى قلب تشين الاطمئنان والثقة، وإلا، فستنتهز الدويلات فرصة غضب تشين وماأصاب جاو من الضعف لتنهال عليها فتمزقها شر ممزق، ولاأدرى ما الذى يمكن أن تخطط له جاو للتعامل مع تشين، إذا كانت ستتبدد على أيدى الممالك، وتزول عن الوجود نهائيا، فانظر لنفسك الرأى السديد واحزم أمرك واتخذ قرارك على ضوء ماقد علمت، ولاتجعلن الأفكار تتقاذفك فى كل اتجاه".

الجزء السادس من الفصل نفسه

فلما انتهى إلى يوتشين مادار بين الملك ومحدثه، قام فأسرع بدخول القصر وقابل الملك، وقال له: "قد بلغ الأمر ذروة الخطورة، يامولاى، فالزم الحذر، لأنه من الواضح تماما أن لوهوان يعمل لصالح تشين ! فهذا جيش جاو قد لقى الأهوال على يد قوات تشين، وصاحبنا (يقصد لوهوان) يقترح عليك التنازل عن أرضك طلبا للمصالحة معها، وهو الأمر الذى - لو تحقق - فسيثير الشك فى قلوب الدويلات بدرجة تفوق التصور، ولاأدرى كيف يمكن أن يعرف الهدوء طريقه إلى قلب ملك دولة تشين،

وسط أطنان الشكوك فى كل مكان؟ بل إننا لو تصـرفنا على هذا النحـو لكان ذلك تشهيرا صارخا وتبيانا لمدى الضعف الذى وصلت إليه جاو . أضف إلى هذا كله أن اقتراحى بخصوص عدم تسليم الأرض لايعنى اتخاذ قرار قاطع ومطلق بعدم التنازل عنها فى ظروف محددة، فعندما تطالبك تشين بتسليمها المدن الست، يمكن لجلالتك بأن تهدى خمسا منها إلى دولة تشى (لشراء صوتها المؤيد لموقفك) - ومن المعلوم - أن مابين تشى وتشين من الكراهية والبغضاء يضرب بجذوره فى أعماق سحيقة؛ بحصول تشى على المدن الخمس، فستضم قوتها إلى صفك وتهاجم تشين من جهة الغرب بالتنسيق معك، وستكون على استعداد لفهم مراميك وأهدافك، حتى قبل أن تصرح بشئ منها على لسانك [هكذا] ومن ثم، تكسب من تشين ماخسرته مع تشى، وبهذه الطريقة نستطيع أن نقيم علاقات ودية مع الدول الثلاث: وى، وهان، وتشى، ونتبادل المواقع مع تشين [بحيث نكون نحن الأقوى وهى الأضعف]". وهنالك أجابه ملك جاو، قائلا: "هكذا، إذن، فلنمض على هذا النحو!" وعلى ذلك فقد أصدر جلالته الأمر إلى يوتشين بالتوجه شرقا لمقابلة ملك تشى، والتنسيق معه على مهاجمة تشين، فماكاد يرجع يوتشين من رحلته إلى تشى، حتى كانت تشين قد أوفدت مبعوثها إلى جاو لآجراء المصالحة السلمية، وهذا هو الخبر الذى ما إن سمعه لوهوان حتى قام وفرّ هاربا من دولة جاو.

لما قامت تشين بمهاجمة جاو

قامت دولة تشين بمهاجمة دولة جاو، فأسرع بينيوان بمخاطبة دولة وى يرجوها التدخل لإنقاذ جاو، فأرسل (الأمير) "شين لينغ" على الفور بقوات رابطت عند أدنى موقع من مدينة هاندان، وهنالك أوقفت تشين الهجوم، وفى تلك الأثناء تقدم يوتشين بطلب إلى جلالته يرجوه فيه بالتكرم على بينيوان بمنحه إقطاعا من الأراضى، وقال لملك جاو: "هو ذا بينيوان، قد استطاع أن يميط الأذى عن بلدين، دون أن يجند جنديا فى معركة، أو يكسر قصبة رمح فى ساحة قتال، ولايصح أبدا (فى عرف الملوك) أن

نحث الناس على بذل أقصى جهودهم، ثم نغمطهم حقهم في المكافأة، إذا مااجتنبوا لنا أطيب الثمر". فوافقه الملك شياوشين - حاكم جاو على رأيه، وشرع في الاجراءات اللازمة لزيادة الإقطاع الممنوح لـ بينيوان، فلما بلغ هذا الخبر مسامع "كونصون لونغ" [رجل من جاو، وهو أحد أتباع بينيوان] أسرع إلى سيده بينيوان، وقال له:"أما ترى أنك نلت حظوة عند الملك، فأهداك الأراضي والضياع وأقطعك مدينة "طونو" [محلة بدولة جاو] لما قمت به من مآثر طيبة، وعلى الرغم من أن تلك المآثر لم تتجاوز مجرد أداء الواجب في ساحات القتال؛ فلا أنت قتلت قائدا ولا أبدت جيشا ولاسحقت عدوا، وقد شهد تاريخ هذا البلد (جاو) الكثيرين من الأبطال الذين كانوا يفوقونك اقتدارا وموهبة - ومع ذلك فلم يفوزوا بما فزت به - فلم تبلغ تلك المكانة إلا بفضل قرابتك لجلالة الملك؛ هو الذي أنعم عليك بكل تلك الأفضال حتى أقامك رئيسا للوزراء في بلاطه، فاعلم أن قبولك للهدية دون كبير مأثرة، يوجب عليك التواضع والترفع، وكان أولى بك أن تعتذر عن قبول المنصب الذي تشغله، بدلا من التباهي بما تحمله من أختام تحمل شعار الدولة في حافظة رئاسة الوزراء. إن لهاثك وراء فضل زائد ومغنم إضافي فوق مالديك من الأراضي والإقطاعات الكثيرة، دليل على شرف لم تكن جديرا به إلا بفضل صلة القرابة، أوصلتك إلى أن تكون موضع حظوة وتقدير، ولو كنت مكانك، لتصرفت على أنسب نحو ممكن؛ وذلك بأن أرفض كل ألوان التكريم." فقال له بينيوان: "سأعد كلامك هذا أمرا واجب التنفيذ في الحال، وسأصدع بما رأيت وقدرت" وكان أن رفض رفضا باتا القبول بالإقطاع والإنعام الملكي عليه.

لما قامت الحرب بين تشين وجاوفي موقعة

وقعت الحرب بين دولتي تشين وجاو في منطقة "تشان بين"، ولم يكن النصر حليف جاو، بل فقدت قواتها ضابطا عظيما من قادة الكتائب، فأمر الملك شياوتشن - حاكم جاو - باستدعاء لوتشان - رئيس الوزراء - ويوتشين، وقال لهما: "ساءت الأحوال جدا حتى أن الجيش لم يحرزالنصر المأمول، بل مات أحد القادة الكبار في

ساحة المعركة فما رأيكما في تعبئة القوات بكامل أفرادها وعتادها ثم الهجوم بها على تشين دفعة واحدة؟"، فأجابه لوتشان، قائلا: "هذا لن يجديك نفعا، والأفضل منه أن ترسل ثقاتك إلى دولة تشين للتفاوض بشأن السلام". بينما قال له يوتشين: "إن المتفاوضين بشأن السلام يتصورون أنه مالم يباشروا محادثات السلام فسوف تهلك القوات المحاربة، لكن الحقيقة هي أن القوة التي تمسك بزمام المصالحة الفعلية تكمن بيد دولة تشين، (وهنا تكمن النقطة الحاسمة) فما ظنك – يامولاي – بما تريده دولة تشين بجيشنا،أتراها تبغي تحطيمه أم الحفاظ عليه؟"، فأجابه الملك، وقال: "إن تشين لن تدخر وسعا في دحر جيشنا". فقال له يوتشين: " فاعمل بما اقترحه عليك (ولو على سبيل الخروج من المأزق الحالي، بأن ترسل مبعوثا إلى دولتي وي وتشو يحملان إليهما أثمن الهدايا دليلا على المودة والثقة، وهما إذ تستقبلان مبعوثك، تعربان عن رغبتهما في مد جسور الود بقبول هداياك الثمينة؛ مما سيثيرالشك لدى تشين إزاء جدية الدويلات في الانضمام إلى التحالف الأفقي، بل سيصيبها الرعب من جراء ذلك، فتلكم هي الطريقة الممكنة والمناسبة للشروع في مفاوضات سلمية".

الجزء الثاني من الفصل نفسه

ولم يأخذ ملك جاو بنصيحة الرجل، بل راح يعد لترتيبات مفاوضات السلام بمساعدة (الأمير)"بين يانغ"، وأرسل "جنجو" [أحد نبلاء دولة جاو] إلى دولة تشين التي استقبلته على الفور، وعندئذٍ، استدعى الملك يوتشين للقائه، وقال له: "كنت قد أرسلت بين يانغ إلى دولة تشين لعمل مباحثات السلام، فاستقبله ملك تشين (مما يدل على رغبته في إقامة علاقات سلمية) فما رأيك في هذه الخطوة؟"، فأجابه يوتشين: "من المؤكد تماما أنك لن تقدر على إقامة السلام مع دولة تشين، وهو ماسيعرض جيشك للدمار المروع على يد تشين. وقد علمت أن وفود الدويلات والممالك تتقاطر على تشين للتهنئة بانتصارها الباهر، ولايعدو جنجو كونه مجرد رجل فاضل كريم، من أهل دولة جاو، وسوف يستغل ملك تشين، بمساعدة "إينخو"، زيارة الرجل إليهم ليطلع على كل وفود

الدول المهنئة عليه، ويجعلهم جميعا يرونه رأى العين، وسترد دولتا وى وتشو على إعلانك المصالحة مع تشين بحجب مساعداتهما لك؛ وإذ تدرك تشين امتناع الدويلات عن مساعدتك، فلن تواصل السير على طريق المصالحة معك، مما يعرض محاولة السلام بينكما للفشل"، وهكذا لم يتسن لدولة جاو إتمام مشروعها للسلام مع تشين، بل مُنى جيشها بهزيمة نكراء، وكان أن ذهب ملك جاو (صاغرا) إلى بلاط تشين، فلما قصد إلى الجناح الملكى لزيارة حاكم تشين، تم اعتقاله، وهنالك بذلت تشين وعدها لدولة جاو بتحقيق المصالحة السلمية بين البلدين.

لما قامت دولة تشين بحصار العاصمة

قامت قوات دولة تشين بحصار "هاندان" عاصمة دولة جاو، فأرسل الملك "آنشى" (حاكم دولة وى)، قائد الجيش "جين بى" على رأس قوة عسكرية لإنقاذ دولة جاو، إلا أن القائد المذكور لم يكد يصل إلى منطقة "طانين" [على الحدود بين وى، وجاو] حتى رابط هناك بقواته وقد أحجم عن التقدم قيد أنملة، لما كان يخشاه من قوة وصولة قوات تشين، فأسرع حاكم وى بإيفاد أحد القادة الأجانب المقيمين فى بلده، ويدعى" شين يوانيان" الذى انتهز فرصة تهاون القوات القائمة على حصار المدينة، وتسلل من إحدى الثغرات إلى داخل هاندان، واستطاع أن يلتقى بالملك شياوشين حاكم جاو، عن طريق الترتيبات التى وضعها له بينيوان، فلما قابل ملك جاو، قال له:"إن السبب فى محاولة ملك تشين القيام بحصار بلادكم بهذه السرعة يكمن فى أن ملوك كل من تشين وتشى [تحديدا: الملك تشاو، حاكم تشى والملك "مين" حاكم تشى] كانوا يتنافسون على الفوز باللقب الإمبراطورى، فلما صرف ملك تشى النظرعن هذا الموضوع حذا ملك تشين حذوه وأسقط من اعتباره مسألة اللقب بالاسم الإمبراطورى هو الآخر، غير أن دولة تشى راحت تضعف مع الأيام حتى وصلت الآن، إلى أضعف حالاتها، ولم يعد يحتفظ بالقوة سوى دولة تشين التى تسعى الآن لفرض سيادتها فوق الممالك. والجدير بالملاحظة، الآن، أن تحركات تشين، لا تهدف - فى حقيقتها - إلى ضرب هاندان بحد

ذاتها وإنما تتطلع إلى تحقيق السيادة المطلقة بصفتها امبراطورية عظمى، فإذا أوفدت دولة جاو مبعوثا إلى تشين لتعرب له عن عظيم تقديرها واحترامها لجلالته، فسيقع هذا التصرف موقعا طيبا من نفسه، وسيبادر، على الفور، إلى فك الحصار المضروب حول العاصمة هاندان". غير أن بينيوان، بعد أن سمع هذا الكلام، ترددت الحيرة فى قلبه ولم يتخذ أى قرار حاسم (بشأن هذا الموضوع).

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وتصادف أن كان العالم المشهور" لوجونليان" [أحد كبار علماء دولة تشي، ممن اشتهروا بنشاطهم فى الأعمال الخيرية والإنسانية] يجوب دولة جاو فى رحلة يطوف فيها بأرجاء البلاد فإذا به يشهد بنفسه قوات تشين وهى تضرب الحصار حول العاصمة هاندان، وبلغه مسعى دولة تشى فى حث دولة جاو على إظهار دلالات التعظيم لدولة تشين والتصرف إزاءها بوصفها إمبراطورية كبرى، فذهب من فوره للقاء بينيوان، وقال له: "كيف ستتصرف في هذا الشأن وماهى ترتيباتك التى أعدتها لتنفيذ ماعزمتم عليه (من تضخيم دور ومكانة تشين)؟" فأجابه بينيوان: "لاأدرى كيف ستواتينى الشجاعة على مناقشة هذا الموضوع وقد حضر ماترى من المقتلة العظيمة التى أطاحت بالقوات المحاربة فى ساحات القتال، بل قد ولغ ملك تشين فى أرضنا وعاث فيها وحاصر مدينة هاندان، دون أن نملك القدرة على رد اعتدائه وإجباره على سحب قواته، فمن ثم أرسلت دولة وى إلينا القائد العسكرى شين يوانيان يحثنا على التسليم بسيادة ونفوذ تشين، ومخاطبة حاكمها باللقب الإمبراطورى، ومازال المبعوث مقيما عندنا حتى اللحظة، لكنى أؤكد لك بأنى لا أدرى كيف أفتح النقاش فى هذا الأمر؟"، وقال لوجونليان :"كنت أعتبرك أحكم رجل فى الممالك وأنبل كريم فوق الأرض، لكنى أدركت اليوم أنك لست كذلك، وكم أود أن تخبرنى بالمكان الذى يقيم فيه ضيف "ليانغ" [يقصد القائد المرسل من طرف"ليانغ" [أى: دولة وى وكانت سميت بهذا الاسم إذ اتخذت عاصمتها "ليانغ" حاضرة الدولة القديمة، عاصمة كبرى لبلاطها الحاكم،

وحيثما يرد اسم" ليانغ" فيقصد به دولة" وي" دائما!] فأريد، بعد إذنك، أن ألتقي به لألقنه درسا لاينساه، ثم آمره بالعودة من حيث أتى". فقال له بينيوان:"دعني، إذن،آتيك به هاهنا". فلما ذهب بينيوان وقابل شين يوانيان، ابتدره بقوله:" قد حل علينا الآن ضيف من دولة تشي، يدعى لوجنليان، فاسمح لي بدعوته للقاء سيادتك". فقال شين يوانيان:"أعرف أن لوجونليان هذا من أعظم الناس خلقا وسجايا في دولة تشي قاطبة، أما بالنسبة لي، فلست إلا ضيفا لدى سيدي حاكم البلاد، ولم أحضرإليكم إلا مبعوثا من قبله في مهمة عُهد إلي بأدائها، ولا أريد أن ألتقي بهذا الـ"لوجونليان"؛ فرد عليه بينيوان قائلا: "لكني حدثته بما كان من أمر مهمتك وأطلعته على التفاصيل"، وعندئذ وافق شين يوانيان على عقد اللقاء.

الجزء الثالث من الفصل نفسه

فلما التقى لوجونليان مع شين يوانيان، ظل صامتا دون أن يفتح فمه بكلمة، فبادره شين يوانيان، بقوله:" لاحظت أن المحاصرين داخل المدينة يرفعون طلباتهم وتوسلاتهم إلى الأمير بينيوان، لكني إذ أتطلع إليك وأتفحص ملامح وجهك جيدا، يبدو لي أنك عازف عن أن ترجوه أو أن تطلب منه إنجاز وعد ما، أو قضاء أمر يشغلك، ففيم بقاؤك طوال هذه المدة داخل العاصمة المحاصرة دون أن ترحل عنها (كما فعل الكثيرون)؟" فأجابه لوجونليان: "قد أخطأ الذين ظنوا بأن النساك والزهاد الذين تركوا العيش ولجأوا إلى الحياة المتقشفة، مجرد مجموعة من المنتحرين، فالواقع أن الكثيرين لا يفهمون تماما سر مسلك أولئك الزهاد؛ إذ يظنون بأنهم يقتلون أنفسهم لأسباب شخصية تتعلق بظروفهم الذاتية. وانظر إلى دولة تشين، مثلا فهي قد تخلت عن قواعد الأخلاق والآداب داعية إلى القتل وسفك الدماء، بين الدويلات، وتجند الجنود وتعبئ الجيوش بأساليب أقرب إلى الغش والخداع، بل تحكم شعبها وتسوس أمره بوصفه كتلة من الأسرى والعبيد، وهي إذ تبغي التسلط فوق الأمم بدعوى الحلم الإمبراطوري وتأسيس دولة كبرى، بكل وحشية، دون أدنى وازع من أخلاق أو ضمير، في محاولة لفرض أحكامها

الجائزة فوق كل الدول، فلست أملك – أنا نفسي – إلا أن ألقي بنفسي في البحر منتحرا؛ وذلك لأني لن أتحمل أن أكون واحدا من رعايا تلك الدولة، أما الهدف الأساسي من لقائي بك اليوم هو انتهاز الفرصة للعمل على مساندة دولة جاو". فقال له محدثه:" لكن، قل لي، كيف يمكن أن تساندها؟" فأجابه:" أفكر في أن أحث دولتي وي ويان على تقديم العون لها، أما تشو، وتشي فقد سبق أن قدمنا لها المساعدة فيما سبق"، فقال له شين يوانيان: "أما دولة يان فقد استجابت لدعوة دولة وي إياها تعظيم دور دولة تشين والإقرار لها بمكانة الدولة الإمبراطورية، وبالنسبة لدولة وي، فأنا واحد من أهلها، فقل لي كيف يمكن لدولة وي أن تساعد جاو؟"، فأجابه لوجونليان قائلا: "ربما كان الواقع يشهد بأن دولة وي نفسها مازالت لم تنتبه بالقدر الكافي لخطورة تعاظم دور ومكانة دولة تشين، فإذا استطعنا أن نبرز له وجه الخطر في ذلك، فستقدم بالتأكيد على مساندة جاو". فجادله شين يوانيان، قائلا:" لكن هلا أخبرتني بالخطورة الكامنة في تلقب ملك تشين باللقب الإمبراطوري؟" فأجابه: "حدث فيما مضى (من وقائع التاريخ القديم أن سار الملك "وي" حاكم تشي، في بلاده بالعدل والرحمة، بل قاد أمراء الممالك والدويلات جميعا وذهب بهم لمقابلة ملك جو، وكانت بلاده، وقتذاك ضعيفة الشأن، تعاني الفقر والحرمان، فلم يعبأ أحد من الأمراء بزيارة الحاكم فيها، سوى حاكم تشي، هو الوحيد الذي وصل متأخرا، مما أحنق عليه الأمير "شيان" حاكم جو الجديد، الذي راح ينعى الملك للضيف القادم متأخرا، بقوله.." قد كانت وفاة جلالته حدثا وفجيعة ومصيبة نكباء، دونها زلزلة الأرض وانهيار السماء. حتى إننا، ونحن الحاكم الجديد فوق البلاد قد عز علينا (النهوض إلى أعباء العمل) فظللنا إلى جوار جثمان الفقيد المسجى في تابوته فوق حشيش الأرض، بينما يتهادى بطيئا ركب أمير دويلتنا التابعة في الشرق حتى وصلنا متأخرا عن موعده ومخالفا ميعاده، فليس أقل من الإطاحة برأس المتأخر عن جمع الناس"، فغضب ملك تشي وأخذته العزة، وصاح فيه مزمجرا: "خسئت.. فإنما أنت عبد من نسل العبيد!" وانتهى أمر ملك تشي إلى أن صار هزأة بين القوم فسخروا منه بعد أن عابوا عليه سبه وقذفه للملك الراحل، بعد أن كان أول وأكبر الحافظين لمكانته

إبان حياته، هذا على الرغم من أنه ماكان ليقدم على تلك الإساءة لولا ما أبداه له الأمير شيان من الغلظة والشطط. وبعد، فلا عجب أن يسلك الأمراء على نمط ومثال الأمير شيان".

وهنالك قال له شين يوانيان: "أرأيت ما كان من أمر ابن العبيد إذن؟ أرأيت وهم يتخذونه زعيما لهم وهم فوق العشرة من الأمراء يقبضون على مصائر الحكم ومراكز القوة التى لم يكن لديه، وقتئذ، مايدانيها، أرأيت هل كانوا يعجزون عن معاداته؟ أوهل كانوا أقل منه دهاء وحكمة؟ كلا، بل كانوا يرهبونه ويخشون بأسه". فقال له لوجونليان: "فهل توافقنى، إذا جاريتك فى هذا الطرح، بأن نعتبر دولة تشين تشبه دولة وى فيما صار سمة وعلامة عليها من أخلاق وطابع العبيد؟"، فرد عليه شين يوانيان بالإيجاب والموافقة على هذا الاستنتاج. فعاد لوجونليان يقول له:" فمادام الأمر كذلك، فسوف أجعل ملك تشين يدق عظام ملك تشى ويقطع أشلاءه إربا، ويطرحها فى القدر فيطبخ منها وليمة هنيئة للطاعمين". فغضب شين يوانيان، واكفهر وجهه وهو يقول فى دهشة ممتزجة بالغضب:" أحقا هكذا.. قد بلغت الأمور شأوا بعيدا .. فقل لى، إذن، أيها السيد.. ماهى الطريقة التى سيستخدمها ملك تشين فى تقطيع أوصال حاكم وى حتى ينضج لحمه وعظامه للآكلين؟".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

فأجابه لوجونليان، بقوله: "أما الطريقة فسأخبرك بها، فانتظر حتى أخبرك بهذا لاحقا، لكن دعنى أقص عليك شيئا مهما أولا، فقد كان للامبراطور تشو (آل شانغ) فيما مضى من الزمان ثلاثة من أعظم النبلاء (أعظم الرجال!) وهم: قويهو، وإيهو، والملك أون. وكان للقون قويهوابنة رائعة الجمال، فأهداها إلى الإمبراطور تشو آل شانغ [آخر الحكام فى أسرة شانغ الملكية وكان ظالما غشوما] فلم ير جلالته أية لمحة من الجمال واعتبرها دميمة، وقبيحة المنظر (وغضب على أبيها) قويهو فغافله وقتله وقطع أشلاءه وطبخها فى قدر كبير للطعام، فسارع إيهو إلى التنديد به، وحمى بينهما

وطيس الجدال واللجاج، فظل به (الطاغية الغشوم تشو) حتى قتله هو الآخر، واتخذ من لحم جسده شرائح مجففة [طريقة إعدام قديمة]، فلما سمع الملك أون بما وقع للرجلين، تنهد عميقا وأطرق آسفا (وهو التصرف الذى أغضب منه الامبراطور) فأمر به فأودع فى أحد سجون منطقة"يوالى" مدة مائة يوم كاملة، وخطر للإمبراطور أن يتخلص منه بالقتل كسابقيه.

وثارت الدهشة فى النفوس كيف يبدأ الأمر بأن يعترف لجلالته بالمكانة وفخامة العرش وأبهة الملك بوصفه امبراطورا متوجا، ثم تأتى النهاية مأساوية مفجعة حيث ساحات الإعدام وتقطيع الأوصال؟ وقام الملك" مين" حاكم تشى وقصد الذهاب إلى دولة "لو"، فتبعه رجل من أرض"هيويه" يقود عربة، تجرها الخيل وهو يحثها بالسوط اللاهب، وراح يتحدث إلى الرجل الذى من دولة لو، قائلا: "على أى نحو من الآداب وقواعد الأخلاق واللياقة ستكرم وفادة حضرة مولانا الملك حاكم البلاد؟"، فأجابه: "نكرم وفادة جلالته بعشر بقرات ومثلهن من الضأن والخنزير". وعاد السائل يسأل: "من أى موطن انتقيت تلك الآداب فى الحفاوة بمقدم مليكنا؟ إن مولانا الملك هو الإمبراطور الأعظم ابن السماء، فانظر إذا جاء ابن السماء [الامبراطور] ليتفقد أحوال الممالك والدويلات، فإن الواجب يقضى، حينئذ بأن يخرج الأمراء من قصورهم، ويسلمون إليه مفاتيح أبوابهم، ويلتزمون بإبداء مظاهر الاحترام والتبجيل، ثم يبسطون له ولائم الطعام، ويبقون إلى جواره، حتى إذا فرغ من الأكل عادوا إلى مزاولة مهام وظائفهم".

وكان أن أغلق أهل دولة لو باب بلدهم دونه وأحكموا قفل الرتاج، فلم يتيسر للملك" مين" العبورإلى عاصمة دولة لو، فأراد الذهاب إلى دولة "شيوى" ومنها إلى دولة "تسو"، فيسلك عبرأراضيها إلى غاية رحلته، وفى تلك الأثناء، ترددت الأنباء، فجأة، بموت ملك تسو، وطرأت للملك مين فكرة أن يدخل البلاد للتعزية فى وفاة الراحل الكريم وذهب أيهو إلى أمير البلاد، وقال له:"قد جاءكم ملك (عظيم المهابة) يريد أن يقدم مواساته وتعازيه، وأرى أنه من اللائق أن تقوموا بوضع تابوت المتوفى فى اتجاه معاكس لمنصة التعازى؛ بحيث تنقلون التابوت إلى الجهة الشمالية من القصر، حتى يتمكن الزائر العظيم من إلقاء خطبة التعازى وهو متجه بوجهه صوب الجنوب [كما يليق بالأباطرة العظام،

الذين يتخذون من الجنوب وجهة مقدسة دائما]" وأجابه وزراء دولة تسو، في وقت واحد، قائلين: "بل لو حدث شيء من ذلك، فسيكون لزاما علينا أن نقتل أنفسنا بسيوفنا (إذ أن ما تطلبه أمر تأباه نفوسنا)".

وهكذا عدل الملك مين عن فكرة دخول دولة تسو. والملفت في الأمر كله أن أولئك الوزراء لم يكونوا خير معين لسادتهم، وهم أحياء يتسنمون عرش الحكم، ولا كانوا مقيمين للشعائر الجنائزية (التقليدية) على روح أمرائهم، بعد إذ أدركهم الموت [حرفيا: ولاكانوا ممن يضعون في أفواه المتوفين من الملوك حفنة من الأرز وقطعة من الذهب.. كما جرت بذلك عادات دفن الموتى قديما]، بل إنهم لم يتحملوا أن يرغمهم الملك مين على اتباع قواعد الآداب المقررة في خدمة الملوك.

وإذ نتأمل الوضع اليوم، نجد أن.. دولة تشين واحدة من الممالك الكبرى التي تملك العدد الوافر من العدة والعتاد [حرفيا: عشرة آلاف عربة عسكرية]. كما أن دولة وي هي الأخرى، لا تقل عنها قوة ؛ فهي تملك عشرة آلاف عربة مقاتلة، فكلاهما يملك نفس المقدار والمكانة ويقوم فوق عرشيهما ملوك ذووألقاب جليلة ومكانة معلومة فإذا وقع في ظنك أن تدعو الدويلات إلى الخضوع لسلطان ونفوذ تشين، لمجرد أنها انتصرت في حرب، فاعلم أنك بذلك تطلب إلى وزراء ومسئولي الدول الثلاث (سانجين) أن يمرغوا أنوفهم في حضيض المذلة، في دركات لايتدنى إليها عبيد وجواري وبغايا دولتي تسو ولو. ليس هذا فقط بل إنه إذا لم تؤخذ تدابير سريعة للحيلولة دون بلوغ ملك تشين مرتبة القوة التي تمكنه من التسمي باللقب الإمبراطوري، فسوف يعمل على استبدال الوزراء المتنفذين، وسوف ينتزع السلطة ممن يرى أنهم غير جديرين بمناصبهم، فيمنحها لمن يعتبرهم أحق وأولى، بحكم ما امتازوا به من الجدارة، وسيغتصب النفوذ ممن يبغضهم، ويتكرم به على من يحبهم أو يميل إلى تفضيلهم، وسيجعل من بناته ووصفيات قصره عبيدا ومحظيات (لرجال الحكم في بلاط) دولة وي، وسيبيثهم داخل القصرالحاكم هناك، عيونا تستطلع، وألسنة تثرثر بالنمائم، فكيف لملك وي أن ينعم بالهدوء والاستقرار والسعادة؟ وأنى لك، سيدي القائد المغوار، أن تنعم بما كنت ترفل فيه بالأمس من رفيع الدرجة وبالغ التكريم؟".

الجزء الخامس من الفصل نفسه

ثم إن شين يوانيان قام واقفا وانحنى معتذرا لـ لوجونليان قائلا له :"كنت أظنك، في أول الأمر مجرد شخص عادى مثل باقى الناس، لكنى أدركت، الساعة، بأنك ذو كياسة وحكمة، وأرجو السماح لي بالرحيل؛ فما عدت بقادرعلى أن أواصل الحديث عن ضرورة تمجيد حاكم تشين ورفعة إلى مصاف الأباطرة". فلما بلغت أنباء مادار بين الرجلين من الحوار المذكور إلى مسامع قائد قوات تشين على جبهة القتال، بادر إلى الانسحاب بقواته مسافة خمسين "لي".

وتصادف، في تلك الأثناء، أن تقدم شين لينجوان على رأس قوات (من منطقة "جين بى") لمساندة جاو، حيث قام بالإغارة على قوات تشين التى اضطرت إلى الانسحاب والتراجع عن حصان "هاندان"، وأراد بينيوان أن يضاعف المكافأة لـ"لوجونليان" بزيارة أراضى الإقطاع الممنوحة له، فاعتذر الرجل عن القبول، وانتهى الأمر دون أن يحصل لنفسه عن أى لون من المكافأة، فأقام له بينيوان مأدبة ودعاه إلى تناول أقداح الخمر معه، فلما لعبت النشوة بالرءوس، قام بينيوان يتهادى، حتى وقف قبالة لوجونليان، فأهدى له مامثقاله ألف وزنة من الذهب تحية وإكراما له، ورمزا إلى أطيب الأمنيات له بطول البقاء، فضحك لوجونليان وقال له: "إن أثمن ما يقدمه رجل الفكر لأهل الممالك هو أن يجنبهم الضيق والعسر، ويزيل عنهم كدر الأحوال، ويخلصهم من العناء والمعاناة، بما يلم به شعثهم ويسد به خللهم، دون مطمع فى هدية أو مكافأة فإذا تاقت نفسه إلى شىء من هذا صار كالتاجرالباحث عن الربح، وهو مالا أرضاه لنفسى ولا أستطيع احتماله". ثم إنه قام فودع بينيوان ومضى فى طريقه، ولم يلتق به، بعد ذلك أبدا.

لما ذهب إلى جانشيان من قال له

ذهب إلى جانشيان [أحد مواطنى دولة وى، من الوطنيين المتعصبين لبلدهم وكان كارها لدولة جاو] من راح يشرح له الأهداف والخطط (السياسية) قائلا: "كيف لك أن تنتظر من أهل دولة جاو الاحترام والتوقير لشخصك فى حين أنك تحتقر بلادهم،

وكيف تنتظر منهم أن يبذلوا لك الحب والمودة، بينما تصرعلى أن تصب كل مشاعر الكراهية والبغضاء فوق وطنهم؟! أما علمت بأنه مهما كان الصمغ دبقا فلن يمكن أن يلصق شيئين متباعدين كل البعد، وبأن الريشة وهى أخف الأشياء وزنا لايمكنها أن ترفع نفسها فى الهواء فتطير بإرادتها ملء الفضاء؛ ومن ثم، فلم يكن للأشياء أن تصل إلى التحقق التام بوسائل بسيطة وسهلة إلا بالاعتماد على متكأ وسند يكفل لها الوصول إلى غاياتها. وها هى ذى دولة جاو تملك من العدة والعتاد [حرفيا: عشرة آلاف عربة عسكرية] مالايزيد عليه، ويحوط بها أخدود طبيعى يتمثل فى نهر جانغ، وترعة "فو" (من ناحية الجنوب)، وعلى يمينها يقع جبل تشان العالى نو المنحدرات الوعرة، وإلى يسارها توجد مخازن الحبوب الكبرى بين الأنهار، وصوب الشمال تمتد المنطقة العامرة بمحاصيلها ووفرة منتجاتها (الزراعية) وكتائب الجند الهائلة العدد الشاكية السلاح، التى سبق لها أن ردت غارات دولة تشى القوية الجامحة، ووقفت فى وجه محاولات دولة تشين الرامية إلى تحقيق أهدافها؛ فلهذا لايوجد مايبرر التحقير من شأن دولة جاو. لكنك بموقفك الذى تلزم فيه جانب التهوين من شأن تلك الدولة القوية، ذات العدة والعتاد الحربى الجبار، وتعظيم شأن وى الدولة الضئيلة المساحة (الضعيفة المكانة) تدعونى إلى الحكم على رأيك هذا بالضعف ومجافاة الصواب"، فوافقه جانشان على وجهة نظره واعتبر بكلامه، وصار كلما حل بمكان عام، أو تحدث على رءوس الأشهاد، ذكر الوجه الإيجابى لدولة جاو، بما فى ذلك مزاياها الطيبة وعاداتها ومحاسنها الذائعة، وتقاليدها العظيمة.

لما ذهب أحد رجال التخطيط لمقابلة

ذهب جنتون [أحد المخططين (السياسيين) التابعين لدولة "جنغ"] لمقابلة ملك جاو، فقال له جلالته (أثناء اللقاء): "بما أنك واحد من رجال الجنوب المتضلعين فى الآداب القديمة والحديثة، ومن ذوى المعرفة الواسعة والعلم المحيط، فهل لديك شىء مما تنصحنى به وتعلمنى إياه؟" فأجابه الرجل، قائلا: " إنما أنا رجل ساذج بسيط نشأت

وسط البرارى الجنوبية، فى بيئة جاهلة خشنة، أنأى ماتكون عن التحضر والتهذيب، فكيف لى أن أصير إلى مرتبة تسمح لى بالنصح لجلالتك؟ لكنك مادمت قد سألتنى، فليس لى ألا أجيب! (وأبدأ فأقول لك إن والدى كان قد علمني فنون الحرب وأنا، بعد، صبى صغير". فقال له الملك:"لست أحب شيئا من فنون الحرب". فضحك جنتون، وقال للملك: "إنما الحرب لعبة يحبها الدهاة والماكرون، و قد لمست فيكم النفور منها، وكنت لما تحدثت فى الخطط الحربية ذات مرة مع الملك شاو، حاكم وى، فوجئت به يقول لى.." لا أظنك تسلك مثل ماسلكه" شيوى"! وهو الرجل الزاهد الذى لايشغل نفسه بأمور العالم ومشاكله لدرجة أنه رفض الحصول على أراض شاسعة تنازل له عنها (الملك المقدس) ياو، منذ زمان بعيد، أما جلالتك فقد قبلت ماورثته عن الملوك الأقدمين من مكانة وسطوة ومسئولية ولابد أن جلالتك تريد للسلام أن يطوف بأرجاء المعابد، وأن تسلم أرض بلادك من الاعتداء والضياع، وأن تقام الصلاة وترفع القرابين لآلهة الأوطان والزرع والحصاد". فرد عليه الملك بالإيجاب والتأكيد.

[فقال له الرجل]: (اعلم) أنه قد يكون هناك، من بين الناس، واحد ممن أغدق عليه الحظ ثروة هائلة فصارت بيده الأحجار الكريمة والمال الطائل، والثراء الوفير، ثم حكمت له الأقدار أن يبيت فى العراء، دون أن تنطوى نفسه على شجاعة ومهابة (مثل تلك التى اشتهر بها البطل "منغ بن" ولا اشتملت خصاله على قوة وعزم وإرادة حديدية مثل تلك التى اتسم بها كل من "تشن شينغ" و"شينجى"؛ دون أن يتدرع بسلاح يقيه صولة المعتدى؛ فمثل هذا الرجل يعرض نفسه للخطر الأكيد بطول بقائه على تلك الحال.

فهب أن دولة قوية ذات مطامع اقتحمت عليك بلادك بجندها، تريد الاستيلاء على أرضك ووطنك، فإذا تفاهمت معها بالمنطق والحجة لم ترتدع ولم يكبحها زمام العقل، وإذا حاورتها بالجدل وأساليب الإقناع، تصاممت عن الانصياع لصوت العقل والحكمة، وهب أيضا أنك (فوق كل ذلك) لست ممن يخوضون ساحات القتال ولاممن تستطيع أن تصد أعدائك؟ (وأقول لك، أنك فى مثل هذا الموقف..) إن لم يكن لديك جيش يحميك، فسيتمكن عدوك [حرفيا: جارك الذى فى الجوار] من تحقيق أهدافه ومراميه". وهنالك قال له الملك: "فأرجو منك أن تتكرم على بنصائحك كى أفيد من علمك".

لما بلغ الوزير مكانة مرموقة فى دولة جاو

بلغ الوزير جياشين [أحد الوزراء المقربين إلى القصر الحاكم فى دولة جاو] مكانة مرموقة في دولة جاو. وكان [المفكر والفيلسوف السياسى الشهير، فى عهد الدول المتحاربة، المدعو..] "قون تسيمو" مارا فى طريق سفره بدولة جاو، فالتقى بالملك شياوتشن، حاكم البلاد، فلما عاد (الملك) إلى القصر وجلس فى مقعده المعتاد، نظر فوجد أمامه قطعة من الحرير كان ينوى تسليمها إلى الحائك ليصنع له منها قبعة، (وكان الحائك حاضرا..) فلما نظر ورأى الضيف قادما، قام وانتحى جانبا.

وتحدث الملك إلى الضيف القادم فقال له: "يالها من مفاجأة سارة أن تشرفنا بزيارتك، هذه المرة، حيث كنت تقود موكب العاملين فى خدمة الملك، وكم أتمنى أن أستمع إلى آرائك بشأن إصلاح أحوال الممالك".

وتكلم الضيف القادم من وى (الوزير قون تسيمو)، قائلا: "أحسب أنك لو بذلت لشئون الحكم مثل مابذلت لهذه القطعة الحريرية من الاهتمام، فستنصلح أحوال الحكم فى البلاد". فتكدرت نفس ملك جاو، من هذه الإجابة، وتبدت على ملامحه مشاعرالحرج والضيق، وقال: "إن الملوك السابقين قد وضعوا ثقتهم فىّ، إذ لم يجربوا علىّ تقصيرا يحول بينى وبين إتمام مابدأوه من المجد، فمن ثم مهدوا لى سبيل القيام على عرش البلاد بعدهم، فكيف لى أن أهمل شئون الحكم، على النحو الذى تشير إليه بكلامك؟" فرد عليه قون تسيمو بقوله: "أولا: فأرجو ألا تغضب، يامولاى، من كلامي؛ وثانيا فاسمح لى بأن أشرح لك الأمر بوضوح"، ثم واصل كلامه قائلا: "ما أريد أن أقوله هو أنه مادامت قطعة الحريرهذه صغيرة للغاية، فلماذا لاتدع طبيب القصر يصنع لك منها قبعة تضعها على رأسك؟"، فأجابه الملك: "إن الطبيب لايجيد صناعة أغطية الرأس". فقال له: "ومايضير البلاد إذا فسدت قبعة الملك؟".

وبالطبع فلن يضرالبلاد شيئا إذا ساءت صناعة القبعة، ومع ذلك فقد بلغ اهتمام جلالتك بهذا الأمـرأنك لن تدع أحدا غير الصانع المتخصص، ليعمل لك قبعة. وربما كان الأمر يختلف كثيرا إزاء الحاجة إلى صانع متخصص فى إصلاح أحوال الممالك.

فها هى ذى البلاد تكاد تتحول إلى خرائب يهجرها البشر ويجافيها العمران،(وتتحطم المعابد) فلا يجد الملوك الأقدمون من يقوم عند مقابرهم بالشعائر والطقوس المقدسة، ومع ذلك يصر جلالة الملك على القعود عن طلب الرجال المكلفين بإصلاح الأحوال [حرفيا: الصناع المهرة لرأب صدع البلدان]، بل يتركون مصائر الأمم فى أيدى الفاتنات من النساء والصبايا الحسان.

أما الملوك السابقون فقد كان من بينهم – مثلا جلالة الملك الحاكم الأسبق الذى كان يولى كونسونيان مسئولية قيادة فرق الفرسان وينصب مافوجون قائد الميمنة للعربات الحربية فى ساحات القتال وينطلق بهم على رأس قواته فى صراع مع دولة تشين (أحرز فيه النصر الحاسم) بحيث كانت تلك الدولة الجبارة تخشى صولته وتتجنب قوة بأسه.

وقد أصاب الملوك من بعدهم ماأصابهم من التردد والتخاذل وإذ وصلت الحال إلى أن صار جيانشين (أحد وزرائك يامولاى) يركب عربة تزدان بمظاهر الأبهة والفخامة، ذاهبا إلى ساحة الصراع الحاسم مع دولة تشين؛ وهو الأمر الذى يثير مخاوفى وهواجسى من أن تقوم دولة تشين بالقضاء التام على الراكب الذى تظنه عمادك وسندك ودرعك الذى تتدرع به".

لما كان أحد أمراء دولة ويه

كان لينقون (أحد أمراء دولة ويه) يؤثر كلا من "يونجيو" و "ميتسى شيا" بمحبته دون الآخرين، إلا أنهما استغلا ما اختصهما به الأمير من ود، وإيثار أسوأ استغلال فاستبدا برأيهما وقاما بين الأمير ووزرائه مثل ستارحائل، فأوقعا رجال الدولة فى التخبط بعدأن انطلى خداعهما على الجميع . فتكلم"فوطوتشن" [أحد مسئولى دولة ويه] فى ذلك مع النبيل لينقون، إذ قال له كنت قد حلمت فى منامى بسمو الأمير وذلك منذ أيام قلائل". فسأله لينقون: "كيف رأيتنى فى الحلم؟" فأجابه:" تمثلت لى فى الحلم كأنك آله المواقد وأفران الخبز". فثار لينقون غاضبا حتى تغير وجهه، وقال "قد بلغنى إن من

يحلم بالملك أوالأمير فهو يتجلى له على هيئة الشمس في جوف السماء، لكنك تزعم لي، اليوم بأن الأمير قد تمثل لك على هيئة آله المواقد، فلابد أن تفسر لي الغموض في هذا الحلم وإلا أزهقت روحك". فقال له محدثه: "إن الشمس، ياмولاي، تسطع في كبد السماء فوق الجميع، فلايحجبها، دون الناس، شيء. أما آله المواقد فيختلف كثيرا عن ذلك؛ لأنه يستقبل القادمين في أول الصف، ليستدفئوا بحرارة ودفء عطائه. وقد بدا لي أن هناك من يتصدرون الصف أمامك فيفوزن بدفء نعمتك؛ فتمثلت لي في الحلم على تلك الهيئة التي أخبرتك بها". ففهم الأمير كلامه وقال: "لابأس إذن!" ثم سارع في أول فرصة إلى إبعاد يونجيو وميتسي شيا، ثم قام بتعيين" صيكون قو" بدلا منهما.

لمـا ذهب إلى جيانشين من قال له

ذهب إلى جيانشين من قال له: "ماكان لك أن تجد موقعا قريبا من جلالة الملك فتقوم على خدمته، إلا بما تميزت به من وسامة، وملاحة وجه رائع الحسن؛ بينما أن ماقاز به (المدعو) "رونغ" من مكانة قريبة من جلالته يعود الفضل فيه إلى مايتميز به من ذكاء ودهاء.

(واعلم أن) الوسامة تتراجع مع الأيام، في حين أن العقل الذكي يزداد حدة ونبوغا على مر الزمان، فلابد أنك ملاقٍ العسروالشدة (في مستقبل حياتك) "وهنالك سأله جيانشين عما يراه من مخرج له، فأجابه الرجل قائلا: "إن فرسين يتسابقان في حلبة رهان، سيدركهما الإعياء بعد بضعة "لي" [كيلو مترات] بينما أن من يقود فرسا واحدا ويقبض بيده على لجامه، لايصيبه الإعياء مطلقا؛ فذلك لأنه يستطيع اختيار أقصر الطرق [حرفيا: لأن لديه متسع من الاختيار] واقترح عليك أن تدع "رونغ" يمتطي حصانه بمطلق اختياره الذي يقرّ عليه قراره، وأن يقبض على زمام من النفوذ والسطوة وإذ يتولى مهام منصبه في العاصمة هاندان، فدعه يمارس سلطاته في القيام على شئون الإدارة (في الداخل) بينما تقوم أنت بالتجسس على أحوال باقي الدويلات

والأمراء (في الخارج)، وستطالع، عندئذ، بعض الأمور التى لن يجد رونغ متسعا لإبلاغها إلى جلالته بالتفضيل، فتسارع أنت لتملأ تلك الثغرة (بماعندك من معلومات) فيشتد الملك فى مطالبته بالدقة وينهال عليه لوما وتقريعا، وهنالك تنهزم قوائم حصانه، وتتبدد قوته". فتقدَّم جيانشين إلى محدثه بأخلص الشكر، داعيا إياه إلى النصح له وتوجيهه، ثم دخل إلى مَلك جاو وقدم له توصياته، فأوكل إلى رونغ وظيفة مرموقة، وولاه أدق المهام، لكنه (بمرور الوقت) أخذ يكيل له اللوم والتأنيب، فما كاد يمرعلى ذلك عام واحد حتى هرب رونغ من القصر فاراً بجلده.

لما تحدث أحد رجال الحكم إلى الأمير

تحدث "كوشن شان" [أحد كبار رجال الحكم، في زمن الدول المتحاربة] إلى جيانشين، فقال له: "الغريب فى الأمر أنه، على الرغم من قيام جميع الدول بالانضمام إلى التحالف الرأسى [المناوئ لدولة تشين] فإن الناس لا ترى عدوا، على الأرض، لدولة تشين سوى دولة جاو، فما السبب فى ذلك؟

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى.. فقد سخرت الممالك من دولة وى عندما قامت بقتل "لولياو" مع أن هذه الممالك نفسها لزمت الصمت، ولم تعلق بشىء عندما استعادت (دولة وى) منطقة مابين الأنهار، فما الفرق بين هذين الحدثين.

وأرى أنك إذا تخليت عن مطالبك فى منطقة مابين الأنهار، وصانعت دولة تشين، فأبديت لها التواضع، وتظاهرت بالمرض، وبأنك قد تخليت تماما عن فكرة استعادة أراضيك منها فسيفهم "أون شينهو" ويدرك تماما أن التحالف الرأسى لن يحالفه التوفيق، بل لن يتحقق أصلا. ثم دعنى أقول لك بأنه حتى لو كان مقدرا للتحالف الرأسى أن ينجح وتلتئم حوله الممالك، فما الذى يمكن أن يقلقك ويثير هواجسك إزاء عجزك عن استعادة منطقة مابين الأنهار؟ أما إذا لم تنجح فكرة التحالف الرأى، فما النفع الذى يعود عليك من استعادة تلك المنطقة؟!".

لمـا التقى المدعو هيشا بسمو الأمير

التقى هيشيا [أحد مواطني دولة جاو] بالأمير جيانشين فقال له سموه: "لم يعد أوشينهو يسلك معي حسب الأصول وقواعد الآداب المقررة؛ وكان قد حدث أن أرسلت دولة تشين إلينا (في دولة جاو) بأحد مبعوثيها للعمل في البلاط الملكي، فتدخلت ووليته وظيفة حكومية في مكتب مساعد رئيس الوزراء، ومنحته رتبة اجتماعية شريفة (ضمن الألقاب الرسمية الخمسة) لكن أوشينهو تجاوز حدود الأدب واللياقة في معاملتي". فقال له هيشيا :"قد نظرت فرأيت التجار أحسن حالا وأفضل كثيرا من الرجال القائمين على شئون الحكم في أيامنا هذه". فغضب جيانشين وثارت ثائرته ورد عليه بقوله: "أليس في قولك هذا ازدراء سافر لرجال الإدارة الحكومية وتمجيد واضح للتجار؟ [الذين لم يكونوا موضع احترام وتقدير في المجتمع الصيني القديم!]" فأجابه: "لم أقصد شيئا من ذلك، وأنما أردت القول بأن التاجر الذكي لايجادل الناس كثيرا في أثمان السلع ولكن ينتظر الفرصة المناسبة في يقظة واهتمام، فيشتري بالسعر الرخيص عندما تنخفض الأسعار، فلا يأبه لأي زيادة في أثمان السلع؛ ثم يبيع وقت الغلاء، فيربح مما اشتراه رخيصا. وقد أودع الملك أون، حاكم جو، فيما مضى من الزمان داخل سجن ذي كوة صغيرة (ينفذ منها الضوء بالكاد) بينما اعتقل الملك أو [تنطق كما في "المسئولية"] لدى الباب الشمالي بمدينة "تشنفاو" ثم استطاع آخر المطاف أن يطيح برأس الملك [الطاغية] تشو [آخر ملوك آل شانغ] وعلق رأسه على صارية إحدى الرايات وكان ذلك – بحد ذاته – أهم إنجازات الملك أو.

وهكذا، فلست أوافقك على أن تناطح أوشينهو بما في قبضتك من السطوة والنفوذ، ثم تأخذ عليه قلة مراعاته للأصول والآداب واللياقة. فمن ثم أختلف معك كثيرا ولا أوافقك فيما ذهبت إليه من آراء بهذا الصدد".

لمـا تحدث المدعو "ويجيا" إلى الأمير

تحدث "ويجيا" [أحد الاشخاص ممن ليست لهم ترجمة ذاتية] إلى جيانشين، فقال له: "حدث أن رجلا نصب فخا لاصطياد الوحوش، فوقع في الفخ أحد النمور وصار

يضرب بمخالبه ويجذب الحبال للفكاك من الشرك الذى وقع فيه،(وإذ أصابته، من جراء ذلك، الجروح فى يديه وقدميه) فلم يكن يبغى لنفسه حصول تلك الإصابات الدامية، ولا كان يعنيه ماقد تتعرض له مخالبه الضئيلة من الكدمات مادام يريد أن يحرر جسده الكبير من الأسر؛ فعلى هذا المثال تأتى نتائج الموازنات فيما هو نسبى بين المزايا والمساوئ.

وها أنت فى بلد هائل الحجم كبير المساحة، وليس مجرد جسد لحيوان وحشى أو مخلوق عادى طوله "تشى أو بضعة تشى" [بضع بوصات] واعلم أن جسدك نفسه لا يزيد – فى تقدير جلالة الملك – عن مجرد مخلب نمر (طوله بضع سنتيمترات)، فتأمل جيدا وتدبر أمرك على هذا الأساس".

لما قامت دولة تشين بالإغارة على جاو

قامت دولة تشين بالإغارة على جاو، وكانت أصوات الأجراس الرنانة تسمع فى جنبات القاعة الشمالية [محل إقامة رجال الدولة]، وهنالك تحدث "شيبى" [أحد مواطنى دولة جاو] فقال: "ماكان لدولة تشين أن تقوم بهذه الغارة على هذا النحو من الاستعجال؛ فهاهم الأذناب والعناصر الموالية لها يعطون الإشارة السرية المتفق عليها (لدعوة جنودها للتقدم داخل البلاد، بواسطة صوت الأجراس المسموع بوضوح) وأكبر الظن أن هناك واحدا، من بين الوزراء، يحبذ الانضمام إلى التحالف الأفقى، وإذا أراد جلالة الملك أن يعرف من هو ذلك الوزير، فليطلب الاجتماع مع الوزراء فى الغد، وسيكون أول من يقترح على جلالته الانضمام إلى التحالف الأفقى، هو ذلك "العنصر المدسوس" الذى قام بدق الأجراس". فلما عقد الاجتماع فى صباح اليوم التالى، ظهر أن "جيانشين" كان هو المسئول الذى اقترح الدخول فى التحالف المشار إليه.

لما قصد المدعو شيابو إلى زيارة

قصد المدعو شياوبو، المواطن من دولة تشي إلى زيارة الملك شياوشين، حاكم، جاو، الذى كان يؤثره جلالته ببالغ الود والمحبة، حتى أنه أقطعه أرض"طاى جونتاى"، فما كاد يقوم على ولاية هذه المنطقة بعضا من الوقت، حتى ذهب إلى الملك من أبلغه بأن شياوبو يتآمر ضد البلاد، وكان الملك، وقت إبلاغه بهذا النبأ يجلس إلى مائدة الطعام، ثم إنه بعد أن أنصت جيدا للخبر، وراح يواصل الأكل بنفس النهم، دون أن يبدو عليه أى أثر للانزعاج، وبعد هنيهة عاد الرجل المبلغ ثانية واقترب من جلالته، فلم يعره أدنى اهتمام، وكان أن أرسل شياوبو، بعد ذلك، رسولا إلى الملك، يقول له: "قد أرسلت دولة تشي قواتها لضرب يان واخشى أن يكون ذلك الهجوم ستارا لإخفاء الغرض الحقيقى المتمثل فى شن الغارة المفاجئة ضد دولة جاو؛ لذلك اقترح تجهيز حملة عسكرية وإعداد العدة للاشتباك فى عمليات مضادة. هذا من جانب، أما من جانب آخر فمادامت الدولتان تشى، ويان قد اشتبكتا فى عدوان متبادل، فأرجو أن ننتهز الفرصة لإعداد قوات أقوم أنا بقيادتها، ثم أكمن فى انتظار الطرف الذى أنهكه القتال (فأقاتله) وأحصل على مزيد من الأراضى".

ومنذ ذلك الحين، صارت كل "العناصر الخارجية" المجندة فى خدمة الملك شياوتشن (خارج حدود البلاد) لا يساورها أدنى شك فى ثقة الملك بها.

سـجـل جـاو الـرابـع

لمـا جاء إلى ملك جاو من رفع إليه مذكرة

قدم على الملك "هوين"، حاكم جاو، من رفع إليه مذكرة رسمية باسم دولة تشى، وقال لجلالته: "كم تمنيت أن ألتقى بجلالتك ولو مرة واحدة كى أعرض عليكم خطة تستطيعون بها أن تخضعوا لنفوذكم كل الممالك التى تحت السماء، وأنتم جالسون مكانكم، حيث يبذل لكم الجميع الاحترام والتبجيل، ويأتونكم بأسمى دلائل العرفان وأفخم مواكب الولاء والإكبار، لكنى أندهش إذ أقف ببابك دون أن تمنحنى فرصة اللقاء بك، فتدعنى فى أرذل وأسوأ حال. ولربما وقع فى ظن السادة الوزراء أنى لست بالرجل الذى يقدر على الإتيان بإنجاز ذى شأن؛ مما قد يضع العراقيل فى طريق لقائى بك؛ وقد يكون السبب فيما ظنوه بى من عجز عن القيام بالمهام الجسام راجعا إلى رغبتهم فى (الاستئثار بجلالتك دون أى مساعدين أخرين قد تدفعهم الظروف إلى جانبك..) لما قد عقدوا عليه العزم من استخدام نفوذك وهيبتك وقدراتك العسكرية لتنفيذ مأربهم، فإن لم يكن هذا هو السبب، فلربما كان هناك مايعولون، على اللجوء إليه من الأطراف الخارجية (فى قضاء مصالحهم) فإن لم يكن هذا هو السبب الحقيقى، فقد يكون حظهم من الذكاء والنجابة دون المطلوب، أما إن لم يكن ذلك هو المبرر المعقول، فربما وطدوا نفوسهم على تصوير أحوال الممالك وشئون الدنيا من حولك فى هيئة تملأ جوانحك رعبا، وتثير فى قلبك القلق والهواجس والمخاوف، بما من رؤاهم ووجهات نظرهم الملجأ الحصين والسياسة الأجدر بالتنفيذ، وأقدم نفسى لسيادتكم كمواطن من دولة تشى، وباسمها، أعلن لكم ولائى وطاعتى لجلالتكم، وإذ أضع خدماتى تحت تصرفكم بما يمكنكم من دحر دولة يان ثم التغلب على دولتى هان، و وى، والهجوم، بعد ذلك، على دولة تشين بحيث يتم

محاصرتها وعزلها عن باقي الممالك . واسمح لي أن أعبر لجلالتكم، باسم دولة تشي، عن أسمى آيات الاحترام والتعظيم لشخصكم الكريم، تقديرا وإكبارا واجبا على شخصي، وعلى الممالك كافة، ولاأبالغ إذا قلت أن طاعتكم والخضوع لكم واجب يليق بكل إنسان كائنا من كان!، وانتهز هذه المناسبة، كي أهديكم قطعة من الأرض، باسم دولة تشي، ولاأدرى إن كان هناك فوق الأرض من يبخل بما يملكه من إقطاع على جلالتكم، بل لا أتصور البتة أن يبخل عليكم ملك بما ملك ! وباسم دولة تشي آتيك من دولة يان وهان و وى بأمارات التمجيد العالي الشريف لمقامك الكريم فمن ذا يجسر على الرفض أو الإعراض؟

وإذ أذكر طرفا مما أقدرعليه، فهذه لحظة مناسبة أتشرف فيها بتبيان وجه الاقتدار، ومجال الاستطاعة والمقدرة.

واذكر أن دولة تشي، إذ تبدأ الأمر كله بإبراز الاحترام لشخصك؛ فلابد أن باقى الممالك ستحذو حذوها في هذا السبيل، واعلم يامولاى أن دولة تشى إذا أشاحت بوجه التبجيل عنك، فلن تجد من باقى الممالك إلا الإهمال والازدراء الشائن.

ولئن كانت دولة تشين، مع ماتملكه من القوة وما تتمتع به من النفوذ، تبذل لجلالتك الاحترام التقليدى، فهى تصدر فى ذلك عن تقدير من لايجد الدعم والمؤازرة من دولة تشي. وكذلك فإن دولتي وى، ويان تنظران نحوك بعين الاهتمام؛ لأنهما تعتبران نفسيهما محرومتين من دعم ومساندة دولة تشي. وأظن أنك أنت أيضا، يامولاى، ستجد نفسك مضطرا إلى التودد إلى الممالك والدويلات إذا لم تجد المساندة التامة من دولة تشي. ولهذا فإن الذين ينصحون لك بالاستغناء عن طلب العون من دولة تشي ليسوا من الحمقى أو الاغبياء وإنما هم الذين لايحملون لك أدنى قدر من الإخلاص. فإن لم يكونوا كذلك، فربما كانوا يخططون لاستخدام نفوذك وجيشك القوى لتحقيق مآربهم، فإذا لم يكن الأمرعلى هذا النحو، فعساهم دبروا أمرهم بحيث تسير الأحداث العامة فى مسار يؤدى مع الوقت إلى استهانة الناس بقدرك، والتقليل من شأنك، وهو مايفرض عليك

الأخذ بوجهه نظرهم وتطبيق أفكارهم وإذا لم يكن هذا صحيحا، فربما كان السبب الأصلي أن مكانتهم ليست على المستوى المطلوب، ومن ثم، فأرجو -جلالة الملك- تأمل الأمور بدقة، وتقدير الوزن المهم للعون الذى يمكن أن يحصل عليه من دولة تشى باستقامة تامة".

لما استعدت دولة تشى لضرب سونغ

لما أخذت دولة تشى أهبة الاستعداد لضرب دولة سونغ، أسرعت تشين فأوفدت "تشيجيا" [مراقب عام السجلات، وظيفة مستحدثة فى عهد الدول المتحاربة، القائم بها يمت غالبا بصلة قرابة للملك] لمنع تفاقم الموقف، فقامت تشى بالتحالف مع دولة جاو للتنسيق معا فى الهجوم على سونغ، فثار الملك تشاو، حاكم تشين وحمى غضبه، وانعقدت بينه وبين جاو سحابات الكراهية. ثم إن "لى توى" قام بالانضمام إلى الدول الخمس، للاشتراك معها فى ضرب دولة تشين، لكنه لم يفلح فى إنجاز غرضه، وحث قوات الدول المتحالفة على البقاء فى منطقة تشنقاو، بينما تواطأ، سرا مع دولة تشين (على أمر فى طى الخفاء) وكان يفكر فى ضرب دولة وى، بالاشتراك مع دولة تشين، وهى الطريقة التى رآها مناسبة (من وجهة نظره) لإزاحة الكراهية المترسبة فى أعماق تشين، ولتحقيق نواياه فى الحصول على إقطاع وافر من أراضى دولة تشى.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وهنالك اشتعل أوار الغضب فى قلب ملك وى، وتملك منه الغيظ للغاية، وتصادف فى تلك الأونة أن ذهب سوتشين إلى دولة تشى، والتقى بحاكمها، وقال له: "كنت قد تحدثت مع ملك وى بشأنك يامولاى، فقلت له :"إن الدول الثلاث وى، وجاو، وهان، قد كابدت الشقاء والمحن على يد دولة تشين، ومن ثم، فإن الهجوم على هذه الدولة الآن، بمثابة طوق نجاة لدولة جاو، التى لن تعود لها، على ظهر الأرض بقاء، إذا ماهاجمتها الدول الخمس، ثم إن رجلا (غير عادى) مثل "لى توى" لن يجد على الطرقات إلا الموت

إذا ما طردته تشين من أراضيها، ولذلك فإن ضرب تشين الآن، يعد إنقاذا لذلك المسكين من السير في دروب المهالك. وهاهى ذى جاو، الآن، تستحث قوات التحالف على البقاء في تشنقاو، بينما تتواطأ في السرّ لتوقع بها في براثن دولة تشين، بل إنها أنجزت كل الترتيبات المتعلقة بهذا الشأن، وقد دفع لي توى بدولة تشين إلى معترك الحرب مع وى لتحقيق مآربه الذاتية في الاستيلاء على أراضي الإقطاع بها، فما الذى جنيته أنت يامولاى بعد طول خدمتك لدولة جاو؟

وفوق ذلك كله، فقدت كنت يامولاى الذى عبر نهر جانغ، ثم ذهبت بنفسك إلى هاندان والتقيت هناك بحاكم جاو، وبسطت شراع حمايتك فوق منطقتي "إيين"، و"تشن" من أراضي وى، وحملت فوق عاتقك مسئولية الدفاع عن دولة "قا" [تنطق كما في "قارون"] ومنطقة شيوى، وكنت تقوم كالطود الذى يدفع عن دولة جاو غائلة العدوان، فما الذى فعلته جاو من أجلك؟ ليس هذا فقط، بل إنك تفضلت فتكرمت على ولد "ليتوى" فأقطعته أرض "خيانغ" و"كومى"، وهاهو ذا "ليتوى" نفسه يرد لك الجميل إذ يستحث دولة تشين على مهاجمتك للاستيلاء على منطقة "إيندى".

والرجال تمتحن بالتجربة، ولا يعرف ما للمرء من فضل وكياسة إلا بمقارنته بأقرانه. وما ظنك لوأنفقت نصف ماتساعد به جاو في التحالف مع تشى، أليس هذا أفضل كثيرا، بل يجنبك مخاطر التآمر ضدك! وأوكد لك بأن لن يضيرك شيء من العمل لمصلحة تشى وعلى الأقل لن تلقى مثل ماتجد مع الآخرين من العقوق والمهانة، ولن يهدر مالك أو تضيع أرضك سدى. ولن تتأخر تشى عن أن تعبئ قواتها بكامل عتادها في وجه كل من جاو، ويان (من أجل التحالف معك) وتنشر قواتها على نطاق يتجاوز ألفى لى، مع مراعاة أن العمليات التى تستهدف الإغارة على المدن، ينجم عنها تعريض بلادك لمخاطر وصول بعض السهام المتناثرة والحجارة المتطايرة إليها وسوف تتنازل لك (دولة تشى) عن إحدى المدينتين اللتين تستولى عليهما، وهى مدينة "خدونغ". بحيث لو فكرت دولة تشين، منذ تلك اللحظة، في ضرب دولة وى، فستكون قوات تشى قريبة من حدودك باستمرار. وبالمناسبة فهل لى أن أسألك، يامولاى، عما ستكافئ به تشى عن خدماتها لك؟

(أما علمت) بأن "هانون" [رئيس وزراء تشي السابق، وأحد الداعين إلى التقارب مع تشين] يقيم الآن فى جاو، وهى تبعد بمسافة ثلاثة آلاف "لى" عن دولة تشى؟ (فإذا كنت تظن أن ثمة) مايثير الشك فى موقف تشى، أو (ربما ماقد يقوم فى ظنك من احتمال وجود تآمر بين تشى ودولة تشين فلا تدعن مثل هذا الظن يتطرق إلى وجدانك.

وإنى إذ أتطلع إلى أحوالك اليوم، أجدك قد اتخذت شوكون رئيسا للوزراء، وأقمت علاقات ودية حميمة مع هانشيو [قائد عسكرى بدولة جاو، وكان قد عقد خطة سرية مع شوكون، المذكورآنفا، لضرب تشى] وعاملت "يوشانغ" بكل الود والاحترام والتبجيل، وجعلت منه ضيفا مقيما من الدرجة الأولى فهل من المعقول أن يثور لدى جلالتك الشك فى موقف دولة تشى؟".

فلما سمع ملك وى ماقصصته عليه وحدثته به، بدا عليه أنه أُفحم، فلم ينطق بشىء، وإنى لعلى ثقة بأنى لو طلبت إليه أن يبذل لجلالتك الطاعة والاحترام لما تردد لحظة واحدة، ولا يخفى تماما أن ملك وى حانق على دولة جاو، وكل ما أرجوه من جلالتك أن تضبط نفسك، وتكظم غيظك، كلما ترامى إلى سمعك شىء عن تصرفات دولة وى غير الودية نحوك، كما أرجو أن تأذن لى أن أعمل على تحويل ضغائن دولة وى لترتد إلى نحر دولة جاو، على أن تبدى جلالتك الاحترام والتقدير إلى دولة جاو على نحو خفى غير معلن فيتعذرعلى دولة تشين اكتشاف تقديرك البالغ لـ جاو؛ لأنها لواكتشفت ذلك فستعمل من جانبها أيضا على تقدير واحترام مكانة ودور جاو.

(ومن المقرر) أن دولتى تشى وتشين كلتيهما تبذلان الاحترام والتقدير لدولة جاو، مما أعرف، مقدما، أنه سيفرض على كل من: يان، ووى، وهان، أبراز أسمى علامات التقدير والاحترام لها؛ بل سيردها جميعا عن محاولة منازلتها وإذ تتبع الدول الخمس إرادة جاو، وتعمل على التودد إليها، فلابد أن هذه الدولة ستقود حليفاتها (من دول المحور الرأسى) للتحالف مع دولة تشين، وهو ماسيمنحها مكانة أسمى وأسبق لمكانة تشى؛ لذلك فقد فكرت فى أن أدعوك إلى استخدام قوة الدويلات فى تهديد الأمراء والإمارات المختلفة،

على أن تلجأ إلى إقناع قيادات الدويلات واستمالتهم بالدهاء والحيلة وسحر الكلمات وفنون الأقاويل بحيث تتمكن من استخدام قوات جاو لتهديد كل من: وى، وهان، ولك – حينئذ – أن تبعث بى إليهم لأقنعهم بالمنطق والحجة والبلاغة الساحرة . كما تستطيع أن تعمل على استخدام قوات جاو، وهان، ووى لتهديد تشين، ثم ترسل رئيس وزرائك "شوين تسى" إلى تشين لتعمل على إقناعها (بما تخطط له)، فى حين تقوم بتعبئة قوات الإمارات والدويلات المختلفة لتهديد دولة تشو؛ لكن على أن تبعث إليها فورا "هانون" ليحاول استمالتها بفنون القول والدعاية؛ وهكذا تعمل الدويلات جميعا على كبح جماح دولة تشين، بينما تقوم كلها على خدمة أهدافك ومصالحك وهى تدين بالخضوع والطاعة لك، دون أن تجرؤ على التآمر مع بعضها البعض فى طىّ الخفاء وبعد أن تتوطد العلاقات البينية مع الجميع تستطيع جلالتك أن تختار أو أن تنبذ (من بين البدائل المطروحة) كما يروق لك".

لما أعدت العدة لغزو سونغ

أعدت دولة تشى العدة لضرب سونغ، غير أن دولة تشين تدخلت، سرا، فحالت دون وقوع هذا الهجوم؛ وهو الأمر الذى دفع تشى إلى التحالف مع جاو التى رفضت الإذعان إلى طلبها. فسارعت تشى بإرسال سوتشين ليعمل على إقناع "لى توى" بالقيام، معا، بمهاجمة سونغ على أن يتم البت فى الإقطاع الذى سيهدى إلى ليتوى، بعد الانتهاء من المشروع المشترك بين الدولتين.

وتكلم سوتشين مع الملك "مين" حاكم تشى، فقال له: "إن السبب الذى يجعلنى متمسكا باستخدام قوات الدول الثلاث لمهاجمة تشين، لايرتبط بمصلحة تشى فى تدمير تشين وإنما يتعلق – أساسا – بما يراد به تسهيل الهجوم على سونغ.

ثم إن القصر الحاكم فى سونغ قام بتسليم السلطة إلى الأمير الجديد خلفا على العرش، وكنت لما اقتربت من القيادة الجديدة (لاحظت ما اضطرنى إلى الدعوة إلى) تقوية الدفاع؛ ومن ثم فإنى أرجو منك سرعة سحب القوات داخل البلاد لتخفيف العبء عن الجنود والأهالى، والعمل على إراحتهم والتقاط أنفاسهم.

ثم فوجئنا، الآن، بخبر وفاة أمير دولة سونغ، ويبدو أن كل من كانوا يصادفونه، مستعدون لملاقاة الموت في ساحة القتال، فإذا ماقمنا بمهاجمتهم مرة ثانية، فسوف تدب الفوضى في أنحاء دولة سونغ، خصوصا أن أمير البلاد موجود بالخارج في اللحظة الراهنة، فهذه فرصة مواتية لاحتلال أرض سونغ".

الجزء الثاني من الفصل نفسه

"وقد ذهبت في محاولة لدعوة "فن يانجون" (للعمل بما أعرضه عليه من خطط) بما يعود بالنفع على البلاد، وقد قلت له.."قد طال بك العمر، وبلغت من السن عتيا، وقد حان الوقت لكي تحصل على مكافأتك من إقطاع الأرض، وبهذه المناسبة، فليس على الأرض جميعا أفضل من أن يكون إقطاعك في أرض سونغ.

إن أرض تشين ليست لك؛ لأن) أهل تشين مشهورين بالجشع والطمع لما في أيدي الغير، أما أراضي وي، وهان فتكاد تتلاصق مع أرض تشين، وهو مايجعلها غير آمنة لإقامتك؛ فإذا تأملنا أرض كل من يان وتشو، وجدناهما بعيدتين جدا، نائيتين عن العمران، وأسوأ منها جميعا أرض دولة جونشان المجدبة القاحلة؛ وهكذا فليس هناك أفضل ولا أنسب من أرض "طاو" فهي فرصتك التي إذا خسرتها، فلن يعوضك عنها شيء.

إن دولة سونغ مثقلة بالآثام، بالدرجة التي تجعل مشاعر تشي ضدها مشحونة بالبغضاء والاستفزاز، ومن ثم، فإن هجومك على سونغ وعياثك فيها تحطيما وتدميرا، سيجعل تشي ممتنة لك عظيم الامتنان، وبالتالي فإن فرصة قيامك بتحديد ماتريده من إقطاع لنفسك، على النحوالذي تقرره بمطلق إرادتك، فرصة لا تتكرر في العمر كثيرا".

ولأن "فن يانجون" يتسم بالجشع المفرط، فلم يكن يتوانى عن التنسيق مع دولة تشي لضرب سونغ، على الرغم مما تحت يديه من إقطاعات هائلة. وأرجو منك أن تبادر بشجاعة إلى مهاجمة سونغ، دون انتظار بدء تحركات قواتها، لعلك تلاحظ الطريقة التي سيتصرف بها فن يانجون تجاهك، ولك أن تلجأ في ذلك إلى أسلوب التلويح له بإقطاعه أرض "طاودي" بحيث تجعل القوات تسير بمحاذاة حدود دولة يان، ثم تقوم بإجبار دولة جاو

(على التحرك معك) وسأتظاهر، من ناحيتي، بالاستعداد التام لتسليمه الإقطاع المتفق عليه بكل نزاهة وإخلاص، وهكذا تسير الأمور في طريق النجاح والسداد بكل تأكيد، وفي تلك الأثناء، فإني أرجو منك أيضا أن تتفضل بالتكرم على "رانغان جون" [أحد مواطني جاو ممن لاتتوافر لهم سيرة شخصية] بإقطاع من الأراضي، للعمل على دعم فرص نجاح الخطة الموضوعة، وبالطبع فسيتيسر لك ضرب سونغ، مقابل دفع قطعتين اثنتين من الأرض فقط!!) فهل يمكن أن تبخل بذلك؟ أما إذا لم تفلح في احتلال سونغ، فهل تجسر كل من دولتي يان وجا وعلى التطلع إلى آمال خيالية فضفاضة إنك بهاتين القطعتين من الأرض تدعم رصيدي في التحرك بمحاذاة دولة يان على رأس القوات، بحيث أراقب، عن كثب، تطورات الأحوال في جاو، بينما تقوم أنت بهدم دولة سونغ على عروشها الخاوية أصلا، وتقرر بإرادتك مصير الممالك التي تحت السماء".

لما قامت الدول الخمس بمهاجمة تشين

لم تستطيع الدول الخمس إحراز النجاح المأمول في مهاجمة ودحر دولة تشين، ومن ثم فقد أوقفت عملياتها القتالية في منطقة تشنقاو. وأرادت جاوعقد المصالحة مع تشين، وبدا على كل من: وي، وتشو، وهان الاستجابة لتحركات جاو. لم تشذ عنهم جميعا سوى دولة تشي التي رأت لنفسها رأيا آخر. وكان أن تحدث سوتشين في هذا الموضوع مع الملك مين، حاكم تشي، فقال له: "قمت بمقابلة فن يانجون، وكلمته فيما يعود عليك بالنفع قائلا: "قد تشعث أمر الدويلات ودبت الفرقة بينهم فخضعوا بالإذعان لدولة تشين التي لن تتوانى عن احتلال سونغ ولابد أن ويرانغ سينتقم عليك حصولك على أرض"طاو"، وهكذا فسيصعب الحصول على "طاو" وسط أجواء مفعمة بجشع تشين وأحقاد ويرانغ . وإذا لم تقم بالمصالحة مع تشين، فسوف تقوم تشي بمهاجمة سونغ، وعندئذ، فلابد أن دولة تشو ستشارك في الهجوم على سونغ أيضا. بينما تقوم يان وجاو بتقديم الدعم المطلوب للهجوم . وإذ تقترب قوات الدول الخمس من سونغ وتوشك على احتلالها، فسيصبح من المؤكد الحصول على منطقة "طاوى" في غضون شهر أو اثنين. فإذا ماتمت المصالحة مع تشين، بعد الحصول على أرض

"طاو"، فلن يكون هناك مايثير قلقك مهما تبدل موقف تشين، أما إذا تيسر لك الحصول عليها وقت التصالح مع تشين، فلابد أن تحرص الدول الخمس على توثيق تحالفها وتوطيد علاقاتها، فإذا أرادت هذه الخمس التحالف مع جاو، فسيتحتم عليك أن تبذل كل جهد، وتبدى كل عزم فى العمل على الاتجاه شرقا - بصحبة دولة هان - لإقناع ملك تشى بالتنسيق معكم لإقامة التحالف الرأسى وهو ماسيفرض على تشى التغاضى عن استعادة "هانون" وإهمال شأنه تماما، وإذا ظهرت أى محاولة للتآمرعلى التحالف القائم بين الدول، فستقوم قيادة قوات الدول الأربع بالقبض على المتآمرين وضرب ومهاجمة الطرف المتآمر (على الميثاق المنعقد بين الأطراف) فإذا حاولت تشين ضرب هذا التحالف دون وجود أى محاولة للخيانة، من داخله.. فسينبغى على الدول الخمس العمل على إقصاء تلك الدولة وتوطيد علاقتها بالتحالف.

ثم إن مشاعر الشك تنتاب الدول الثلاث: هان ووى وتشى، وتعتمل فى صدورها جميعا إزاء بعضها البعض؛ فإذا ماعقدت المصالحة مع تشين دون تحديد التزاماتها وثقتها فى التحالف القائم بينها، فأخشى أن ينهار التحالف دفعة واحدة.

وساعتئذ، فلن يصعب قيام التحالف بين تشين وتشى، ولن يخلو الأمر من بعض الخلل فى ميزان الأهمية والقوة بينهما، ومع ذلك ومهما كان مقدار ذلك الميل فى كفة إحداهما دون الأخرى، فلن يختلف حجم الضرر الذى يمكن أن يصيب دولة جاو من جراء عودة التحالف بينهما، أضف إلى هذا أن الأنقسام الذى سيتخلل صفوف الدول وسعيها جميعا لإرضاء تشين، سيطلق يد هذه الأخيرة فى التحكم والسيطرة على الممالك كافة، فأى سياسة تجدى فى حكم الممالك، إذا ماوقع هذا الأمر؟ وبناء على ذلك كله، فأرجو أن تتخذ الاحتياطات اللازمة قبل فوات الأوان".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

"وإذا ما تسابقت الدويلات إلى أرضاء تشين والعمل على خدمتها، فسيكون لدى تشين ست طرق مختلفة للتصرف حيال ذلك الأمر وكلها ليست فى صالح جاو.

ذلك أنه إذا ماجاهدت الدول للعمل على إرضاء تشين، فسوف يقبل حاكمها (بعودة) تشي المطلة على شواطئ البحار الكبرى، وسيعيد علاقاته بالدول المارقة عن تشين، في الماضي، ليقترب بقواته من المنطقة الوسطى، متطلعا إلى مايمكن أن يعود عليه من مزايا اقترابه من دولة وى (.. سانجين) فهذه طريقة من بين الطرق.

فإذا كانت خطة تشين، على هذا النحو، ضارة بدولة جاو، دون أن تتمكن أنت، فى نهاية المطاف، من الحصول على منطقة "طاودى"، فستكون تلك إحدى نتائج واحدة من التحركات التي يمكن أن تسلكها تشين.

وإذ تسعى الدول لإرضاء عرش تشين، فقد يقبل ملكها أن يعود إليه"هانون" من محل إقامته بدولة تشي، ويقبل بعودة يانجون من دولة هان، ثم يعمل على تنصيب "ويهواى" رئيسا لوزراء دولة وى، ويعمل على استعادة أقطاب العلاقة بمحور التحالف الأفقى (مثل)"وانغ بن"، و"هانطا"، حيث يعودون ليباشروا مسئولياتهم وأدوارهم فى سياسات التحالف الأفقى، فتلك طريقة أخرى يستطيع الملك أن يلجأ إليها متى أراد.

هذا، وقد يبادر الملك إلى تلك الخطة التي تمثل ضررا محتملا ومخاطر فادحة على مصالح جاو، فى حين تعجز أنت عن الحصول على أرض طاودى، فتكون تلك إحدى النتائج الناجمة عن لجوء تشين للطريقة الثانية كما حدثتك آنفا.

أقول لك إذا تسابقت الدويلات إلى إرضاء تشين، فربما لجأ ملكها إلى القبول بالتحالف مع كل من تشي وجاو، فإذا تشكلت من الدول الثلاث كتلة متقاربة استطاعت أن تقود جيشا إلى وى سعيا للسيطرة على عاصمتها"آنى"، فستكون تلك طريقة أخرى يمكن أن تلجأ إليها تشين. وهى الخطوة التي قد ينجم عنها إذعان تشي وجاو(لإرادة تشين) وربما تسارع وى إلى التنازل عن العاصمة آنى قبل بدء الهجوم مما يزيد قدرة وطاقة تشين؛ وإذ تحصل تشين على أرض آنى وتجنى من خصبها ووفرة غلتها الشئ الكبير، وتتوطد عُرى الصداقة بينها وبين وى، فلابد أن دولة هان ستسعى إلى بلاط تشين إذعانا وتسليما، ومن ثم تعمد تشين إلى استغلال آنى فى تجهيز جيوشها لتدفعها صوب دولة جاو، فهذا أيضا واحد من احتمالات التحرك الممكنة فى يد تشين،

فإذا ماسارت على هدى هذه الخطة، وأحاطت المخاطر بدولة جاو، وفى هذه الحالة، فلن تستطيع أيضا الحصول على منطقة طاودى، وبالطبع، فهنا تكمن إحدى النتائج المترتبة على الطريقة الثالثة التى يمكن أن تلجأ تشين إلى التخطيط لها.

إن تشين، وقد قصدت بابها الدول سعيا لإرضائها وخدمة مصالحها تستطيع أن تقوم بتوطيد علاقاتها مع دولتى يان، وجاو، فتقوم على رأس الجيوش لمهاجمة تشى ثم تتحالف مع تشو، ومن ناحية ثانية، فيمكن أن تتحالف مع هان لغزو دولة وى، وهذه خطة محتملة كذلك، يمكن لـ تشين بمقتضاها أن تخضع لنفوذها دولتي يان وجاو. وإذ تقوم هاتان الدولتان معا بمهاجمة تشى، تسارع تشين بضرب وى، بناء على تحالفها مع تشو ثم لايكاد ينقضى شهر أو اثنان حتى تصير دولة وى إلى العدم تحت جحافل الهجوم الذى تشنه عليها تشين، حيث ستبادر إلى احتلال العاصمة أنى، ثم تقوم بإغلاق منطقة نيوجى [على الحدود بين هان، ووى، وطريق مهم بين هان وجيرانها] وهو ماسيؤدى إلى اغلاق الطريق الذى يصل بين هان وإقليم "تايشين" ويمكن لجيش تشين أن يواصل تقدمه بحذاء منطقتى "جيطاو" و"تانيان" فيهاجم دولة وى، ويقطع على هان طرق الاتصال مع الدنيا بأسرها ويحاصر جو الشرقية والغربية مما يعنى حدوث انهيار داخلى لدولة جاو، وإذ تتصدع أركان دولة جاو تحت حصار تشين، فستسارع دولة تشى إلى الاستيلاء على جيشها وتمزيقه شر ممزق، وهو مايعنى الخراب الهائل لدولة جاو، ووسط هذه الظروف، فلن يمكنك أبدا الحصول على أرض طاودى . وهذه هى الخطة الرابعة التى يمكن أن تفكر فيها تشين.

عندما تسعى الدول بين يدى تشين إرضاء لسياساتها وخدمة لمصالحها، فستسارع هى إلى تقوية علاقاتها مع "سانجين" [الاسم القديم لدولة وى] ثم القيام بعد ذلك، بمهاجمة تشى، وعندئذ تتهالك دولة جاو وتشرف على الضياع، إذ تكون خزائنها قد فنيت عن آخرها، بينما يكون جيشها قد تفتت على يد تشى، وهنالك تدخل تشين ظافرة إلى وى فتستولى على عاصمتها آنى؛ فهذه أيضا طريقة من بين الطرق التى يمكن أن تسلك بها دولة تشين، فتضطرك الظروف إلى مساندة دولة وى، وهذا معناه أنك ستكون

مضطرا إلى استخدام قواتك التى أنهكها القتال ضد تشى، أقول: إنك ستضطر إلى استخدام قواتك المتهالكة؛ لأنك ما لم تؤازر دولة وى فى محنتها، فكيف تضمن عدم لجوء كل من وى وهان صوب الغرب للتحالف مع تشين؟ وعندما تفرض تشين خططها ووسائلها، فلن يمكنك، مدى حياتك، الحصول على أرض "طاودى"، وستكون هذه هى النتيجة المترتبة على الخطة الخامسة التى قد تنتجها تشين.

وبعد، فما أن تجد تشين كل الدويلات التى تحت السماء تحتشد جميعا للعمل على إرضائها وخدمة مصالحها، فلربما تنهج سياسة قائمة على البر والعدل والحكم الرشيد، فتمنح الدول التى أوشكت على الانهيار فرصة مجددة للبقاء والازدهار، وتعطى الدويلات المتهافتة المتردية الأحوال، ماتحتاجه من الدعم والمساندة، وتشيع أجواء من الاستقرار والاطمئنان لدى الملوك والقادة الذين لم يرتكبوا خطأ ولاجناية، ولابد وقتئذ، أنها ستعمل على إحياء دولة جونشان وتنغ، وهو مايعنى ارتباط دولتى سونغ وجاو بمصير مشترك وقدر متكافئ من التلاحم فى القضايا كافة. فأين، ومتى، تجد الوقت والمناسبة للحديث ساعتئذ، عن مطالبك فى أرض طاودى؟!

هذه هى النتيجة التى ستتمخض عنها الظروف عقب اختيار تشين للعمل بالطريقة السادسة الممكنة والمحتملة؛ لذلك كله، فلاينبغى لك عقد مصالحة مع دولة تشين فتلك هى الطريقة التى تمكنك من الحصول على إقليم طاودى بكل تأكيد".

وهنالك استحسن فن يانجون منطقه وكلامه ووافقه على رأيه، وتراجع عن فكرة التصالح مع دولة تشين، ثم إنه قام بالتحالف مع وى وتشى، وقام معهما على رأس جيش مهاجم فاستولى على أرض طاودى".

لما قام لوهوان ليودع الملك قبل السفر

لما أوشك لوهوان على السفر فى بعثته الخارجية، تكلم مع الملك هوين، حاكم جاو، مودعا إياه قبيل سفره، قائلا: "على الرغم من كل مابذلته من جهد مضن، وما أرهقت به ذهنى من الأفكار، فلن يتسنى لى مقابلة جلالتك، حتى لو هلك عمرى فلن ترى جثتى،

حتى بعد مماتى". فاندهش الملك هوين، وسأله: "مامعنى كلامك هذا، إن الأمر لايزيد عن مجرد كتابة بضع مراسلات مع تكليفك بتأدية الأمر المنوط بك مصحوبا بالثقة والآمال المعقودة بنجاحك"، فرد عليه لوهوان قائلا: "ألم تعرف بما حل بالنبيل "تسيموى" فى دولة سونغ؟ لقد قيل إنه رفض أن يتناول طعاما يخلو من اللحم [كعادة النبلاء والأثرياء، قديما] مما استثار بعض أهالى دولة سونغ ضده، حتى نبذه ملك سونغ (وأهمل شأنه بالكلية) وقد علمت أن موقف ملك سونغ، هذا، من القون المذكور، يعد أفضل كثيرا مما بينى وبين جلالتك، بل إن من يكرهوننى وينبذوننى من الناس أكثر ممن استثارهم تصرف القون، فهجروه. فلذلك فلا أظن أن تجمعنى الظروف بك مرة ثانية، ولا حتى بعد الموت نفسه". فقال له الملك هوين:"فامض، إذن إلى عملك بجد وعزم، واعلم أن بينى وبينك العهد والميثاق والقسم". ثم انطلق لواهوان فى مهمته الموفد لأجلها. وحدث أنه لما بلغ منطقة "جونمو" [من أرض دولة جاو] امتنع بها وأعلن العصيان على الملك، ثم سار حتى دخل دولة وى، وأسرع رجال الاستخبارات فأبلغوا ملك جاو بتقارير ذات صلة بذلك المسئول، إلا أن جلالته لم ينصت إليهم، قائلا: "إنما عقدت مع الرجل عهدا وميثاقا".

لما تكلم يوتشين إلى ملك جاو

تحدث يوتشين إلى ملك جاو، فقال له: "هل الطبع الإنسانى الذى جبل عليه البشر يدفع الناس للسعى إليك، أم يدفعك أنت للسعى إلى لقائهم؟"، فأجابه الملك: "جرت العادة بأن يتوقع المرء أن يأتى الناس لزيارته، فما الذى يدعوك للسعى إليهم؟"، فرد عليه يوتشين بقوله: "هذه دولة وى تتزعم التحالف الرأسى، بينما يعمل "فان تزو" [رئيس وزراء وى السابق] على إنجاح هذه السياسة بكل ما لديه من جهد، وتستطيع، يامولاى، أن تقوم بإهداء دولة وى قطعة أرض مساحتها مائة لى مربع أو مدينة عامرة بالسكان (مقابل) أن تقوم بالتخلص من "فان تزو"، بتصفيته جسديًا، بحيث ينفسح الطريق أمام دولة جاو لتتزعم حركة التحالف الأفقى". وهكذا اقتنع الملك بكلامه وصدق عليه،

ثم أرسل، بالفعل، من يتولى تسليم دولة وى مامساحته مائة لى مربع من الأراضى (بشرط) أن تقوم باغتيال "فان تزو"، (فلما علم ملك وى) وافق على ذلك الشرط، وأرسل من يقوم بالقبض عليه، لكنه لم يقتله.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

فلما مثل فان تزو أمام ملك وى، قدم له وثيقة رسمية مكتوبة، قائلا له: "قد بلغنى، يامولاى، أن ملك جاو أراد أن يهديك أرضا تبلغ مائة لى مربع مقابل التخلص منى، وأحسب أن التخلص من امرئ برىء مسألة بسيطة، تهون كثيرا عندما يتعلق الأمر بالحصول على أرض هائلة المساحة، حيث المغنم كبير، والفائدة أعظم قدرا، اسمح لى بأن أهمس فى أذنيك، فيما بينى وبينك بامتداح هذا المسلك، وعلى الرغم من ذلك، فهناك مسألة مهمة، وهى أن الأرض التى مساحتها مائة لى مربع، لن يتيسر لجلالتك الحصول عليها بأى حال من الأحوال، بينما أن الميت الذى فارق الدنيا لن يبعث حيا مرة أخرى، وهو ماسيجعلك، ياسيدى، عرضة للاستهزاء والسخرية بين الممالك، وإذا كان لى أن أعرض عليك رأيا آخر، فيما بينى وبينك، فإن الصفقة التى تعقدها مقابل رأس رجل حى أفضل كثيرا من صفقة ثمنها رأس رجل ميت".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

ثم إن فان تزو حرر خطابا إلى الوزير الذى خلفه فى رئاسة الوزراء المدعو شين لينجون قال له فيه: "إن دولتى جاو، و وى متعاديتان، تتناطحان دائما وتشمران عن ساعد الحرب والقتال، وبينهما من سوء الفهم مالايزيدعليه، إذ يكفى أن يرسل ملك جاو برسالة قصيرة للغاية إلى ملك وى، حتى يسرع هذا، بكل سهولة (وطيش) إلى قتل رجل برىء مثلى، وعلى الرغم من أنى لست بالرجل المعقود بناصية مصائرالأمم، لكنى – على أية حال – كنت رئيس وزراء وى، قبل إعفائى من منصبى، ولئن كنت قد مسست دولة جاو بضر، فقد كان فى سبيل مصلحة دولة وى، وهناك جوانب ينبغى النظر إليها،

فمن ناحيتى لست بالرجل الذى يمكن أن يتولى، الآن، أية مناصب داخل البلاد وبالنسبة لدولة وى فهى لن تستطيع – خارج حدودها – حماية الأرض المشار إليها، لكنها فى الداخل لن تجد خيرا منك فى حماية أمنها وسلامتها، وإذا قتلنى ملك وى، مصداقا لطلب دولة "جاو" ورجائها، فسوف تبادر تشين القوية الجبارة إلى الإغارة على جاو وسارت على نهجها وطلبت بأضعاف ما أعطت وتنازلت عن الأراضى ووقع عبء ذلك كله عليك فكيف يكون موقفك حينئذ، وكيف تستطيع أن تمنع تشين من التمادى فى غيها؟" تلك هي معضلتك الكبرى التى لا أدرى كيف ستجد مخرجا منها".

وهكذا فقد اقتنع شين لينجون بمنطقه، وأرسل، على الفور تقريرا إلى الملك، فأفرج عن فان تزو وأطلق سراحه.

لما أهدت دولة يان لقبا من ألقاب الشرف

أهدت دولة يان إلى "رونغ فن"، وهو من مواطنى دولة سونغ اللقب النبيل "قاويان جون" [قاويان: اسم مدينة] وأرسلته على رأس جيش كثيف لمهاجمة دولة جاو، وهنالك قرر ملك جاو إهداء المدن الثلاث: لو، وقاوطان، وبينيوان الكائنة فى ولاية "جيطون"، بالإضافة إلى سبع عشرة محلة أهلة بالسكان إلى دولة تشى، وكان الطلب الذى تقدمت به؛ هو أن يتولى الأمير "آن بنجون" قيادة جيوشها لمقاومة عدوان دولة يان عليها، وفى هذه الأثناء التقى "جاوشى" بـ"بينيوان"، وقال له: "هل خلت البلاد من ذوى الموهبة والكفاءة، هل وصلت البشاعة والخطر إلى هذا الحد [.. حتى نطلب أمراء الجيش من الدول الأخرى!] فها أنت تطلب الأمير آن بنجوان لكى يتولى قيادة الجيش، ثم تتنازل عن ثلاثة مدن بإقليم جيطون وبضع قرى آهلة بالسكان، وتسلم كل ذلك ليد تشى، فتلك الأماكن كانت فى الأصل غنيمة معارك حصلنا عليها بعد أن دارت رحى الحرب سجالا بيننا وبين أعدائنا، ثم إذا بك تهديها إلى دولة تشى، من أجل مبادلتها بالمدعو أن بنجوان، الذى تطلب مجيئه ليصير قائدا عاما للقوات، فهل أقفرت ساحات الموهبة والكفاءة ووصلت الأمور إلى هذا الحد المزرى؟ يا للغرابة! لماذا لاتتخذنى أنا قائدا عاما للقوات؟

كم قضيت أياما من عمرى فى دولة يان تكفيرا عن ذنب جنيته، وتهمة ارتكبتها، وحدث أن أوكلت إلى تلك الدولة مسئولية القيام بوظيفة مدير إقليم"شانكو" حتى صرت خبيرا بالمواقع ذات الأهمية فى البلاد بما تسلكه دولة يان من ممرات مهمة وحيوية بذلك الإقليم، حتى أننى أستطيع في خلال مائة يوم فقط، أى فى فترة يستحيل على الممالك مجتمعة أن تقوم فيها بتعبئة شاملة للقوات أن أمد بساط الاحتلال فوق دولة يان، بطولها وعرضها، فما الذى يدعوك لكى ترجو دولة تشى وتلح فى الرجاء بأن تبعث لك آن بنجوان لتجعله قائدا للجيش؟"، فأجابه بينيوان، بقوله:"دع عنك هذه الفكار؛ فقد تكلمت فى هذا الشأن مع جلالة الملك، ولحسن الحظ، فقد أنصت لما قلته جيدا، فلا تشغل نفسك بالتفكير، ولاتعد الى الحديث فى هذا الموضوع"، فأجابه جاوشى:"لست أتفق معك فى هذا، وما أظنك قد طلبت حضور آن بنجوان، إلا لأنك تعتقد بأن مابين دولة تشى ودولة يان عداء مستحكم ودم مسفوك والأمر يبدو لى على غير ما قد قررت وإذا افترضنا أن آن بنجوان رجل أحمق، ساذج فلن يصمد أمام رونغ فن، أما إذا كان حصيف الرأى نابه الذهن، فلن يقدم على اشتباك مع دولة يان، ولن يخرج آن بنجوان عن أحد هذين الموقفين.

وحتى إذا قلنا بأنه لابد، أخذ بواحد من هذين الاتجاهين، فنتأمل الاتجاه الذى يتصرف فيه آن بنجوان بذكاء ومهارة، ولنتساءل على أى عنصر من عناصر القوة الكامنة فى موارد دولة جاو يستند آن بنجوان فى مهاجمته لدولة يان؟ وإذا اتفقنا على أن جاو دولة قوية ذات ثقل ومهابة، فمعنى ذلك أن تشى لن تقدر أبدا على أن تصير دولة (إمبراطورية) كبرى.

وإذ يقوم آن بنجوان على رأس قوات دولة جاو القوية الجبارة، ليرد كيد قائد جيش يان، فلابد أن المواجهة ستطول زمنا طويلا، يبلغ عدة سنوات، مما يعنى استنفاد طاقة المسئولين والموظفين ورجال الحكم وسط التكنات العسكرية وتحت الخنادق حتى تتهرأ الرايات [حرفيا: تبلى قوة البلدين، بسبب طول المواجهات والاشتباكات بينهما، وعندئذ ينسحب أن بنجوان بقواته عائدا إلى البلاد، بعد أن يكون قد استهلك قوات البلدين معا إلى الحد الأقصى، وهو أمر بالغ الوضوح].

ولم يكد ينقضي زمان طويل، حتى هاجم آن بنجوان ثلاث مدن لاتتجاوز مساحة إحداها ثلاثمائة جانغ مربعا، وهكذا فقد صدق حدس جاوشي، وسارت الأمور على نحو ماتوقع تماما".

لما قامت الدول الثلاث بغزو تشين

قامت الدول الثلاث: هان، وتشي، ووي بغزو دولة تشين، وقامت دولة جاو بمهاجمة جونشان واستولت على منطقة "فوليو" وبعد خمس سنوات استطاعت أن تفرض سيطرتها بالكامل على قطاع نهر "خوطو".

وهنالك تحدث "رونكو"، و"صونتو" [من دولة تشي] إلى "شوهاو" [رئيس وزراء جاو] قائلين له: "من الأفضل، في هذه الظروف أن تبادر إلى تسليم الأراضي المحتلة حديثا إلى دولة جونشان. وهو ماسيدعو هذه إلى مخاطبة دولة تشي قائلة إن الدول الأربع ستطالب "ويه" بالسماح لها بالمرورعبرأراضيها لمنع (القائد) "جانزى" من التقدم لمهاجمة الطريق الذى ستسلكه قوات دولة يان، وعندئذ (وإذ تترامى تلك الكلمات إلى أسماع دولة تشي) فلن تتوانى عن أن تقدم لها أرض "قودى" [بلدة صغيرة في تشي] هدية مقرونة بالتحية.

لما أوفدت دولة جاو رئيس وزرائها

أوفدت دولة جاو رئيس وزرائها "جاوتشوان" لقيادة قوات التحالف الرأسي في هجومهم المزمع على دولة تشي، فبادرت هذه إلى التنازل عن أجزاء من أراضيها، بيد أن دولة جاو كانت قد أغضت طرفها عن رئيس وزرائها "جاوتشوان" وأظهرت له الازدراء والتحقير، وعندئذ تحدث "تشيمنغ" [وزير عظيم بدولة جو الشرقية] إلى ملك جاو (مدافعا عن جاوتشوان) قائلا: "لم تبادر دولة تشي إلى التنازل عن أجزاء من أراضيها، إلا لأنها تخشى انضمام الدول إلى التحالف الرأسي، وقد بلغني أن جاوتشوان قد

أصبح الآن عرضة للهوان والاحتقار - بينما قد لمع نجم جانشين [أحد القائمين على هدم وتخريب محاولات تشكيل تحالف رأسي] ونال شرفا ومكانة مرموقة، وهوماسيدفع تشى إلى عدم التنازل عن أراضيها(فتأمل ذلك، وانظر ماذا تفعل!).

واقتنع ملك جاو بوجهة نظره، وقام على الفور باستدعاء جاوتشوان، وبالغ فى تكريمه وتمجيد مقامه حتى رفعه مرتبة شريفة".

لما قدم تشانجان من دولة وى

(وعلى الرغم من أن) "تشانجان" يعد، فى الأصل، أحد مواطنى دولة وى، إلا أنه نال حظوة عند الملك "دياوشيان" حاكم دولة جاو، حتى أنه عرض عليه، ثلاث مرات، أن يشغل منصب رئيس الوزراء وهو يرفض بإصرار، وعندئذ، تحدث تيانسى [كبير وزراء جاو] إلى هانشيان قائلا: "أرجوأن تسمح لى بأن أذبحه وأحطم لك عنقه. [يقصد تشانجان] حتى إذا مات وزهقت روحه، فلابد أن جلالة الملك سيقوم بإعدام جياشين، وهو فى سورة غضبه [كان جياشين محل حظوة لدى الملك، حاكم جاو، وكان ينافسه فى مكانته، المدعو تشانجان، فإذا اغتيل هذا، فسيظن الملك أن قاتله هو جيانشين وذلك لما بينهما من المنافسة على التقرب من جلالته!].

وإذ يموت جيانشين؛ فلابد أنك ستترقى إلى منصب رئيس الوزراء. أما إذا لم يمت صاحبنا، فستتعمق بينكما الصداقة، وتدوم بينكما مدى الحياة، وهو ماسيوجب عليك الامتنان له".

لما قام "فنجى" بتزكية صاحبه لدى البلاط الحاكم

قام فنجى لدى الملك شياوشين، حاكم جاو، بتزكية صاحبه الأمير"لولينغ" [أخو الملك من أمه]، فقال له: "(اعلم) يامولاى أنك بطردك الأمير"لولينغ"، خارج البلاد تبدو كمن يحاول أن يرضى دولة يان"، فأجابه الملك: "لست أهتم ولاأضع نصب عينى سوى

الأحداث والمبادئ، أما بالنسبة لدولتي يان، وتشين، فكيف تظن أنى أخشاهما، بينما أتصرف حيالهما دون أدنى اعتبار لأى شيء من هذا القبيل!"، فرد عليه فنجى، قائلا: "أما دولة يان فقد جندت يوتشين للدفاع عن موقفها ثلاث مرات، دون أن تطرده خارج بلادك، فكيف وقد قمت بطرد"لولينغ" لمجرد أنه تكلم منافحا عن تشين مرة واحدة فقط. أليس هذا تحقيرا من شأن دولة تشين القوية العظمى، وتعظيما لمكانة دولة يان الضعيفة المتهافتة!"، فأجابه الملك شياوشين، بقوله: "بل إنى أفكر، حقا، في طرده، دون اعتبار لدولة يان". فقال له محدثه:"وعلى هذا النحو فإن الأمر سيبدو، إذن، كأن طرد لولينغ لاعلاقة له بدولة يان. بل سيبدو أسوأ بكثير من هذا؛ لأنه سيتضمن معنى احتقار شأن دولة يان، وسيرى الناس فيه، غلظة ومجافاة لصلة الرحم، حيث سيقال بأنك طردت أخاك (من الأم) [فتسوء سمعتك وتفقد حماس يان] وأصارحك، فيما بيني وبينك، بأن مثل هذا المسلك غير صائب".

لما تقدم فنجى بطلب مقابلة

تقدم فنجى بطلب مقابلة ملك جاو، فرتب له الموظف المسئول عن شئون العلاقات الخارجية لقاء مع. جلالته فلما مثل بين يديه ركع عنده بالتحية [بأن ضم قبضة يده اليسرى والذراع مبسوطة على امتدادها أمامه، ثم قبض عليها بكف يده اليمنى، وهو مطأطئ رأسه، وليس بوضع الكفين متقابلين ومتلاصقين أسفل الذقن، كما قد يظن كثير ممن لا يعرفون أحوال المجتمع الصينى القديم] وضم قبضة يده رافعا إياها بالتحية، وأراد أن يتكلم، فارتاع وارتج عليه، فلما سأله الملك عما به، أجابه، قائلا: "(يحكى فى الروايات المأثورة) أن أحد الضيوف قد زار (المدعو)" فوتزو" واقترح عليه ترقية أحد العمال وزكاه عنده، وبعد أيام التقى الضيف بالمضيف وسأله عما إذا كان العامل الموصى عليه قد قصر فى شيء مما كلفه بأدائه. فأجابه فوتزو، قائلا: "قد وقع العامل (الذى زكيته فى ثلاثة أخطاء: (أولها): أنه كان يفغر فمه ضاحكا كلما لقينى،

مما يعنى أنه يسخر منى ويهزأ بى؛ (وثانيها): أنه ما كان يلقبنى، أثناء حديثى معه، "بالأستاذ" أو "المعلم"، وهو ما يعنى أنه جاحد، منكر فضل معلمه (وثالثها): أنه ثرثار مولع بالهذر من القول، قليل المروءة فى غير مراعاة للآداب والأخلاق، مما أوقعنى فى الحيرة والدهشة من سلوكه الشائن المعيب". فأجابه الضيف، بقوله.. "ليس الأمر كذلك، (دعنى أفسر لك الأمر على الوجه الصحيح..) فهو إذ يضحك فى وجهك كلما رآك، يبش بك من قبيل التودد والتلطف؛ أما عدم مناداتك بلقب "المعلم" فلأنه يرى أنك أحق بلقب أسمى وأعظم من تلك التسمية العادية المبتذلة التى جرت على كل فم دون تمييز؛ أما ثرثرته وإقباله عليك دون تكليف أو تقيد بحدود المعاملات الصارمة، فهذا من قبيل السذاجة التى تنطوى على الشفافية والإخلاص، وتحكى مأثورات التاريخ القديم أن الملك الحكيم"ياو" كان قد التقى بـ (الملك القديس فيما بعد..) شون فى كوخ خشبى (حقير). فبسط له حشية من القش فوق الأرض ليجلس تحت ظلال شجرة توت وارفة، وفى هذه البقعة التى تبدلت فوقها الظلال جرى انتقال العرش الامبراطورى من "ياو" إلى "شون" وكان "آيين" قد التقى بالإمبراطور طانغ (آل أسرة شانغ الملكية) وهو يحمل على ظهره الإناء المخصص لتقديم القربان المقدس، وتكرم عليه جلالة الإمبراطور بألقاب الشرف والمرتبة الاجتماعية المرموقة (الانضمام إلى طبقة نبلاء البلاط الملكى الحاكم).

ولولا العلاقة الحميمة (التى نشأت بين الضيف ومضيفه فى تلك الأمثلة المذكورة) لما أمكن قيام التفاهم الودى والصلات القوية، ولما تمت عملية انتقال مقاليد الحكم إلى أولئك النبلاء". فاستحسن الملك كلامه واقتنع بمنطقه، فقال له فنجى: "هناك الآن بعض من الوزراء القادمين إليك من وراء حدودك، يودون تعميق التفاهم معك وتوطيد أواصر الصداقة، دون سابق معرفة أو ود مقيم، فهل تأذن فى ذلك؟"، فأجابه الملك: "فلنتكلم، وسأصغى لك بكل احترام وتقدير"، وهنالك أفاض فنجى فى الحديث عن آرائه إلى الملك.

لمـا التقى أحد الضيوف بملك جاو

نزل أحد الناس ضيفا على البلاط الحاكم لدولة جاو، والتقى بجلالة الملك وقال له: "بلغنى إن جلالتك تفكر فى شراء بعض الجياد، فهل هذا صحيح؟" فلما رد عليه الملك بالإيجاب، قال الضيف: "فلماذا تأخرت طوال هذا الوقت دون أن ترسل أحدا؟"، فأجابه الملك:"لم أعثر بعد على رجل خبير بالجياد"، فسأله الضيف:"فلماذا لا ترسل جيانشين فى هذا المهمة؟"، فأجابه جلالته: "لأن جيانشين مشغول بإدارة شئون البلاد العليا، هذا بالإضافة إلى أنه ليس خبيرا فى هذاالميدان"، فقال الرجل:"فما الذى يعوقك عن إرسال محظيتك (الأثيرة لديك) السيدة"جى"؟ [تنطق كما فى "الجيزة"]، فأجابه: "إنما هى امرأة تسكن في القصر، ولا معرفة لها بمثل هذه الأمور"، فعلق الرجل، قائلا: "وما الذى يعود على بلادك من الفائدة إذا اشتريت جوادا أصيلا؟"، فقال الملك: "ليس ثمة فائدة تذكر!" فقال الرجل: "وما الضرر الذى يحيق بالبلاد إذا جاء الجواد على غير ما تشتهى؟"، فقال: "لايطال البلاد أدنى ضرر من ذلك"، فسأل الضيف:"إذا كان الامر هكذا، بحيث إن شراء جواد أصيل أو عليل لا يمس مصالح البلاد بسوء ولا يعود عليها بأى نفع، بينما تنتظرجلالتك طوال هذا الوقت مجئ خبيرعارف بأحوال الجياد، فلاغرو أن تصير إدارة شئون البلاد، والنظر فى أولوياتها، محلا للعبث والاستهتار، حتى صارت البلاد خرابا؛ ففسد الزرع واضمحل شأن الوطن [حرفيا: تزلزلت أركان عبادة آلهة الأوطان والمزارع] وعدمت معابد الأسلاف النذور والقرابين، ومع ذلك فلست تسعى ترقبا لخبير يجيد إصلاح شئون البلاد (بدلا من ذلك المدعو جياشين) ولاأدرى ماالذى يدعوك إلى التصرف على هذا النحو؟". وهنالك صمت الملك ولم ينطق بشيء، وواصل الضيف كلامه، قائلا:" إن الطريقة المأثورة عن"قويان" في إدارة شئون الممالك (تحظى بشهرة طيبة) حتى أن البعض يطلق عليها مُسمى "الشجرة القرحاء" (المصابة فى سوقها بالتقرح) فهل تعرف شيئا من ذلك أو بلغك نبأ عنه؟"، فلما رد عليه الملك بالنفى، واصل كلامه، بقوله: "إن معنى التسمية بـ"الشجرة القرحاء" يشير إلى أولئك الملتفين حول الملك، يكيلون له المديح والإعجاب، وهم كثير؛ منهم الوزراء والمتنفذون والغيد الحسان والمحظيات

ونساء القصور، وكلهم يجيدون انتهاز فرصة وقوع الملك فى براثن النشوة العارمة إثر سماعه لنفاقهم، خصوصا أنهم يبدون أمامه متفانين من أجل سعادته، وعلى استعداد لجلب الدنيا كلها طوع بنانه إذا شاء، وإذا قدر لهم أن يرتقوا فى مراتب السلطة، وجعلوا لهم شركاء من المسئولين فى دوائر الحكم المختلفة، بطانة سوء، يعيثون فسادا بلا رادع، ولذلك، فعلى الرغم مما يسطع فى الأجواء من نور الشمس وضيائها تظل مخابئ الفساد والعطب منزوية تحت الظلال، ومهما ترامت أصوات التحذير من جلالته إلى المغضوب عليهم والمارقين والملعونين، إلا أن الكارثة وأس البلاء كله يبقى لصيقا به، مستظلا بجناح حمايته".

لما قامت تشين بمهاجمة دولة وى

قامت تشين بمهاجمة دولة وى، واستولت على مدينة" نينغ"، فذهب أمراء الممالك والدويلات لتهنئة تشين بما حققته، وكذلك أرسل الملك "هوين"، وحاكم جاو وفدا للتهنئة، إلا أن الوفد لم يتمكن من مقابلة الملك، رغم محاولته المتكررة للقائه ثلاث مرات؛ مما أثار غضب الملك هوين، والتفت وقال لمن حوله:" ستلجأ دولة تشين، بعد استيلائها على مدينة نينغ، وإظهار مدى ما تتمتع به من القوة، أن تقوم بمعاقبة كل من: تشى وجاو. وعلى الرغم من أن الفرصة أتيحت لكل الدويلات والممالك أن تذهب للتهنئة فإن وفدنا لم يتمكن من ذلك رغم محاولاته المتكررة (لترتيب لقاء مع الملك) وهو مايعنى أن تشين تدبر لغزو جاو، فأشيروا علىّ بما ترون" فأجابوه، قائلين: "إن محاولة الوفد ترتيب لقاء، عدة مرات، دون النجاح فى ذلك، يعنى أن أعضاء الوفد نفسه ليسوا على المستوى اللائق، ولاهم مناسبين للذهاب أصلا فى هذه المهمة. وليس هناك أفضل لإتمام اللقاء من ذلك المدعو "ليانغى" بما اشتهر به من فصاحة وبلاغة وقدرة على الخطابة والإقناع، فليجرب الملك إيفاد المذكور لإنجاز تلك السفارة".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

صدع ليانغى بأمر الملك، الذى قام باستلامه منه شخصيا، وانطلق مسافرا إلى مهمته، فما إن بلغ دولة تشين، حتى رفع إلى الملك خطابا رسميا جاء فيه مايلى: "قد جاءك الأمراء من شتى أنحاء الدويلات يهنئوك بماقمت به من مدّ رقعة الأراضى حتى بلغت بها تخوم منطقة "آنى"، بل إن واحدا مثل حاكم بلادنا لايخفى اعجابه بمسلكك فيما بينه وبين نفسه، وقد اعتراه القلق فلم يعد يجلس آمنا مطمئنا كسابق حاله خصوصا أنه كان قد أوفد الوفود بالهدايا لمقابلتك، ثلاث مرات، وفى كل مرة يعجزون عن ترتيب لقاء بجلالتك؛ وإذ لم يتسنى لهم الحصول على قراركم باستدعائهم للمثول بين يديك، ومالم يكونوا قد ارتكبوا جرما أو تقصيرا، فأرجو من جلالتك ألاتحول بينهم وبين سعادتهم وسرورهم بلقائك، أما إذا كان ثمة مايشينهم من عيب أو خروج على القواعد والآداب الشريفة، فأنزل بهم مايستحقونه من عقاب". وأرسل إليه الملك من أبلغه القول بأن.. "كل ما أطلبه من دولة جاو هوالسمع والطاعة فى كل كبيرة وصغيرة، فإذا ما أقرت لى بذلك صار من الممكن استقبال الوفود والمراسلات والوثائق المرفوعة إلينا، وإلا فالأولى برسلكم ووفودكم أن يعودوا إلى بلادهم"، فرد عليه ليانغى بقوله:" ماجئت بلادكم اليوم، يامولاى، ولاقصدت أعتابك الجليلة إلا أملا فى الفوز بتحقيق أمنية غالية بقبول توجيهاتكم الكريمة وإشارتكم الحكيمة، فكيف يخطر ببالى أن أكون سببا فى الوقوف بين أيديكم موقفا تتأزم به الأمور أو تتفاقم به الشدة وتعظم البلية والمحنة؟ ويسرنى بالغ السرور أن أقف على ما تأمروننى به فأصدع بتنفيذه، على الفور، دون أدنى تردد وبغير مراجعة مبعثها الشك أو الحيرة".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وهنالك وافق الملك "شاو" حاكم تشين على اللقاء بالبعثة الوافدة من دولة جاو، قائلا: "(إن أنسى فلا أنسى ماحييت) ماقام به كل من "الفهد الجاوى" (نسبة إلى دولة جاو، ويقصد به النبيل" بين يانغ") وبينيوان من خداعى والاستهزاء بى، وكم أتمنى أن

تعمد دولة جاو إلى هذين الرجلين فتذبحهما ذبحا، وهو مالا معجز دونه، فإذا ظهر أن قتلهما أمر غير يسير، فأرجو السماح لي بقيادة أمراء الدويلات صوب هاندان حيث أقف عند أسوارها في انتظار ما تأمرون به"، فقال له ليانغي: "إن الرجلين الذين ذكرتهما يمتان بصلة أخوية بملك البلاد؛ فهما أخواه الشقيقان، تماماً، كما هو قائم بين جلالتك وأخويك الصغيرين "إيانغ"، و"جين إيانغ" ولا يجدر بالأخ أن يقتل أشقاءه.. لاسيما أن سياستك القائمة على البر والتراحم ذائعة ومعروفة في أنحاء البلاد والممالك؛ وهكذا فقد عرف عنك البذل الكريم لأخويك في أمور الحياة المختلفة من ملبس ومأكل، فهما لايرتديان إلا أفخم الثياب ولايأكلان إلا أشهى طعام، لايتميز أحدهما عن أخيه في شيء من ذلك، بل إنك لاتخص نفسك دونهما بأفخر رداء أو ألذ طعام، وقد قيل في المأثورات الذائعة من قديم إن.." العنقاء لن تحوم فوق عش امتدت إليه يد عابثة فأتلفت بيضها، ووحوش البراري لن تقرب أرضا بقرت فيها بطون إناثها وذبحت هنالك، بيد العدوان، صغارها"، ولنقل إن أعضاء الوفد سيأخذون أوامرك مأخذ الجد، ثم يعودون إلى بلادهم فينقلونها إلى قادتهم الذين سيتملكهم الخوف من العجز عن وضعها موضع التنفيذ، أفليس من المحتمل أن تتمخض الأحداث عن توليد انطباعات سيئة (وحزينة) في نفس أخويك "إيانغ"، "جين يانغ"؟".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

فقال له الملك شاو، حاكم تشين، مانصه:" فمادام الأمر كذلك، فليصدر قرار باستبعادهم عن ممارسة أي سلطة عليا في البلاد"، فرد عليه ليانغ، قائلا: "دعني أصارحك القول بأن ..) إخوة مليكنا [من الأم] يكلفونه ما لايطيق من الأمر، وكم بذل لهم النصح والإرشاد دون فائدة، حتى ثارت ضدهم النفوس في كل مكان، وإذا شئت أن نقوم بتخفيض رتبتهم ونزع بعض سلطاتهم بحيث يبقون بعيدا عن الاشتراك في إدارة شئون البلاد تحقيقا لرغباتك ما أمكن فعلى الرحب والسعة". فسرّ ملك تشين بماسمع وابتهج أيما ابتهاج، وأقدم على الرجل فقبل هديته، وأكرمه بهدايا أثمن وأفخم ووصله وأكرم وفادته.

لمـا قامت دولة جاو بإيفاد ياوجيا

قامت دولة جاو بإيفاد "ياوجيا" للتفاهم بشأن التحالف مع كل من دولتي وي، وهان؛ إلا أنهما خانتا جاو بعد زمن قصير ونكثتا عهدهما معهما، وذهب" جيماو" إلى ملك جاو وتكلم معه (مدافعا عن "ياوجيا") قائلا: "إن ياوجيا هو وزيرك الأمين وأكثر معاونيك إخلاصا، كثيرا ماحاولت كل من وي، وهان الاستئثار به دونك؛ ولذلك أقدمتا على خيانة عهدهما مع جاو، بهدف إثارة غضبك ضده مما يدفعك إلى طرده خارج البلاد، فيتلقفانه ويحتفظان به لأنفسهما، فإذا ما أقدمت على نفيه الآن، يامولاى، فكأنك تدفع الأمور باتجاه ماتنتظره الدولتان وتخططان للحصول عليه، بينما تكون قد وصمت بالعار والتهمة النكراء واحدا من أخلص رجالك؛ ومن ثم فإنى أرى من الأفضل، فى هذه الظروف، العدول عن التفكير فى طرده تعبيرا عن كرم أخلاقك وسعة حلمك، فتكون بذلك قد عملت على إفساد خطة الدولتين فى اصطياد "ياوجيا".

لمـا كانت النصرة لقوات تشين على دولة تشو

أوقعت قوات تشين الهزيمة بدولة تشو فى منطقة جبال" شينغ" وألحقت بجيشها وقائده "طان مين" الهزيمة والدمار التام، ووقع الرعب فى قلب حاكم تشو، فأمر "شاوين" [رئيس وزراء تشو] بأن يصطحب معه الأمير، ولى العهد ويحيطه بعنايته ورعايته الفائقة حتى يوصله إلى تشين حيث يصير رهينة لإقرار وحفظ السلام (بين البلدين) وأراد الملك "أولينغ" حاكم جاو أن يفسد عليه هذه الخطة، فسارع إلى التحالف مع دولة تشين، وأقام علاقات ودية مع دولة سونغ، ولم يتوان عن أن يرسل "تشوهاو" مستشارا (فى خدمة البلاط الحاكم هناك)، كما أرسل " لوهوان" مستشارا لدى دولة تشين.

وتمخض الموقف كله عن.. فشل الملك "هواى" حاكم تشو، فى زرع بذور الشقاق بين دولتى جاو، وسونغ، بالإضافة إلى ذلك، فإن محاولات تصفية الأجواء بين تشى، وتشو، لم تصادف النجاح، وانتهت إلى طريق مسدود.

لما أرسلت دولة تشين فى استدعاء الأمير

أرسلت دولة تشين فى استدعاء «تشون بينهو" [أحد أمراء دولة جاو] (فما أن عبر من الحدود..) حتى قبض عليه، وأمسى رهن الاعتقال، وتكلم فى شأنه واحد من أهل تشين، يدعى "شيجوين"، وذلك بأن قصد إلى [النبيل الأعظم] "أوشينهو"، وقال له: "إن الأمير تشون بينهو، يعد أحب الناس وأقربهم إلى قلب ملك جاو، إلا أن الموكل إليهم أمر خدمته [المرافقون له] يحقدون عليه، وقد امتلأت نفوسهم حسدا ومرارة؛ ومن ثم فقد تواعدوا بينهم بالتآمر ضده، قائلين.."إذا سرنا بسمو الأمير إلى دولة تشين، فلابد أن يلقى به فى غياهب السجن هناك". وهكذا وضعوا خطتهم بحيث تقوده قدماه للوقوع فى أسر دولة تشين.

وباعتقالك له، تصبح ضالعا فى حبك أهم فصل فى المؤامرة التى دبرها مرافقوه، بالإضافة إلى إحداث القطيعة مع دولة جاو. والأفضل (من وجهة نظرى) أن تدع الأمير تشون بينهو يعود إلى بلاده، بينما يمكنك أن تعتقل، بدلا منه، كبير وزراء جاو (المدعو "بيندوهو")، وإذ يعود الأمير إلى وطنه فستغدو له كلمة مسموعة لدى البلاط الحاكم، ولربما تكلم مع المسئولين هناك بشأن إهدائك مساحة من الأرض تعبيرا عن امتنانه لك، من ناحية، ومن ناحية أخرى راجيا منك إطلاق سراح الوزير المعتقل لديك (بيندهو)" فأجابه أوشينهو، بما يفيد اقتناعه بوجهة نظره.

وانتهز الملك فرصة عقد إحدى المآدب الرسمية، فدعا إليها تشون بينهو، وأغدق عليه الكثير من كرم الضيافة واحتفى به للغاية، ثم أطلق له حرية العودة إلى بلاده.

لما تسلمت الملكة الأم زمام السلطة

ما كادت الملكة الأم تتسلم مقاليد السلطة فى دولة جاو، حتى أسرعت دولة تشين بالإغارة على البلاد، فطلبت جاو من دولة تشى المساندة والدعم، فردت هذه بقولها.. "لن نصدر أمرا لأى فرد من قواتنا بالتحرك لمساعدتكم، إلا إذا أرسلتم لنا ولدكم

الأمير" تشانغان" رهينة لحسن الجوار"، ولم تستجب جاو لهذا الشرط، إلا أن السادة الوزراء حاولوا إثناء الملكة عن موقفها وأشاروا عليها بالتراجع وبذلوا فى ذلك غاية جهدهم، حتى تكلمت جلالتها إلى أقرب الوزراء منها مجلسا، وقالت(فى نبرة الواثق، الجرئ، الذى يدرك تماما مايقوله..)" اعلموا جيدا.. أن من سيجرؤ، ثانية، على النصح لى بإرسال الأمير إليهم رهينة لضمان حسن الجوار.. فسأبصق فى وجهه، على رءوس الأشهاد".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

أعرب الوزير الأعظم، المعلم الأكبر [حرفيا: المؤدب الأيسر، أى المؤدب الجالس إلى يسار جلالته، وهو لقب شرفى يمنح لأعظم الوزراء رتبة] "تشولون" عن أمله فى لقاء الملكة الأم، فأجابت – فى ترفع وإباء وغرور شديد – بأنها مستعدة لذلك، ولبثت تنتظر حضوره (فترة ليست بالقصيرة) فلما دخل من بوابة القصر، هرع إلى حيث كانت جالسة فلما مثل أمامها، اعتذر طويلا عن تأخيره، قائلا لجلالتها: "ما كنت لأقدر على الهرولة كى أصل فى الموعد المحدد، بعد أن أصيبت قدمى بالداء الذى أبطأ عنى فرصة اللقاء بجلالتك؛ فلذلك أجد العذر لنفسى فيما بدر منى، وما اضطرنى إلى الإلحاح فى مقابلتك إلا خشيتى على صحتك، ولشد مايقلقنى أن تبادر إلى علمى أن مكروها قد نال من صحتك الغالية"، فردت عليه بقولها: "لكنى على مايرام؛ لأنى أستخدم العربة فى كل تنقلاتى"، فسألها تشولون:" أما كان أجدر بجلالتك الإقلال من طعامك وشرابك؟" فأجابته، قالت: "ماعدت أقرب من الطعام سوى الحساء أتبلغ به مايسد رمقى"، فقال لها:" ماعاد المرء فى هذه الأيام، يجد شهية للأكل أو الشرب، لكنى أرغم نفسى على التجوال يوميا مسافة لاتقل عن ثلاثة أو أربعة "لى"؛ وهو مايفتح شهيتى للطعام مجددا، ويذهب عنى آثار الداء شيئا فشيئا". وهنا قالت له الملكة:"فهذا مالاأقدر عليه البتة"، وعندئذ سكن غضب الملكة وزال عنها ما كان يظلل قسمات وجهها من آثار التبرم والضيق.

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وهنالك قال لها "المؤدب الأيسر" الوزير الأكبر: "لي ولد يدعي شوتشي، وهو حدث صغير السن، ولا تبدو عليه مخايل النجابة، لكنه يملك عليَّ شغاف قلبي، حتى بلغت محبته عندي ما لا يزيد عليه، ولا سيما وقد صرت في سن الكهولة والضعف، ولطالما تمنيت أن ألحقه بسلك الجندية ليصير ضابطا ضمن فرقة الحرس الملكي، فلذلك تجاسرت وتجشمت كل عناء لألتقي بجلالتك وأبلغك بهذا الطلب"، فردت عليه قائلة:" فمادام الأمرهكذا، فلتخبرني كم عمره إذن؟" فأجابها : "خمسة عشر عاما، فمازال لم يشب عن الطوق بعد، لكني أرجو أن أعهد به إلى رعايتكم قبل أن يدركني الموت". فقالت له:" أو يبلغ حب الرجال لأبنائهم إلى هذه الدرجة؟" أجابها: "بل يبلغ أضعاف مايشعر به النساء في هذا المجال"، فضحكت الملكة وقالت له: "قد ظننت أن النساء يتفوقن على الرجال في محبتهن لأولادهن"، فقال المؤدب الأكبر:"كنت أحسب فيما تراءى لي من الظنون أن حب جلالتك لابنتك "يانهو" [زوجة حاكم دولة يان فيما سلف] أشد من حبك لولدك الأمير"تشانغان"! "فردت عليه، قالت: "غير صحيح بالمرة، بل إن حبي لسمو الأمير يفوق كل من سواه"، فقال لها: "أيًا كانت درجة الحب التي يستشعرها الآباء نحو أبنائهم فمبثعها، في كل الأحوال، الأمل في مستقبل آمن وحياة مستقرة، وأحسب أنك، وأنت تودعين ابنتك"يانهو" في يوم عقد قرانها، كنت تقبضين بكلتي يديك على كعوب قدميها وتبكين، لما تتوقعين من طول الفراق بينكما، فهنالك يمتلئ القلب هموما وأحزانا، لكنها بعد أن سافرت بعيدا، وبعد أن ظللت تفكرين فيها وفي مستقبل أيامها، كنت تقدمين النذور والقرابين في أن أمنياتك لها قائلة.".. لتهنأ في بيتها البعيد، فلا ترجع إلى أبدا!" ألم يكن مبعث شعورك هذا الحرص على سعادتها في قادم الأيام، ألم تكوني، في أعماقك، تأملين في أن تسعد بمستقبلها حيث يصير لها الأولاد والأحفاد الذين يكبرون مع الأيام ويعتلون سدة الحكم أجيالا بعد أجيال؟" فأجابته: "بلى، هو ذاك!" فواصل كلامه، قائلا: "فلنعد إلى صفحات التاريخ القديمة لنرجع إلى ما مضى من سيرة آل جاو، منذ ثلاثة أجيال مضت عندما أسسوا أسرة جاو الملكية التي اعتلت عرش البلاد وأورثت أولادها وأحفادها ألقاب التشريف ورتب النبالة،

فهل بقى أحد من ورثة تلك العصور يحمل رتبة النبالة حتى اليوم؟"، فردت الملكة بالنفى القاطع، فعاد يقول لها: "ولندع آل جاو جانبا ونتأمل حال الأسر الملكية الأخرى، التى أسست عروشا حاكمة، وأقامت دويلات وأورثتها لأولادها وأحفادها، فهل بقى أحد منهم إلى اليوم فى رتبة النبالة؟"، فردت عليه الملكة قائلة: "كلا، لم أسمع بشىء من ذلك قط"، فقال لها: "وهل سمعت بأن أحدا من ورثة العروش الحاكمة القديمة - فيما سوى آل جاو - قد ظل يحتفظ برتبة النبالة حتى اليوم؟" فأجابته:"لم يبلغنى خبر ذلك حتى الساعة". فقال لها:"فمرد ذلك، فيما أظن إلى ما لاقاه النبلاء القدامى من محن وكوارث عاجلة أطاحت بهم سراعا أوعقبات كأداء بقيت تؤرق أيامهم سنوات طويلة حتى بلغت آثارها إلى أولادهم وأحفادهم من بعدهم، لكن السؤال الذى يطرح نفسه بشدة، هو هل كان الأبناء والأحفاد جميعا على الدرجة نفسها من الفساد والضعف حتى يلاقوا المصير نفسه؟

كلا، ولكن الأمر ببساطة هو أنهم نالوا من رفيع المكانة والقدر مالاجدارة معه ولا مآثر جليلة، وجرى عليهم من الحظوظ والأموال الوافرة ما لم يبذلوا من أجله غاية الجهد، فحصلوا معه جلائل الأعمال، بل اكتسبوا فاخر المنال وعظيم القدر دونما استحقاق من البذل والسعي والجهد الذى تتأتى معه الإنجازات الجديرة.

وها أنت اليوم تسعين لتعظيم مكانة ولدك تشانغان، فتمنحين له موفور العطاء من الأراضى الواسعة والأموال الطائلة. دون أن تعطيه الفرصة لينال فخر عطائه لوطنه، فيمد إلى بلاده يد البناء والإنجاز. لكن ما الأساس الذى يستطيع أن يستند إليه تشانغان فى الزعم بمجد مؤثل حينما تطلع الدنيا على نهار يوم يأتى بعدك بمائة عام؟

واسمحى لى، يامولاتى، بالقول بأنه ليس من الحكمة أن يكون تدبيرك لأمور ولدك على هذا النحو من قصر النظر؛ فلذلك قلت بأنك تكترثين لابنتك الأميرة "يانهو" أكثر مما تنظرين به لشئون الأمير تشانغان". وهنالك قالت الملكة:"إذن، فسأجعل الأمر لك فى إرساله إلى الجهة التى تراها خيراً له". فما عتم الرجل أن جهز مائة عربة عسكرية وجعل على رأسها الأمير تشانغان، حيث أمره بالتوجه إلى دولة تشى ليبقى هناك رهينة لضمان حسن النوايا. ثم مالبثت قوات تشى أن بادرت إلى التحرك وفاء بالتزاماتها.

الجزء الرابع من الفصل نفسه

أرسلت دولة تشين القائد "وانجيان" على رأس حملة عسكرية لمهاجمة دولة جاو التى بادرت إلى تعيين كل من"ليمو"، و"صماشان" لقيادة الجيش فى عمليات الصمود ومجابهة الاعتداء، وقد استطاع القائد "ليمو" أن يصد جيش تشين ويثخن فيه، بل يبدد شمله ويرده على أعقابه، أكثر من مرة، حتى لقد تجاسرت على قتل أحد القادة الكبار فى جيش تشين ويدعى "هوانى".

ووقعت الكراهية فى قلب وانجيان تجاه ليمو، فراح يكيد له عند ملك جاو، مستغلا فى ذلك علاقته بالوزيرالمقرب من ملك البلاد (ويدعى فوكاى) حيث أغدق عليه المال الوفير، وأقنعه بأن يذهب إلى الملك، ليقول له.."إن القائدين الكبيرين ليمو، وصماشان، يدبران للتآمر مع دولة تشين ضد جاو، مقابل إقطاعات هائلة من الأراضى سيحصلون عليها لقاء تعاونهما معها". فثار الشك فى قلب ملك جاو نحو قائديه ليمو وصماشان، فما كان منه إلا أن أرسل قائدين كبيرين ليحلا محلهما (وهما المدعوان "يان تسوى"، و"جاوسون"، ثم مالبث أن أطاح برأس ليمو، ونفى صماشان بعيدا عن البلاد، فما كادت تنقضى ثلاثة أشهر على ذلك حتى تمكن وانجيان من انتهاز الفرصة لتشديد قبضة هجومه على جاو، بل استطاع أن يغتال قائد الجيش جاوسون، وأن يأسر ملك جاو وقائد جيشه"يان تسوى"؛ مما كان له أكبر الأثر فى القضاء على دولة جاو نهائيا (فلم تقم لها من بعد ذلك، قائمة).

سجل وى الأول

لما تقدم جيبو بطلب إلى أحد كبار رجال الدولة

تقدم جيبو إلى "ويهوان تسى" طالبا منه تسليمه مساحات شاسعة من الأراضى ["ويهوان تسى" أحد رجال أربعة، الآخرون هم عظيم دولة جين وملك جاو، وملك هان قاموا بالقضاء التام على جيبو، ثم قسموا دولة جين فيما بينهم، واعتلى "ويهوان تسى" عرش دولة وى فيما بعد].

فلم يجبه"ويهوان" إلى طلبه، فتكلم معه "رنجانغ" [رئيس وزراء ويهوان] قائلا: "فما الذى يمنعك من أن تجيبه إلى طلبه؟"، فرد عليه قائلا:" ليس هناك مايبرر هذا الطلب بأى حال، فمن ثم رفضت إعطاءه الأرض التى كان يطلبها"، فقال له رنجانغ: "إذا كان صحيحا أنه يطلب منك أرضا دون أية مبررات أو أسباب مفهومة، فهذا كفيل – بحد ذاته – أن يثير خوف وهلع جيرانه، وإذ يشتد نهمه للحصول على الأرض دون أن يقنع بما لديه، فستنطلق دواعى الرعب من مكامنها، حتى يعم الفزع أرجاء الممالك كلها، وهكذا فلو منحته الأرض التى يرجو الحصول عليها فستمد له فى طغيانه وصلفه مما سيجعله أكثر ميلا للطيش والتهور والاستهانة بأعدائه، أما جيرانه الخائفون فسيجتمع شملهم تحت مظلة الرعب الذى يتهددهم جميعا بالانقضاض عليهم، وعندما يتشكل جيش واحد من قوات أولئك الذين اجتمع شملهم وتألفت مشاعرهم تحت رعب واحد، ثم يتجه هذا الجيش الاتحادى لمواجهة ذلك البلد الذى يستهين بأعدائه، فلن يكون فى عمر "جيبو" بقية!

وقد ورد في كتاب "تاريخ آل تشو "مانصه.." مُد يد العون لمن نويت أن تهزمه؛ وإذا أردت أن تحصل من امرئ على شيء غال فلابد أن تبادر أولا إلى أن تغدق عليه بالكثير".

وأرى من الأفضل أن تعطيه الأرض التي طالب بها لكي تزيد في غروره وطيشه، وإن كنت أعجب لك إذ تحول بينه وبين كيد الممالك له والتآمر ضده، فيجعلنا مطيته لتحقيق أغراضه في اقتطاع المزيد من الأراضي!"، فوافقه ويهوان تسي على رأيه واقتنع بمقالته، وتنازل لـ"جيبو" عن محلة كبيرة آهلة بالسكان، ففرح للغاية (واتجه نحو دولة جاو) ليطالبها بتسليم أرض "تصاي" ومنطقة قاويليان، فلما لم تستجب إلى طلبه، قام بتطويق منطقة "جين يانغ" وهنالك أظهر له ("ويهوان تسي" وقانزي، ملك هان)، وجه التآمر والغدر، بينما سلطت عليه دولة جاو – داخل أراضيه – الكثير من العناصر المندسة، فكان في ذلك هلاكه فمات مقتولا.

لما تفاقمت العداوة بين هان وجاو

تفاقمت العداوة بين كل من هان وجاو، فتقدمت هان إلى دولة وي تطلب إمدادها بقوات عسكرية، قائلة: "نرجو إمدادنا ببعض القوات للإغارة على جاو". فرد الملك أونهو [حاكم دولة وي ومؤسسها الأول]، بقوله: "أرجو أن تقبلوا اعتذاري عن تلبية هذا الطلب؛ لما يربطني بملك جاو من صلة رحم؛ فهو أخي الشقيق الذي لايسوغ مطلقا أن أساعد على مهاجمته".

ثم تقدمت جاو، هي الأخرى، إلى دولة وي تطلب مساندتها ببعض القوات لضرب دولة هان، فأجاب الملك أونهو، قائلا: "إن بيني وبين ملك هان علاقة الأخ بأخيه، ويؤسفني عدم إجابتك إلى ماطلبت!" فلما لم يتيسر لوفود الدولتين الحصول على الإمداد اللازم من القوات، رجعا إلى بلديهما، ثم علم الجميع، فيما بعد، أن العرض الأساسي من التصرف الذي اتخذه ملك وي كان يتمثل في رغبته في قيام علاقات سلمية بين بلاده وباقي الأطراف، فمن ثم قصد الجميع إلى قصره وجاءته الوفود وراء الوفود تترى بعضها في إثر بعض.

لمـا قام "بويان" على رأس قوات وى لمهاجمة

قـام بويان قـائدا على رأس حـملة عـسكرية انطلقت من دولة وى لمهـاجـمـة دولة جـونشـان التـى كـانت تعتـقل ولده، وفى تلك الأثناء بلغـه أن ملك جـونشـان ألقى بولده المسـجون فـى مـاء شـديد الغليـان حـتى مـات، بل إنه أرسل إلـى يويان نفسه ببـقايا من المـاء الذى تهرأ فيه جسم ابنه، فشرب من المـاء بل جلس تحت خيمة كبيرة وراح يعب المـاء عبا (دون أن تطرف له عين!).

فـتـحـدث فى ذلك المـلك اونهـو - حكم وى - إلى أحـد رجـاله (ويدعى توسـتـزان) قـائلا: "قـد شـرب يويان من المـاء الذى غمر جـسـد ولده المقتـول وأكل من بقـايا لحـمـه، ومـاأظنه أقدم على هـذا إلا لأجلى!" فـأجـابه الرجل، قـال:"فـإذا كـان قـد أكل لحـم ابنه، أتراه يعـجـز عن أن يلتـهم لحـم النـاس أجـمـعين؟"، وحـدث أن يويان قد تغلب على قـوات جونشـان، فأوقع بهـا الهزيمة، فأثنى عليه المـلك اونهو، وأغـدق عليه الصـلات والمكافـآت، إلا أنه صـار يتوجس منه، ويتشكك كثيرا فى مدى إخلاصه.

لمـا تم تعيين "شيمن باو" محافظا لإقليم "هى"

تم تعيين "شيمن باو" مـحافظا لإقليم "هى" [تنطق كمـا فى"المقاهى"] لكنه اعـتذر إلى المـلك أونهو عن قبـول المنصب، فقال له جلالتـه: "فلتذهب دون إبطاء وإنى لعلى ثقة من أنك سـتقوم بأداء واجبك على خير وجه، فيصـير لك الاسم الشريف والشـهرة الذائعة". فـرد عليه شـيمن باو، قـال: "فـاسـمـح لى أن أسـألك يامـولاى، هل هنـاك وسـيلة ممكنة لإنجاز المهمة الموكـولة إلى؟"، فـأجـابه المـلك، قـال: "نعم فـهذا أمـر فى منتـهى السـهولة؛ فما عليك إلا أن تدعو كبارالقوم إليك فتنتقى من بينهم أعظمهم فضلا وخلقا، فتبذل لهم الاحترام والتبجيل، ثم ابحث عن أولئك الذين يغضون عن محاسن الناس بينما يحرصون على فضح مساوئهم وتجريسهم، فتأمل أحوالهم جميعا؛ فالأمور إذا طمت وتجاوزت أقصى مداها، صارت ظواهرهـا لاتنبئ عن باطنها، وتتناقض خفاياها عن المعلن الصريح منها،

حتى أن المرء لينظر إلى العشب الكثيف فيحسبه شتلات النبات فى أرجاء الحقول، بل قد يبدو الثور ذو اللون الأصفر الداكن، كأنه نمر وحشى . ويتراءى العظم الأبيض، كما لوكان صنوا لعاج الفيل أو ماشابه، ويظهر الحجر الطَّفل للناظر كأنه نوع من حجر اليشب الثمين.. مما يدل بجلاء، على أن المخبر قد يختلف، فى كثير من الأحوال عن المظهر".

لما خرج الملك أونهو فى رحلة صيد

تواعد الملك أونهو مع أحد مسئولى المناطق الجبلية للخروج إلى رحلة صيد، وكان جلالته قد شرب حتى ثمل، وانتابته نوبة من الابتهاج، بينما هطلت السماء مطرا مدرارا، فلما همَّ الملك بالخروج من القصر، تحدث إليه وزراؤه (المرافقون له عن يمينه وشماله) قائلين: "هاأنت قد أسرفت على نفسك فى الشرب، وقد اشتد سقوط المطر، فى الخارج، فأين تريد المسير؟" فأجابهم: "قد تواعدت مع كبير مسئولى المناطق الجبلية على الخروج إلى الصيد، مادمت قد انتشيت من الخمر، فما المانع من الذهاب إلى الموعد المتفق عليه!"، وبالفعل فقد خرج إلى الميعاد المضروب سلفا، لكنه أصيب أثناء الطريق بالإعياء الشديد (لكن، وعلى النقيض مما أصاب الملك من الإجهاد والفتور، كانت..) دولة وى تسير نحو الازدهار بعزيمة متجددة وقوة واعدة.

لما جلس الملك مع مؤدبه يتحادثان

جلس الملك أونهو، حاكم دولة وى، مع مؤدبه "تيان تسى" يشربان كئوس الخمر ويتحدثان عن الموسيقى والغناء، فقال الملك: "أرى أن موسيقى الأجراس لاتصدر أصواتا متآلفة وذلك لما يبدو من أن مجموعة الأجراس التى إلى اليمين تصدردرجات عالية من النغم"، وهنالك ترددت الضحكات فى فم المعلم" تيان تسى"، فسأله الملك مندهشا عن سر ضحكاته، فأجابه: "قد بلغنى، يامولاى، أن الملك الحكيم مرهف الحس يجيد الإنصات إلى صوت المسئولين ورجال الدولة، أما الملك (ثقيل السمع) الذى

أصيبت أذناه بالوقر، فهو الأكثر ولعا بالموسيقى والغناء وأخشى أن تكون رهافة حسك فيما يتصل بشئون الطرب والأغانى، دليل على ماأصاب أذنيك من وقر بخصوص الإدارة والحكم الرشيد"، وعندئذ قال الملك: "فأنا، إذن، إلى علمك وتصحك أشد إصغاء وتبجيلا!".

لما ذهب ملك دولة وى مع رجال الدولة إلى

خرج الملك "أوهو" حاكم وى، مع كبار رجال الدولة، للسباحة فى بحر "شى"، فتحدث جلالته (مزهوا بما يراه من معالم طبيعية) قائلا: "ألا ترون إلى منعة منطقة هيشان وأهمية موقعها، لقد ظننت أنها أشبه ماتكون بمنطقة حدودية ذات أهمية [استراتيجية] فى التخطيط! "فرد عليه"وانصو" (موافقا إياه فى رأيه) قائلا: "فذلك سبب قوة دولة جين، ولابد أن محاولة ترميم واستغلال مزايا هذا الموقع ستعد بمثابة توفيرالشروط الملائمة لبناء صرح أمبراطورية عظيمة"، وهنا، تدخل فى الحوار "أوتشى" قائلا:" إن كلام جلالة الملك على جانب كبير من الخطورة ولو وصل الأمرإلى التخطيط على أساس هذه الأفكار، لكانت تلك هى الطامة الكبرى ومع ذلك فأنت تساير جلالته فى مقولاته وأفكاره، مما يزيد فى احتمالات الخطر ووقوع الكارثة"، فاحتد غضب الملك وثارت ثائرته وهو يردعليه بقوله:"ماذا تقصد بكلامك هذا، أفصح بسرعة عما تريد قوله!"، فأجاب: "أقول لك الحق بأن مناعة منطقة هيشان لا يمكن الاعتماد عليها فى تقدير أية نواح من الأهمية، فأين هذا من الادعاء بتوفير شروط قيام إمبراطورية كبرى.

كانت قومية "سان مياو" تقيم، فيما مضى من الزمان البعيد، بأرض تحدها من الغرب مياه بحار كبرى، من الشرق بحيرة"طون تينغ" بمساحتها الشاسعة، وقد ترامت عند حدودها الجنوبية، وعلى الرغم من هذا كله، فلم يتيسر لها أن تضبط شئونها السيادية؛ إذ تغلب عليها (الإمبراطور الحكيم) "يو" وطردها خارج ذلك الموقع فنزحت إلى إقليم بعيد.

وفى مثال آخر نجد أن دولة (الطاغية) جيه آل شيا كان يحدها من الغرب مضيق "تيان جينغ"، ومن الشرق ضفاف مجرى "تيانشى"، وقد امتدت سلال جبلى "لو" و"قاو" عند حدها الشمالى، وقد تدفقت مياه نهرى"إى" [تنطق كما فيإيران]، و"لو" عند حدودها الجنوبية، وعلى الرغم من كل هذه المزايا التى توفرها ظروف المكان) فلم تنجح فى إقامة حكم رشيد، فغزاها "شانغ طان".

وبالمثل، فقد تميزت دولة – الطاغية – تشوآل يين – بظروف جغرافية ممتازة؛ بحيث كان يحدها من الغرب أحدالممرات المنيعة، ومن الشرق نهرى "جانغ"، و"فو" ويدورحولها – من جهة الجنوب – النهر الأصفر، ويمتد جبل "تايشين" ظهيرا قويا وحاجزا منيعا يصد عنها المخاطر، وعلى الرغم من تلك الشروط (الجغرافية) الرائعة، والمواقع المنيعة، فلم تستطع أن تسوس رعاياها وفق مبادئ سياسية رشيدة مما مهد للملك "أو" حاكم دولة جو أن يغزوها.

(وفوق ذلك كله، وقبله) فقد كنت، يامولاى، نموذجا للحاكم الذى يقترب من أحاسيس شعبه وينصت إلى آراء وزرائه حتى تحقق لك النصر فوق المدائن الكثيرة، التى كانت حصينة الأسوار، مأهولة السكان، ومع ذلك فقد أخضعتها تحت نفوذك وهيبتك، وما كان ذلك ممكنا، إلا) بسبب ما تفشى فى جنباتها من الفساد والسياسة الغاشمة.

وهكذا يتضح، بجلاء، استحالة قيام إمبراطورية عظمى لمجرد توفر مزايا المناعة (الجغرافية) وأفضلية المكان!"

وهنا تكلم الملك أوهو، قائلا: "صدقت فى كل ماذكرت، ولايسعنى، اليوم، بعد أن سمعت مقالتك إلا أن أعهد إليك بالقيام على أمر إقليم (حوض نهر) شى وإدارة شئونه الداخلية".

لمـا كان "قون شوصو" قائداً عاماً

كان "قون شوصو" قائدًا عامًا لقوات دولة وى، وحدث أنه كان على رأس القوات في مـعركتـها مع دولتى هـان، وجاو لدى الضـفـة الشمـالية لنهر كواى، واستطاع أن يأسرالقائد العام لقوات جاو، (ويدعى يوتزو) وهو الحدث الذى ابتـهج له الملك هوى حاكم وى، حتى أنه خرج بنفسـه إلى ظاهر المدينة لاستقبال "قون شـوصـو" وكافأه بجزيل العطاء؛ إذ أهداه ما مساحته مليون "مو" من الأراضى، عطاء خالصا له، يجنى أرباحه ويستصفى غلته الدائمة لنفسه. وهنالك استدار قون شوصو وتراجع قليلا ثم انحنى لجلالته مرتين واعتذر له بقوله: "لم يكن لى من الفضل ما استحق نيل المكافأة عليه؛ ذلك أن الحفاظ على القوات متماسكة، وتامة دون تشتت أو فوضى، والتقدم بها للأمام فى شجاعة وجرأة وملاقاة العدو ببسالة، كل ذلك، هو ماتعلمناه من آثار ودروس "أوتشى"؛ أما التقدم أمام القوات لاستطلاع خصائص الأرض [الطبوغرافيا] ورصد الموانع والعقبات، وتقدير الأحوال بمختلف جوانبها (السلبية والإيجابية) لعمل الاستعداد الدفاعى المطلوب بما يضمن تزويد الجيوش الثلاثة بالثقة ورباطة الجأش، كل ذلك كان مما يذكر الفضل فيه لكل من "بانين"، و"صوانشيان".

وبالنسبة لما تقرر من تأجيل البت فى كل مايتصل بالثواب والعقاب (قبيل الحرب) والعمل على نشر أجواء الثقة والصدق بين الناس (بعد انتهاء الحرب) فهذا مما ينسب إلى براعة أحكامك وخططك السديدة، ولا أرى لى فضل فى شىء سوى أنه بدا لى أن الهجوم على العدو موات، فتقدمت أدق طبول الحرب وأسير بالجند بغير إبطاء. فما الداعى أن تتكرم على بتلك المكافأة الجزيلة؟ أ لأنى لم أتوان عن أداء واجبى؟! أم لأنى قدمت مأثرة عظيمة تستحق مثل هذا التكريم؟ ثم أين هى تلك المأثرة إذا صح التقدير؟"، وهنا رد عليه الملك بما يفيد استحسانه لمقالته.

وبادر جلالته إلى مكافأة أتباع "أوتشى" فأوصى لهم بمائتى ألف "مو" من الأراضى، كما أهدى "بانين"، و"صوانشيان" مائة ألف مو من الأرض (لكل منهما) وتكلم جلالته، قال: "ألا يجدر بنا أن نعد" قونشوصو" واحدا من أكرم الناس خلقا وأعظم الرجال فضلا!

كيف لا، وقد هزم أكبر أعدائي ولم ينس فضل الحكماء ولا خلفائهم، ولم يغض الطرف عن مآثر الرجال والأبطال ولا أنكر مواهبهم وشجاعتهم، فكيف نهمل نصيبه في الفوز بالمكافأة؟" وهكذا فقد أهداه أربعمائة ألف "مو" من الأراضي، بالإضافة إلى ماكان عرضه عليه في بادئ الأمر من الأراضي البالغ مساحتها مليون "مو" فأصبح إجمالي ما أهدى له مليون وأربعمائة ألف مو. وهو الأمر الذي دعا "لاوتسى" إلى القول بأنه..

"لاغنى إلا لمن استغنى،

(فقد يعطي الحكيم بسخاء،

دون أن يمن بالعطاء)

ولا ينال النصيب الأوفى

إلا ذو سابق فضل".

فذلك هو القون شوصو!

لما أصيب القون شوصو بمرض عضال

أصيب القون شوصو بمرض عضال، فذهب إليه الملك هوى حاكم وى، ليعوده في مرضه، وقال له: "قد ألم بك مرض شديد، لاسبيل إلى تجنبه أو الشفاء منه [كناية عن الموت بلفظ لطيف]، فكيف نصنع بشئون البلاد (وأنت على هذه الحال)؟" فأجابه: "لي ولد يدعى" قون صونيان" قد حسنت مشورته وآراؤه فأرجو من جلالتك أن تأخذ بما ينصح لك به، فإذا لم يُقدر لآرائه أن تكون ذات قبول لديك، فلا تدعنه يغادر دولة وى، مهما كانت الأسباب"، لكن ملك وى لم يكن لديه استعداد للوفاء بتلك الوصية؛ إذ ما إن خرج من عنده حتى قال لمن حوله: "انظروا كيف يتحدث رجل عهدنا فيه الحكمة والنجابة (مثل قون شوصو) بمثل هذا الرأي الفطير والنصيحة السخيفة، فكيف نقبل بأن نصغي لآراء ولده في أمور تتصل بإدارة شئون الدولة!" ثم مات قون شوصو،

وأسرع ولده قوصونيان بدفنه، وما أن انتهى من مراسم الدفن حتى سافر غربا تجاه دولة تشين حيث استقبله هناك، شياوكون وولاه منصبا مرموقا، وراحت أحوال تشين تزدهر يوما بعد يوم، بينما تدهورت أوجه الحياة المختلفة في دولة وى، ولم يكن مدار الأمر في ذلك على سخافة إحدى بنات أفكار(الراحل) قون شوصو، بل كان أصل تلك السخافة ومنبتها متعلقا(بأراء) الملك هوى، حاكم وى . والحق أن مبعث الخطورة وأصل الداهية والنكبة السوداء في موضوع السخافة وتهافت الأراء هذا؛ هو ما يعرض المرء أحيانا من التسرع في الحكم على الأمور بالتفاهة والفجاجة، مع أنها أبعد ماتكون عن ذلك.

لما حاول سوتشين الانضمام إلى التحالف

بادر سوتشين إلى الانضمام إلى التحالف الرأسي، باسم دولة جاو، وكان أن حاول الدعوة (لموقفه) لدى ملك دولة وى قائلا له: "إذ نظرنا إلى المعالم الطبيعية التي تتميز بها حدود بلادك، وجدنا أن أرضك يحدها من الجنوب عدد من المجارى المائية، والأقاليم، مثل: ترعة هونغ، وإقليم تشن، وروننان، وبلدة شيو، ويان وكونيان، وشاولين، وأويان، وشين تشي، وفي الشرق يحيط بها نهر"هواي" وسلسة أنهار: إينغ، ونهر "إي"، وإيهوان، وجيتزاو، وهايان، وأوليو؛ وفي الغرب يحيط بحدودها السور العظيم وإلى الشمال تمتد أنهار: خاواى، وجيوان، يان وصوانزاو؛ كما تبلغ مساحة أرضك مامقداره ألف لي مربع، وهكذا فعلى الرغم من أنها (نظريا) تبدو مساحة ضئيلة بعض الشئ؛ فإنه قلما وجدت مساحات لزرع الحشائش أو للرعى بين المنازل والمزارع. بالإضافة إلى العدد الهائل من السكان والدواب والأدوات والعربات، والحركة الدائبة التي لا تهدأ نهار مساء، (والمنظر كله يبدو) كأنه الجيش العرمرم؛ بكتائب جنوده المتعددة، ومشاته وركبانه، حتى أني توصلت، فيما بيني وبين نفسي إلى تقدير عام لمبلغ ماتتسم به بلادك من مزايا، ووجدتها لا تقل عما تملكه دولة تشو من خصائص ومع ذلك فها هم المخططون

السياسيون الداعون إلى التحالف الأفقى [المحور الموالى لدولة تشين] يضعون التصورات أمام جلالتك، لإ قناعك بالدخول فى علاقات دبلوماسية مع تشين (تلك الدولة التى تشبه الذئب فى نهمها والنمر فى وحشيته) وذلك لكى تفرض تشين سطوتها على العالم كله [حرفيا: على الممالك التى تحت السماء] مما أودى بأوطانهم هم أنفسهم، وجلبوا على بلادهم المحن والكوارث التى بقوا هم بعيدا عنها، بمأمن من تبعاتها ونتائجها الوخيمة. ولطالما أوقعوا الرعب والتهديد بقلوب ملوكهم، استنادا إلى ماتتمتع به تشين من قوة ومهابة، مرتكبين – بذلك – أشنع الجرائم وأقبح الآثام (فى حق أوطانهم).

فما بالك والأمر الآن يتعلق بدولة وى، وهى واحدة من أقوى الممالك التى تحت السماء، وعلى رأسها حاكم من أعظم الملوك قاطبة وأكثر الزعماء حكمة وعبقرية. وعلى الرغم من هذا فالرغبة تحدوك فى أن تضع نفسك تحت إمرة دولة تشين، وتصبح مجرد "دولة تابعة لـ تشين عند حدودها الشرقية" وتقتصر جهودك على بناء المقاصير والاستراحات الإمبراطورية الفخمة لملك دولة تشين. وأن تقبل سلطة ونظام التاج الملكى لهذا البلد وتبذل له مراسم وطقوس الفصول الأربعة المقدسة وترفع عند معابده التقدمة والقرابين. وهو مايجعلنى أشعر بالعار والخجل من أجلك.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

"قد قيل، يامولاى، إن الملك قوجيان – حاكم دولة يوى – [حاكم يوى فى أواخر عصر الدول المتحاربة، وهو ابن الملك يونشان (٤٩٧ – ٤٦٥ق.م) وكان قد لقى هزيمة شنعاء على يد دولة"أو"، فخضع لشروطها وجنح للسلم، وبعد سنوات استجمعت دولة يوى قوتها وتغلبت على دولة أو فدحرتها، وصارت في عداد الدول ذات الشأن] استطاع بقوة من أراذل الجند البالغ عددهم ثلاثة آلاف فرد أن يقبض على الملك "فوشاى" حاكم دولة أو، وذلك في موقعة "قانصوى".

كما بلغنى أيضا أن الملك أو حاكم دولة جو كان قد تقدم على رأس جيش قوامه ثلاثة آلاف رجل وثلاثمائة عربة عسكرية وتمكن من أسر الملك (الطاغية) تشو آل شانغ وقتله فى الأحراش. والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن الآن هو هل كان نجاح أولئك الأبطال فى غاراتهم راجعا إلى وفرة أعداد جنودهم؟ إن الأمر المؤكد هو أنهم بذلوا أقصى طاقاتهم فاشتعلت إرادتهم حماسة غامرة فاقتحموا الويلات.

وقد علمت (بطريقة ما) أن لديك مايزيد على مائتى ألف فارس، ومائتى ألف مقاتل (من ذوى العصابات السوداء فوق رءوسهم) ومائتى ألف آخرين من الجنود الشجعان [الاقتحاميين –قُل الصاعقة!] بالإضافة إلى مائة ألف من الجنود المأجورين، وستمائة عربة عسكرية ومن الخيل خمسة آلاف رأس وهو مايفوق، فى مجموعه، قوة كل من الملك أو حاكم جو، والملك قوجيان حاكم يوى.

ومع ذلك فأنت تسير على نهج وزرائك فى العمل على خدمة مصالح دولة تشين، تحت إلحاح تلك الفئة الفاسدة من رجال الدولة ومايروجونه من أفكار. علما بأن العمل على خدمة تشين والاعتراف لها بالطاعة سيؤول بك إلى التنازل عن مساحات من أرضك لتهديها لها، بجانب الهدايا الثمينة والعطايا الكثيرة، وهو مايعنى تبديد مواردك من دون الدخول فى حرب معها، واعلم إنه مامن وزير يطلب منك الاعتراف بطاعة تشين، إلا كانت نواياه منطوية على الغدر.

واعلم أيضا أن أولئك النفر من الوزراء الذين يتنازلون عن أراضى بلادهم سعيا وراء مصالحهم الخاصة مع الدول الأخرى إنما يتبعون أهواءهم الوقتية دون النظر إلى العواقب البعيدة المدى. إن الإضرار بمصالح الوطن سعيا وراء مصلحة ذاتية، والاستناد إلى قوة دولة ذات شأن لدفع الملك الحاكم (فى اتجاه اتخاذ سياسات معينة) بحيث يتم التخلى عن أراضى البلاد لقاء توفير مناخ من الأمان العارض، لهو القضية الكبرى التى أرجو جلالتك مزيد التأمل والتروى فى النظر إليها بمنتهى الدقة.

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وجاء في "كتاب تشو" مانصه:

"حتى أوهن سيقان الخيرازن،

تمتد بطيئا جدا،

تتسحب خفية فتمتد وتطول،

ولن تملك أن تفعل إزاءها أى شيء

إذا ماتجاوزت المدى.

قل ماذا تفعل حينئذ؟

(واعلم أنه) مالم تنزع عن حقلك

شجيرة فاسدة الجذور،

فستطول وتشتد،

ويتصلب منها عود يتحول،

إلى فأس ذى رأس قاطع!

لأن الأمور التى،

تَتَقلَّبْ في سراديب الشك والحيرة،

تنتفض، يوما، لتنقض على الرؤوس،

كارثة داهمة، فادحة الخطر".

فماذا تفعل إذ تطل الكوارث برءوسها؟ لو كنت حقا، يامولاى تريد أن تصيخ السمع لنصح خادمك الأمين [المتكلم بصيغة حرفية!] فاعلم أن التحالف لو قام بين الدول الست التى على المحور الرأسى، واجتمعت كلمتهم جميعا على إرادة رجل واحد،

فلن يبقى للكارثة المحتملة (فى بزوغ نجم تشين) أى وجود؛ وهذا هو الموضوع الذى أوفدتنى إليك من أجله دولتنا [الضئيلة.. حرفيا] دولة جاو؛ لأعرض عليك الخطة المتواضعة، مقرونة بميثاق التحالف، دون لبس أو غموض، والأمر كله معلق بما تصدرونه جلالتكم من قرارات، لجعل مادة التحالف سارية المفعول"، وعندئذ تكلم ملك وى، فقال له: "أعترف بأنى قد غابت عنى الحكمة فى هذه المسألة؛ نظرا لعدم اتصالى بالإرشادات الذكية والنصائح الحكيمة، وبما إنك قد أثرت عندى الوعي بما يطرحه ملك جاو من آراء وقرارات (تنير الطريق وتهدى السبيل) فإنى أعلن الآن، أنه مما يشرفنى بوصفى قائدا لبلادى، أن أنضم إلى التحالف الرأسى".

لما ذهب تشانغى إلى بلاط وى

ذهب تشانغى إلى بلاط دولة وى؛ داعيا حاكم البلاد إلى الدخول فى مجموعة التحالف الأفقى، قائلا له: "تأمل الأحوال العامة لبلادك، فستجد أن مساحة الأرض تكاد لا تبلغ ألف لى مربع، ولايتجاوز عدد جنودك ثلاثمائة ألف مقاتل، أضف إلى ذلك أن خطوط اتصالك مع جيرانك ممهدة، نظرا لطبيعة الأرض السهلية التى تحيط ببلدك من الجهات الأربع، وتبدو الدويلات والإمارات الصغيرة وهى تكتنف حدودك، كأنها أغصان تلتف حول جذع شجرة، أو قضبان تدور حول عجلة دائرية، يتركز اتجاهها نحو نقطة محصورة فى مركز الدوران، هذا فى الوقت الذى تخلو فيه تضاريس الحدود من المناطق الجبلية أو الخطوط النهرية التى تعد بمثابة موانع طبيعية (فى وجه الخطر).

والمسافة بين دولة جنغ وبلادكم لاتزيد على مائة لى، ومن دولة تشن إليها لا تتجاوز المسافة مائتى لى . ولايكاد الماشى أو الراكب يبدأ طريق السفر نحوها، حتى يبلغها قبل أن يدركه التعب . وفى جنوبيها تتجاوز حدودها مع دولة تشو، بينما تكاد تتلاصق، من جهة الغرب مع دولة هان، وفى الشمال يقترب الجوار بشدة مع دولة جاو، أما فى الشرق فلا شىء يفصلها عن دولة تشى . وإذ يصطف الجنود بمحاذاة خطوط الحدود، فى المواقع الدفاعية لحراسة القلاع والحصون القائمة فى تلك المناطق، فسوف

يحتاجون إلى مالايقل عن مائة ألف" طان" من المياه [طان، مكيال صيني قديم يساوى مائة لتر] تصلهم عبر الأنهار بالإضافة إلى ما سينتقل إليهم من الحبوب والمؤن. (وإجمالا) فإن أرض وى كلها تعتبر ميدان قتال فسيح .

ذلك أنكم إذا أردتم التحالف مع تشو في الجنوب، دون أن يستتبع ذلك إقامة تحالف آخر مع دولة تشى، فسوف تبادر هذه إلى مهاجمتكم من الجانب الشرقي؛ وكذلك إذا كان تحالفكم مع تشى، جهة الشرق، قد حال بينكم وبين التحالف مع جاو، فسوف تعمد هذه إلى الإغارة عليكم من الشمال، أما إذا لم يقم التحالف بينكم وبين دولة هان، فسوف تعاجلكم بالحرب من الجهة الغربية. ثم إن عدم التقارب مع تشو يجعلكم عرضة لهجوم وشيك من الجنوب . وتلك الحال هى التى يمكن أن تؤدى بكم إلى مايطلق عليه" التفكك والانهيار الشامل".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وفوق ذلك كله وبالإضافة إليه، فإن الهدف العام الذى يحرك أمراء الدويلات باتجاه الانضمام إلى التحالف الرأسى يتمثل فى السعى إلى تحقيق الاستقرار فى الممالك، وإعلاء سلطة ونفوذ ومهابة القادة والحكام، وتقوية الدفاعات العسكرية وتحقيق المجد والرفعة.

وقيام التحالف الرأسى يتطلب توحيد خطى الدويلات كافة، وترسيخ المشاعر الأخوية والودية بين الأمراء والملوك المؤسسين لاتفاقية الوحدة، والتزامهم بالميثاق الذى يجرى توقيعه عند ضفاف نهر"هوان" بعد أن يذبحوا فرسا أبيض بالقرب من مجرى النهر تعبيرا عن إخلاصهم، وصدق وفائهم لبنود المعاهدة الموقع عليها بين الأطراف جميعا، هذا مع العلم بأنه لايمكن أن يكون النجاح والاستقرار من نصيب المتنازعين حول اقتسام الثروة، الساعين فيما بينهم وبين إخوانهم (أهل البيت الواحد) بالغش والمكر والخديعة، أولئك الذين يتبعون حيلة سوتشين ويتخذون أساليبه نبراسا هاديا .

إن عدم اعترافك بالطاعة، يامولاى الملك العظيم، نحو دولة تشين، معناه أنها ستبادر إلى الهجوم عليك وضربك فى إقليم "خاواى" والاستيلاء على "جيوان"، و"يان"، و"ين" و "صوانزاو"، وقيامها بتهديد دولة "ويه" والاستيلاء على منطقة "جين يانغ"، وهو ما يعنى عجز دولة جاو عن تقديم المساعدة تجاه (المناطق الواقعة فى الجنوب) فإذا لم يتيسر لدولة جاو مساعدة وى الكائنة ناحية الجنوب، فسيتعذر على وى التحالف مع الدولة القائمة فى الشمال، وهنالك ينغلق الطريق أمام قيام التحالف الرأسى، وإذا حدث هذا فسيستحيل على بلادك أن تسلك طريقا تتجنب به منزلقات الوقوع فى الخطر. وستضغط تشين على دولة هان لمهاجمتكم، وهو مالا تملك هان إزاءه أن تعصى أوامر تشين؛ وإذ تتحد إرادة البلدين معا (هان، وتشين) تصبح كارثة ضياع وطنكم قد صارت قاب قوسين أو أدنى، وهو مايثير خوفى وقلقى (لو كنت مكانك).

ولا أجد مخرجا لك من هذا القلق سوى أن تعترف بالطاعة لدولة تشين، وهو ما سيصرف عنك إية محاولات طائشة قد تستهدفك من جانب دولتى تشو، وهان . وإذ ينزاح عنك الخطر الذى تتهددك به هاتان الدولتان، تصفو لك الأيام، وتعيش فى كنف السلام هادئا رخى البال".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

ليست هناك، على وجه الأرض دولة تود تشين لوخربتها ودمرت كيانها كدولة تشو، وليس بين الممالك، كلها، دولة تملك أن توقع بـ"تشو" الخسارة الفادحة وتضعف بنيانها مثل دولة وى . وعلى الرغم مما تحظى به تشو من سمعة عالية، فإن طاقاتها الحقيقية مجرد خواء فارغ من أى مضمون للقوة؛ فهى، وإن كانت تجند فى جيشها العدد الهائل من الأفراد والمقاتلين، فإنها الكثرة الكاذبة، التى تفر من ميدان القتال ساعة الجد، وتقع فى إسار الهزيمة بأسرع من لمح البرق؛ لأنها لا تملك جرأة الاقتحام والظفر. أما قوات دولة وى، فلاشك فى قدرتها على الإقدام والزحف صوب الجنوب واستئصال شأفة دولة تشو فتجنى النصر بعد أن تفتك بـ تشو أشد الفتك وهو ماستلقاه دولة

تشين بالابتهاج؛ باعتبار أن إزاحة أسباب الخطر وإحلال الاستقرار أمر طيب العاقبة. واعلم أن أية خطة أخرى – غير التي أقترحها عليك الساعة – لن تجلب عليك إلا تحركات دولة تشين لمنازلتك، عندئذ، فلن يمكنك، حتى أن تبدى كل الاعتراف والطاعة والإذعان لها".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

ثم إن معظم أولئك الداعين إلى الانضمام إلى محور التحالف الرأسى، يجيدون التشدق بالألفاظ الرنانة والخطب البليغة، لكنهم أبعد الناس موضعا للثقة. وتأمل أحوالهم جيدا، وسترى أنهم يدخلون إلى الأمراء والملوك فيبذلون كل الجهد إقناعهم بآرائهم وما إن يخرجوا من عندهم حتي يقبلوا على ألوان من الترف مما عند الملوك.. فيركبوا عرباتهم. وينغمسوا فى التنعم والترف. وما إن يعقدوا ميثاقا مع دولة من الدويلات، حتى ينقلبوا عائدين إلى أوطانهم وديارهم، فتصير لهم الإقطاعات الهائلة والثروة العظيمة. ولذلك فأينما وليت وجهك وسط الممالك فستجد أولئك الدعاة والخطباء [أصحاب الخطط والنظريات السياسية] مشغولين بإقناع الممالك للانضمام إلى التحالف الرأسى (وهم يبذلون في ذلك جل سعيهم، وتراهم يرفعون أيديهم ويقبضون على الأكف والأيدى ويحدقون بأعينهم تارة، ويعضون على شفاههم تارة أخرى (ويفعلون كل مايمكنهم ..) لإقناع الناس بمزايا التحالف الرأسى. (وفى الحقيقة) فقد استطاعوا أن يأسروا الأمراء بكلماتهم المعسولة فتراهم يسيرون وراء مشوراتهم كأنهم مغمضوا الأعين وهل كان يملك الأمراء إلا أن يستسلموا لأقوالهم وينخدعوا بآرائهم؟

وقد قيل إن أعظم الشرر من أهون الخطر إذا تراكم واستفحل" [حرفيا: إن التراكم المتواصل، حتى لوكان بكميات من ريش العصافير، كفيل بأن يغرق السفينة] ثم إن الحمولة الزائدة حتى لوكانت من أهون الأشياء كفيلة بأن تحطم عجلات العربة. وكلمة تتردد طويلا في كل فم يمكن أن تذيب الحديد، وأقول لك ذلك وأتمنى أن تتأمل الأمر جيدا وتتفحصه مليا".

الجزء الخامس من الفصل نفسه

وهنالك تحدث ملك وى، فقال: "أقر بحماقتي وسوء تدبيري فيما سلف من الخطط، واسمح لي بأن نلقب أنفسنا" بالدولة التابعة لملكة تشين، ولن نتقاعس عن أن نشيد لـ"تشين" القصور والأعتاب الملكية، ويشرفنا أن يتكرم علينا حاكم تشين بالقبعة والزىّ (المعلم بالشارة الرسمية) كي ندخل البلد العظيم ونقدم في معابده قرابين الربيع والخريف، (كذلك يسعدنا) أن نهديكم أرض خاواى".

لما قررت تشي و وى الإغارة على

اتفقت تشي، و وى على الإغارة على دولة تشو، وقامتا بالتنسيق بينهما على ذلك، وكان المقرر في هذا التنسيق المتبادل أن تبعث وى رهينة سلام يدعى طونشين ليقيم في دولة تشي. وحدث أن كانت دولة تشو، هي المتغلبة على تشي، وتقاعست دولة وى عن نجدتها . فثارت، هنالك، ثائرة "تيان بى" [رئيس وزراء تشي] وأوشك، في غضبه، أن يقتل رهينة السلام طونشين. فهب أحد رجال دولة وى (ويدعى "كاني") دفاعا عن الرهينة طونشين قائلا لـ"تيان بى": "إن السبب الرئيسي في إحجام دولة تشو عن التوغل في أرض تشي، حتى بعد أن هزمتها شر هزيمة؛ هو أنها تخشى أن تكون دولة وى في حال الترصد لها عن كثب، وتنتظر حتى يتوغل جيش تشو إلى أعمق نقطة في أراضي تشي، ثم تنقض عليه من الخلف، وهكذا فإن إقدامك على قتل رهينة السلام يعد بمثابة تصريح واضح لدولة تشو المعتدية مفاده أن تشي لم تعد تؤمل في تعاون وى معها. هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى، فيجب أن نتقي غضبة وى لأنها إذا ثارت ثائرة غضبها وتعاونت مع تشو، فسوف تلقى تشي أسوأ العواقب . والأفضل أن تكرم وفادة (الرهينة) طونشين وتجل قدره وتعظم مكانته فلعلك ترجو خيرا، بذلك، من موقف وى تجاهك وتثير حيرة وظنون دولة تشو".

لمـا تم اعتقال سوتشين فى دولة

جرى اعتـقـال سـوتشـين فى دولة وى، وأراد، وهو فى الحبس، أن يـهرب إلى دولة هان، لكنه لم يستطع ذلك بسبب إغلاق وى أبواب المدينة، فأسرعت دولة تشى بإيفاد "سولى" [أخو سوتشين الأصغر] إلى قصر وى (ليتكلم مع جلالة الملك بشأن أخيه المعتقل) وكان أن قال للملك: "أرادت دولة تشى اقتسام أراضى دولة سونغ على أن تقطعها إلى (القون) "جـين يانغ" إلا أن دولة تشين لم تقبل هذه الخطة، ومن المعلوم أن حصول تشين على أراضى دولة سونغ بالإضافة إلى ماتلقاه من عون دولة تشى لها، يعد مفيدا لصالح تشين (فى المقام الأول) ومع ذلك فقد رفضت تشين خطة تشى المعروضة عليها؛ والسبب فى ذلك هو أنها لا تثق فى تشى ولا فى سوتشين. وإذ تلحظ تشين مابين كل من تشى، و وى من عدم التـفـاهـم الذى وصل إلى أسـوأ درجاته فـقـد قـدرت أن تشى لايمكن أن تـخدعـها، ومن ثم فـقـد وثقت تشين بـها؛ وإذ تتـحـد الدولتـان تشى وتشـين ويحصل" جين يانغ" على أراضى سـونغ، فسينشأ وضـع تفقد فيه دولة وى أية نفع يعود عليـها؛ ومن ثم فـالأفضل لكم أن تدعـوا سوتشـين يعود إلى دولة تشى، مما سـيـثـير حفيظة تشين ضد تشـى، فتتعنت معها، وتتعمد إعاقة التفاهم معها، فإذا حل الشقاق بينهـمـا، زالت أسـبـاب القلق العلقة فى كل الأجـــواء، وأمكن غـزو تشى بكل نجـاح، وتتسع أرضك ويمتد ظل نفوذك".

لمـا سافر تشنجن موفدا من قبل

سافر تشنجن [أحد أمـهر الموظفين، عمل ببلاط تشى حينا وحينا آخر بدولة تشين] موفـدا من قـبل دولة تشـــين إلى دولة تشى، ومر فى طــريقـه، وهو مسـافـر، بدولة وى. وفى أثناء ذلك طلب لقاء كونسونيان، فاعتذر الرجل عن مقابلته، فقال تشنجن: "ماجئت إلا لأمور تستحق (اللقاء وتبادل وجهات النظر) فإذا قوبلت بالاعتذار فسأرحل على الفور، ولن أبقى ليوم آخر". فقابله كونسونيان، فقال له تشنجن: "هل تمقت المسائل السياسية؟ لماذا أراك تمرح وتتلذذ بطعامك وشرابك دون أن تتطرق إلى الموضوعات السياسية؟"،

فاجابه: "اعلم أنه ما كان لى أن أقف على تصريف الأمورإلا لماعهد فىَ من فضل وحكمة، فكيف يمكن أن أمقت شـأنا من صميم عملى؟"، فقال له تشنجن: "فلتأذن لى، مادام الأمر كذلك، أن أضع على كاهلك أعباء تصـريف الشئون المتعلقة بسياسات الممالك التى تحت السماء"، فلما سأله محدثه عن كيفية السبيل إلى مايقترحه عليه، أجابه بقوله: "قد قام ملك دولة وى، بإرسال "ليسونغ" [رئيس وزراء وى فيما بعد] على رأس مائة عربة عسكرية، مبعوثا إلى دولة تشو، وأظنك تستطيع أن تدلف إلى تلك العربات فتركبها وتمضى فى طريقك، فتبعث الشكوك فى قلب ملك وى (ثم إذا التقيت بجلالته فعليك أن تقول له: "أنا رجل تربطنى صداقة قديمة بكل من ملك يان و حاكم جاو، وكثيرا ماوجها لى الدعوة لزيارتهما، فوعدتهما بتلبية دعوتهما إذا ما انتهيت من مشاغلى، وهأنذا قد وجدت الوقت المناسب فائذن لى بالسفر للزيارة ولن أبقى هناك طويلا، ولاأظننى أمكث أكثر من بضعة أيام".. ولابد أن جلالته سيوافق على سفرك، وهكذا تتمكن من الانطلاق فى رحلتك الخارجية، بعد أن تذيع على كل الأسماع (بين رجال القصر) أنك ذاهب إلى دولتى يان، وجاو فى مهام عاجلة وأنك تطلب سرعة تجهيز العربات ولوازم السفر".

فوافقه كونسونيان على وجهة نظره، وانطلق إلى ملك وى الذى أجابه إلى طلبه، فسارع على الفور إلى التصريح عن سفره (فى مهام عاجلة) إلى كل من جاو، ويان.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

فلما سمع الأمراء النازلون ضيوفا على دولة وى بهذا الأمر، أرسلوا إلى سادتهم الرسل ليبلغوهم بما نصه: "قد خرج "ليوسونغ" موفدا إلى دولة تشو، على رأس مائة عربة عسكرية، وكذلك سافر كونسونيان إلى يان وجاو، وهو يقود ثلاثين عربة". فلما بلغت تلك الأخبار مسامع ملك تشى، ساوره القلق من أن يسبقه الجميع إلى توطيد علاقاتهم بدولة وى، فأوكل إدارة الشئون السيادية فى بلاده إلى كونسونيان الذى وافق

على تولى أعباء الإدارة السياسية لدولة تشى، وهنالك قام ملك وى بإلغاء التفويض الممنوح له بوصفه مبعوثا خارج البلاد (ليعود إلى منصبه السيادى الأصلى، داخل الوطن) كما بادرت كل من دولتي يان وجاو إلى تسليم مسئولية إدارة شئونهما السياسية إلى يد كونسونيان فلما علم ملك تشو، قال:"لقد سبق أن قام كونسونيان بتوقيع اتفاقية رسمية معى، وهاهى ذى يان وجاو تريدان تكليفه بإدارة شئونهما السياسية واعتقد أنه سيرحب بالتعاون معى، فلا معنى إذن، من تكليفه بالعمل فى خدمتنا". وهكذا فقد أسند كونسونيان مسئولية القيام بأعباء الإدارة السياسية للبلاد، مخالفا بذلك (نصائح) ليسونغ.

وقال ملك وى: "كنت أهملت شأن كونسونيان لما بدا لى من قصوره عن القيام بمسئولية إدارة المهام السياسية العليا، أما وقد أوكلت إليه أربع دول مهمة القيام على شئونها السياسية، فلسوف أدفع إليه بذات التكليف أيضا" . وصار كونسونيان قائما على ضبط شئون الممالك كافة، بل كوفئ، فوق ذلك كله، بالترقى إلى منصب رئيس وزراء دولة وى.

لما فكر تشانغى فى تلويث سمعة

أراد تشانغى الإساءة إلى تشنجن وتشويه صورته أمام ملك وى، قائلا: "مازال يبذل تشنجن كل جهده في خدمة دولة تشو، ويريد زيادة ممتلكاتها من الأراضى، دون أن يبخل فى ذلك بكل غال ونفيس". [وذهب تسوهوا ..] إلى تشنجن وقال له: "إن العلاقة بين تشانغى وملك وى فى أحسن حال، والملك يغدق عليه من حبه وعطفه الكثير، ولا أظنك تستطيع أن تبث فى أذن الملك أى شيء يتعلق به، مهما حاولت، فلن ينصت جلالته إليك، وأرى أن تتخذ من أقواله تكأة تستند إليها فى حديثك مع ملك تشو"، وراقت الفكرة كثيرا لـ"تشنجن"، وأسرع فأوفد إلى ملك تشو من نقل إليه حكاية ماجرى.

لمـا دبر تشانغى مكيدة للإيقاع بالمدعو

أراد تشانغ أن يوقع بالمدعو تشنجن فى مأزق،فأوعزإلى ملك وى باستدعائه لتولى منصب رئيس الوزراء، بحيث يتم القبض عليه وإيداعه السجن فور قدومه. ولما همّ تشنجن بالسفر (تلبية لدعوة الملك له) وقف ولده تشنين فى طريقه يحول بينه وبين الرحيل، قائلا له:" إن الأمور كلها تبدو مسربلة بالغموض، فلابد من الحذر والفطنة واستقصاء المعمّى منها. وقد بلغنى ماقاله"جنشيان" وهو يغادر دولة تشين. إن دولة وى - وقد أزمعت قطع علاقاتها مع كل من تشو، وتشى، فسوف تستقبلك بحفاوة وإكبار. ثم إن أولئك الذين يضمرون لك البغضاء من أهل العاصمة"إينغ" سوف يعملون على إبعادك ودفعك للرحيل عن البلاد وسينصحون لملك تشوأن يزيد عدد العربات المرافقة لك، فإذا مابلغت مشارف دولة سونغ، فتوقف على الطريق دون أن تتقدم خطوة واحدة، ثم ارسل إلى ملك تشى من يبلغه عنك بمانصه.."إن سبب دعوة دولة وى لزيارتها هو رغبتها فى العمل من أجل إفساد التحالف بين تشى وتشو".

(وقد سارت الحوادث على هذا النحو تماما، ثم ..) إن ملك تشى أجابه قائلا:" مادمت لم تذهب إلى دولة وى فمرحبا بك عندنا؛ فنحن نتطلع إلى لقائك، بل إن الواجب يحتم علينا التكرم بالإنعام عليك". ثم إن جلالته ركب عربة"لوخو" وأسرع لاستقبال تشنجن بنفسه.

لمـا غادر تشانغى دولة تشين ذاهبا إلى

غادر تشانغى دولة تشين، ووصل إلى دولة وى، وخف حاكمها لاستقباله، إلا أن كبير الوزراء"تشانشو" تلقاه ونصح له بعدم استقبال تشانغى، فلما لم يستجب الملك لرأيه، نكص عن طريقه، وراح يحاول تقديم النصح له ثانية، بقوله: "أظنك قد سمعت، ياسيدى، بحكاية المحظية التى كانت خادمة للزوجة سيدة البيت، (فكما هو معروف، فى الحكاية)، كانت المرأة لما تقدمت بها السن، وكبر أبناؤها وذبل جمالها، أقدمت على الزواج من

سيد آخر، وهو ما يعني نهاية الشوط (وانقضاء سنى العطاء والخدمة بالنسبة) للخادمة وها أنااذا أعمل فى خدمتك مثل محظية عجوزفى بيت السيد الكبير، الذى هوجلالتك ياسيدى (وبقية المعنى معروف وواضح!)"

وهنالك أحجم الملك عن استقبال تشانغى.

لما فكر تشانغى فى إقامة التحالف بين

فكر تشانغى فى إقامة تحالف بين دولة وى وتشين وهان لمهاجمة كل من تشى وتشو. (وبالمقابل) فقد أزمع هويشى [أحد مواطنى سونغ، تولى فى تلك الفترة رئاسة وزراء دولة وى] عقد تحالف بين وى، وتشى، وتشو (فى مواجهة التحالف المناوئ) مع الالتزام التام بالهدوء دون دفع أى قوات عسكرية (للمواجهة) . وذهب كثيرون إلى بلاط دولة وى فى محاولة للدفاع عن موقف تشانغى، فبادر هويشى إلى لقاء ملك وى، وقال له: "إذا كان الناس ينقسمون إلى فريقين فيما يتصل بالمسائل البسيطة؛ فيقف نصفهم موقف الرفض بينما النصف الآخر يؤيد القرار بالموافقة، فما بالك بالأمور الصعبة والقضايا الكبرى؟

إن عقد التحالف بين وى وتشين وهان لمهاجمة تشى وتشو، واحد من أهم وأخطر القضايا، ومع ذلك فكل وزرائك يرون أن الأمر برمته ممكن وأن وسائله متاحة بلا عوائق.

مع أنه من الواضح والمنطقى جدا ألا يستطيع المرء، فى مثل تلك الأحوال، الجزم بما إذا كان الأمر كذلك، أفليس من الممكن أن يكون مستوى الوزراء ونصيبهم من فنون الحكم والسياسة متماثلا، عند درجة واحدة ثم إنه إذا كانت المشكلة التى تواجهنا تقبل أحد وجهين: إما الحل أو عدمه، فى حين أن مستوى الوزراء وتمكنهم من فنون السياسة عند درجة متماثلة ومتكافئة، فمعنى ذلك أن هناك النصف - تقريبا - من بينهم على درجة من سوء الفهم والوعى المرتبك، ومن ثم يمكننى الاستنتاج بأن أكثر ماأخشاه من تهديد لقرار جلالتكم إنما ينبثق من خطأ التقدير القائم على وجهة النظر [حرفيا: الموعظة] التى يراها ذلك الفريق المرتبك الوعى من الوزراء".

لمـا تولى تشانغى منصب رئيس الوزراء فى

تولى تشـانغـى وظيفة رئيس وزراء دولة وى، وذلك بوصـفـه واحدا من رجـال الدولة (السـابقين) فى دولة تشـين، فاحـتـدم غـضب تشـى وتشـو وأرادتا مـهـاجـمـة وى، وتكلم "يونجيو" [أحد مواطنى دولة وى] مع تشـانغى، فقال له:"ماكانت دولة وى توليك منصب رئيس الوزراء إلا لما تعتقده من تحقيق الاستقرارعلى يديك، ينعم فيه الناس بالأمان أما وقد أطلت مخاطر الحرب حتى بعد أن صارت لك السطوة النافذة وحللت فى المنصب السيادى الذى كـان من المأمول أن تعود به الفـائدة على الأحوال العامـة للبلاد، فـهذا معناه الفشل الذريع للخطة التى وضعتها دولة وى بهذا الشـأن، ولابد أنك ستواجه المخاطر ويحيق بك المكروه إذا ما قدر لدولتى تشى وتشو أن تغزوا دولة وى"، ورد عليه تشانغى، قال:" فما العمل، إذن؟"، فأجابه يونجيو قائلا: "دعنى أفكر فى طريقه تسمح لدولة وى بتجنب خطر غزو الدولتين المذكورتين لأراضيها". ثم تحدث يونجيو إلى حاكمى البلدين تشى وتشـو، قائلا: "هل بلغكما ما اتفق عليه تشـانغى مع حاكم تشين؟" (لقد تحدث تشانغى مع جلالته قائلا له.. "لوأذنت لى، جلالتك بأن أصبح رئيسـا لوزراء وى، فسوف تثور ثائرة الدولتين تشى وتشو وتقدمان – بالتأكيد – على مهاجمة وى، فإذا ماكان النصر حليف وى، فسوف تتعاظم خسارة الدولتين العسكرية، وعندئذ فسوف أحوز ثقة وى وأصبح محل تقديرها البالغ؛ أما إذا كان العكس، وعجزت وى عن تحقيق النصر، فسوف ترتمى عند أقدام دولة تشين وتعترف لها بالطاعة المطلقة وتطلب إليها مساعدتها فى حماية كيانها، بل قد تتنازل لها – على سبيل الترضية والتقرب إليها عن – أجزاء من الأرض، وحينئذ، فقد تفكر دولتا تشى وتشو فى معاودة الهجوم على وى، لكن قوتهما العسكرية ستكون قد تراجعت كثيرا بما لايكفى لمقاومة دولة تشين".

وتلك هى الخطة المتفق عليها سرا، بين تشانغى وملك تشين، وبما أن تشـانغى قد صار الآن رئيسا لوزراء وى التى تريدون مهاجمتها فإنكم، بذلك، تدعمون خطة تشانغى (من حيث لاتدرون) وتجعلونها أكثر ملاءمة بدلا من أن تعملوا على إثبات فشلها، وتضعون تشانغى فى مأزق جسيم". واقتنع حاكما البلدين بالفكرة التى عرضها عليهم الرجل وتراجعا عن الاستعداد الهجومى ضد وى.

لما أراد تشانغى أن يعمل رئيسا لوزراء

أراد تشانغى أن يعمل رئيسا لوزراء البلدين تشين، و وى فى وقت واحد، وهكذا فقد ذهب إلى ملك وى، وقال له:"إننى أتقدم بطلب استخدام قوات تشين لضرب إقليم"سانشوان"، وتستطيع جلالتك أن تنتهز هذه الفرصة لمطالبة دولة هان بتسليمك أرض "نانيان" فتكون تلك هى الضربة القاصمة لدولة هان، التى لاتقوم لها بعد ذلك قائمة أبدا". وعندئذ تحدث "شيان" إلى "جاوشيان" قائلا له: "فيم اعتمادك على دولة تشو فى مساعدة تشانغى على تولى منصب رئيس وزراء دولة وى والذى يمكن أن يحدث، الآن، هو أن دولة هان، وقد تولاها الفزع خشية التفتت والانهيار التام، فسوف تهرع إلى الجنوب تريد مساعدة دولة تشو، ومادام تشانغى يشغل منصب رئيس وزراء البلدين وى وتشين؛ فأنت، بالمثل ياسيدى تستطيع أن تجمع إلى رئاسة وزراء دولة تشو، منصب رئيس الوزراء فى دولة هان".

لما أوشك ملك وى على إسناد منصب

أوشك ملك وى على إسناد منصب رئيس الوزراء إلى تشانغى، وهو مالم يكن فى مصلحة كونسونيان، مما دعا، هذا الأخير، إلى إيفاد شخص من قبله إلى [أحد كبار موظفى الديوان بـ دولة هان (ويدعى القون شو)] ليقول له: "قد استطاع تشانغى أن يقيم التحالف بين تشين ودولة وى، وقد صرح بما نصه.."عندما تقوم دولة وى بمهاجمة نانيان، وتقدم تشين على غزو سانشوان، تكون دولة هان قد أوشكت على السقوط"، ولا غرو أن السبب فيما يجتهد فيه ملك وى من تعظيم مكانة تشانغى، انتزاع المزيد من الأراضى، مما يعنى أن منطقة نانيان بدولة هان مستهدفة بالهجوم.

ولا أدرى ما الذى يمنعك من أن تسند إلىّ المهمة الرسمية التى يشرفنى أن تكون فرصة لإثبات جدارتى؛ بحيث يمكننى – بموجب مايمنحنى المنصب من حق – أن أقوم بفسخ التحالف بين وى وتشين، وهكذا تشرع دولة وى فى الكيد والتآمر ضد تشين،

بل تسارع إلى طرد تشانغى بعيدا عن أراضيها، وتحاول فى الوقت نفسه أن تتود إلى دولة هان وتستميلها لكى تقوم بتعيينى رئيسا لوزرائها"، وفكر" القون شو" في هذا الكلام ورآه مفيدا لدولة هان، ومن ثم فقد أوفد بعضا من المسئولين إلى كونسونيان، الذى اعتبر هذا الحدث مبعثا لشعوره بالفخر والاعتزاز، وتحققت خطته إذ أصبح رئيسا لوزراء دولة وى.

لما وعدت دولة تشو بتسليم

قدمت دولة تشو وعدا بتسليم ست مدن من ممتلكاتها إلى دولة وى، ثم اشتركت معها في الهجوم على دولة تشي، في محاولة لحماية دولة يان. وأرد تشانغى أن يفسد هذا التدبير، فذهب إلى ملك وى، وقال له: "إن دولة تشى تخشى بأس التحالف الثلاثى ولابد أنها ستحاول أن تعيد إلى دولة هان ماسبق أن استولت عليه من أراضيها، وتذعن لدولة تشى بالسمع والطاعة، وهو ماقد يترتب عليه ألا تفي بوعدها الذى قطعته على نفسها لدولة وى بأن تسلمها المدن الست (المتفق عليها)، مما يعد إخفاقا جسيما فيما أعددته من خطة بشأن دولة تشو، بل يُعَدُّ أيضا استعداء لكل من تشي وتشو، واستجلابا لكراهيتها نحوك، وقد تقوم دولة تشى، بعد ذلك، بمهاجمة جاو والاستيلاء على تشوانيو، واستعادة أراضيها المسلوبة، مما يعرض للخطر منطقتى شيو، وطونشيو بل تتمكن تشو من الاستيلاء على "نانيان جيوى"، ثم تتقدم إلى"بيدى" و"شيو"،"ويانلين" مما يزيد الوضع سوءا. بينما لا تزيد حصيلتك (ومن ذلك كله) سوى الفوز بمنطقة" شينقوان"، غير أنه يلزمك، للعبورإلى هذه المنطقة، أن تخضع – على كره منك – لإملاءات كل من دولتى ويه وسونغ، أما إذا فشلت محاولة غزو تشى، فسوف تجد نفسك مضطرا إلى الرحيل إذ ترغمك عليه دولة جاو؛ على عكس الأمر فيما لو نجحت فى عملية اقتحام تشى؛ إذ يصير الحصول على منطقة شينقوان رهنا بما تقرره إرادة كل من دولتى ويه وسونغ".

غير أن ملك وى لم يعمل بهذه النصيحة.

لمـا أرسل تشانغى إلى رئيس وزراء

أرسل تشـانغى إلى "القون تشـويين" [رئيس وزراء هان] يبلغـه بأن ينتـهز فرصـة انتشـار المجاعة فى أرجاء دولة الهان لينصح للملك بضـرورة إمداد منطقـة خـاواى بشـحنات عاجلة من الحبوب. ويبـــدو أن أنباء ذلك وصلت إلى ملك وى فـأوقعت الخـوف فى قلبه، وراح يستفسر من تشانغى عن فحوى الأمر فـأجابه: "إن دولة تشين تريد أن تقـوم بإنقاذ دولة تشى، أما دولة هـــان فتـتطلع إلى الاســـتيلاء على منطقة نانيانغ، وأرى أن الأمر لن يختلف كـثيـــرا إذا ما اشــتركت تشــين مع هـان فى الاســتيلاء على نانيانغ.

هذا من ناحية، أمـا من ناحيـة أخرى فإن هان تراقب تصرفـاتك وتقـوم بتقـدير مـوافقك على ضـوء مايمكن أن يقوم بينك وبين تشـين من عـلاقات ودية، فـإذا لم تقم تلك العلاقـات الودية، فسـوف تبادر دولة هان إلى حسـم الأمر من جانبـها". وعندئذ تأكدت لدى ملك وى الرغبة فى إقامة جسورالود مع دولة تشين، ثم إنه وضـع ثقته فى دولة هان سـعـيا لتقـوية وتوســيع نطـاق نفــوذ دولـــة وى بين المــالك، وإنقــاذ دولـة جـــاو مما تتعرض له، بل إنه أنحى باللائمة على أولئك القادمين من تشو، الذين التقى بهم فى منطقة"بيشيا"، وكانوا قد جاءوا إليه راكبين عربـات البريد ليقصوا عليه طرفا من وقـائع "شـيودى".

وبهـذه الطريقـة، فـقـد زال خطر العـدوان على دولـة تشى وتقلصت عنهـا أيدى الدمـار والتخـريب.

لمـا دقت طبول الحرب

دقت طبول الحرب لتعلن قرب اندلاع القتال فى "شـيوجو"، فذهب كونسونيان إلى ملك وى، وقـال له: "مـا الذى يمنـعــك من أن تمد يد العــون، جـهـارا إلى دولة تشى، حتى تحرص على أن تتحالف سرا مع دولة تشـو؟ اعلم أنه إذا ماقدر لهذين البلدين أن يعتمدا على مساندتك فسوف ينشب القتال بينهما.

وإذ يكون النصر حليف دولة تشى، فسوف تنال وى نصيبا منه؛ لأنها(أى دولة وى) ستتمكن من الحصول على الأراضى الواقعة على مشارف منطقة "فانغ تشين". أما إذا كانت تشو هى المنتصرة على تشى، فسوف تجنى وى معها ثمار النصر أيضا، بمعنى أنها ستكون قد شفت غليلها مما وقع للأمير زيش من القتل غدرا وغيلة.

لما ألحقت تشين الهزيمة بـ"جـو" الشرقية

تمكنت دولة تشين من إلحاق الهزيمة بدولة جو الشرقية، كما دار القتال، كذلك، بينها وبين دولة وى، واستطاعت قوات تشين أن تجهز على قائد جيش وى (المدعو شيهو) وأن تتقدم بخطى منتشية بالانتصار، لتتمركز فى مناطق داخل حدود دولة وى التى أسرعت بإيفاد كونسونيان إلى تشين سعيا للمصالحة، مستخدما – فى ذلك – وسيلة التنازل عن الأراضى، لكنه عبّرعن هذه الرغبة بأسلوب ردىء مبتذل.

فذهب أحدهم إلى ملك وى ليتكلم معه عن لسان "طولو" [أحد مواطنى وى] قائلا لجلالته: "لا أعلم، على وجه اليقين مدى ما يمكن أن تأخذ به تشين من كلمات كونسونيان وإلى أى حد يمكن أن تمضى فى التعديل على مايعرضه عليها، لكن يمكننى أن أقنع ملك تشين بقبول المصالحة مقابل التنازل له عن نصف ماوعد أن يقدمه له كونسونيان من الأراضى". [وكان أن سأله ملك تشين – فيما بعد..] "ما العمل إذن؟" فأجابه، قائلا: "أرى أن توليه أحد المناصب الرفيعة ثم توفده فى بعثة رسمية إلى دولة جاو، على أن تبذل له المكافأة الجزيلة والمال الوفير، وترصد تحركاته وتنقلاته خارج البلاد، ثم تبث فى الأسماع قولا مفاده أنه .."قد بلغنا أن جو الشرقية ودولة وى طلبتا من"طولو" التنازل عن (عدد من) أراضى وى للأمير "فن يانجون" [فى دولة جاو]، وذلك إذعانا وتسليما بمشيئة دولة تشين".

وكان مابين أمير جو الشرقية، وطولو، وفن يانجون، ورانخو ثارات وإحن وصراعات مشحونة بالعداوة والبغضاء؛ وقد أصبح طولو، هو الذى يسعى الآن فى إقرار المصالحة، بينما وقف فن يانجون فى وجه كل محاولة للتنازل عن الأراضى لدولة تشين،

[وكان القصر الحاكم فى تشين يريد للجميع أن ينضوى تحت لواء رانخو..] وإذ تخشى جلالة الملكة (زوجة حاكم تشين) ألا يتبع الجميع خطى رانخو، فستفكر فى طريقة لتخريب الفكرة كلها من أولها إلى آخرها، وذلك بأن تتساهل كثيرا فى مطالبة دولة وى بالتنازل عن الأراضى؛ إذ تطلب منها تسليم مساحات محدودة سعيا لإقرار المصالحة مع جلالة الملك، فيتمهد الطريق للتصالح بين تشين وكل من وى وجو الشرقية.

لما استعد ملك تشى لمقابلة رؤساء الوزارات

استعد ملك تشى للقاء رؤساء وزراء تشو، جاو ويان؛ وذلك فى دولة ويه؛ للاتفاق معهم على نبذ واستبعاد دولة وى (من دائرة تحالفهم) مما أثار فزع الأخيرة خشية أن يتدبروا خطة لمهاجمتها، وأفضى ملك وى بمخاوفه إلى كونسونيان الذى أجابه بقوله: "كل ما أطلبه من جلالتك هو أن تدفع إلى يدى مائة وزنة من الذهب، وسترى بنفسك كيف أفض جمعهم وأخرب اتفاقهم!".

وبالفعل فقد أعد الملك ماطلب ووضع تحت تصرفه عربة محملة بالذهب، وضرب موعدا للقائه بملك تشى فى دولة ويه، وأبلغه بذلك الموعد، وقاد خمسين عربة تجاه دولة ويه والتقى هناك سرا، ببعض من رجال دولة تشى وأعطى مسئولى السفارة المائة مثقال من الذهب، راجيا منهم أن يرتبوا له لقاء مع ملك تشى، ثم إنه تحدد له الموعد وقابل جلالته . وتحدث إليه طويلا وقد امتد لقاءه به فترة من الوقت، حتى حقد عليه رؤساء وزراء الدول الثلاث الآخرين، وقالوا لجلالة الملك:" قد تم الاتفاق مع ثلاثتنا على نبذ دولة وى، فلما جاءك كونسونيان موفدا من قبلها، جلست تتجاذب أطراف الحديث إليه طويلا، ولانرى إلا أنك تتآمر بنا أو تدبر لنا مكيدة ما"، فأجابهم ملك تشى، قال: "ليس فى الأمر شىء، سوى أن ملك وى لما عرف أنى مقيم الآن بدولة ويه، فقد أرسل النبيل كونسونيان لتحيتى، ولم يدر بينى وبينه أية أحاديث سرية".

وثار الشك فى قلوب رجال الدول الثلاث، واهتزت ثقتهم بشأن التحالف معه، فلم تقم لهذا التحالف قائمة.

لمـا أوفد ملك وى رسوله إلى دولة

كان ملك وى قد أوفد كونسونيان إلى دولة تشين سعيا للمصالحة والسلام، فالتقى به "تشيمو هوى" [كبير وزراء جو الشرقية] وشرح له مسألة إقرار المصالحة والسلام، ونصح له قـائلا: " أنصـحك مشـددا بألا تقدم عروضـا بـالتنازل عن كثـير من الأراضى، بمعنى أنه إذا نجـحت مـسـاعيكم فى إقـرار السـلام فسـوف تلقى بلادكم (وى) عظيم الاهتمـام من جانب تشـين (حتى يتـشرف المرء بتمـثيلها فى حضـرة المـلوك) أمـا إذا تعثرت مـحاولات السلام، فلن يستطيع أى فرد كائنا من كان أن يقيم جسـور العلاقة بين وى وتشين".

لمـا تولى كونسونيان قيادة جيش

تولى كونسـونيـان قـيادة قـوات دولة وى، إلا أن العـلاقـة بينه وبين "تيـان شيـو"، ورئيس وزراء وى، لم تكن وديه بأى حـال، وذهـب "جيتس" ليتكلم مـع ملك وى (منافـحا عن كونسـونيان) قائلا: "هل رأيت قط، ياـمولاى، عربة يجرها ثور وحصـان؟ إن عربة مثل هذه لن تتحرك بضـع خطوات حتى تتوقف تماما . أقول هذا لما رأيت من تقديرك لكفاءة كونسـونيان بما يؤهله للعمل قائدا للجيش، لكنك تميل بأذنك، فى الوقت نفسه، إلى آراء رئيس وزرائك وخططه العسكرية؛ فـهذا أمـر لايختلف كثـيرا عما نفـعله إذا أردنا لعربة أن يجرها ثور (متثاقل الخطو) وحصـان (يعدو ركضا) فكلاهمـا قد يتحطم عظامـهما دون أن يفلحا فى إتمام عملهمـا؛ والمعنى هنا أن بلادك هى الخاسـرة بالتـأكيد فى ظل ذلك الوضـع المشار إليه فأرجو من جلالتك مراجعة هذا الأمر جيدا".

سـجـل وى الـثـانـى

لمـا أراد كونسونيان وتيان بان تعبئة القوات

أراد "كونسونيان"، و"تيان بان" أن يقوما على رأس قوات دولتي تشي ووى لمهاجمة دولة جاو، إلا أن حاكمى الدولتين المشار إليهما لم يوافقا على تحريك القوات، مما حدا بـ كونسونيان إلى توجيه الطلب إلى الملك بقوله: "أرجو الموافقة على دفع قوات قوامها خمسون ألف مقاتل، وسنتمكن من غزو جاو فيما لايزيد عن خمسة أشهر". ومن جانبه، فقد علق تيان بان على هذا بقوله: "إن من يقود جيشه إلى مغامرات طائشة دون تقدير للعواقب يعرض بلاده للخطر العاجل، ومن لايحسن تدبر الخطط، يوقع بنفسه في غمار المهالك، إن قولك، ياسيدى، بسهولة احتلال جاو ينطوى على مخاطر آجلة". فأجابه كونسونيان، قائلا: "غاب عنك ذكاؤك أيها السيد، فهذان الحاكمان لا يريدان، أساسا، دفع قواتهما (نحو أى معترك) فإذا أضيف إلى ذلك كلامك عن المخاطر، فسوف يشتد خوفهما، مما يعرض خططنا لعقبات جمة، حتى قبل أن نشرع في مهاجمة جاو، (ولاأرى داعيا الآن لأية انتقادات لنا بالتسرع والاستعجال، مادمنا قد مضينا في الشوط أمدا لا رجوع بعده، فما دامت حالة الحرب قد انعقدت في كل الأجواء، وقامت المواجهة بين الجيوش، وبرز حجم الخطر أمام عينى حاكمى وى وتشى، فلن يجسرا على أن يدعا مقاليد قيادة الجيوش لأحد غيرنا!". فأقر تيان بان بصحة منطقه، ونصح لقادة البلدين بالامتثال لوجهة نظر كونسونيان، وهكذا انعقدت لهما مقاليد السيطرة على جيشى البلدين، وانطلقا على رأس قواتهما (صوب جبهة القتال)، وقبل أن يغادرا بجيشهما المناطق الحدودية، لحق بهما حاكما وى وتشى على رأس قوات إضافية، قررا إرسالها لدعم الجيشين، توقيا لما قد يقع بالقوات من الهزيمة؛ ثم كان النصر حليف الدولتين في حربهما ضد جاو.

لما تكلم كونسونيان مع الملك

تكلم كونسونيان مع ملك وى، فقال له: "قد بذلت غاية الجهد وقدحت زناد الفكر لتوسيع رقعة البلاد التى تستظل بسلطانك، لتوطيد مركزك وإنفاذ رئاستك ونفوذك، ومع ذلك فهذا "تيانشيو" يستغل محاولاتى تلك لتشويه سمعتى والنيل منى، وأنت تنصت له وتصدقه؛ مما يفت فى عضدى ويحرمنى ثمرة الإنجاز والنجاح، فإما أن تصرفه فأقوم أنا بواجب طاعتك وخدمتك، أو تستبقيه فأذهب أنا، ولن ترى وجهى ثانية"، فرد عليه الملك، قال: "أما عرفت أن تيانشيو من أقرب وزرائى وأعزهم إلى! أفإن وجدت منه ضغينة أو مساسا بمصلحتك، قمت إليه، فأخذت بعنقه وقتلته أو طردته ونفيته بعيدا؟ ثم إنى لا أجد فى إقصائه خدمة لأى غرض من أغراضى مع باقى الممالك، ولا أرى فى وجوده (أى مشكلة يمكن أن تنال من قيمة) وزرائى! وعلى أية حال، فلأجل خاطرك سأطلب إليه أن ينأى بنفسه عن شئونك وألا يتدخل فى أمر من أمورك. فإذا بدا منه عكس ذلك فسأقتله أو أنفيه بعيدا، فهل هذا يرضيك؟"، فأومأ كونسونيان برأسه راضيا موافقا، وتوجه إلى الشرق والتقى بـ "تيان بى" [لقب آخر لـ"شوكون" وكان قائما بأعمال دولة تشى وقتئذ] وعقد معه اتفاقا كان من نتائجه أن قام باستدعاء "أونزى" وولاه منصب رئيس وزراء وى، أما (كونسونيان، هو نفسه) فقد اختار أن يعمل رئيسا لوزراء دولة هان.

لما ذهب سوادى إلى ملك وى

ذهب سوادى لمقابلة ملك وى ليحدثه باسم تيانشيو، قائلا: "أرجو أن تأذن لى، جلالة الملك بسؤالك عمن ترى "تيانون" قائما على خدمته بهمة وعزم أكبر، أهى دولة وى أم دولة تشى؟"، فأجابه الملك: "أرى أن عمله فى خدمة تشى أجل وأعظم مما يؤديه لـ"دولة وى" من خدمات"، (وعاد الرجل يسأل الملك، قائلا): "وأى البلدين يستأثر بعزم كونسونيان، وهمته دولة وى أم دولة هان؟"، فأجابه: "إنها دولة هان، هى التى تستأثر بجده أكثر من غيرها"، وهنالك قال له سوداى: "سيقترب كونسونيان كثيرا من دولة هان مبتعدا عن وى، أما تيانون فسيقترب من تشى وينأى بنفسه عن أى علاقة مع دولة وى.

واسمح لى بأن أقول لك: إن هذين الرجلين سيستفيدان من مكانة بلادك فى مشروعاتهما السياسية وسط الممالك، وسيغنمان من ذلك كبير النفع، ولن يمكنهما اتخاذ موقف الحياد، وهو أمر لا أظنك قد سمعت به أو جاءك به خبر من الأخبار، وإذ أتأمل أحوال بلادك، فأستطيع القول بأنك تستطيع، وعلى الرغم مما يعترى أحوال بلدك من ضعف عام، أن تنضم إلى محور التحالف الرأسى والأفضل لكم (فى هذه الحال) أن تستبقى إلى جوارك تيانشيو، ولك أن تتأمل حال هذين الرجلين وتراقب تصرفاتهما بدقة، وسيقولان لك (أحدهما بعد الآخر): "إن تيانشيو ليس شريكى ولا تربطنى به علاقة، وإذا ما أتيت أمرا حائدا عن جادة الصواب، بعيدا عما فيه مصلحة الوطن، فلن يتوانى تيانشيو عن انتقادى والتشهير بى أمام جلالتك!"

ومع ذلك فالأمر المؤكد هو أن الرجلين كليهما لن يجسرا على اقتراف أى عمل أو سلوك خائن، وأيا ماكان من تصرفاتهما - وسواء عاد بالخير أم بالشر على دولة وى، فالأفضل لمصلحة البلاد - فى كل الأحوال إبقاء تيانشيو إلى جانبك ومراقبة تصرفات كلا الرجلين". ووافق ملك وى على هذا الرأى، (واستدعى) تيانشيو وأبقاه جانبه.

لما ذكر كونسونيان بسوء أمام الملك

كان (المدعو) "شيجيو" قد انتقد كونسونيان بشدة وعابه فى حضرة ملك وى، فأراد كونسونيان أن يدبر له مكيدة توقع به فى داهية، فتحدث إلى تشانغى، قائلا: ائذن لى أن أطلب إلى ملك وى أن يقوم بإسناد شئون الدولة إليك، فإذا ماتحدث معك بالطريقة التى تحدث بها الأباطرة القديسون القدماء" ياو"، و"شون"، فليس عليك إلا أن تتصرف (بالطريقة التى تصرف بها"شويو" [ذلك الحكيم الفاضل، فى الأساطير القديمة، الذى رفض المناصب الحكومية المرموقة، ليعيش زاهدا متفرغا للعلم والتنسك فى أحد الجبال] وهكذا، فسوف أرجوه أن يهديك محلة أهلة بالسكان [بدلا من المنصب]. "ففرح تشانغى، وأوعز إلى شيجيو بالتردد على كونسونيان، فلما عرف الملك بذلك، تبددت ثقته بكلامه، وأسرع شيجيو بمغادرة دولة وى على الفور، دون حتى أن يقوم بواجب التوديع (المعهود).

لمـا قام ملك تشو بمهاجمة إقليم

قام ملك تشو بمهاجمة جنوب إقليم "طاليان"، فانتهزت دولة هان الفرصة وقامت بحصار منطقة تشاينغ [من أرض دولة وى] وعندئذ، ذهب"تشنهوى" [أحد مواطنى وى] لمقابلة ملك هان، وكلمه (عن لسان) كونسونيان، قائلا: "إن اشتدادك فى مهاجمة منطقة تشيانغ سيدفع دولة تشو لتوسيع مدى هجومها بالدرجة التى تعجز معها دولة وى عن الصمود، مما يضطرها إلى الانحناء [حرفيا] أمام شروط تشو، فيتعاظم خطرهذه الأخيرة؛ لذلك فالأفضل أن تدع منطقة تشيانغ وشأنها (على الأقل فى الأمد المتطور)، وعندما يلوح لدولة وى انتهاء الخطر المحدق بها من جانب وى، فلابد أنها ستحسم الحرب بينها وبين تشو، فإذا لم يكن النصر حليفها فلن يمكنها الاحتفاظ بـ"تشيانغ"؟ (لا أظنها تقدر على صد هجومك، ثانية، ضد تشيانغ، إذا مابدا لك ذلك) أما إذا كانت هى المنتصرة على تشو، فلابد أن قواتها ستكون قد بلغت من الإنهاك مبلغا يحول دون صد هجومك على أرض تشيانغ فتغزوها بكل يسر".

لمـا توفى الملك هوى حاكم وى

توفى الملك هوى حاكم وى، وتم تحديد ميعاد الجنازة، غير أن الثلوج تساقطت بغزارة وتراكمت حتى بلغت مستوى "عيون الثيران التى تجر العربات" [هكذا حرفيا، ويقول المحقق أن بالنص الأصلى خطأ أو تحريف، وصححته، حتى بلغت مدة سقوط الثلج "نصف شهر"] فتهدمت أجزاء من سور المدينة، وصدر الأمر ببناء درب خشبى معلق؛ لتشيع جنازة الملك فوقه وانهالت على الأمير النصائح من كل صوب، تقول له:" أما وقد بلغ سقوط الجليد هذه الدرجة، فسينظر العامة إلى تشيع الجنازة بعين السخط والتذمر، بل ربما قصرت التكاليف الرسمية دون توفير المصاريف اللازمة، فالمرجو تغيير الميعاد المضروب أو تأجيله"، ورد الأمير [ملك شيانغ فيما بعد] بقوله: "ليس من المقبول أبدا، بوصفى ولد الملك الراحل أن أحول دون إتمام الجنازة سواء بسبب ماقد يصيب الناس من إرهاق أم لما يتعلق بالنفقات المطلوبة، ولست أريد أن يكلمنى أحد فى هذا الموضوع، مرة ثانية".

فأحجم عامة الوزراء عن مفاتحة سموه فى هذا الشأن، وتحدثوا فى ذلك مع كونسونيان، الذى رد عليهم قائلا: "ليس عندى شىء مما يجدر النصح به فى هذا الموقف، ولا أجد أفضل من هويشى، هو وحـده الذى يستطيع أن ينجز هذه المهمة، فعليكم به!" فلما ذهبوا وكلموه أبدى موافقته واستعداده.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

ثم إنه ركب عربة وأسرع إلى سمو الأمير، وقال له:" لابد أنك حددت ميعاد الجنازة، هذا أمر مفروغ منه بالطبع!"، فلما رد عليه الأمير بالإيجاب، قال له:" كانت رفات الملك جيلى، فيما مضى من الزمان [الملك "جيلى" هو والد الملك أون أشهر حكام دولة جو] قد دفنت فى طرف ناء من جبل تشو، وحدث أن المياه تسربت إلى تابوت الدفن، فتعرى جزء من قائم التابوت، وهنالك قال الملك أون.." هو ذا جلالة الملك الراحل يريد أن يخرج إلى وزرائه وشعبه، والعلامة الصادقة على هذا هوأنه ترك سيل المياه ينفذ إلى تابوته المدفون". ومن ثم فقد أخرج الصندوق الذى به الرفات وأعاده إلى القصر ونصب فوقه خيمة كبيرة، فوفدت إليه الناس زرافات ووحدانا، وبعد ثلاثة أيام أقام له مراسم دفن (للمرة الثانية) أخرى، وكان ذلك من جملة ما اتصف به الملك أون من الفضائل العظيمة". ولئن كنت قد حددت موعد الجنازة، فقد انهمرت الثلوج بكثافة لا مثيل لها، حتى بلغت درجة كبيرة وأمدا طويلا، يتعذر معه خروج الناس من بيوتهم، ولابد أن السبب القوى الذى يدفعك إلى التعجيل بالدفن هو الأجل المضروب للجنازة، أليس كذلك؟ إن ما أرجوه منك ياسمو الأمير، أن تضرب موعدا آخر للدفن، بل إنى واثق من أن جلالة الملك الراحل تحدوه الرغبة فى البقاء بيننا عدة أيام يتمكن خلالها من "تقديم الولاء المقدس" لآلهة الزرع والأوطان"؛ ويسكن جزع شعبه الذى فجع بوفاته؛ ولهذه الأسباب مجتمعه، فقد تعمد أن يرسل علينا كل تلك الثلوج، فلعلك تأمر بتأجيل موعد الدفن متعللا بهذا السبب، ولتكن هذه واحدة من "فضائلك الكبرى"، ولا بد أن امتناعك عن تأجيل الدفن، هو فى حد ذاته إشارة واضحة إلى رفضك أن تأتى بتقليد

فى الفضائل الكريمة سبقك إليه الملك أون! وهنا أبدى الأمير موافقته التامة. نزولا على رأى كونسونيان، طالبا منه تأجيل موعد الجنازة، واختيار يوم آخر غير مشؤوم الطالع"، ولم يكتف هويشى بإلقاء الموعظة وحض الأمير على هذا السلوك بالقول فقط، بل إنه قام وسط الناس، أثناء مراسم الدفن، وتكلم على رؤوس الأشهاد مشيرا إلى تلك الأخلاق الكريمة التى تحلى بها الملك أون (فى وقت محنة) فهل يمكن أن تكون مثل هذه الإشارة إلى خصال وفضائل الملك أون، على مرأى ومسمع من أهل الممالك كافة.. مسألة بسيطة، هل تمر مرور الكرام دون أن تسجل فى قيد المآثر العظيمة؟

لما قامت الدول الخمس بمهاجمة تشين

قامت الدول الخمس بالإغارة على تشين [كانت خمس دول، هى: يان وتشى ووى وجاو - هان، قد قامت مجتمعه، عام ٢٨٧ ق. م، بالهجوم ضد تشين، وارتدت خائبة] فلما لم تحرز نصرا، عادت أدراجها، ثم حاولت دولة تشى، فيما بعد، الهجوم على سونغ، فأوقفتها تشين وصدتها عن ذلك، فأرسلت دولة تشى، من جانبها المبعوث "سونقو" فى زيارة إلى تشين طالبا منها التحالف معها لمهاجمة دولة سونغ، وأبدى ملك تشين موافقته، وهنا وقع الفزع فى قلب دولة وى، لما رأته من تحالف تشين وتشى وأرادت إجراء مصالحة سلمية مع تشين. (وبهذا الخصوص، فقد تكلم سوتشين مع ملك وى، قائلا له:)"بلغنى إن ملك تشين قال لـ"سونقو".. "إن من يقوم بضرب وتحطيم القوة الجبارة لدولة سونغ واقتسام أراضيها هى الدول الست مجتمعه، بينما أن دولتين اثنتين ستستغلان فرصة ضعف دولة سونغ وتقتسمان مع جلالة الملك مصالحه فيها، وهما وى وتشو. فائذن لنا بألا نقف فى وجه تشو إذا أرادت مهاجمة وى، وساعتئذ فيمكن لجلالة الملك أن يفوز وحده بدولة سونغ، غنيمة سائغة له وإذ يقوم جلالته بمهاجمة سونغ، فلابد له من أن يضع اليد القاسية مع اليد الرحيمة [هكذا حرفيا، بمعنى أن يستخدم كل والوسائل المتاحة له، سواء كانت عنيفة أم لينة]. إن الظهور على سونغ (وكسر شوكتها) يستحق توظيف كل الوسائل بما فى ذلك تحقيرها والنيل من

كرامتها، وهو ما يعد مشروعا تماما، ولايدخل فى باب "الجرم أو الأثم الذى لا يغتفر"، بل إن القضاء على تلك الدولة قضاء مبرما وإزالتها من الوجود، لايعد من قبيل البغض أو الشحناء. هذا ولا ينبغي لجلالة الملك المعظم أن يدخل في محاولات تصالح سلمى مع سونغ بهدف اقتطاع المزيد من أراضيها، فقد تم الحصول على مايكفى، ولم يعد يبقى سوى تعبئة الجيش لمهاجمتها؛ فالأمل فى إفنائها معقود بدولة تشى..".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

"فلما سمعت هذه الكلمات، أحسست، بين جوانحي بالحزن والأسى، لأجل الملك، ثم إن من المؤكد أن دولة تشين سوف تلجأ إلى نفس الوسيلة فى معاملاتها مع جلالته، ولابد أنها ستوقع به في مأزق لاخروج منها إلا بالتنازل لها عن بعض أراضيه، حتى بعد أن تحصل منه على مايكفيها من الأرض، فلن تتوانى عن اللجوء إلى القوة لمهاجمته. ثم إنها يمكن – بالتأكيد – أن تميل إلى السلم والمصالحة مع جلالة الملك، بحيث تقنعه باستصغار شأن دولة تشى، حتى إذا فسد التحالف بين وى وتشى، راحت تتودد إلى هذه الأخيرة لكى تساعدها فى ابتزاز جلالته.

وقد سبق لدولة تشين أن جربت هذه الخطة السياسية مع دولة تشو، بل جربتها أيضــا مع دولة هان. ومن ثم فأرجو جلالته أن ينظر إلى هذه المسألة بعين التأمل والاعتبار؛ ذلك أن ما تبديه تشين نحو دولة وى من نوايا ودية مازال أمراً يحوطه الغموض والترقب، وهو مايحدونى إلى القلق والظنون خشية مايمكن أن يصيب جلالته من مكروه، وأرى أن أنجح سياسة، هى الهجوم على تشين – هذا فى المقام الأول – أما فى المقام الثانى، فتأتى سياسة القطيعة مع تشين، وفي البند الثالث تقع سياسة توثيق الارتباط مع مجموعة دول التحالف مع التظاهر الشكلي بالحرص على علاقات السلام والمصالحة مع تشين، دون الدخول فى عداوات مع باقى الدول. واعلم أنه لايمكن الحفاظ على البلاد بمنأى عن الخطر مادام التحالف قائما بين تشى وتشين، فاصغ جيدا لما أنصحك به، وحذار من أن تقوم بالمصالحة مع تشين.

الجزء الثالث من الفصل نفسه

"مما لاشك فيه أن دولة تشين ذات قوة وسطوة جبارة وهو مايفهمه جيدا واحد مثل ويرانغ، تماما مثلما يفهم أيضا باقى أحوال الممالك، وهكذا فهو - وعلى الرغم مما يحاوله من إلحاق الضرر بدولة تشين (خدمة لكم) - فإنه لايستطيع ولا حتى يجرؤ على أن يجاهر بسياسته تلك. وأنت قد تسمع صوتا يصدرعن الممالك ينطلق بالدعوة إلى مهاجمة دولة تشين، ثم يترامى إلى سمعك أيضا، وفى الوقت ذاته، أن آخرين اجتمعوا سرا (بأطراف من الممالك) ونصحوا بالتريث معلنين خشيتهم من التآمر ضد تشين، وإذا لاح لهم أن الممالك توشك أن تنقض على تشين لتفتك بها، بادروا إلى نكث عهدهم وميثاقهم مع دول التحالف ولينأوا بأنفسهم عن الانخراط مع الآخرين فيما هم مقدمون عليه. واعلم كذلك أنه إذا ماتداعت الممالك إلى مقاطعة تشين، فسيقولون [أولئك الذين أحدثك عنهم] بأنهم مضطرون إلى الانصياع رغم أنفهم. وإذا ما بدا لهم أنه لم يعد بيد الممالك أية حيلة، ويادروا إلى خيانة عهدهم معها، ونظروا إلى تشين بوصفها الحليف الأول الذى يمكن أن يحفظ عليهم كيانهم أو يحتموا هم بظلاله، فكيف يمكن لجلالته أن يستعين بهؤلاء على دفع الخطر عن نفسه، وهم الذين يستثمرون خيانتهم له أفضل استثمار [يعدون خيانتهم له هى رأس مالهم الوافر].

اعلم أنه لابد لمن يدفعون الخطر عنك من أن يعتمدوا ثلاث خطط سياسية، على أن تكون الخطة الأولى منها هى الواجبة والمفروضة قبل أى اعتبار، فإذا لم يتسن لهم ذلك، لجأوا إلى الخطة الوسطى، وإلا اضطروا إلى الأخذ بالأدنى، فإذا لم تكن أدنى خطة ممكنة التنفيذ؛ فسيفعلون ما بوسعهم لتوضيح موقفهم من أن مصيرهم غير مرتبط بمصير تشين، وبالتالى فسيقدمون على الإضرار بها، مهما كانت النتائج، ويدركون تمام الإدراك أن استقرار أحوالهم منوط بدرء الخطر عن دولة وى [حرفيا: دون الوقوف موقف المتفرج عليها].

ولا يمكنني، بأي حال، أن أدعوك إلى نبذ ميثاق التحالف سعيا للتصالح مع تشين، درءا للمخاطر وتجنبا للويلات؛ وذلك لأني لا أعرف على وجه اليقين مدى ملاءمة هذه السياسة، فهل يمكنني ذلك حقا؟! فمادام الأمرعلى هذا النحو الذى شرحت لك، فلست أرجو إلا مزيد النظر والاعتبار والتامل".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

"إن يان وتشى دولتان متعاديتان؛ وتربطهما مع تشين علاقات ودية وأخوية، فاذهب وحاول أن تدعوهما إلى التحالف معا - على الرغم مما بينهما من البغضاء والعداوة - لضرب تشين (التي تربطها بدولة يان علاقة مصاهرة - حيث تزوج أمير يان ابنة ملك تشين - أكثر مماهي علاقة أخوية) وستجد أن الأمر أصعب مما تظن.

لقد قام (فيما مضى من الزمان البعيد) الإمبراطور الأعظم بشن حملة عسكرية ضد منطقة الأحراش في "جوالو" ومع ذلك فلم تنتفض قوات"رونغ الغربية" لمقاومته؛ وكذلك قام الإمبراطورالحكيم"يو" [كما تنطق في "الفيوم"] بمهاجمة قبائل "مياو" الثلاث، دون أن يثور ضده أهالي"إي" [كما تنطق في" إيلات"]. (وهكذا فـ) محاولة تأليب يان ضد دولة تشين، مسألة في غاية الصعوبة، بالدرجة التي يتعذر، حتى على إمبراطور الزمان نفسه أن يجد إليها وسيلة، وكل ما أستطيعه هو أن أحض جيش يان على الخروج للقتال، ثم أقوم من جانب آخر بدعوة قوات تشى على الخروج لملاقاته. كما أني أعمل مافي وسعي للاعتراف بطاعة المسئولين في سانجين، وأعمل بإخلاص في خدمة كل من"فنغ يانجون"، "منغ شانجون"، "هانمين"، و"جوتسوى" و "هانشيو" وأعرف لنفسي مكاني خلفهما. وقد بادرت إلى قطع كل علاقة تربطني بدولة تشين لئلا تساور المسئولين أية هواجس بشأن الوقوف في وجه تلك الدولة. بل كنت أنا أول من دعا أمراء الدويلات إلى حرق وثائق معاهداتهم واتفاقاتهم مع تشين، وكنت أنا أيضا الذي جدد تلك الدعوة بين الجميع، ثم إني دعوتهم، كذلك، إلى دولة تشين. يومئذ لم يتفق معي في الرأي سوى فنغ يانجون، وهانشيو؛ أما "صوشيو" و"جويي" [مبعوثا دولة تشو] فقد بقيا، سرا، في هاندان، ولم اكتف بذلك، بل حاولت أن أحث ملك تشى على المضي

قدما فى طريق مناهضة نفوذ تشين، وذلك بمحاولة تخريب الاتفاق القائم بين سونقو ودولة تشين.

إلا أن كلمة الأمراء اتفقت حول مصالحة تشين، ثم أرسلوا "صوشيو" ليذيع ما توصلوا إليه من رأى موحد، واعتبروا أن دولة تشى أفضل حليف لهم، وطالبوا بدفع قوات لمهاجمة دولة وى، واحتد الاختلاف بيننا، وصار الصراع معهم داميا. ثم ترامت إلينا، من الغرب، أنباء، بواسطة صوشيو، تفيد بعدم إقدام تشى على مهاجمة وى. (وفى كل تلك الحلقات والفصول من الصراع الكبير) فلم أكن - بالطبع - أجهل قوة ونفوذ تشين، لكنى لم أذهب إلى ذلك المدى إلا لأجلك أنت".

لما كانت العلاقة ودية جدا بين ثلاثة

جرى الود مجراه بين كل من "تيانون"، "تيانشيو"، "جوشياو"، وأرادوا أن يحملوا كونسونيان أوزار كل شيء، وهو ما أثار خشيته وقلقه، فذهب إلى ملك وى، وقال له: "إن مبعث القلق كله ينصب على دولة تشى، وأعرف أن حاكمها يميل بأذنه إلى كل كلمة يقولها له "تيانبى"، ولئن كنت تريد حقا، يامولاى، أن تستحوز على دولة تشى، فلماذا لا تعجل فى استدعاء تيانون لتسند إليه منصب رئيس الوزراء؟ فهو الرجل الوحيد القادر على أن يجعل تشى كلها تقوم على خدمتك وتصبح كالخاتم بين أصابعك". فرد عليه الملك، قائلا: "أوافقك تماما على ذلك!" وأرسل فى استدعاء تيانون وكلفه بالعمل رئيسا لوزرائه، ومن ثم استطاع كونسونيان أن يفرض سيطرته التامة على تيانون، بل باعد بينه وبين كل من تيانشيو وجوشياو.

لما أوفد ملك وى رئيس وزرائه

أمر ملك وى رئيس وزرائه هويشى [من مواطنى دولة سونغ، كان وقتذاك رئيسا لوزراء وى] بالتوجه إلى دولة تشو، وأوفد كونسونيان إلى دولة تشى، وكان عدد العربات المرافقة للرجلين فى بعثتيهما متساويا تماما، وكان الغرض الأساسى من ذلك هو

قياس مدى صدق ما تبديه الدولتان من روح ودية نحو دولة وى، وهكذا فقد أرسل هويشي (من طرفه) مبعوثا إلى دولة تشو، ليصرح للجميع، هنالك، قائلا: "قد أمر ملك وى كونسونيان بالتوجه إلى تشى مثلما أصدر أمره إلى هويشي بالمجئ إليكم فى تشو، وأعطى كل واحد منهما عددا متساويا من العربات، ورغبة من جلالته في استجلاء موقف البلدين الودى واتجه إلى مشارف العاصمة ليكون، بنفسه، في استقبال هويشي".

لما قام ملك وى بتعبئة الجيش

قام الملك هوى، حاكم دولة وى بتجنيد الأهالى فى جيش كثيف، وجعل على رأس القوات ولده الأمير "شن"، قائدا عاما وأمره بالتوجه لقتال دولة تشى . وكان أن أحد الغرباء القادمين من خارج البلاد ذهب إلى الأستاذ "القون تسيلى"، وقال له: "ما الذى منعك من أن تنصح لسيدك "القون" بأن يهرع إلى زوجة الملك ويرفع صوته عاليا بالبكاء (حتى يؤجج مشاعر اللوعة عندها، لعلها تمنع ولدها الأمير من السفر فى تلك المهمة؟ فإذا تكللت المهمة بالنجاح وحيل بين الأمير والذهاب إلى القتال، كان ذلك منه صنيعا ومعروفا يذكر بالخير، أما إذا كانت الأخرى، فربما تقلد زمام الحكم وصار ملكا فوق البلاد؛ فالأمير مازال شابا حدثا، لاعهد له بالحرب والقتال بينما كان "تيانيان" – أمير جيش دولة تشى – قائدا محنكا ذا بأس وتجربة طويلة فى ساحات الوغى، (هذا، فى الوقت الذى كانت دولة تشى تستفيد من خبرة رجل بارز فى فن الحرب؛ فقد كان سون تسى، خبيرا أيضا فى أمور المعارك وفنونها [الإشارة الحقيقية، هنا – إلى سون بين – تلميذ سون تسى – وثانى أشهر رواد فن الحرب، قديما!] ولاأظن أن النصر حليف سموه لو خرج إلى القتال، بل قد يسقط فى الأسر،إذا ماحلت به الهزيمة، فليسرع القون إلى جلالة الملك الأعظم وليتشبث برأيه عنده . فإذا ما أخذ جلالته بوجهة نظره، فسيصله الملك بكثير من سخائه وأفضاله، أما إذا مضى الشوط إلى

آخره (ودخل الأمير بقواته ساحة الحرب..) فهو خاسر لا محالة، وعندئذ. فلابد أن القون سيحل محله أميرا شرعيا [يخلف الملك على العرش وقت وفاته] ومعنى هذا أنه سيرتقى عرش البلاد، ملكا بكل صولجانه وهيبته فى الغد القريب".

لما اشتبكت دولة تشى مع وى فى موقعة

وقع الاشتباك بين دولتى وى وتشى فى موقعة "مالينغ"، وأنزلت تشى بغريمتها هزيمة نكراء، قتل فيها سمو الأمير"شن" أمير دولة وى، وهلك فيها مائة ألف فرد من جيشها، وعندئذ قام ملك وى باستدعاء هويشى، وأبلغه قائلا: "إن تشى هى عدوتى اللدود، والبغضاء – كالحياة والموت – لاتنسى مع الأيام، مهما طالت، وعلى الرغم ما عليه بلادنا من صغر المساحة (وقلة الموارد) فلطالما حلمت بأن أعبئ جيشا مهولا وأنطلق به نحو تشى فأدكها دكا، فما رأيك فى هذه الفكرة؟" فأجابه هويشى، قال: "هذا ليس من الصواب فى شيء، وقد بلغنى إنه قيل.. "لايؤتى الرياسة إلا ذو التقدير الصائب والمنطق السديد، كما أنه لايؤتى الملك إلا ذو فهم بالخطط المحكمة والتخطيط الواعى السليم، وماقد سمعته منك، الآن، يخلو من أى تقدير صائب أو تخطيط بصير. وقد كنت وقعت فى اللدد والخصومة مع دولة جاو، بادئ ذى بدء، ثم أشعلت فتيل الحرب مع تشى، بعد ذلك، دون أن تترك خلفك قوات دفاعية تحمى المقدمة التى سارت إلى جبهات القتال، ها أنت تريد أن تهجم بكامل قواتك على تشى، وهى خطة لا أنصح بها؛ فإذا كنت تريد أن تثأر لنفسك من تشى حقا، فالأفضل أن تبادرعلى الفور بتغيير ملابسك الملكية ثم ترتدى زيا بسيطا، (وتطأطئ بعض الشيء لحكم الظروف) وتتجه نحو دولة تشى لزيارة بلاطها الحاكم، وهو ماسيشعل الغضب فى قلب حاكم تشو. ثم ابعث إلى تشى وتشو من يسعى بكل وسيلة لإثارة الشحناء بينهما، فتقدم تشو على غزو تشى، وإذ تتكالب دولة قوية جبارة مثل تشو على تشى الضعيفة المتهافتة، فالنصر حليفها بكل تأكيد، بينما يعود الفضل فى تحطيم تشى، أساسا، إلى تدبيرك أنت وتخطيطك السديد".

فوافق ملك وى على هذا الاقتراح وأرسل إلى دولة تشى يبلغها برغبته فى الاعتراف لها بالطاعة والاحترام، فرد عليه "تيانبى"، بالموافقة والترحيب، وهنـــاك تكلم جانشو، قائلا: "هذا لايصح أبدا؛ إذ لو كان ملك وى جاء إلينا اعترافا بالطاعة لنا، قبل أن يقوم القتال بيننا وبينه،(لكان الأمر قد اختلف كثيرا، لأنه كان من الممكن حينئذ أن نتحالف معه ونقوم بإخضاع تشو تحت سيطرتنا، مما يمكن أن يعد انتصارا عظيما ونجاحا باهرا لنا. أما الآن وقدألحقنا الهزيمة بدولة وى وكبدناها خسائر فادحة فى القوات (مائة ألف قتيل) وأوقعنا فى الأسر بأميرالبلاد [هكذا، حرفيا، برغم ماذكر فى أول النص من أنه جرى قتل الأمير أثناء المعارك!!] وكسرنا شوكة ذلك البلدالذى كان يباهى بامتلاكه عشرة آلاف عربة عسكرية، واستصغرنا شأن دولتى تشين وتشو، فلا يمكن أن يسير الأمر على النحو المقترح .. وإلا فسيتعاظم إحساسه بالغطرسة ويزيد فى جبروته، هذا بالإضافة إلى مايتسم به سلوك ملك تشو من الجرى وراء الشهرة، والولع بالدخول فى المناوشات القتالية، وهكذا فلابد أن نعمل على أن تكون دولة تشو هذه، هى التى تحطم صلف وغرور وغطرسة تشى وتصبح نكبتها النكباء".

لما أراد هويشى إرساء العلاقات بين

أراد هويشى أن يوطد العلاقات بين دولتى هان و وى؛ فأرسل الأمير "مينغ" [ولد الملك هوى حاكم وى] رهينة سلام إلى دولة تشى، ولما أبدى الملك رغبته فى مقابلة ولده قبل مغادرته، تكلم"جوتسان" [كبير وزراء وى] مع جلالته قائلا: "لا أدرى لماذا لا تدعى أنك مريض، ثم ترسلنى إلى تيانبى فى محاولة للتأثيرعليه، حيث أقول له.."بلغ ملك وى من السن عتيا، واعتلت صحته للغاية، فدع الأمير يرجع إليه، فيشكر لك هذا الفضل بكل امتنان، وإلا فربما اضطرت دولة تشو أن تعيد إلى جلالته "القون" [النبيل]: "قاو" المقيم لديها فيحل محل الأمير الغائب؛ مما يعنى أن تحتفظ تشى لديها بأمير رهينة (ليس له أدنى اعتبار أو قيمة) تمسكا بأسباب غير إنسانية".

لمـا نال تيانشيو حظوة لدى المـلك

نال تيانشـيو حظوة لدى ملك وى، فكلمـه هويشي، قائلا: "لابد أن تعـامل حـاشية المـلك بأحسن وجوه المعاملة، انظر إلى شجرة الحور تلك القائمة هناك، وتأمل كيف أنك إذا غرست سيقانها أفقيا فسوف تنمو، وإذا قلبت ساقها وغرسته رأسا على عقب فسوف ينمو ويزدهر، وإذا نزعت عن السـاق بعض الأغصـان، فسيصلح للزرع والإنبات أيضـا، إن شجرة حور يزرعـها عشرة أفراد، يستطيع فرد واحد أن يقتلعها، فلا يعود ثمة شيء يصلح للإنبات.

وهكذا يصيـر من السـهل جدا أن تفسد شـجرة قابلة للنماء على يد رجل واحد، حتى لو قام على تعـهدها بالغرس عشرة رجـال. أمـا دريت لمـاذا؟ هذا أمر واضـح جدا، باعتبار أن الاقتـلاع أيسر من الغرس! فتـأمل ذلك واعلم أن مـانلته من حظوة وثقة لدى المـلك شبيه بما حدثتك عنه؛ إذ تجـد غرسـا صـالحا لدى رجل واحد، بينمـا يترصد بك كثيرون لاقتلاعك، فاحذر فإنما قد بلغت مشارف الخطر".

لمـا قضى تيانشيو نحبه

مـات تيـانشيو وحدث أنه لمـا التقى جـاويو [رئيس وزراء دولة تشو] مع سـوادى، قـال له: "قد مـات تيانشيو، وأخشى أن يتولى أحد الرجـال الثـلاثة: (تشـانغى أو شوكون، أو كونسونيـان) رئاسـة وزراء دولة وى" فـأجابه:" فمن، إذن، تراه الأنسب لهذا المنصب [بالأحرى: من تراه الأكثر نفعا والأجدى لك!] فقال: "أريان يقوم أمير دولة وى بمهام رئيس الوزراء" فقال له سوادى: "فـائذن لى أن أقابل ملك وى وسأبذل جهدى كى يتولى سمو الأمير هذا المنصب". فسـأله جاويو عن الوسيلة التى سيتمكن بها من تحقيق هذا الغرض، فأجابه سوادى، قائلا: "أرى أنك تتقدم بالاقتراح الذى تنطلق فيه مما تراه مفيدا لجلالة ملك وى، فاسمح لى بأن أنقل لجلالته هذا المعنى (عن لسانك) "فرد عليه جاويو،

قال: "لكن أخبرنى كيف ستفعل هذا!" فأجابه: "سأقول له أنى قادم من دولة تشو حيث التقيت بـ"جاوبو" الذى بدا عليه القلق الشديد، فلما سألته عن السبب فى إحساسه هذا، أجابنى بقوله.. "قد مات تيانشيو، وأخشى أن يتولى رئاسة الوزارة واحد من بين ثلاثة: تشانغى، أو شوكون، أو كونسونيان، فقلت له: "لاداعى للقلق، فجلالة الملك قد بلغ من الحكمة والتجربة مبلغا يحول بينه وبين تعين تشانغى فى هذا المنصب؛ لأنه لو صار رئيسا لوزراء دولة وى؛ فسوف ينحاز إلى جانب تشين، مبتعدا عما فى صالح دولة وى؛ أما إذا تولى هذا الموقع شوكون، فسوف يقترب من تشى أكثر مما ينبغى، مما يباعد بينه وبين وى؛ فإذا حدث أن قام كونسونيان على رئاسة الوزراء فسوف يعمل على محاباة دولة هان مغضيا النظر عما فى مصلحة وى. ولابد أن جلالتك، بما عجمت السنون من عودك ولقنتك الأيام من الحكمة، لن تقدم على تعيين أى واحد منهم رئيسا للوزراء".. ثم أردف هذا بأن أقول له..": والأفضل أن تسند هذا المنصب لسمو الأمير. ولا يخفى عن جلالتكم أن ثلاثة الرجال الذين ذكرت لك يرون أن سموه يجب أن يبقى بعيدا عن رئاسة الوزراء، بل إنهم مستعدون لعمل أى شىء فى طاقاتهم، متوسلين فى سبيل خدمتك والوقوع منك موقع الرضا بما تبديه بلادهم نحوهم من اعتراف بالطاعة والإكبار لمكانتك (وسط الممالك) وكل مايطمحون إليه هو الحصول على خاتم السلطة الوزارية العليا.

ولا شك أنه مما يبعث على الارتياح والشعور بالاستقرارأن تبلغ مكانة دولة وى هذه الدرجة من المهابة والنفوذ بحيث تخطب ودها وتعترف لها بالطاعة ثلاث دول تملك الواحدة منها مامقداره عشرة آلاف عربة عسكرية؛ لهذا كله أرى أن التصرف الأمثل هو أن يسند منصب رئيس الوزراء إلى سمو الأمير".

ثم إن سودواى قام وسافر صوب الشمال لمقابلة ملك وى، وقال لجلالته كل ما كان قد أعده من الكلمات آنفة الذكر، وبالفعل فقد تولى أمير وى منصب رئيس الوزراء.

لما أرسل ملك تشين فى استدعاء رئيس وزراء

أرسل ملك تشين فى استدعاء "شينان جون" رئيس وزراء دولة وى، فتردد فى الاستجابة إلى طلبه والذهاب إليه، فسارع سوداى إلى لقاء ملك تشين منافحا عن الرجل، قائلا لجلالته: "قد بلغنى، ياسيدى، أنه ليس شرطا أن ينضوى المخلصون لك فى حزبك وشيعتك، كما أنه ليس من المؤكد تماما أن يكون الموالون لك هم أصدق المخلصين، وسأحاول فيما يلى أن أوضح لجلالتكم وجهة نظرى المتواضعة وإن كنت أخشى ألا أكون مخلصا لموظفى القصر وعمال جلالتك الذين يأتمرون بأمرك، فأجلب على نفسى عقوبة الإعدام فيطاح بعنقى وتزهق روحى؛ ولذلك أرجو أن تتثبت من هذا الأمر وتسبر غوره جيدا. ولنعد الآن إلى النقطة الجوهرية فى موضوعنا فأنت قد أرسلت إلى دولة وى من يتولى شئون تصريف المهام الحكومية بها، حرصا على توطيد العلاقات بين بلديكما، ومع ذلك فلا أجد ثمة أمل فى تقوية جسور هذه العلاقة أصلا، وهو مايثير قلقى الشديد. هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فإذا كنت ترمى من وراء توطيد علاقاتك الخارجية مع باقى الدويلات إلى كبح جماح دولة جاو، فأخشى ألا تصيب غرضك فى هذا، بل ستتقوى دولة جاو، وتبلغ أقصى درجات الصلابة والغطرسة.

إن مايوليه ملك وى لرئيس الوزراء "شينان جون" من حب وعطف قد بلغ مالايزيد عليه، وقد اعتاد جلالته ان يختار ذوى الكفاءة والموهبة للمناصب الرفيعة ويغدق عليهم الصلات الكريمة، ومن الواضح أن فخامته يخشى بل يفزع مما يمكن أن تحظى به بلادكم من الاحترام والتبجيل، ثم إنك إذا أرسلت إلى دولة وى من لن يحظى بأى اعتبار أو لايؤبه بما يحوزه من كفاءة واقتدار، فأنت تسعى فيما لاطائل وراءه؛ أما إذا حظى مبعوثك هناك بالاهتمام اللائق، وتم تعيينه فى المنصب الجديد به، فسيكون منطلق دولة وى فى ذلك، قائما على أساس الخشية من مكانتكم وليس الحب أو الود الصادق، وهذا كله سيصب فى المحصلة النهائية فى جملة الأسباب الداعية إلى شعور ملك وى بمزيد القلق.

ولا أتصور أن من السهل على "شينان جون" أن يتحول عن مهمة الإشراف على سياسة بلد يملك عشرة آلاف عربة عسكرية (مهما كانت الأسباب) مثلما أتصور أيضا أنه من المستحيل أن تستمر طويلا سياسة مؤادها أن تتسبب في قلق مقيم لدى قادة وملوك البلدان، أو أن تضع قيودا على حركة وعمل وتصرف رجال الدولة في أي مكان؛ ولهذا كله أشعر بالقلق المتزايد على مستقبل العلاقات مع دولة وي (ويبدو لي من المستحيل أن تقوم تلك العلاقة أصلا!).

وبالإضافة إلى هذا كله، فإذا حدث أن انصرف شينان جون عن تسيير دفة السياسة في دولة وي، فلابد أن خبراء التخطيط في جاو سيقولون (فيما بينهم).. "هاهي ذي دولة تشين تمسك بزمام الموقف كله، فتنحي شينان جون عن منصبه (في وي) ولابد أنها ستعمل، في المستقبل، على أن ترسل إلينا المقربين من حاشية الملك ليتولوا شئون الحكم في بلادنا، وهذا معناه القضاء علينا جميعا (باسم الإبقاء على مصالح جاو) فيكون استقرار الأحوال مرهون بزلزلة كياننا".

وهو أمر من شأنه أن يوقظ في رجال الحكم والمتنفذين روح الصراع والقتال في ساحة اشتباك مع أعداء أجانب، ويزكي في نفوس الشعب [حرفيا: الناس في المرتبة الأدنى] حماس الدفاع عن أرض الوطن، فمن ثم انتابني الإحساس بالقلق، لأن تلك الحال كفيلة بأن تعمل على إعلاء كوامن القوة في دولة جاو، فتتعاظم طاقاتها للغاية.

الجزء الثاني من الفصل نفسه

"ولئن كنت تريد الحفاظ على علاقات (دبلوماسية) مع دولة وي، دون أن تثير كوامن النزوات الطائشة في نفس دولة جاو، فليس أفضل من أن تجعل شينان جون عاملا من عمالك الذين يبذلون جهدهم في خدمتك، مستفيدا من الشهرة التي أصابها (بموقعه كرئيس للوزراء) ومن سامق مكانته، أما إذا بدا أنه يعصى جلالة الملك، فسوف يطل الخطر برأسه من داخل دولة وي، مما يقلل من سلطاته التي يقبض عليها بيديه، أما إذا أبقيت له سلطاته ونفوذه فسيمكنك أن تجعله خادمك الذي لايستعصي عليه أمر.

وماكان المتنفذون [حرفيا: الذين فى المرتبة العليا] يثابرون على خدمة ملوكهم إلا لتبيان آيات الإخلاص، وما سعى العامة [حرفيا: الذين فى المرتبة السفلى] سعيا إلا كسبا لمغنم وفير ومكافأة جزيلة . وما أظن شينان جون إلا باذلا جهد طاقته فى خدمة جلالته، وهو ما سيدفع رجال دولة جاو إلى القول بما نصه.." قد تحاذينا فى المكانة وتساوينا فى الجلال مع أهالى دولة وى، فما زادت ثمار أراضيهم عما تغله أراضينا، ثم هاهو ذا شينان جون يسعى فى خدمة ملك تشين، حتى أغدق عليه الصلات وأنعم عليه بالمودة والقربى، فاستمتعت وى برغد العيش والاستقرار، وبلغ شينان جون المكانة العالية الشريفة . فمالنا قد عقدنا عقدة البغضاء والعداوة مع تشين، حتى صارت جنودنا أهدافا حية لرماتها، وتردت أحوال بلادنا فى حال مزرية من الضعف والخطر، فما نظن تلك إلا سياسة حمقاء من جانبنا؛ حيث القتال والشحناء على الحدود، والكوارث المدلهمة فى الداخل، حتى أوقعنا بأنفسنا فى المأزق، فلايمكن أن تكون تلك طريقة حكيمة فى معالجة الشئون السياسية . ومن ثم يشعرون ببالغ الأسف لما بدر منهم فيما سلف من الزمان، ويطمحون لنيل فرصة أفضل ومغنم أمثل، وعندئذ فلابد أنهم سيعرضون التنازل عن أجزاء من أراضيهم ترضية لجلالتك، حيث تأتيك الوفود تترى لتنازل عن المزيد فالمزيد وأنت قاعد مكانك تنظر [حرفيا: وأنت عاقد كفيك، مسبل إزارك] فيما لم يكن ممكنا للإمبراطورين الحكيمين [حرفيا: الصالحين] "ياو"، "شون" أن ينعما به من السطوة والنفوذ والجلال، وكل ما أرجوه من جلالتك التأمل والتثبت بدقة وإمعان فيما قلت".

لما قامت تشين وتشو بمهاجمة

قامت تشين وتشو بمهاجمة دولة وى، وحاصرتا محلة بيشى [من أعمال دولة وى]، فذهب من يُكَلِّم ملك تشو (عن لسان ملك وى) قائلا له: "ستتغلب كل من تشين وتشو على دولة وى، وهذا حاكمها قد تولاه الفزع من اندحار بلاده، ولابد أنه سيذعن بالطاعة لدولة تشين، فلماذا لا تغادر معسكر تشين (وتخرج عن حلفها) لتسارع إلى مصالحة مع وى؟ ولابد أن حاكمها سيبادر – فى غمرة سعادته – إلى تسليمك ولده الأمير؛

رهينة سلام بأرضك فإذا خشيت دولة تشين من فقدانها التحالف معك، فلابد أن تتنازل عن المحلات والأراضى، فلو اضطرت حينئذ إلى معاودة ضرب دولة وى بالاشتراك مع تشين فسيمكنك ذلك بكل سهولة"، وهنالك اقتنع ملك تشو بتلك الخطة، وخرق اتفاقه مع تشين ليجرى مصالحة سلمية مع وى، وقامت هذه – بالفعل – بإرسال أميرها ليبقى رهينة سلام فى أرضه، وعندئذ استولى الفزع على قلب تشين، ووعدت بإعطاء تشو الكثير من الأراضى والقرى (على سبيل الترضية) على أمل أن تعاود الكرة مع صاحبتها فى ضرب وى . وثار غضب "تشوليجى" وأراد أن يتحالف مع وى لضرب تشو، إلا أنه قدر أن وى ربما خافت عاقبة ما يمكن أن يصيب أميرها المقيم هناك، فأحجمت عن المشاركة فى القتال، وهنا فقد ذهب إلى ملك تشو من خاطبه (بالنيابة عن تشوليجى) قائلا:" إن تشوليجى خادمك المطيع وراء الحدود، قد أرسلنى لمقابلة جلالتك لكى أبلغك بما نصه.."إن مليكنا يود لو كان بإمكانه أن يهديكم الأراضى والبلاد [المدن الصغيرة] إلا أن الشىء الوحيد الذى يعوقه عن هذا هو بقاء أمير البلاد رهينة سلام بيد دولة تشو، فإذا أطلقتم أمير دولة وى من عندكم، فائذن لى بأن أعرض عليكم قبول تنازلنا لكم عن أجزاء من الأراضى والمحلات الكثيرة، تمهيدا لاستعادة سابق العلاقات الودية بين تشين وتشو، عسى أن نشدد قبضتنا معا فى الهجوم على وى".. فوافق ملك تشو على هذا الرأى وأعاد أمير وى إلى بلاده . وعندئذ قام التحالف الفورى بين تشين ودولة وى لمهاجمة تشو.

لما تقرر إرسال أمير البلاد ومرافقه إلى

تقررإرسال "بان تسون" مع أمير دولة وى إلى دولة جاو ليبقيا هناك رهينتى سلام، فالتقى بملك وى، قال له: "ماذا لوجاءك رجل وقال لك، يامولاى، إن بالمدينة نمراً يجوب أسواقها، هل كنت تصدقه؟" فلما رد عليه الملك بالنفى، قال له: "فماذا لو كان اثنان من الناس قالا لك أن النمر يجوب السوق؟ أكنت تصدقهما؟" فأجابه: "كنت أميل إلى الشك قليلا".. فماذا لو كان الذى أبلغك بذلك ثلاثة أفراد؟" وهنالك أجابه ملك وى

بقوله: "نعم كنت سأصدق بالتأكيد!" فقال له بان تسون: "مع أن أسواق المدينة كانت خالية تماما من آثار أي نمر عابر في الطرقات، إلا أن مقولة ثلاثة أفراد، مؤكدة لوجود النمر، أوحت بما يشبه الحقيقة . والآن فقد آن لنا آن نعرف بأن مابين هاندان وطاليان أبعد كثيرا (عن التصديق) مما هو مأثور عن حكاية السوق هذه، ومع ذلك فإن الذين يجادلونني في هذا الموضوع يزيدون كثيرا عن ثلاثة أشخاص، فأرجو من جلالتك تأمل هذه المسألة بعمق!"، فرد عليه الملك، قال: "(على رسلك..) فأنا أستطيع أن أميز بين الحق والباطل (وأهتدى إلى الحقيقة في هذا الشأن)".

وهكذا فقد ودعه بان تسون وانطلق في طريق السفر، ثم ما لبثت الوشايات أن ترامت من كل صوب إلى أسماع ملك وى، مما عرقل إرسال أمير البلاد ليبقى في الخارج رهينة سلام، وهكذا فلم يقدر لـ بان تسون أن يحظى باستدعاء الملك لمشاورته.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

أقام ملك وى لأصحاب الفخامة أمراء وملوك الدويلات حفل أنخاب كبير فى "فانطاى"، فلما دارت الكؤوس ولعبت الخمر بالرؤوس طلب جلالته إلى القون [النبيل] أمير دولة لو أن يمزج الخمر ويرفع الكأس، فصدع الرجل بالأمر وقام واقفا وانتحى بعيدا عن مكانه وتخير مما جاءت به قريحته كلمات مناسبة، حيث قال: "كانت ابنة الأباطرة القديسين [إشارة إلى "ياو"، "شون"] قد أرسلت "آيدى" ليصنع خمرا، فلما جاءها بشىء منه وجدته أحلى الخمر وأشهى الشراب.. فقدمت منه إلى الملك "يو" الذى وجده سائغا، عذب المنهل، فآثر الابتعاد عن (الصانع) "أيدى"، وأقسم ألا يقرب خمرا صافى الشراب (مثل ماقدم له آنفا)، قائلا.. "سيأتى بعدنا من يضيعون بلادهم لقاء كئوس مترعة".

وكان الملك هوان، حاكم تشى قد اشتكى ألما أصاب معدته فأيقظه فى منتصف الليل، فقام إليه "إيا" [وزيره المقرب إليه] وأعد له أطباقا شهية المذاق فأكل حتى شبع (وزالت عنه الأوجاع) فنام حتى وقت متأخر من اليوم التالى، فلما انتبه، قال.. "سيأتى من بعدى (ملوك) يبددون ملكهم مقابل أكلة شهية!".

وحدث أن أهدى للملك "أونقون"، حاكم جين، فتاة رائعة الحسن، تدعى "نانوى"، فشغلته ثلاثة أيام كاملة عن النظر في شئون البلاد، فأمر بها أن ترسل إلى مكان قصّى حتى ينأى عن مشاهدة جمالها، وقال: "سيأتى فى قادم الأيام من يلهون عن ملكهم اشتهاء لذوات الخدور وربات الحجال".

ومما يؤثر عن ملك تشو أنه صعد ذات مرة إلى قمة "تشيان" الصخرية العالية متطلعا إلى جبل "بنغ" وإلى يساره نهر "اليانغتسى" بينما امتدت إلى يمينه رقعة بحيرة "طونتين"، وإذ وجد نفسه قد اعتلى قمة سامقة، ذاهبة فى الارتفاع، أخذ منه التيه والكبر مأخذا عظيما، وعز عليه أن يكر راجعا إلى أسفل القمة، وامتلأت نفسه من السعادة ونشوة الفرح ماملك عليه كيانه فشغل باللذة عن حياته واستغنى بالتأمل عن ذاهل الموت. فلما انقضى من الزمان ما انقضى وفات رجع فأقسم ألا يصعد إلى ربوة "تشيان" مرة ثانية، قائلا: "سيخلفنا من تذهله لذة النظر إلى التلال السامقة والأنهار الجارية عن شئون الوطن".. والآن، وقد انعقد لعرشك معقد العزة والبهاء، فقد صرت تنعم بكل ألوان النعيم كيف شئت، وترفل فى أثواب الترف كسوة بعد كسوة؛ فهذه الكأس بيدك مترعة الشراب (قد صبها لك "آيدى" – أعظم نادل)، وهذه صحفتك عامرة بطعام ذكى النكهة أعده لك أفضل طاهٍ [ويدعى "إيا"] وإلى يمينك ويسارك تثنت فى دلال فتاتان رائعتا الحسن (هما: "باطاى"، و "لوشو")، وقد بلغا من الملاحة مافاق "نانوى" من بديع الجمال، وإذا نظرت أمامك تطلعت إلى غابة "شيا" بمناظرها الخلابة، وأروع منها ما ترامى خلفك من مشاهد الروعة بمنطقة "لانطاى"، مما لاتدانيه قمة تشيان سحرا وجاذبية؛ فقد نلت من كل متعة نصيبا، وهو مايكفى إبادة (ليس بلدا واحد فقط، وإنما..) دنيا بأسرها أو كتل متراصة من الأوطان والممالك.

وإذا كان لى أن أقول لجلالتك شيئا، فاعلم أنه مادمت قد مزجت المتع مزيجا واحدا، فالزم الحذر البالغ (أترى ثمة رأيا آخر؟!) . وقد ظل الملك يطاطئ رأسه موافقا على رأيه، ولسانه لايفتر عن القول.." نعم .. هو ذاك تماما، صدقت!".

سجل "وى" الثالث

لما اتفقت كلمة تشين وجاو على مهاجمة

تم الاتفاق بين تشين وجاو على مهاجمة دولة وى، مما أوقع بالفزع الشديد فى قلب حاكمها [الملك شاو حينئذ]، فتكلم معه "مانماو" [أحد مواطنى وى] قائلا: "دع عنك القلق، يامولاى، وربما أمكنك أن توفد "تشانهى" إلى ملك جاو، فيبلغه عن لسانك مانصه: "أرى أنه لاينبغى لى حسب الأحوال المقررة سلفا - أن أقوم باحتلال أرض "هيدى"، ولذلك فأنا أقدمها إليك اعترافا بهيبتك وسلطانك، وقد هالنى وأدهشنى ماتقوم به من تودد ومحاباة إلى دولة تشين مقابل العداوة والحرب ضد بلادنا (وى) "وتهلل ملك جاو فرحا، واستدعى إليه رئيس وزراء جاو وأصدر إليه أوامره، قائلا: "إن ملك وى يعرض علىّ إهدائى أرض هيدى فى محاولة التقرب إلىّ والاعتراف بنفوذى، ثم إنه يهدف من هذا أيضا أن أقطع علاقتى بدولة تشين". فرد عليه رئيس الوزراء بقوله: "إن المزايا التى كان يمكن أن تعود عليك من التودد إلى تشين والهجوم على وى، لم تكن لتزيد بأى حال عن الحصول على أرض هيدى، فلم يعد بك حاجة الآن لدفع قواتك (التى كان الغرض الأساسى من تحركاتها، الاستيلاء على أرض هيدى) فلعلك تسارع إلى قبول عرض دولة وى"، وقال تشانهى لملك جاو: "إن المسئولين المكلفين بتسليمك المدينة مقيمون بها الآن (فى انتظار تشريفك لهم بالذهاب إليها) فما الذى ستكرم به دولة وى مقابل هذه الهدية؟" وفى الحال أصدر جلالته أمرا ملكيا بقطع منافذ وطرق الاتصال مع دولة تشين كما قطع علاقاته بها.

وكان مانماو (المسئول العظيم بدولة وى) لما استقبل مبعوث دولة جاو، قال له: "ما كان لبلادنا أن تعلن اعترافها بالطاعة والاحترام لبلدكم ومليككم إلا دعما لأمن

منطقة هيدى وحفاظا على سيادتنا الوطنية عليها ودرءًا لما يمكن أن يحيط بها من الخطر، أما مسألة التنازل عنها لكم فلم تخطر ببال المسئولين عندنا قط، ولا أعرف عنها شيئا. والأمر كله خطأ فيه موفدنا إليكم". واستولى الخوف على قلب ملك جاو؛ إذ خشى أن تستغل وى فرصة المشاعر الغاضبة التى اجتاحت البلاط الحاكم فى تشين لتتحد معها ضد بلاده، فأسرع إلى التنازل عن خمسة مدن فأهداها إلى وى على سبيل التحالف معها ضد (طغيان) تشين.

لما تكلم مانماو مع ملك تشين

تحدث مانماو إلى ملك تشين، فقال له: "لم يستطع وزراؤك ورجال دولتك أن يجندوا عناصر تابعة لهم فى الدويلات المختلفة، وقد بلغنى أن جلالتك قد قررت أن تمضى فى تدبير سياستك دون اللجوء إلى هذه العناصرأو انتظار (مايمكن أن تمدك به معلومات). إن كل ماتريده من دولة وى هو أن تسلم إليك أراضى الأقاليم الثلاثة: "تشانيانغ" و"أوانو" و"لولين"، وقد علمت ذلك، وأتمنى أن تتيح لى الفرصة لخدمتك، وهذا ممكن، لو أذنت لى أن أذهب إلى دولة وى وأتولى منصب (رئيس شئون السكان والأراضى) هناك، حيث أعمل على أن يتنازل لكم البلاط الحاكم فيها عن هذه الأقاليم لكم.

وهكذا فقد وافق الملك على هذه الفكرة، وراح يفكر فى طريقة مناسبة لتوليته المنصب المشار إليه فى دولة وى.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

قال مانماو لملك وى: "إن أكثر مايشغل بال جلالتكم هو موضوع الأراضى الشمالية [التى كانت تضم كل المنطقة الواقعة إلى غرب المناطق المشار إليها آنفا: تشانيانغ – أوانوا – لولين] (ومن المعلوم) إن دولة تشين تريد الاستيلاء على أرض (الأقاليم الثلاثة) وأرى أن تبادر جلالتك بإهداء تلك الأرض إليها، فترفع عبئها عن

كاهلك وتريح نفسك من همومها، ثم تطلب من تشين أن تعبئ جيوشها وتنطلق شرقا لمهاجمة تشي فتتسع رقعة احتلالها(ويمتد نطاق سطوتها إلى الآفاق البعيدة)" فوافق ملك وى على هذه الخطة، وتنازل عن المناطق الثلاث إلى تشين، ثم إن قوات تشين لم تخرج لخطة الغزو فى الجهة الشرقية (حسبما قام التصور بذلك) على الرغم من انقضاء عدة شهور منذ تسلمها المناطق الثلاث من دولة وى.

فقال ملك وى لـ"مانماو": "هاقد انصرم زمان طويل منذ أن صارت أراضى الأقاليم الثلاثة فى حوزة تشين، ومع ذلك فلم تحرك قواتها صوب الشرق، فما السبب فى هذا؟" فأجابه محدثه قائلا: "(فى الحقيقة) لقد ارتكبتُ خطأ قاتلا أستحقُ عليه حكمًا بالإعدام، ومع ذلك فلاأظن أن موتى يفيد فى شيء، (ولن تستطيع أن تكسب من ورائه شيئا إذا ما أردت التفاوض مع تشين؛) لأنك ستكون مثل الذى بدد صك الدين الوحيد الذى بيده، قبل أن يطالب الناس بتسديد مديونياتهم، ولن يصير معك حينئذ ما تحتج به ضد تشين، فاعف عنى وأقل عثرتى، (فقد تستطيع أن تستخدمنى فى شيء نافع؛) إذ أذهب إلى قادة تشين - فأتكلم عن لسانك - منددا بنكثهم الوعد ومخالفة الاتفاق المبرم معهم. وبالفعل، فقد سافر مانماو إلى تشين، وقال لحاكمها: "ما كانت دولة وى لتهديك أراضى الأقاليم الثلاثة، إلا لما تطلعت إليه من تحرك جيشكم شرقا لمهاجمة تشى، أما وقد حصلتم على الأرض دون أن تتهيأوا للقتال، فقد عرضتمونى للموت؛

(فاعلم أنه مادامت الأمور تسير على هذا النحو..) فلن تجد من بين رجال "شانتونغ" من يزاحم أقرانه ويسعى بكل وسيلة للعمل فى خدمتك والتقرب إليك (إذ لن يجد حظوة لديك بعد اليوم!)، فنزل هذا الكلام على الملك كالصاعقة، وأخذه القلق بمجامع نفسه لما تصور من ضياع مهابته ونفوذه، وأجاب محدثه، قائلا: "لم تكن تسعفنا الأحوال على الخروج إلى القتال (فيما سلف) أما الآن، فستخرج القوات فى إثرك، وتتوجه حيث تريد لها وستتحرك حسب توجيهاتك" فما انقضت عشرة أيام بعدها حتى كانت قوات تشين قد اجتاحت الشرق وراء مانماو، الذى كان يرأس قيادة قوات البلدين تشين و وى فى حملتهما المتجهة شرقا لغزو دولة تشى، وكانت أثناء زحفها قد وطئت أرضا تشمل اثنتين وعشرين منطقة إدارية، وصارت جزءا من التوسع الذى بلغ أقصى المدى.

لمـا انتصرت تشين على دولة وى فى موقعة

انتصـرت تشين علـى دولة وى فى منطقة "هوايانغ". واضطرت مانماو إلى الفرار والتنحى عن طريقها، فمضت فى زحفها حتى حاصـرت "طاليان". وذهب شيوجيا [أحد كبار رجال دولة وى] إلى رانخو ليكلمه نيابة عن ملك وى، قائلا: "قد بلغنى أن الوزراء ورجال الدولة فى وى، بالإضافة إلى إخوة الملك وأعمامه وأقاربه جميعا قد تحدثوا إليه قائلين له.. "كان الملك هوى قد بادر فى أول أمره إلى غزو دولة جاو، وتمكن من أن يحرز النصر عليها فى موقعة "سانليان" واقتحم بقواته البالغ تقديرها مائة ألف مقاتل (العاصمة) هاندان، ولم تحاول جاو (افتداء عاصمتها) بالتنازل عن أجزاء من الأراضى، بل تمكنت من أن تستعيد هاندان إلى نفوذها مرة أخرى (فى آخر المطاف).

كما حدث أن تغلبت دولة تشى على يان وعاثت فيها؛ فقتلت "زيجى" ومرغت أنف يان فى التراب، ومع ذلك فلم تحاول دولة يان أن تتنازل عن أية أجزاء من أرض الوطن، وكان أن استطاعت – فيما بعد – أن تستعيد السيادة والنفوذ، وما كان لكلا البلدين: يان وجاو أن تحفظا عليهما أوطانهما وأن تملكا (بعد الهزيمة) جيوشا قوية وأرضا ذات سيادة، (لا تتبع أيا من الممالك أو الدويلات الأخرى) إلا بمثابرتهما واحتمالهما الصعاب ودأبهما على حماية أرض الوطن، وعدم التفريط فيها بتسليمها للأطراف الخارجية،أما بالنسبة لدولتى سونغ وجونشان، فقد دأبتا على التنازل عن أراضيها فى كل مرة تعرضتا فيها للغزو، مما أسفر عن تبدد كيانهما ثم فنائهما فى النهاية. ونرى أن تجربة دولتى يان وجاو جديرتان بالاعتبارأما صنيع دولتى سونغ وجونشان فيلزم اجتنابه. إن تشين دولة ذات أطماع ورغبة فى الاستبداد والطغيان، وليس لها دولة صديقة بين الممالك وها هى ذى فى طريقها لالتهام دولة وى، بل تطمع فى الاستيلاء على جملة الأراضى التى كانت من نصيب وى فى أرض جين، وسوف تزداد تشين عتوا وافتراسا إذا ماتغلبت على دولة هان؛ وإذ تتنازل لها وى عن أراضى ثمانى مديريات إقليمية، فسوف تجهز تشين آلة الحرب الجبارة وتدفع قواتها للقتال، حتى قبل أن تنهى إجراءات استلام المناطق المتنازل عنها من قبلكم، فمتى كانت تشين تبلغ حد القناعة! ومتى فقدت شهيتها فى الافتراس والابتلاع.

أما الآن وقد أجبرت مانماو على الانسحاب أمام جحافلها التى شنت غاراتها على أراضينا الشمالية (فى منطقة "تشانيانغ" فمعنى هذا أنها لن تكتفى بمهاجمة طاليان، بل إنها ستلجأ إلى تهديد جلالتك وابتزازك لتضطرك إلى التنازل لها عن قطاعات من أراضيك وهو ما لايجب أن تقترفه أبدا . وإذا مابدا لك أن تبتعد عن دولتى تشو وجاو فى طريقك إلى المصالحة، (فاعلم) أنهما سيثوران ضدك وربما يبذلان لدولة تشى أضعاف ماتوليه لها من الطاعة والاحترام وسينجحان فى مساعيهما الودودة تجاهها علما بأنها ستشجعهم وتفتح لهم ذراعيها.

ثم تفاجئك دولة تشين، ذات يوم وقد جاءت لمهاجمتك مصطحبة معها قوات دولتى جاو وتشو؛ مما يتعذر معه على وى أن تنأى عما يتربص بها من الضياع المحتوم.

لذا نرجو من جلالتكم عدم التصالح مع تشين، فإذا رأيت من الضرورى إجراء الصلح معها، فلا يجب أن يكون ذلك على حساب مساحات كبيرة من الأراضى المتنازل عنها، واحرص على أن تشترط عليها أن تسلمك رهينة لضمان السلام من أهلها، وإلا وقعت فى براثن الغدر والخديعة".

فهذا ما قد بلغنى وأنا فى وى، وكل ما أرجوه أن تتأمل فحوى ما قصصته عليك جيدا.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وقد جاء فى" كتاب تشو" مانصه: "ليس للأقدارأعراف معهودة ولاقواعد معلومة!" وهى عبارة موجزة تعنى أن أفضال السماء ليست محل تكرار(فى أوقات كثيرة وبنمط متوال!) ذلك إن الانتصار على قوة طاغية واقتطاع ثمانية أقاليم من أرضيها، لا يمكن أن يعزى إلى شدة البأس وبطولة القوات ولا دقة الخطط وبراعة التخطيط، بل هو حظ غامر تنزل من السماء.

وإذ فر "مانماو" هاربا أمام الزحف، ودخلت القوات منطقة "جايانغ" وحاصرت منطقة طاليان فقد وقع فى الظن أن الحظوظ السعيدة يمكن أن تتوالى من السماء بلا انقطاع، وهو مالاينبغى أن يخطر فى بال الفطن ذى العقل الراجح.

وقد بلغني إن دولة وى قد حشدت أفضل المقاتلين الذين اجتمعوا لديها من مختلف المدن والأقاليم لحراسة منطقة طاليان، وقد بلغوا من الكثرة بحيث إن عددهم لايقل، فى تقديرى عن ثلاثمائة ألف جندى، يقومون على حراسة سور مدينة لا يقل ارتفاعه عن عشرة "رن" [الرن الواحد مقياس قديم يساوى سبعة أو ثمانية أذرع صينية أى حوالى مترين ونصف] الأمر الذى يجعل من الصعب، بل من المستحيل اختراق تلك المنطقة، حتى لو بُعِثَ من الموت الإمبراطوران [القاهران] طانغ [آل شانغ] و" أو" [آل جو].

إن التصرف على نحو منفرد دون التنسيق مع الحليفتين تشو، وجاو؛ ومحاولة اقتحام سور منطقة يتجاوز ارتفاعه عشرة رن؛ ومواجهة جيش تعداده ثلاثمائة ألف مقاتل بجانب التصميم على الانتصار التام وإيقاع الهزيمة الساحقة بالطرف المقابل، كل ذلك لم يسبق أن قدرته السماء أو شهده شاهد الوقائع منذ أن تنزلت على الأرض الأقدار. فاعلم أنه إذا قدر لشين أن تتقدم وتهاجم دون أن تقوم بإخضاع غريمتها، فسوف ينال الإرهاق من قواتها، وتخسر بلدة"طاو"، ثم ينهدم صرح مجدك بعد كل ما بذلته فيه من دأب وجهد ومثابرة . وأرى أن تستغل فرصة ما أصاب دولة وى من الارتباك فتتفاوض معها على التنازل لك عن عدد محدود من الأراضى (تمهيدا لتصفية الأجواء بينكما..) بل إن محاولة استمالة دولة وى إلى جانبك تأتى فى موعدها المناسب تماما؛ بحيث لم تصل حتى الآن قوات دولتى تشو وجاو إلى منطقة طاليــان . ولابد أن وى، وقد انتابتها الهواجس والظنون (فيما يمكن أن يصل إليه سير الحوادث) سترى فى المصالحة معك – مقابل تنازلها عن القليل جدا من الأراضى فرصة طيبة وتصرفا يدعو للارتياح، هذا بالإضافة إلى أنك ستكون قد حققت كل ما تصبو إليه، بهذه الخطوة؛ وإذ تغضب تشو وجاو؛ لأن وى سبقتهما إلى المصالحة مع تشين، فلا شك أنهما ستتنافسان على خدمتك والتفانى فى الاعتراف بطاعتك. وهكذا ينهار التحالف الرأسى، فستستطيع بكل سهولة أن تشكل مجموعة تحالف من الدول: وى، وجاو، وتشو.

ثم إنه لاحاجة بك إلى استخدام القوات فى اقتطاع الأراضى، مادمت قد فرضت سيطرتك التامة على أرض دولة "جين". فقد تنازلت لك وى على مدينتى شانجيان [الإشارة إلى "شينتيان"،عاصمة دولة جين] ومدينة آنى، وقامت بتعبيد طريقين للركبان،

بدلا من تسليم محلة آنى، وسيمكنك الحصول على أراضى دولة سونغ البائدة، وتتنازل لك دولة ويه عن "طانفو" [اسم مدينة] فتأمل ما يمكن أن تحرزه تشين من السطوة والنفوذ فوق كل تلك الأماكن دون أن تفقد أيا من عدتها وعتادها العسكرى. فتحوز كل ما تطلعت إليه، وتعمل كل مايروق لنفسك أن تعمله، فلعلك تتأمل الأمر وتتدبره بدقة واهتمام دون تسرع أو طيش!" فوافقه رانخو على رأيه، وفك الحصار المضروب حول طاليان.

لما انتصرت تشين على وى فى موقعة

كانت لدولة تشين النصرة على وى، فى موقعة "هوايانغ"، فلما أخذ ملك وى أهبته لزيارة ملك تشين، قصد إليه جوصو [الوزير الأكبر بدولة وى]: "كان في دولة سونغ طالب علم، سافر بعيدا عن الوطن فى الدراسة وطلب العلم، مدة ثلاث سنوات، فلما عاد، صار كلما طلب شيئا من والدته، نادى عليها هاتفا باسمها (مجرداً، مباشرة دون أية ألقاب) فقالت له أمه:" ها أنت قد سافرت في طلب العلم السنوات الطوال، ثم إذا بك، عندما عدت، تنادينى باسمي، فما الذى حدث لك؟ وما السبب(فى هذه العادة الجديدة)؟"، فأجابها "لم يكن فيمن علمت من الحكماء والقديسين أحد يفوق "ياو" و"شون" حكمة ورجاحة وقداسة، (ومع ذلك، فقد جرت العادة..) بأن تذكر أسماءهما مباشرة، بغير ألقاب! ولم يكن فى الدنيا بأسرها أعظم من الأرض والسماء، (وعلى الرغم من ذلك..) فالناس تشير إليهما دون ألقاب . فمن ثم ناديت أمى بأسمها وهى ليست بأوفر حكمة من القديسين الجليلين ياو وشون، ولا أعظم من الأرض والسماء". .. فقالت له أمه.." إذا كان لابد لك أن تستفيد مما درست شيئا فأنت وذاك، إلا أنى أتمنى أن تنتهج نهجا آخر فيما يتعلق بمخاطبتى باسمى مجردا (بغير ألقاب .. حتى لو كان في ذلك خروجا عما درست) وإذا كان هناك شيء يمكن أن تهمله من جملة ماتعلمت، فأرجو أن تهمل النداء علىّ بغير لقب".

(وعلى ضوء هذا) فهل يمكن لجلالتك – حتى على الرغم مما قد نويته من الاعتراف بطاعة دولة تشين – أن تلجأ إلى طريقة أخرى غير زيارة الملك فى قصره؟ وذلك أنى

أتمنى أن تستبدل هذه الطريقة بأخرى، بحيث تأتى زيارتك للقصر الملكى فى خاتمة المطاف"، فقال الملك: "هل تخشى - من أن يكون ذهابى بلا عودة أو أن يكون دخولى القصر، هناك، بلا خروج؟ قد أقسم لى" شيوان" قائلا.. "لئن دخلت القصر، فمنعت من الخروج، فسأجعل رأسى فداءً لك" .. فرد عليه جوصو، قال: "أظن أنه لوجاء شخص وقال لى..." ادخل إلى كهف سحيق والق نفسك فى هاوية لم يسبر أحد أغوارها، وسوف تخرج سالما، وإلا فسأفديك برأس فأر ميت".. فلن أتبع قوله ولن أذهب إلى حيث أشار. (فانظر، وتأمل..) أحوال تشين بغموضها ودروبها الملتوية ومتاهاتها التى لم يقف أحد على كنهها، أما رأس ذلك المدعو شيوان، فلا يساوى - عندى - إلا رأس جرذ عجوز حقير. إن الذهاب إلى بلد مسربل بالغموض والأسرار مثل تشين، بضمان رأس فأرعجوز يدعونى إلى العدول فورا عن هذه الفكرة، لو كنت مكانك يامولاى - هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى - فاسمح لى بأن أسألك عن أى الموقفين إثارة للقلق والخطر: فقدان أرض طاليان أم أرض"هونى؟"، فأجابه ملك وى:" فقدان طاليان هو الأكثر مدعاة للخطر".

- فأى الأمرين أشد مدعاة للقلق: خسارة طاليان أم خسارة حياتك؟

- خسارة الحياة أفدح.

- فالحياة - إذن - وكما يتبدى من بين هذه الخيارات الثلاثة هى الأهم على الأطلاق، وفقدان هونى يأتى فى الدرجة الثانية من الأهمية، (ومع ذلك) فإن جلالتك تعرض على تشين حياتك (وهى الأغلى والأهم) قبل أن تطالبك هى بالأدنى، فهل هذا أمر معقول، وهل يمكن للأمور أن تسير على هذا النحو؟!".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

إلا أن ملك وى عاند وركب رأسه وأصر على خطته، فذهب إليه "جيتشى" [أحد مواطنى وى] وقال له:" عليك بمراقبة حال ملك دولة تشو، فإذا لاحظت أنه مقدم على السفر إلى تشين، فقم إليه واصدده وحُل بينه وبين المضى فى مسيره، فإذا استجاب لك،

تحالفت معه، بل أقمت معه وحدة تامة وأصبحتما معا كبلد واحد، بما يكفى لمقاومة تشين".
وهناك تراجع ملك تشو عن خطة سفره، وتكلم مع جيتشى، قائلا له : "كنت فى أول الأمر، قد وعدت دولة تشين - عن طريق إينهو [رئيس وزراء وى الأكثر قربا إلى تشين] - وأخشى أن يفسر تراجعى عن الذهاب بأنه خيانة للوعد وخداع للناس"، فأجابه جيتشى، قائلا: "لايهولنك من الأمر شيء، ياسيدى، سوف أطلب من رئيس الوزراء مخاطبة تشين (بهذا الشأن) استباقا لدعوتهم لجلالتك، بحيث يتم إلغاء الزيارة، فدع هذا الموضوع لى وأمهلنى قليلا ريثما أدبر الأمور بطريقتى!" وكان أن ذهب جيتشى إلى رئيس الوزراء إينهو، وقال له: "أصدر جلالة الملك أمرا باستدعاء رئيس الوزراء"، فقال إينهو: "ففيم يستدعينى جلالته؟" فأجابه: "لاأعرف، لكنه يأمرك بسرعة التوجه إليه"، فقال إينهو: "أو تظن أن ترتيب زيارة الملك إلى دولة تشين، يتم خدمة لمصالح هذه الأخيرة؟ أبدا بالعكس تماما، فما كنت لأقوم بذلك إلا لمصلحة وى"، فرد عليه جيتشى، قال: "لا تشغل نفسك بأمور دولة وى، بل اهتم بشأنك الذاتى (فلطالما كنت) تنشغل بتفاصيل شئونك الشخصية، ومايقوم عليه أمر حياتك أو موتك أو غناك وفقرك، فانتبه لنفسك أولا (كما كنت تفعل دائما!) ثم انظر بعد ذلك فيما يعود على البلاد بالخير والنفع"، فقال إينهو: "سيأتى لوهوان [من دولة جاو] لزيارتنا، فاسمح لى بأن أكون مرافقا له أثناء الزيارة"، فقال إينهو: "الملك يستدعيك على نحو عاجل، فإن لم تصدع بالأمر، فسيسيل الدم أنهارا فوق قميصك [سوف تقطع رأسك] "فمشى إينهو وجيتشى يتبعه، قاصدين إلى مقصورة الملك، وتقدم جيتشى مسرعا إلى جلالته، ليقول له: "هاهو ذا قد أقبل فتظاهر بأنك مريض تعانى آلاما مبرحة؛ فقد حدثته بما أوقع الرعب فى قلبه"، ودخل إينهو على الملك الذى ابتدره بقوله: "قد ثقل على المرض وأحاطت بى الأوجاع، ولا أدرى كيف أتصرف وقد أعطيت الوعد الصادق (لدولة تشين). إن نفسى تحدثنى بضرورة السفر، وفاء بالوعد، مهما كانت النتائج، حتى لو أدى ذلك إلى وفاتى فى بعض الطريق"، فقال له إينهو: "لاداعى للسفر، يامولاى، ولعلى أحادث المسئولين فى تشين فى إعفائك من الذهاب إلى هنالك، فلا تشغل قلبك بهذه الهموم".

لما قامت المعارك بين الجيشين فى موقعة

نشبت المعارك بين الجيشين في موقعة" هوايانغ"، ولم تتغلب دولة وى على تشين. وفى العام التالى أوفد ملك وى [أحد المسئولين] إلى ملك تشين للتنازل عن (أجزاء من) الأراضى فى محاولة للصلح معها. فتكلم "صونشين" [من دولة وى] إلى جلالة الملك، قائلا له: "ليس هناك مايلزم بلادكم (دولة وى) بالتنازل الفورى عن الأراضى مادامت قد منيت بالهزيمة بل العكس تماما، فيمكن تصوير عدم تنازلكم عن الأراضى بأنه تصرف ذكى وبارع بمحاولة استغلال الهزيمة فى تحقيق مواقف إيجابية . ولاكان ينبغى على تشين فور انتصارها أن تطالبكم بالتنازل عن الأراضى؛ لأن تصرفها كان سيفسر باعتباره سوء استغلال لما حققته من انتصار. أما التنازل عن الأراضى الآن، وبعد أن مر عام من الزمان، فينطوى على أهواء شخصية تعتمل فى صدور وزرائك دون أن تفطن إلى ذلك.

وعلى كل فهناك (من رجالك) من يريد أن يحظى بتوقيع ملك تشين مصحوبا بالختم الملكى الأفخم، مثل المدعو "طوانقوا نسو" وهو ما لاتفطن جلالتك إليه، فتبعثه فى موضوع التنازل عن الأراضى إلى تشين! أما من يريد أن يحظى بالحصول على أرضك فهى دولة تشين، ومع ذلك فأنت تعطيها الفرصة كاملة، مقابل أن تمنح "طوانقوا نسو" الختم الملكى الأفخم.

وهكذا ينشأ وضع فريد فى موضوعه، وهو أن من يريد الختم الملكى هو من يملك النفوذ والسيطرة على الأراضى [المطلوب التنازل عنها] أما من يطلب الأرض فهو من يملك الختم الملكى بكل نفوذه وشرعيته. وهو وضع، لو تركناه لتطوراته، فسيؤدى فى النهاية إلى ضياع دولة وى.

أضف إلى هذا كله، أن وزراءك (الخونة) كانوا يفكرون – منذ مدة طويلة – فى استرضاء تشين والتقرب إليها على حساب أرض بلادك. إن التنازل عن أرض الوطن (للغير) على سبيل الاعتراف بطاعة هذا الغير، يعد تصرفا غير مسئول، يزيد الأمور تعقيدا وهو أشبه مايكون بإلقاء حزمة من الحطب على كتلة من النار فى محاولة لإطفاء الحريق؛ فلا أظن أن النار تخمد تماما حتى بعد أن يفنى آخر عود من الحطب.

والمشكلة أنك ستكون قد تنازلت عن كل مايمكن تقديمه من الأراضى قبل أن تصل تشين إلى حد القناعة، فهذا أمر يشبه ماحدثتك به من قصة النار والحطب".

ثم إن الملك أجابه، بقوله: " قد أحسنت قولا، لكن على الرغم من كل ما قلت، فلايمكنني أن أنكث ما قطعته من عهد تجاه دولة تشين". فرد عليه "صونشن"، قال: "أما رأيت إلى لاعبى الشطرنج وهم يحركون القطعة الرئيسية على اللوحة؟ إنهم يحركونها إذا أرادوا، وفي أى اتجاه، وقد يجمدون حركتها حسبما يشاءون.

فلئن كنت قد اضطررت، تحت ضغط وزرائك، أن تقدم وعدا ما لدولة تشين، وترى أنك لاتستطيع أن تتراجع عنه، فلماذا لاتتصرف على نحو مايسلك لاعبو الشطرنج بالقطعة الرئيسية على اللوحة؟"، وهنا وافقه الملك على رأيه، وقرر إلغاء سفر" طوانقوا نسو" إلى دولة تشين.

لما أرادت تشى مهاجمة دولة وى

عقدت دولة تشى العزم على مهاجمة دولة وى، فأوفدت هذه الأخيرة أحد مسئوليها إلى (المدعو" شون إيكون") ليقول له: "ليس فى الدنيا كلها أحد غيرك، ياسيدى، يملك أن يرفع عن دولة وى ماتجده من أهوال وما تتعرض له من اعتداء تشى عليها. وإذ يشرفنا أن نرسل لك قطعتين من اليشب الثمين [حجر كريم] وعربتين تجرهما أربعة من الخيول المطهمة، فنرجو قبولها على سبيل التحية، علما بأنا نرسل لك أثمن مافى أيدينا"، فلما علم شون إيكون بفحوى الرسالة أومأ برأسه، موافقا، ومجيبا ثم دخل إلى ملك تشى، وقال له: "إن دولة تشو من ألد أعداء تشى، أما دولة وى فهى حليفتنا، ومهاجمة دولة حليفة يمكن أن يصيبنا بقدرمن الأرهاق يغرى العدو اللدود بالبطش بنا، وهو وضع شائن، فضلا عن أنه مشحون بالخطر، ومن ثم فإنى أرى، إذا سمحت لى، بأن التراجع فى مثل هذه الظروف؛ أفضل كثيرا.

واقتنع ملك تشى بكلامه وعدل عن مهاجمة دولة وى، فجاء إليه أحد الضيوف العابرين ببلاده، وقال له: "ماكان يمكن لـ شون إيكون أن ينصح لك بالتراجع عن

مهاجمة وى، إلا لأنه قبض من وى الثمن؛ إذ قبل ما أهدته إياه من اليشب الكريم والجياد المطهمة"، فتكلم الملك فى هذا الشأن مع شون إيكون، قائلا له: "بلغنى أنك تسلمت من دولة وى ما أهدته لك من الجياد الأصيلة والأحجار الكريمة، فهل هذا صحيح؟"، فلما أقر بما نسب إليه، قال له الملك:" فماذا ترانى فاعل بك إذن؟" فأجابه: "لو كان الهجوم على وى جالبا أى نفع، فما الذى يعود على جلالتك من مزايا إذا قتلت، حتى لو بيد دولة وى نفسها؟ أما إذا كان الأمر، (على العكس) راجعا بالضرر عليك، فماذا يضيرك حتى لو كافأتنى دولة وى أعظم مكافأة.

ثم إنه وعلى المستوى العام والتقدير الإجمالى) ما دمت لم تتعرض لأية منغصات من جراء هجومك (الخاطئ) على وى، ومادامت دولة وى لم تتعرض لخطر الهلاك، ولاعانى شعبها أهوال الحرب والقتال، فما مبلغ الضرر الذى يقع على جلالتكم إذا كنت قد قبلت الأحجار الكريمة والجياد المسرجة؟"

لما أوشكت تشين على مهاجمة وى

كانت تشين قد أوشكت على مهاجمة وى، ووصلت الأنباء بذلك إلى ملك وى، فلم ينتظر حتى يطلع النهار، بل أسرع ليلا لمقابلة تيانون [رئيس الوزراء، أنذاك] وقال له: "هاقد عقدت تشين العزم على مهاجمتنا، فبماذا تشير على وما العمل؟"، فأجابه: "تستطيع أن تأمن شرهذا الهجوم بفضل ماستجده من دعم الدويلات ومساندتها لك". فقال له الملك: "ليتك تسافر الآن (إلى الدويلات المختلفة) فى محاولة لاستمالتهم إلى جانبنا"، ثم إنه رتب له موكبا مهيبا من العربات العسكرية التى تجرها الخيول المطهمة، وبلغ عددها المائة. وكان تيانون لما وصل إلى دولة جاو، التقى بحاكمها، وقال له: "أرجو من جلالتك أن تعيرنا بعض القوات لنجدة وى". فلما اعتذر له الملك عن عدم استطاعته تلبية هذا الرجاء، أجابه تيانون بقوله: "ما كنت لأجرؤ على مفاتحة جلالتك فى هذا الطلب إلا لأننا قد قررنا أن نتخذ من هذه المساندة بداية جديدة لعهد من الولاء والإذعان لعظيم مكانتكم بين الأمم." وعندئذ طلب إليه الملك أن يفصح عما يقصده، فرد عليه قائلا:"إن جيش دولة جاو ليس أشد بسالة ولا أمضى قوة من جيش وى، وبالمقابل

فلا يمكن القول بأن قوات وى أوهن عزما أو أضأل شأنا من قوات بلادكم، لكن أرضكم ليست عرضة للتهديد الدائم (من قبل الغير) على مر الأعوام، ولا شعبكم يعانى مخاطر الإبادة على كر الأيام، أما السبب فى هذا الوضع الذى يجعل أرضنا وشعبنا معرضين لأسوأ المحن، هو أن بلادنا تقع على حدودكم الغربية بمثابة حاجز طبيعى أو ساتر وقائى (مما يجعلنا نتحمل عنكم مسئولية مواجهة المخاطر التى تستهدفكم).

فإذا ما امتنعتم عن مساندة وى، فستضطر إلى التحالف مع تشين، وتقسم معها على يمين الولاء والإخلاص [أن تتجرعا معا كأس دماء أعدائهما كما جرت العادة فى مواثيق التحالف ضد عدو مشترك] وهو وضع سينشأ عنه اعتبار جديد يجعل حدودكم أقرب إلى أن تكون ملاصقة أو مجاورة لدولة تشين [أو كأن قد..] مما يعنى أن جاو ستجد نفسها عرضة للتهديد، عاما بعد آخر، ويعيش شعبها تحت ظل مخاطر الفناء يوما بعد يوم . فهذه خلاصة ما يمكن أن أعرضه وأبينه لجلالتكم بكل وضوح وإخلاص"، وهنالك وافق ملك جاو على الطلب المقدم إليه، وأرسل إلى دولة وى قوة مقدارها مائة ألف مقاتل وثلاثمائة عربة حربية.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

ثم توجه تيانون شمالا، وقابل ملك دولة يان، وقال لجلالته: "كثيرا ما اجتهد والدنا الراحل [الملقب بـ"القونزو" وهووالد تيانون] فى استتباب العلاقات بين وى ويان وعقد مواثيق الصداقة بينهما، وقد صارت وى الآن، فى مواجهة خطر غزو دولة تشين لأراضيها. فهى فى أشد الحاجة لسرعة مساندتكم لها"، فأجابه الملك، قائلا: "قد مرت بنا سنتان من السنوات العجاف حتى عدمنا القوت والغلال، فكيف السبيل (والحال هكذا) إلى استنفار القوات والانطلاق على طريق طويل يتجاوز عدة آلاف من الأميال لمساعدة وى؟" فقال له تيانون: "إن تجشمك مشقة السفر عبركل تلك الأميال لنجدة بلد يستصرخك أن تغيثه، سيعود على بلادك، أيضا، بالنفع العميم، أما قد علمت أن ملك وى مقيم الآن عند مشارف العاصمة يتطلع إلى قدوم قوات يان لمساندته! هذا فى الوقت الذى تتابع

فيه باقي الدويلات أحوالنا (وتعلم ما نحن بصدده..) ومع ذلك فلا أظنها تستطيع أن تفعل شيئا لأجلنا حتى لو بذلت فى ذلك أقصى الجهد!".

ثم إن ملك يان، وعلى الرغم مما قيل له لم يغير رأيه، وظل على موقفه من التقاعس عند إغاثة وى، فقال له تيانون: "أراك ترفض الأخذ بما رأيته لك مخلصا من خطة سديدة، وبناء على ذلك فألتمس الإذن من جلالتك بالسفر، ولربما تغيرت أحوال الممالك (بما يستدعى تغييرا فى موقفكم)" فقال له ملك يان: "وماهى التغييرات التى يمكن أن تلحق بأحوال الممالك؟ فأجابه:"ستهاجم تشين دولة وى، لكنها لن تغلبها، ولن تزيد الخسائر عن إتلاف منصات المقاصير المنشأة فوق البنايات المرتفعة [التى تمكن المشاهد من مطالعة المناظر البعيدة..] (وفى العبارة تورية واضحة.. باعتبار أن الخسارة الفادحة هى التى تلحق بامكانات الرؤية المستقبلية!) وهو ماسيحول دون التمتع بمشاهدة المناظرالطبيعية البعيدة . وإذ تتخاذل دولة يان عن نصرة وى، فسيضطر الملك أن يتنازل عن أراضيه صاغرا لما تمليه الشروط على المهزوم، وبعد أن يسلم نصف أراضيه إلى دولة تشين، فستكف عن قتاله وتسحب جيوشها، وهنالك يحاول ملك وى أن يستجمع طاقته ويحشد إليه قوات وى وهان مجتمعة، ثم يتجه غربا فيطلب الإمداد من دولة تشين، ثم يضيف إلى هذه القوى الثلاث قوة رابعة من جيش جاو، ويقوم على رأس الجيوش الأربعة فيهاجم دولة يان، وقتئذ لا أدرى كيف ستتصرفون أمام ذلك المأزق. ولعمرى، فأية فائدة تعودعليك، يومئذ، (من جراء امتناعك عن مساندة وى..)؟ وأى نفع يمكن أن تجنيه عندما تصبح قوات الدول الأربع قريبة من حدودكم (دون أن تتجشم مشقة السفر إليها) ونصير خطوط التموين والإمداد وراء جيشكم قصيرة للغاية، وأتظن هذا قد يغنيك شيئا؟" وأجابه ملك يان بقوله: "فاسلك كيف شئت، فإنى متبعك ومهتد برأيك" وهكذا فقد قرر دفع قوات مقدارها ثمانون ألف مقاتل، ومائتا عربة حربية ووضعها جميعا تحت تصرف تيانون، مما اهتز له طربا ملك وى، وغمره البشر والسرور، وهو يقول (لـ تيانون): "أراك قد نجحت فى إمدادنا بأعداد وفيرة من القوات المساندة من دولتى جاو ويان، دون أن تضيع، فى ذلك، وقتا كثيرا!".

وارتعدت فرائص ملك تشين، وأقبل على ملك وى، فاوفد له الرسل وعقد معه المصالحة وتنازل له عن الكثير من الأراضى، ثم مالبثت دولة وى أن أعادت قوات دولتى يان وجاو إلى بلادهما، ووصلت تيانون بمكافأة سخية.

لما قامت وى بالتنسيق مع تشين لغزو

قامت دولة وى بالتنسيق مع تشين لمهاجمة دولة هان. فذهب أوجى [لقب آخر للمدعو "شين لينجون"] إلى ملك وى، وقال له:" ليس ثَمَّ فرق كبير بين طبيعة دولة تشين والقبائل الهمجية [حرفيا: قبائل "رونغ"، و"طاى"] فكلاهما ينزع منزع السباع والوحوش، لا تحركه إلا دوافع الافتراس والنهب لاخلاق له؛ (فمثل هذا الصنف من الوحوش) لن يتورع أن يفتك بأقرب أقربائه، إذا مابدا له فى ذلك مغنم ما؛ وهذا أمر ذائع ومعلوم للكافة) ذلك أن دولة تشين ليست بالبلد الذى يمد يد العطف والبر للآخرين، ولا الدولة التى تشيع فى سياستها معاني الفضائل والأخلاق الكريمة.

فمن ذلك ما هو ذائع ومعروف من أن الملكة الأم نفسها، وهى والدة الملك شاو، (وبكل مالها من المكانة والنفوذ، لم تسلم من الوحشية التى طبعت خصال تشين؛ فاغتمت وماتت كمدا، بل إن رانخو، وهو خال الملك، وصاحب الأفضال والمآثر الجليلة عليه، كان مصيره النفي من البلاد، وعلى الرغم من أن شقيقى الملك الصغيرين: "قاولينجون" و"جين لينجون" لم يقترفا ذنبا ولاجناية، فإن إقطاعاتهما سلبت منهما مرتين (ظلما وعدوانا)، فلئن كان ذلك مسلك جلالته مع أقاربه وأفراد عائلته، فما بالك بدولة معادية! وبما إن جلالتك قد تحالفت مع تشين لمهاجمة هان، فستضطر إلى الاقتراب كثيرا من أسلوب ونهج تشين فى التعامل مع الدنيا بأسرها وهو ما لا أفهمه. (وأظن) أنه غاب عن جلالتك ذلك النمط الذى يدمغ تشين بطابعه، فهذا إهدار للحكمة والصواب.

إن الوزراء ورجال الدولة، جميعا يدركون الأمر على وجهه الصحيح . أما تقاعسهم عن النصح لك، فيطعن فى صدقهم وإخلاصهم من الأساس".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

"إن دفة الأمور فى هان بيد امرأة تقف بجانب الملك الطفل [(الصغير) .. حيث صارت الملكة الأم تتولى الوصاية على ابنها الملك"هوان هوى"]، فلا غرو أن الفوضى ضربت بأطنابها فى أرجاء البلاد، ولا أدرى كيف يمكن لبلد فى مثل هذه الحال أن يقاوم جيوش دولتين قويتين، هما تشين، ووى.

فهل بعد هذا كله مازلت تظن أن دولة هان تستعصى على الغزو؟ إنه إذا قُدّرلدولة هان أن تهلك وتزول من صفحة الوجود، فسوف تقوم تشين ببسط سيطرتها على كل الأراضى التى كانت تخص دولة "جنغ" وبهذا تصبح فى جوار منطقة "طاليان"، فهل يمكن لجلالتك (إذا ما تحقق مثل هذا الوضع..) أن تشعر بالأمان؟ وماذا إذا بدا لجلالتك أن تستعيد أرضك المفقودة، ثم تعرضت بسبب ذلك إلى مالاتحمد عقباه من دولة تشين، أتظن أن مثل هذا الحال، لونزل بك، يمكن أن يكون مفيدا على أى نحو؟

من المعهود فى شأن دولة تشين أنها تبغض الدول المثيرة للقلاقل والاضطرابات، وهكذا، فلابد أنها بعد القضاء على دولة هان، ستعمل على افتعال مامن شأنه أن يهيئ لها الأجواء لتسعى إلى بسط نفوذها فوق أرض أخرى، تجنى من ورائها المزيد من المكاسب، (وهى فى كل ذلك، وبالتأكيد..) فلن تقدم علة مهاجمة دولة تشو أو دولة جاو؛ وذلك لأن عبورها الجبال العالية ومجارى الأنهار الممتدة، واختراق منطقة"شاندانغ" – مرورا بقلب دولة هان – بهدف مهاجمة القوية الجبارة جاو، سيكون بمثابة تكرار لفصول الهزيمة التى عانت ويلاتها قديما فى موقعة يوى [.. وكانت تشين قد أرسلت فى ٢٧٠ ق . م قوات لمهاجمة جاو فى منطقة يوى، فلقيت على يدى قائد قوات جاو هزيمة نكراء] وهو ما لن تقدم عليه تشين، بأى حال؛ فإذا اتخذت طريقا عبر "هونيه"، وخلفت وراءها قرية "هيا"، ومنطقة "تشاوكى" ثم عبرت نهر "جانغ" وبحر "فو"، والتقت بقوات جاو عند أطراف العاصمة هاندان، محتكمة إلى السلاح ليحسم الصراع بينهما، فلسوف تلقى نفس الكارثة التى وقع فى أحابيلها، من قبل، جيبو. [حيث كان جيبوعلى رأس قوات دولتى وى، وهان فى حصارملك جاو، عام ٤٥٥ ق. م، واضطر بعد ثلاث

سنوات إلى فك الحصار لفشله فى مهاجمة منطقة "جين يانغ" مما أحنق عليه الدول الثلاث هان ووى وجاو، فاتفقت ثلاثتها على التخلص منه، فقتـل صبرا] وبالتالى، فإن تشين لن تفكر، على الإطلاق، فى أن تكرار مأساة سابقة.

فإذا أرادت أن تهاجم دولة تشو، وتجشمت - فى سبيل ذلك - كل الصعاب، وقطعت الأميال الطوال لضرب مضيق "مياناى"، فستكون عليها أن تطوى المسافات البعيدة، وأن تعد نفسها لأهداف تكاد تكون مستحيلة التحقيق، ومن ثم، فلن تطرق هذا السبيل أبدا. كما أنها لن تفكر - ولو مرة واحدة - فى أن تسلك عبر "هواى" متجهه نحو طاليان، بحذاء منطقتى شان تصاى، وجاولين، لتشتبك مع قوات تشو عند أطراف منطقة "تشندى".

وهكذا، فلا يمكن أن تقوم تشين بمهاجمة تشو وجاو أو حتى مجرد التفكير فى الإغارة على يان وتشى؛ ولذلك فما أن تفرغ من أمر دولة هان، حتى تتجه بقواتها صوب دولة وى؛ إذ ليس لها وجهة أخرى إلا هذه.

ومن المعلوم أن تشين لها السيادة، أساسا على مناطق: هواى، وماو، وشين تشيو، وعلى الرغم من ذلك، فها هى توالى إنشاء المحلات والمدن، وتقوم بتعمير منطقة "قويجين"؛ وذلك فى محاولة للاقتراب من منطقتى "قون"، و"تشى" الكائنتين بإقليم "هونى"، "وهواى" (وهو اقتراب محفوف بالمخاطر).

وليكن معلوما أنها إذا استولت على أرض جنغ، وبسطت سيطرتها على منطقة "يوانيون"، وأزالت جسور بحيرة"إينغ" فسوف تغرق "طاليان" تحت طوفان المياه الجارية، فلا تقوم لها، بعد ذلك، قائمة أبدا.

قد أخطأ سفراؤك لدى تشين خطأ شنيعا إذ قدحوا فى إمارة "آيلنينغ" [أحدى الإمارت التابعة لدولة وى] وتكلموا عنها بسوء، فى الوقت الذى كانت تشين تتطلع فيه إلى احتلال أرض "شيودى"، فإذا أضفنا إلى ذلك أن بعض أقاليم تشين (مثل: إيانغ" و"كونيان") تكاد تتجاور مع محلات تابعة لدولة وى (مثل: "أويانغ" و"قاولين") فسنفهم السبب فى

محاولة تشين الإسراع في القضاء على منطقة "آنلينغ" المشار إليها،لاسيما وقد بلغها (على لسان سفرائك ومبعوثيك لديها) من الطعن والذم لهذه المنطقة ماشجعها على المضي في عدوانها. وهكذا، فإذا قامت قوات تشين بتطويق الجهة الشمالية لمنطقة "أويانغ" في اتجاهها نحو شيودي في الشرق، فسوف تتعرض الحدود الجنوبية لدولة وي إلى خطر داهم، وحتى لو تصورنا أن حجم الخطر الذي يمكن أن يهدد جنوب البلاد (ليس بالدرجة التي يؤبه لها) فهل يمكن لدولة وي - بعد ذلك - أن تستشعر الأمان حقا؟

وفي كل الأحوال، فمن الممكن القول بأن حق دولة وي أن تبغض دولة هان، وأن تشعر بالجفاء نحو إمارة"آنلينغ"، لكن ليس من حقها أبدا(ولا هو من الصواب، قطعا..) ألا تنظر بعين الارتياب والقلق نحو ماقد تقوم به تشين من استيلاء على أراضيها الجنوبية".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

كانت تشين، فيما مضى، وقبل أن تتسع حدودها إلى مابعد غرب النهر [حرفيا: منطقة "هويشي"] فقد حاولت - منذ موقعة "لين شيان" وحتى الآن - مهاجمة دولة وي عشر مرات، هذا على الرغم مما كان يفصل بين مدينتي "آني"، وجيانغ [عاصمة دولة جين القديمة] وعلى الرغم أيضا مما بين البلدين من (الفواصل الطبيعية..) الجبال والأنهار، وفواصل التقسيم الإداري والسياسي.. مثل وجود دولتي جو، وجونشان في منتصف المسافة بينهما. وقد استطاعت تشين، في خمس محاولات منها، أن تقتحم البلاد وتدخلها عنوة، وأن تعيث فسادا في المدن والقرى الواقعة بالمنطقة الحدودية؛ حتى تهدمت مدينة "أونطاي" واحترقت "تشويدو"، وتقطعت أشجار الغاب، فقضي على الأيائل والغزلان البرية، ووقعت العاصمة تحت الحصار. ثم تقدمت قوات تشين في طريقها نحو شمال البلاد فدارت دورة كاملة حتى بلغت مشارف مدينتي وي، وطاو في الشرق

وكانت قد استولت، في الشمال، على مناطق: "خوكان"، وجنوبي وشمالي جبل "تشوتياو"، بما ذلك في جنوبي النهر الأصفر وشماليه، حتى كان مجموع ما احتلته من مراكز المدن يزيد عن المائة، بينما بلغت حصيلة ما استولت عليه من المدن الكبرى ما يفوق العشرات.

فإذا كانت دولة تشين قد استطاعت أن تسلط سيف العدوان على هذه المناطق برغم طول المسافة بين طاليان وبين "جيانغ" عاصمة جين والمناطق الواقعة غربي النهر، فما بالك بما يمكن أن يقع، هذه المرة، لدولة وى لاسيما أن المسافة بين قوات تشين ومنطقة طاليان، سوف تقل كثيرا، بحيث لاتكاد تبلغ المائة"لى"، بينما تكون ميزة ماتمثله دولة هان من حاجز وقائى بين تشين و وى قد فقدت تماما، مثلما تسقط مزايا الفواصل الطبيعية من الجبال والأنهار البينية. ولايعود وجود دولتى جو وهان مانعا دون تقدم تشين. فلابد أن خطر تشين، حينئذ، سيكون أعظم، وما يلحق بنا على أيديها من كوارث سيكون أفدح.

فإذا كنت تنتظر يوما يمكنك فيه الانضمام إلى التحالف الرأسى، فلاأظنك بالغ هدفك بنجاح؛ إذ سيقع الشك فى أفئدة دولتى وى وتشو؛ أما دولة هان فلن تستطيع الحضور إليك لتوقيع معاهدة سلام وصداقة معك. ثم إنه قد مر عليها الآن ثلاث سنوات منذ أن منيت بأهوال القتال الذى لاتريد له دولة تشين أن يهدأ إلا بإخضاعها تحت نفوذها، وإجبارها على المصالحة معها بأى وسيلة، بينما مازالت هان تثابر على المقاومة والعناد، مهما كلفها ذلك من جهد، بل قد أرسلت إلى دولة جاو رهينة لضمان السلام معها، وتطلب الانضمام إلى الدويلات لتندمج وسطها كما يأتلف الطير مع سربه، ويطير معه حيثما يطير، ماضية فى قتالها حتى النهاية [حرفيا: حتى تنثلم نصال رماحها].

ويبدو لى أن دولتى تشو وجاو ستتحالفان بكل تأكيد، مع دولة هان فى الهجوم على تشين؛ والسبب فى ذلك يتمثل فى وقوفها على مطامع تشين، وجشعها الذى لا ينتهى عند حد معلوم، حتى لوتبددت أمامها الجيوش وخضعت لها رقاب الناس بالطاعة والإذعان. فمن ثم أردت أن أؤيدك وأعينك عارفا بحقك علىّ معترفا بالطاعة لك، وناصحا لك

للانضمام إلى التحالف الرأسي، وسرعة قبول عقد معاهدة مع كل من تشو وجاو. بالإضافة إلى تشديد قبضتك على رهائن دولة هان لديك، جاعلا من الحفاظ عليهم أمرا ذا أهمية قصوى، وانطلاقا من هذه النقطة، تستطيع أن تطالب هان بأن ترد إليك أراضيك (التى سبق أن سلبتها منك) وستجدها طوع بنانك.

وهكذا تعيد إلى جيشك وشعبك أرضه المسلوبة دون أدنى جهد، وهو إنجاز يفوق كثيرا (ماكنت تنتويه من..) التحالف مع تشين فى مهاجمة هان، هذا طبعا، بالإضافة إلى ماتجنب به نفسك وبلادك من ويلات التماس الحدودى مع دولة تشين".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

"وفوق ذلك كله، فإن العمل على استتباب أحوال وى، والدفاع عن مصالح الدويلات ومايعود عليها بالنفع، يعد فرصة هائلة لدعم طموحاتك الجبارة.

إن مد خطوط المواصلات بين "شانتانغ" (فى دولة هان) وكل من منطقتى "قونغ"، "نينغ" بما يساعد على رواج الاتصال بينهما، ومايستتبع ذلك من إقامة نقاط للتفتيش، بحيث يتم تحصيل رسوم المرور من العابرين فى الاتجاهين، يعد من قبيل التصرف السديد يزيد فى قيمة "شانتانغ" بوصفها منطقة يمكن أن تخضع للمساومات المستقبلية. وباقتسام حصيلة الرسوم بين بلادكم ودولة هان، فسيكون هناك مايكفى من الدخل الذى يعزز الازدهار المادى فى وى، ويجعل دولة هان فى غاية الامتنان لكم؛ وإذ تلقون من دولة هان التأييد والود والاحترام المقترن بالإكبار والتهيب، فستجدونها سائرة فى فلككم، لاتخالف لكم أمرا، بل تصبح فى الواقع، كأحدى الولايات التابعة لبلادك، وهو ما سيضمن السلام والاستقرارفى ربوع "ويدى"، و"طاليان"، و"خواى". أما إذا لم تعملوا على الحفاظ على هان، فسوف يحل القلق والتوتر فى أنحاء دولتى جو الشرقية والغربية، بل تتعرض منطقة "آنلينغ" لغارات قوات تشين، وإذا ماحاقت الهزيمة مرة ثانية بكل من تشو وجاوعلى يد جيش تشين، فسوف يتنزل الرعب بساحة دولتى يان، وتشى . وهو ما سينجم عنه هرولة الدويلات كافة باتجاه دولة تشين، وتقترب ساعة الاعتراف لها بالطاعة والإذعان والتسليم".

لما قام لى توى بعقد معاهدة تحالف مع وى

قام لى توى (باسم دولة جاو) بعقد معاهدة تحالف مع دولة وى، وأراد حاكم البلاد أن يصل ولده بمكافأة جزيلة، فذهب إلى جلالته من قال له: "لقد قمت جلالتك بنفسك، وعبرت نهر جانغ، وذهبت لمقابلة ملك جاو فى (العاصمة) هاندان، وتفضلت بتسليمه المناطق الأربع "قا" و"شوى" و"يين"، و"تشنغ"، وهو مالم يرد عليك بمثله ملك جاو. فهل تجد داعيا (بعد ذلك) لكى تتفضل بإهداء ولد لى توى (مناطق:) "هيانغ"، "كومى"؟ لست أرى مايوجب مثل هذا التصرف". وهنالك أمسك ملك وى عما كان قد اعتزمه من تقديم المكافأة.

لما طلبت تشين إلى دولة جاو مهاجمة وى

طلبت دولة تشين إلى دولة جاو مهاجمة وى، فأرسلت هذه إلى ملك جاو من قال له: "إن مهاجمة دولة وى، تعد نقطة البداية الأولى للقضاء على دولة جاو. وكان أهل جين، فيما سلف من الزمان الغابر، قد عقدوا العزم على إبادة دولة "يو"، فشنوا غارات الهجوم على دولة "قوا" باعتبار أن البدء بمهاجمة هذه الدولة سيؤدى إلى القضاء على تلك.

وقصد "شونشى" إلى ملك يو وبذل له الصلات الوفيرة من الجياد الأصيلة واليشب والجواهر الكريمة، راجيا إياه أن يسهل له استخدام الطرق العامة لمرور قواته، وأسرع "قونجى تشى" [كبير رجال دولة يو] إلى الملك ونصح له (بعدم الموافقة، محذرا إياه من عواقبها) إلا أنه لم يجد آذانا صاغية؛ إذ وافق الملك على الطلب وسمح لدولة جين بالتسهيلات المطلوبة. مما مكنها من الإغارة على دولة قوا، لكنها(بعد الانتهاء من حملتها العسكرية، وإبان عودتها..) هاجمت دولة يو فى عقر دارها.

لذلك، فإننا عند مطالعة حوليات التاريخ القديم المدونة فى الكتاب الشهير بعنوان "الربيع والخريف" فيما سجله من أحداث تلك الواقعة، نجده ينحى باللائمة (فيما حدث) على ملك يو.

ومن يتأمل أحوال الممالك اليوم يجد أن دولة جاو الأقوى، لايكاد يوازيها فيما بلغت إليه من مقدرات التفوق، سوى دولتي تشين، وتشي.

وإنك إذ تتخذ رئيسا للوزراء متسما بالنفوذ والسمعة الطيبة، بجانب ماهو معروف عنك من الحكمة والفطنة، فسوف تثير قلق تشين الدفين، فلا ترى في الوجود بلدا يهدد مكانتها وهيبتها غيرك، وتصير دولة وي، كأنها تستعيد دور دولة "قاو" بالنسبة لـ جاو، بينما تصبح جاو (بالمقابل) كأنها تمثل قيمة يو بالنسبة لـ"وي". ومن ثم فإن الأخذ بنصيحة تشين التي تحثك على مهاجمة وي، يعتبر أقرب شيء، لما حدث، في الماضي، مما قامت به يو؛ إذ استعارت طرق جارتها لاستخدامها في القتال. فأرجو من جلالتك مراجعة الأمر بمزيد من التأمل والتحقق من دخائله وجوانبه المختلفة".

لما قام أمير دولة وي في تشو باعتباره رهينة

أقام أمير دولة وي، في تشو، بوصفه رهينة (لإقرار السلام) وكان أن أرسل إلى "لوبي" [كبيروزراء وي] وهو (في بلدة) يانلينغ، من قال له:" كان من المقرر أن سيادتكم ستنتظرون ريثما يقوم التحالف بين دولتي تشي وتشين، لكي تقوموا بنجدة "بيشي" . لكن يبدو من مظاهر أحوال البلدين أنهما لن يتحالفان أبدا، بالإضافة إلى ذلك، فمن الواضح أن السيد" تيشيان" [رئيس وزراء وي] لايمقت أحدا، في الدولة كلها سواك، وكل رجاله يفكرون في التحالف مع تشي وتشين، ومجافاة دولة تشو، لا لشيء إلا تقليلا من شأنك، ومن ثم فليس عليك إلا أن تقصد ملك تشي، فتقول له.." ما كان لدولة وي أن تعاني مما هي بصدده من الهزيمة العسكرية بسبب ماقامت به تشين من الهجوم عليها (هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى..) فما كانت تشو تتفانى في الاعتراف بطاعتك والعمل على خدمتك، إلا لأنها تبغض وي بغضا لا مزيد عليه؛ ولذلك فإني اقترح عليك أن تنصح لدولة تشين بمهاجمة وي".. وهكذا تنعقد نية ملك تشي على مهاجمة تشو، وإذ يمتلئ صدره غيظا وغضبا من تشو لعدم مصافاتها وموالاتها، فسيطلب من دولة وي أن تتصالح مع تشين والتقرب إليها بالتنازل لها عن الأراضي والاعتراف بطاعتها.

وكم سيشعر ملك تشى نحو تشانغى بالمقت والكراهية لما يمثله من قوة وماحازه من إمكانات هائلة تحت تصرفه، تتمثل فى الطاقة التى أمدته بها كل من دولتى تشين وهان، كما أن ملك وى لن يستطيع أن يعتمد على تشانغى فى أى شىء بعد ذلك، أما الآن وقد لجأ "تيشيان" إلى مجافاة دولة تشو، استنادا إلى ما تمده به تشين وتشى من قوة وافرة، فى محاولة للنيل من هيبتك وقدرك، فإنى أشعر ببالغ القلق عليك.

وإذ تقوم دولتا تشى وتشو بالتصالح مع تشين مقابل التنازل لها عن بعض أراضيها، فهل من الممكن أن يقود ذلك إلى موافقة تشين على إطلاق يد تشو لتتصرف على هواها؟

إذا قامت تشين بهجوم مباغت على تشو، فسوف تنسحب هذه بقواتها، ويقع الرعب فى قلب ملك وى، عندئذ تستطيع أن تتنازل لدولة تشين عن الأراضى الواقعة شمالى نهر "فن" سعيا للتصالح معها والتودد إليها عسى أن تستطيعا معا عزل دولة تشى . وإذ تلقى عظيم الاهتمام لدى تشين وتشو فسوف تترقى إلى منصب رئيس الوزراء، وهو ما أظن أن ملك تشين وتشولنجى يتطلعان إليه، كما أرجو من سيادتك السماح لى بأن أقوم بحملة دعائية لأجلك".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

ثم إن المبعوث التقى بـ"تشوليجى"، وقال له: "إن جلالة ملك تشين يعد مهاجمة " بيشى" أول واجباته ذات الأهمية القصوى، باعتبار أن أى تقصير فى هذا الشأن قد يفقده العزة والمهابة أمام الدويلات والأمراء. فما بالك إذا كان الهجوم على بيشى يفتح الطريق أمام مهاجمة دولة هان، و وى، بكل سهولة!" فرد عليه تشوليجى، قائلا: "قد تفاوضت مع ملك وى، وقمت بتسوية كل الأمور بعد التصالح مع جلالته، ولم تعد هناك ضرورة لاستئذانه فى إعارتنا منطقة بيشى". فقال الرسول: "أستطيع بتفكيرى البسيط وعقلى الساذج الأحمق أن أقوم بتقدير الأحوال القائمة، فائذن لى بذلك ولاتسخر منى أو تهزأ بى! لأن الحصول على منطقة بيشى مسألة مهمة جدا وذات نفع كبير للبلاد،

وبالتالى فإن التنازل عنها أو أهداءها إلى دولة وى يقوم على افتراض أنكم ستعجزون إن آجلا أو عاجلا عن الاحتفاظ بها والدفاع عنها، وبالتالى فمن الأسلم إعطاؤها إلى دولة وى؛ لكنكم، الآن، تملكون من القوة مايفى باستردادها وحمايتها، فما الذى يمنعكم من أخذها عنوة (لو لزم الأمر)؟" فأجابه تشوليجى، وقال: "وكيف السبيل إلى ذلك، فيما ترى؟" فرد عليه المبعوث، بقوله:" إن أهم، دولتين تعتمد عليهما وى الآن، هما: تشى، وتشو، وأهم رجلين من رجال دولتها، هما "لوبى"، و"تيشيان"، وأكاد أسمع ملك تشى وهو يحادث ملك وى، الآن، ويقول له.."إن جنودك يرددون كلاما مفاده أن بلادكم تبغى شن الحرب علينا" ومن ثم تمتنع دولة تشى عن دعم ومساندة وى. (وهنالك) تحنق دولة تشو على دولة وى وتحمل عليها أنها لم تقم بتولية لوبى أى منصب كبير، بل إنها أوفدت (بدلا منه) تيشيان لأجراء المصالحة مع تشين، ومعنى ذلك أن دولة تشين (وقد بلغ بها الغضب هذا المبلغ..) سوف تقطع علاقاتها مع وى، وهو أمر لا مراء فيه.

وإذ يخشى تيشيان ماقد تتعرض له دولة وى من خطر التفكك والإنهيار فسيسارع إلى التحالف مع تشى وتشين، فى استبعاد واضح لدولة تشو، مما يعنى التقليل من شأن "لوبى" الذى سيعمل (من جانبه) على التحالف مع تشو وتشين مستبعدا من حساباته دولة تشى ومتجاهلا دور ومكانة "لوبى".

وأرى أنه من الأفضل لسيادتكم الوقف الفورى لكل مفاوضات التصالح مع وى، على أن توفد إلى لوبى من يقول له.. "هل لديك استعداد أن تعطينا المنطقة الواقعة شمالى" فن"؟

فإذا كنت مستعدا حقا، لهذا، فعليك بالتحالف مع تشو، وأن تتجاهل تماما دولة تشى؛ لاسيما أنه مما يهمنا كثيرا اضطلاعك بدور قيادى بارز وتوليك المكانة والمنصب الرفيع".. وعندئذ، لن يتوانى لوبى ودولة تشو عن الأسراع باتخاذ اللازم فى إطار هذا التوجيه. ومن ناحية أخرى، فعليك أن ترسل إلى "تيشيان" من يبلغه قائلا: "أتستطيع أن تتنازل لنا عن المنطقة التى تقع شمالى نهر" فن"؟ إذا كان ردك بالإيجاب، فلابد من التحالف مع تشى، والتباعد عن تشو، فيكون لك النصيب الأوفى من الترقى

(وسنعمل على تزكيتك فى هذا الاتجاه)"، ومن المؤكد أن تيشيان لن يدخر وسعا فى السعى لإنجاز هذه الخطة. وبهذه الطريقة تستطيع أن تفرض نفوذك (فيما يتعلق بالشئون الخارجية) على دولتى تشى وتشو؛ كما تفوز (فى المسائل الداخلية) باثنين من التابعين السائرين فى فلكك، فما الذى يمنعك من الحصول على الأرض التى حدثتك عنها إذن؟"

سجل وى الرابع

لما رفع الملك كتاب

... [ثمة كلمات سقطت من المدونة الأصلية (القديمة)]... ذهب إلى ملك تشين من رفع إليه كتابا، جاء فيه مانصه: "بلغنى - فيما يبلغ الناس سرا وهمسا من أنباء - أن جلالتكم تخطط للهجوم على دولة وى؛ فهى خطة غير ملائمة ولاسديدة، وأرجو إعادة النظر فيها بالدقة الواجبة. وتبدو لى دولة وى، أشبه شىء بحزام تتمنطق به الدويلات الست فى إقليم "شانتون"، أو هى أقرب ماتكون شبها بثعبان كبير ملتف فى دائرة، إذا ضربت ذيله، دافع عنه برأسه، فإذا هويت على رأسه، تلقى الضربة بذيله، فإذا أردت أن تركله فى بطنه، حامت عنه الرأس والذنب. وهكذا، يبدو لى ملك وى الآن، كأنه الخصر فى جسد الدويلات . فإذا أقدمت دولة تشين على ضرب وى، فسيبدو أمام الممالك والدويلات التى تحت السماء، وكأنها تريد أن تقصم ظهر الدويلات الست فى "شانتون" وسيتلو ذلك شىء أشبه" بالرأس والذيل يصدان عن البطن"؛ وإذ تجد الدويلات الست نفسها على وشك أن تلقى الإبادة التامة، فسوف ينتابها الرعب، وبالتالى تقوم بينهم التحالفات، مما يعنى تفوق قوتهم المجتمعة، وأتوقع على ضوء ذلك، أن تتجسد أمام العيان المحنة التى ستعترض طريق تشين . وهو مايجعلنى استشعر حرج موقفكم، ويدعونى - من ثم - إلى التأمل وتقليب الأمر على مختلف أصعدة الاحتمالات . ثم لاأجد مخرجا أفضل من دفع القوات صوب الجنوب للاشتباك مع دولة تشو، حيث تعانى بشكل عام، من ضعف القوة العسكرية، كما أن أحدا لن يبادر إلى نجدتها أو مساندتها، وستكون النتيجة فى صالح تشين؛ إذ تزيد فى مساحتها أراض جديدة تضاف إليها، فتتسع رقعتها، وتعزز مواردها، ويقوى جيشها، ويلقى عرشها التمجيد والمهابة والتعظيم .

ألم تسمع يامولاى بقصة هجوم الملك طانغ (آل شانغ) على [الطاغية] "جيه" (آل شيا)؟" حيث جرى البدء بمهاجمة دويلة "ميشيو" [دويلة صغيرة فى زمن أسرة شانغ الملكية القديمة] الضعيفة المتهافتة على سبيل اختبار القوة والتدريب القتالى، فلما تم اقتحام ميشيو، استطاع الملك طانغ أن يتقدم لإخضاع الطاغية "جيه" [أسرة شيا الملكية القديمة].

وبما أن دولة تشين تعلم تمام العلم ماتضمره لها باقي الدويلات من الكراهية والعداوة، فلابد لها أن تبدأ نشاطها القتالى مع دولة ضعيفة، وإلا كانت الهزيمة من نصيب قواتها، والمحنة أو النكبة النكباء مصير البلد كلها".

وبالفعل فقد تحركت قوات تشين إلى الجنوب، فاقتحمت "لانتيان" بالإضافة إلى منطقتى يان، وإينغ.

لما كان العام السادس من حكم الامبراطور

لما كان العام السادس من حكم الإمبراطور "تشين شيهوان" [عام ٢٤١ق.م])... ثمة بياض فى المتن، حيث سقطت كلمات من النص القديم)... ذهب إلى ملك وى، وقال له:" كانت دويلة تصاو، فيما مضى تنظر إلى دولة تشى بوصفها (أهم سند لها بين الممالك) وعلى هذا الأساس راحت تقلل من شأن دولة جين، وعندما انشغلت دولة تشى بالإغارة على دولتى "لاى" و"إينغ"، انتهزت دولة جين الفرصة وباغتت دويلة تصاو بالهجوم.

ثم إن دويلة "سنغ" تمكنت من صد هجوم دويلة "يوى" عليها بفضل استنادها إلى قوة تشى. فلما وقع فى هذه الأخيرة العصيان المسلح(الذى قاده من داخل القصر، "تيان شى") انتهزت دويلة يوى هذه الفرصة وهاجمت مدن سنغ ومن جانب آخر فقد كانت دويلة جنغ تستند إلى قوة دولة وى، وتنظر بعين الازدراء إلى دولة هان، فلما قامت وى بمهاجمة منطقة "إيو" [تنطق كما فى" إيوان"] استغلت هان وقوع تلك الأحداث، وهجمت على دويلة جنغ.

وكـان إقليم "يوانكـو" يدين في وجـوده بقـــوة كل من دولة تشـين وقـبـائل "دي" [تنطق كمـا فى "الوادى"] بينمـا يعـــد دولة جـين غـير جـــديرة بأدنـى تقدير. فمـا أن دهمت السـيول الجارفـة دولتى تشين وقبائل "دى" حتى سارعت جين إلـى شن الهجـوم على يوانكو.

وكذلك كانت دولة جونشـان تعـتـمد على مسـاندة كل من تشـي، و وى لهـا بينمـا لم تكن تنظر بعين التقـدير إلى دولة جـاو. فلمـا انـهمكت وى وتشـى فى القـتـال مع تشـو، هرعت جاو إلى مـهاجـمة جونشـان، فـدحـرتهـا. وهكذا نجـد أن السـبب فيمـا أصـاب تلك البلاد من ضيـاع وانـهيار يكمن فى تصـوراتهـا بـأنهـا ذات سند تتكئ عليـه (يتمـثل فى دولة قوية تمدهـا بالدعم) ثم إن هـذا الحـال لايقـتصـرفـقط على تلك الدويلات الخـمس، بل يشـاركـهـا فـيه الكثـير من الدويـلات والممـالك، في كل مكان، خصـوصـا، تلك التـى كـان مصيرهـا الفناء.

إن الأسبـاب الداعيـة إلى عدم الاتكاء أو التعويل كثيرا على ماتقدمه الدول الأخرى من مسـاندة كثـيرة ومتبـاينة، كمـا أن مـاينجم عن ذلك من كوارث لايحـصرهـا عد. فمن هذه الدول – مـثـلا – مـا لايصلح لأن يكون موضـع مسـاندة بسـبب مـا يعـتـور تعـاليمـهـا وأفكارهـا السـيـاسـيـة من خلل يحـتـاج إلى إصـلاح وضـبط وتقـويم، أو أن يكون تفـسخ أقليمـهـا وانعـدام الوحـدة بين أجزائـهـا حـائلا دون جدارتـهـا كسند لبـاقـى الدول، ومنـهـا مـايكون موقعـه إلي جـوار دول ذات أسـاليب خـادعـة وملتـويـة، هـو السـبب فى عدم تمتـعـه بمكانة "حـامي الحمى"؛ ومنـهـا ماتكون ندرة مـوارده الزراعـيـة والحيـوانيـة وقلة مـحـاصـيله مـانعـا لمصـالحـه ووجـوه النفـع العـائدة عليـه. وهـنـاك بعض الدول (التـى لايمكـن الاسـتـنـاد إلى قوتها ومكانتهـا..) لأنها اقتربت من حافة كارثة.

فلكل ذلك عرفنـا أنه لايمكن الاتكاء على قـوة بلد آخر، لكن جـلالتك تعـتـد كـثـيـرا بمسـاندة تشين لك، وتعـتـمد عليـهـا (فى كل كبيرة وصـغـيـرة) وتصـدق كل مـا يقـوله لك الملك "شنجـون"، ومن ثم فـإن أى مـحـاولة لمقـاومـة أو صـد أو مـواجـهـة تشـين، لأى سـبب كـان، سـتكون لهـا عـواقب يصـعب تـقـديرهـا. أمـا إذا تعــرضت تشـــين لأية نكبـات أو كـوارث،

فلن يتحمل نتائجها سواك وحدك . فأنت وعلى الرغم مما فى حوزتك من بلد ذى مقدرات عالية – تعتمد اعتمادا كليا على أفكار رجل واحد وتصغى له بأذن السمع والطاعة، وهذه – فيما أرى طريقة غير سديدة، فأرجو مراجعة هذا الأمر مليا والتأمل فى جوانبه بعمق".

لما توجه ملك وى بسؤال إلى محدثه

توجه ملك وى بسؤال إلى "تشانغماو"، قائلا: "ما رأيك فيما إذا اشتركنا مع دولة تشين فى ضرب هان؟" فأجابه الرجل بقوله: "فلنتساءل، هل ستقعد هان، حينئذ، تنتظر نهايتها، أم تسارع إلى التنازل عن بعض أراضيها ترضية للدويلات واعترافا بطاعتها؟" فرد عليه الملك، قال: "لابد أن هان سوف تتنازل عن الأراضى إذعانا وخضوعا". فقال له تشانغماو: "أى البلدين تمقته دولة هان بشدة، أهى دولة وى أم تشين؟" فأجاب الملك بأنها لاتكره بلدا فى الدنيا كراهيتها لدولة وى، فقال له محدثه: "وأى البلدين تظنه هان الأكبر (والأقوى)، دولة تشين أو دولة وى؟" فأجابه الملك بأنها ترى تشين الأقوى والأعظم، فعاد تشانغماو يقول له: "إذا ماتنازلت دولة هان عن بعض الأراضى، أتظنها تذعن للبلد الأقوى، وتتحد مع البلد الذى لا تبغضه؟ أم تراها عندما تتنازل عن أجزاء من أراضيها، تخضع للدولة الأضعف، وتتحد مع الدولة المكروهة؟"، فأجاب ملك وى، بقوله: "إن دولة هان؛ إذ تتنازل عن الأراضى، فستخضع لمن تراه الأقوى وتتحد مع من لاتبغضه"، وهنالك قال له تشانغماو: "فأمض، إذن لما أنت بصدده من مهاجمة هان، فأنت أدرى الناس بهذا الأمر وأملكهم لزمام التدبير فيه".

لما تحدث أحد الضيوف إلى كبير رجال دولة

تحدث أحد الضيوف إلى "سيما هى" [أحد كبار رجال دولة وى] قائلا له: "لا يتحدث عن توحيد الممالك إلا رجل لايفقه فى أحوال الدول شيئا. ولا يتكلم رجل عن وجوب قيام دولة وى، بمفردها بمناوأة ومقاومة دولة تشين إلا كان جاهلا بأحوال وى تماما.

ومن يزعم أن الرجل [المشـار إليـه هنا قـد يكون أمـيـر دولة لو] الداعى إلى التحـالف الرأسى لايدرك شيئا عن تلكم الحقيقة، فإنمـــا يدل بقـــوله هـــذا على عدم معرفته بذلك الرجل.

فكيف نحكم، إذن، على ذلك الرجل الذى يدعـو إلى التحـالف الرأسى؟ [والإجابة فى رأيبى، هى أنه..] إذا مـاقام التحالف الرأسى، فسوف يثبت أنه الرجل الأعظم أهمية، أمـا إذا تعثر مشروع هذا التحـالف، فسوف تتوارى كثيرا أهمية دور الرجل وتتضـاءل مكانته إلى أدنى مستوى، لكن حتى أولئك الذين تزداد أهميتهم رسوخا وهم يدعون إلى التحالف الرأسى، سيجدون أنفسـهم عاجزين عن اتخاذ قرارات عملية وواقعية وجادة (بشأن هذا التحالف الرأسى) فما الذى يمنعك عن انتهاز فرصة انغماس الدول الثلاث فى مهاجمة تشين، وتفوز منها بمزايا جيدة، ولابد أنها سترحب بك وبموقفك وإلا فليكن معلوما لديك أن مجموعة دول التحالف الأفقى ستدبر المكائد والمؤامرات ضدك لترغمك على الانضمام إلى جبهتها، فذلك هو السبيل إلى نقل رصيدك القوى (من التحالف الرأسى) إلى الجهة الأخرى".

لمـا قامت وى مع تشين بمهاجمة دولة

قامت وى مع تشين بمهاجمة دولة تشو، لم يكن ملك وى (فى أول الأمر) راغبا فى الاشتراك فى هذه المعركة [وقعت أحداثها عام ٣٠١ق.م] فذهب إليه "لوهوان" وقال لجلالته: "إذا لم تشترك مع تشين فى مهاجمة تشو، فلن تتوانى هذه عن التنسيق مع ملك تشين لضربك، وأرى أنه من الأفضل أن تقوم بما يساعد على اندلاع الاشتباك بين تشين وتشو، على أن تسعى (من جانب آخر) إلى حثهما على ضبط النفس وعدم التمادى فى القتال".

لمـا قام رانخو بمهاجمة منطقة طاليان

قام "رانخو" بمهاجمـة منطقة طاليـان، واقتحم إقليم "بيجاى" وكـان أن ملك وى أصبح يأتمر بأمر رانخو، ويسير فى ركابه، فذهب إليه (ذات مرة) وقال له: "قد هاجمت دولة تشو وحصلت على أرض "وان" و"رانغ" فأضفتهما إلى مساحة إقليم "طاو"، ثم لم تكتف بذلك، فخرجت لقتال دولة تشى وأخذت منها – عنوة – أرض "قان"، "تشو" وأضفتهما إلى مساحة "طاو" أيضا؛ وواصلت المناوشات مع دولة وى حتى سلبتها أرض "شيو"، "ويانلينغ" ثم ما لم تلبث أن ضممتها إلى إقليم "طـاو" كـذلك، وعلى الرغم من كل ذلك لم يكترث ملك تشـين بكل (مـافعلت من..) هذه الأمور، فمـا السبب فى ذلك؟ أيكون السبب راجعا إلى عدم القضاء نهائيا على طاليان؟ (لكن) لو تم الآن القضاء نهائيا عليها، فإن احتـلال منطقتى شيو، ويانلينغ، سـوف يجعلك موضع لـوم وتأنيـب، وهو ماسوف يوقع بك فى مأزق بالغ الدقة والحرج. ولذلك فإنى أفضل، لو كنت مكانك، ألا أهاجم طاليان إيثارا للسلامة وطلبا للفائدة".

لمـا تحدث بايقوى إلى الشريف الأجلّ

تحدث بايقوى [يقال، تارة، بأنه من وى، وتارة أخرى، من دولة جو، لكنه إبان تلك الفترة كان يعمل بوظيفة مرموقة فى بلاط تشين] إلى الشريف المـاجد "شين تشينجون" [خال ملك تشـين]، فقال له: "إن السائر ليلا يملك أن يصد نفسـه عن إيذاء الآخرين، لكنه لا يستطيع أن يمنع كلاب الليل من النباح واللهاث وراءه؛ وكذلك بوسعى أن أمسك لسانى عن القدح فيك أمام جلالة الملك . لكنى لن أقدر على أن أمنع الآخرين من القدح فىّ لديك، أو ذكر مثالبى عندك!"

لمـا قامت دولة تشين باقتحام محلة

قامت دولة تشين باقتحام قرية "قوان" (من أعمال دولة هان) فسارع ملك وى بدفع قوات لنجدة هان، فذهب إليه شـاوجى [أحد مواطنى دولة تشو، يعمل فى بلاط وى]

وقال له: "إن دولة تشين، كما علمت، من القوة بمكان؛ أما دولتا وى وهان، فهما مجرد بلدين يتقاسمان معها حدود الجوار، فإذا سلما من هجومها كان ذلك خيراً، على أية حال، أما إذا خرجت تشين للحرب والقتال، فهى لن تهاجم هان، بل ستتجه رأسا إلى دولة وى، لكنها الآن و لحسن حظ دولة وى، اختارت دولة هان هدفا لهجومها. لكنك عندما تحاول الآن أن ترسل نجدة إلى هان، فربما استطعت بذلك أن تفك الحصار المضروب حول محلة "قوان"، وهو ما سيستدعى (من جانب تشين) محاولة أخرى لحصار طاليان (الواقعة فى أرضك)" لكن ملك وى مضى مصمما على رأيه، قائلا: "إن التقاعس عن مساندة هان فى هذا الوقت سيحملها على البغضاء لنا، مما قد يدفعها إلى الذهاب غربيا للارتماء فى أحضان تشين التى سترحب بها، ويصيران معا وحدة بلد واحد، فيحيق بنا الخطر".

الجزء الثاني من الفصل نفسه

ثم إن دولة تشين تجاهلت (بالفعل) منطقة "قوان"، وشرعت رماح هجومها صوب دولة وى، فأسقط فى يد ملكها، وركبه الرعب، وكان أن تحدث إلى شاوجى قائلا: "لم أهتد بنصحك فنزلت بى الكارثة، فقل لى كيف أصنع الآن؟" وهنالك اهتم شاوجى للأمر وقصد إلى ملك تشين فقابله، وقال له: "بلغنى، يامولاى، أن الملك الحكيم لايحكم بهوى نفسه ولايعالج الأمور حسب نوايا قلبه. وإنما يعقد للرأى، ديوان المشورة، فلا يقرر أمرا إلا مراجعة جمهور الآراء [هكذا] وبعد، فأرجو من جلالتك التراجع عن مهاجمة وى، كما أرجو أن يعمل بنصيحتى فى هذا الشأن" فلما سأله الملك عن السبب فيما يقوله، أجابه: "(دعنى أسألك أولا..) ما السبب – فى رأيك فيما عليه الدول الست الواقعة شرقى جبل شياو، والمنضمة إلى التحالف الرأسى، مما ينشأ بينها دائما من مصافاة وود وتحالف تارة، ونفور وتباعد وانفصال تارة أخرى؟" فلما أجابه الملك بعدم وضوح السبب فى تلك الحال لديه، رد عليه شاوجى، بقوله: "ماتوحدت الدويلات إلا بسبب عدم تحديدك للهدف من هجومك، ومادب بينهم الشقاق إلا عندما وضح لديهم، بشكل قاطع

هدف ضرباتك القتالية. ثم إنك لما كنت بصدد مهاجمة محلة قوان، بدولة هان، فقد حل الخطر عليها وأحاط بها من كل صوب، وإذ لم تصل جلالتك إلى نتيجة محددة فى هذا الهجوم، فقد حـــولت قواتك لمهاجمة دولـــة وى، مما دعا الدويــــلات إلى الانضمـــــام إلى التحالف الرأسى بعد أن بدا لهم أنها الفرصة السانحة والتوقيت الأكثر ملاءمة (لمثل هذا الانضمام).

إنه مامن بلد تحت السماء [هكذا حرفيا: بمعنى فوق الأرض، فى إطار الممالك الصينية القديمة!] إلا يعرف جيدا أنه لاطاقة له بمقاومة أطماع وطموحات تشين، ولذلك فلوكنت مكان جلالتك لسارعت إلى تأديب دولة جاو، كبحا لجماحها، وهو ما سيرغم دولة يان على الاعتراف بطاعتكم والمثول بين يديكم صاغرة ترفع لواء التأييد والخضـــوع، أما تشى وتشو فلن يمكنهما تكوين تحالف رأسى بمفردهما .(واعلم) أنه إذا تكالبت عليك الممالك بسبب عـــداوتك وعدوانك، فـــسوف يضـــمحل شـــأنك وتذهـــب قـوتـــك"، وعندئذ أصدر الملك قراره بوقف العمليات الهجومية ضد وى على الفور.

لمـا نشبت المعارك بين تشين وجاو

لما انعقدت أجواء الكراهية فوق تشين وجاو فقد نشب القتال بينهما، وذهب إلى ملك وى من قال له: "من الأفضل (فى هذه الظروف) أن تسارع دولة وى بالاتحاد مع دولة جاو فى مواجهة تشين بوصفها عدوا مشتركا، فإذا لم تتحد معها فى جبهة واحدة ضد ذلك العدو الواحد، فلن تستطيع جاو أن تثبت فى القتال مع تشين بجيش تكبد خسائر فادحة، أما إذا دخلت وى ساحة الحرب مع تشين فلابد أن جاو ستقدر على معاودة العمليات القتالية، وتنظر بعين الاهتمام لدولة وى؛ (فهذه فرصة..) لتحجيم قدرة تشين (الجامحة) وطاقة جاو (الكامنة).

وإذا كنت تفكر يامولاى – حقا – فى استمالة كل من تشى؛ أو كنت تبغى السيادة فوق الممالك؛ أو كنت تحلم بزعامة لواء التحالف الرأسى مع تشى وتشو، فكل ذلك مرهون بإرادتك، ينتظر إشارة منك ببدء التحرك".

لمـا ذهب بيند ولمقابلة ملك وى

لمـا اندلعت معـركة "تشـانغ بين"، ذهـب "بيندو" لمقابلة ملك وى، وقـال لجلالتـه: "مـا الذى يمنعك عن الانضمام إلى التحالف الرأسى؟"، فأجابه الملك، وقال: "لأن دولة تشين أعطتنى وعدا بإعادة إقليم" يوان يونغ" إلينا" فرد عليه بيندو، وقال: "اسمح لى، يامولاى، بالقول بأنى أرى أن التنازل عن ذلك الإقليم لم يكن أصلا، ذا جدوى" فلما سأله الملك عن السبب فى قوله هذا، أجابه بقوله:" إن كلا الطرفين، سواء تشين أم جاو، متمسكان بموقفهما فى موقعة" تشانغ بين" فالموقف باق بينهما دون نصر أو هزيمة، أما إذا قررت باقى الممالك أن تنحاز إلى جانب تشين، فسوف يكون فى ذلك الضربة القاصمة لدولة جاو، وإذا كان وقوفهم إلى جانب هذه، فلن تقوم لدولة تشين قائمة، ولما كانت هذه تخشى أن تبدل مواقفك، فقد جربت استمالتك [إغوائك، حرفيا] بالتلويح لك بمنطقة" يوان يونغ" فماذا إذا كانت النصرة من نصيب تشين، فهل سترسل جلالتك، حقا، إلى تشين تسألها بخصوص تسليمك "يوان يونغ" من عدمه؟" سترد جلالتك على هذا السؤال بأنك تستطيع، وقتئذ، أن تتصرف على هذا النحو، ثم ماذا لو عجزت تشين عن دحر دولة جاو، هل تملك جلالتك أن تلزم دولة جاو بتسليمك" يوان يونغ"، ستقول جلالتك – طبعا – بأنك لن تستطيع ذلك؛ فلكل ذلك قلت لك بأن التنازل عنها كان فارغا بلا قيمة!" فأقرّ الملك له بصحة استنتاجه.

لما قام كبير وزراء وى بترتيب اجتماع

قام لوهو [كبير وزراء وى] بترتيب اجتماع يعقد بين حاكمى البلدين تشين، و وى عند المنطقة الحدودية.، وتحدث إلى ملك وى، قائلا: "لن يكون مع جلالتك أثناء الاجتماع رئيس وزرائك، ولذلك فسوف يقوم ملك تشين بتسمية رئيس الوزراء، فإذا لم تأخذ بما يزكيه لهذا المنصب، فسوف تسوء العلاقات كثيرا مع تشين، أما إذا عملت بمشورته فسوف يصبح فى مقدور وزرائك أن يصرفوا شئون الدويلات والممالك، فتنعقد لك السطوة فوق الجميع. هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى، فإن ذهابك للاجتماع إلى الملك،

ويصحبتك وزراء لم يبلغوا سدة الحكم إلا بتزكية تشين لهم، بنـاء على ثقتهـا فيهم يفقدك مصداقية التحالف مع تشى (واعلم) أن تشين سوف تنظر إلى زعامتك وسمو مكانتك (بين الممالك) بعين الازدراء والتحقير، (ومن ثم فلن تعمل صعود نجمك وسط الدويلات).

والأفضل أن تقوم بتولية المنصب الوزارى الرفيع لمن هو موضع ثقة دولة تشى، فتصيب حظا من استرضائها بهذا التصرف؛ وهكذا فإذ تذهب إلى اجتماع كبير مع ملك تشين ويصحبتك رئيس للوزراء محل ثقة دولة تشى، فسوف تكون موضع تقدير واهتمام تشين".

لما أراد كبير وزراء وى قطع العلاقات

كان "رويسون" [كبير وزراء وى] قد اتخذ التدابير لقطع العلاقات بين تشين وجاو، فأوحى إلى دولة وى بفكرة استرداد الأرض التى خصصتها لاستخدام الملكة الأم فى دولة تشين مما آثار جلالة الملك، فتحدث إليه رويسون قائلا: "قد عهدت إليكم وى بالقيام على تصريف شئونها ووضعت مصيرها رهن إشارتكم، لكنكم أبيتم أن تقبلوا بما عرضت، فما كان منها إلا أن تحولت عنكم إلى دولة جـاو، وقد قال لى "ليهاو" [كبير وزراء دولة جاو] ما نصه.." تذكر لى أنه لاتربطكم أية علاقة بدولة تشين، ومع ذلك فها أنتم تهدونهم الأراضى [التى تقفونها على خدمة الملكة الأم] فلا أظنكم إلا هازئين بى".. فلما سمع ملك تشين هذا القول انتابته نوبة غضب، وعلى إثر ذلك قامت القطيعة بين البلدين تشين وجاو.

لما ذهب مبعوث إلى دولة تشو

ذهب إلى دولة تشو من التقى بجلالة الملك وكلمه، بالإنابة عن حاكم وى، قائلا له: "إن محاولتك ابتزاز دولة تشين بالتهديد بغزو دولة وى لن يقنع دولة تشين بشىء، ولن يدعها تصغى إليك، أو تسير وراءك، وهو مايعنى عجزك عن تدبير المكائد والخطط (التى يمكن أن تنطلى على تشين)، ويعنى أيضا ازدياد الجفاء بيننا؛ وإذ تتفاقم

الكراهية بين تشو و وى، تزداد أهمية ومكانة دولة تشين، ولذلك فالأفضل بالنسبة لك هو أن تساير رغبة الدويلات وأن تشن الهجوم على دولة تشى.

واعلم أنك إذا قمت بتبادل الأراضى مع وى (وسويت هذه المسألة تماما) فسوف تجنب جيشك الخسائر الفادحة، وسيظل مستوى العلاقات الخارجية بيننا على ماهو عليه دون أى تغيير، (وساعتئذ) فيمكنك أن تحصل على كل ماتصبو إليه".

لما قام لوبى بتكليف نيشيان بالسفر إلى

قام كوان بى [يعتقد بأنه لقب آخر للمدعو "لوبى"] بتكليف تيشيان بالسفر إلى تشين للتباحث معها فى الشئون الرسمية. ثم إنه أرسل إلى ملك وى ليبلغه بما نصه: "إن مابين "لوبى" وتيشيان، يشبه كثيرا ما بين أهل دولة جين وأهل دولة تشو؛ ذلك أن أهل جين إذا مارأوا أهل تشو قد هرعوا إلى قتالهم، تقلدوا السيوف فى تؤدة وتعمدوا التأنى قبل بدء القتال، وهو مايثير لدى أهل جين الاشمئزاز والضيق، فيحملون عليهم دون إبطاء . وهذا "لوبى" قد رحل إلى تشين وأقام فى المسكن المخصص له (من قبل الحكومة) فوجده مكانا سيئا للغاية، يكاد لا يصلح للسكنى أصلا، وكان تيشيان قد دخل تشين أيضا، فلم يجد (وهو المبعوث من جهة رسمية ذات شأن) أحدا يتولى مهمة حراسته، وهو الوزير ذو المكانة والمهابة، الذى يتبع البلاط الملكى الحاكم باسم جلالة الملك، فإذا به يلقى، فى تشين، هذه المعاملة (التى لاتليق بأى حال) فهل يصح ذلك؟"

لما أراد أحد نبلاء دولة هان أن ينصح

أراد تيشيان [أحد نبلاء دولة هان] أن يدعو دولتى هان و وى للاعتراف بطاعة تشين، والسير فى فلكها، مما اعتبره ملك وى الأمر الذى لا نفع فيه، فذهب "باقوى" إلى جلالته، وقال له: "أرى يامولاى أن ترسل، سرا، إلى تشينان من يقول له مانصه.." جرب أن تدخل دولة تشين، وسوف ترى أنها ستسارع إلى اعتقالك حتى ترغم دولة

هان على التنازل لها عن أجزاء من الأراضى، فإذا لم تستجب فسوف يستمر اعتقالك بأرضها حتى تشن الهجوم على هان؛ ولذلك فإنه من الأفضل لك أن تلتمس طريق الحذر وأنت ذاهب إلى تشين، فما أن تحل بها..حتى تطلب اللجوء إليها بوصفك رهينة (سلام)" هذا، ومن المؤكد أن تشينيان لن يقدم على الدخول إلى تشين، وإذ تتعثر الوحدة بين هان وتشين، تزداد مكانة جلالتك أهمية (وسط الممالك)".

لما قامت تشين بالاستيلاء على بلدة

تمكنت تشين من احتلال بلدة" نينغ" وأرسل ملك وى إلى ملك تشين، يقول له: "إذا تفضل جلالة الملك بإعادة بلدة نينغ إلينا، فسوف نكون على رأس الدويلات (قبل كل الممالك) فى طلب التصالح والمصافاة معكم". فتكلم (معه) "ويران"، وقال له: "لا تصدق ما أتاك به ملك وى؛ فهو إذ أدرك أنه لا توجد دولة واحدة وسط الممالك يمكن الاعتماد عليها، تدبر الأمر جيدا وبادر إلى الصلح معك، وهكذا فهو مطالب (بالإضافة إلى ما فقده من أرض..) بأن يتنازل عن المزيد من الأراضى سعيا للتصالح؛ فكيف يصح (والأمر كذلك) أن نعيد إليه بلدة" نينغ" وقد صارت فى حوزتنا؟".

لما أوقفت تشين عملياتها الهجومية

أوقفت تشين عملياتها الهجومية ضد هاندان، لتركز هجومها كله ضد دولة وى، احتلت بلدة "نينغ"، وخاف "أوتشين" [كبير وزراء دولة وى] أن يسعى ملك وى إلى طلب التصالح مع دولة تشين، فتحدث إلى جلالته، قائلا: "أتعرف السبب فيما أقدمت عليه تشين من مهاجمتك؟ إن الممالك كافة، تردد فيما بينها بأن جلالتك تسعى للتقارب مع تشين، مع أنك فى الواقع لاتصبو إلى هذا، بل لاتحدونا إلا الرغبة والأمل فى إبادة تشين. لكن الممالك تردد أن بلادك ليست على درجة من القوة، والحق أن بلادك ليست أضعف من جو الشرقية والغربية. إن السبب فى تراجع تشين عن مهاجمة هاندان وتخطى كل من جو الشرقية والغربية لمهاجمتك، يكمن فى تصوراتها بأنه من السهل

إخضاعك والسيطرة عليك، فلابد أن تدرك أن مثل هذه [الطراوة] والتخاذل والضعف كفيل باستجلاب محاولات الهجوم عليك (أما آن لجلالتك أن تفهم ذلك بعد؟)".

لما عقد ملك وى العزم على مهاجمة

عقد ملك وى العزم على مهاجمة هاندان، فلما علم بذلك "جيليان" [أحد مواطنى وى] وكان فى الطريق لقضاء بعض شئونه، استدار عائدا، وقصد إلى ملك وى لمقابلته، (حتى قبل أن يغسل رأسه مما علق به من غبار الطريق أو أن ينظف ثيابه، ويتهيأ للقاء بما يليق) ثم إنه قال لجلالته: "كنت، يامولاى، وأنا عائد إلى بيتى، لقيت رجلا على الطريق يسوق دابته متجها ناحية الشمال، وحدث أنه تكلم معى، قائلا لى.." أنا قاصد الذهاب إلى دولة تشو".. فقلت له: "فما الذى يدعوك إلى الاتجاه شمالا، مادمت ذاهبا إلى تشو؟" فأجابنى.." لأن عندى حصان قوى وأصيل" فقلت له.."حتى لو كان جوادك قويا، فليس هذا بالطريق المؤدى إلى تشو".. فأجابنى: "قد حملت القدر الوافر من مصاريف السفر". فقلت: "مهما كانت مصاريفك وافرة، فهذا فى الأساس، ليس هو طريقك إلى تشو!" فأضاف، قائلا.." معى حوذى، ابن طريق وسفر، يقودنى خلال الطريق".." كل هذا رائع وجميل ..لكن الملاحظ أنك كلما أحسنت الإعداد، تباعدت كثيرا عن دولة تشو".

إن كل تصرفاتك، ياسيدى، تومئ إلى أنك تريد تأسيس إمبراطورية كبرى، وتريد الفوز بثقة الممالك والدويلات جميعها، إلا أن الاستناد إلى قوة الدولة، وشدة بأس الجيش، فى مشروع الهجوم على هاندان بهدف توسيع رقعة الأراضى وتسنم ذرة المجد، يبعث على الظن بأنه كلما استزدت من تلك الوسائل وتوسعت فى التفانى والتفوق فى توفيرها، تباعدت كثيرا عن تحقيق غرضك الذى تسعى إليه. تماما مثل المسافر إلى تشو الذى (أعد عدته بكل دقة، لكنه..) كلما صعد شمالا، تناءى عن الغاية".

لمـا تحدث جوشياو إلى كبير وزراء

تحدث "جوشياو" [كبير وزراء وى] إلى "قونطا" [كبير وزراء جو] فقال له: "أبلغ ملك تشى عنى بأنى أرغب فى أن يتم تعيينى وزيرا (من الخارج) لدى بلاط "تشى" [كما تنطق فى (كراتشى)] عسى أن تزكينى دولة تشى فى الترقى إلى سلطة مرموقة فى دولة وى" فقال له "قونطا": "ليس هذا بالقول السديد، ولا يكون الأمر هكذا أبدا؛ لأنك بهذه الطريقة تكشف لدولة تشى تدنى مكانتك فى وين، وتبرز مدى انحطاط شأنك. ولايمكن لبلاط تشى أن يوصى بترشيح رجل تنقصه الثقة لتفسد حظ رجل آخر هو محل تقدير واعتبار، والأفضل من ذلك أن تعطى انطباعا بأنك أهل لثقة دولة وى ومحل اعترافها بما لك من مزايا ومواهب، ومن ثم تقول للطرف الذى يهمك مانصه.." وأحيط جلالتكم علما بأنى على استعداد وثقة بأن أستخدام نفوذى لدى البلاط الحاكم فى وى للاستجابة الفورية لما تنشدون من ملك وى تحقيقه أو النظر فيه، من طلبات"، وهنالك فسيحاول ملك تشى مساعدتك بكل تأكيد، ويصبح لك فى البلاط الحاكم هناك خير عون على إنجاز آمالك، وهو ماسيدعو دولة وى – بالتالى – إلى تعظيم قدرك فتمنحك الثقة والاعتبار".

لمـا كان جوتسوى منحازا إلى جانب دولة

كان جوتسوى منحازا إلى جانب تشى، فى حين كان تيشيان مواليا لدولة تشو، ثم إنهما أرادا أن يلطخا سمعة تشانغى لدى ملك وى وأن يقدحا فيه بذمه وذكر معايبه، فلما عرف تشانغى بذلك، أرسل أحد تابعيه ليقف (حاجبا) دون باب الملك على أن يراقب الداخلين والخارجين من عند جلالته، وهكذا تخاذل مبغضو تشانغى عن التشنيع عليه لدى القصر.

لمـا قصد جوتسوى إلى بلاط تشى

ذهب جوتسوى إلى بلاط تشى، فاستشاط ملك تشين غضبا، وأوفد "ياوجيا" إلى ملك وى يؤاخذه بما جرى، فكان جواب ملك وى على حاكم تشى، كالتالى: "إن الوسيلة

الوحيدة لإبلاغ الدويلات والممالك بمجريات الأمور والأحداث (بالإنابة عن جلالتكم) كانت عبر جوتسوى نفسه، أما وقد غادر أرضننا وذهب إلى دولة تشى، فلن يتصل نبا أو خبر، بواسطتها، إلى الممالك. ونود أن نحيطكم علما بأنه لم يكن لدولة تشى أن تعوقنا، بأى حال، عما نحن بصدده من الخدمة لكم والاعتراف بطاعتكم. وإذا بدا لدولة تشين أن تدفع قواتها لمهاجمة تشى، فليس عليها إلا أن تحث جاو على الامتثال لهذه الخطة [لا أكثر ولا أقل]".

لما قام التحالف بين تشين، ودولة وى

قام التحالف بين تشين ودولة وى، فاتفقت دولة تشى مع تشو على ضرب وى، فأسرعت هذه بطلب النجدة من تشين، وعلى الرغم من أن وفود المراسلات بين وى وتشين (لأجل هذا الغرض) ظلت تروح وتجئ بلا انقطاع [حرفيا: برغم أن الرايات والأعلام الرسمية فوق عربات السفراء كانت بادية للعيان على طول الطريق بين البلدين..] فإن تشين لم تحرك ساكنا، ولا وجهت تشكيلا واحدا من قواتها.

وكان في دولة وى رجل يدعى "طان تشى" قد تجاوز عمره تسعين عاما، فجاء هذا الشيخ إلى ملك وى، وقال لجلالته: "إن خادمك الأمين [يقصد الإشارة إلى نفسه بضمير المتكلم] يرجو السماح بالسفر جهة الغرب؛ لأحاول إقناع ملك تشين (بالتحرك لأجلك) بدفع قوات الإنقاذ السريع، أفتأذن لى في ذلك؟" فوافق الملك على طلبه وجهز عربة أقلته في سفره، وخرج مودعا له على الطريق، وماكاد طان تشى يلتقى بملك تشين حتى بادره جلالته بقوله: "قد تحملت عناء السفر ووعثاء الطريق ومنتهى الجهد حتى وصلت إلينا، فلابد أن الإرهاق قد بلغ منك مبلغه. (كل ذلك لحثنا على التحرك للإنقاذ، والحقيقة..) إن دولة وى قد أرسلت لنا كثيرين طلبا للتدخل(إنقاذا لها). ولاأنكر مدى دقة وحرج الموقف فى بلادكم. "فرد عليه طان تشى قائلا: "إذا كنت تدرك مدى دقة الموقف دون أن تتحرك للإنقاذ؛ فهذا دليل على ضعف رجال التخطيط فى بلادك، ثم إن دولة وى تملك أكثر من عشرة آلاف عربة عسكرية، فهى ليست بالبلد الهين، وهى تعد نفسها دولة

تابعة لكم فى الشرق، تفخر بهذه الرابطة وتتعلم الكثير من أساليبكم الراقية، وتحرص على الحضور فى كل عام، كلما حانت مناسبة "الربيع والخريف" لإرسال التقادم والقرابين، وتعتبر أن الاستناد إلى قوة ومكانة وهيبة تشين يكفى - بحد ذاته - لتقرير معنى التحالف معكم وإرساء بنيانه، وهاقد أوشكت قوات الدولتين المعتديتين تشى وتشو على الدخول إلى مشارف العاصمة، دون أن تصلنا قوات الإنقاذ من طرفكم. فإذا انعقدت الأحوال وتأزم الموقف بالنسبة لنا فسوف نتنازل عن أجزاء من الأراضى للدولتين المذكورتين (لتسوية الأمور معهما) وساعتئذ، سيكون الوقت قد أفلت دون اللحاق بالكثير، ولن يجدى نفعا أن تتحرك وقتها لإنقاذنا. وسيكون معنى ذلك أنك خسرت حليفا ذا تسليح وافر [عشرة آلاف عربة عسكرية] بل دعمت قوة دولتين عدوتين هما تشى وتشو، وكم أشعر، شخصيا بضيق أفق وقلة خبراء التخطيط عندك".

أما ملك تشين فقد عبر عن أسفه العميق، ثم إنه أمر بدفع القوات على الفور، على أن ترسل فى أرتال متلاحقة (لايخلو منها الطريق، لاتنقطع دونها دورة الليل والنهار..).

وماكادت تبلغ أنباء ماحدث إلى أسماع تشى وتشو حتى سحبتا جيوشهما وعادتا من حيث جاءتا. وماكان لدولة وى أن تنجو من الخطر المحدق بها يومئذ، إلا بفضل ماتكلم به طان تشى.

لما قام سمو الأمير باغتيال جين بى

قام "شين أولينغ" بقتل "جين بى" فأنقذ مدينة هاندان، ورد دولة وى على أعقابها وحامى عن دولة جاو، فأقبل على جلالة الملك (ملك جاو) وكان قد أتى إليه، على وجه الخصوص، من ظاهر البلد، فتكلم طان تشى إلى شين أولينغ، قائلا له: "قد بلغنى أن من الأمور مالا يمكن إدراكه، ومنها ما لا يمكن إلا الوقوف على كنهه؛ وبلغنى أيضا أن من الأشياء ما لا يمكن نسيانه ومنها ما لابد من نسيانه". فسأله شين لينغ: "وماذا تقصد بذلك؟" فأجابه: "أن يبغضنى الناس ويمقتونى، فهذا أمر لاسبيل إلى تجاهله وعدم

إدراك كنهه، أما كراهيتي للآخرين، فهذه مسألة ربما لا يعرفها أحد، فلا سبيل إلى إدراكها. بالطبع؛ أما ما لا يمكن نسيانه، فهو ماتفضل به الآخرون عليّ من الإحسان والفضل العميم؛ ومالابد من نسيانه فهو ماتفضلت به على الآخرين.

أما وقد قتلت "جين بي"، وانقذت مدينة هاندان من الاحتلال، وهزمت دولة وى ودفعت عن دولة جاو، شرّ المخاطر فهذا هو أعظم الفضل والعطاء، وإذ يقبل عليك ملك جاو بنفسه من ساحة المواجهة على مشارف البلاد، دون أن يخطر ببالك أن تحظى بمثل هذا التشريف، فهذا أمر ينبغى عليك أن تنسى مالك فيه من أياد بيضاء وبذل كريم"، فأجابه شين لينغ، قائلا:" بل مما يشرفنى أن أتلقى عنك النصح والإرشاد".

لما قامت دولة وى بمهاجمة دولة

قامت دولة وى بمهاجمة دويلة "قوان" [إحدى الدويلات التى كانت مجرد تابعة لدولة تشين، قديما] لكنها لم تستطع التغلب عليها، وكان بإمارة آنلينغ [أحد الأقاليم التابعة لدولة وى] رجل يدعى "صوقاو"، وكان ولده يتولى الحراسة فى دويلة قوان، ثم إن (الأمير) شين لينغ أرسل الوالى على إقليم آنلينغ وقال له: "أرسل لنا "صوقاو" وسوف أعينه فى منصب مرموق، وأكفل له الترقى فى سلك الضباط العظام [من حاملى الدرجات والأنواط]: فرد عليه الوالى، قال: "إن إقليمنا مجرد بلد صغير، لا يقوى على إرغام مواطنيه تجاه قبول أو رفض أى شأن من الشئون، ولانستطيع أن نجبر الناس على سلوك ما، فليمض رسولك ماشاء له أن يمضى، وليذهب بنفسه إلى صاحب الشأن، وكل ما أستطيعه هو أن أبعث معه من يدله على مسكن صوقاو، كى يتسنى لى الرد بالإفادة على ماورد إلينا منكم فى هذا الخصوص". وقال صوقاو فى رده: "(أرى أيها الأمير) أنك تجل شأنى وتعظم مكانتى وتثق بى، إذ تكلفنى بمهاجمة إقليم "قوان"، إلا أنه من المثير للفكاهة والطرافة أن يقوم الأب بمهاجمة الإقليم الذى يتولى ابنه حراسته؛ ثم إنه لو قدر لابنى أن يتنازل عن الإقليم الذى يحرسه فستعد تلك خيانة لسيده الحاكم الأعلى، كما أن محاولة الأب فى حث ولده على خيانة سيده لن تكون محل تقدير سموكم، فاسمح لى بالاعتذار مع جزيل الشكر".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

فلما نقل الرسول وقائع ماحدث إلى سمو الأمير شين لينغ ثار غاضبا وأرسل مبعوثا خاصا إلى آنلينغ، بما مفاده: "إن أرض آنلينغ مثل أرض دولة وى تماما (وما يصح على هذه يتوجب على تلك..) وقد حاولت مهاجمة منطقة قوان لكنها استعصت على، مما يوقع بى تحت تهديد دولة تشين، فيتعاظم الخطر المحدق بالبلاد، فأرجو إرسال صوقو إلى (حيا وموثقا بالحبال، إذا أمكن) فإذا لم تفعل فسوف أسلط عليك مائة ألف مقاتل ينزلون حول أسوارك". فرد عليه الوالى، وقال له: "قد تسلم سمو الأمير [الذى أعمل تحت إدارته] مرسوما ملكيا صادرا عن جلالة الملك "شيانغ" (حاكم وى) بشأن الحراسة على هذه القطعة من الأرض [هكذا] وقد استلمت نسخة من المرسوم الإدارى الذى تنص أول فقرة منه على أنه "يعاقب بمواد يحددها القانون، على نحو قاطع، كل ابن يقتل أباه، وكل وزير أو مسئول يغتال مليكه، ولايمكن صدور أحكام بالعفو فى هذه الجرائم، مهما صدرت أحكام عامة بالعفو العام فى هذا البلد، علما بأنه لايجوز أبدا أن يشمل العفو الحالات التى تقع تحت طائلة هذا المرسوم، حتى فى الأحوال التى تصاب فيها البلاد باضطراب ناجم عن الغزو أو الاحتلال وما قد يصيب الأهالى، من جراء ذلك، من انتقال أو هجرة أو تشريد".

ثم إن صوقاو قد تنحى عن وظيفته حرصا على قيمة ما يربطه بولده من معان ومبادئ أخلاقية كبرى، ومع ذلك فقد أرسلت لى، تقول.." لابد من مجيئه إلىّ حيا، سليما يتنسم الحياة".. وهوما يضعنى أمام مسئولية مخالفة المرسوم الملكى مما يخل بمهمتى فى الحفاظ على فاعلية وسريان القانون، وهو ما لن أقترفه أبدا حتى لو أزهقت روحى".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

فلما علم صوقاو بهذا الأمر، فيما بعد، قال: "من الواضح جدا أن شين لينغ يتسم بالعناد والقسوة، فإذا بلغه مثل هذا الرد، فقد تنجم عن ذلك مخاطر جمة تمس استقرار البلاد، ولئن كنت قد تصرفت بأمانة وعدل فيما يختص بولدى، فليس أقل من

أن أراعى حق الأمير أيضا؛ إذ لايصح أن أكون سببا فيما يمكن أن أجلبه على مليكنا من أزمات ومخاطر، ثم إنه قام وذهب إلى مقر المبعوث، فما كاد يصل إليه حتى انتحر (بقر بطنه بخنجره)، فلما عرف الأمير شين لينغ بوفاة صوقاو (على هذا النحو) ارتدى ثياب الحداد [حرفيا: ارتدى الثياب البيضاء] وغادر مقر العمل الرسمي، ثم أوفد إلى الوالى فى آنلينغ خطاب اعتذار، نصه كالتالى: "لاتؤاخذنى على مابدر منى، لئن كنت قد أخطأت فى حقك أو أفلتت منى كلمة مستهجنة، فإنى أعترف بأنى تجاوزت حدود الشهامة والأدب، على أنى أنغمست فى الشأن السياسى بما أربكنى وأفقدنى صوابى، فتقبل ما أبديه لك من الاعتذار مجددا".

لما كان ملك وى بصحبة وزيره المقرب

كان ملك وى يركب القارب مع وزيره المقرب إليه "لونيانغ" يتنزهان فى رحلة صيد، ثم لما بلغت حصيلة صيد لونياتغ بضع عشرة سمكة، إذا به ينخرط فى البكاء، فسأله الملك: "هل ثم أمر ينغص عليك حياتك؟ إذا كان ثم مايشقيك، فلماذا لا تبوح إلى بما فى طوايا صدرك؟" فأجابه الوزير: "معذرة لما أثقلت عليك به من اكتئابى"؟

فقال له الملك: "فلماذ تبكى إذن؟" فقال: "بكيت لأجل السمك الذى اصطدته". فسأله الملك: "عجبا لما تقول، كيف يكون الأمر بسبب ذلك؟" فأجابه كنت فى بدء الصيد فرحا منشرح الصدر، لكنى وقد تضاعف عدد السمك لدى وكبر حجمه، أفكر جديا فى أن ألقى فى الماء ما كنت قد اصطدته فى أول الأمر.

وعندما أتأمل الأحوال أجدنى قد استطعت أن أكون خادما مفيدا لجلالتك فى أول الأمر، وبرغم ماعترانى من جهل وسذاجة وقبح [هكذا] فقد كنت تعتمد علىّ فى أدق شئونك حتى أنى كنت أهيئ لك فراشك ووسادتك وأنفض ماران عليها من الغبار والأتربة، أما الآن، فقد بلغت من الجاه والرقى ما لا مزيد عليه، حتى إنى إذا مشيت وسط ردهات القصر هرع الناس من أمامى فابتعد الماشى سريعا وتنحى الراجل

عن الطريق. لكن البلاد ملأى بمن هم أجمل شكلا وأكثر وسامة بين البحور الأربعة [هكذا، حرفيا:" بمعنى: بين الممالك كافة] ولابد أنهم عندما يعرفون أنى صرت الوزير المقرب من جلالة الملك، فسيأتون إلى جلالتك يركعون عند أعتابك ويرفعون لك أيدى التعظيم والتأييد والإكبار، (وساعتئذ، ستجد من بينهم من يفوقنى فى المزايا..) فتفعل بى كما فعلت فى السمك الذى اصطدته أول الرحلة، حيث تلقى به خارج القصر، فكيف يصير حالى وقتئذ، وكيف أسكت ولا أغتنم؟" فقال له الملك: "بل جانبك الصواب، وكان أولى بك أن تخبرنى بهذا الأمر، فلماذا لم تقل لى (منذ البداية)؟"

فمن ثم أصدر ملك وى قرارا ملكيا جاء فيه.." كل من يجسر على أن يفاتح جلالته فى موضوعات تتعلق بالجمال أو (تتطرق إلى الحسن والملاحة والوسامة) فسوف يهلك وتقتل عشيرته عن آخرها".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وهكذا نلاحظ أن الذين توطدت مكانتهم لدى الملك قد توطنت أيضا، فى آذان جلالته كلماتهم المعسولة ورسخت رسوخ الحجر الصوان، لكنهم استطاعوا أن يغلفوا تزلفهم وتملقهم ببراعة شديدة، فكيف يمكن بعد اليوم، لأولئك القادمين من أقصى الأرض أن يحظوا بمكانة قريبة من جلالته، مهما تفوقوا فى حسن السمت والهيئة ووسامة القسمات، وحتى لو افترضنا أن الذين امتازوا بهذه الصفات قد وجدوا مكانة قريبة من الملك، فكيف يمكن استغلال مواهبهم أو الاستفادة منها؟ خصوصا إذا أضفنا إلى ذلك أن "الراسخين فى التقرب" إلى جلالته، من ذوى الموقع المكين لديه كثيرا ما يتباغضون ويتصارعون فيما بينهم، فلست أرى ذلك كله إلا نذير الشر، لا بشرى الخير، ولست ألاحظ إلا المرارة والشكوى، لا الخلق الأسمى والسمت النبيل. وبعد، فلا يمكن أن تكون تلك هى الطريقة المثلى فى تطبيق ما تعلمه المرء من الحكمة وما اكتسبه من البصيرة.

لمـا قامت تشين بتكثيف الهجوم ضد دولة

قامت تشين بتكثيف حملتها الهجومية ضد دولة وى، فذهب إلى ملك – هذه الأخيرة – من قال له: "إن المساومة بالتنازل عن أجزاء من الأرض أسهل كثيرا من فقدانها بسبب الهزيمة، والتنازل عن الأرض، يُعد أيضا، أيسر كثـيرا من أن تصبح مقبرة للأحياء على إثر حصار لا فكاك منه.

أما أن يدع المرء أرضه تضيع منه دون أن يملك المساومة عليها (تقديمها كرشوة [هكذا حرفيا)]، أو أن يجعلها مقبرة للأحياء (المحاصرين) دون أن يتمكن من التخلى عنها(بإرادته) فهذا خطأ جسيم.

وقد فقدت، يامولاى مئات الأميال [الـ"لى" حرفيا] من أرضك، بالإضافة إلى عشرات المدن والمحلات من بلدك، ولما تزل الكارثة التى حاقت بك جاثمة على الصدور لا مخرج منها، والسبب فى هذا أن جلالتك تركت الأرض تضيع دون أن تحاول استخدامها والاستفادة منها.

إن دولة تشين قوية جبارة، ليس لها على الأرض من يقدر على مواجهتها؛ ولم يعد لها أعداء أو منافسون، أما دولة وى، فضعيفة للغاية، (فبسبب سوء تقدير الموقف) كنت أنت الذى جلبت على بلدك هجوم تشـين، ثم إنك لم تزد سوى أن جعلت أرض بلادك مقبرة للأحياء فوقها، دون أن تفكر فى التنازل عنها، فكان ذلك من أفدح الأخطاء على الأطلاق . فإذا رأيت أنه من الممكن تطبيق ما أقترحه عليك من خطط، فاعلم أن فقدان أجزاء محدودة من الأرض لا يعنى ضياع الوطن كله. كما أن التواضع، وتقليل المرء من شأن نفسه ليس مساويا، بأى حال لتعذيب الجسم وإيذاء البدن . ثم إن تصفية أجواء الخطر نوع من ردّ الصاع بصاع وإزالة أسباب المرارة والألم".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

إن كل فرد فى دولة تشـين، سواء من أماجد القوم من الوزراء أم من العامة والدهماء [الحـوذيون وسائسو الخيل] يتساءل: "هل جلالة الملك يفضـل آل "لاودو"،

أم أنه يميل أكثر إلى آل" ليوبوى"؟" ذلك هو مايفكر فيه الناس ويتساءلون عنه فيما بينهم وبين أنفسهم، سواء كانوا من المـــارة فى الأزقـــة والحوارى، أم من المتجـــولين فى فناء القصر الملكى.

(وأرى) أن تتنازل عن أجزاء من الأرض مرضاة لدولة تشين وسعيا لمساومتها، بحيث تمنح هذه الأرض لـ"لاودو" إكراما لخاطره وإعزازا لشأنه، وإذ تتواضع إلى هذه الدرجة (وتقلل من قدر شأنك) اعترفا بمكانة وطاعة دولة تشين، فإنك تضع رهانك على لاودو، الذى يستمد منك الدعم والتأييد بما تمنحه إياه من أرضك، وحينئذ فلا بد أن سهمه (فى المنافسة) سيرجح على غيره، هذا بالإضافة إلى أن جلالة الملكة (الأم) سوف تذكر لك صنيعك – مع لاودو – بكل الامتنان والتقدير والعرفان، عرفانا [يرسخ فى عظام الآدمى (هكذا حرفيا)] ويعود عليك بالود والمصافاة وجزيل الصلة، بالدرجة التى لم يبلغها أحد غيرك فى الممالك كافة.

ولئن كانت العـلاقة بين وى وتشين قديمة، والصلات بينهما معتـادة ودائبة، فإنها صلة الغش والخديعة، وعلاقة الخداع والمكر والريبة.

لكنك بما تصنعه مع لاودو، وما تكسبه من الود والصداقة مع تشين، تفوز بأفضل مستوى للعلاقة معها، وسط الأمم، لدرجة أن الكل سوف ينبذ "ليوبوى" ويتحزب لـ"آل لاودو"!

وإذ ينحاز الجميع إلى لاودو، وينبذون الآخر المذكور آنفا، تكون جلالتك قد أخذت بثأرك وشفيت غليلك".

لما أرسل ملك تشين إلى سمو الأمير

أرسل ملك تشين إلى أمير آنلينغ، يقول له:" نحن على استعداد لأن نتنازل لكم عن خمسمائة ميل (لى) من الأرض مقابل استرداد آنلينغ، فهل تعدنى – من حيث المبدأ وبشكل عام – على الوفاء بهذه المساومة؟" فأجابه الأمير، قائلا: "إنه لأمر طيب

جدا وكرم بالغ من جلالتكم أن تمنحونا تلك المساحة الهائلة من الأراضى مقابل إقليم ذى مساحة محدودة، وعلى الرغم من ذلك فإن الأرض التى فى حوزتنا أمانة، تسلمناها من سادتنا الملوك المعظمين، وسوف نقوم على حمايتها أبد الأبدين، ولن نسلمها بشىء على الإطلاق، ولم يكن الرد على مايرغب ملك تشين، فاغتنم له. ثم إن أمير آنلينغ أوفد "طان تشى" إلى دولة تشين، فلما وصل إليها، قابل جلالة الملك الذى ابتدره قائلا: "ما الذى يجعل أمير آنلينغ يرفض ماعرضته عليه من مبادلة إقليم آنلينغ بخمسمائة ميل من الأراضى؟ إننا ما أبقينا على سمو الأمير فوق أرض لاتزيد مساحتها عن خمسين ميلا، على الرغم من أننا دمرنا دولة هان وأهلكنا دولة وى، إلا لأننا نعد سموه شيخا وقورا مهيبا وافر الشهامة والإخلاص، فلذلك أغضينا عنه الطرف. والآن فإنى أعرض عليه عشرة أضعاف (ماديه) لكى أوسع منطقة النفوذ، إلا أن سموه يأبى إلا أن يعارض خطتى ويعرقل محاولاتى، فهل يقصد بذلك إهانتى والنيل من شأنى احتقارا لى وجرأة على؟" وهنالك أجابه "طان تشى"، قائلا: "لا، أبدا، لا أظنه ينطلق فى موقفه من هذا الاعتبار عنها ولايستطيع مبادلتها حتى بأرض تفوقها عشرات الأضعاف مساحة"، فثار الملك غاضبا، وقال لمحدثه: "هل سبق لك أن سمعت عما يفعله الملك، ابن السماء، إذا استولى عليه الغضب؟" فأجاب طان تشى:" لم أسمع بشىء عن ذلك من قبل". فقال الملك: "إذا غضب ابن السماء، تناثرت أشلاء الجثث فى كل مكان، وسالت الدماء أنهارا فقال له طان تشى: "وهل سمعت جلالتك عما يحدث إذا غضب الناس، وحميت سورة العامة والدهماء؟"، فأجابة الملك:" إذا غضب الدهماء لا يفعلون شيئا سوى أن يخلع الواحد منهم قبعته ونعليه ويضرب الأرض برأسه". فقال طان تشى:" ذلك غضب الجبناء وليس الشجعان . عندما قام" جوانشو" باغتيال الملك "لياو" [ملك دولة" أو" قديما] شاهد الناس شهابا لامعا يشق كبد السماء ويظل بضوئه نورالقمر. وعندما قام "نيجين" باغتيال "هانكوى" [رئيس وزراء دولة هان]، شوهد قوس قزح وقد اخترق دائرة الشمس. ولما عمد "ياولى" إلى "تشنجى"وقتله، شاهد المارة النسور والعقبان تتقاتل، لأول مرة، فوق القصر الملكى. فهؤلاء الثلاثة، من الشجعان الذين خرجوا من بين صفوف الناس

البسطاء العاديين الذين كانت صدورهم تغلى بالغضب وهم لائذون بالصمت، حتى نزل نذير السماء، وإذا عددتنى رابعهم، فأنا لها، لو أردت حقا أن تثير غضبتى؛ لأنى سأنثر على هذه الأرض تحت قدميك أشلاء جثتين، تقطر منهما الدماء فتسيل أمتارا، فيرتدى الناس ثوب حداد، هم الآن جاهزون له بل الساعة، وليكن مايكون" وقام واقفا طان تشى، فنزع سيفه، فامتقع وجه ملك تشين، فنهض واقفا وهو يعتذر اعتذارا جميلا، قائلا:" على رسلك ياسيدى، هلا جلست وهدأت من روعك، ما الذى يدعوك إلى مثل هذا الانفعال، قد فهمت قصدك، وقد فات ما فات من ضياع دولة هان وهلاك دولة وى، وهذا أمير أنلينغ يبغى الحفاظ على ما فى حــوزته من الأرض التى مساحتها خمسين لى، وله ذلك، لأجل خاطرك على كل حال".

سجل هان الأول

لما قامت الدول الثلاث بالقضاء على

قامت الدول الثلاث هان، ووى، وجاو بالقضاء التام على "جيبو" [أحد رجال الحكم] وقسموا أرضه فيما بينهم، وتكلم "طوان قوى" [أحد رجال التخطيط السياسى بدولة هان] إلى ملك هان، فقال له:" عند اقتسام الأراضى، حاول جهدك أن تنتزع لنفسك أرض "تشنغ هاو" فقال له الملك: "بل هى أرض صخرية لاتجرى فيها الأنهار، فما فائدتها بالنسبة لي؟" فقال محدثه: "ليس الأمر على هذا النحو ياسيدى؛ فقد بلغنى إن أرضا مساحتها" لى "واحد من الممكن أن تفوق أرضا أخرى مساحتها ألف لى، لمجرد أن مزاياها الطبيعية أفضل وأوفر. وإن من الأمثلة على ذلك من واقع الصراعات بين البشر أمثلة كثيرة، فقد تستطيع جمهرة أو حشد من الناس قوامه عشرة آلاف فرد صد ثلاثة جيوش وهزيمتها، وهذا – بالطبع – مثال خارق للعادة! ولئن أخذت بنصيحتى، يامولاى، فسوف تستطيع، فى آخر المطاف، الحصول على أرض دولة "جنغ" بالكامل".

فوافقه الملك على رأيه، وحصل على أرض تشنغ هاو، وكانت هذه هى نقطة البداية التى سارت فى خط مستقيم حتى بلغت الهدف الذى تحقق بالاستيلاء على "جنغ".

لما سافر رئيس وزراء جاو إلى دولة

وصل "طاتشن هو" [رئيس وزراء جاو] إلى دولة هان، قادما من بلاده، ثم إنه التقى بـ"شن بوهاى" [احد المسئولين فى دولة هان] وقال له: "ليتك تطلب إلى ملك هان أن يذكرنى بالإعجاب والتقدير عند دولة جاو، واسمح لى (بالمقابل) أن أكلم ملك جاو ليتحدث

عنك بكل خير أمام ملك هان، وبهذا تكون كمن قبض بيده على زمام سلطتين فى دولة هان، وكأنى أخذت بعنان منصبين فى دولة جاو".

لما قامت دولة وى بحصار هاندان

قامت دولة وى بحصار مدينة هاندان، التابعة لدولة جاو، وأراد "شن بوهاى" أن يقيم تحالفا بين إحدى هاتين الدولتين ودولة هان، لكنه لم يكن يعرف تصور ملك هان لهذه المسألة، فلربما لم تكن تتوافق مع أهدافه وخططه، وحدث أن ملك هان توجه إلى شن بوهاى بسؤال مباشر، قائلا: "مع أى البلدين يمكن أن أتحالف؟"، فأجابه: "تلك مسألة دقيقة تتعلق بأمن الوطن وسلامته، ومثل هذه الأمور ذات الدرجة القصوى من الخطورة والأهمية تتطلب منى التأمل الدقيق"، ثم إنه تحدث سرا، إلى كل من "جاوجو" و"هانشاو" [من كبار وزراء دولة هان] قائلا: "أنتما من أعقل الناس وأحسنهم منطقا وأفصحهم بيانا، ثم إنكما من كبار رجال الدولة الذين يؤخذ بنصحهم بغير جدال خصوصا وأنكما أشد الناس إخلاصا وتفانيا". وذهب الرجلان إلى الملك، وتحدث كل منهما سعه حول الموقف من القتال مع جاو و وى - من مختلف جوانبه - وقدما إليه النصح المناسب (من وجهتي نظر مختلفتين) وكان شن بوهاى ينصت سرا إلى الحوار بين ثلاثتهم، ولاحظ الجوانب التى لاقت استحسان جلالته، فذهب إليه، وقدم له الرأى (مشتملا في ثناياه على الجوانب التى يمكن أن تلقى قبول جلالته) وبدت على الملك علامات السعادة والرضا.

لما تقدم شن بوهاى بطلب لتوظيف

تقدم شن بوهاى برجاء لتوظيف أحد أبناء عمومته فى إحدى الوظائف الرسمية (بالقصر) إلا أن النبيل هانشاو لم يلتفت إلى طلبه، فحقد عليه وأضمرها له، فقال هانشاو: "ليس هذا ما تعلمته على يديك من فنون الإدارة السياسية، أتريد أن أجيبك إلى (طلب التوظيف) وأخالف المبادئ التى علمتنى إياها؟ أم تفضل أن ألتزم بالمنهاج

الصحيح وأخالف طلبك؟ إن لك الفضل فى تلقينى أسرار العمل، فالدرجة الوظيفية تتحدد على أساس الجدارة، فكيف تريدنى أن أتصرف الآن، وإلى أى جانب أنحاز؟" فقام شن بوهاى، وانصرف وهو يعتذر إليه، قائلا: " بل إنك مثال رائع للوعى والالتزام كما كان ظنى بك دائما.

لما ذهب سوتشين إلى ملك هان

ذهب سوتشين إلى ملك دولة هان فى محاولة لإقناعه بمشروع دولة تشو لإقامة التحالف الرأسى، فقال لجلالته: "فى شمال بلادكم تقع مجموعة من المدن الحصينة، مثل "قون"، و"لوا" و"تشنغ هاو"، وفى الغرب تقع"إيانغ" و"تشانبان"، وهى مناطق ممرات حصينة على الحدود، وإلى الشرق تقع مناطق "يوان"، و"رانغ"، و"تهر"وى"، ويوجد فى الجنوب جبل "جين" بالإضافة إلى المساحة الهائلة التى تحوزها بلادك، ومقدارها ألف لى مربع، وعدد وافر من المقاتلين (لابسى الدروع) مقداره مائة ألف جندى. هذا بالإضافة إلى أن أفضل أسلحة الميدان وأشهرها وأمضاها تنتجها بلادك، وبخاصة السهام والأقواس، ويكفى أنكم تصنعون بأرضكم أشهر أنواع الأقواس على الإطلاق مثل "شى تسى" [نسبة إلى أحدى الولايات الجنوبية القديمة] و"شاوفو" [نسبة إلى وحدة إدارية]، و"شيلى" [تسمية تعنى السهم ذى القوة المضاعفة]، و"جيوشو"؛ كلها تمتاز بمقدرتها على إطلاق الأسهم إلى مدى يتجاوز ستمائة قدم، بالإضافة إلى أنها تمكن المقاتل من التسديد والرمى بما بلغ مائة سهم على التوالى أثناء الجرى، مع دقة تسديد فى منطقة الصدر، عند الرمى من مسافة بعيدة، أما عند الضرب من مسافة قريبة فيمكن للرامى التسديد فى القلب مباشرة، ومن المعلوم أن جندكم يحملون أمضى السيوف التى أصبتم شهرة ذائعة بصناعتها بين الدول كافة، حيث انتشرت مناطق إنتاجها فى أماكن متعددة بأرضكم مثل: "مينشان" و"طانشى" و"موابن" و"خابو"، بل إن ماتبدعه يد الصناع فى مناطق: "دنغ شى" و"يوان فنغ" و"لوانيوان" و"طايو" من السيوف والرماح (قد بلغت من حدة شفرتها ومضاء نصلها أنها يمكن أن..) تقطع أجساد الجياد والثيران (بضربة واحدة)

[هذا بالنسبة لدواب البر، أما بالنسبة لما سبح فى الماء، فهى] تستطيع أن تنخرط فى أجساد كل ماحط على ظهر الماء وسبح فى باطنه من سابحات البحر وطيور السماء، وهى، فوق ذلك كله، السيوف القاطعة، النافذة فى المغافر والدروع فى ساحات القتال. ومن المعلوم، كذلك أن دولة هان تملك العتاد الكافى من أقوى الدروع القتالية، والتروس وخوذات الرأس والزرديات، وحمائل السيوف، والسيور والأربطة التى تشد إليها الكنائن والرماح. بما يمكن الجنود الذين انطلقوا بحماسة الشجعان إلى ميادين القتال، وقد ارتدوا الدروع وأطلقوا السهام أثناء عدوهم، وانتضوا السيوف القواطع، من ملاقاة أعدائهم، فيغلب الواحد منهم مائة من أنداده. (وتلك مسألة معروفة للجميع، والكلام فيها نافلة قول!).

لكن – على الرغم مما حازته دولة هان من القوة، وما اشتهر به حاكمها(جلالتكم) من الحكمة والخلق الكريم – فها هى ذى تسعى للاعتراف بطاعة تشين وترضى لنفسها مكانة الدولة التابعة فى الجانب الشرقى، وتمد المساعدة، لتبنى المنشآت الملكية وترمم القصور الفخمة لبلاط آل تشين وتتبنى سياساتهم ونظمهم وأفكارهم، وترسل لهم فى مناسبات القرابين المقدسة التقادم والهدايا، وتخفض لهم عنق الخضوع وجناح الطاعة، فتجعل من نفسها هزأة الأمم، وهدفا لسخرية الناس فى كل البلاد، فى اللأسف وياللخسارة!

ومن ثم، فأرجو من جلالتكم إمعان النظر فى هذه الأمور، إذ إن تسليمكم لدولة تشين بالتفوق والسيادة سوف يشجعها على أن تطالبكم بالتنازل عن "إيانغ" و"تشنغ هاو" فإذا أذعنتم لمطالبها اليوم، فستطالبكم غدا بماهو أكثر حتى يأتى يوم لاتجدون ماتعطونها إياه من الأرض، فيتبدد لديها كل مابذلتموه لها، سابقا من المآثر والأفضال العميمة، فينالكم من أذاها الشيء الكثير، ولأذكر جلالتك بأن أراضيكم مهما عظمت واتسعت، فلها حد تنتهى عنده ومدى لاتتجاوزه، لكن أطماع تشين ليس لها حدود معلومة، وهكذا فإن محاولة العمل على إرضاء طرف لا يرضى، وتلبية حاجاته التى لن تنتهى، سوف تقود، آخر المطاف، إلى مايسمى بـ استجلاب الكوارث والأحقاد والضغائن، لأنك ستجد نفسك (ذات يوم) وقد سلبت منك أرضك دونما حرب أو قتال.

وقد سمعت قولا مأثورا، مفاده: "من الأفضل للمرء عند الاقتضاء أن يكون منقار دجاجة من أن يكون است بقرة" فما الفرق بين أن تذهب جهة الغرب حيث تعترف بطاعة تشين وتزكى سلطانها وبين أن يتصور ملك فاضل حكيم، مثلك أنه قد توفرت له سمات النجابة وأسباب القوة التى تمده بها مكانة تشين وشدة بأس جيوشها، ثم لايكون له من الشهرة الذائعة وسط الممالك سوى أن يشار إليه بوصفه "است بقرة" ؟، وهنالك تغير وجه ملك هان من الغضب، ثم مد ذراعه وضغط على سيفه ورفع رأسه، فتنهد عميقا، وقال: "لن أكون خادما، بعد اليوم، لدولة تشين، حتى لو أدى ذلك القرار إلى موتى، فاتلُ على مسامعى وصايا ملك تشو، فأنا فى صفك، سائر على دربك، بكل ما أملك".

لما ذهب تشانغى إلى دولة

سعى تشانغى لمقابلة ملك دولة هان لاقناعه بسياسة تشين إزاء التحالف الأفقى، فقال له: "إن أرض بلادكم مكشوفة للخطر، وشعبكم من ساكنى الجبال، ولا يغل حصادكم سوى الحبوب، ونادرا ماتزرعون القمح، ولا يجد الناس مايقتاتون به سوى القليل من الأرز والحبوب، وقد لايجدون حتى النخالة، إذا أجدبت الأرض فى أحد المواسم، هذا بينما تكاد مساحة البلاد لاتبلغ تسعمائة لى مربع، ولايكفى مخزون الصوامع أكثر من سنتين للاستهلاك العام من الغذاء، ولا أظن عدد المقاتلين – إذا تم تجميعهم بالكامل – يتجاوز ثلاثمائة ألف جندى بما فيهم المجندون من أصحاب الحرف المختلفة، والمتكسبون الرزق دون عمل ثابت، على إننا إذا خصمنا من ذلك الرقم الإجمالى، المجندين فى حراسة الحدود والثغور والمنافذ الحدودية، لم يزد عدد المقاتلين الفعليين عن مائتى ألف جندى.

(أما على الجانب الآخر فـ..) لدى دولة تشين مليون مقاتل من لابسى الدروع (المتأهبين للقتال)، وألف مركبة عسكرية، وعشرة آلاف جواد، ثم إن مقاتلينا تتأجج نفوسهم بالشجاعة وتتواثب خطاهم إلى النصر، بل إن منهم مالم يرتد خوذة القتال،

(من فرط الشجاعة والإقدام، والجرأة أمام الموت..) ومنهم من غرس السهم فى خديه وهو يهز رمحه بيديه [هكذا] وهو ماض إلى ساحة الحرب، ومثل هؤلاء من أفراس دولة تشين، ولاأغزر عدة وعتادا من جيشها، كما أن لديها العدد الهائل من الجياد المدربة على القفز، بحيث تبلغ المسافة بين حوافرها الأمامية وساقها الخلفية، وهى راكضة، ماقد يبلغ ثلاثة" شون" [مقياس صينى قديم يساوى ٢,٧٠مترا].

وعندما يزحف نحونا جنود الدويلات الواقعة شرقى جبل "شى"، وهم فى تمام عدتهم وكامل استعدادهم وقد ارتدوا الدروع وخوذات الرأس يريدون الحرب، فسيخرج إليهم رجالنا لملاقاتهم على الفور - ولو برءوس حسيرة وأجساد عارية - فيمعنون فيهم قتلا وأسرا [حرفيا: ينقضون عليهم فيذبحون الرءوس باليد اليمنى ويأسرون الأسرى باليد اليسرى!] فيصير حالهم مع جنود الدويلات الست (بإقليم شانتون) كمثل البطل الصمصام أبى الفوارس والساحة والحسام "منغ بن" مع فلول المهزومين الجبناء، فإذا حملنا عليهم بقسط وافر من العزم، أصبنا منهم مقتلة عظيمة، ووقع فيهم الفناء والبوار فكانوا كمثل الغلمان الصرعى على يد البطل المغوار "أوهوا".

وعندما نحمل على دويلات ترفض الاعتراف بسلطة وزعامة تشين مستخدمين فى ذلك أبطالا على شاكلة أواهوا، ومنغ بن؛ فلن يتبقى من قوات تلك الدويلات إلا ما يمكن أن يبقى فى عش الطائر الذى وقعت فوق أفراخه جلاميد الصخر ذات الأثقال (فكيف تفلت من مصيرها المنكود).

وكثيرا ماتنسى الدويلات أن تتأمل أحوال قواتها، وتدرك مدى ضعفها، وقلة مدخراتها من الغلال، فتنخدع بمعسول لسان أولئك المحرضين الداعين إلى التحالف الرأسى، فتميل بأذنها إلى التمويهات الفارغة وأحاديث الزيف والأباطيل التى تضلل المتكلم والسامع معا، بقولهم: "خذ بما أعرضه عليك من خطط، واستمع إلى ما أقول لك، تبلغ مقام الملك الأعلى والعرش الأسمى فوق الممالك!" غير عابئة بمصالح البلاد على المدى الطويل ومستقبل الأجيال المديد. فتكون كلمة ضالة، ذات لحظة، ضلالا لعرش أمة وتزييفا لأفكار مليكها فذلك مكمن الخطورة، وأى خطورة!".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

"(واعلم) أنك بعدم اعترافك بالطاعة والتسليم لدولة تشين، تعرض نفسك لحملتها العسكرية ضدك للاستيلاء على إيانغ وقطع طريق الاتصال مع "شاندانغ" بدولة هان.

وبالتوجه شرقا لمهاجمة "تشنغ هاو"، والاستيلاء على إيانغ، فلن يعود لجلالتكم الحق فى استخدام الحدائق الملكية فى"هوانطاى" وغابة "صان"؛ لأنها ستكون قد خرجت من بين أيديكم لتتسلمها قوات تشين، نهائيا. ولربما تمت محاصرة تشنغ هاو، وعزلت منطقة شانيان، بما يؤدى إلى تقسيم بلادك وتمزيق ربوعها، فإذا أدركت نفسك وسارعت إلى الإذعان بسلطة تشين، تكون قد نجوت وأمنت الشر وحاميت عن بلادك، وإلا جلبت على نفسك الخطر، وساعتئذ، فلن ينفعك الحظ بشئ إذ تجد نفسك وسط دوامة من الأهوال، لامخرج منها بأى حال، لأنك كلما أعملت حيلتك وتدبرت الخطط (الفاشلة)، انغرست فى حمأة الهزيمة وأحدقت بك كل ألوان البؤس والشقاء؛ ذلك أن الخروج عن طاعة تشين والانحياز إلى تشو لن ينجيك من الضياع والاندحار، ومهما حاولت فتدبر أمرك وتأمل الأحوال جيدا، فليس أفضل من أن تعمل بمشورة تشين وتبذل لها الإخلاص التام، (واعلم) أن هدف تشين الأول والأهم هو إضعاف دولة تشو، وليس فى الممالك كلها من يستطيع القيام بهذه المهمة سوى بلدك باعتبار ماتملكونه من مزايا الموقع والمكان، لا لأنك أقوى منها (فليس هذا واردا بحال!) فإذا استطعت أن تلزم هذه الخطة فى العمل على خدمة أغراض دولة تشين وشن الهجوم على تشو، فسوف يلقى صنيعك هذا، من مليكنا، الإعجاب والتقدير، وسيمتلئ قلبه بالفرح الغامر، ولن تجد أجدى وأنفع لك من خطة تتيح لك الاستيلاء على أرض تشو، وتزيح عنك أهوال المخاطر، وتدخل على قلب ملك تشين السرور.

وقد أوفدنى جلالته إليكم (لهذا الغرض) وحملنى مراسلات أقدمها لجلالتك بكل الاحترام والتقدير لترى فيها رأيك وتصدر قرارك"، وأجابه ملك هان، قائلا: "إنه لمن حسن الحظ أن أتلقى عنكم، أيها الضيف الكريم، تلك الملاحظات والنصائح الطيبة، ولتسمح لى بأن أعتبر دولة هان مجرد ولاية تابعة لدولة تشين [كانت دولة تشين قد

وضعت تصنيفا اعتبرت فيه كل الممالك، مجرد ولايات تابعة لها، عددها الإجمالي ست وثلاثون ولاية وإقليما]، ويسعدنا أن نبنى القصور الملكية لبلادكم وأن نقدم قرابين "الربيع والخريف" المقدسة إليكم (فى المواسم المعتادة) وبأن نكون دولة تابعة لكم، ولتتفضلوا بقبول منطقة "إيانغ" هدية منا إليكم".

لما تحدث ملك هان إلى الوزير الأعظم

تحدث الملك "شيوان" حاكم دولة هان إلى "موليو" [الوزير الأكبر فى الدولة] قائلا له: "أريد تعيين كل من "قونجون"، و"قونشو" فى مناصب (تنفيذية) عليا فهل يمكن الجمع بين هذين في (إدارة سياسية واحدة)؟" فأجاب موليو بقوله: "بل لا يمكن أبدا. وكانت دولة جين، فيما مضى قد جمعت (فى إدارة واحدة) بين ستة نبلاء، دفعة واحدة؛ فكان ذلك سببا فى انهيار وحدة البلاد [كانت جين قد جمعت فى الحكم بين (رؤساء - متنفذين للحكومات) من كل من جاو وهان ووى وجيبو وفان وجونشان] بينما كان النبيل جيانقون [بدولة تشى] قد جمع فى الحكم بين "تيانشن"، "لانتشى" مما أدى، فى آخر الأمر، إلى اغتياله (ووقوعه ضحية لهذا القرار الخاطئ) وقيل إن دولة وى جمعت فى دفة الحكم بين كونسونيان وتشانفى، فخسرت الأرض الواقعة وراء" شيها".

فإذا كنت قد قررت أن تتخذ اثنين من كبار المسئولين لتدبير أمر (الإدارة السياسية) فى آن واحد، فاعلم أن أكثرهما قوة سيقيم لنفسه، داخل البلاد، الاتباع والموالين (الذين يعدون أنفسهم من رجاله وحشده)، أما الآخر، فلابد أنه سيدعم مكانته بسلطته من خارج الوطن مما ينذر بشر العواقب.

وإذا ما حشد بعض الوزراء لأنفسهم، داخل الوطن الأنصار والأتباع، كان ذلك بداية استبدادهم بالسلطة وشروعهم فى الفساد والطغيان؛ وإذ يقيم البعض الآخر الصلات النافذة (بأطراف وجهات خارج الوطن) تتردى بلادك فى هاوية من الأهوال المريعة.

لمـا ذهب إلى ملك تشى من تكلم معه

ذهب إلى ملك تشى من قـال له: "أرى من الأفـضــل أن تدعـم قـونجـــون [رئيس وزراء هان] لتـسـاعـده على أن يقـوم بطرد تشـانغى من دولة وى، التى سـوف تسـارع بتـعيين كونسـونيـان رئيـسـا للوزراء، وبدوره، فسـوف يتـصـرف بوحـى من إرادتنا، نحن ودولة وى، ويقـوم، هو الآخـر، بإبعـاد قـونجـون من منصـبـه الـوزارى الرفـيـع بدولة هـان، ويأتى مكانه (بـالمدعو) قونشـو، وهو الرجل الذى سـوف يشن الهجوم على دولة تشين". (ثم إنه ذهب إلى تشـانغى، وقال له) [هذه العبارة غير مذكورة فى بعض النسخ الأصلية] "إن قونجون، وقد نما إلى علمه ما قد قيل، فلن يذهب إلى دولة تشى أبدا، بل سيـأتى إلى دولة وى ليكون فى كنفـك، مـستـجيرا بك ومعـتـمــدا عليـك، فتنعم بـالأمــان ويزول عنك الخطر".

لمـا ذهب شاوشيان إلى دولة هان

ذهب شاوشيان إلى هـان ليتولى مهام منصبه كرئيس للوزراء [كان قادما من دولة تشو، حيث عمل فى منصب وزارى رفيع، وكانت هـان لمـا تحـالفت مع تشـو، أرادت أن تـتـخذ منهـا ركـيـزة وسندا لمقـاومـة عـدوان تشين، فـقـامت بتـعـيين شـاوشـيـان رئـيـسـا لـوزرائهـا].

فلمـا أعلنت تشين بدء الهجوم على هان، أسرعت هذه إلى إعفـاء شـاوشيان من منصبـه، فـأرسل من جـهتـه رسـولا إلى قـونشـو بدولة هـان، يقـول له: "من الأجـدر بك أن تقوى مـركز شاوشيـان وتدعم موقعه ومكانته لتوطيد قـاعدة التحـالف مـع دولة تشـو، وهـو ماسيدفع ملك تشين إلى الاقتنا ع بأن كلتا الدولتين (تشو وهان) قد توثقت عرى الوحدة والتحالف بينهما".

لما قامت دولة تشين بمهاجمة إقليم

قامت دولة تشين بمهاجمة إقليم "شينغ"، فأمرت دولة هان قواتها بالانسحاب من منطقة" نانيانغ"، التي كانت تشين قد هاجمتها بالفعل، وتقدمت نحو إقليم "شينغ"، ثم إنها تنازلت عن "نانيانغ" (إلى تشين) فلم تقنع هذه به، بل واصلت هجومها ضد "شينغ". وتكلم تشنجن مع ملك تشين، فقال له:" لما رأت دولة هان أن الوضع غير مجد، سارعت إلى الانسحاب، وأدركت استحالة تحسن العلاقات مع تشين، فتنازلت عن الأرض. (ورغم ذلك) فإن قوات تشين، لم تتوقف عن شن الغارة تلو الأخرى، وسط ظروف تشهد عدم تحسن العلاقات بين البلدين، وتنازل هان عن أجزاء من أراضيها، بل انسحابها الفعلي من مناطق المواجهة، وأخشى (أن تكون عواقب ذلك على الدويلات الست بالغة التعقيد..) فلا أظن أن الدويلات يمكن أن تتنازل - فيما بعد - عن أجزاء من أراضيها أو تفكر في التراجع أمام زحفكم، إذعانا وتسليما، ثم إن جلالتكم كنتم قد طلبتم مائة مثقال من الذهب من سانشوان، دون أن تحصل على شئ منها، وإذ بك بين عشية وضحاها تحصل على ألف وزنة منه بعد غزوك لدولة هان، لكنك إذا واصلت هجومك ضدها، فسوف تخسر أهم علاقاتك الدبلوماسية (مع الدويلات.. وبالتالي ..) سوف ينضب أهم معين تغترف منه لتملأ خزائن دولتك، ولكل ذلك، فإني أرى عدم سداد قراركم (بالاستمرار في مهاجمة هان)".

لما اتفقت الدول الخمس على مهاجمة تشين

اتفقت الدول الخمس على مهاجمة تشين [في ٢٤١ق.م] وكان ملك تشو هو الذي تزعم مجموعة التحالف الرأسي، ثم إن القوات توقفت عن الهجوم، عندما عجزت عن تكبيد تشين أية خسائر، وتمركزت الجيوش في منطقة "تشنقاو"، وهنالك تكلم "ويشون" مع أمير إقليم "شي تشو"، فقال له: "مادامت قوات الدول الخمس قد انسحبت على هذا النحو، فلابد أنها ستغير على "شي تشو" لتعويض نفقاتها القتالية.

فامنحني بعض المصاريف وابذل لي التكاليف المطلوبة كي أساعدك في صد ذلك الهجوم المحتمل على الإقليم".

فوافقه الأمير على رأيه وأعطاه ما طلب، وأوفده إلى دولة تشو، فما أن بلغها حتى التقى بجلالة الملك، وقال له: "كنت قد أجريت اتفاقك مع الدول الخمس على التوجه غربا لضرب تشين، أما وقد عجزتم عن إنجاز تلك المهمة على الوجه الأكمل، فسوف تنظر إليكم الممالك بعين الازدراء، وتتطلع إلى تشين بكل إعجاب وتبجيل، فكيف فاتك - والأمر كذلك - أن تختبر مشاعر حلفائك وتقدر خطواتهم وتصرفاتهم إزاء ما حدث؟"، فاجابه: "لقد بات في حكم المؤكد أن الدول الخمس، بعد أن سحبت جيوشها من الميدان، سوف تنقض على إقليم" شي تشو" لتعوض ماصرفته على الاستعداد لحملتها الهجومية، فمن الأفضل أن تتدارك مايمكن أن يحدث، وأن تصدر أوامرك بعدم مهاجمة الإقليم المذكور، فإذا كانت الدول الأربع الأخرى تعرف لك مكانتك وتعظم قدرك، فسوف تذعن لأوامرك، وتقلع عن أي محاولة لمهاجمة "شي تشو"، أما إذا مضت في طريقها دون أن تعبأ بقرارك فهذا دليل على ركود شأنك وقلة الاعتناء بمكانتك بينهم، وعلى أية حال فسيبدو لك بكل وضوح موقف الممالك ودرجة تقديرها لك ومدى ماتشغله من أهمية ووزن لديها".

وبالفعل، فقد تمكن ملك تشو (بما أجراه من اختبار لمشاعر الدويلات نحوه) أن يصد عن إقليم شي تشو المخاطر المحتملة وأن يحفظ أمنه وسلامته.

لما أرسل جنشيان إلى دولة تشين

أرسل" جنشيان" إلى دولة تشين ماحمولته ثمانمائة مثقال من الذهب، راجيا منها مهاجمة دولة هان. فتكلم" لنشيانغ" [كبير وزراء تشين] في ذلك مع جنشيان، قائلا: "إنك إذا تأتي اليوم بتلك المثاقيل الثمانمائة من الذهب طالبا إلينا مهاجمة دولة حليفة، فمن المستحيل أن نجيبك إلى طلبك. وأرى (إذا كان ضروريا بالنسبة لك أن تصل إلى نتيجة أن تعمل على..) إثارة الشك في قلب ملك تشين تجاه قونشو"، فلما سأله

جنشيان عن كيفية إحداث هذا التأثير لدى الملك أجابه بقوله: " إن السبب فى قيام قونشو بمهاجمة دولة تشو، هو وجود" جيشا" بأرضها (لكنه الآن تصرف على نحو..) جعل ملك تشو يعمل على إرسال جيشا إلى منطقة "ياندى" [من أعمال دولة هان] ويصحبته مائة عربة عسكرية، بل إنه أمر (المدعو) جاوشيان بأن يرافقه فى هذا السفر، ويقيم معه حيثما أقام، فلما اكتشف قونشو هذا الأمر،كان الوقت متأخرا جدا (للقيام برد فعل مناسب) علما بأن جاوشيان (المذكور آنفا) هو واحد من أعز أصدقاء قونشو [لاحظ أن المذكور ذهب مرافقا مقيما مع "جيشا" الذى يعد ألد أعداء قونشو] وإذ يستمع ملك تشين إلى هذه التفاصيل، فلابد أن الشك سيتطرق إلى قلبه حول ما إذا كان قونشو يعمل (سرا) لمصلحة دولة تشو".

لما نجح جنشيان فى طرد تشانغى

نجح جنشيان فى طرد تشانغى من دولة تشين، وكانت وسيلته فى ذلك أنه أرغم سفيره [مساعده، والمتحدث الرسمى باسمه، أو هكذا تقريبا] على الذهاب إلى دولة تشو، ثم تحدث مع" طاتساى" [أحد المسئولين بدولة تشو، قائلا: "إذا أتاك سفير تشانغى، فاحبسه عندك لاتدعه يفلت من يدك، فقد عزمت على الذهاب غربيا (نحو دولة تشين) للكيد له واتخاذ التدابير ضده". ثم إنه سافر إلى تشين والتقى بحاكمها، وقال له: "أرسل تشانغى إلى تشو رسولا من قبله لتسليم أرض "شانيون" [أرض تابعة لدولة تشو – فى الأصل – لكنها إبان تلك الفترة كانت فى حوزة تشين] وقد أوفدنى ملك دولة تشو إليك ـ أكثر من مرة – لإبلاغك بهذا الشأن". فاتقد الغضب فى قلب ملك تشين، وعلى إثر ذلك خرج تشانغى وفر هاربا خارج البلاد.

لما كانت موقعة إيانغ

لما كانت دولة تشين منهمكة فى مجهود الهجوم على" إيانغ" [وكانت قد أرسلت كانماو لمهاجمة إيانغ فى سنة ٣٠٨ق.م] تكلم "يانطا" [أحد مواطنى دولة هان]

مع "قونصو نشيان" [وزير عظيم فى بلاط هان] قائلا له: "ائذن لى فى قيادة قوات من خمسين ألف مقاتل لمهاجمة جو الغربية، فإذا ماتم لى النصر، أمكن كبح جماح كانماو وإظهار عجزه عن تحقيق المنجزات العظمى؛ وذلك بما سيتحقق على يدى من الاستيلاء على" الأوانى التسع المقدسة"، وإلا فستقوم تشين بمهاجمة جو الغربية، وهو ماسيثير ردود فعل غاضبة وناقمة لدى أهل الممالك والدويلات، وبالتالى فسوف يسارعون إلى دعم دولة هان، مما سيؤدى إلى فشل مهمة كانماو فى مهاجمة دولة هان".

لما قامت تشين بتطويق إيانغ

قامت دولة تشين بتطويق إيانغ، فتكلم يوطن [وزير عظيم بأسرة جو الملكية] إلى قونجون [مسئول كبير بدولة هان] فقال له: "ما الذى يمنعك من أن تعيد أراضى لين، وليشى، تشى إلى دولة جاون مقابل أن ترسل إليك رهائن لضمان استقرار الأوضاع بينكما فتستغل هذا فى بذل الوعود لدولة جاو بالتنازل لها عن الأرض مما سيحبط مشروع" لوهوان" ويؤدى به إلى الفشل الذريع. كما أن قيام دولتى هان وجاو بعملية هجوم مشترك بقواتهما ضد دولة وى سيؤدى بالتأكيد إلى فشل لوهوان. وإذ تشترك هان مع جاو فى هجوم مشترك ضد وى، فستضطر هذه إلى التمرد ضد تشين، وهو مايعنى، بالنسبة لواحد مثل كانماو، السقوط المريع، ثم تستغل ما أعطيته لدولة تشى من أراضى تشنيان لدعم تيشيان، وهكذا تضمن تعثر خطى دولة تشو وترديها فى الأخطاء . وعندما تعانى دولة تشين من مرارة الفشل، تكون قد خسرت دعم وتأييد دولة وى، وهو ماسيحول دون اقتحام منطقة "إيانغ".

لما توقد صدر قونجون ببغض كانماو

توقد صدر قونجون ببغض كانماو بسبب موقعه إيانغ، وحدث، فيما بعد، أن دولة تشين أعادت أرض "أوسوى" إلى دولة هان، ثم سرعان ماتطرق الشك إلى (البلاط الحاكم فى..) تشين حول مايمكن أن يكون كانماو قد دبره من تسليم أوسوى إلى هان

لتسوية خلافاته وتصفية أجواء الكراهية بينه وبين قونجون. وهنالك لم يتوان" طولياو" عن أن يتكلم مع ملك تشين (مدافعا عن قوانجون ..) قائلا: "ماكان لـ قونجون أن يقدم على تصرف من هذا القبيل، إلا لأنه كان ينشد التقرب إلى جلالتك والفوز برضاك عنه، من خلال استرضاء كانماو" فأسرهًا الملك ضد كانماو، وتغيّر قلبه عليه، وهو ما اعتبره تشوليجى تصرفا ذكيا وبارعا من طولياو يستحق الثناء والإشادة.

لما اندلع القتال بين تشين وهان فى موقعة

اندلع القتال بين تشين وهان في موقعة "جوتسى" [من أرض دولة هان] وتأزمت أوضاع هان للغاية، فتحدث "قون جون بنغ" إلى ملك هان، قائلا: "ماعاد يمكن الاستناد إلى دعم أو قوة التحالف (بعدما بلغت الأمور هذا الحد) وقد ظهر واضحا للعيان أطماع تشين فى الإغارة على دولة تشو، وأرى من الأفضل لجلالتك أن تطلب المصالحة مع تشين عبر وساطة تشانغى، ثم تتنازل لها عن إحدى المحلات الكبرى، استرضاء لها، وبعد ذلك تقوم بالتنسيق معها لضرب تشو، فتلك خطة "الظفر بمكسبين من خلال خسارة واحدة". فنزل الملك على رأيه، وأمر "قون جون بنغ" بالانطلاق العاجل للغرب للمصالحة مع تشى، فلما ترامت أنباء ذلك إلى ملك تشو، أسقط فى يده من شدة الفزع، واستدعى تشنجن على الفور، وأخبره بما وقع، فرد على جلالته، بقوله: "لطالما فكرت دولة تشين فى مهاجمتنا (منذ زمان بعيد..) وهاهى قد امتشقت سيف الحرب وأعدت للقتال عدته، لاسيما وقد أمدتها دولة هان من الأراضى والمحلات (مايفى بحشد الاستعداد وتجهيز الجيش) إن ما أشهده الآن هو تحالف مشترك بين تشين وهان للتقدم صوب الجنوب (للإغارة علينا .. كما هو واضح) وكم ابتهلت تشين فى صلواتها ورددت وسط المعابد أدعيتها بأن تتحقق أمانيها فى مهاجمتنا، وها قد أجيبت الأدعية وتحقق الرجاء، وأصبحت تشو قاب قوسين أو أدنى من التعرض لاجتياح تشين لأراضيها، (وفى هذه النقطة، فأنا متفق معك، فى الرأى، تماما؛ ولاغرو أنى أخذت بوجهة نظرك) فرفعت درجة الاستعداد القصوى داخل البلاد، وصففت أفضل الجنود صفوفا متراصة

وأعلنت قرارى بالتوجه لإنقاذ دولة هان، وأرسلت أرتالا من العربات، حتى امتلأت بها الطرقات، وأوفدت أخلص المبعوثين وأرسلت معهم المركبات والأحمال والأمتعة والأموال الوفيرة؛ كي تطمئن دولة هان وتثق في وقوفي بجانبها ومساندتي لها، مما ستظل تذكره لنا ببالغ الامتنان؛ حتى لو لم تمتثل إرادتنا. (وفي أقل القليل..) لن تنشر ألوية الهجوم علينا وتزحف إلينا زحف الجراد أو تنقضّ فوق رؤوسنا كأسراب النسور، بهذه الطريقة تقع الوحشة بين تشين وهان، وهو مايقى تشو شر الخسائر الفادحة التى تتربص بها، حتى لو أقامت جيوشهما إلى جوارها دون أن تتزحزح قيد أنملة. فإذا أصغت هان إلى نصائحها . وتراجعت عن المصالحة مع تشين، فسوف تثور ثائرة غضب (تلك الدولة الجامحة) فيرغى حاكمها ويزبد، فتتقد نار البغضاء بينه وبين هان التى ستتطلع إلى تشين بعين الاحتقار بعد أن تطمئن إلى مساندة ودعم" تشو" لموقفها، وهو ماسينعكس على معاملاتها، فيما بعد، مع تشين، بحيث لن تصطبغ العلاقات بينهما بطابع الاحترام المعهود؛ وهكذا نكون قد نجحنا في إرباك خطط قوات تشين وهان كلتيهما، وتجنبنا الخطر الداهم الذى يتهدد تشو". وبدت أمارات السعادة الغامرة في وجه ملك تشو، وأسرع إلى اتخاذ التدابير العاجلة بمضاعفة درجة الاستعداد، وانتقاء أفضل عناصر المقاتلين لإرسالهم إلى هان، حيث يجرى إنقاذها، ثم أرسل موفده الشخصى وبصحبته عدد وافر من المركبات، وحمله الصلات المعتبرة من الأمتعة والأموال بغير حصر، فلما مثل رسوله بين يدى ملك هان، قال لجلالته: "على الرغم مما عليه بلادنا من ضآلة الموقع وضيق المساحة (وقلة الموارد..) فإنها جمعت إليك كل ما تستطيعه من قوة (لنجدتك) وهى إذ تفعل ذلك، تترك لجلالتك تقدير أسلوب وطريقة معاملاتك معها على النحو الذى ترضاه، (وعلى أية حال) فإن بلادنا ستقف معك في ساحة القتال، وتحارب إلى جانبك، دون هوادة".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وكانت سعادة ملك هان بما سمعه، لاتوصف، وفي الحال أمر بإلغاء كل التدابير التى اتخذها" قون ينغ"، فذهب هذا إليه، وقال لجلالته:" على رسلك يامولاى، فالأمور لا يمكن أن تسير على هذا النحو أبدا؛ ذلك أن من يمثل بالنسبة لنا الأزمة الحقيقية (الملموسة)

هى دولة تشين، أما من يصدع رؤوسنا بحديث فارغ عن المساندة والمساعدة، فهى دولة تشو، لكننا إذا جاريناها وصدقنا كلامها، وسارعنا (فى تهور وطيش بالغ..) إلى قطع العلاقات مع (الدولة التى تتمثل، بالنسبة لنا الند القوى، ألاوهى..) تشين، فسوف نجلب على أنفسنا سخرية الممالك، ونصبح هزأة الأمم. ثم إن دولتى هان وتشو ليستا على درجة من الود (تجعل منهما شقيقتين متحالفتين..) ولا هما تدبران خطة تحالف بينهما للتآمر ضد تشين وإنما كل ما هناك أن هذه أزمعت مهاجمتها، فقد جهزت قوات وسيرتها إلينا (بحجة إنقاذنا) فلابد أن هذه الخطة من تدبير تشنجن.

ناهيك عن إننا قد أوفدنا رسلنا إلى تشين لنبلغها بردنا وتقرير الأحوال (بصورة حاسمة ونهائية)، فإذا لم نلتزم بما أبلغناها به، فسنكون قد تصرفنا بطريقة مخادعة، فنجلب على أنفسنا عواقب استصغار شأن تشين، بينما نصغى إلى ماتبثه دولة تشو فى آذاننا (من أوهام وأكاذيب) وبناء على ذلك فمن المؤكد أنك ستندم كثيرا يامولاى".

إلا أن جلالته لم يأخذ برأيه وقطع علاقته مع تشين، متحللا من ميثاق التحالف معها، وبالطبع فقد استقبل ملك تشين هذا الخبر بثورة من التنديد والغضب، وجهز جيشا وسار به إلى هان حيث اشتبك معها فى موقعة" أنمين" ولم تدركها أى نجدة من جانب دولة تشو، فكانت الكسرة عليها فى تلك الموقعة، ولم يكن السبب فيما حاق بها من الواقعة المهولة ضعف قواتها أو تهافت إعدادها العسكرى، ولاكان السبب راجعا إلى قلة فطنة شعبها وغفلته عن الإدراك [هكذا،حرفيا]، مع ذلك فقد تحطم الجيش، وصارت الفطنة (الغائبة) محل سخرية لاذعة، وموطن الخطا (فى هذا كله) يكمن فى الإصغاء إلى أوهام تشنجن وتخرصاته، وعدم الأخذ بنصيحة" قون جون بنغ".

لما ذهب أحد مواطني جو لمقابلة

ذهب" يان لو" [أحد مواطنى دولة جو] لمقابلة "قون جون" إلا أنه لم يلتق به، فأبلغه رسالة (شفهية) غير مباشرة عن طريق" مسئول الاتصال"، قائلا له:" لابد أن قون جون ظن أنى عديم القيمة، فرفض مقابلتى ألا أنه ليس بالرجل الفاضل، بل إنه

عاشق نساء وصاحب ذوات خدر، لكني عفيف الخلق، صاحب علم وحكمة . ولئن كان هو ممسكا بخيلا مقترا، فإني سخي اليد أنفق ذات اليمين والشمال؛ ومن المعروف عنه أنه لايلزم نفسه بمبدأ أخلاقي يسير على نهجه، أما أنا فأتطلع دائما صوب ماهو حق وعدل.

وعلى هذا الأساس، فلن أتواني، بعد اليوم عن انتقاد سلوكه وتصرفاته بصراحة مطلقة، دون أدنى مواربة." فلما بلغت هذه الكلمات مسامع قون جون بواسطة" مسئول الاتصال" أسرع بالنهوض فاستدعي"يان لو" لمقابلته".

لما أوفد قون جون مبعوثا إلى أحد أقارب

أوفد قون جون مبعوثا إلى "شيانشون" [أحد أقارب الملكة الأم في دولة تشين] قائلا: "حتى الوحش المحبوس في الأقفاص، يستطيع أحيانا، أن يقلب عربة الصياد رأسا على عقب، فلا تظن أن ماصنعته بدولة هان من تدمير وما أنزلته بـ قون جون من إهانة، يمكن أن ينتهي هكذا ببساطة؛ فقد يستطيع (قون جون) أن يلملم شتات ماحدث ويصلح ماتهدم ويعود، ثانية، إلى تشين معترفا بطاعتها وسيادتها، مقتنعا برحابة صدرها، وبما ستتكرم عليه من الصلات الباذخة والإقطاعات الكريمة. وها أنت تحاول إجراء المصالحة بين تشين وتشو، على أن تتنازل هذه الخيرة عن أرض "طويان" بوصفها إقطاعا ممنوحا لـ"شياوليني".

وعندما تتحالف تشين وتشو وتحركان قواتهما نحو دولة هان. فلن تعود لها بعد ذلك قائمة ولا يبقى فيها حجرٌ قائما على حجر، أما قون جون، نفسه، فسوف يقود أتباعه مستجيرا بدولة تشين، ورجائي منك أن تتدبر الأمر مليا وتستقصي جوانبه بعمق"، ورد عليه "شيانشو" قال: "لم يدربخلدي قط، وأنا أقيم التحالف بين تشين وتشو، أن أجعله حربا على هان، وأرجو منك أن تبلغ قون جون، عنّي، بأنه من الممكن لدولة هان أن تقيم، هي الأخرى، تحالفا مع دولة تشين" فأجاب المبعوث، قائلا: "مازالت هناك

بعض الكلمات التي أتمنى أن أعيد تذكيرك بها مرارا وتكرارا، فالمثل السائر يقول: "إن احترامك لما يحترمه الناس يجعلك موضع تقديرهم وإجلالهم" ولنقل، بصراحه، إن إعزاز الملك لك ولمكانتك يفوق كثيرا جدا مايشعر به جـلالته إزاء (واحد مثل ..) "قون صونهاو"؛ كما أن ثقته فيك تعلو كثيرا مايوليه كانماو - مثلا - من ثقته وتقديره. والدليل على ذلك أن هذين الشخصين لا يجرؤان على تناول شئون البلاد أو البت فيها، أما أنت، فوحدك، تستطيع أن تنافس جلالته فيما يتصل بها من تفاصيل وتقترح عليه سياسات وتصدر القرارات القاطعة، ولئن حرما هذه المزية؛ فلأنهما ارتكبا مايجل عن الوصف من الأخطاء الفادحة؛ فقد حاول قون صونهاو التقرب من دولة هان، وكذلك جرب كانماو أن يستجلب رضا دولة وي، فكان ذلك التي دعت الملك الى نزع ثقته عنهما، ثم تأمل ماهو قائم اليوم، تجد أنه، على الرغم مما تحاول دولة تشو أن تبلغه من مناطحة تشين ومزاحمتها ساحة الغلبة والقوة والتفوق، فها أنت ذا تسعى إلى التقرب منها واسترضائها بشتى الوسائل، تماما مثلما سبق لكل من كانماو وقون صونهاو، قبلك، أن يفعلا، (على طريقتهما ..) أي أنك مشيت الطريق نفسه، وخضت ذات المجال، ولم تختلف عنهما في شيء قط، فهل كان ثمة فارق بينكم؟ وكم تردد على الأفواه أن دولة تشو ليست موضع ثقة وأنها كثيرة التقلب في سياستها، ومع ذلك فقد بقيت تساعدها وتمدها بأسباب العون وتوطئ لها الأكناف، سعيا لمرادك وابتغاء التطاول في جاهك، ولاأرى إلا أن تتدبر، مع الملك، خطة لمواجهة كثرة تقلبات دولة تشو، ولإقرار حسن المعاملة مع هان، والاقتراب مع الحذر من دولة تشو؛ فتلك هي الوسيلة لتجنب النكبات.

وكانت دولة هان هي التي بادرت إلى تفويض قون صونهاو في إدارة شئونها السياسية العليا، ثم عدلت عن ذلك، ووكلت بها كانماو؛ ومن ثم كان شعورك بالعداوة والبغضاء تجاهها، (وعلى كل حال..) فتستطيع الآن أن تبدي وجه الرضا والتقرب من هان، على أن تلزم الاحتراس من تشو، بمعنى أن تبدى منك وجه الفضل والحكمة والتعقل دون أن تحجب عنك الوجه الآخر من التحفز والكراهية والبغضاء".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وتكلم شيانشو، فقال: "بل إنى أتوق إلى المصافاة والمصالحة مع دولة هان" فأجابه الرسول، قائلا:" كان كانماو قد وعد قون جون بإعادة أوسوى (من أعمال هان) وتمهيد الطريق أمام أهالى إيانغ للعودة إلى الوطن، وها أنت تستشعر صعوبة بالغة فى استعادة اوسوى، والمصالحة مع هان!" فرد عليه شيانشو قائلا: "فما العمل إذن (وماذا تقترح على؟)" فأجابه: "فلماذا لاتحاول أن تطلب من تشو – باسم دولة هان – استعادة منطقة" إينغ شوان" وأنت تعلم أن لك كلمة مسموعة فى الممالك، بحكم ماتحتله تشين من مكانة ومهابة وقوة؟ وهذه المنطقة، فى الأصل، تتبع دولة هان، لكنها تقع تحت وصاية تشو، فإذا ماطالبت باستعادتها كان لك الأمر النافذ والسلطة المرعية فى دولة تشو، هذا بالإضافة إلى ماستلقاه عند هان من الامتنان والاعتراف بجميلك إذ تنتزع لها من براثن تشو أرضها المسلوبة، فإذا عجزت عن ذلك، نشبت الكراهية فى قلب الدولتين تجاه بعضهما بعضا وتوقدت فى نفوسهما جذوة البغض والعداوة وتنافستا على الارتماء فى أحضان تشين؛ ولماكانت تشو، تزاحم تشين وتحسدها على مكانتها وسيادتها بين الأمم، فتستطيع هذه أن تكبح جماحها وتوجه لها اللوم والانتقاد، بينما تستميل إليها هان وتتود إليها، وهو ما يعود على تشين بالمنافع الجمة" فقال له شيانشو:" فما العمل،إذن وماذا ترى من خطة فى هذا الشأن؟" فأجابه المبعوث:" هذا أمر بالغ البساطة والسهولة، فهذا كانماو تحدوه رغبة فى استلاب تشى أرضها معتمدا على قوة وى، وهذا قون صونهاو، يفكر فى اجتزاء أرض تشى مستندا إلى مركزهان، وليس عليك إلا أن تستولى على إيانغ، فتكون لك مأثرة مشهودة من مآثر الحرب وغنيمة قتال، ثم تحاول استمالة دولتى تشو وهان، وتعمل على تهدئة خواطرهما، فى حين تقوم بشجب وفضح واستنكار تصرفات كل من دولتى تشى، و وى، ومن ثم يفقد كل من قون صونهاو وكانماو سلطتيهما ونفوذهما بالكلية".

لما ذهب أحدهم إلى قون جون

قصد إلى قون جون من قال له: "إن المسئولين عن الشئون السياسية العليا (فى البلاد) ينبغى أن يصغوا كثيرا إلى آراء رجال الدولة، وليسوا ملزمين، على أى نحو، باتباع توجيهات النبلاء والأماثل. (وفى هذا الخصوص..) فقد سمعت، فى الأسواق، مثلا سائرا وجدت فيه دروسا مستفادة، فأرجو أن تنصت لما أبدية لك من آراء.

(وأبدأ، فأقول..) إنك كنت ترجو وتلح فى الرجاء، لدى ملك تشين، أن يجعل دولة هان متزنة فى حيادها بين كل من وى، وتشى فلاتميل إحداهما دون الأخرى، إلا أن جلالته لم يوافقك الرأى، فحاولت التقرب من قون صونهاو لإحراج كانماو ووضع العراقيل في طريقه، ثم شجعت قوات تشى على اقتحام دولة وى، وبالتالى تفاقم العداء بينك وبين تشو وجاو، وصارتا من ألد خصومك، وأخشى أن يكون فى ذلك خطر محدق بدولة هان، ولذلك أرجو أن تطلب من ملك تشين السماح لـ"هان" بالحفاظ على حيادها" فقال له قون جون: "فما الذى تقترحه، بهذا الشأن؟" فأجابه: "يتصور ملك تشين أن قون صونهاو يتقرب إليك، ومن ثم فهو لايثق فيه كثيرا، أما كانماو، فليس بينه وبينك من المودة مايؤهله لأن يتحدث (مدافعا) عنك، وأرى أن تتخذ من "شينيوان" [رئيس وزراء تشين] رسولا إلى الملك، يتحدث بلسانك ويبين موقفك، فهو الوزير الأكبر، وله كلمة مسموعة عند جلالته؛ لما عهده فيه من الاستقامة والعدل، وعليك أن تطلب منه أن يقول للملك: "أيهما أنفع لبلادنا، تحالف وى وتشى أم أنصالهما؟ وأيهما أكثر مدعاة لتقوية مركز ومكانة تشين، اتحاد وى مع تشى أم تنافرهما؟" .. وسيرد الملك، قائلا: "انفصال وى عن تشى يدعم مركز وهيبة تشين بالطبع، أما اتحادهما فيضعف كثيرا من مكانتنا . ومن المعلوم والمؤكد أن نفوذهما وتباعدهما يزيد فى قوة وسلطة تشين، أما وحدتهما فتوهن صلابتنا وتفت فى عضدنا" فاطلب من شينيوان أن يرد على جلالته، بقوله: "(لكن) جلالتك صدقت كلام قون صونهاو،(وزكيت وجهة نظره) فما كان منه إلا أن استخدم

قوات هان وتشين لضرب دولة وى - بناء على طلب تشى - فلما عجزت وى عن رد العدوان تنازلت لدولة تشى عن الأرض، وعقدت معها الوحدة، فنال دولة تشين من ذلك مانالها من التردى والهوان بين الأمم؛ ولذلك فإنى أرى فى ذلك دليلا واضحا على تواطؤ وخيانة وفساد نية قون صونهاو. وأرى أنك إذا أصخت السمع إلى كانماو وأوليته مزيدا من الثقة، وصدقت قوله، ودفعت بقوات من تشين وهان لدعم وى فى عدوانها على تشى فإن هذه الأخيرة لن تقوى على رد العدوان، ولن تملك إلا أن تتنازل عما طالبت به وى من الأراضى مقابل التصالح معها، (فحينئذ تقوم بينهما علاقات المصافاة والتفاهم) وتلقى تشين من جراء ذلك الضعف والذبول والتردى، وعلى ذلك أرى أن كانماو (بهذه الصفة وذلك الاعتبار) ليس محل ثقة وأمانة. وأرى من الأفضل - ياامولاى - أن تدعم موقف دولة هان فى حيادها بين الأطراف؛ وذلك فى محاولة لضرب تشى، ثم تزعم وقوفك بجانب وى لدعمها ومساندتها، وتقوية موقفها وهنالك تنمو بذور الفرقة والنفور بين وى وتشى، وينشب بينهما القتال ويطول مداه، وبهذه الطريقة، تستطيع أن تبث الثقة فى قلب قون صونهاو تجاه دولة تشى، فيبادر إلى الحصول على نانيان من وى، باسم دولة هان، ثم يستبدل هذه الأرض بأرضه التى استولت عليها هان (وهى اقليم قوشوان) ليتمكن من الانضواء تحت لوائكم، وهذا هو هدف الملك "هوى" ومنتهى أمله، وعلى كل حال، فهذه هى الطريقة التى إذا عملتم بها . فسوف تجعلون كانماو أكثر ثقة وتصديقا لدولة وى فيسارعُ إلى استخدام قوات تشين وهان لدعمهما فى ضرب تشى، وهو مايصبو إليه جلالة الملك" أو".

وأرى أن دعم حياد دولة هان لضرب تشى، هو خطتكم الحاسمة والعاجلة. (واعلم) أن صونهاو لن يجرؤ عن الحديث فيما يتعلق بمحاولات التقرب إلى دولة تشى، كما أن كانماو لن يجسر على أن يفاتح أحدا فيما يمكن أن يلقاه من جفاء وعدم اكتراث، وهذان الاثنان هما أساس كل مخاطرك ومنبع كل الشرور التى تكمن لك فى منعطفات الطريق، فاحذر الحذر كله، وتأمل مستقصيا جوانبه بكل دقة".

لمـا شغل قون جون منصب رئيس الوزراء

شغل قون جون (رجل دولة هان) منصب رئيس الوزراء، وكانت العلاقات بين تشى وتشو – فى تلك الآونة – فى غاية الصفاء والمودة والتقارب. وكانت دولتا تشين، و وى تلتقيان فيما بينهما عند الحدود، مصادفة، وتتخذان من التقرب إلى تشى وسيلة لإفساد مابين تشى وتشو من صداقة وعلاقات حسنة . وتصادف، فى تلك الأثناء، أن ملك تشو كان قد أرسل، من جهته، كبير وزرائه (المدعو "جينلى") إلى تشين، وكان الرسول أثناء الزيارة، قد شارك فى اجتماع عقد بين ملكى وى وتشين، فحقدها ملك تشو على مبعوثه وأسرها فى نفسه وهو كظيم، وخاف أن تظن دولة تشى الظنون، من جراء تلك المشاركة، وربما وقع فى خاطرها وجود علاقة خفية بين تشو وكل من وى وتشين، وقرر أن يجرى على مبعوثه "جينلى" أشد العقاب. فذهب إلى جلالته من تشفع فيه، قائلا له: "أهنئ جلالتكم بهذا النجاح العظيم وتلك البشرى الطيبة التى وافتنا أنباؤها بحضور مبعوثكم "جينلى" الاجتماع بين حاكمى تشين، و وى. وذلك أن الاجتماع المشار إليه إنما كان مخصصا لبحث خطة التحالف مع تشى وتشين بهدف قطع العلاقات بين تشى وتشو، فلما حضر مبعوثكم جينلى الاجتماع المنعقد بين الملكين، تشككت دولة تشى فى صدق نوايا دولة وى، باتحادها المزعوم مع تشين لمهاجمة تشو، وكان من جراء ذلك أيضا أن تشى ساورتها الظنون فى احتمال وجود علاقات خفية بينكم وبين كل من وى وتشين، مما سيعمل على تعظيم مهابتكم فى عينها والنظر إليكم بكل إجلال وتوقير؛ فمن ثم كان حضور ممثلكم جينلى اجتماع الدولتين وى وتشين أهم ركيزة تدعمون بها موقفكم (وسط الأحداث) وذلك أن غياب جينلي – لوكان حدث – عن الاجتماع. لكان قد اتضح جليا اتجاه دولة وى فى العمل على قطع العلاقات بين تشو وتشى؛ وإذ تنصت دولة تشى بآذان التصديق إلى دولتى وى وتشين، فلا بد أنها ستحقر من شأن جلالتك، ولذلك فإنى لاأرى فقط التراجع عن عقاب جينلى، تأكيدا للتمتع بمساندة كل من وى وتشين. مما يعظم مكانتك أمام تشى، بل يثير لدى وى وتشين الشك فى وجود علاقات تحالف قوية جدا بين تشو وتشى". فنزل الملك على رأيه، وتراجع عن فكرة معاقبة جينلى، بل رفع رتبته وولاه مكانة أرفع.

لما تحدث ملك وى بحديثه قائلا

تحدث ملك وى، فقال [هذه الفقرة تكرار لما سبق ذكره فى الفصل الأخير من "سجل تشو الرابع" وقد أدرجت، سهوا، فى "سجل دولة هان" (المحققون)]: "قلت لى، فيما مضى، بأنه ليس ثمة "على الأرض أية أعداء"، ثم تأتى إلى اليوم، قائلا إن.. "الظروف الآن على وشك أن تشهد هجوماً ضد يان" فما السبب (فى هذا التناقض فى قولك؟)" فأجابه يوتشين قائلا:" إذا قلت لجلالتك، الآن، إن الجواد ذو قوة وجلد، فهذا قول الحق وإقرار الحقيقة؛ أما إذا ذكرت لك بأن للجواد القدرة على حمل مامقداره ألف "جوين" [نحو خمسة عشر ألف كيلو غرام من الأثقال] فهذا قول باطل، لماذا؟

وكذلك إذا قلت لك إن دولة تشو ذات بأس شديد، فهذا قول الصدق والحق؛ أما إذا زعمت لك بأنها تستطيع المروق عبر أراضى كل من دولتى جاو ووى لتشتبك مع يان، فكيف يستقيم هذا الزعم مع الواقع والحقيقة، وأين لدولة تشو بهذه المقدرة الخارقة؟ فماذا لو حاولت تشو المضى قدما فيما لا طاقة لها به، ألا يكون ذلك سببا فى هلاكها والانتقاص من شأنها، فانظر فى أيهما أنفع وأجدى لجلالتك".

لما ذهب إلى ملك وى من قال له

ذهب إلى ملك وى، من قال لجلالته: "أرى يامولاى، أن ترسل من ينادى فى الناس، من أقصى البلاد إلى أقصاها بالتحذير والوعيد بأن كل من يثبت فى حقه أنه تأخر عن الخروج معك للقتال بأن تقاعس عن الاستعداد وحمل السلاح مدة تتجاوز عشرة أيام، يقطع رأسه ثم تقوم إلى مركبتك العسكرية فترفع عليها الرايات والأعلام، فيطالع الناس شارتك ويعاينون صولتك، وائذن لى بأن أذهب فى سفارة لك، إلى دولة تشو، فلا تخرج إلى القتال إلا عند عودتى إليك". فلما علم رئيس وزراء تشو (المدعو" تشن شنجون") بذلك، تكلم مع سفير ملك وى، قائلا له: "عد إلى البلاد فورا، حتى تجهز دولة تشو العدد البالغ من القوات وتزحف به نحو حدود دولة وى". فلما سمع رسول دولة تشين بذلك الأمر، سارع بإبلاغه إلى ملك تشين الذى تكلم مع ملك وى، قائلا: "مادمت قد عزمت على مهاجمتنا، ففى جيشك الكفاية للقيام بهذه المهمة".

لمـا تكلم "جوين" مع رئيس وزراء

تكلم "جوين" [أحد مواطنى إقليم" قوانجين"] مع تشن شنجون [رئيس وزراء تشو] فقال له:" يتصور الجميع أن دولة تشو ذات صولة عارمة وبأس وقوة، لكنها ذبلت قوتها وصارت إلى الحضيض بعدما توليت إدارة سياساتها، لكنى لا أرى الأمور على هذا النحو، (صحيح) أنه لم تتعرض دولة تشو للهجوم على مدى العشرين عاما السابقة التى قام فيها على شئون البلاد آخرون غيرك، (لكن إذا استعرضنا الظروف، وجدنا أن..) دولة تشين كانت قد حاولت(الهجوم عليكم) بالعبور من المنطقة الحصينة فى "ميانى" لكن الأمر تعذر عليها، ففكرت فى أن تحصل على موافقة دولتى جو (الشرقية والغربية) لها على العبور من أراضيها، (على أن تحميها دولة هان، من الخلف) فتتقدم لمهاجمة تشو، ثم اتضح أن هذه الخطة أصعب كثيرا وأدق على التنفيذ من سابقتها.

إلا أن الحال تغير جدا هذه الأيام؛ فقد أصبحت دولة وى على وشك الانهيار بين عشية وضحاها، وهكذا فلن تتوانى عن التفريط فى" شيودى" و"يانلينغ"، و"أودى"، وستتنازل عنها لدولة تشين، (وعندئذ يقترب خط الحدود كثيرا من تشو..) إذ لم يعد يتبقى بين تشين وتشو سوى مسافة تقدر بمائة وستين" لى" فقط، ومن ثم أرى أن يوم العراك بين تشين وتشو صار وشيكا جدا".

لمـا كان معروفا عن قونجون بين الممالك

كان معروفا عن قون جون – بين الدويلات والممالك – عدم وفائه بالوعد؛ فلم يكن أحد من الأمراء والولاة يصدق له كلمة ولاعهدا، فكان إذا أراد أن يعهد بشئون البلاد إلى دولة تشو فى الأمر، ويجعل زمام الإدارة فى أيديها. تشكك ملك تشو فى الأمر، وأغضى عن وعوده. فتكلم" سوداى" مع ملك تشو – دفاعا عنه – قائلا لجلالته: "أرى من الأفضل أن تنصت إليه بأذن التصديق، على أن تحذر تراجعه وتحترس من نكوصه، ولقد كانت عادته المعروفة عنه وديدنه المعهود، التردد والتقلب والمراوغة؛ فلطالما كان

ينكص عن عهوده مع تشو مستندا إلى متانة علاقته بدولة جاو؛ ثم يخون مواثيقه مع تشين، مطمئنا إلى موقعه المكين لدى دولة تشى، أما اليوم فلم تعد الأطراف الأربعة تصدق له كلمة، ولم يعد ينفذ له مثقاب فى ثغرة [هكذا، حرفيا] وقد حاصرته الهموم وعصفت به الحيرة، فلربما قد أن الآوان الذى تتملكه فيه نزعة الصدق والأمانة [حرفيا.. "أوان يكون فيه أشبه بالشخصية الأسطورية" ويشنغ".. الذى اشتهر بالكذب، لكنه وقت المحنة صار موضع ثقة ومثالا للوفاء بالعهد]".

سـجـل هـان الـثـانـى

لمـا قامت دولة تشو بحصار يونشى

قامت دولة تشو بحصار منطقة "يونشى" لفترة دامت خمسة أشهر، فأرسلت دولة هان إلى تشين ترجو منها النجدة، وظلت وفود الرسل تتوالى، حتى غصت بهم الطرقات، وعلى الرغم من ذلك، فلم تشأ دولة تشين أن تحرك ساكنا [حرفيا: لم تحرك أى قطعة من جيشها أسفل جبل شياو] فما كان من تشو إلا أن أوفدت مبعوثها "شانجين" إلى تشين، ثم إنه التقى بجلالة الملك هناك، وقال له: "إن دولة هان تنظر إليكم بوصفكم الستار الواقى والدرع الحصين والملاذ الحامى، وهى إذ تحمتى بكم تعرف قوة ومنعة جيوشكم الجرارة ومواكب الزحف التى تمضى كأسراب الشواهين بأجنحتها المشرعة وانقضاض صواعقها. وقد لاقت دولة هان اليوم، من أمرها عسرا وواجهت شدة لا ارتفاع لها ولا مخرج منها إلا بكم لكن جيوشكم لم تغادر سفح جبل" شياو" ولاتحركت لإنقاذها، وقد بلغنى أنه إذا ما انفرجت الشفتان، تعرضت الأسنان لتيارات الهواء العاصف [إذا مازالت عنا حمايتكم، وقعنا فى يد المحن، واستولى علينا الطامعون..] فأرجو أن تتدبر الأمر مليا وتستقصى جوانبه بالتأمل اللازم!" وردت عليه الملكة (الأم) قائلة له: "قد وفد علينا الكثير من الرسل، لم أجد فيهم أحسن منطقا، وأصح عبارة سوى "شانجين". "ثم جرى استدعاؤه ليمثل بين يدى جلالتها، فلما أقبل إليها، ابتدرته قائلة: "كنت أقوم إلى جوار مليكنا السابق، وأرتب له حاجاته وأرعى شئونه، فقد حدث ذات مرة أنه داعبنى بأن داس على جسدى برجله، فما استطعت مغالبته؛ لذهاب قوتى وخمود طاقتى، غير أنه عندما تمدد بجرمه كله فوق جسدى وجدتنى قادرة على احتماله، ولم تخذلنى قوتى، ولم أجد له أى ثقل،

كذلك الذى كاد يفتت عظامى، أتعرف السبب فى ذلك؟ إن السـبب، وبكل بساطة أنه كان فى المرة الثانية محل قبول وموضع احتمال مرغـوب لما فيه من عوائد المتعة والنفع واللذة .

والآن، فأنتم تطلبون العون فى حين عزت الأقوات، وقلت النصرة، وتضاءل عدد الجند؛ فليس من سبيل لنجدتكم، وحتى لو تصورنا أن ذلك ممكنا، فإن تكاليف إنقاذكم من الخطر المحدق، ستكلفنـا - يوميا - ما مقـداره ألف مثقال من الذهب، ولن يعود علينا منها شيء من النفع أو المتعة بأى حال!؟

الجزء الثاني من الفصل نفسه

وأرسل شانجين خطابا إلى ملك هان (يحيطه، فيه، علما بما جرى) فأوفد جلالته إليه "جان سوى" ["سوى" .. تنطق كما فى "التسويق"] وكان رجلا معتل الصحة، لايقطع فى اليوم، سوى بعض الطريق، فلما وصل إلى دولة تشين، تكلم معه كانماو، قائلا: "ألم تشهد بنفسك خطورة الأحوال فى دولة هان، حتى تأتى متثاقلا ومعتل الصحة؟!" فأجابه:" أحوال دولة هان لم تبلغ بعد تلك الدرجة من الخطورة، وإنما صارت على وشك بلوغها الآن!" فقال كانماو: "(اعلم) إن تشين، بلد كبير ذو ثقل ومركز ورجال حكم نجباء، ولن يغيب عن فطنتهم ما إذا كانت دولة هان فى مأزق أم لا، فكيف تزعم بأن الأمر لم يبلغ حد الأزمة؟!" فأجابة جان سوى، بقوله:" لو كانت هان قد بلغت حدود الأزمة وحافة الخطر - كما تقول - لكانت ارتمت، راكعة، تحت أقدام دولة تشو، وماكنت جئتكم هاهنا، أكنت أجسر على المجئ إليكم حقا؟" فقال كانماو:" كفى، لاتعد إلى ترديد هذا القول ثانية!" ثم إنه دخل إلى الملك، ونصح له قائلا:" ما كان قون جون ليستطيع - وهو يمسك بزمام السلطة فى هان - أن يواجه دولة تشو، إلا بالاعتماد على مايمكن أن يتوافر له من قوات تشين، وإذ تقع" ونشى" تحت الحصار، الآن، دون أن تتحرك قواتنا (إلى ماوراء) جبل شياو، فهذا يعنى التخلى التام عن دولة هان، وهو مايمكن أن يؤجج الشعور بالمرارة فى نفس قون جون، فيهمل شأننا، ولا يكترث بالمجئ إلينا، وعندئذ يسارع "قونشو" بالذهاب، "جنوبا"، للتحالف مع دولة تشو وإذا ما تحالفت

الدولتان تشو، وهان، فلن تلبث أن تلحق بهما دولة وى، وهكذا تضع دولة تشو يدها فى يد ثلاث دول فيجتمعون للتآمر ضدنا، وإذا ماسارت الأمور فى هذا الاتجاه، تشكلت، بالتدريج، ملامح أزمة حقيقية تنتظرنا فى منعطفات الطريق، ولا أدرى أيهما أجدى لنا.. أننتظر بدء هجوم لانعرف ميعاده ولاندرك ميقاته، أم نبادر بالهجوم؟" ووافقه الملك على وجهة نظره، وسير الجيوش من تخوم جبل شياو إلى دولة هان لنجدتها.

لما قامت دولة تشو بحصار منطقة يونشى

قامت دولة تشو بحصار منطقة يونشي، فأرسلت دولة هان مبعوثها "لنشيان" إلى دولة تشين تستنجدها بمدد الجند، فأوفدت إليها "كونصون مى" [كبير وزراء تشين]، وقال قون جون: "أتظن أن تشين ستمد لنا يد العون والنجدة حقا؟ أم تتخلى عنا وتغضى عن مساعدتنا؟" فأجابه كونصون مى قائلا:" قد تحدث ملك تشين بغير لبس أو غموض، قائلا.." اذهبوا لمهاجمة تشو، على أن تسلكوا طريق "نايجين" و "لانتيان"، وسوف ندفع قواتنا وتتمركز فى منطقة" سانشوان" ونبقى هناك فى انتظاركم، وهو ماسيحول دون التقاء الجيشين (فى نقطة مركزية) " فسأله قون جون:" وما العمل إذن؟" فأجابه: "من المؤكد أن ملك تشين يحاول الاستفادة من خطة تشانغى – التى وضعها منذ زمان – (ذلك أنه عندما..) قام ملك تشو بمهاجمة دولة وى، تحدث تشانغى إلى ملك تشين، قائلا لجلالته:" ستقوم بمهاجمة وى بالاشتراك مع دولة تشو، مما سيرغم وى على الإذعان والرضوخ لدولة تشو، ولماكانت دولة هان حليفة لدولة وى فسوف تتلفت تشين حولها فلا تجد أحدا معها، وهو مايعنى العزلة التامة، ولذلك فقد رؤى أن من الأفضل التظاهر بدفع القوات لدعم الموقف المعنوى لدى وى، وتعزيز صمودها وصلابتها" وعندئذ، فمن المؤكد أن دولة تشو ستقوم بحصارمنطقة"بيشى"، وإذ تلمس مدى صمود وصلابة وى، فسيثور غضبها، ويشتعل فى قلب ملكها أوار الغيظ والتحفز، وبالتالى تقوم الحرب بين وى وتشو (وتنتهز دولة تشين تلك الفرصة) فتنقض على أرض غرب النهر وتنتزعها لنفسها وتعود من ساحة القتال غانمة راضية.

والآن، فإن دولة تشين ستزعم [من باب التظاهر والادعاء] بأنها تسعى لإنقاذ دولة هان، بينما تتودد، سرا، إلى دولة تشو، وتحاول استرضاءها والتقرب إليها، وإذا ركنت إلى الاعتماد على قوة وصلابة تشين، فسوف تستهين بالحرب مع تشو، وقد أدركت تشو، على نحو خفى، بأن تشين لن تساعد هان، فسوف يسهل عليها أن تقف منك موقف الند للند، أما إذا كان لك النصر على تشو، فسوف تشاركك دولة تشين فى انتهاز فرصة ماحل بدولة تشو من النكبة الداهمة وتقطتع لنفسها الأراضى، فتستولى على منطقة سانشوان وتكتفى بعد هذه الغنيمة بالإياب، لكنكم إذا لم تتغلبوا على تشو، فسوف تقوم تشين بسد طرق الوصول إليها وإرسال حامية للدفاع عنها، وساعتئذ فلن يمكنك أن تجد غوثا ولانجدة، وهو أمر لا أرضى عنه ولا أقبله بل أجده مرذولا ممقوتا.

وقد طالما تنقل" صماكان" [من دولة تشين] ذهابا وإيابا (بين تشين ومدينة "إينغ" عاصمة دولة تشو)، وكذلك تعددت اللقاءات بين كانماو، و شاوشيان عند مطقة الحدود، وصدر عن الجميع مايفيد بأن دولة تشو لن تعود إلى مهاجمة دولة هان أبدا، وفى الحقيقة، فقد كان في خلفية تلك الأحداث اتفاق وتحالف آخر". ثم تحدث قون جون – وقد تملكه الذعر – قائلا: "فما العمل إذن، مادام الأمر كذلك؟" فأجابه "قونصون مى" قائلا:" ينبغى عليك، أولا، استقصاء الحدود الفعلية والجوانب الواقعية الحقيقية لحجم مقدرة وقوة دولة هان، ثم تقوم – بعد ذلك – بتقدير ومراجعة مايمكن أن تقدمه دولة تشين من مساعدة ودعم، على أن تضع خططك وحساباتك الذاتية بعين الاعتبار، ثم تجتهد فى تدبر قدر المعونة المحتملة من جانب تشانغى، والأفضل لك (فى كل الأحوال) أن تعمل على إقامة الوحدة بين هان وتشى وتشو، ويومئذ، فإن دولة تشين سوف توكل إليك مسئولية إدارة شئون البلاد، تجنبا لما يمكن أن تتعرض له من هجوم، وتلافيا للخطر.

وهكذا، فسيكون تشانغى، هو الوحيد الذى ستزداد الهوة بينك وبينه، فتتباعد المسافات بينكما كثيرا، دون أن تفقد مودة وصداقة دولة تشين".

لمـا قام قون جون بمساعدة الدولتين

قام قون جون (بالتوسط بين الدولتين وى، وهـان) للمساعدة فى تبادل الأراضـى بينهمـا، ثم إن قونشو انتقده بشدة على هذا المسلك، ومع ذلك فلم ينصت إليه، فلمـا أوشك قونشو أن يغـادر مغضبا، (استوقفه) "شيتى" [كبير وزراء أسرة جو الملكية] وقال له: "إذا مضيت فى طريقك،وغادرت إلى ما أنت ماض إليه، فسوف تتم عملية استبدال الأراضى بنجاح وساعتئذ، فلن تجد مبررا لعودتك (إذا أردت أن تعود) فتصير هزأة الممالك، وتلقى وبال أمرك، وأرى من الأفضل أن تدع الأمور تسير فى مجراها الطبيعى، (وذلك أنه..) عندما تعيد دولة هان إلى وى أراضيها فإن الخاسر فى هذه المبادلة هو دولة جاو؛ وإذ تقوم دولة وى بإعادة الأراضى المستحقة إلى دولة هان، فلن يقع الضرر فى ذلك إلا على دولة تشو.

وليس عليك إلا أن تقص تفاصيل ذلك على دولتى تشو وجاو، وستجدهما فى أشد الامتعاض والاستياء من ذلك المسلك المذكور آنفا، وأتصور أن دولة جاو، ستدفع بقواتها - فور سماعها تلك التفاصيل - نحو منطقة "يانشانغ" أما دولة تشو، فسوف تنزل بقواتها عند مشارف "فان تشن"، وهنالك تفشل عملية تبادل الأراضى (التى يشرف عليها قون جون) فشلا ذريعا".

لمـا قام تشى شوان بتوضيح كيفية

وقف تشى شوان [من أهل دولة هان] بين يدى ملك هان، وأوضح له كيفية استمالة دولة تشين للتحالف، قائلا لجلالته: "اجعل قونشو على رأس حملة عسكرية قوامها مائة عربة بزعم ضرورة التوجه إلى دولة تشو، لمتابعة اجراءات تبادل أراضى سانشوان معها، ثم اطلب من قون جون [من جانب آخر] بأن يقول لملك تشين: "قد سرت الأقاويل فى "سانشوان" بأن جلالتكم تريدون الاستيلاء عليها، حتى وقعت البلبلة والحيرة، وارتبكت الأحوال.. بل إن ملك هان قد بلغت به الأحوال مبلغا لايدرى معه كيف يعاين

حقيقة الأمر، وعلى أى نحو يتصرف، فما رأيك فى أن ترسل "شيانزى" [أحد نبلاء دولة تشين] ليقيم فى دولة هان، باعتباره رهينة [لضمان استقرار الأحوال]، فلعل ملك هان يتأكد من أن جلالتك لاتسعى إلى ضم منطقة سانشوان بأى حال"... هكذا تتمكن من إقناع ملك تشين بأن يرسل أمير الدولة رهينة مقيمة، وفى الوقت نفسه تجعل أمير تشين يشعر بالامتنان الخالص لنا".

بعد أن وقعت معركة شيانلين

فى أعقاب معركة "يانلين" تكلم "بيشان" [من أهلى وى] إلى قونشو [رجل دولة هان]، قائلا: " أرجو ألا تدفعوا بقواتكم للاشتراك فى الحرب وسوف تقدر دولتا وى وتشو لكم هذا الصنيع، وتشعران بمزيد الامتنان، ثم إن دولة تشو تفكر فى أن تقوم بتنصيب "قون تسيقاو" أميرا على دولة وى، ولذلك فسوف تضطر إلى استخدام القوة والتقدم حثيثا باتجاه وى (للتلويح بامكانية التدخل المباشر..) فلماذا لاترسل مبعوثا إلى شاويان [قائد قوات تشو] لينصح له، قائلا.."لايبدو أن الفوز سيكون نصيبك فى هذه المعركة، فائذن لى أن أقوم مكانك فى قيادة الجيش لمهاجمة دولة وى".. ثم إنك لن تعجز عن أن تجد مبررا للامتناع عن القتال، وهكذا، فسوف يذكر لك هذا الصنيع بكل الامتنان، كل من أمير دولة وى، وشاويان، ملك وى".

لما قام قونشو بإيفاد مبعوث إلى

قام قونشو بإيفاد "فنجون" [من مواطنى دولة هان] إلى دولة تشين، ولما كان يخشى عليه أن يقع فى الاعتقال فقد أرسل يوصى "يانشيان" بضرورة النصح لملك تشين، بأن يذهب ويقول لجلالته: "إن اعتقال "فنجون"، بهدف استرضاء" هانشن" [رئيس وزراء هان] لايعد تصرفا حكيما، والأفضل من ذلك أن تعمل على التقرب من "فنجون" نفسه، وتدعمه بما فى خزائن تشين من المال، فينشر فى الخافقين ذكرك

ويذيع على الناس أنباء فضلك وكرمك. وعندما تنأى بنفسك عن سيطرة قونشو (ومحاولاته الدائبة على فرض سلطته وهيمنته) فسيمكنك أن تقدم المساعدة للأمير (المدعو: "جيسي" بحيث ترجح كفته في نزاعه على السلطة مع الأمير "جيو").

ومن ثم تلهج الممالك بذكر مآثرك وتحمد لك فضلك العميم وكرم أخلاقك، وهو ما سيأتي على غير ما تهوى دولة هان، فتفسد خطتها وتخسر ماأملت فيه".

ذهب إلى قونشو من قال له

ذهب إلى قونشو من قال له: "لئن كنت تفكر في أن تستعيد "أوسوي" من دولة تشين، فلا يرهبنّك ماتحاوله دولة تشو من إثارة القلاقل والاضطرابات في منطقة "خواي"، وأرى من الأفضل لك أن توفد إلى ملك تشو من يهمس في أذنه بالتحذير [ومن ناحية أخرى] ترسل إلى ملك تشين تطالبه بإعادة أوسوي. وإذ ترسل إلى ملك تشو رسولا، فاطلب إليه أن يبلغ جلالته مانصه: "قد أرسل قونشو رسولا ذا مكانة وأهمية إلى دولة تشين يطلب منها باسم دولة هان إعادة أرض أوسوي"، فإذا استجاب ملك تشين إلى طلبه، صارت لدولة هان الكلمة النافذة والأمر المسموع لدى أقوى الممالك وأشدها بأسا وأوفرها منعة وقوة، وعندما تستعيد دولة هان أرضها (المسلوبة) أوسوي، فسيمكنها أن تحد من نفوذ تشين، وإذ يتلاشى خطر هذه الدولة، سوف تتجه هان نحو دولة تشو بكل معاني الامتنان والعرفان، وتصير كأنها مجرد إقليم أو ولاية تابعة لدولة تشو.

أما إذا لم تستجب تشين إلى الطلب، فسوف تتفاقم العداوة بين تشين وهان، ويتنافسان على التقرب من دولة تشو".

لما تحدث المتحدث إلى قونشو

تحدث أحدهم إلى قونشو، فقال له: "إذا ركبت قاربا، فانخرق ونفذ إليه الماء، وتعذر عليك إصلاحه، انقلب وغاص بك. فإذا اكتفيت بأن أصلحت الخرق، وأغضيت عن

خطر الأمواج العاتية [حرفيا: "أهملت شأن الأمواج العاتية التي تحركها روح الانتقام" وقد ذكرت أسطورة قديمة أن أحد أمراء الدويلات قد انتحر غرقا في نهر بسبب وشايات واتهام بجناية ارتكبها، وقيل إن روحه تلبست الأمواج وصارت تضرب بقوة كل قارب وسفين] اضطرب بك البحر وسقطت في القاع، فها أنت تظن بنفسك القوة الفائقة بالقدر الذي يتجاوز مقدرة شوكون، حتى أهملت شئون دولة تشين، فكأنك اكتفيت بترميم الثقوب النافذة في هيكل القارب، ونسيت أنك في غمرة الموج المتلاطم (الذي قد يجتاحك في أي وقت) فليتك تتأمل الأمر جيدا، وتتبصر بالعواقب".

لما أوفدت دولة تشي مبعوثها إلي هان

قامت دولة تشي بإيفاد جوسوى [أمير أسرة جو] إلى هان، لحثها على تنصيب "هانراو" على شئون الحكم، ونبذ قونشو وإقصاءه خارج السلطة. لكن جوسوى أحس بالقلق، وقال: "(من المعلوم) أن قونشو تربطه علاقات طيبة مع أمير أسرة جو، فكيف يستقيم أن أذهب الآن في بعثة رسمية إلى هان لتزكية "هانراو" وإقصاء قونشو، (اما سمعتم بالمثل السائر، الذي مفاده..) "عجبا لمن يكظمون الغيظ في الخفاء، ثم ينفثون عنه جهارا وعلى ملأ"، ولئن كان قونشو يضمر الحقد والضغينة لدولة تشي، فهذا ما لا تملك دونه أي رد فعل، لكنها ستقطع الكثير من الروابط الودية – بسبب ذلك – مع أمير أسرة جو الملكية، فتترسخ الكراهية في النفوس". وتكلم شيشي [أحد أعضاء الوفد المرافق للبعثة إلى هان] قائلا: "فلتذهب في مهمتك الرسمية، وسأفكر في طريقة تجعل قونشو مبجلا لقدرك عارفا بمكانتك"، فما أن وصل جوسوى إلى هان، حتى اضطرم غيظ قونشو، فذهب إليه شيشي، وقال له: "لم يكن جوسوى راغبا – في حقيقة الأمر – في المجئ على رأس هذه البعثة، لكني أنا الذي اضطررته إلى ذلك، اما تردده في الحضور، فمبعثه حرصه على مصلحتك واعتبار مكانتك، وماكان لي أن أحثه على المجئ إلا لأجلك، والنظر لما فيه تمام النفع لك" ورد عليه قونشو، قال: "فاشرح لي القصد من قولك هذا إذن"، فأجابه: بلغني إن أحد رجال دولة تشي لديه كلب نباح، ولطالما

زجره ولم ينزجر، حتى ضجت الناس منه بل إنه هجم على المارة وأنشب فيهم مخالبه وأسنانه، وجاء أحد الضيوف وطلب أن يزجره بنفسه، فوقف قريبا منه وحدق فيه طويلا وصاح فيه بلطف، فلم ينبح عليه، بل انصاع له، فزجره ثانية، فنهاه عن عضّ المارة ومطاردتهم.

وقد عرفت أن جوسوى كان قد قام على خدمتك زمنا طويلا، فيما مضى، وهاهو قد جاء موفدا رغم أنفه، فى هذه البعثة. ولذلك فسوف يكتفى بأن يعرض أفكاره والهدف من مجيئه - بكل بساطه وهدوء (.. وبغير اكتراث، تقريبا) - ولابد أن ملك هان، سيفهم أن دولة تشى [حرفيا: ملك تشى] لا تعير هذا الشأن اهتماما بالغا، ومن ثم، فلن تكترث بالرد عليها.

واعلم أنه لو لم يأت جوسوى فى هذه السفارة، لجاءك شخص آخر، ولربما كان هذا الآخر على غير ماترغب، وعلى غير صلة طيبة بك، ولعله أراد أن يسترضى "هانراو" ويمد يد الفضل مما كان يمكن أن يحثه على النهوض إلى بلادكم فى عزم والتحدث بين يدى الملك بلغة حاسمة وكلام جاد وإرادة وافرة، بحيث يفرض سرعة الرد والاهتمام من جانب جلالته". وعندئذ قنع قونشو بما أبداه من الحجة، وأبدى لـ"جوسوى" الاحترام والإجلال ثم إن ملك هان، لم يكترث - فعلا - بأن يزكى هانراو، أو أن يرفعه درجة عالية فى مراتب الحكم والسلطة.

١ - لما قدم قونشو يد العون

قدم قونشو [رجل دولة هان] يد العون لكل من الأميرين "جيو"، وجيسى" للاستيلاء على السلطة، وذهب جنشيان موفدا - باسم ملك تشو - إلى دولة هان، وكان أن تصرف فيما هو موكول إليه) فقضى بالتنازل عن "شين تشينغ" و"يانغ رن" لـ"جيسى"، تزكية لموقفه فى الصراع على السلطة مع قونشو، (وهو ما كان يختلف عما يريده الملك..) فغضب ملك تشو، وأراد إنزال العقاب بـ جنشيان، فتكلم هذا، قائلا: "ماكنت لأتصرف

فى مضمون الرسالة المطلوب توصيلها، ولا كان لى أن أهدى الأرض إلى جيسى إلا لما رأيت فيه مصلحة البلاد، فائذن لى جلالتك بأن أفصح عن وجهة نظرى ذلك، فالأمر كله يتضح فى أن حصول جيسى على منطقة "شين تشينغ" بكل سهولة ودون أية تكاليف، بالإضافة إلى نجاح" يانغ رن" فى صراعه على السلطة مع قونشو، كل ذلك كفيل بأن يدفع..) دولة وى للانقضاض على دولة هان، التى ستجد نفسها فى مأزق وكارثة، فتسرع بتسليم مصائرها ليد جلالتك، وعندئذ تترقب من يطالب بمنطقة شين يانغ أو يطلب تسليم (الأمير) "يانغ رن"! فإذا لم يكن النصر حليف هذا الأميرليخرج سالما معافى فلابد أنه سيلجأ إليك ويحتمى بك، فانظر يومئذ فى كيفية التعامل مع مسألة تسليم الأرض (شين تشينغ)". وهنالك وافقه ملك تشو على رأيه وبدا منه الصفح الجميل.

٢ - لما قدم قونشو يد العون

[يتضح أن الفقرة الأولى فى هذا الجزء تتفق مع السابق عليه مباشرة. (المترجم)].

قدم قونشو يد العون لكل من الأميرين "جيو"، و"جيسى" فى نزاعهما على السلطة وتكلم جنشيان [مسئول خاص عن شئون الولاة والأمراء؛ منصب رسمى فى فترة الدول المتحاربة فقط] مع جيسى، قائلا له: "من الأفضل أن تنتهز فرصة عدم هجوم دولة تشى عليكم، فتنحى قونشو (عن السلطة)" فأجابة: "مستحيل؛ لأن ذلك من شأنه قيام حرب أهلية، وهو ماسيؤدى إلى تقطيع أوصال البلاد" فرد عليه جنشيان، قائلا: "هذا أمر، إن لم تفلح فى إنجازه على الوجه الأكمل صارت حياتك فى خطر، فما لهذا وتقطيع أوصال البلاد (وماشأنك أنت بأحوال البلد بينما الخطر محدق بك؟)" إلا أن جيسى لم ينصت إليه ولم يأخذ برأيه، وكان أن قامت قوات تشى باحتلال دولة هان، فاضطر جيسى إلى الفرار خارج البلاد.

لما تكلم كبير وزراء جو الشرقية مع قونشو

تكلم "تشيمين" [رئيس وزراء جو الشرقية] مع قونشو، فقال له: "لئن كانت دولة تشي قد طردت "جيسي"، إلا أن دولة تشو، فتحت له ذراعيها وأكرمت وفادته. ثم إنها تفكر الآن في تحسين علاقاتها مع تشي، فلا داعي أن تطلب من ملك تشي أن يقول لملك تشو، وهو يحادثه، مامفاده.." أرجو من جلالتك أن تطرد جيسي فيصير شريدا بلا مأوى".. باعتبار أن من شأن العلاقات بين البلدين ان تتوطد، وتقوم الوحدة بينهما، في حالة ما إذا استجاب ملك تشو لذلك الطلب، ولن يكون أمام جيسي إلا أن يهيم على وجهه في البلاد؛ اما إذا لم يستجب ملك تشو لما يرجوه منه حاكم تشي، فلن تنعدم تماما يد العون التي يمكن أن تقدمها دولة تشو لدولة هان، ولو سرا ومن وراء ستار".

١ – لما سعى قونشو في اغتيال جيسي

كان قونشو قد رتب مع أحد الأشخاص لاغتيال جيسي، فذهب إلى قونشو من نصح له، قائلا: "ماكان يمكن لواحد مثل سمو الأمير "جيو" أن ينظر إليك بعين الإكبار والاهتمام إلا لأنه يخشى جيسي . فإذا قضى عليه الآن، فلن يبقى أمام الأمير جيو ما يؤرق أيامه القادمة، فيهمل شأنك ويحط من قدرك، وإذ يتطلع رجال دولة هان حولهم، فيرون جلالة الملك قد تقدم كثيرا في السن، فسوف ينظرون إلى سمو الأمير "جيو" بوصفه الأقدر على تسلم زمام السلطة في البلاد، ويعترفون له بالطاعة ويتوجهون إليه بالتعظيم والإجلال، حيث سيحاول بكل جهده أن يستميلهم إليه ليساندوه ويعضدوا شأنه في الداخل، وسيتزايد اهتمامه بك وتقديره لك، خصوصا أن جيسي، سيظل بالنسبة له، مصدر قلق خارجي، يعمل له ألف حساب. وهكذا، فمن الأفضل ألا تقتل جيسي، بل أن تبقيه حيا؛ لتهدد به سمو الأمير الذي سيظل يعظم شأنك حتى آخر يوم في حياته".

٢ - لما رتب قونشو لاغتيال جيسى

لما رتب قونشو لاغتيال جيسي، وأمر به من يقتله، جاء إليه "صونهى" - مدافعا عن جيسي - قائلا له: "ماكان لـ"جيسي" أن يثير القلاقل والاضطرابات إلا بالاعتماد على دعم "قون جون بن" (من داخل البلاد) ومساندة كل من: تشين وتشو. فإذا هممت بقتله الآن، رفعت عن كاهل سمو الأمير متاعبه المستقبلية، فيزدرى شأنك وتسقط هيبتك من عينه، وإذ يلاحظ المسئولون الكبار أن جلالة الملك قد طعن فى السن، وقد تقررت الخلافة لسمو الأمير فسوف يعملون، وإن سرا، على الاعتراف بطاعة سموه، ثم إن فقد دولتى تشين وتشو لواحد مثل جيسي تساوى فقدهم لدولة هان، وبالتالى فسوف تعملان (خفية) على مساندة "بوين" الذى سيتحول إلى (نسخة مكررة من ..) جيسى آخر! والرأى ألا تقدم على قتل جيسى، ثم إن "بوين" سيحتمى بك حذر الموت ويلجأ إليك لائذا مما يتهدده من خطر. وإذ يعجز كبار رجال دولة هان عن أن يحولوا بين جيسى وبين العودة إلى البلاد، فلابد أنهم يعجزون أيضا عن أن يساندوا "بوين" فى إثارة القلاقل.

إن مساندة تشين وتشو لـ"جيسى" هى التى ستردع بوين وتكبح جماحه، هذا بالإضافة إلى أنه وقد فقد الدعم الخارجى المأمول من تشين وتشو، وخسر المساندة (الداخلية) من جانب قون جون والآخرين، فسيعجز عن إحداث الإضطرابات، وهو ماسيعود عليك بالنفع العميم".

لما تكلم أحدهم مع أخى الملكة

ذهب إلى "شين تشيجون" [أخو الملكة الأم بدولة تشين] قائلا: "إن كلا من قونشو، وبوين قد بلغ بهما الخوف مبلغه، حذر أن تقوم دولتا تشين وتشو برعاية جيسى، فما الذى يمنعك من التوجه إلى دولة تشو - باسم هان - للعمل على إعادته إلى البلاد بعد أن قضى شطرا من الزمن هناك بوصفه رهينة سلام؟ فإذا استجاب ملك تشو لهذا الطلب وأعاد الرهينة إلى بلدها(دولة هان) فسيعلم قونشو وبوين أن دولتى تشين وتشو لا تكترثان بأمر بوين، وبالتالى فمن المؤكد أن تقوم الوحدة بين هان وكل من تشين وتشو،

اللتين ستدعمان هان بهدف الضغط على دولة وى، ثم إن هذه الأخيرة لن تجسر على الاتجاه شرقا للاتحاد مع دولة تشي، فينتهى الأمر بهذه الأخيرة، إلى أن تجد نفسها وسط عزلة تامة. فاطلب، مرة ثانية، إلى دولة تشين أن توجه إلى دولة تشو مطالبتها بإعادة رهينة السلام إلى بلده هان، فإذا لم تستجب تكون قد عمقت من شعور الكراهية المتبادل بينها وبين دولة تشو، وإذ تتساند دولة هان على دولتى وى وتشى وتنظربعين الكراهية نحو دولة تشو، فلابد أن حاكم هذه الأخيرة سينظرلك بمزيد الاهتمام، ويوليك منصبا رفيعا. ومادمت تجعل عمادك على ماتمدك به تشين وتشو من قوة وسند، بالإضافة إلى ماتسديه لدولة هان من الأفضال الكثيرة والخدمات الجليلة، فسوف يبذل لك كل من بوين وقونشو الإجلال والتعظيم باسم دولة هان".

لما طلب خويان إلى قونجون أن يقوم للملك

طلب خويان [من مواطنى دولة هان] من قونجون - عند مغادرة جيسى دولة هان ذاهبا إلى تشو - أن يبلغ ملك وى مامفاده: اعلم أنه مادام جيسى مقيما لدى تشو، فإن دولة هان لن تستطيع أن تخالف لها أمرا ولا أن تتمرد عليها. ولماذا لاتحاول أن تساند سمو الأمير "جيو" فتطالب له بمكانة الأمير (ولى العهد) ثم ترسل إلى ملك تشو من يقول له: "إن دولة هان قد عينت الأمير "جيو" وليا للعهد، متجاوزة بذلك تعيين جيسى؛ بما يعنى أن جلالة الملك يحتفظ لديه برهينة لاقيمة لها، والأفضل أن يسارع جلالته بإعادة جيسى إلى بلاده، فإذا ما رجع إلى هان، فسوف يبادر إلى الثأر من دولة وى - معتمدا على قوة ونفوذ هان - ويشكر لجلالتك صنيعك معه وأفضالك الجمة عليه".

لما هرب جيسى إلى دولة تشو

هرب جيسى إلى دولة تشو، ولما كانت هذه تستعد للوحدة مع دولة تشين، فقد أنعمت عليه بمنصب رسمى بارز، فذهب إلى ميرونغ من قال له: "ليس سوى دولة تشو، هى وحدها التى تملك أن تفسد خطة قونشو، بينما تعمل على مساندة جيسى، (لكنه)

قد فر هاربا إليها، حيث ستتكرم عليه بمنصب رفيع المستوى إبان الوحدة مع دولة تشين، ولعله يوم يعود إلى هان تكون هذه الأخيرة قد صارت مجرد إقليم تابع لدولة تشو، والرأى (الذى أراه مناسبا) هو أن تطلب إلى ملك تشين أن يتقدم بالتهنئة إلى "بوين" لتنصيبه أميرا "وليا للعهد"، وإذا ماقدر لدولة هان أن تقطع علاقاتها الرسمية مع دولة تشو، فلابد أنها ستسارع إلى الاعتراف بطاعة تشين، حيث ستحاول هذه مساعدتها للتقرب إلى وى، ولابد أن البلدين (تشى وتشو) سوف يقومان على خدمة أغراض تشين فيما بعد، وذلك - طبعا - بعدما تلاقيان التدمير الشامل على يد تشين، باعتبار أن هذا هو النهج المعلوم فى مشروع إنشاء إمبراطورية كبرى".

لما تكلم لنشيان مع أمير دولة هان

تحدث لنشيان إلى سمو الأمير "جيو" أمير دولة هان، فقال له: "بعدما هرب جيسى إلى تشو، فقد راح جلالة الحاكم، هناك، يفكر فى إعادة تعيينه فى وظيفة رسمية مرموقة حيث سيتولى إصدار الأوامر إلى أكثر من مائة ألف مقاتل فى جيش تشو بالتمركز على مشارف منطقة "فان تشنغ" وكل ما أرجوه هو أن تدفع دولة تشو إلى الإسراع فى إنشاء مدينة تتسع لعشرة آلاف نسمة إلى جوار إقليم "يونشى"، حيث ستخرج إليهم دولة هان بقواتها لتحول بينهم وبين مايزمعون عمله، ولابد أنك ستكون قد توليت أمر قيادة القوات، حينئذ، فما عليك إلا أن تساهم بقوات البلدين هان وتشو فى الوقوف إلى جانب إعادة جيسى إلى دولة هان، حيث سيشكر (هو نفسه) لك هذا الصنيع ويحمد لك تصرفك على هذا النحو، ولابد أنه سيجعل لك زمام السلطة النافذة فى كل من هان وتشو".

لما أوفدت دولة تشو مبعوثها إلى دولة

قامت دولة تشو بإيفاد مبعوثها "جينلى" [رئيس وزراء تشو] إلى دولة هان التى كانت قد أوشكت على إرسال" بوين" إلى دولة تشين، وهو ماكان يخشاه" جينلى"،

فجاء إليه لنشيان، وقال له: اعلم أنه بمجرد أن يصل سمو الأمير (بوين) إلى دولة تشين، فلابد أنها ستقوم بتحديد إقامته، وتشرع فى إقامة الوحدة مع دولة تشو، ليعملا معا على إعادة جيسى إلى مكانته، وهكذا يخسر سموه موقعه (بوصفه "وليا للعهد")".

لما تم إقرار الأمير جيو وليا للعهد

تم إقرار الأمير جيو إلا أنه قبيل التصديق على ذلك، تصادف أن أخاه الأصغر كان وقتئذ، فى دولة جو، حيث أراد حاكمها أن يرسل معه موكبا شرفيا، يتكون من مائة عربة عسكرية لمرافقته أثناء عودته إلى بلاده، لكنه كان يخشى أن يصل الموكب إلى دولة هان قبل أن يتم تنصيب الأمير جيو، ويبدو أنه تحدث فى هذا الشأن مع كبير وزرائه" تشيمو هوى"، والذى قال له:)" أرى من الأفضل أن ترسل معه مائة مثقال من الذهب وتراقب الأحوال جيدا، حتى إذا تم تنصيب جيو بالفعل، فما عليك إلا أن تبلغه بأن تلك المثاقيل المائة مجرد منحة للقوات على سبيل سد النفقات؛ أما إن لم يكن قد تم تنصيبه، فأبلغه بأنها منحة لمقاومة التمرد".

لما ذهب مبعوث دولة هان إلى دولة

ذهب" شيجى" موفدا من قبل دولة هان إلى دولة تشو، فلما مثل بين يدى ملك تشو، بادره الملك، بسؤاله قائلا: "هل تتبع طريقة ما أو مذهبا من مذاهب السحرة أو المنجمين أو الأطباء؟" فأجابه شيجى، وقال: "نعم فأنا واحد من مريدى الشيخ" ليتس إيقو" [أحد مواطنى، دولة جنغ، اشتهر فى زمن الدول المتحاربة بأنه أحد حكماء المذهب الطاوى] "فسأله الملك.." وما الذى تؤمن به (حسب ذلك المذهب)؟" فأجابه: "أؤمن بالاسم الصادق" ["المدرسة الاسمية"، فيما يبدو"] فسأله الملك: "وهل ينفع الاسم الصادق فى ضبط شئون الممالك؟" فلما رد عليه المبعوث بالإيجاب، سأله الملك ثانية: "من المعلوم أن دولة تشو تزخر باللصوص، فهل يعين هذا الاسم الصادق على مقاومتهم وتطهير البلاد منهم؟" فرد عليه الرجل بالتأكيد على صحة تلك النتيجة، فسأله الملك: "وكيف يمكن استخدام

الاسم الصادق فى مقاومة اللصوصية؟" فما هى إلا لحظة حتى سقط أحد طيور العقعق فوق سقف القصر، فقال شيجى: "هل لى أن أسأل جلالتك، ماذا تطلقون على هذا الطائر فى بلادكم؟" فأجابه الملك: "نسميه العقعق". فسأله الرجل: "فهل يمكن أن نسميه الغراب؟" فلما رد الملك بالنفى، قال له شيجى: "إن لديك من كبار القادة والمراتب التنفيذية والإدارية العدد الجم [حرفيا: لديك من المراتب الاجتماعية: رتبة جوقو (عماد البلاد) لينى - صما (قائد الخيالة) ديانلى..] وكل من يشغلون تلك المناصب من جملة الذين اقسموا على النزاهة والالتزام بالأنظمة والقوانين والقدرة على القيام بأعباء الوظائف، ثم هاهى اللصوصية تجتاح البلاد طولا وعرضا ولا أحد يستطيع أن يكبح جماحها، فهذا أمر عجاب يكاد يشبه قولك بأن الغراب يستحيل تسميته بالعقعق أو أنه من غير الممكن تسمية العقعق بالغراب!"

لما تولى هانكوى منصب رئيس الوزراء

تولى هانكوى منصب رئيس الوزراء فى دولة هان، كما تم تعيين "يان سوى" [تنطق كما فى "السويد"] فى منصب مرموق - حسب أوامر جلالة الملك - وكان كلا الرجلين متباغضين ومتحاسدين. وأما بالنسبة لـ"يان" سوى فقد كان معروفا بالعدل والاستقامة فيما يتعلق بالشئون الرسمية؛ فما كان يتردد فى انتقاد هانكوى، علنا، والتنديد بمسلكه دون مواربة، ومؤاخذا إياه على تقصيره وأخطائه. فما كان من هذا إلا أن حنق عليه وزجره، وسبه سبا قبيحا، وعندئذ أسرع يان سوى إلى سيفه فانتزعه من غمده، ووثب على غريمه يريد أن يقتله، لولا تدخل بعض الحاضرين فحالوا بين الرجلين، وصار يان سوى، من وقتئذ، يخشى أن يغتاله خصمه، فهرب من دولة هان، وضرب فى الآفاق متنقلا من مكان إلى آخر، على غير هدى، لكنه كان - فى كل مكان يحل به - يبحث عمن ينتقم له من "هانكوى" فلما بلغ دولة تشى وجد فيها من كان يقول.. "يوجد بأرض "جيدى" واحد من المغامرين الأشقياء، ويدعى "نيجن"، ولا يفارق جماعة من الأشقياء والسفاحين حيث يقيم معهم ببطون المغارات؛ لأن عليه دما وثأرا وهناك من

يترصد للفتك به، فتتبع يان سوى أخباره وقصد إليه وتعرف عليه وصارت بينهما وشائج الصداقة والمودة، حتى سأله الشقي، ذات مرة، قائلا: "قل لي - بصراحة - في أي أمر قصدتني، وماذا تريد أن أصنعه لك (بالضبط)؟" فأجابه:" إن الأيام والساعات التي أسعدني الحظ فيها بمرافقتك والقيام على خدمتك ليست بالكثيرة التي تسمح لي بأن أطلب إليك شيئا، خصوصا أنه لم يعد أمامي متسع من الوقت (كي أنتظر أي جدوى مما قد يعن لي من المصالح!!)" ثم إن فان سوى أعد مائدة الطعام وصب كئوس الشراب وناول قدح خمر لوالدة نيجن، وأعطاها كيسا مقداره عشرة مثاقيل من الذهب [حرفيا: أعطاها وزنة" إي" من الذهب وهو مايساوي أربعة وعشرين "ليانغ"، أي ألف غرام (كيلو غرام) من الذهب] إكراما لها وتحية، فتعجب نيجن من سعة كرمه وسخاء هداياه وعزم على ألا يقبل منه شيئا مهما زكت قيمته، بينما أصر يان سوى على قبول هديته، فرفضها نيجن، بأدب جم، قائلا له: "إن أمي امرأة متقدمة في السن وأسرتي بسيطة الحال، ولا أجد مايسد الرمق إلا أن أجوب الطرقات بحثا عن الكلاب لأقتلها؛ فهي حرفتي التي أقيم بها أودي، وقد أظل أعمل طوال الليل والنهار لأجد ماتتبلغ بها الوالدة العجوز، وفي الحق فأنا لا أستطيع أن أقبل عطاياك الكريمة!" وانتحى به جانبا يان سوى - مبتعدا عن جمهرة الجالسين، وقال له:" إن لي ثأرا أسعى وراءه، ولطالما طفت الممالك وجبت الأراضي والبلاد حتى قدمت إلى دولة تشي وسمعت عنك وعن شجاعتك وشهامتك، فأقبلت عليك بتلك المثاقيل من الذهب لا لشيء إلا للمساهمة في نفقات الطعام والشراب في محاولة للتقرب إليك واستمالتك واسترضاء خاطرك، فكيف يمكن (بعد كل ما لاقيت من كرمك) أن أطالبك بالمزيد؟" فقال نيجن: "ماكنت لأتنازل عن الكثير من تطلعاتي (في حياة كريمة) وأعرض نفسي للكثير من الأهانات، وأضطر إلى العيش طريدا في أعماق المغارات، إلا لكي أعول أمي، السيدة المسنة. واعرف جيدا أني لن أجعل حياتي رهينة لشيء أبدا مادامت أمي على قيد الحياة؛ (فقد جندت كل طاقتي لرعايتها)". وكلما ألح يان سوى في عرضه، أصر الطريد نيجن على رفض الهدية، وكان قد حان وقت انتهاء استضافة يان سوى في تلك الآونة.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وانقضى زمان بعد زمان، وماتت أم الشقى نيجن، وانتهت مراسم العزاء، وتوارت ملابس الحداد، وعندئذ تحدث نيجن، فقال: " ياويلتى، لست إلا فقيرا معدما يسكن أعماق كهف (للمطاريد) ولا أجيد حرفة سوى قتل الدواب، أما يان سوى، فهو واحد من النبلاء وشيوخ الدويلات، وقد تكلف مشقة الترحال حتى التقى بى، وجاءنى ينشد المودة والتعارف، لكنى لم أبذل له التقدير الوافى ولا قابلته بما يستحقه من الكرم والتفانى ثم إنه عرض علىّ هدية سخية، دون أبذل له المأثرة التى كان جديرا بها، ثم إذا به يتقدم بمثاقيل الذهب هدية لوالدتى . وعلى الرغم من أنى رفضت الهدية، فإنه ظل على حسن الصلة بى والتفهم لأحوالى.

وما أظن أن رجلا فاضلا عفيفا مثله قد تجشم مشقة السفر عبر المسافات الطوال ليتصل برجل بسيط، فقير مثلى، إلا لأمر انطوى عليه صدره، من مراراتٍ وإحن وشجون (تتقاذف منها العين شرر الغضب، وتغلى منها مراجل الغيظ فى الصدور [هكذا، حرفيا)] فكيف لى أن أقعد عن نصرته، وأحجم عن التحرك لتفريج كربه؟ لاسيما أنه قد رجانى كثير الرجاء، فيما مضى (أن أسدى له خدمات) فما منعنى عن تلبية طلبه إلا ما أصاب أمى من ضعف السن والشيخوخة، أما وقد انقضى أجلها، فسوف أثأر لذلك الرجل الفاضل".

ثم إنه قام واتجه غربا صوب "يونانغ" فلما التقى بـ"يان سوى"، قال له: "مامنعنى عن الاستجابة لطلبك فيما سلف، إلا القيام على خدمة والدتى المحتضرة، أما وقد قضت نحبها، فقدت جئت إليك مذعنا لطلبك.. فمن هو الرجل الذى تبغى أن تثأر منه؟" فحكى له يان سوى الحكاية من أولها إلى آخرها، قائلا: " إن غريمى هو رئيس وزراء دولة هان (المدعو) هانكوى. وهو فى الوقت نفسه، عم جلالة الملك، فهو ذو حسب ونسب وعزة فى أهلة وحاشيته، وتحيطه حراسة وافرة الجند، شديدة الحرص، وقد أوكلت به من ترصد لاغتياله، فلم تفلح المحاولة، ولحسن حظى، فلم تشأ أنت أن تخذلنى، فائذن لى بأن أجهز لك المؤن والعربات التى تحملك إليه، وأبعث معك المرافقين الأشداء والأبطال الصناديد".

وهنالك قال له نيجن: "إن المسافة بين دولتى هان، و"ويه" ليست بالبعيدة، وإذ نخرج لقتل رئيس وزراء (هو فى الوقت نفسه، عم جلالة الملك) فليس من المقبول ولا من الممكن استصحاب الكثير من المرافقين، فمع الكثرة تقع الهفوة ويزل اللسان، وإذا زل لسان، ذاع السر، عندما تروج مثل هذه الأسرار، مذاعة على كل لسان، فستخرج دولة هان كلها، صغيرا وكبيرا للثأر منك، أليس هذا من موارد التهلكة؟" ومن ثم فقد اعتذر الرجل عن قبول المرافقين والخيول ولعربات، وقام مودعا فانطلق فى طريقه، وقدم على دولة هان لايحمل إلا سيفه، حيث تصادف انغماس الناس في أجواء الاحتفالات الكبرى [التى أقيمت بمناسبة تبادل الأنشطة مع دول صديقة، وذلك فى منطقة..] "دونمن" وكان ملك هان ورئيس وزرائه هانكوى على رأس الحضور فى تلك الاحتفالات وسط عدد وافر من الحراس القابضين على سيوفهم المشرعة، وإذا بـ نيجن ينطلق كأنه حربة مصوبة، فاخترق الصفوف وصعد المنصة وأعمل سيفه في جسد رئيس الوزراء الذى انتفض مذعورا فاحتمى (بالماجد الكريم) "هاناى"، فتناوله نيجن بالسيف ولم يخطئه وكان قد أصاب" هاناى" أيضا، وضج الحاضرون واضطرب الناس، ووقع فيهم الهرج والمرج، وزأر نيجن بصوته صارخا بصوت كالرعد يشق عنان السماء، وزاد عدد قتلاه، تلك الليلة، عن العشرة أفراد، ثم إنه ضرب وجهه بسيفه فشاهت ملامحه، وفقأ عينيه ويقر بطنه بنصل حسامه، فخرجت أمعاؤه، ومات من ساعته.

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وكان أن عرضت جثة نيجن وهى شوهاء فى الأسواق، وأعلن – فى دولة هان – عن مكافأة قدرها ألف مثقال من الذهب، لمن يتعرف على صاحب الجثة أو يذكر اسمه، فلما عرفت أخته بالأمر، قالت: "كان أخى مثالا للأخلاق الفاضلة وكريم السجايا والطباع الحسنة، ولاينبغى أن أخفى شخصيتى، أو أكتم عن الناس اسم بطل شجاع كريم، مع أنه لم يكن يريد هذا وهو على قيد الحياة" فذهبت إلى دولة هان، ونظرت إلى جثة نيجن وهى معلقة فى السوق، وصاحت: "يا للروح النبيل، ياللبسالة والإقدام والشجاعة

التى فاقت كل ذكر وتفوقت على كل مواريث البطولة منذ أيام"منغ بن" و"شياب" و"تشن جين" [أبطال أسطوريين] ها قد مات أخى، دون أن يخلد اسمه، ومات أبواى دون أن يتركا لى سندا آخر، ولئن كان أخى قد تعمد تشويه جسده قبل موته، فلأنه كان حريصا على ألا يتطرق لى الأذى بعده أو يمسنى أحد بسوء، ولن يهدأ لى بال طالما كتمت نبأه عن الناس وأخفيت اسم بطل مجيد مثله" ثم إنها احتضنت جثة أخيها والدمع يتصبب من عينيها وهى تقول: "هو ذا أخى، الطريد المقيم بكهف جيدى" ثم إنها قتلت نفسها بجوار جثة أخيها.

وصارت الناس فى كل من دولة جين، وتشو، وتشى، وويه، وغيرها من البلاد، يقولون .." لم يكن نيجن وحده هو البطل فى هذه السيرة، بل كانت أخته، أيضا، فتاة ذات إرادة فولاذية وشجاعة نادرة!"

وما كان يمكن أن يخلد اسم نيجن وتتناقله الأجيال اللاحقة إلا لما أبدته أخته من جسارة فى مواجهة التهديد بتقطيع أوصالها فما ترددت أن تلقى فى سبيل تخليد ذكره أفظع مصير.

سـجـل هـان الـثـالـث

لمـا ذهب إلى قون جون من قال

ذهب إلى قون جون – بدولة هان – من قال له: "على الرغم مما يميز التوأمين من التشابه الشديد في الملامح، فليس سوى الأبوين، وحدهما، بقدران على التمييز بين أولادهما، وعلى الرغم مما يقع من الخلط بين الخير والشر – فليس سوى الذكي الفطن، دون غيره، هو الذي يستطيع أن يدرك الحدود الفاصلة بينهما. وها هي ذي بلادك في مواجهة المغنم والمغرم اللذين يتشابهان كالتوائم (فلا تجد سبيلا إلى التمييز بينهما.. إلا أن..) تضبط شئون البلاد بسياسة صائبة، فتعرف البلاد قدر مليكك، وتستقر بك الأحوال، فإذا أفلت من يدك زمام السياسة الرشيدة، رذلت مكانة أمير البلاد، وتطرق إليك نذير الخطر وقد كادت الوحدة بين وي وتشين أن تتم فصولها بنجاح تام، وهي وحدة تقوم (في غياب دورك ودور بلادك) فلابد أن هان ستعاني أسوأ نتائجها وتلقى مغبة ماتدبره لها تلكم الدولتان. فإذا ما اقتفت دولة هان آثار وي في التقرب إلى تشين، فلن تزيد عن أن تتحول إلى بلد تابع لدولة وي. فترذل مكانتها وتسقط هيبتها من كل عين، وتتردى مكانة مليكها وسط الأمم، أما إذا كانت تشين هي التي أقامت الوحدة مع هان، فلابد أنها كانت ستعمل على تعيين من تثق فيهم وتتقرب إليهم من المسئولين، فترتب لهم المواقع التي يتحكمون من خلالها في إدارة شئون دولة هان، ضمانا لمصالحها الكاملة، وهذا – بحد ذاته – هو عين الخطر.

وها أنت، اليوم، مشغول، مع (المدعو) "آنشن" بإنجاز الوحدة بين تشين و وي، وربما كان من المصادفات الغريبة أن تكون هذه الوحدة قد تحققت على يديك، وبفضل

مجهودك فتصبح دولة هان بوابة مرور بين وى وتشين فتحظى بقدر هائل من الأهمية، ويلقى حاكمها كل تقدير واحترام، وهنالك يجد أنشن [أحد نبلاء دولة هان] حظوة لدى ملك هان (من بعض الجوانب، إلا أنه فى البعض الآخر منها..) فسيكون موضع ثقة جلالته، على نحو مطلق، فيسند إليه [مهمة القيام على تحصيل بنود الأتفاق على الجهة اليمنى (هكذا).. وهى الوثائق التى تعطيه الحق فى تحصيل الديون المستحقة على أطراف خارجية، حيث كانت الاتفاقات، قديما تحرر على جانبى وثيقة واحدة، ثم تقسم بعد ذلك إلى جانب أيمن وأيسر، فتتم المطالبة بالتسديد بأحد الجانبين بمقابلته بالآخر..] التوجه إلى وى وتشين للمطالبة بالوفاء بالتزاماتها، حتى إذا تم تقسيم الأراضى – فى المستقبل – إلى إيالات وإمارات متفرقة كان الإشراف على تلك المهمة من نصيبك.

أما بالنسبة لمحاولة إقرار واستتباب أوضاع السلم والاستقرار بين وى وهان، فهذا أمر تملك أنت زمامه بيدك، مثلما تملك أن تضمن لنفسك البقاء رئيسا للوزراء مدى الحياة (وهو أقل ماتستطيعه) فتضمن لمليكك الإجلال والتعظيم، ولنفسك الهناءو السكينة. ثم إنه من المستحيل أن تدوم الثقة بين وى وتشين، ولابد أن دولة تشى ستشعر بالغضب لعدم اشتراكها فى الوحدة مع تشين، وبالتالى فستحاول الاقتراب من دولة هان، بينما تقطع علاقاتها مع وى. مع العلم بأن هذه الأخيرة لن تسمح لنفسها بأن تكون تحت السيطرة التامة لدولة تشين، بل ستحاول الاقتراب من هان لمدافعة تسلط تشين. وهكذا فستجد نفسك مطالبا بمعالجة علاقة هان بباقى الدول على نحو يراعى مختلف الاختيارات والتقديرات، وكأنك حائك يفصل أثوابا رقيقة تتطلب منه الدقة والبراعة، وعندما تقوم الوحدة بين وى وتشين، فسيتقدمان إليك بآيات الشكر والعرفان، أما إذا تعذر قيام الوحدة بينهما فسيسعيان كلاهما للاقتراب منك والاعتراف بمكانة (بلادك) . فذلك هو ما أعنيه بقولى لك بأن نجاحك فى إتمام هذا الأمر مبشر بالخير، كما أن إخفاقك فيه واعد بأطيب المنى، فامض بكل عزم وثقة".

لما ذهب إلى قون جون من قال له

ذهب إلى قون جون من قال له: "أمامك الآن طريقة تضمن تمام الإخلاص والتفانى لجلالة الملك، وتحقق النفع للبلاد، وتعود عليك بالفائدة، فاهتد بها واتخذها خطتك التى تسترشد بها فى عملك. وإذا افترضنا أن الدويلات والإمارات هرعت تجاه دولة تشين، واحدة تلو الأخرى، تركع عند أعتابها معترفة بسلطانها وطاعتها، فلن تلقى دولة هان إلا أحقر منزلة بين الممالك؛ أما إذا اتحدت تلك الإمارات فيما بينها متمردة على هيمنة تشين، فستكون هان هى أضعف الجميع، وإذا تصورنا إمكان قيام التحالف بين الدويلات ودولة تشين بصورة متهافتة، على غير أساس مكين ونظام متين، فستكون دولة هان هى الأكثر تعرضا لنذر الخطر، وهو مايمثل أفدح العواقب التى يمكن أن تتهدد نظاما فى إدارة سياسات البلاد وأسلوبًا فى تصريف شئون البشر. فإذا بادرت دولة هان، منذ اللحظة، إلى التحالف مع تشين فستتبعها الممالك، حيث ستتزعمهم جميعا فى الاعتراف بسيادة تشين، وهو ماستذكره لها بكل العرفان، حيث إن تشين ستخصّ دولة هان، وحدها، بأعمق مشاعر الامتنان، بفضل ماستكون قد اتبعته، فى ذلك السبيل، من سياسات وخطط، مما يحسب لك فى باب الإخلاص والتفانى فى خدمة مولاك الملك.

أما إذا أحجمت باقى الإمارات عن السير على دربك فى الاتحاد مع تشين، التى لن تجد من يصغى إلى أوامرها، ويسترشد بتوجيهاتها، فلابد إنها ستشن غاراتها على العصاة والخارجين، وإذ تدور رحى الحرب بين تشين وباقى الممالك، وتتحرك الضغائن والعداوات، فيمكنك أن تنتهز الفرصة لتطوير مستوى قدراتك القتالية وتحسين أحوال جنودك، وما يتطلع إليه شعبك من فرص طيبة للترقى، فتسلك من الخطط ماتجنى به أطيب ثمرات النفع العميم لبلادك.

وكان جوجياو [الوزير الأعظم لدولة جو الغربية] قد شرع فى الاقتراب من دولة تشين ـ فيما مضى من تواريخ الزمان – فكافأته بإقطاع فى إقليم "قنيان" [أرض كانت تتبع دولة جاو، لكنها إبان ذلك العهد صارت تحت تشين] فى حين قام جوتشى [وزير أعظم بدولة جو الشرقية] بالتحالف مع تشين، فأقطعته أرضا فى"بينيوان".

فإذا عملت على تقرب الصلة بين دولة هان وتشين، فسوف تتجاوز أهمية موقع بلادك – بكل الحسابات، ما كانت تتمتع به كلتا الدولتين جو الشرقية، والغربية، كما أن رغبة تشين فى إقامة علاقات متينة مع هان أقوى مائة ألف مرة مما كانت تتطلع إليه من مصادقة الدولتين المذكورتين آنفا.

ولئن استطعت أن تقيم أواصر التحالف – على مرأى ومسمع من كل الدويلات والممالك – بين هان وتشين، فلابد أن هذه ستعمل على ترقيتك إلى درجة الأمير (الوالى فوق إمارة) فدونك الخطة، بكل ماوراءها من مغانم، فامض فى العمل بها قدما، بعزم وجد وتصميم".

لما قام "هانمين" بالهجوم على دولة يان

قام "هانمين" [فى أحد القراءات، حسب هامش المحققين – يمكن ترجمتها إلى: قام أهالى دولة هان"] بالهجوم على دولة "سونغ" (دفاعا عن دولة تشى) مما أثار غضب ملك تشين، ودفعه إلى القول بما نصه: "إننى أعتز كثيرا بدولة سونغ وأعدها مثل "شين تشنغ" أو "يانجين"، ولا أدرى ما الذى دفع هانمين [أو أهل دولة هان!] – وهم الذين تربطنى بهم علاقات رسمية – إلى مهاجمة أرض حبيبة إلى نفسى، عزيزة إلى قلبى؟" وذهب سوتشين إلى لقاء ملك تشين (ليشرح له الموقف – حسب وجهة نظر دولة تشى –) وقال لجلالته:" ما كان لـ هانمين أن يضرب دولة سونغ إلا لأنه يضع مصلحة بلادك فى الاعتبار، وعندما يتزايد رصيد دولة تشى من القوة، ويضاف إلى هذا الرصيد ما يمكن أن تقدمه دولة سونغ من دعم، فسوف يقع الرعب فى قلب دولتى وى وتشو. وهنالك فسوف تضطران إلى التحرك غربا والمجئ إلى بلاطك والاعتراف بسيادتك وسلطانك، دون أن تفقد جنديا من قواتك فى قتال أو تضرب عنق مقاتل (من جيش أعدائك)، بل تستطيع أن تقتطع أرض "آنى" دون أن تخوض أية معركة؛ ذلك هو مايتمنى هانمين أن يسترضيك به، ويقدمه لأجل مصلحة بلادك. "فرد عليه ملك تشين، بقوله: "إن ما أثار قلقى – فى المقام الأول – هو صدور بعض التحركات عن دولة تشى، دون إمكانية التنبؤ باتجاهاتها وحساب تقديراتها مسبقا، فهى أحيانا تتحالف مع المحور الرأسى،

وأحيانا أخرى تنضم إلى دول التحالف الأفقى، فما قولك فى هذا؟" فأجابه سوتشين: "إن موقف الدويلات والممالك – بحد ذاته – يجعل من أمر دولة تشى، مسألة مفهومة للغاية، وبأيسر وسيلة.

قد أصبح احتلال تشى لدولة سونغ فى حكم الأمر المقرر، فإذا جاءوا إلى الغرب للاعتراف بسيادة وهيمنة دولة تشين فسوف يجدون السند والدعم والكافى منها وهى البلد التى تملك عشرة آلاف مركبة عسكرية، فإذا لم يأت منهم أحد إلى دولة تشين طلبا لنصرتها واعترافا بطاعتها، فلن تعرف دولة سونغ معنى للراحة والهناء والاستقرار.

إن خبراء التخطيط (ودعاة المذاهب السياسية من عجائز الدهاة ذوى الشعر الأشيب) المقيمين بالمنطقة الوسطى يبذلون كل جهدهم لبذر الفتنة والبغضاء بين دولتى تشين وتشى لقطع العلاقات بينهما. وكل أولئك الخطباء من أنصار الاتجاهات السياسية المختلفة، الذين انحنت ظهورهم وهم يجرون العربات فى طريقهم إلى الغرب، لم يقرروا ضرورة التقرب إلى دولة تشى، وهناك البعض الآخر من أولئك الدعاة الذاهبين تجاه الشرق، الذين لم يصرحوا قط بضرورة الانضواء تحت لواء دولة تشين. وكلهم يعارضون، وبشدة، الوحدة بين تشى وتشين، لماذا؟ لأن هذا دليل على حدة ذكاء دولتى وى وتشو، أما تشين وتشى، فبلدان على قدر وافر من الحماقة والغباء.

وإذا قامت الوحدة بين وى وتشو، فلابد أنهما سيعملان على مراقبة تحركات كل من تشى وتشين، وإذا تحالفت هاتان الدولتان الأخيرتان فستدبران المكائد ضد وى وتشو؛ ولذلك كله، فإنى أرجو من جلالتك أن تحسم أمرك بصدد هجوم هانمين على دولة سونغ"، فوافقه الملك على مقالته.

لما ذهب إلى ملك هان من تكلم معه

ذهب إلى ملك هان، من قال لجلالته: "إن ملك تشين يفكر فى تجريد حملة عسكرية ضد دولة وى للاستيلاء على أرض "جيانغ" و"آنى" فما هى خطة دولة هان (لمواجهة ذلك الهجوم)؟ ثم إن ملك تشين يتحرق شوقا لمهاجمة دولة هان واحتلالها حيث يتفرغ لمتابعة ومراقبة

تحركات دولة "جو". ولطالما راوده ذلك الأمل طويلا، فلم يتوقف عن تأمله إلا أثناء النوم تقريبا، فإذا لم تدرك دولة هان تلك الأحوال، وانشغلت بإقامة علاقات دبلوماسية مع دولة تشين، فستصل بها الأمور إلى أن تفيق ذات يوم على كارثة تدهمها وتباغت الدول الست الواقعة شرق جبال "شياو". ولئن كانت تشين تفكر في احتلال وي؛ فلأنها تتطلع إلى أن تتمكن من الاقتراب بقواتها من دولة هان، وإذ تخشى ألا تنصت دولة وي إلى خطتها فهي تتحين الفرص للإيقاع بها في الكثير من المآزق بحيث لاتجد فكاكا من الالتحام بزمرة تحالفاتها معها"، فإذا أهملت يامولاي النظر بعين التدقيق والتأمل في هذا الأمر، وانشغلت بالحفاظ على موقع الحياد، فسوف تثير ضدك غضب دولة هان التي ستتأثر بعدم مساعدتك لها، فتضطر إلى أن تذعن لدولة تشين، وهو ماسيؤدي ببلادك (هان) إلى الانحدار تحت هجوم (تشين) فلابد أن تراجع موقفك بدقة وحذر، وليس أفضل من أن تسارع إلى إيفاد أهم رسلك إلى دولتي وي وجاو، للاتفاق مجددا، حول التحالف الأخوي والوقوف معًا صفًا واحداً، على أن ترسل كل دولة من الدويلات الست الواقعة شرقي جبل شياو قوات جيدة التسليح، لحماية أمن وسلامة دولة هان، والدفاع عن الحدود الغربية لدولة وي، وإلا فإن المصير الذي يتنظر تلك الدويلات أبشع مما يتوقع أحد، فالكارثة قادمة ولانجدة؛ والمصير داهم ولا أمل. فمثل هذا الطراز من الخطط يترك وراءه اثاراً بعيدة المدى، وتطال العدد الجم من أهالي الممالك.

وملك تشين، برغبته في ضم الدويلات، والقيام على رأس الممالك [إعلان الإمبراطورية.. يعني] لايختلف في شيء عن الجبابرة القدامى ولا حيلة في ذلك، حتى لو وقفت الممالك منه موقف الابن المطيع لرب الأسرة، فلن يشفع لها ذلك من الوقوع في هاوية التهلكة، وحتى لو تذرعت – يامولاي – بأخلاق ومسلك "بويبي" [بطل من العصور القديمة] فلن تنجو من التهلكة، مثلما سيلقى المصير ذاته أولئك الذين يتصرفون مثل الطغاة القدامى (أمثال الطاغيتين "جيه" (آل شيا) و"تشو" (آل شانغ)، إن محاولة الاعتراف لدولة تشين بالطاعة والسيادة – في هذه الظروف – لايعود على المرء بأدنى فائدة . حيث إنها لاتدع للحي أن يتنسم الحياة طويلا، بل تدفعه إلى حافة الفنـــاء بأسرع مما يتوقع.

فإذا لم تستطع الدويلات الست الكائنة شرقي جبل شياو التجمع والانضمام تحت لواء التحالف الرأسي والاتحاد والمصافاة قلبا ويدا واحدة، بروح وإرادة تحفظ الميثاق وترعى العهد، فمصيرها الهلاك".

لما ذهب إلى ملك جنغ من قال له

ذهب إلى "هانلي" [ملك جنغ] من قال له: "كان النبيل "شاوليهو" عاقلا فطنا، ذا حلم وحكمة وكذلك كان "شن بوهاي" فاضلا كريم الخلق.

إن دولتي هان و وي متساويتان في القوة، وعندما حمل "شاوليهو" و"شن بوهاي" بأيديهما الهدايا الثمينة [حرفيا: "اليشب الكريم"] وذهبا لمقابلة ملك وي، لم يكونا من الراغبين في انتهاج مسلك يجلب عليهما الصغار والحط من شأنهما، ولاكانا من الجاهلين بشئون التخطيط ولا من الذين أساءوا التقدير والتعرف على أحوال الممالك. وقد قال شن بوهاي – في معرض وصفه للوقائع (والخطط الموضوعة لها) قائلا: "إن سفرنا إلى ملك وي والدخول إليه لمقابلته ونحن نحمل إليه الهدايا الثمينة سيجعله ممتنا لدولة هان، واثقا من حسن اعترافها بسيادته واعتبارها لمكانته، ولابد أنه سيخرج لقتال الدويلات (يريد منها جميعا الخضوع والإذعان) فسيستهلك طاقة بلاده ويستنزف قواها، فتذبل وتصير إلى الضعف والانكسار، ثم تتحول الدول بآمالها صوب دولة هان، وتتحول عن تشين مخذولة، خائبة الرجاء وهكذا، فلئن كنت (أنا ومرافقي) سنمثل أمام جلالته ونركع عند أعتابه، ونطاطئ الرأس لديه، فلسوف نشمخ – فيما بعد – بأنوفنا ونرتفع فوق الجميع. إن استنزاف طاقة دولة "وي" وقوتها، لدعم مهابة دولة "هان" ونفوذها، لن يتحقق بكل فاعليته ولن يؤتي ثماره إلا بتلك الزيارة إلى بلاط دولة وي".

إن (النبيل) "شاولي" رجل يتسم بالفطنة ورجاحة العقل، فلا تبلغ مسامعه حكمة أو رأي سديد إلا عمل به فكذلك اقترنت لديه الأفكار بتطبيقاتها؛ أما (الماجد) شن بوهاي، فرجل موفور الأخلاص دقيق الملاحظة، لايتكلم برأي أو يقطع بحكم إلا بعد طول تأمل وروية!

إن دولة هان، فى هذه الساعة، أضعف كثيرا مما مضى، أما تشين فأكثر عدة وعتادا، وأشد بأسا عن ذى قبل، كما أن ملك تشين تحدوه أطماع وتطلعات (أكثر) مما لدى ملك وى، ومع ذلك فلم يبادر الملك ولا الوزراء إلى أى نوع من مظاهر أو أنشطة الاحتفاء بدولة تشين وتبجيل مكانتها وقدرها. (وذلك – بالطبع – من أجل استقرار الأحوال فى هان) وفى رأيي الشخصى، فإن جلالتك لم تظهر من الحكمة والبصيرة مثل ما لدى (الماجد النبيل) شاولي؛ ولا أبدى وزراؤك من الإخلاص والعزم والتفاني مثلما تحلّى به شن بوهاى، وصار له سمة وخصلة بارزة".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

"كان (النبيل) تشين مو – فيما مضى من وقائع الزمان – قد عاد ظافرا منتصرا فى موقعة هانيوان، فانعقد له لواء الهيمنة فوق المنطقة الغربية، كذلك استطاع (الماجد) "جين اونقون" [أحد الأباطرة الخمسة الذين اشتهروا فى زمن الربيع والخريف (٧٧٠–٤٧٦ق.م)]، أن يحرز نصرا حاسما فى موقعة "تشن بو" وأن ينشر السلام فى ربوع الممالك، ويبنى صرح مجده الباقى منذ ذلك الحين، فتحققت له الشهرة الذائعة فى كل مكان.

وفى زماننا الحالي، تحققت لدولة تشين، على مر أجيال، مراتب من القوة والمنعة والازدهار، وانتصارتها المتوالية أكثر من أن تحصى، كما أن معاركها المظفرة تملأ سجلات بالفخار، (ومع ذلك) فلا هى بلغت ذرى الإمبراطورية (بانتصاراتها فى حروبها) ولا هى سادت بالهيمنة، (بفضل معاركها المجيدة) ولا استطاعت أن تنشيء لنفسها اسما محوطا بالبهاء والجاه العريض والشرف التليد، بل إن القانون الذى سنته واللوائح التي شرعتها، لم تلق الاحترام والإجلال والانتشار . ثم إنها انشغلت على مدار سنوات بإشعال فتيل الحروب التى تهدف إلى توطيد ركائز الاحترام لمكانتها، لمد آفاق شهرتها فى أقصى أنحاء الممالك.

وطالما دخل الملوك القدامى حومة القتال وانطلقوا إلى الغزو، إما سعيا للشهرة، أو تحقيقا للمصالح والمكاسب؛ وكان الساعى إلى الشهرة والنفوذ العريض، يسعى إلى تحطيم إرادة خصومه، والباحث عن المنافع يسلب الأرض وينهب أموال الناس.

وكانت دولة "أو" – قديما – قد اشتبكت فى قتال مع دولة "يوى" التى لاقت شر هزيمة حتى اضطر أهلها إلى التقهقر لائذين بخطوطهم الدفاعية لدى جبل "كوايجى"، فلما دخلت قوات "أو" أرض "يوى" صارت تمر على بيوت الأهالى فى محاولة لطمأنة الناس، وأرسل ملك يوى، أحد كبار رجال الدولة (الملقب بـ"أونجون") إلى بلاط "أو" طالبا المصالحة، مقابل اتخاذ الذكور عبيدا والإناث خادمات ومحظيات، بل إنه سار فى معية الوفد حاملا معه قفص طيور وحشية ليهديه إلى البلاط الملكى [كما تقرر الأعراف والأصول الملكية المتبعة] وكان جلالته يمشى خلف المسئولين التنفيذيين والمديرين. وبالطبع فقد صدق أهل دولة " أو" مزاعمهم إزاء طلب المصالحة، فبذلوا لهم ما أرادوا، دون أن يوقعوا ميثاقا ولا معاهدة بهذا المعنى؛ وذلك بهدف تحطيم إرادتهم وكسر شوكتهم. ثم ما لبثت الحرب أن قامت (ثانية) بين "أو" و"يوى" وكانت الكسرة (هذه المرة) على دولة "أو" التى عرضت أن تتخذ ذكورها عبيدا وإناثها سبايا. بعد أن انقلبت الحال، وصار أهل يوى تحت الأسر خدما وعبيدا لدى أهالى "أو" وبرغم ذلك فلم يلتفت إلى طلبهم، وصمت الآذان دون قبول توسلاتهم، فبادت دولة "أو" وصارت من الهالكين ولم يقم لها ذكر، وانطوت صفحتها إلى الأبد . وعندما تم أسر (مسئول كبير مثل..) "فوتشاى" فقد كان الهدف من ذلك الاستيلاء على الأرض، ونهب الثروات وتبديد ممتلكات الناس.

فهل تفكر حقا فى أن تفتّ فى عضد دولة تشين، وتحطم إرادتها؟ (إذا كان الأمر كذلك..) فلابد أن تتخذ من مسلك دولة "أو" نموذجا، ولا أدرى إن كنت تريد أن تحتل أرض تشين، وتسلب أموال أهلها؟ ولئن كان ذلك مطلبك ينبغي، إذن أن تقتدى بأسلوب دولة يوى. فإذا كنت فى استيلائك على الأرض والأموال أدنى مما فعلته دولة يوى؛ وفى تحطيم العزائم أقل كثيرا مما استطاعته دولة "أو"، فى حين ترتفع صيحات كل الناس في بلدك من الأمراء والنبلاء، والعامة والدهماء والأغنياء والفقراء مطالبين

بأن ترتفع بلادهم إلى مصاف الامبراطوريات العظمى، ويترقى ملوكهم فى مراتب السلاطين العظام والجبابرة، فلست أرى - فى رأيى المتواضع - إلا أنه أمر شبيه بحكاية الرجل الذى انزلق فى بئر عميق، فأحاطت به الظلمة وارتبكت أحواله، ومع ذلك فقد ظل يصيح بأعلى صوته قائلا إنه بخير وعافية وإنه ساع ليخرج بجذوة من النار"!

الجزء الثالث من الفصل نفسه

"كان "نيجن" و"يانجيان" [كان مساعدا لـ"نيجن" فى هجومه على رئيس وزراء هان "هانكوى" فى حادث الاغتيال المذكور سابقا] قد قاما باغتيال رئيس وزراء دولة هان، أثناء انعقاد "مؤتمر التحالف بين الدويلات"، كما أصابا (النبيل) "آيهو"، وكان "شيوى" [أحد مواطني دولة هان] قد ركله بقدمه، فتظاهر بالموت، وكان أن تم تنصيبه فيما بعد أميرا على دولة هان، فقامت وراءه صفوف المؤيدين له، وكان الفريق الأعظم من الناس موالين لسياسته راغبين فى حكمه؛ لأنه كان قدوة يحتذى بها. فصارت له المكانة التى ارتقى إليها فوق عرش البلاد، وظل "شيوى" [الذى ساعده على التظاهر بالموت] يعمل معه، رئيسا لوزرائه طوال حياته. ودانت له الأعناق بالاحترام مثلما خضعت لمليكهم "آيهو" ببالغ التقدير، ومع ذلك فلم يرق إلى الدرجة التى يصبح فيها "ملك دولة هان" (وهو الذى بقى طوال عمره فى منصب رئيس الوزراء، وهو أمر جيد على كل حال) ثم إننا - نحن أيضا - لم نبلغ هذه الدرجة ولا المنصب، أفليس هذا راجعًا إلى تهافت خططنا وما شابها من أخطاء؟

كان الوالى "هوان" - القائم على أمر دولة تشى، فيما مضى - قد عقد عدة اجتماعات للأمراء والولاة، ملتزما فى ذلك بأوامر جلالة الملك شيانغ (حاكم دولة جو)، وعلى الرغم من حرصه على اتباع تلك الأوامر الصادرة عن (حاكم دولة أخرى .. وهو) ملك دولة جو، فقد استطاع أن يرسخ مكانته ويوطد مهابته بوصفه "إمبراطورا" فوق الممالك. وكان الجميع حريصين، فى كل الاجتماعات التى عقدت مع الولاة والأمراء، على بذل الاحترام والطاعة لأمير دولة تشى (الوالى "هوا") تماما - بنفس الدرجة التى

نظروا بها إلى مكانة الملك شيانغ وعظيم قدره وسلطانه. وهو ما يعجز عنه أمراء وملوك هذا الزمان، برغم استطاعتنا التامة أن ننهج المسلك نفسه الذى انتهجه "الوالى هوان" إلا إننا نتقاعس عن ذلك، بل نعجز عنه، أفليس العجز نابعا من خططنا ودليل على ما يعتورها من أخطاء ونقائص، وأننا لانعى كيفية تقدير تلك النماذج العظيمة واحترامها؟

كان أهالى دولة هان، بعددهم البالغ عشرات الألوف قد، أيدوا "أيهو" ومنحوه مساندتهم وثقتهم ليكون ملكا عليهم، ومع ذلك فلم يكن سوى "شيوى" وحده، هو الذى وصل إلى منصب رئيس الوزراء، وليس هناك سبب آخر يفسر ذلك (سوى ماذكرته لك آنفا)؛ ثم إن الكثيرين من الولاة وأمراء الدويلات لم يتوانوا عن التفانى فى خدمة ملك جو، ومع ذلك، فليس سوى الوالى "هوان" أمير دولة تشي، وحده هو الذى وصل إلى مصاف الحكم الإمبراطورى، ولاسبب آخر يفسر ماحدث (سوى ماشرحته لك منذ قليل).

وها هى ذى دولة تشين تسعى بكل جهدها فى سبيل إنجاز مأثر عظمى تؤسس بها عرش إمبراطورية عظمى، أفليس من حسن التخطيط أن تتقدم خطاك الخطى، وتسلك منهج "الوالى هوان"، و"رئيس الوزراء شيوى"(فى مثل هذه الأحوال)؟ ولابد – أولا وقبل كل شيء – أن نحتفظ بمعاملة حسنة وتقدير جيد مع دولة قوية (مثل تشين) لأنها عندما ترفع ملكها فوق مصاف العروش العظمى، فسوف نتمكن (بفضل علاقتنا معها) من أن نبلغ آفاق الإمبراطورية، (والعكس صحيح، جزئيا ..) فإذا عجزت الدولة القوية عن أن تنهض بمكانة السيادة، (فعلى الأقل..) يمكننا أن نتجنب صولتها علينا، فتزورّ عنا نيران هجومها، وعلى الرغم من ذلك، فإذا ما سارت سياسات الدولة القوية نحو أهدافها بنجاح، فسيمكننا أن نحتل مكانة فائقة ونبلغ ذرى الهيمنة. أما إذا لم تبلغ الدولة القوية أهدافها، فستظل تذكر لنا مواقفنا بوافر الامتنان. فإذا ماصادقنا دولة تشين القوية الجبارة، فسوف تتحقق المنجزات الكبرى، ويصير لك المستقبل الواعد، والأيام الهانئة، أما إذا لم يتحقق شيء مما كان مأمولا، فستأمن شر العاقبة وأذيال المخاطر. ومادام الأمر كذلك، فامض إلى ترسيخ أواصر الصداقة مع تلك الدولة القوية. فهذه هى خطة الحكماء والقديسين".

لمـا قاد هانيان الجيش واشتبك فى قتال

قاد هانيان [من دولة هان] الجيش، ودخل "صوتشيان" [من هان] إلى مقابلة ملك هان، ليكلمه فى أمر القائد "هانيان"، مدافعا عنه وداعما لموقفه فى العودة للبلاد)، وقال لجلالته: "قد خضعت منطقة سانشوان بالكامل، فهل لدى جلالتك علم بذلك؟ (وقد بلغنى) إن المجندين وقادة الفصائل يريدون أن ينصبوا قائدهم المظفر (هانيان) أميرا على البلاد" وهنالك قام ملك هان باستدعاء النبلاء والأشراف المجندين، ومطالبا إياهم بسرعة العودة إلى الوطن.

لمـا كانت دولة تشين واحدة من

دولة تشين واحدة من الدول الكبرى، بينما تدخل دولة هان فى عداد الدول الضعيفة الصغرى، وقد تناءت بسياساتها بعيدا جدا عن دولة تشين، غير أنها كانت تجتهد، بشتى الوسائل لأن تظهر (عكس ذلك) لدولة تشين، بمعنى أنها كانت تتظاهر بأنها تتقرب إليها وتنضوى تحت لوائها، وهو المسلك .. الذى جعلها تتدبر الوسائل الكثيرة لتأكيد ذلك،فوجدت أنه لامفر من أن تتوسل لهذا الهدف ببذل الكثير من المال، فما كان منها إلا أن قررت أن تبيع بناتها الحسان رقيقا فى الأسواق، وكان ثمن الفتيات ذوات الحسن الخلاب أغلى الأثمان، بالدرجة التى يعجز معها، حتى الولاة وأمراء الدويلات عن اقتنائهن؛ لذلك قررت دولة تشين إنفاق ثلاثة آلاف مثقال من الذهب لشرائهن؛ فصارت دولة هان تبذل – فى خدمة تشين والاعتراف بطاعتها – ماسبق أن حصلته منها من المال، بينما حصلت تشين على الاثنين معا: "الفتيات الحسان" و"الذهب والمال" وهنالك قالت الفتيات لملك تشين، مانصه: "إن هان تتناءى كثيرا عن تشين"؛ مما يعنى أن دولة هان لم تخسر المال والفتيات ربات الحسن فقط، بل إن سياستها فى الانزواء عن تشين صارت واضحة للعيان، وعندئذ ذهب أحد الغرباء إلى ملك هان ونصح له، قائلا: "أرى أن تتوقف فورا عن هذا المسلك غير الأخلاقى؛ ذلك أن بيع الفتيات لقاء

الحصول على الذهب، ثم التوسل لاسترضاء تشين بما حصلته من الأموال، سيؤدى إلى تبديد كل مالديك من خزائن الذهب، فى حين تتضح للجميع سياستك القائمة على التباعد عن دولة تشين، (واعلم) أن الفاتنات من النساء، هن أكثر من يدركن الأسرار والخفايا؛ لذلك لايليق بمن مهروا فى شئون التخطيط أن يدعوا الأسرار والخفايا تذاع وتنتشر على هذا النحو [حرفيا: لا ينبغى لهم أن يجعلوا بواطن الخفاء تتسرب إلى واجهة العلن]".

لما تحالف كبير وزراء تشي مع دولة

أقام جانشو [كبير وزراء دولة تشى] تحالفا بين تشى وتشو للتصالح مع دولة وى، وكان أن التقى بـ قونجون، وقال له: "إن هجومك المباغت على مدينة "يون" [من أعمال وى] ترك آثاره الفادحة على دولة وى، وهز أحوالها بعنف، ولابد أنها ستضطر إلى التنازل عن الأراضى لدولتى تشى وتشو طلبا للمصالحة؛ لذلك فالأفضل ألا تهاجمها. عندما تتحسن أحوالها فلابد أنها ستشعل فتيل الحرب مع تشى وتشو؛ فإذا تحقق لها النصر، انتهزتم فرصة ما أصاب قواتها من إنهاك، فهاجمتم بلدة يون واستوليتم عليها بكل سهولة، أما إذا أخفقت وى فى الحرب، فلابد أنها ستسلم منطقة يون إلى دولة هان".

فوافقه قونجون على رأيه، وهنالك قال جانشو لدولتى تشى وتشو، مانصه: "إن دولة هان قد اتحدت مع دولة وى، فإذا لم تصدقوا، فانظروا هل يهاجم قونجون مدينة يون؟"؛ وإذ لم يحدث مثل هذا الهجوم فقد أصاب الذعر كلا من تشى وتشو، وأسرعتا إلى التصالح مع وى، دون أن تبلغا دولة هان بخبر ما حدث.

لما ذهب إلى رئيس وزراء هان من قال له

ذهب إلى رئيس وزراء دولة هان من قال له: "ما كانت الناس لتذهب إلى الطبيب الأشهر "بيان تشيو" [أحد أشهر الأطباء إبان عصر الدول المتحاربة، ويعد أول طبيب فى التاريخ الصينى ينبذ العلاج بالسحر والتعاويذ والأساليب الخرافية] إلا لمداوة ما نزل

بهم من الأوجاع والآلام، فإذا دعوت الناس إلى زيارته – دون أن يعانوا شيئا من الأسقام – لما استجاب أحد إليك. (وإذا تأملنا أحوال) علاقتك الطيبة مع "بينيوان"، وجدنا أنك ما كنت تحتفظ بكل هذا الود تجاهه إلا لما يلاقيه من كراهية وبغض دولة تشين له. ثم إن توددك إليه هو السبب فيما حاق بك من كراهية تشين لك".

لما أوفد قونجون إلى دولة تشين

كان قونجون قد أوفد رسولا من طرفه، وهو (الملقب بـ) "هانمين" إلى دولة تشين للمطالبة بمنطقة أوسوى، لكنه كان يخشى أن يؤدى هذا الأمر إلى إثارة غضب دولة تشو. وذهب "طانكى" [أحد مواطنى تشو] إلى قونجون، وقال له: "لئن كانت دولة هان تعترف بطاعة وسيادة دولة تشين، فهى تهيئ الأمور للمطالبة باستعادة منطقة "اوسوى"، وهو أمر لانعترض عليه ولانكرهه، وإذ تحصل هان على أوسوى، تصبح الأحوال مهيأة للتقارب مع تشو، وأريد أن أتحدث إليك ببضع كلمات لكن مع ملاحظة أن ما أقوله لك ليس هو الرأى الرسمى الصادر عن دولة هان.

واعلم أنه إذا كان هناك، من بين أولياء الأمور في دولة هان، من يلقى تأييدا شعبيا جارفا، دون أن تتاح له فرصة الترقى إلى منصب رئيس الوزراء، (فستظل دولة هان في حال التبعية) ولن تعرف فى حياتها الاستقلال أبدا (وبالتالى) فلن يمكنها أن تتقارب مع دولة تشو. وقد سبق لمليكنا أن قال .." كم أتمنى أن أحشد شعبى كله لتأييد ومساعدة هانمين فى العمل رئيسا للوزراء (فهل هذا ممكن حقا؟!) وإذ ينظر أهالى دولة هان إلى هانمين بعين الكراهية، فلا بد أنه سيقوم بتعبئة قوى وطاقات دولة هان لحماية تشو". فلما سمع قونجون هذه الكلمات، فرح جدا وتكلم مع الوزراء جميعا فى تزكية "طانكى" وتوليته منصبا حكوميا (إداريا) حيث يتمكن من الإشراف (بحكم مهام منصبه) على شئون العلاقات بين البلدين هان وتشو.

لما أرسل رئيس وزراء هان مبعوثا إلى

أوفد قونجون - رئيس وزراء دولة هان - هانمين إلى دولة تشين، ليطلب منها مهاجمة دولة وى، ففرح ملك تشين بذلك، وبينما كان هانمين عابرا بأرض "طاندى" بلغته أخبار وفاة قونجون، على نحو مفاجئ، فتكلم مع ملك تشين قائلا له: "(بلغنى) إن مبعوث دولة وى قد التقى برئيس الوزراء الجديد "هانشن"، وقال له.." لابد أن تنزل العقاب بـ"هانمين" (لأجل خاطر دولة وى)".. فرد عليه هانشن بقوله: "هذا مستحيل، فهو الرجل الذى يعمل فى خدمة الملك، بالإضافة إلى أن هناك الكثير من الاتفاقات ماتزال قائمة بين جلالته وبينه"، فقال المبعوث: "ماقامت تشين بتنصيب هانمين إلا لاهتمامها برجل مثل قونجون، وبما إنه قد مات، فلن يلقى هانمين أى احترام أو تقدير من جانب تشين ولا أظنه إذا ذهب إليها يريد الدخول إلى أرضيها أن تسمح له بذلك، فكيف يمكن أن تتواعد وإياه على كراهية ملك وى؟"... فوقعت الحيرة فى قلب هانشن، وأراد أن يعمل بنصيحة رسول دولة وى فاعلم يامولاى أنك إذا لم تقم باستدعائى إليك، فليس أمامى إلا أن ألوذ بكهوف الجبال"، فقال له ملك تشين: "كيف تظن بى الظنون هكذا؟ ولماذا تظن بى العجز عن حسم الأمور؟"، ثم إنه أرسل فى استدعائه [بطريقة رسمية] ومنحه وظيفة (مرموقة).

لما ذهب أحد موظفى دولة هان لمقابلة

ذهب أحد كبار موظفى البلاط فى دولة هان لمقابلة ملك تشين؛ ليكلمه (دفاعا عن موقف دولة هان ورعاية مصالحها،) قائلا: "عندما يناقش هانمين شأنا من الشئون الرسمية، فهو لايتطرق إلا لما يخص مليكه فقط، ولاتهمه مصالح أى ملك آخر أو بلد آخر، وهو - عموما - لايضع نصب عينيه سوى شئون بلده، دون الممالك الأخرى. (ومن المؤكد) أن قوة دولة تشين تملك من التأثير والضغط مايمكن أن يرغم قونجون على الخضوع والإذعان.

إن الشيء الوحيد الذى استطاعت أن تفعله دولة هان – وهى تعرف قوة ونفوذ دولة تشين – هو أن تجرؤ على البدء بالهجوم عليها ، (ومع ذلك) فقد كان هانمين، هو الذى جلب على نفسه عار الفشل والهزيمة. وقد سبق لدولة هان أن جعلت قوات دولتى تشى وسونغ تقوما بمهاجمة منطقة "شوايوان" [بدولة وى] وتقترب من مشارف مدينة طاليان، (دون أن تتقدم أبعد من ذلك، ودون – حتى – أن تقوم بمهاجمة دولة وى فى عقر دارها، والسبب فى ذلك، هو..) أنها رأت أن من الأفضل أن تتصالح معها، لكى تتمكن من استخدام الطريق المار بأراضيها – فى منطقة نانيان – والاستنجاد بقواتها (بالإضافة إلى قوات تشى، وسونغ) لضرب دولة تشين.

وقد قيل فى تبرير عدم الهجوم: إن الناس كانت تردد مامفاده أن (الكثير من الدول، لم تأخذ بعين الاعتبار – فى صراعاتها وحروبها مع بعضها البعض، بعض العناصر المهمة مثل طبيعة الأرض والمواقع الجغرافية لكل منها ومدى أهميتها..) فدولة يان لاقت المصير ذاته على يد تشين، أما دولتا تشن، وتساى فقد لقيتا الضربة القاصمة من قوات دولة تشو، (هذا بالإضافة إلى ماشاع من..) مؤامرات الوزراء وكبار القادة وتحزبهم، ودسائسهم الباطنية وتمويهاتهم وغشهم لسادتهم من الملوك والحكام. بل كثيرا ما كان كبار رجال الدولة يعملون لصالح أطراف خارجية ويعظمون شأنها ومصالحها على حساب أوطانهم، فما جاء الخزى والإنكسار إلا نتيجة لكل ذلك.

أما وقد بادرت جلالتك إلى تنظيم وتقويم الألقاب والمراتب الاجتماعية للوجهاء والأماثل ومن دونهم، فإن واحدا مثل تشانغى – بكل ما يمثله من قيم ومايملكه من جاه عريض ومكانة معروفة – لن يستطيع أن يخوض فى مسيرة (نبيل آخر، مثل) "كون صونهاو"، ولن يستطيع مبعوث قادم من الخارج ان يتدخل فى اختصاصات الوزراء وصلاحياتهم، كما لن يستطيع النبلاء والوجهاء – من مختلف الدرجات الاجتماعية بأشرفها مكانة وأقلها مرتبة – أن يمسوا الحدود المسموحة لكل منهم أو أن يتجاوزوا سلطاتهم، بحيث يلزم كل منهم مكانته، ويدور فى دائرته، تماما كما تدور القصبات الخشبية المشرعة من مركز دائرة العجلة الدوارة حول محورها؛ فهم أيضا يدورون

فى فلك جلالة الملك، يعملون لمصلحته ويقفون أنفسهم لخدمته، فحينئذ يعرف صاحب الجدارة والفضل والحكمة، ويشار إليه بالبنان، وهو مايحسب لجلالتك من عظيم مراعاتك لأشرف مواطن الحكمة ومواقع الفطنة والأراء السديدة.

وكان "قون صونهاو" قد عقد تحالفا وثيقا مع دولتى هان وتشى، ومن ذلك فلم يكافئه جلالة الملك (فكان فى ذلك عبرة لأمثاله من الوزراء، حتى لايتجاوزن الحد..) فيعملون لما فيه صالح أمراء الدويلات، على حساب أوطانهم . وكثيرا ما حاولت دولتا هان وتشى أن تستغلا دولة تشين لمصلحتهما، وذلك عبر (رجل دولة بارز، مثل..) قون صونهاو، (وكان أن انتبه ملك تشين للمحاولة..) فلم يرضخ، فامتنع أمراء الدويلات الأخرى عن انتهاز الفرص ومحاولة تحقيق مصالحهم الذاتية عبر الوزراء وكبار رجال الدولة.

إن قطع دابر التواطؤ مع أطراف خارجية يكشف الزائف من الحقيقى فيما يستبطنه أمراء الدويلات من مشاعر ونوايا. وذلك هو ثانى أعظم إنجاز تتبدى فيه حكمتك ووعيك البصير؛ ولطالما ألح عليك كل من قون صونهاو، وتشوليجى لإثناء عزمك عن مهاجمة دولة هان. (وكان أن حدث – بالصدفة – الانهيار التام لقوات هان) إذ تبددت الحشود وتفرقت أرتال الجند بغير قتال، وجاءت النتيجة موفية بالغرض تماما – على الرغم من عدم الاشتباك معهم فى أى قتال (.. إذ انكسرت دولة هان).

وكان كاناماو قد اتفق مع دولتى تشو وجاو على مهاجمة دولة وى، ثم إذا به ينقلب راكعا عند أعتابها معظّما لشأنها بأحسن تكريم وأنبل تقدير واحترام بسبب ما أضمره لبلادنا (دولة هان) من حقد وكراهية. ولما أراد كاناماو مهاجمة منطقة "إيانغ" عقدت جلالتك موازنة بين منافع ومضار السلم والقتال، ولم يكن لوزرائك ورجال دولتك مثل ماتميزت به من ضروب الحكمة والفطنة القدسية؛ فلكل ذلك أقرر أمامكم استعدادى أن يقوم قونجون على إدارة شئون بلادنا على النحو الذى يبرز اعترافنا لكم بالطاعة والنفوذ والسيادة، مفضلا إياه عن كل الآخرين من رجال التخطيط ومشوراتهم".

لمـا عمل هانمين رئيسا لوزراء دولة تشى

كـان "هانمين" أثنـاء توليـه رئاسـة وزراء دولة تشى، قـد أراد أن يكلف أحد كـبـار الموظفـين باتـخـاذ الإجـراءات اللازمـة لطرد "قـون تشـو" خـارج البـلاد، أمـا بالنسـبـة لـ"تشنيـان" [أحد مواطنى دولة هان، وأهم الدعاة إلى التـحالف بين دولتى هان وتـشين] (فلم يكن يملك أن يتصرف حياله بأى شئ، فقد كان مقيما بدولة جو) وهو ماكان يثير غضب سيادته وحنقه عليه. فذهب إلى (هانمين) من قال له:" أتظن أن هذين الشخصين على قدر من الحكمة والأخلاق بحيث توليهما الدولتان اللتان أوتا كل واحد منهما (على حدة) مناصب مرمـوقـة؟ (ومن جـانبى فـإنى..) أرى من الأفـضـل أن يبـقـيا فى دولة جـو، (ولئن سألتنى عن السبب فى رأيى هذا، فـأقول لك..) إن تشينان لـم يغادر دولة هان إلا لأجل دولة تشـين، لكن الأمر يخـتلف بالنسبـة لـ قون تشو، حـيث إنه يحظى باهتـمـام وتقدير جلالة ملك تشو،وإذ تفكر فى طردهما، فسوف يذهبان إلى دولتـى تشين وتشـو، ويمسيان قذى" فى عينك وعلقما فى حلقك ومجلبة للكوارث الداهمة، هذا بالإضـافة إلى ماسيتكشف من سوء نواياك تجاه الإمارات والممالك، فإذا بادلك أمراء الدويلات بغضا بكراهية، فسوف يستميلون إلى جانبهم فريقا ممن كانوا يحسنون الظن بك (ويدبرون لك أمورا تتكشف فى حينها ..إذ،) تزحف إليك الجيوش الجرارة، وعندئذ، فلن يجد ملك تشى مخرجا سوى أن يستغنى عنك".

لمـا ذهب إلى كبير وزراء هان من قال له

ذهب إلى "شانيـان" [كبير وزراء دولة هان] من قال له: "إن دولة تشين قد أقطعتك شانيان، وكذلك أهدتك دولة تشى إقطاع"إيندى". (ومن المعلوم) أن هاتين الدولتين لاتكترثان بشئون دولة هان، قدر اهتمامها بشخصك الكريم، وتقديرهما لسجاياك الفاضلة.

وقد حدث ماحدث من هجوم دولة تشو على إقطاعيتك (إيندى) واعتدائها على دولة تشى. والآن، فإن أول مايجب الانتباه له، هو أنه قد صار من المستحيل استئناف العلاقات مع بلادكم؛ وثانيا: فلن يمكن إعادة إقطاعية"إيندى" لك، وما كان لدولة تشو

أن تتصرف على هذا النحو إلا لما وقع عليها من تهديد دولتى تشى وتشين . بالإضافة إلى رغبتها فى إعلان احتقارها لشأن دولة هان". وهنالك فقد كلفه "شانيان" بالسفر إلى دولة تشو.

لما قامت دولتا وى وجاو بمهاجمة

قامت دولتا وى وجاو بمهاجمة "هوايان" [مدينة من أعمال هان]، فاستنجدت هان بدولة تشين، (وتوالت المراسلات بين البلدين، فكانت مواكب المبعوثين تتدافع على الطريق بين البلدين) ومع ذلك، فلم تقدم تشين يد العون، فتكلم رئيس وزراء هان مع "تنان لين" [أحد مواطنى هان] قائلا له: "قد دهمنا الخطب وعاجلنا الخطر وتأزمت الأمور للغاية، فنرجوك أن تسافر من ليلتك (إلى تشين) وعلى الرغم مما قد علمناه من مكابدتك المشقة والإرهاق، فنحن نلح عليك فى الرجاء ببذل المزيد من الجهد، فامض سراعا ولاتبيتنّ إلا بعد وصولك". وذهب تيان لى لزيارة رانخو، فما إن دخل عليه، حتى سأله مضيفه: "هل تأزمت الاحوال فى هان حقا؟ ومالذى دعاهم إلى إيفادك؟" فأجابه: "لم تتأزم الاحوال، بعد، فى هان". فرد عليه رانخو غاضبا: "فمادام الامر كذلك، ففيم قدومك إلينا مبعوثا من ملك هان؟ وفيم كل هذه الوفود من الرسل القادمين إلينا لإبلاغنا باشتداد الخطر المحدق بكم، دون أن يكون هناك شيء من ذلك، فماذا سلكتم بهذه الطريقة؟ ومالذى دعاكم إلى ذلك؟" فأجابه: " لو كانت دولة هان قد تعرضت للخطر، واشتد بأس الكوارث النازلة بها، لخانت عهدها مع دولة تشين". فقال له رانخو (على الفور): "أظن أنه لا داعيَ لمقابلة جلالة الملك، فقد أمرت بسرعة دفع القوات لنجدة هان"، وفى خلال ثمانية أيام، استطاعت قوات تشين أن تنزل هزيمة مروعة بقوات دولتى وى وجاو، عند أسوار هوايان.

لما قامت تشين بالاشتراك مع تشو

قامت تشين - بالاشتراك مع قوات دولة تشو، التى دعتها للنهوض معها إلى القتال - بمهاجمة دولة تشى، وتكلم لنشيان مع تشنجن، قائلا: "لابد أن ملك تشين سيتحالف، فى المستقبل، مع بلد آخر غير دولة تشو. إن الكثيرين من المتعاطفين

والموالين إلى دولة تشي من أهالي تشو يعلمون تماما استحالة قيام الوحدة مع تشين، في الغرب، ومن ثم فسيبذلون قصارى جهدهم لاقامة التحالف بين تشي وتشو اللتين ماإن تتحدا معا، فستضطر كلاً من دولتي جاو ويان إلى الانصياع إلى أوامرهما، وإذ تقبض دولة تشي بيدها على زمام قوة أربع دول بمواجهة دولة تشين (بمفردها) فلن تذعن لأحد، ولن تستسلم أبدا". وقال لنشيان أيضا: "هل تفكردولة تشين في مهاجمة تشي حقًا؟ (إذا كان الامر كذلك، فمن الأولى بها أن..) تقوم بإخضاع أولئك الموالين لدولة تشي – من أبناء تشو – الذين ما إن تنكسر شوكتهم، وتسقط مطالبهم بالاتحاد مع تشي – (فسيتهيأ الحال لدولة تشين لتجني المكاسب، إذ..) تعود دولة تشو الى الاعتماد على تشين، ثم إن رصيد القوة الهائل لدى هذه الاخيرة، مدعوما بتأييد "تشو" لها، سيضطر دولتي يان وجاو، إلى الرضوخ لمطالبها، والانصياع لأوامرها، فلا تجد تشي ملاذا سوى العزلة. وبناء على ما تقدم، فأرجو أن تأذن لي في الذهاب إلى ملك تشين لإقناعه بهذه الافكار (بالإنابة عنك)".

لما طالبت دولة هان بطرد كبير وزراء

كانت دولة هان قد ألجأت "آل جو" [حاكم أسرة جو الملكية] إلى طرد "شيانجين" [كبير وزراء دولة جاو] فكان أن ذهب تشنهوى [كبير وزراء آل جو] إلى ملك وى – مدافعا عن "شيانجين" المطرود، وقال لجلالته: "(اعلم يامولاى) إن "آل جو" سوف يقيلون عثرته، ويصفحون عنه – عما قريب – ويفتحون له ماأغلق دونه من أبواب العودة إلى بلاده، فما الذى يمنعك من أن تزكيه، وتثنى عليه بما تيسر لك من أبسط عبارات المدح والثناء، فيكون لك (إذ يعود إلى بلده) خير تابع وأخلص صديق" فوافقه ملك وى على رأيه.

وراح تشنهوى يقول لملك هان (مانصه:) "كانت دولة هان هى التى تسببت فى أن تلجئ دولة جو إلى طرد شيانجين، وصارت – الآن – دولة وى هى التى ساهمت فى إعادته إلى بلاده، أليس من الأفضل أن تكون دولة هان هى التى عملت على إعادته

(في المقام الأول)؟ بدلاً من أن يكون لدولة وى الفضل العميم عليه فيصير لها تابعًا أمينًا دونكم؟" فنزل ملك هان على رأيه، وبادر إلى المطالبة بإعادة شيانجين إلى بلاده.

لما تكلم أحد مواطنى دولة جونشان

تكلم "جانطن" [أحد مواطنى دولة جونشان] إلى "فيشيا" [من دولة هان] قائلا: "أرجو منك أن تنصح لـ"قون نيان" [أحد أمراء دولة هان] بأن يقابل ملك هان، ويقول له: "(اعلم) أن دولة جو الغربية تنظر إلى فيشيا بكل البغض والكراهية، فى حين أن دولة جو الشرقية تحترمه وتعظّم قدره، وهو ذو حسب ومال [حرفيًا: سليل أسرة تملك عشرة آلاف مثقال من الذهب] فماذا لو استدعيته، وأسندت إليه إدارة إقليم سانشوان، أما كان يصرف جل عنايته في حراسته، والتزام الحيطة في تأمينه والدفاع عنه؛ لاسيما أن لديه من المال الوافر مايعينه على تقوية بأسه، وسد ماتخلل عزمه من ثغرات، فيحسن خدمتك، ويلقى لديك أحسن حظوة . ولئن كانت جو الغربية تمقته، فلابد أنها سترسل إلى جلالتك الصلات الجزيلة، ولعلها تبعث لك بأنفس الهدايا (التى كانت فى خزانة الملوك العظماء السابقين؛ فى محاول لإثنائك عن ترقيته إلى مرتبة أعلى ووظيفة أرفع) ولابد أن ملك هان سيتصرف على هذا المنوال، فما إن يصل الخبر إلى دولة جو الغربية، حتى تعفيك من التهمة المنسوبة إليك؛ لتحول بينك وبين القيام على إدارة إقليم سانشوان".

لما توفى مراقب عام منطقة آنى

توفى مراقب عام منطقة "آنى"، وأحسّ مساعده بشيء من القلق؛ إذ ساورته الظنون بأنه لن ينال الترقية المناسبة ليشغل منصبا أرفع، فذهب أحد أبناء منطقة "شولى" ليتكلم مع محافظ منطقة "آنى" بشأن هذه المساعدة، فقال لسيادته: "كان "قونصون تشى" قد طلب من أحد الناس أن يذهب إلى جلالة الملك، ويرجوه فى تعيينه فى وظيفة

مراقب عام، فردّ عليه الملك، بقوله: "إن هذا الموقع الوظيفى له نائبه الرسمى المقيم (حسب اللوائح) ولست فى حلّ من أن انتهك اللوائح التنظيمية المعمول بها لدى المسئولين"، ثم مالبث النائب الرسمى أن شغل وظيفة المراقب العام حالما أصبح الموقع شاغرا.

لما ترأس الملك حلف الأمراء

ترأس ملك دولة وى اجتماع تحالف أمراء الدويلات، المنعقد فى "فنغ تسى" [إشارة إلى اجتماع حضره ملك وى مع أمراء الدويلات فى ٣٤٤ ق.م.] وكان قد اتخذ التدابير اللازمة لاستعادة سلطة الأمراء، وذهب "فانشى" [كبير وزراء دولة هان] إلى ملك هان، وقال له: "لا تنخدع بما يقول هؤلاء، فمن المعلوم أن الدول الكبرى تبغض كل مايمت بصلة للأمراء ووجودهم من أساسه، وليس سوى الدويلات والإمارات هى التى تلمس الآثار الإيجابية لسلطة الأمراء، وتجنى شيئا من النفع على أيديهم، ولعمرى، كيف تستطيع دولة وى استعادة سلطة الامراء، بالتعاون مع حفنة قليلة من الدويلات، إذا كانت الدول الكبرى (وجلالتكم على رأسها جميعا) ستتجاهلون كل مزاعمهم ومحاولاتهم!".

لما كان كبير وزراء دولة جاو ينظر

كان "جيانشين" [كبير وزراء دولة جاو] ينظر بعين الازدراء إلى "هانشى" [كبير وزراء دولة هان] فذهب "جاوا" [من دولة جاو] ليدافع عنه ويفسر موقفه لدى جيانشين، قائلا له: "(اعلم) أنه، بمنظور الحسابات القائمة على الملاحظة الشكلية، فإن الدولة التى تملك مقومات البقاء، إذا تحالفت مع جارتها، وتفقد تلك المقومات وتتعرض للهلاك والضياع إذا لم تتحالف مع الجيران، هى دولة وى؛ أما الدولة التى لايمكنها التخلى عن جارتها (وفى الوقت نفسه) تجد نفسها مضطرة إلى الدخول فى الحلف الرأسى، فهى دولة هان. وسبب ازدرائك لـ هانشى، يرجع – أساسا – لما قد عزمت عليه من

إقامة علاقات قوية وممتازة ووثيقة مع وى وتشو؛ وإذ تلاحظ دولة تشين مدى الود والصلة الوثيقة التى تربطك بدولتى وى وتشو، فسوف تبذل اهتمامها الفائق لاستمالة هان إلى جانبها (ومن ثم يحدث تحوّل فى التقديرات؛ ذلك أن..) هان التى كانت موضع احتقار وهى فى التحالف الرأسى، ستصبح محل اهتمام وتقدير عظيم وهى عضو فى المحور الأفقى، بينما ستلقى دولة جاو كل الازدراء إذا لم تشارك فى التحالف الرأسى.

وإذ تدفع دولة تشين بقواتها من منطقة سانشوان، فسوف تقوم بمحاصرة "يانلينغ" فى الجنوب، وبالتالى تنغلق خطوط المواصلات عبر طرق كل من: "جاولين"، و"شان تساى". وهنالك يتأزم موقف دولة وى ثم إن تحركات أمراء الدويلات لمساندة دولة جاو سوف تتراخى وتتباطأ كثيرا، وإذ تقوم تشين بدفع القوات وتهاجم هاندان، فستسقط دولة جاو سقوطها المروع؛ ولذلك فسوف يمكنك أن تتجنب المزالق والثغرات، إذا استطعت أن تحصل على دعم ومساندة دولة هان".

لما تكلم طوانشان مع الأمير

تكلم "طوانشان" [من دولة تشين] مع (الأمير) "ميرونغ"، فقال له: "يستطيع السائرون ليلا أن يمسكوا عن إيذاء الناس، لكنهم لن يقدروا على أن يمنعوا الكلاب عن النباح، (وبالنسبة لى..) فلست أشغل موقعا وظيفيا مرموقا (لأنى مجرد مرافق لسمو الامير) وهكذا فأستطيع أن أصد نفسى عن الخوض فيما يعيبك أمام الملك الأعظم، لكنى لا أستطيع أن أمنع الآخرين من الوشاية بى لديك، فأرجو أن تتأمل هذا وتستجلى معناه".

لما تحدث طوانكان إلى سمو الامير

تحدث "طوانكاى يورن" [من دولة وى] إلى الأمير "ميرونغ"، فقال لسموه :"كان أحد تلاميذ الحوذى الشهير [بدولة جاو] وانليان يقود مركبة تجرها الخيول ويزعم أن جياده من أمهر الجياد فى الركض حتى أنها لتعدو به الألف ميل، وكان أن التقى –

ذات يوم – مع أحد تلاميذ الحوذى الأشهر [من دولة جو، قائد المركبات الملكية بها] المدعو: "تساوفو"، فابتدره تلميذ هذا المعلم ذى الصيت الذائع قائلا: "لا أظن أن جوادك من النوع الأصيل الذى يركض بك الألف ميل" فأجابه، تلميذ وانليان بقوله:"إن الجياد التى تقود المركبة الصغرى (التى يجرها جودان) وتلك التى تجر المركبة الكبرى (التى تسير بأربعة خيول) كلها من النوع الجيد الذى يسابق الأفراس ويرمح فى المواكب رمحا لامثيل له، فما الذى دعاك أن تشكك فى ذلك؟" فقال له تلميذ تساوفو: "إن عنان فرسك مسترسل بيدك، غير مقبوض، ومن المعلوم أن طول العنان هو الذى يحدد مقدار مايمكن أن يعدوه الفرس ركضا أو خببا؛ فلهذا قلت إنه من المستحيل أن يركض بك حصانك ألف ميل بهذا الرسن الطويل الطليق!" .. وهكذا فعلى الرغم من أنى بغير مهارة أو مزايا ذات جدارة، فإنى أستطيع أن أكون ذا قيمة فى تحديد مصالح دولة تشين [.. تماما كما يتم تقدير إرخاء العنان الذى يقاد به الفرس وتتحدد به طاقة ومدى ركضه] لكنك أيها النبيل الكريم، لا تلبث تعبس بوجهى ولا تيسر لى العسير من أمرى، وتغلق الطرقات المفتوحة أمامى؛ والسبب فى هذا كله أنى مجرد عنان ممطول مسترسل فى يد الفارس".

سجل يان الأول

لما سعى سوتشين داعيا إلى التحالف

أراد سوتشين الانضمام مجموعة إلى التحالف الرأسى، فذهب إلى [الممالك الشمالية] حيث التقى بـ"يان أونهو"، وراح يعرض عليه فكرة الانضمام إلى المحور الرأسى،قائلا له: "إلى الشرق من دولة يان تقع "تشاوتشيان" [الاسم الصينى لـ شبه الجزيرة الكورية] و"لياودون"؛ وإلى الشمال: "لينخو"، و"لويان"؛ وإلى الغرب: "يونجون"، "جيووان"؛ وإلى الجنوب يقع نهر"خوطو"، وبحر"إيشوى"، والمساحة الإجمالية تبلغ أكثر من ألفى لى مربع، ولديك من المقاتلين (لابسى الدورع والخوذات) مئات الألوف، ومن المركبات الحربية سبعمائة عربة، ومن الجياد الحربية ستة آلاف فرس. وفى مخازنك مايكفى استهلاك عشر سنوات من القمح والذرة. وعلى حدود بلادك الجنوبية يوجد جبل "جيشى" ومنطقة "إينمن" بمنتجاتهما الوفيرة، وعلى الحدود الشمالية يمتد مناخ ملائم لزراعة التمر والكستناء، وعلى الرغم من أن العدد الجم من شعبك لا يعمل فى الزراعة، فإن محصولكم من التمر والكستناء يسد حاجة الناس، ولديكم منه - كما يقول الناس، مخزن طبيعى، والأجواء العامة يسودها الاستقراء والهناء والرفاه، (داخليا وخارجيا) وليس هناك أى تهديد بالتمرد أو الانقلاب العسكرى، ولم تبدر عن القادة العسكريين بادرة توحى بالتمرد، ومن ثم فلم يوقع حكم بالإعدام ضد أىّ من القادة، وليس فى الممالك جميعا من يفوق دولة يان فى مزاياها وجودة أحوالها. فهل يدرك جلالة الملك السبب فى تميز البلاد بهذا الهدوء والاستقرار والسلام؟

إن السبب فيما تنعم به يان من نجاتها من ويلات الحرب، وغزو القراصنة وهجوم المعتدين هو قيان دولة جاو على حدودها الجنوبية كالسائر الذى يصد عنها المخاطر

والنازلات . وقد وقع القتال بين تشين وجاو خمس مرات، كان النصر فيها حليف تشين مرتين، بينما تغلبت عليها جاو ثلاث مرات، ثم إن الحرب أنهكت كلا الفريقين المتحاربين، وهنالك قمت (جلالتك) بمهاجمة مؤخرة قوات جاو، ولذلك فقد أمنت بلادك شر الاحتلال. (هذا من ناحية، أما من من ناحية أخرى..) فإذا قامت تشين بمهاجمة يان، فستضطر إلى عبور مناطق يونجون و "جيوان"؛ ثم المرور من أرض "دايدى"، "شانكو" ثم تطأ بأقدام مشاتها طريقا طوله عدة آلاف "لى"، وحتى إذا قدر لها أن تستولى على مدن دولة يان، فسوف تضع في اعتبارها استحالة الاحتفاظ بها والدفاع عنها. وهكذا فمن المسلم به تماما عجز دولة تشين عن إلحاق الأذى بدولة يان.

وإذا أرادت دولة جاو أن تهاجم يان، فلن تمضى عشرة أيام بعد صدور الأوامر ببدء الهجوم حتى تدخل إلى منطقة"دون يوان" قوات تبلغ مئات الآلف من المقاتلين، فتتمركز فى ذلك الموقع (حينًا) ثم تعبر نهر خوطو وبحر إيشو حتى تصل إلى عاصمة يان خلال أربعة أو خمسة أيام. ولذلك فيمكن القول بأنه، لو أرادت تشين مهاجمة يان، فستضطر إلى الدخول فى اشتباك قتالى على بعد ألف لى من حدودها، أما إذا قررت جاو ذلك، فسيكون ميدان القتال قريبا جدا بالنسبة لها.

ولعمرى، فليس أسوأ من خطة تتغافل عن الخطر القريب، وتنشغل بالقلاقل البعيدة؛ فلذلك أتمنى يامولاى، أن تدخل مع دولة جاو – فى حلف المحور الرأسى وأن تعمل على إقامة جسور الود والصداقة معها، واعلم أن يان ستظل فى مأمن من كل مكروه مادامت فى حلف مع الأمم فى رباط ووحدة".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

رد ملك يان، قائلا: "إن بلدنا صغير جدا، يكاد يتماس غربا مع تشين القوية الجبارة، ويقترب من حدود جاو وتشى فى الجنوب، وهذان الأخيران، بلدان على درجة كبيرة من القوة، وإذ جمعتنى الظروف الطيبة وإياك، فقد أتيح لى أن أتعرف – من خلالك – على خطة التحالف الرأسى، فأنا أتفق معك فى هذا وأرجو قبول بلدنا عضوا فى التحالف،

دعما للاستقرار والأمان". وكان أن أجزل جلالته لـ سوتشين العطاء ووصله بالهدايا الفاخرة، وقام لتوديعه فى سفرة إلى دولة جاو.

لما كان "ليدوى" ناقما على سوتشين

كان ليدوى ناقما للغاية على سوتشين، فلما كان هذا عائدا إلى دولة يان، فقد أرسل – من أراد الدفاع عنه وتوضيح موقفه لأمير "فن يانجون" [لقب ليدوى] قائلا: "تبدو دولة جاو وقد حازت قدرا من الأهمية بعد ما تفسخت دولتا يان وتشى. فإذا اتحدتا، فلن يبقى لدولة جاو أى قدر من الاعتبار. (وهكذا..) فإن ذهابك الآن إلى دولة تشى لن تنفع جاو بشىء، وأظن، أن خطتك التى تتبعها تكاد تكون مستحيلة التطبيق". فقال له ليدوى: "من قال لك بأنى أريد لدولة يان أن تتحد مع دولة تشى؟" فأجابه: "إن من يسيطر على الشأن السياسى فى دولة يان، هو "سوتشين"، إلا أن يان دولة ضعيفة، لاتضارع قوة تشى عند حدودها الشرقية، ولاتوازى دولة جاو قوة ومكانة، فى الغرب؛ فكيف لا يكون لها نصيب فى الوحدة مع دولة تشى – شرقا – وتبقى بمعزل عن الصداقة مع جاو – غربا – ؟ وكيف تتخذ من سوتشين موقفا غير ودى ثم تتوقع منه أن يعمل على حماية دولة ضئيلة وضعيفة ومعزولة عن باقى الممالك مثل دولة يان؟ فمثل هذا الأمر يفرض، بطبيعته، التحالف بين يان وتشى.

وبالإضافة إلى ذلك [فهناك حقيقة معروفة للجميع، وهى أنها دولة ليست – فى الحقيقة – إلا بقايا دولة؛ ذلك أنها بعد اجتياح تشى لأراضيها فى٣١٤ق.م، قتل حاكمها]، وقام "شاو" حاكماً عليها – بعد هزيمتها المروعة – واستمد العون من الدول الأخرى، بما بذله من المال والكنوز والصلات الوفيرة، وبلغ سدة الحكم والجاه بما عكف عليه من الإمساك بزمام الأمور وإدارة شئون البلاد؛ ولذلك (وبناء على كل ماتقدم..) فإنى أرى (لوكنت مكانك) وجوب المصافاة مع سوتشين وإقامة الصلات الودية معه، سواء رأيت فيه مايقربك إليه أم يحنقك عليه؛ وبذلك تثير بذور الشك بين يان وتشى، فيعظم قدر دولة جاو.

وإذا ثار فى قلب ملك تشى الشك حول سوتشين، فسوف تجنى الكثير من الثمار وتربح القدر الوفير من الدعم والمساندة". ونزل ليدوى على هذا الرأى، وأوفد مبعوثا إلى سوتشين للعمل على إقامة الصلات الودية.

لما وقعت معركة شواندى

لما استحرّ القتال فى معركة شواندى، كانت الكسرة على قوات دولة يان فى مرتين متواليتين. ولم تخرج دولة جاو لدعمها ونصرتها. وهنالك تكلم قورن مع الملك "شاو" - حاكم دولة يان، قائلا لجلالته:" أرى أنه من الأفضل التنازل عن أجزاء من الأراضى إلى دولة تشي، للمصالحة معها، وعندئذ، فستتحرك دولة جاو بكل سرعة لنجدتك. فإذا لم يحدث هذا، صار زمام القوة والنفوذ فى يدك دولة تشى، إبان انتصارها، وهذا سيرغم دولة جاو - فى المستقبل - أن تعترف بطاعة وسيادة دولة تشى"، فوافقه ملك يان على وجهة نظره، وأوفد"قورن" للتنازل عن بعض الأراضى لدولة تشى، طلبا للمصالحة والسلام . فماأن بلغ هذا الخبر مسامع دولة جاو، حتى دفعت بقواتها لنجدة دولة يان.

لما كان زمن حكم الأمير

لما كان الأمير "أون" قائما على عرش دولة يان، فقد تم زفاف ابنة الملك هوى - حاكم تشين - إلى أحد أمراء دولة يان [صار ملكا فيما بعد فدخل بها وصارت زوجته من وقتئذ]، فلما مات الامير "أون"، خلفه على عرش البلاد (الامير الزوج) وتسمى بـ(الملك "إى"). وانتهز الملك "شيوان" حاكم دولة تشى ظروف تشييع الجنازة فى يان وإعلان الحداد، فهاجم البلاد واستولى على عشرة مدن.

وذهب سوتشين لمقابلة ملك تشين ليكلمه فى شأن دولة يان، (فلما مثل بين يدى جلالته) ركع عند أعتابه مرتين وهتف له بالأمنيات الطيبة، ثم مالبث أن رفع رأسه إليه

(وحدثه بكلمات تحمل معنى المواساة والتعزية، على حين لم يكن هناك ما يستدعى أجواء الكآبة والأحزان) فأسرع ملك تشي إلى سيفه فجرده، وصاح فيه آمرا إياه بالانصراف فورا، قائلا: "ما الذى دهاك حتى تلقى علينا كلمات التعزية والرثاء، بعد أمنيات السعادة والهناء؟" فأجابه سوتشين: "إن المرء إذا جاع لا يملأ جوفه بالسم؛ لأنه قد يسد فراغ بطنه إلى حين [هكذا] ثم يودى بالطاعم إلى التهلكة".

والآن، فقد تبدو لك دولة يان ضئيلة وضعيفة، لكنها على أية حال، تربطها صلة مصاهرة مع دولة تشين القوية، وأراك قد طمعت فى عشر مدن من أرض يان، وقد نسيت أنك بذلك تجلب عليك كراهية تشين ومقتها الشديد (الذى لا قبل لك به). فإذا أقبلت عليك دولة يان الضعيفة الضئيلة، تصفّ صفوف جيشها فى فصيل واحد مثل أفراخ النسور [هكذا]، ومن ورائها قوات تشين كالدرع الحامى والجناح الواقى، وقد جمعت لك عدة وافرة من آلات الحرب والرجال؛ أما يصير ذلك شبيه بما يتجرعه الظمآن من السموم وهو يظن أنه يروى غلته!" فقال ملك تشى: "فكيف العمل إذن، وكيف يكون التصرف (فى رأيك)؟" فأجابه سوتشين: " إن الحكيم إذا تدبر أمرا، فاحتاط له كل الحيطة، كان كفيلا بأن يحيل الخبيث طيبا، والنكبة النكباء إلى نفع واجتناء، والانكسار المهين إلى نصر مبين . ولذلك فعلى الرغم مما لاقاه (قديما) أمير دولة تشين من هزيمة نكراء فى موقعة دولة تساى [إشارة إلى ما حدث قديما من نشوب معارك بين دولتى تشى وتساى بسبب ضغائن بين حاكمى البلدين، فأعد أمير تشين الجيوش وهاجم تساى] لكنه كسب اسما وشرفا ومكانة كريمة، فتحولت الهزيمة، على يديه، إلى اقتدار باهر. فإذا أخذت برأيى ونزلت على نصيحتى، فإنى أرى أن تبادر فورا إلى إعادة المحلات العشر إلى دولة يان، وتقدم اعتذارك إلى دولة تشين، بأسلوب تراعى فيه مكانتها وتحترم سيادتها، ولابد أنها ستعرف لك فضلك بكل الامتنان؛ إذ تدرك أنك ما أعدت الأرض إلى يان إلا إكراما وتوقيرا لسلطانها بين الأمم. ثم إن يان نفسها ستغدو أشد عرفانا لصنيعك، وهكذا تكون قد تجنبت الإحن والعداوة والبغضاء وأقمت – بدلا منها – المصافاة والود والعلاقة الطيبة . هذا، بالإضافة إلى ما ستبذله تشين ويان من الاعتراف بسيادتك ونفوذك، فيعظم شأنك بين الأمم، وتنهض النفوس بالطاعة

لأوامرك فى كل البلاد، والأمر كله لا يكلفك شيئا سوى بضع كلمات، من قبيل المجاملة الرقيقة، تخطب بها ود دولة تشين، فى حين تكسب دعم ومساندة الممالك جميعا، مقابل إعادة عشر مدن (إلى يان)، بل إن ذلك لهو السبيل حقا لبلوغ قمة السيادة الإمبراطورية تحت السماء، بالإضافة إلى أنه الطريق الذى تجعل به من نذير الكارثة، بشرى واعدة بالخير والسعادة، ومن الفشل المخزى نجاحا عظيما"، فتهللت أسارير الملك، وأعاد المدن إلى يان، متبعا ذلك بوافر الصلات من الذهب والنفائس، حيث قدم شديد اعتذاره عما حدث (لكل من يان وتشين)، ثم إنه نزل على الطريق بين البلدين وركع هاتفا بأمله ورغبته فى إقامة العلاقات الودية بينهما.

لما وشى أحدهم لدى بلاط دولة يان

لما ذهب إلى ملك يان من سعى فى الوشاية بسوتشين لدى جلالته، قائلا: "إن سوتشين واحد من أكثر الناس غشًا ورياء تحت السماء (ومع ذلك..) فإن جلالتك تسرف فى تدليله والتكرم عليه بالمراتب الرفيعة، وتبذل له الاحترام والتبجيل على نحو مفرط وملحوظ، حتى بدا الأمر للناس وكأن جلالتك تتواضع كثيرا مع من لا يستحقون، وتتنازل كثيرا لتصادق (واحدا) من السفلة والأوغاد" فلما عاد سوتشين من دولة تشى، (أهمل الملك شأنه..) فلم يأمر بالاحتفاء به وإعداد مايلزم لإقامته [كما قد جرت بذلك العادة!] فتكلم سوتشين إلى جلالته، قائلا: "كنت، حين قدمت على بلادك من جو الشرقية، يامولاى، مجرد زائر حقير الشأن، وضيع المنزلة، ليس لى ما يستحق الذكر فى سجل المآثر، ومع ذلك، فقد خرجت جلالتك إلى مشارف العاصمة لاستقبالى، مما كان له أكبر الأثر فى تعظيم شأنى داخل القصر. ثم إذا عدت إليك اليوم وقد حققت إنجازا طيبا بما توصلت إليه من إعادة المدن العشر إليك، وتصفية أجواء الخطر التى كانت تحيط بدولة يان، أجدك غير عابئ بما حققت من إنجاز، وقد داخلك الشك والارتياب من جهتى، فلابد أن أحدهم أوغر صدرك، وألقى فى روعك مايجعلنى موضع اتهام، لربما قد طعن فى الطاعن بأنى غير ذى ثقة، فلئن كان قد قيل لك شيء من ذلك،

فهو أمر يبشر بالخير على كل حال، واسمح لى بأن أسألك إذا كنت توافق أن ألتزم مع جلالتك سلوك الصدق والنزاهة (التى جبل عليها "ويشنغ" – أشهر من اتسم بالصدق، بين الناس جميعا) وبمنتهى الأمانة (التى اتصف بها "بوييى") وخالص الطاعة والبر (على نحو ما اشتهر به "تسنغ سن")؟" فأجابه الملك بأنه يوافق بالطبع، وعندئذ قال له سوتشين: "(لكنى) لو كنت أملك هذه الخصال ما استطعت أن أقوم على خدمتك". ثم أضاف قائلا: "(اعلم) أنى لو كنت جبلت على البر والطاعة – مثل "تسنغ سن"، لما تركت أبى وأمى، (بل كنت بقيت إلى جوارهما، أعمل على خدمتهما..) فكيف كان يمكن أن توفدنى إلى دولة تشي؟ ولوكنت مثل بوييى فى أمانته وزهده، لما أكلت وشربت، ولكنت أحجمت عن خدمة ملك وى بحجة أن مثل هذا العمل تشوبه الأغراض الذاتية، ورفضت مثل بوييى أن أكون أميرا فى البلاط الحاكم، وأقمت فى الوديان والجبال [حرفيا: جبل "شويان"] فكيف كنت أملك – مع ذلك الزهد – أن أقصد إلى بلدكم [حرفيا: دولة يان، الضعيفة، الضئيلة] البعيد، الذى يحدق به الخطر من كل الجوانب؟

ولو تصورت أنى يمكن أن أكتسب خصال "ويشنغ" فى الثقة وحفظ العهود، لكنت تصرفت مثله (..حيث ظل ينتظر الفتاة التى ضرب لها موعدا للقاء، فلما تأخرت ولم تحضر فى الموعد، ظل مكانه ممسكا بأحد الأعمدة أسفل الجسر، حتى فاض النهر فأغرقه وهو واقف مكانه منتظرا فتاته) وماكنت أتيت مناصرا لرفعه شأن دولتى يان وتشين، وبذلت فى كل جهدى، حتى صار بمثابة الإنجاز الأكبر الذى اعتز به كثيرا!

ثم إن أولئك السالكين بخصال الإخلاص والثقة إنما يصدرون – فى ذلك – عن رغبة فى امتلاك صفات طيبة، وليس عن مراعاة حقيقية لمصالح الآخرين، ومن ثم فهو جهد شخصى غايته اجتلاب الرضا عن النفس، وليس محاولة للارتقاء والتعلم والنهوض بإمكانات الترقى والتطور.

(ومن المعلوم..) أن الملوك الثلاثة الذين تعاقبوا على عرش المجد، والإمبراطوريات الخمس التى أخذ كل منها بنصيب وافر من الرقى والازدهار، لم يكونوا جميعهم يطمحون إلى إرضاء أنفسهم (.. العمل لما فيه تحقيق غاياتهم الذاتية)، ومع ذلك فها أنت تريد أن تسلك ذلك الطريق (فهل يصح هذا، وهل هو مما يجدر بك؟ وعلى أية حال، فلوكنت

تستهدف الشعور بالرضا عن النفس..) فلا أظنك تستطيع أن تدفع بقواتك أبعد من منطقة "إينغ تشو"، بل لا أعتقد بأنك يمكن أن تتجاوز حدود دولة تشو [هكذا] ولن تستطيع أن تمد عينيك وأذنيك [حرفيا: تتجسس على..] خارج أسوار بلادك.

وفوق كل ماتقدم، فقد فارقت والدتى وهى شيخة مسنة، وحللت عليكم عاملا فى خدمة جلالتكم، وقد خلفت ورائى كل غرض فى الرضا عن النفس، لا لشيء إلا (للعمل على النهوض بالأمم، وإيقاظ حافز التقدم والتطور) وهكذا فإن طموحاتنا وأهدافنا تختلف فى هذه النقطة؛ باعتبار أن جلالتك تسعى للرضا عن نفسك، أما أنا، فمجرد وزير يجتهد (فى الحثّ على) التطور؛ فهذا هو مايطلقون عليه ماصفته: (..الإساءة إلى جلالة الملك بواسطة المزيد من الإخلاص والتفانى فى حفظ العهد)".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وتكلم ملك يان، فقال: "وكيف يمكن أن يكون فى الأخلاص وحفظ العهد مايوجب الأذى؟" فأجابه سوتشين: "ألا تعرف أن من الإخلاص وحفظ العهد مايعود بسوء العاقبة؟ إن لى جارا يعمل فى أحد الوظائف الحكومية ببلد بعيد، وحدث أن نشأت علاقة سرية بين زوجته وأحد الأشخاص، فلما عاد الزوج، وقع القلق والارتباك فى نفس الرجل الآخر، ذى العلاقة السرية، وقالت له الزوجة :"لا عليك، دعك من القلق، فقد أعددت له قدح الدواء (بعد أن أفرغت فيه السم)" فلما عاد الزوج بعد يومين، طلبت الزوجة إلى الجارية أن تذهب بالقدح إلى سيدها، وكانت الجارية تعرف أن الدواء مسموم وأن جرعة واحدة منه ستودى بحياة الرجل، فهى إن أعطته إياه، فهو مقتول من ساعته، وإن أفشت إليه أمر زوجته، فسيطردها خارج البيت، فلم تجد إلا أن تتظاهر بأن قدميها تعثرتا، فانبطحت على الأرض فانكسر القدح، وصاح بها سيدها وضربها ضربا مبرحا، لكنها استطاعت بما فعلته أن تنقذ الرجل من الموت المحقق، وتحمى الزوجة من الطرد والتشرد والضياع، وعلى الرغم من إخلاصها لأسيادها فلم تنج من آلام الضرب الموجع، فذلك مايقال له: "جناية المرء على نفسه، باستجلاب حتفه بظلفه (اقرأ.. بإخلاصه)".

فكذلك أجدنى، بما قدمت يداى، أقرب شبها بما فعلته الخادمة من إلقاء قدح السم (فيما حدثتك به الساعة) وليس هذا بالشيء الغريب، فقد قمت على خدمتك واجتهدت في الإخلاص لك والتفاني في القيام على شئونك وتعظيم مكانتك، راجيا أن يكون الإخلاص موجبا لما فيه النفع والخير للبلاد، وها أناذا أجد عاقبة أمرى؛ قد انتهت إلى الخسران وأخشى أن يمتد أثر ذلك إلى القادمين لزيارتك والعمل في خدمتك من الوزراء والخبراء، فعساهم (وقد عرفوا مالحق بى) أن يحجموا عن انتهاج سبل الإخلاص والثقة والتفانى فى القيام على شئونك تعظيم قدرك، ثم إنى - لما سافرت إلى تشين (داعيا للخطط السياسية)، فقد تحدثت إلى المسئولين هناك بكل صدق وصراحة؛ فلم أخدع أحدا ولم أتحايل بالغش والخديعة على أى فرد، فإذا تصادف أن ذهب إليها - من طرفك - من تحدثوا إلى المسئولين هناك بغير ماانتهجته معهم من الصدق والإخلاص، فلن أكون ملزما باتباع مسلكهم، حتى لو كانوا من الحكماء والقديسين (..أمثال "ياو"، و"شون")".

لما عمل تشانغى على هدم التحالف

عمل تشانغى (مراعاة لمصالح تشين) على هدم التحالف الرأسى والدعوة إلى التحالف الأفقى، بدلا منه، وكان أن تحدث إلى ملك يان قائلا لجلالته: "من بين كل البلاد التى وثقت علاقتك بها، فإن جاو هى الأفضل، على الإطلاق. وكان الملك شيانغ (حاكم جاو) قد زوّج ابنته بأمير أرض "طاى" رغبة منه فى ضم تلك المنطقة، وحدث أنه اتفق على لقاء صهره لدى المنطقة المنيعة بجبل "تشيجو". وهنالك فقد أمر العمال وأصحاب المهن بأن يصنعوا له قمعا من النحاس (لصب الخمر) على أن يكون مقبضه طويلا للغاية، على درجة شديدة من الصلابة، بحيث يمكن استخدامه (اذا مادعت الحاجة) للضرب والقتال. وجلس مع أمير طاى يشربان الخمر، وقد همس فى أذنى النادل، قائلا: "إذا مالعبت الخمر بالرءوس، فهات لنا أقداح الحساء الساخن، ثم ارفع مقبض القمع وانزل به على رأس الامير فاقتله وأجهز عليه". فلما راقت الخمر وصفا الشراب واهتزت الرءوس بالنشوة، طلب الملك أطباق الحساء، فدخل الطاهى بأوعيته وأدواته،

وماهى ألا لحظة حتى هوى بالمقبض الصلب على رأس الامير، فصدع يافوخه، ونثر دماغه فوق الأرض، فلما سمعت أخت الملك بخبر موته تناولت دبوسًا مدببا كانت تشبكه فى شعرها، فغرسته فى عنقها فماتت منتحرة؛ ولذلك فقد (ظل أحد الجبال – حتى اليوم – يسمى بـ جبل "موجى" [أى: جبل الدبوس المدبب]) ولا يخفى سر التسمية عن الجميع، بما فيهم المقيمين لدى سفح الجبل المذكور.

ما أشبه ملك جاو بالذئب المنهوم (الذى لايرده عن الافتراس أى اعتبار) حتى تناءت الناس عنه، وتنكب طريقه السائرون، وهو أمر لا يخفى عن جلالتك (مثلما لا تخفى عنك أسبابه) فكيف بك وأنت تريد مصادقته وتوطيد الثقة معه؟ قد سبق لدولة جاو أن أعلنت الحرب على يان، وحاصرت أسوار العاصمة مرتين، على سبيل التهديد وإلقاء الرعب فى نفس جلالتك، ولم تنسحب إلا بعد تنازلك لها عن عشرة مدن، وقد توغل ملك جاو فى منطقة "ميانشى" يريد السفر إلى دولة تشين؛ بغية إهداء حاكمها أرض "هجيان" (مابين الانهار) استرضاء لها، واعترافا بطاعتها، فإذا عنّ لك التغاضى عن خدمة تشين، فسوف ترسل جيشا يقتحم (مناطق) "يونجون" و"جيوان" فيطرد قوات دولة جاو، تمهيدا لمهاجمة يان. فمن ثم تفقد نفوذك فوق أرض "إيشوى" و"تشان تشنغ" [السور الأعظم] ثم إن ملك جاو، يبدو وكأنه مجرد موظف لدى بلاط تشين، وبالتالى فلا يملك قرار الحرب والهجوم (كيفما شاء، وحسب مايحلو لجلالته..) فعليك بالإسراع إلى تشين معترفا بطاعتها ومكانتها، فتسعد بك وتتهللّ بذهابك إليها وتصبح أثيرا لديها، ربما أكثر من ملك جاو، الذى لايكاد يملك من زمام أمر الحرب شيئا، وهكذا، تجد دولة يان العون من الجهة الغربية (حيث تقع تشين الزعيمة القوية) أما فى الجنوب فيكمن الخطر (حيث تقع الدولتان تشى، جاو)؛ ولهذا فأرجو أن تتأمل الأمر جيدا!"

ثم مالبث ملك يان أن قال: "نحن نقيم بأقصى أطراف البلاد (حيث الهمجية والوحشية أكثر انتشارا) ورجالنا أشبه بالأطفال، (ليست لهم مهابة الرجال ولا أفكار الناضجين الذين تقودهم عقولهم نحو الوعى السليم والرأى الصحيح) وليس لهم من الحكمة ما يحسمون به أمر بلادهم وحياتهم، ولئن أتاح الحظ أن استنير بحكمتك وأستمع

إلى نصائحك القيمة، فاسمح لى بأن أطلب إليك المساعدة بشأن التوجه غربا؛ لتقديم اعترافنا بسيادة دولة تشين، بالإضافة إلى ماقد نويته من إهدائها المدن الخمس الكائنة بالقرب من جبل هوان".

لما ذهب "كونتا" موفدا إلى دولة

ذهب "كونتا" [من دولة جو، لكنه كان ـ وقتئذ ـ يشغل منصبا حكوميا رفيعا بدولة يان] إلى دولة وى، موفدا فى مهمة خاصة لخدمة دولة يان، وحدث أن ملك وى لم يقبل منه ماجاء بشأنه (لم يأخذ بما عرضه عليه من خطط سياسية) بل إن جلالته حبسه عنده عدة أشهر، فذهب أحد الضيوف (النازلين - رسميا - لدى بلاط وى) إلى الملك، وقال له: "لماذا لم تنصت إلى مقالة مبعوث دولة يان؟" فأجابه: "لأن يان مالبثت أن وقعت بها اضطرابات داخلية" فردّ عليه الضيف: "لما أراد الملك طانغ (آل شانغ) مهاجمة الطاغية "جيه" (آل شيا) فقد كان يرجو وقوع اضطرابات داخلية فى دولة شيا، فمن ثم كان وقوع مثل تلك القلاقل مشجعا للدول الأخرى على اقتطاع أجزاء من أراضيها، أما البلاد التى تتعرض لعدة اضطرابات خفيفة، فمن السهل مساومتها للحصول على كنوزها وثرواتها النفيسة، وهاهو ذا "كونتا" لايفتأ يردد جملة، مفادها:.. مهما تطلب الامر، فأنا على استعداد لعمل أى شىء يطلب منى مقابل إقناع ملك وى بالاستماع إلى آرائى، حتى لو تطلب الأمر أن أبذل لجلالته أنفس الجواهر، أو أن أحصل له على أى قدر من الأراضى.. فلماذا لاتستدعيه بنفسك (وتستمع إليه؟)" فتهلل وجه ملك وى، وأمر باستدعاء الرجل، ثم سمح له بالعودة إلى يان.

لما سافر سوتشين شمالا لمقابلة

[فى نسخة أخرى ورد ما نصّه: "مات سوتشين، فأكمل أخوه مسعاه وسافر إلى يان".. وهو تدوين غير صحيح وسيرة باطلة، والنص الصحيح هو ما نذكره فيما يلى.. (المحققون)].

سافر سوتشين شمالا؛ لمقابلة جلالة الملك "تشاو" حاكم يان، وقال لجلالته: "لست، يامولاى، سوى رجل بسيط من دولة جو الشرقية، وقد بلغنى، على نحو خفى، ماتناقله الناس عن شريف توجهاتك وعظيم أفكارك التى تلائم طبائع البشر، وتنسجم مع فهمهم وأقدار عقولهم، ولما كنت غفلا ساذجا لاأكاد أصلح لشىء، فقد ألقيت بالفأس والمنجل جانبا، وهرعت إلى أعتابك السنية، متجاسرا على طلب اللقاء بك، فلما بلغت (العاصمة) هاندان، سمعت الأفواه تلهج بالثناء عليك، وبلغنى ماأثار بى الشوق للحضور إليك، فحزمت أمرى، وثنيت عنان العزم إلى أبواب قصرك، فلما طالعت أحوال وزرائك والعاملين مع جلالتك، أيقنت أنك مكين الرأى، صائب الحكمة" فردّ عليه الملك، قال: "فما هى الطريقة التى تؤكد لك أن المرء مكين الرأى، صائب الحكمة (على حد قولك)؟" فأجابه: "قد بلغنى أن الرجل السديد الرأى، ذا الحكمة والبصيرة السليمة لابد أن يتعلم من أخطائه، لا من شواهد أقداره وحسن بلائه، ولتأذن لى بأن أذكر طرفا مما وقعت فيه من أخطاء، فقد كانت دولتا تشى وجاو، من ألد أعدائك، بينما كانت تشو، و وى من أحسن أعوانك، وإذا بك – اليوم – تعترف بسيادة ونفوذ أعدائك وكارهيك، ثم تهاجم مسانديك ورفقاءك، وهو مالا نفع فيه لبلادك. فتأمل قليلا ذلك المسلك، تكتشف ثغراته وهفواته؛ وإذ لم يسبق لأحد من وزرائك مفاتحتك فى ذلك وإبداء النصح السديد لك، لا أظنهم أخلصوا الخدمة والعون كما ينبغى". فقال الملك: "(اعلم) أنى لا أضمر أية نوايا لمهاجمة تشى وجاو" فقال شوتشين: "لكن إثارة الشك لدى الآخرين دون سند حقيقى من التخطيط ضدهم يعد مسألة على جانب كبير من الخطورة؛ (وبالمقابل فإن..) تدبير الخطط ضد الآخرين (وترك الأبواب مفتوحة أمامهم للاطلاع عليها..) يعد من قبيل الحماقة الشديدة؛ كما أن اطلاع أطراف خارجية على تخطيط لم يدخل حيز التنفيذ، يعتبر من أخطر المخاطر جميعًا.

وقد عرفت أنك لاتهنأ بأوقاتك، ولا يلذ لك طعام، لما يشغل تفكيرك من الرغبة فى الانتقام من دولة تشى، حتى أنك قد أعددت درعك بنفسك [استعدادا لساعة المواجهة] وأخذت تخاطب السماء بأن تنتقم لك فى الموعد القريب، وأمرت زوجتك أن تساعدك فى إعداد الملابس المناسبة للقتال فهل هذا صحيح؟" فأجابه الملك: "مادمت قد سمعت

طرفا من ذلك الخبر، فلن أخفى عليك شيئا! فقد تعمّقت الكراهية بينى وبين دولة تشى، وقد مرّت علىّ سنتان وأنا أفكر في الانتقام؛ وأذكر لك بوضوح وصراحة إنها خصمى اللدود؛ فلذلك أفكر في الانقضاض عليها، ولايمنعنى من ذلك سوى ضعف أحوال البلاد، وتواضع حجم قواتها، فإذا استطعت أن تقدم لنا يد العون في الانتصار على تشى، فسوف أطلق يدك فى شئون البلاد (وأجعل بيدك زمام أمورها)".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وأجابه سوتشين، قال: "إن عدد البلاد المحاربة (التى تحت السماء) لا يتجاوز السبعة (الكبار الاشداء) الأكثر قوة – من بين الممالك جميعا – ودولة يان هى أقلهم قوة، ولن تكسب حربًا لو دخلتها منفردة، أما اذا كان لها السند الذى تتقوى به فلن تعدم الغلبة؛ ففى الجنوب دولة تشو ذات الأهمية البالغة، وفى الغرب توجد تشين، بكل ماتنعم به من أنوار القوة والرهبة اللامعة، فلا تخطئ مكانتها العين، وإذا اتخذت لك نصيرا من المنطقة الوسطى، فهناك وى وهان، حيث لاتنقصان قدرا وقوة، وبالإضافة إلى ذلك فلو كانت الدولة التى تنوى الاعتماد عليها تملك – حقا – مقومات الفوز بالمكانة الجديرة واللائقة بين الممالك، فسوف يعود عليك ذلك بكثير من التقدير أيضا (وإذا تأملنا أحوال دولة تشى، الآن، لوجدنا أن..) حاكمها قد صار شيخا مسنًا، أهلكته الحرب – التى خاضها بمفرده – مع دولة تشو، لا سيما، بعد قتال دام أكثر من خمس سنوات، تبددت فيها الأموال وحواصل الغلال. هذا، بالإضافة إلى محاصرته لدولة تشين – غربا – لمدة بلغت ثلاث سنوات، حتى نزلت بشعبه أسوأ الأزمات، وعانت قواته الإنهاك وعسر الأحوال، ثم إذا اتجه شمالا لحرب دولة يان، عاث فيها وفى تخريبها مدة ثلاث سنوات، وقام بأسر اثنين من أحسن قادتها العسكريين (ولم يكتف بذلك، بل قصد نحو الجنوب، حيث..) اتجه بما تبقى من قواته لهزيمة دولة سونغ (القوية التى كانت تملك خمسة آلاف مركبة عسكرية) فاحتل نهر "هواى" وعشرين دولة تقع بين نهرى هواى و"سيشوى" وكان ذلك كلّه من جملة ماطمح ملك تشى إلى تحقيقه، لكنى لا أعرف كيف سيمضى

فى مشوار هجومه واحتلاله لأراضى الغير بعد أن أصاب الإنهاك شعبه، فتدهورت قواه وانحلّت عزائمه! لا سيما وقد قيل إن طول أمد الحرب وكثرة المعارك تورث الناس الضنك والسأم، بالإضافة إلى ماتجنيه على القوات المتحاربة من الفتور والتعب".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وقال ملك يان: "قد بلغنى أن دولة تشين تتميز أرضها بوجود موانع طبيعية تتمثل فى نهرى جيشوى والنهر الأصفر، كما أن لديها المناطق الحدودية الآمنة بما قام بها من حصون دفاعية طبيعية: مثل السور العظيم و"جيوفانغ" [الباب الدفاعى] فهل هذا صحيح؟" فأجابه سوشتين: "ما لم تسنح الفرصة الملائمة (ويكون المناخ الطبيعى مواتيًا وعنصرًا فاعلا فى الدفاع عن البلاد) فما فائدة الأنهار والبحار (بوصفها موانع طبيعية)؟ وإذا ضعفت روح المقاومة وانحطّت الهمم والعزائم (لدى الناس) فما النفع فى الحصون والأسوار والجبال والحدود الدفاعية الآمنة؟ وقد كانت المنطقة الواقعة غرب نهر جيشوى، فيما مضى من الزمان، فى مأمن من الهجمات المعادية (بما أخذت من أهبة الحذر والحيطة ضد إمكانية الاختراق من جانب دولة جاو) وكذلك كانت المنطقة الكائنة شمال النهر الأصفر بعيدة عن كل نذر الخطر، بسبب ما اتخذ من إجراءات للسيطرة على الفوضى الداخلية.

إن الطغاة والمستبدين من حكام الممالك لن يكترثوا لتدبر الخطط الدقيقة، كما أن رجال الدول المفككة والمتداعية سيتكالبون على النهب والسرقة (دون أن يردعهم رادع)، فإذا كنت يامولاى، ستهمل شأن إخوتك وتفرط فى جانب الرحمة والعناية بأولادك وتسلمهم إلى دولة تشى بوصفهم رهائن سلام، وتقدم الهدايا النفيسة رشوة لرجال البلاط فى تلك الدولة، فهى لن تنسى جميلك، وستقدر مسلكك بكل امتنان، ويسهل عليها – بعدئذ – الفتك بدولة سونغ، وهو ما يعنى أيضا، أنه سيصبح من السهل على دولة يان أن تقوم بتدمير تشى" وهنالك قال له ملك يان: "قد أدركت أخيرا أنك تتصرف بإلهام وتقدير سماوى"، فردّ عليه تشانغى، قال: "إذا مااستفحلت الاضطرابات،

فى الداخل، واشتد التنازع وعمت الفرقة، عجز الجميع عن مقاومة العدوان الخارجي وليس عليك، ياسيدي، ســوى أن تحاول مقاومة دولة تشي، ومن ناحيتي، فسأحاول بشتى الطرق أن أزرع الفتنة والخلاف داخل دولة تشي نفسها، وفى عقر دارها، فتنبت عوامل الاضطراب والفوضى، ومن ثم تتهيأ الظروف لتدميرها، فلا تقوم لها، بعد ذلك، قائمة".

لما تولّى الملك "كواى" العرش

بعد أن تولى الملك "كواى" عرش الحكم فى دولة يان، وردت الأنباء من دولة تشي، بأن سوتشين قد قتل، وكان المذكور - أثناء إقامته بدولة يان - قد دخل فى علاقة مصاهرة مع رئيس وزرائها "تسيجى"، وكذلك صار أخوه "سوداى" من أقرب الناس مودة لرئيس الوزراء، فلما مات سوتشين، أسرع الملك شيوان - حاكم تشي - بتعيين سوداى فى وظيفة رسمية، وفى العام الثالث من حكم الملك " كواى" قامت دولتا يان وتشو، بالاشتراك مع الدول الثلاث: هان وجاو، ووى؛ بمهاجمة دولة تشين، ثم إنهم لاقوا هزيمة منكرة، وانقلبوا خاسرين، وكان "تسيجى" وقتئذ، رئيسا لوزراء يان، حيث كان مهيمنًا على الأحوال قابضًا على زمام الأمور، سائرا بالبطش والاستبداد فى الرعية (وفى ظل نفوذه ورئاسته) تم إيفاد سوداى إلى دولة يان، ممثلا لدولة تشي، فلما مثل بين يدى ملك يان، سأله جلالته، قائلا: "كيف حال الملك شيوان؟" فأجابه: "لا أظنه قادرا على ارتقاء ذرى السلطة النافذة فوق الممالك"، فلما سأله الملك عن السبب فى قوله هذا، أجابه: "لأنه لايثق فى وزرائه" وكان سوداى يقصد بذلك أن يحث ملك يان على الاهتمام بأمر تسيجي وتعظيم قدره، وهو ما انتبه اليه جلالته، بالفعل، وأولاه ثقته. فلم ينس تيسجى هذا الفضل وبذل لـ سوداى الصلات والهدايا الثمينة [حرفيا: أهداه مائة مثقال من الذهب؛ علمًا بأن دلالة الأرقام فى الصينية القديمة - وفى مثل هذا السياق - ليست حسابية وإنما بلاغية؛ فهو هنا لا يقصد مائة مثقال عداً، بل يريد معنى الكثرة البالغة]، وصار يعمل بنصائحه ويمتثل لتوجيهاته.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وتحدث "لوماوشو" [كبير وزراء يان] إلى ملك يان، فقال لجلالته: "أرى أنه من الأفضل أن تجعل لـ"تسيجي" السلطة العليا في ترتيب شئون الدولة؛ فما استحق (الإمبراطور المقدس) "ياو" أن يوصف، على مرّالتاريخ، بالحكمة والفضل، إلا لأنه أطلق يد "شيو" في شئون الممالك، وعلى الرغم من أن المذكور امتنع عن قبول المنصب، فإنه تنازل له عن الحكم مخلّداً اسمه بالذكر الجميل (.. أي أنه على الرغم من التنازل له عن إدارة شئون البلاد، فإنه بقي محتفظًا بالسيادة على مر التاريخ) وأرى أن تجعل لـ"تسيجي" السلطة المطلقة فوق البلاد، وهو ماسيرفضه (أدبا وحياءً) فيشيع لك الذكر بحسن التصرف والحكمة والكياسة، مثلما شاعت سيرة الحكيم الأول "ياو" " فما كان من ملك يان، إلا أن قام بتسليم زمام السلطة ليد تسيجي، الذى عظمت مكانته وتنامى نفوذه، فذهب إلى ملك يان، من قال له: "لما قام الملك الحكيم "يو" بتقليد السلطة لـ"بويي"، فقد أمر له بمن يقوم على خدمته فى ترتيب شئون الحكم وعيّن "تشى" مساعداً رسميًا له، فما شاخ "يو" وتقدمت به السن، اقتنع بأن المذكور (تشى) لايصلح لشئون الحكم، ولايملك مؤهلات الترقي ليكون مسئولا، فيما بعد، عن تسيير دفة السياسة العليا في البلاد، وعلى ذلك فقد أوكل زمام السياسة العليا لـ بويي، فذوب عليه قلب تشى، فجمع إليه أشياعه، فتربّصوا بـ بويي حتي قتلوه، واستولوا على السلطة (وأما بالنسبة لما أريد قوله لك..) فإنى أرى أنك قد أوكلت شئون الحكم – اسميا فقط – إلى تسيجي، لكن النفوذ الحقيقى مازال بيد سمو الأمير"، وعلى إثرذلك، فقد قام ملك يان بسحب الخاتم الرسمى الخاص (بالراتب الممنوح للمسئول الرسمى) وسلّمه ليد تسيجي، الذى أعلن لنفسه اللقب الملكى، وباشر بنفسه ترتيب شئون الحكم، وكان ملك يان (الرجل العجوز) قد شاخ جدا وعجز عن القيام بمهام سلطته، فاكتفى بمنصب وزارى، على حين أسند النظرفى شئون البلاد العليا إلى تسيجي.

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وقام تسيجى على إدارة السياسة العليا فى يان، فما كادت تمر ثلاث سنوات، حتى اضطربت الأحوال، وعمت الفوضى كل الأرجاء وعانى الأهالى كل ألوان الضنك. وأخذ القائد العسكرى البارز "شيبى"، مع سمو الأمير"زيبين" يعدان العدة لمهاجمة تسيجى، فذهب "تشوزى" [رئيس وزراء دولة تشى] لمقابلة الملك شيوان – حاكم تشى – وقال لجلالته:"مارأيك فى أن تنتهز هذه الفرصة، فتهاجم دولة يان، فما أظن إلا أنك منتصر"، فأرسل الملك إلى الأمير زيبين مبعوثا، يقول له:" قد بلغنى أن سموك تقوم بمراجعة شئون الحكم فى البلاد وأنك على وشك إلغاء نظام "السلطة الخاصة" وإحلال نظام "السلطة العامة" محلها، بالإضافة إلى مراجعة وضبط اختصاصات الوزراء والملك، وتصحيح اللوائح المتعلقة بسلطات الملك والأمير، (وأبلغك) بأن بلادى ضئيلة الحجم، محدودة المساحة (ولا تملك مثل مالديكم من المزايا) ومع ذلك فيسعدنى أن أعرب لسموكم عن استعدادنا للعمل وفق مشورتكم والاقتداء برأيكم [حرفيا: بأوامركم]".

(وكان الأمير فى تلك الأثناء) يعد أتباعه لأمر مهم، ويحشد الحشود وينظم الأتباع، بينما كان القائد العسكرى"شيبى" يحاصر القصر الملكي ويهاجم "تسيجى" الذى لم يستسلم، فحشد القائد العدد الغفير من الأهالى واقتحم بهم القصر وهاجم "تسيجى"، ثم حدث – فيما تلى ذلك من الأحداث – أن القائد شيبى لقى مصرعه، وجرى التنديد به وتجريسه علنا، واستمرت الفوضى العرمة تجوس أنحاء دولة يان طيلة أشهر، وزادت حصيلة القتلى عن عشرات الألوف، ولقى الناس الأهوال وكابدوا ما لامزيد عليه من المحن والشدائد، وتفرقت الأهالى أيدى سبأ.

الجزء الرابع من الفصل نفسه

وذهب "منكا" إلى الملك شيوان – حاكم تشى – وقال لجلالته: "هذه هى الساعة المناسبة لمهاجمة دولة يان، (وما أشبه الليلة بالبارحة) إذ كانت تلك – أيضا – هى الساعة التى انتهز توقيتها كل من: الملك أون، والإمبراطور "أو" فهاجما (الطاغية) تشو

(فيما مضى من أحداث الزمان البعيد) ولاينبغي أن تخطئ الفرصة السانحة". فأرسل ملك تشى القائد العسكرى "جانزى" على رأس قوات تشى، وقام بمهاجمة يان، مستندا، فى ذلك، إلى مظاهرة حاشدة من تأييد أهالى دولة تشى المقيمين بشمالى البلاد، ولم يبد مقاتلو دولة يان أى حماسة تذكر فى النهوض لرد العدوان، بل إنهم لم يغلقوا أبواب المدن (الرئيسية) ولقى الملك كواى - حاكم يان - مصرعه خلال الأحداث، وتم النصر لدولة تشى (حيث أخضعت البلاد تحت سيطرتها) ومات تسيجى بين من لقوا حتفهم.

لما طلب أخو سوتشين مقابلة ملك تشي

كان المدعو "سولى" (أخو سوتشين الأصغر) قد طلب مقابلة ملك تشى بخصوص المسائل المتعلقة برهائن دولة يان، ولما كان جلالة الملك يبغض سوتشين، فقد أراد أن يعتقل أخاه الأصغر سولى، ويلقى به فى غياهب السجن، فما كان من رهائن دولة يان إلا أن قدموا الاعتذار لجلالة الملك - باسم سولى - وطلبوا إليه الصفح عن المذكور، وانتهى الأمر على ذلك، ثم إن الملك أقره رسولا لشئون الرهائن (من رعايا دولة يان) ولما كانت هناك علاقة مصاهرة بين تسيجى، رئيس وزراء يان، وبين سوادى، فقد فكر رئيس الوزراء فى أن يستغل هذه العلاقة للاستحواذ على زمام السلطة فى البلاد، ومن ثم (كخطوة عملية نحو تحقيق هذا الهدف..) فقد أرسل سوداى إلى دولة تشى بصفته مسئولا عظيما عن شئون الرهائن، ثم إنه عاد من تلك المهمة ليرفع تقريره إلى دولة يان، والتقى بجلالة الملك كواى فسأله: "أتظن أن فى مقدور ملك تشى أن يظفر بمكانة عظيمة من النفوذ فوق الممالك؟"، فلما أجابه بالنفى، سأله الملك عن السبب فى ذلك، فأجابه: "لأنه لايثق فى وزرائه وكبار رجال دولته"، ولهذا السبب فقد أوكل الملك شئون الإدارة الحكومية إلى تسيجى، وبعد ذلك بفترة وجيزة تنحى عن العرش، فوقع الاضطراب فى البلاد ودبت الفوضى فى كل الأنحاء، وقامت تشى بمهاجمة يان وقتلت الملك كواى، وذبحت تسيجى، فساندت الأهالى الملك شاو وأنهضوه إلى عرش الحكم. وهكذا، فلم يجرؤ كل من سوادى وسولى على دخول دولة يان، وماليثا - فى آخر المطاف - أن عادا إلى دولة تشى، فأحسنت استقبالهما وأكرمت وفادتهما.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وكان سوادى قد مر فى طريقه بدولة وى التى أسرعت إلى اعتقاله - رعاية لمصالح دولة يان - فأرسلت دولة تشى إلى ملك وى، تقول لجلالته: "كانت دولة تشى قد ألحت فى طلب إقطاع أجزاء من أراضى سونغ للنبيل الماجد "جين يانجون" [أخو الملك تشاو، حاكم تشين، غير الشقيق] إلا أن دولة تشين رفضت هذه الطلب، ولم تكن تنكر أن فى اتحادها مع دولة تشى وحصولها على أراض من دولة سونغ مايمكن أن يعود عليها بالفائدة. لكن كل ما فى الأمر هو أنها لم تكن تثق فى ملك تشى، ولا فى سوداى. أما وقد حل الجفاء محل الود بين البلدين: وى، وتشى؛ فلم يعد ممكنا لدولة تشى أن تخدع دولة تشين.

وإذا قُدّر لدولة تشين أن تولى ثقتها لدولة تشى، وأن تقوم بينهما الوحدة، وأن يحصل الأمير جين يانجون على أرض دولة سونغ؛ فلن يكون هذا فى مصلحة دولة وى، وعلى ذلك؛ فإنى أرى أنه من الأفضل أن ترسل سوداى إلى تشى، وهو ماسوف يثير الشك فى قلب دولة تشين، فتنزع ثقتها من سوداى، وإذ يتعّذر قيام الوحدة بين تشى وتشين، وتتطور الاحوال على وتيرة هادئة، دون أية أحداث طارئة، بين الممالك، تتهيا الظروف، وتحين الساعة الملائمة لضرب تشى"، وعلى إثر ذلك، فقد أصدر ملك وى توجيهاته إلى سوداى بسرعة الذهاب إلى دولة سونغ التى احتفت بمقدمه وأكرمت ضيافته.

بعد أن استعاد الملك شاو أرض بلاده

بعد أن استعاد الملك شاو، حاكم دولة يان، أرض بلاده وهى حطام وبقايا دمار وأكوام مبعثرة، فقد باشر مهام منصبه، وكان أول ماأشرف عليه هو أنه (راح يعرض بنفسه..) الهدايا الثمينة والمكافآت السخية لكل ذى موهبة أو براعة (ليساعده على) الثأر والانتقام (من المعتدين على بلاده)، [بل إنه تنازل عن أبهة الملك، وذهب بنفسه..] للقاء "قاوى" [وزير التخطيط السياسى]، وقال له: "انتهزت دولة تشى فرصة وقوع الاضطرابات

الداخلية ببلادنا فهاجمت العاصمة، وكان واضحا أمامى مدى ماينقص بلادنا من عناصر القوة وضعف مقدرتها عن المدافعة والتحدى، غير أنى أرجو، الآن، أن أحشد معى الحكماء، ذوى النجابة لإصلاح أحوال بلادنا، بغية إزالة مالحق بكرامة مليكنا الراحل من انتقاض لم يكن يليق به، فقل لى، إذن، ما الوسيلة لتعبئة قدراتنا بهدف رد الاعتبار؟" فأجابه "قاوى": "الوسيلة المثلى لذلك، أن يجلس الأباطرة مع المعلمين الحكماء، وأن يلتقى الملوك مع الأصدقاء والرفاق، وأن يحتشد طلاب المجد (من رجال الحكم) مع الوزراء، بينما يجتمع (حرفيا: يوضع) أهالى البلد المنكوب بالاحتلال مع (موضع) الخدم والعبيد.

واعلم أنه ينبغى أيضا التواضع والتفانى فى خدمة كل ذى موهبة واقتدار. تطلّع نحو الشمال، واطلب العلم الوافر، يأتك من يتفوقون عليك علمًا (مائة ضعف أو يزيد)، اخرج فى طلب العلم أول النهار واخلد إلى الراحة فى مقتبل المساء، وليكن أول سعيك طلب النصح، وآخر أمرك التأمل والاعتبار، يقصد إليك من يفوقونك معرفة (بما مقداره عشرة أضعاف..) وإذا شهدت الناس يطلبون العلم، فاطلبه يأتك من يتساوون معك فى النجابة.

فإذا قعدت متكئا على مرفقيك [حرفيا: إذا اعتمدت بكف يدك على منضدة] وأخذت تشير بيد الأمر والنهى، منتفخ الأوداج مصعّرا خدك، فلن يقبل عليك إلا الخدم والأتباع (السوقة من الناس)؛ أما إذا أطلقت لنفسك عنان اللعب والمجون، فلن يقصد مجلسك إلا العبيد والأرقاء، فتلك هى مأثورات شيوخنا الأقدمين فى استقدام النابغين والنجباء، واستجلاب ذوى الكفاءة. فإذا استطعت أن تحسن اختيار الأكفاء، واستقدامهم من أنحاء البلاد المختلفة، وأن تذهب بنفسك لزيارتهم (والوقوف على أحوالهم) فيتسامع الناس، فى أنحاء الممالك، بصنيعك هذا، ويرددون فيما بينهم أنك تزور الحكماء وأهل العلم من رعاياك، وعندئذ يهرع إليك، من شتى البقاع، كل صاحب موهبة ومقدرة ونبوغ".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وقال ملك يان: "فمن – فى رأيك – الأجدر بإنفاذ العزم على زيارته؟" فأجابه "قاوى"، قائلا: "قد بلغنى إن أحد ملوك الزمان الغابر، أراد أن ينفق ألف مثقال من الذهب لشراء ألف جواد، وظل ثلاث سنوات يجتهد فى تحقيق غايته، دون جدوى. وتصادف أنه التقى بأحد الموظفين المسئولين عن النظافة العامة بالقصر الملكى، وكان قد تقدم إلى جلالته، وقال له: "أرجو، من جلالتك، السماح لى بالذهاب لشراء ألف حصان" فوافق الملك على طلبه، وبعد ثلاثة أشهر، كان الرجل قد استطاع أن يشترى الجياد الألف، إلا أنها نفقت عن آخرها (فما كان من الرجل إلا أن..) دفع خمسمائة مثقال فقط لشراء رءوس الجياد، ولما عاد، أبلغ الملك بكل التفاصيل، فغضب جلالته بشدة، قائلا: "ما أردت إلا الجياد الحية، فماالنفع فى رءوس جياد نافقة، ألهذا دفعت كل تلك التكاليف؟"، فأجابه الموظف: "إذا كنت قد اشتريت رؤوس جياد نافقة بخمسمائة مثقال من الذهب، فسيظن الناس أنك قادر على شراء أحسن الجياد (بأى ثمن) وهنالك فسوف تأتيك أحسن فصائل الجياد"، وماكاد ينقضى عام على تلك الواقعة، حتى بلغ عدد الأفراس الواقفة بباب القصر ثلاثة من أحسن فصيل.

فإذا كنت، يامولاى، تريد أن تستقدم أكثر الناس نبوغًا واقتدارا، فلابد أنهم سيفدون عليك، مهما بعدت بهم المسافات وطال السفر!"، وحدث أن الملك شاو، حاكم يان، قد أمر ببناء قصر فخم لوزيره "قاوى" وأسكنه فى أبهى مقام، وتردد عليه؛ لينهل من علمه الغزير، ويستزيد من نصائحه. (وتوافد النابغون على البلاد.. حيث) جاء "يوى" [أحد أعظم وأشهر القادة العسكريين بدولة يان] من دولة وى، كما جاء "تسويان" [أحد أهم الفلاسفة فى أواخر عصر الدولة المتحاربة] من دولة تشى، وجاء جيوشين [من أشهر الموظفين بالبلاط الملكى لدولة يان] من دولة جاو، وأصبح النجباء والنابغون يتوافدون على البلاد من كل صوب، أما ملك يان (فقد سار فى الناس بسياسة حسنة، فـ..) ماكان يهمل واجب العزاء فيمن توفى من الناس، ولاانقطع عن مواساة الأحياء، وكثيرا ما تقاسم مع الناس حلو الأيام ومرّها، فلما كملت له – فى الحكم – عشرون عاما،

كان قد توطّد عرشه، وفاضت لديــه ذخــائر النعيم، وصار يرفــل فى اليسر والرخاء، وترسّخت عزيمة جنده، واحتدّت نصال بأسه، وهنالك أصدر الملك قرارا بتولية يوى قيادة الجيش، ورتّب أمره بحيث يشترك مع تشين، وتشو و (دويلات جين الثلاث) فى التخطيط لمهاجمة دولة تشى. وحدث أن هذه الأخيرة لقيت على يديه أسوأ هزيمة، وفرّ حاكمها - الملك مين - إلى خارج البلاد، وطاردت قوات يان فلول دولة تشى الهاربة حتى بلغت منطقة "لين تسى" واستولت على كنوز تلك الدولة ونفائسها، وعاثت فى أرضها، حتى أحرقت معابدها وأتلفت مبانيها ومنشآتها الحكومية، ولم ينج من الدمار الشامل سوى مدينتين اثنتين فقط من مدنها، هما: "اينغ"، "جيمو".

لما قامت دولة تشى بمهاجمة سونغ

قامت دولة تشى بمهاجمة سونغ، فأوقعت بها الاضطراب ودفعتها إلى حافة الهلاك، فأرسل سوداى خطابا إلى الملك شاو، حاكم يان، يقول له فيه، مامفاده: "إن دولة يان تدخل فى عداد الدول ذات التسلّح الكبير بما تحوزه من عشرة آلاف عربة عسكرية، ومع ذلك فهى، تسكت على ماتتحفّظ عليه دولة تشى من رهائن، ولاشك أن ذلك من علامات التقليل من شأن يان وانتقاص سلطتها، (وهو أمر من شأنه أن يدعم من هجوم تشى على سونغ، بالإضافة إلى أنه يرهق كاهل الناس ويبدد الكثير من المال، بغير طائل، ويؤدى إلى تدمير دولة سونغ، واحتلال منطقة "هوابى" بدولة تشو، ويزيد فى الرقعة التى تحتلها تشى وتفرض عليها نفوذها؛ وباختصار، (فستكون النتيجة) تعظيم قوة العدو، وإضعاف طاقة بلادنا. وتلك النتائج الثلاث، تعد أعظم المخاطر التى تواجهها البلاد، ولا أرى إلا أنك متغافل عن ذلك، بل إنك تتصرّف على نحو يساعد على تفاقم الخطر، بما تقدمه من مساعدة لدولة تشى تتجاوز الأزمة (فى محاولة لكسب ثقتها) ولاأظن أن تشى على استعداد لبناء جسور الثقة القوية معك، بل العكس هو الصحيح، بمعنى إن كراهيتها لك ولدولة يان ستتعاظم عن ذى قبل، ولذلك، فإن وقوفك فى صف دولة تشى يعد مسلكًا خاطئا من كل الوجوه، لا سيما أن إنهاك قوى شعبك وتبديد

موارده المالية لايعود عليك بأى نفع، ولايحسب من بين مآثرك الجليلة، ثم إن تدمير دولة سونغ يوسّع جبهة الأعداء ويزيد فى مساحة التربّص العدوانى ويورث الأجيال مخاطر وأعباء (مواجهات متحفزّة)، وإذا ماجمعت وزن وقيمة دولة سونغ إلى "هوابى" وجدت أنهما أقوى من دولة تملك العدة والعتاد [حرفيا: دولة ذات عشرة آلاف عربة عسكرية] فإذا ما استطاعت دولة تشى ضم هاتين القوتين إلى أرضها، فمعنى هذا أنك ستكون أمام دولة تشى مضافة إلى قوتها ومضاعفة بما انضم اليها؛ ذلك إن أضافة (منطقة مثل): "جيوى" بمساحتها البالغة سبعمائة لي مربع، إلى دويلتى "لو"، و"ويه" يساوى ماقلت لك، آنفا، بأنه يناظر حصيلة قوة دولة ذات العدة والعتاد الهائل (.. بل أكثر من ذلك على وجه التقريب) فإذا مااستولت دولة تشى على كل ذلك، فيمكن أن نتصور أنها ضمت مايوازى مساحتها وقوتها الأصلية (بالزيادة المضاعفة) أى إنك ستجد نفسك أمام تشى ضعف نفسها مرتين تقريباً. وعندما تصير تشى بهذا القدر، فسيصعب عليك أن تتوازن معها أو تتكافأ مع ميزان قوتها، ثم إن "يان" – وحدها – بمواجهة تشى مضاعفة مرتين أو ثلاثًا، يجلب معه من المخاطر مالاقبل لك به".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وعلى الرغم من أى شيء، فمن المعلوم أن الحكيم يستطيع أن يجعل من وجه الخطر واجهة أمان، ومن داهم النذر بشير حظ طيب، وبشرى واعدة بإقبال الزمان، كما أن العاقل هو وحده الذى يستطيع أن يحيل الهزيمة إلى نصر، والإخفاق إلى نجاح باهر. وقد ذكر الناس إن أهل تشى يجيدون تحويل الأشياء القديمة من مقتنياتهم وأدوات الحياة حولهم (مما تقادم به العهد) إلى آلات عملية جديدة (وغالية الثمن) بما برعوا فى طلائها باللون الأرجوانى [.. فهذا مثال بارز لما يمكن تحويله إلى النقيض].

وقيل (فى الحوادث) إن الملك قوجيان (حاكم دويلة يوى) كان، لفترة من الزمن، مقيما بكهوف وأغوار جبل "كوايجى" متخذا لنفسه منها حصنًا منيعًا، لكنه تمكن فيما بعد، من (النهوض من عثرته) والقضاء على دولة "أو" وتنصيب نفسه إمبراطورا فوق الممالك،

فهذه كلها أمثلة على مايستطيعه الناس من تغيير النوازل المهلكة الى بشائر للحظ السعيد، ومن تحويل مرارة الهزيمة إلى حلاوة النصر. فهل تريد، يامولاى، أن تسلك على هذا المنوال؟ وأرى أنك لو كنت تريد أن تحيل الهزيمة إلى نصر، والانكسار إلى صمود، فدع دولة تشى تفرض سلطانها فوق الأراضى البعيدة، وأن تحرّضها على ذلك، وتثنى عليها باستمرار، ثم ترسل من عندك وفداً للتحالف مع آل جو، (في محاولة لقطع العلاقات بين تشين وأذنابها) وبناء اتفاق جديد يقوم على "ضرب دولة تشين" باعتباره خطة أساسية ذات أهمية فائقة، واسبتعادها ونبذها من محيط العلاقات بين الممالك. وإذ تجد تشين نفسها خارج دائرة الاهتمام والتأثير، فسوف تصبح عرضة للاعتداء، وهنالك يستولى الرعب على قلب حاكمها.

قد ظلت تشين منذ خمسة عهود، توالى الهجوم والاعتداء على الدويلات، لكنها اليوم أضعف كثيرا (بحيث تأتى في درجة القوة بعد تشين) ولابد أن القصر الحاكم، هناك، سوف يعزم على أن يسد كل الطرق المفتوحة أمام دولة تشى، بحيث يوقعها فى مأزق لامخرج لها منه، مهما كلفه ذلك من تضحيات.

فما دام الأمر كذلك، فماالذى يمنعك من أن ترسل (واحداً من أفراد الناس العاديين) فى محاولة للتأثير على تشين باستخدام فكرة الإيقاع بدولة تشى فى ورطة لامخرج منها، على أن يقال لملك تشين: (مانصّه) "إن دولتى جاو ويان، تريدان اقتحام دولة سونغ لتوسيع مساحة تشى؛ فى محاولة لاسترضائها، ولامانع لديهما من أن يعلو شأنها ويعظم نفوذها وسلطانها أكثر مما يتمتعان به من مكانة فلا غرو، إذن، أن يركعا عند أعتابها وتتراجع منزلتهما دونها، وهو مالايجديهما أى نفع (ولنتساءل..) عن السبب الذى يدفعهما إلى مثل هذا التصرف ويملى عليهما أن يسلكا فى هذا السبيل، وهما تعلمان تماما أنه لا فائدة تعود عليهما منه! وليست هنالك سوى إجابة واحدة، وهى عدم الثقة فى دولة تشين وحاكمها. فلماذا لاتبادر الآن، يامولاى، وترسل إلى دولتى يان وجاو من يحظى بثقتهما بحيث يقنعهما بالتحالف وتنسيق جهودهما معا، فابعث "جين يانغ" أو "قاولين" إليهما، (وارقب الحوادث عن كثب..) فإذا دهمت الخطوب دولة تشين، فيمكن أن تطلب إلى أحد الرجلين أن يبقى بوصفه رهينة لضمان السلام، وهى الوسيلة

التي يمكن أن تدخل بها الطمأنينة على قلب دولتي جاو ويان؛ بحيث تنظران إلى دولة تشين بعين الثقة. وإذ يصبح ملك تشين، سيداً على المنطقة الغربية؛ وملك جاو زعيمًا على المنطقة الوسطى، وحاكم يان مهيمنًا على المنطقة الشمالية، فسوف تنعقد للحكام الثلاثة ألوية السيادة المطلقة فوق الدويلات والأمم؛ فإذا أبدت هان أو وى العصيان، هاجمهما ملك تشين، وإذا تمردت دولة تشي، قامت كل من يان وجاو بشن الغارة عليها. فمن ذا يجسر بعد ذلك، على شق عصا الطاعة؟

لاشك أن الجميع سيخضع بالإذعان، ثم إن الظروف ستدفع دولتي وى وهان إلى مهاجمة تشي، ويطالبانها بإعادة أرض سونغ وأرض "هوايبي" [التابعة لدولة تشو] وهو مايمثل مكسبا عظيما لكلا الدولتين (إذا ماتحقق، فعلا، وعادت الأرض المطلوبة!). إن إقامة الزعامات الثلاث هو الأمل الذى تصبو إلى تحقيقه الدولتان يان وجاو. وهو أيضا الأمل الذى إذا تحقق، فإنهما سوف تتمردان على دولة تشي، ويتخليّان عنها كم يتخلّى المرء عن الحذاء المهترئ البالي.

إن عدم إقامة الوحدة بينك وبين يان وجاو، يجعل دولة تشي تنجح فى تقلد زمام السلطة العاليّة ويصبح ملكها إمبراطورا ذا شأن. وعندما تخضع له الممالك بالطاعة، وتأبى جلالتك أن تذعن له، فسوف تتسبب بهذا المسلك في تعريض دولة تشين لخطر الهجوم، لكنك إذا سايرت باقي الدويلات في الخضوع لملك تشي، فإن مثل هذا التصرف خليق بأن يقلل من شأنك، ويودى بسمعتك.

كما أن امتناعك عن الوحدة مع يان وجاو سيجلب عليك نفس النتيجة، ويعرض البلاد للخطر، لكن اتحادك معهما يرفع كثيرا من مكانتك ويبجل قدرك، ويحمى البلاد بمظلة الأمان والاستقرار، (وبالطبع) فلايمكن للعاقل الحكيم أن يضحى بمكانته واحترامه استجلابًا للصغار والضعة، واستنفارًا للكوارث والنوائب".

فما إن تُلقى مثل هذه الكلمات على مسامع ملك تشين، حتى تنغرس أشواك الألم فى صدره ويغوص القلق كأسياخ الحديد فى قلبه، فلماذا لاتبادر، على الفور، إلى إرسال أحد النجباء إلى دولة تشين ليبلغهم بتلك المقالة؟ ولا أظن أن ملك تشين

يمكن أن يقعد عن مهاجمة تشي، بل سيهرع إلى شن الغارة عليها. إن الاتحاد مع تشين يعد أرفع مستوى من العلاقات الودية والرسمية، ومهاجمة تشي هي الوسيلة إلى اجتناء المنافع الحقيقية. (فاعلم) أن احترام المستويات الفائقة من العلاقات الودية، والسعي لتحصيل المزايا والثمرات النافعة جزء أساسي من منهاج الأباطرة الحكماء".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

واعتبر الملك شاو، حاكم يان، أن خطاب سوداي جيّد المعنى، سديد الفكرة، رائع الصياغة، فتحدث قائلا: "كان الملك الراحل [حرفيا: والدنا الملك السابق] ذا أياد كريمة على سوداي، الذي ماكان يمكن أن يغادر البلاد إلا بسبب ماحدث من قلاقل (على يد تسيجي) ولابد لدولة يان أن تثأر لنفسها من تشي . ولذلك فلا غناء لها عن الاستعانة بما يمكن أن يقدمه سوداي من مساندة" ومن ثم، فقد استدعى سوداي، وبذل له الصلات الوافرة، وأكرم وفادته. وراح يعد معه خطط غزو دولة تشي، حتى تم له ذلك وأنزل بها هزيمة مدوية، ففرّ حاكمها، الملك مين، خارج البلاد.

لما تحدث سوداي إلى الملك شاو

تحدث سوداي إلى الملك شاو، حاكم يان، فقال لجلالته: "لو كان بيننا، الآن، رجل يقوم على خدمتك بكل البرّ والاخلاص [على نحو ماشتهر به"سنغ سن" و "شياوجي"] وبمنتهى الثقة، [مثل"ويشن"] وغاية النزاهة والاستقامة [على غرار مااستقام عليه، كل من: "باوجياو"، "شي تشيو"] ترى كيف كان يمكن أن يكون الحال؟" فأجابه الملك: "لو تحقق ذلك التصور لكان فيه الكفاية" فأسرع سوداي بالرد، قائلا: "لو كان في ذلك الكفاية، لما كانت بي حاجة لخدمتك، وماكنت أستطيع أن أنجز أمرًا ذا قيمة، سوى أن أذهب إلى أرض جو، فأحرث الأرض وأسقي الزرع وأغزل الثياب وأتناول ماتيسر من الطعام" فلما سأله ملك يان عن السبب في قوله هذا، أجابه: "لأن البارّ بأبويه، المخلص لأولياء أمره مثل "سنغ سن"، و"شياوجي"، ليس إلا ابنا رحيما بالوالدين، غاية أمره أن يعولهما

(لاأكثر ولا أقل، من ذلك)، أما الأمين، الحافظ للثقة، الوفى بالعهد، فليس إلا مخادعا! بيد أن النزيه، طاهر الذمة، المتعفف عن الطمع فيما لا يملك، لا فضل له سوى الزهد والامتناع عن سرقة ممتلكات الآخرين. لكنى أتأمل الأحوال جميعا، وأجدنى أكثر ميلا لروح المبادرة ونوازع الطموح، وأرى أنه لايمكن للمرء أن يجمع فى نفس واحدة بين النزاهة ورفعة الشأن، وبلوغ الحظوة والجاه العظيم، كما أنه يستحيل أن تمضى الثقة مع الحياة فى طريق واحد، أما البرّ والرحمة والطاعة فليست سوى قواعد (أخلاقية) للتهذيب الذاتى، لكنها أبعد ماتكون عن دوافع وغايات المبادرة والطموح".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

فقال له ملك يان: "ألا يكفى الإنسان أن يسعى للتهذيب الذاتى والتجمّل بأحسن الأخلاق؟" فأجابه سوداى: "إذا اعتبرنا أن التخلّق بالفضائل يكفى تماما، فلن تخرج دولة تشين بقواتها من الحدود الحصينة القائمة عند جبل شياو، ولن تقدم دولة تشى على تحريك قواتها من منطقة "إينغ تشيو" وكذلك لن تبادر دولة تشو إلى دفع قواتها عبر نهر "جوجانغ" (وفى الحقيقة، فما كان..) للملوك الثلاثة [الأعظم شهرة فى التاريخ القديم] أن يتلاحقوا على عرش الحكم، خلفا فى إثر سلف، ولا للأباطرة الخمسة أن يتداولوا لواء السطوة النافذة فوق الممالك لو كانوا جميعا مدفوعين لتحقيق التهذيب الأخلاقى والتحلّى بالفضائل. ولو كان مثل ذلك المسعى للتجمّل بالأخلاق مطلوبًا لذاته، وفيه كل غناء وكفاية، لكنت قد عدت إلى بلدتى (فى دولة جو) أحرث الأرض وأزرع الحقول، دون أن تكون بى حاجة إلى المجيء إليكم وإزعاجكم بوجودى بينكم!

كانت دولة تشو، فيما مضى من الزمان، قد احتلت منطقة "جانو"، فما كان من أمراء الدويلات إلا أن هرعوا لتقديم الطاعة لدى البلاط الملكى، ولما احتلت تشين منطقة جبل "شى"، أسرع أمراء الممالك إلى أعتاب القصر الحاكم لتقديم التحية والطاعة. ولولا أن قمت بسحب قواتك من أرض "شاندى" [بدولة جو] لما استدار الأمراء بعرباتهم ومواكبهم متجهين صوب بلد آخر (يقدمون له أسمى دلائل الطاعة والخضوع).

وقد بلغنى إن القائم على ضبط شئون الحكم يبدأ بتأمل مساحة بلاده، ثم يراجع مدى ماتملكه من قوة عسكرية، ليسلك بذلك أول طريق النجاح وإنجاز المآثر الباهرة. أما أولئك الذين تنقصهم الدراية والوعى بترتيب شئون الحكم، فإنهم يعجزون عن تدبر تلك الأمور، ومن ثم لايستطيعون تقدير قدراتهم القتالية، فلا يتحقق لهم إنجاز يذكر. (ومن الواضح تماما) أن جلالتك تفكر جدياً فى الاتجاه شرقا لمهاجمة دولة تشى، تلك مسألة أدركتها بذكائى المتواضع وتفكيرى الضحل".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وقال ملك يان: "وكيف عرفت ذلك؟" فأجابه سوداى: "لطالما رأيتك تطلع إلى قمم الجبال متقلداً سيفك أو ممسكا رمحك، وعلى وجهك أمارات الترقب والتحفز؛ ففهمت مقصدك، واعلم أنه لا غنى للبطل الصنديد، أو حتى، لرافع الأثقال والحديد، عمن يسانده ويشد أزره. ثم إنه من الواضح أن دولة تشى يمكن أن تتلقّى الضربة القاضية مما يعجل بنهايتها المحتومة، لا سيما أن دولة سونغ، الواقعة إلى غربها، قد حشدت الحشود وعبأت القوات، هذا بالإضافة إلى أن قوات دولة تشو – الكائنة إلى الجنوب منها – ليست بالقدر الذى يؤهلها لمساندتها بسبب ما أصابها من الإرهاق، بل يمكن كذلك احتلال منطقة "هجيان" – من أراضى تشى – بالكامل، وذلك على الرغم مما يميز قواتها من التفوق والاقتدار وما تحوزه من التسلح والقوة" فقال له الملك شاو: "هذا عظيم جدا، ومادام الأمر كذلك، فاسمح لى بأن أعينك فى منصب "الوزير الأكبر" وأبعثك على رأس القوات والخيالة [حرفيا: مائة عربة عسكرية وعدد وافر من راكبى الجياد] صوب دولة تشى – جهة الشرق – لتتكلم معها، بالإنابة عنى، حسبما تكلمت أنت به الآن، عسى أن تستطيع زرع بذور الفتنة والخلاف (بين الأطراف المتصارعة) فما رأيك؟" فرد سوداى، قائلا: "أعرف أنك ماكنت لتتكرم على بهذا الإنعام إلا لما أغدقت به على من العطف والود، وكم كنت أود أن ينال قدرا من هذا التكريم أحد من ذوى قرباك أو من أولادك وأحفادك (الذين لا يقدورن على المشى)؟ فمن أكون أنا حتى تمنحنى هذا التكريم

دونهم جميعا؟ إننى ما أقمت بين ظهرانيكم ولابقيت فى خدمة جلالتك، إلا اجتهادا فى الأخلاص وحرصا على الفوز بثقتك، وهو - وإن كان يسعدنى بما ألقاه على يديك من التقدير والتكريم، إلا أنه يشقينى بما أخشاه من مقت حاشيتك وكراهية أتباعك".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

وأجاب عليه ملك يان، قائلا: "منذ متى كان التفانى والجد وبذل كل الجهد وتبيان أوجه المهارة والبراعة، جالبا للمقت والكراهية؟" فأجابه سوداى: "أئذن لى بأن أضرب لجلالتك، مثلا على ذلك؛ فمما يحكى فى القصص المأثورة عن وقائع حدثت بدولة تشو، منذ زمان، فى منطقة اسمها "شاندى"، أن أحد الموظفين الكبار - من المتزوجين - اضطرته الظروف أن يغيب عن بيته ثلاث سنوات كاملة، وكان يعمل فيها خارج البلاد، فنشأت علاقة سرية بين زوجته وبين أحد الأشخاص، وكان لما انفرد بها، ذات يوم، قال لها: "قد أوشك زوجك على العودة، فما العمل إذن؟" فأجابته :"لا تخش شيئا فقد أعددت السم فى الدواء، وسأناوله له بعد أن يجئ". فلما حضر بعد غيبته، أمرت الزوجة الخادمة أن تخلط السم بالدواء وتناوله إياه، فلما مشت بالكوب إليه وهى تعلم ما انطوى عليه طى الخفاء، ناجت نفسها قائلة. .إذا أعطيته السم مات، وإذا صارحته بحقيقة الحال، طرد المرأة الزوجة؛ فلاهذا بالرأى ولاذاك، وإنما الأفضل أن أتظاهربأنى تعثرت فى بعض الطريق، وأرتمى على الأرض فينكسر القدح وينتهى الأمر.

وبالفعل فقد مضت الأمور على هذا النحو؛ إذ إنها تظاهرت بالتعثر، فوقعت الكأس وانكسر، وقالت الزوجة: "(لزوجها وهى تكلمه:)"كنت قد أعددت لك قدحا من خمر معتقة، احتفاء بقدومك سالما بعد مشاق السفر ووعثاء الطريق، لكن الخادمة كسرت الكأس وأراقت الشراب" فما كان من الزوج الغافل إلا أن قام إلى الخادمة فقيدها وضربها. (والعبرة المستفادة من ذلك..) أن التفانى فى الإخلاص كاد أن يودى بالخادمة، وهو السبب فيما لاقته من التعذيب. وها أناذا الآن أشق طريقى مسافرا إلى دولة تشى مبعوثا من جانبك، وأخشى أن يكون إخلاصى لك محل سوء فهم من حاشيتك.

وقد بلغنى (من مـأثور القول) أنه "ليس للأمير – الذى بيده زمـام الأمور ومقاليد السلطة – أن يذعن لنفوذ الوزير، ولا للفارس ذى الخيل والجياد أن يضع عنان فرسه بيد الجمهور، ولا للرجل البسيط – الذى لا يملك فرسا ولا لجاما – [هكذا] أن يذل عنقه لزوجة أو محظية. فما بالك بأكثر الملوك رجاحة عقل وحكمة ووعى وبصيرة؟ فائذن لى فى الخروج الآن، وأرجو ألا تنساق وراء حجج أتباعك، وألا تجعل نفسك مطية أهوائهم".

لما تكلم ملك يان إلى سوادى

تكلم ملك يان مع سوداى، فقال له: "ما أبغض مقالة المخادعين والمنافقين". فأجابه، بقوله: "إن أهل دولة جو يحتقرون الخاطبة؛ لأنها تمدح الطرفين، الفتى والفتاة كليهما، فتقول لأهله: إنها أجمل بنت رأتها فى حياتها، وتقول لأهلها: إنه أوفر الرجال مالا وثروة. (لا مفر من ذلك، لأن من المعهود..) فى أعراف دولة جو السائدة، أنه لا يحق للفتى أن يختار لنفسه زوجته، ولا يمكن للفتاة أن تتزوج بغير وسيط، حتى لو أدركتها الشيخوخة، فهى لاتتزوج [حرفيا: لاتخرج من البيت] إلا بهذه الطريقة، ومن المستحيل أن تتم زيجة بغير خاطبة، حتى لو ألقى المرء (عن نفسه وعائلته) قصائد المدح المطولة، أو ظل يتحدث عن مزاياه وخصاله الحسنة إلى أن تهترئ شفتيه وتتآكل أسنانه [هكذا حرفيا] من كثرة الكلام. ولا بأس من مجاراة العرف السائد، فهو على الأقل، يوفر الجهد والكلام بغير جدوى مادامت الخاطبة ستقوم بالمطلوب على أحسن وجه. (وإذا كان الأمر كذلك فى موضوع الزواج..) فما بالك بشئون الحكم، التى لامفر فيها من التقيد بفنون القيادة ومهارات إدارة السلطة، وإلا تعقدت الأحوال، وتعثرت كل الدروب، فلا نجاح إلا باللجوء إلى طرائق الحكم وأحوال استخدام القوة والنفوذ . أما أن يجنى الإنسان ثمرات النجاح وهو قاعد مكانه، فهذا ما يردده المخادعون وحدهم". فوافقه الملك على رأيه وقد اتضح له وجه السداد والحكمة.

سجل يان الثانى

لما طلبت دولة تشين من جلالة الملك

طلبت دولة تشين إلى الملك شاو، حاكم يان، الذهاب إليها (على عجل) فقرر أمره على الذهاب، إلا أن سوداى اختلفت معه في ذلك، بل منعه منعا صريحا من تلبية طلبها، قائلا لجلالته: "قد خسرت دولة تشو أرضها، على الرغم مما كانت قد حصلت عليه، (عاد إلى سيادتها) من أراضى منطقة "جيدى" وكذلك هلكت دولة تشى، على الرغم مماسبق أن حازته من أرض سونغ، ثم إن هاتين الدولتين: تشى وتشو لم تعتبرا أن حصولهما على تلك الأراضى سببا كافيا يدعوهما للذهاب إلى دولة تشين لتقديم الاعتراف بالسيادة لها، لماذا؟ لأن كل البلاد المنتصرة تصبح قذى فى عين تشين، فلا تلبث إلا أن تمقتها وتنظر إليها بكل البغض والكراهية. إن سياسة تشين التى ترمى إلى السيطرة على الممالك التى فوق الأرض [حرفيا: التى تحت السماء"] لاتهدف إلى نشر لواء العدل والرحمة، بل إلى تحقيق السيادة المطلقة والطغيان والاستبداد، وفى سبيلها إلى هذه الغاية، فقد صرحت بنواياها إلى تشو، قائلة لها، دون مواربة، مانصه: "إن قوات "شودى" سوف تمخر عباب الماء وتسرع بحذاء الشاطئ، حتى تدخل نهر اليانغتسى، مستغلة فى ذلك ارتفاع المد إبان شهور الصيف، وفى خلال خمسة أيام ستصل إلى "إينغ" . أما القوات المتمركزة فى "هانجون"، فسوف تنطلق بحرا من منطقة "طاباشان"، وتنتهز فرصة المد النهرى فى شهور الصيف، فتسافر عبر نهر"هان" حتى تصل بعد أربعة أيام إلى "أوتشو"، بينما نقوم نحن (ملك تشين) بحشد القوات فى منطقة "أودى" [تنطق كما فى "أوديب"] ثم ننطلق صوب الشرق لمداهمة أرض "صودى"، فلايكاد السياسى النجيب يجد وسيلة للتخطيط (السريع لمواجهة الموقف الداهم)

ولا الشجاع يجد وقتا للانفعال والتحمس، فأنطلق إلى أهدافى كوثبة الباشق أو كانقضاض النسر المتحفز، بينما يبقى جلالة ملك تشو لحين انتهاء الأمراء من ضرب "هانكو"؛ أليس هذا أفضل كثيرا بالنسبة لكم (وأكثر نأيا عن مغبة الحوادث؟)". وبسبب ذلك فقد بقي ملك تشو، يقوم على خدمة مصالح تشين مدة سبعة عشر عاما.

كما قد سبق لملك تشين أن قال، بصراحة تامة، ودون مواراة، لدولة هان: "سوف أنطلق بالقوات من منطقة "شاوتشى" حتى أبلغ، فى مسيرة يوم واحد، مايمكننى من قطع الطريق الرئيسى فى "تايشين" ثم أنطلق بالجيش من "إيانغ" حتى أصل إلى "بينيان" فأنزل على الدول الست، بعد مسيرة يومين، (كما تنزل العاصفة) فأزلزل أركانها، ثم أخلف ورائى دولتي جو كلتيهما متجها إلى أرض "جنغ" مما يمكنني - بعد خمسة أيام - من مهاجمة بلادكم فلا أدع فيها حجرا قائما على حجر"، ووقع فى روع دولة هان أن الأمور يمكن أن تمضى على هذا النحو حقا، فذهبوا إلى تشين وقدموا إليها الخضوع والطاعة.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

كما أن ملك تشين تحدث بنفس اللهجة الصريحة إلى ملك وى، قائلا: "سوف أهاجم منطقة "أنى" لكى أقطع طرق المواصلات الرئيسية فى"نيوجى" ثم أقطع خطوط المواصلات بين هان وتايشين، ثم أتقدم من منطقة "جيدى"، فأحاصر دولتى جو (الشرقية والغربية) وأنتهز فرصة ارتفاع المد فى النهر، فى هذا الوقت من السنة، فأنطلق فى المراكب أخوض إلى الأمام، تسبقنى السهام الطائرة عن قوسى، وتردفنى الرماح والنصال المدببة حتى يتم لى الاستيلاء على مصب نهر "شينزى" وهنالك تكون مدينة طاليان قد وقعت فى قبضتى تماما، فأشق نهر "بايما" وأتقدم حتى تستسلم لى منطقة جيانغ (من أعمال وى)، ثم إذا بلغت مصب نهر "شوشيو" فستكون دولة وى قد خسرت منطقتى "شيودى" و"طونشيو"، وإذا حاربت فى البرّ، فستكون لى الغلبة على "هينى"؛ أما إذا هاجمتكم من البحر فسوف أدكّ حصون طاليان دكًا شنيعًا"، ولم تلبث دولة وى،

وقد هالها أن تتحقق تلك الخطة، أن هرعت إلى أعتاب تشين تعلن الخضوع والطاعة. وأرادت تشين مهاجمة "آنى"، لكنها قدّرت أن دولة تشى سوف تهب لنجدتها، فتنازلت لها عن أرض سونغ، وكان أن تحدّث، حينئذ، ملك تشين، قائلا: "إن ملك دولة سونغ يسلك قبيح المسالك والسبل اللاأخلاقية؛ فقد بلغنى أنه يصنع دمى خشبية شبيهة بى، لها نفس ملامحى ثم يصوب عليها بسهامه متخذاً منها هدفًا للرماية، والمسافة بين أرضنا ودولة سونغ بعيدة جدا، فيصعب علىّ مهاجمتها، فاخرج إليها وارفع عليها سيفك، فإذا بسطت فوقها نفوذك، فسوف تحقق لى رغبتى، كأننى أنا الذى استوليت عليها". وبعد أن تم لدولة تشين احتلال "آنى" وقطع طرق المواصلات بمنطقة "نيوجى" (أخذت تنظر إلى الأمر من زاوية مختلفة..) وصارت تعتبر ماقامت به تشى من غزو سونغ جريمة لا تغتفر [!!]

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وكذلك بدا لدولة تشين أن تهاجم "هان"، لكنها – فى الوقت نفسه – كانت تتحسب لاحتمال أن تقوم الدويلات بمساندتها، فألقت إليهم بدولة تشى فريسة يقطعون أوصالها، قائلة لهم: "سبق لدولة تشى أن وقعت معى المواثيق والاتفاقيات أربع مرات، ولم تف فى واحدة منها بعهدها، بل قادت الدويلات الست لمهاجمتى أكثر من مرة؛ لذلك فلن تظلنا وإياها سماء واحدة؛ فإما تشى ولا تشين، أو العكس، وبالتالى فلابد من دحرها بل لامفر من إبادتها". فلما تم لها الاستيلاء على مناطق: إيانغ، وشاوتشى، وقامت باحتلال منطقتى: "لين" و"شى"؛ اعتبرت أن ماقامت به الدول الست من مهاجمة وتدمير تشى عملاً إجرميًا وجناية عظمى. ولما فكر ملك تشين فى شن الغارة على دولة وى، ظن أن دولة تشو يمكن أن تقف إلى جانبها (فتحبط مسعاه) فما كان منه إلا أن ألقى إليها (الطُعم.. المتمثل فى..) "نانيانغ"، قائلا لها: "أفكر جديا فى قطع العلاقات مع هان؛ لذلك فقد رأيت أن مهاجمة منطقة "جونلين" وإغلاق ممر "مين"، يعد تصرفا على قدر كبير من الأهمية، فإذا استطعت أن تبادر إليه، فستنظر إلى الأمر بوصفه

أمنية غالية قد تحققت على أيديكم، ولئن رأيتم فى هذا نفعًا وغنيمة، فكأننا نحن الذين أصبنا الغنيمة وفزنا بها". وسارعت وى إلى تنحية تحالفاتها جانبا، وعقدت الوحدة مع تشين التى عادت بعد قليل، تعدّ ماقامت به تشو من إغلاق ممر "مين" خطأ فاحشا تؤاخذ عليه".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

"لم يحدث أن فكرت تشين فى تقدير دور ومكانة باقى الدول، إلا عندما وقعت فى أزمة (الحصار) بمنطقة "لينجون" وحينئذ فقط، أبدت التقدير والاحترام لدولتي يان وجاو، فأعادت منطقة "جياودون" إلى دولة يان، وسلمت أرض "جيشى" إلى دولة جاو، وقامت بالتصالح مع دولة وى وأرسلت الأمير "يان" رهينة لضمان السلام بين البلدين، ورافقت قوات وى، بقيادة "كونسونيان" فى حملاتها المتواصلة ضد دولة جاو، فلما لاقت قواتها انتكاسة فى منطقتى "ليشى"، و "مالينغ"، أبدت فائق الاهتمام والتقدير لدولة وى، فسلّمتها إقليمى: "إيا"، "تساى"، وبعد أن عقدت الاتفاقات الودية مع دولة جاو، بدأت تمارس ألوانا من الضغط على دولة وى، إلا أنها لم تستسلم، ولم تتنازل لها عن أية أراضى. وهكذا يتضح أن دولة تشين كانت مستعدة – تحت ضغط الحصار والأزمة الخانقة التى أحاطت بها أن تسعى للمصالحة (لدرجة أنها أنابت الملكة الأم، و"رانخو" فى إجراء مفاوضات التصالح..) فلما ظفرت بالنصر، خذلت رانخو والملكة الأم وجعلت من احتلال منطقة "جياودون" موضوعا لانتقاد وفضح وابتزاز دولة يان. ثم استغلت ماقامت به جاو من احتلال "جيشى" لتوجية اللوم العنيف لها. بل اعتبرت ما قامت به دولة وى من احتلال منطقتى "إيا"، و"تساى" تكأة لانتقادها، ثم رأت فيما أقدمت عليه دولة تشو من إغلاق ممر "مين" عملاً يستوجب المؤاخذة (ولم تكتف بكل ذلك، بل..) وجهت اللوم لدولة تشى على ماأقدمت عليه من احتلال دولة سونغ. (وهكذا، اعتادت تشين أن تدور بكلامها من وجه إلى آخر مناقض له تمام التناقض..) حتى صارت الحرب أيسر لديها من تطريز منديل بالورود، لم تمنعها الوعود التى بذلتها الملكة الأم ولاالمواثيق التى عقدها "رانخو" [أخو الملكة].

قد أراقت تشين دماء الضحايا الذين يقدر عددهم بالملايين من أهل "سانجين"، وغيرهم فى حروبها العديدة: بدءا من حرب "لونجيا" و"آنمن" و"فنلين" وانتهاء بمعارك: "قاوشان" و"جاوشوان"، بل إن الأحياء الآن، من أهالى"سانجين" ليسوا إلا الثكالى واليتامى الباقين بعد الحرب، (والجدير بالذكر، أن..) نصف أهالى سانجين قد ماتوا فى أحداث الاستيلاء على ماوراء نهر "شى"، وأرض "شانلو"، و"سانشوان" و"جيندى". إن أكثر مايحزننى ويحز فى نفسى، فى الأمر كله، مايحاوله الكثيرون من أهالى دولتى يان وجاو، من استرضاء دولة تشين، وعلى الرغم من كل تلك الأهوال والفظائع التى وقعت على يديها، أملاً فى الاعتراف بالسيادة والطاعة لها واستجلابا لرضى ملوكهم".

الجزء الخامس من الفصل نفسه

ولم يذهب ملك يان إلى تشين، وبلغت مكانة سوداى أضعاف ماكان يتصوّر من التبجيل والاحترام، وراحت دولة يان تجرى الاتفاق مع الدويلات للانضمام إلى التحالف الرأسى، وعلى الرغم من أن بعضها لم يوافق على دخول التحالف، إلا أن الجميع أبدى تقديراً جليلا (للدور الذى قام به سوداى فى تنشيط كيان..) التحالف الرأسى. وقد عاش "سوداى" و(أخوه الأصغر:) "سولى" عمراً مديدا، وبعد أن انقضى أجلهما، صارت الممالك تذكرهما على الأيام لما حظيا به من شهرة ومجد .

لما حاول سوتشين اقناع فن نانجون

حول سوتشين أن يقنع "فن نانجون" بالوحدة مع دولتى يان، وجاو؛ لمهاجمة تشى، إلا أنه لم يعمل بنصيحته، وذهب سوتشين إلى تشى ليعمل على تشويه صورة دولة جاو بكل الوسائل الممكنة، جاهدا فى العمل على قطع العلاقات بينها وبين تشى، فلما تحقق له ذلك الهدف، أوفد مبعوثا إلى دولة يان، ليبلغ حاكمها، مانصه :"قد أبلغنى "هانوى" [وزير عظيم بدولة جاو] أن .. "أحد الأشخاص قد ذهب إلى "فن نانجون"، وقال له: "إن الوحيد الذى يعمل على إفساد العلاقة بين جاو وتشى، هو "سوتشين"؛ وهو أيضا

الذى أوعز إلى ملك تشى باستقدام "سوتشين"، وحال بينه وبين مهاجمة دولة سونغ؛ وكان هو أيضا الذى تدبر الخطط مع دولة تشى، وقام بتوسيع نطاق الحملة الداعية إلى التحالف مع تشين والتآمر ضد جاو.

وكان سوتشين هو الذى دعا دولة تشى لتشكيل طاقم حراسة مسلحة لمراقبة الأمير"قون تسى"، رهينة السلام الموفد من دولة جاو؛ وإذا سمحت لى بأن أسدى إليك نصيحة مخلصة، فإنى أرجو من دولة تشى ألا تقبل تكليف حراسة مسلحة بمراقبة رهينة السلام؛ لأنه لوحدث فعلا أن قام على حراسة الأمير، عدد من المسلحين، فسوف أجعل عليك حراسا مسلحين يراقبونك أنت أيضا"، وكم كانت كلماته وقحة، تقطر ضغينة وسوء أدب. ومع ذلك، فلا عليك من ذلك كله، يامولاى، ثم إنى أعرف – مقدما – مايمكن أن تجلبه زيارة تشى من متاعب وتعقيدات من جانب دولة جاو، لكنى خرجت لإنجاز هذا الأمر تحقيقا لرغبتك. (واعلم) أنى لو مت وانقضى أجلى، وانعقدت سحب الكراهية في أجواء العلاقات بين تشى وجاو، فسأبقى – حينئذ – على الرغم من موتى، قائما بين ظهرانيكم أو أصير كالميت الحى.

إذا تدهورت العلاقات وانقطعت بين تشى، وجاو، فسوف يحل الاضطراب والقلق والفوضى فى كل الأنحاء، (وكم كنت أتمنى) أن أكون مثل "جان منتان" [وزير التخطيط للملك شيانغ حاكم جاو]، ولو دعيت لأن أكون مثله؛ لاحتاجت دولتا تشى وجاو إلى من يماثل "جيبو" [داهية التخطيط السياسى]".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

قد تكلم فن يانجون مع كل من "جوهوان"، و"جاوسو"، [كلاهما من كبار رجال دولة جاو] فقال لهما :"كان ملك تشى قد وجه لى الأمر – بواسطة (المدعو)"قون يودان" – بعدم السماح لـ"هانمين" بالقدوم إلى دولة تشى، إلا أن الطلب قد أرسل إليه باستدعائه، الآن؛ (هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى..) فقد صدر لى الأمر أيضا بعدم إيفاد سوتشين فى مهمة رسمية تتصل بالشئون السياسية الكبرى، ثم هاهو ذا يمنحه

الصلات الجزيلة والإقطاعات الواسعة، ويتخذه رئيسا للوزراء، (.. ليس هذا فقط، بل إن جلالته قام بتوطيد علاقاته مع دولة يان.. وهو الذى سبق أن..) أمرنى - من قبل - بعدم إقرار الوحدة معها؛ ولم يكن لى من بين رجال البلاط جميعهم، من أعده الملجأ والسند والملاذ، مثل "شونزى" [أمير دولة تشي، كان رهينة لضمان السلام فى دولة جاو] ثم إذا به أكثر تقلبا من أبيه؛ وكان في مبتدأ الأمر يبغض سوتشين، ثم أدرك - مع الوقت - بأنه لايمكن أن يمسه بسوء، وصار الآن مقتنعا بأنه الحكيم الفاضل ذو الخلق العظيم؛ وإذ تصافيا وقام الود بينهما، قضى الأمر، ولم يعد لى من استند إليه، وأشد أزرى به فى دولة تشى!"، وهكذا فقد اجتاحته نوبة من الغضب العارم . ولئن كان ملك تشى يبدى التشكك فى نوايا دولة جاو، فإن رجلا - بمفرده - مثل فن يانجون، يستطيع أن يستثمر هذه المسألة فينقلب على دولة تشى ويكيد لها كل ألوان المكائد، فإذا لم يتم استغلال فرصة القلاقل التى تملأ الأجواء فى الوقت الراهن، لبذر الشقاق بين تشى وجاو، فمن الممكن أن تجد مشاكلها حلولا، فيصفو الود بينهما وتقوم الوحدة محل الخلافات القديمة، فلا يعود المرء قادرا على ممارسة أى تأثير عليهما، ولذلك، فقد طالما ظننت إن تحسنت العلاقات بين البلدين. بالدرجة التى تسمح بقيام الوحدة بينهما فسأكون مستحقا لأبشع عقاب، ولن يكفى الموت نفسه عقابا لى، بل إن هجر ملذات الحياة والانعزال فى الكهوف البعيدة لن يمحو عنى مرارة الأشجان وحرقة اللوعة، وحتى لو رقيت إلى رتبة الشرف العليا [أمير البلاد] فلن أشعر بالفخر والسعادة، وقد يظن الناس أنى لوشعثت شعر رأسى وارتديت الأسمال ولطخت وجهى بالقار، وملابسى بالأقذار، أتشاغل عن ذلك بما أصابنى من العار، كلا بل إن إحساسى بالخزى سيكون أكبر من كل ذلك وأفدح.

وفوق هذا كله، فمازال هناك هاجس يؤرقنى، وهو أن يكون العداء بين البلدين مرهونا بسنى حياتى، فإذا مت، عادت المياه إلى مجاريها وقامت المصافاة بينهما، وعاد الود من جديد؛ فذلك أكثر ما يثير دفائن همومى . ولو كنت أعلم أن فى موتى قيام الحرب بينهما لرجوت الموت واجتهدت فى طلبه بكل وسيلة.

قد هلك، فى الغابرين، الملكان الحكيمان "ياو"، و"شون"، ولم تشفع لهما الحكمة والفضل فى أن يخلدا، وقديما، مات الملكان المقدسان "يو" و"طانغ"، فلم ينقذهما من إسار الموت، مابرعا فيه من رجاحة العقل وسلامة المنطق وسداد الرأى؛ بل ذاق الموت بطل الأبطال وأشجع الشجعان "منغ بن" كما لقى حتفه المصارع الجبار أقوى الأقوياء "أواهوا"، فهل يخلد أحد من الأحياء حقا؟ وهل يفلت من قبضة الموت حى؟ وهل لدى جلالة الملك أدنى شك فى أنه من الأجدر السعى إلى تحقيق الأمنيات وإنجاز التطلعات فى إطار ذلك المنطق الذى يتبع الحقيقة الحتمية؟

الجزء الثالث من الفصل نفسه

"ليت المرء يهرب من هاهنا حقا. قد أتيت إلى تشى، عبر دروب ومسالك مشيتها بأرض وى وهان، وعملت كل مافى وسعى لإقامة الوحدة بين تشى وتشين، ثم حاولت قدر ماأستطيع ربط هذا التحالف بدولة جاو لدعم قوتها؛ بحيث تتهيأ الظروف التى تساعد على نشوب القتال بين تشى وجاو. (وعلى الرغم من هذا، فقد كنت أخشى أن أزج بدولة يان، فى هذا المعترك).

وقد تكلم فن يانجون مع جوهوان، فقال له: "إن سوتشين ينقم على ملك يان أنه لم يتخذه رئيسًا للوزراء، ولم يمنحه رتبة أمير الدولة، ولهذا فلا أظنه يسعى لإقامة أى علاقات مع دولة يان". وهكذا، فقد كانت شكوكه هذه هى التى دفعتنى للتصرف على ذلك النحو الذى لن يزج بدولة يان إلى معترك الأزمات، وهكذا فليس جلالة الملك بحاجة إلى دفع القوات.

(وتحكى كتب التاريخ القديم أن..) "آيين" قد هرب مرتين من دولة شانغ [إبان حكم الملك طانغ] إلى الطاغية "جيه" [إبان حكم أسرة شيا الملكية]، ثم هرب مرتين أخريين من الطاغية "جيه" لا ئذا بالملك طانغ [آل شانغ] وفى آخر المطاف، اشترك فى معارك "منتياو" مساندًا للملك "طانغ" فى صعوده إلى عرش الإمبراطورية (وكذلك) كان "أوتزى شيو" قد هرب من دولة تشو، فنزل على دولة "أو" [كان "أوتزى شيو" أحد كبار

الموظفين بدولة تشو، إبان عصر الدول لمتحاربة، وحدث أن الملك حكم بالإعدام على أبيه وأخيه، فاضطر إلى الهرب والتنقل بين الممالك، حتى ثأر لأهله، وشفى غليله] ثم إنه تطوّع للقتال في حرب "بوجيو"، فشفى نفسه بالثأر لأبيه وأخيه. إن هروبي بين الممالك قد أحدث اضطرابًا شديدا في العلاقات بين جاو وتشي، (وهو حدث فذ من حوادث الأيام، سيخلده سجل التاريخ) وفوق ذلك كله، فإن المرء ليتساءل حقًا، عما إذا كانت قد خلت سيرة "أصحاب الإنجازات الكبرى" من تجارب الهرب والفرار؟ (ونماذج فرار أولئك العظماء كثيرة، منها:..) كان "قوانجون" قد هرب إلى دولة لو، إبان الأزمة التي اجتاحت البلاد على عهد الامير هوان (بدولة تشي) وهرب كونفوشيوس إلى دولة "ويه" عندما اندلعت القلاقل وعمت الفوضى أرجاء البلاد في فترة حكم "يانهو" [الفترة المتأخرة من زمن "الربيع والخريف"، أيام حكم أسرة "جيسون"]، بل قد هرب تشانغي إلى دولة تشو، وفرّ "بايقوي" إلى دولة تشين؛ ولما كان وانجو رئيسًا لوزراء دولة جونشان، فقد ذهب في بعثته إلى دولة جاو التي مارست عليه ضغوطا هائلة (لكي يسلمها أجزاء من أرضي جونشان) فما كان منه إلا أن أفلت هاربًا من أحد المعابر الحدودية، واعتبرته دولة سانجين واحدا من الفرسان العظماء والنبلاء الشجعان، ومن ثم كان الهرب على إثر حدث عظيم بعيد كل البعد عن دلالات الجبن أو العار أو المهانه"، وأخيرًا، فقد بذرت دولة تشين الشقاق بين تشي وجاو؛ فاتحدت هذه مع دولة يان لضرب تشي، حتى أوقعت بها شرّ هزيمة وأثخنت فيها.

لما ذهب سوتشين إلى ملك تشي

سافر سوتشين لمقابلة ملك تشي في محاولة لإقناعه (بشأن مصالح دولة يان) وقبل أن يلتقي جلالتة، بادر إلى مقابلة "شون إيكون" لمناظرته ومجادلته وشرح وجهة نظره، قائلا: "كان أحد الباعة يعرض جوادًا أصيلا للبيع، وظل يذهب إلى السوق ثلاثة أيام متوالية، ويقف في ساحة البيع من الصباح الباكر، حتى المساء، دون أن يقصده أحد للشراء منه. فذهب لمقابلة "بولا"، وقال له: "لديّ جواد من فصيلة ممتازة أريد بيعه،

وظللت أقصد السوق ثلاثة أيام من أول النهار، دون أن أجد من يسألنى، حتى عن السعر، وكم أتمنى أن تأتى وتتطلع إليه وتدور حوله قليلا تتفحصه مليًا، ثم تغيب عنى بعض الوقت، وتعود ثانية، ثم سلنى عن السعر الذى أرضاه".

فذهب إليه "بولا"، وأخذ يدور حول الجواد ويتطلع إليه، ثم ذهب لبعض شئونه، وعاد ثانية يتفحصه، وبالطبع فقد ارتفع سعر الجواد صبيحة ذلك اليوم، عدة أضعاف وقد جئت اليوم؛ لكى أدعو ملك تشى إلى مشاهدة وتأمل براعة أحد "الجياد" دون أن يكون معى جياد أخرى (معروضة فى السوق)، فهل لديك استعداد أن تقوم بدور "بولا"؟ وبالمناسبة، فاسمح لى، بأن أقدم زوجين من اليشب (الأحجار الكريمة) وألف مثقال من الذهب، على سبيل المكافأة" فردّ عليه "شون إيكون"، وقال له: "لك السمع والطاعة بكل الاحترام" ثم دخل شون إيكون قاعة العرش، وقدّم أراءه لجلالة الملك، شارحا وجهة نظره، حتى اقتنع ووافق على اللقاء مع سوتشين، ثم مالبث جلالته أن أُعجب ببراعته أيما إعجاب.

لما أوفد سوتشين إلى ملك يان

قام سوتشين بإيفاد مبعوث من دولة تشى إلى الملك شاو، حاكم يان، ليقول لجلالته: "قمت ببذر الشقاق بين تشى وجاو، حتى صارت كل واحدة معزولة تمام العزلة عن الأخرى، فماالذى يمنعك من الخروج بقواتك لضرب تشى؟ وعلى أية حال فاسمح لى بأن أعمل على بث الضعف والتخاذل فى قلب دولة تشى"وكان أن دفعت يان بقواتها فهاجمت تشى، واحتلت "سانجين". وأرسل سوتشين إلى الملك "مين"، حاكم تشى، من يقول لجلالته: "إن الهدف من مهاجمة يان لدولة تشى، هو استعادة أراضيه المفقودة. وللعلم فإن قوات يان أصبحت الآن، عاجزة عن الحركة فى منطقة "جين" بسبب ما أصاب القوات من تردد وضعف، فلماذا لا ترسل سوتشين على رأس قوات لمقاومة جيش يان؟ إن سوتشين ببراعته وفطنته، قادر على القيادة وهزيمة قوات يان المتهافتة المترددة، بل هو أقدر على مهاجمة يان، فى عقر دارها حتى يوقع بها أشنع هزيمة،

وهنالك لن يكون أمام جاو إلا السمع والطاعة لجلالتك، وبهذه الطريقة تكون قد دمرت دولة يان وأخضعت دولة جاو، (بضربة واحدة)".

فنزل ملك تشى على رأيه، وقال لـ"سوتشين": "قد بلغت قوة يان مشارف أرض جين، وسأرسل إليها القوات لشن الغارة عليها، وأريد منك أن تقوم على رأس الحملة نائباً عنّى)" فأجابه سوتشين، قائلا: "لست أجيد توجيه وقيادة القوات، فكيف لى أن أهزم قوات يان ! ليتك ترشّح لهذا الأمر قائدا غيرى، فلربما حاقت الهزيمة بجيشك إذا جعلتني قائداً له، وقد أقع فى قوات دولة يان، فيتعذّر إنقاذ الموقف (إذا ماخسرنا المعركة)".

وقال ملك تشى:"فامض فى طريقك، فأنت منا ما قد علمت وعلمنا". وهكذا قام سوتشين على قيادة قوات تشى، ومضى حتى بلغ "جين تشن"، حيث دارت رحى المعارك التى انتهت بهزيمة تشى، وتمكنت قوات يان من الإحاطة برأس عشرين ألف مقاتل من خصومهما، وقام سوتشين بجمع بقايا الأشلاء وجثث القتلى ومخلفات القتال وكتب تقريرا إلى الملك مين – حاكم تشى – جاء فيه :"قد استعملت، يامولاى، من لايحسن الأمور، ووليت الأمر من لايصلح له، ولاتستقيم الأحوال به؛ إذ كلفتنى بمواجهة قوات يان، فكانت النتيجة (وقوع الهزيمة فينا.. بل) فقدنا عشرين ألف جندى؛ وهكذا فقد حق على أن ألقى جزائى بالإعدام، فاسمح لى بأن أعود لكى أقوم بتسليم نفسى إلى المسئول القانونى استعدادا (وقبولا) لما يصدر ضدى من عقوبات [تصل إلى حد الإطاحة بالرأس] وأجاب الملك، بقوله :"بل أنا المسئول (المذنب) الأول عما حدث، وليس لك ذنب فيما جرى".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

- وفى اليوم التالى، تواطأ سوتشين سرا مع دولة يان على ضرب "يانغ تشن" و"ليبا"، كما أرسل إلى الملك مين – حاكم تشى – من يقول له: "قد عجزت دولة تشى، منذ أيام، عن تحقيق النصر فى موقعة "جين تشن"، ولم يكن ذلك بسبب تقصير قوات

تشى عن القيام بواجبها، وإنما هو الحظ وقدر السماء الذى شمل دولة يان برداء الحماية وحسن الجزاء، فأرسل سوتشين لمقاومة يان للمرة الثانية، ولئن كان الجيش قد لقى على يديه الهزيمة فى المرة الأولى، فلابد أنه سيبذل قصارى جهده للثأر من أقداره وتعويض مالاقاه آنفا من الإنكسار، ولعل النصر يأتى على يديه هذه المرة"!

ونزل ملك تشى على هذا الرأى، ودفع إلى سوتشين مسئولية (القيام بقيادة الجيش) مرة أخرى، لكنه اعتذر بشدة، ولم يلتفت الملك إلى اعتذاره ولم يقبل مبرراته، وهكذا سار سوتشين بقواته إلى "يانغ تشين" والتحم بجيش يان فى أرض المعارك، حيث كان النصر المظفر من نصيب دولة يان التى أعملت السيف فى رقبة أعدائها فقتلت (من رجال ومقاتلى تشى) ثلاثين ألف جندى. وتردد همس الشك والحيرة والارتياب بين رجال دولة تشى، ووصلت مشاعر الاضطراب والتوجس، بين الناس، إلى ذروتها. (وفى تلك الأثناء) كانت دولة يان قد أرسلت جيشا تحت قيادة "يوى" لمهاجمة دولة تشى (فى عقر دارها) ثم ما لبث أن أغار عليها فدمرها واحتل أراضيها.

لما أرسل سوتشين رسالة إلى ملك يان

أرسل سوتشين، من دولة تشى رسالة إلى ملك يان، يقول له فيها: "كنت قبل مغادرة دولة يان قد أدركت أنه يجىء زمان يطل فيه المنافقون برءوسهم، ويبذرون الفتنة والشقاق؛ ولذلك كتبت تقريراً إلى العرش، جاء فيه.."لو تحققت لى، فى دولة تشى، الرفعة والمكانة المرموقة، فسيظن وزراؤك ورجال دولتك بى الظنون، ويستريبون فى أمرى؛ أما إذا تدنّى شأنى وتراجعت منزلتى، فسيحتقروننى، وإذا صرت موضع حفاوة وحظوة، فسينحون باللوم علىّ فى كل صغيرة وكبيرة، وإذا صدر عن دولة تشى أى تصرف ضار بمصالح يان، فسيجعلوننى هدفًا لاتهاماتهم، وكذلك إذا بقيت دولة تشى بمأمن من هجوم الدويلات، فسيقولون بأنى أضع لها الخطط الدفاعية، أما إن أغارت عليها كل الممالك، فسينضمون إلى تشى فى التعريض بى، (وإذ أتأمل موقفى..) أجد أننى تحت

رحمة ظروف تتهددني بالخطر من كل جانب وفي كل لحظة، مثل كومة من البيض الهش، مضطربة ومتداعية".. ثم إن جلالتك أجبت عليّ – وقتئذ – قائلا: "لن أنصت إلى افتراءاتهم ووشاياتهم؛ لأنى أثق بك وأصدقك، ولذلك فسوف أستأصل أكاذيبهم، كما يستأصل المنجل أعواد الحشائش الجافة، وسيكون من الأحسن أن تبلغ مكانة مرموقة فى دولة تشى، وأن تصير محل تقديرها، كما يجب أن تحرص على ثقة الناس بك. ولئن قُدِّر لى أن أعيش، فسيكون بمقدورك أن تفعل الكثير [هكذا حرفيا]"، ثم قلت لى أيضا، ياجلالة الملك.. "لابأس من ذهابك إلى تشى، مغادراً دولة يان، مادام الأمل منوطا بك فى النجاح وإنجاز الأمور على النحو الأمثل". وقد قبلت التكليف بأن أعمل جاهداً على أن أحوز ثقة دولة تشى بما يمكننى من الترقى فى الوظائف العليا بها منذ خمس سنوات، خرجت خلالها دولة تشى للقتال أكثر من مرة، لم يحدث فيها أن هاجمت دولة يان، أما العلاقة بين تشى وجاو، فليست مستقرة على حال، إذ تصفو حيناً (فتتحالفا معًا) وتتكدّر حيناً آخر (فتنفصلا) فإذا لم ترد دولة يان أن تتآمر مع تشى ضد جاو، فلابد أن تتحالف مع جاو ضد تشى التى تثق فى يان، لدرجة أنها لم تحشد على الجبهة الشمالية (على المنطقة الحدودية بينهما) قوات عسكرية ذات شأن، بل دفعت بمعظم القوات التى كانت متمركزة هناك للإغارة على بلاد أخرى. لكنك اليوم، يامولاى، أصبحت تصدق ما يقوله لك "تيان فا" و"تسان" و"تشيجى"، وغيرهم؛ فتحشد الحشود لمهاجمة تشى، فتثير حفيظتها ضدك بحيث تتّخذ الاحتياطات اللازمة، وتفقد ثقتها فيك، وفوق ذلك كله فقد أرسلت لى "شنغ تشين" [كبير وزراء يان] لتبلغنى بما نصه.."أفكر فى أن أسند مناصب عليا لمن يجيدون ويفقهون مهام عملهم" فإذا كنت تبغى حقا، أن تسند المسئوليات الجسام إلى الأكفاء، فاسمح لى بأن أساعدك فى ذلك، بحيث إذا كنت تفكر فى التخلى عنى لتعيين آخر مكانى، أكثر كفاءة واقتدارا منّى، فأرجو السماح لى بالعودة لتقديم تقرير واف عن مهمتى لجلالتكم، وإذا استطعت أن التقى بك، سيدى الملك، فسأكون قد نلت حاجتى وحققت أملى".

لما فكر كبير وزراء يان في إقامة الوحدة مع

لما تدبّر "شن سوى" [كبير وزراء دولة يان] إقامة الوحدة بين تشي ويان، فقد اتخذ العدة لإرسال أخي الملك (ملك يان) الأصغر إلى دولة تشي ليبقى بها رهينة سلام، ووافق ملك يان على هذه الإجراءات، إلا أن الملكة الأم غضبت لما سمعت بما حدث، وثارت قائلة: "إن شن سوى، هذا، ليس بالرجل الذى يقدر على إدارة شئون البلاد وتصريف أمورها، وهذا واضح جدا (فيما يتعلّق بالشأن السياسى) لكن ماباله يريد أن يفرّق بين الأم وولدها؟ ألا فليعلم أن الأم (التى يظنها قد شاخت وضعفت) سوف تنتقم أشد الانتقام" وأراد شن سوى أن يزورها، فقال له ملك يان: "على رسلك، فالملكة مازالت ثائرة، ولا أريد أن تقابلها، وهى فى هذا الحال، فانتظر بعض الوقت". إلا أن شن سوى أقنع جلالته بأن الأمر بسيط (ولا بأس من أن يقابلها، فى كل الأحوال)، ودخل إلى القصر الملكى وقابلها، وقال لها: "فيم نحول جسدك يامولاتى؟" فأجابته: "إن ماأطعم منه على مائدة جلالته من لحوم الطير بأنواعها يكفى لمضاعفة وزنى واكتناز جسدى بالسمنة المفرطة، لكنه الهم الذى أصابنى مذ عرفت بأمر ذهاب ولدنا الأمير إلى تشي رهينة سلام"، فقال لها: "إن الملوك (أبناء السماء [هكذا] يحبون الناس أكثر من حبهم لأبنائهم، (أما بالنسبة لجلالتك..) فأنت لاتبدين من الحب لأولادك القدر الملحوظ، والبنين منهم – خصوصا – لا ينالون من عطفك الشىء الكثير (هذا فيما يبدو لى، على الأقل..)" فاندهشت الملكة وسألته فى استغراب: "وما السبب فى قولك هذا؟" فأجابها: "لأنك أهديت ابنتك يوم عرسها ألف مثقال من الذهب، وأقطعتيها أرضا مساحتها مائة لى، وبالغت فى تعظيم أمر زواجها للغاية، وإذا جاء الدور على الملك، اليوم، لكى يقوم بتكريم سمو الأمير، فإن المخلصين من وزرائه والأكفاء من شيعته، يقولون لجلالته: "لايستحق الأمير أى تكريم؛ مادام لم يأت عملاً جليلا، أو مأثرة عظيمة" فلما همّ جلالته بإرسال ولده رهينة سلام، آملاً أن يثبت سموه، جدارته بما أعده له من التكريم، تأتين جلالتك فتصدينه عن ذلك القصد، وتعيقين بلوغه مراتب الجدارة والشرف؛ فلذلك أدركت أنك لاتحبين الذكور من أبنائك، ثم إن سمو الأمير لن يلقى الاحترام والتقدير إلا بفضل جهدكما (وبقائكما على قيد الحياة) أما عندما يحين يوم صعوده إلى العرش – بعد جلالتك بأجيال طويلة، وبعد ذهاب مولاى الملك بآماد جليلة – فلن يكون فى سجله

مايزيد عن أفضال العامة والدهماء (بل سيكون أدنى منهم مرتبة)؛ لذلك، فإن لم ينتهز سموه الفرصة، لينال الرفعة والمكانة المنشودة (بفضل مآثره) فى ظل إنعامكم الجليل، فلن يلقى تكريمًا بقية حياته" وهنالك قالت الملكة: "ماكنت أعرف أنك تحسب الأمر من هذه الناحية، وعلى هذا القدر" وسارعت جلالتها بإصدار الأوامر بتجهيز ما يلزم الأمير فى سفره من المواكب والعربات والملابس وسائر مايلزم من الأدوات".

لما أراد الملك شاو مهاجمة تشى

أراد الملك شاو، حاكم يان، مهاجمة تشى مع أمراء الدويلات وحدث أن جلالته استدعى أحد الموظفين العاملين فى بلاط يان الملكى (من أبناء دولة تشى) وقال له: "أريد مهاجمة تشى، مع أمراءالدويلات، وسوف أصدر الأوامر ببدء الهجوم فى أى ساعة من ساعات الليل أو النهار، وعندئذ فلابد أن تتظاهر بمجادلتى فى هذا الشأن ومراجعة المسألة برمتها، وسأبدو كمن يرفض كل الاعتبارات التى تحول دون بدء القتال، وهكذا فستنتهز أنت الفرصة لمغادرة يان إلى تشى، فإذا فشلت محاولة الهجوم، وأردت أن أعقد السلام مع تشى، فسيتم ذلك بواسطتك، وعن طريق ماتقوم به من خدمات لدولة يان" وكان من المتعذر، فى ذلك الوقت، توازى القوى بين الدولتين يان وتشى، ومع ذلك، فقد كان ملك يان يميل إلى معاودة الاتصالات السلمية مع تشى، فوقع فى الخلط والارتباك واضطربت تقديراته بدرجة كبيرة.

لما وقعت المجاعة بدولة يان

وقعت المجاعة بدولة يان، فاستغلت دولة جاو الفرصة وقامت بمهاجمتها، فأوفدت دولة تشو أحد قادتها العسكريين إلى يان، على أن يمر فى طريقه، بدولة وى، وهناك، حانت له فرصة مقابلة "جاوهوى" [أحد أبناء دولة جاو ممن يعملون فى بلاط دولة وى] فقال له (وهو يحادثه): "إن أفضل وسيلة لإزالة أسباب الكوارث هو أن تعمل جاهدا لتفادى وقوعها من الأساس، ففى هذا إنقاذ لأرواح الناس وتجنيبهم ويلات الخطر،

إن الآراء التى طرحـهـا – فى أيامنا هذه – "أوتسى شـيـو" و"قـونجى تشى" لم تلق الاهتمام من جانت جلالة الملك، أما (السيدان الجليلان) "جوتشيو"، "جان منتان" فقد حصلا على أفضل الصلات الجزيلة وأعظم آيات التكريم من جلالته؛ ولذلك فقد ترسخت فى أذهان المخططين السياسيين قاعدة تقوم على دراسة وبحث الطرق الكفيلة بإزالة الكوارث والنكبات، بدلا من العمل على تجنبها وتلافى وقوعها أصلاً.

وأرى أن أودعك فى طريق سفرك ببضع كلمات أقولها لك (لتعقلها وتعمل بها) أفضل من أن أبذل لك الصلات الجزيلة والمال والوفير، فاسمع ماأقول واحفظه، واسع فى أن تقنع به ملك جاو؛ إذ تقول له: "كانت دولة أو، فيما مضى، قد هاجمت تشى بسبب ماوقع بأرضها من المجاعة، هذا مع أن مثل هذا الهجوم على تشى قد لايكتب له النجاح والظفر، وقد استطاعت دولة ضعيفة (مثل دولة يوى) أن تحرز السيادة فوق الأمم، بما أحسنت استغلاله من خمود قوة دولة أو، فهاجمتها وعاثت فيها، وكان من أمرها ما قد صار على النحو الذى ذكرته لك. وإذ تقدم على مهاجمة يان بسبب ماأصابها من القحط والمجاعة (فليس الأمر بالسهولة التى تظنها..) فقد لا تحرز ماتبغى من النصر، بل قد تستغل دولة تشين (القوية) الفرصة فتهاجم دولة جاو فتجعل منها (وهى الضعيفة) نموذجًا مكررا مما وقع آنفا لدولة أو (ذات العدة والعتاد) فى حين تجنى دولة تشين (القوية) ماقد سبق أن حازته دولة يوى (الضعيفة، حينئذ..) من تسنُّم ذرى السلطة (الإمبراطورية) فوق الأمم والممالك، فتأمل الأمر جيداً!" وكان ذلك هو ماذكره مبعوث دولة تشو إلى ملك جاو الذى تقبل الأفكار بصدر رحب وسعادة ظاهرة وأمر بإيقاف حملة الهجوم على يان. فلما سمع ملك هذه الأخيرة بالأنباء أعلن مكافأته لقائد دولة تشو حيث أقطعه مساحة من الأرض.

لما أراد الأمير "تشانقو" إقامة الوحدة بين

أراد الأمير "تشانقو" إقامة التحالف بين قوات يان وتشين وجاو ووى؛ وذلك لمهاجمة تشى. وكان أن قامت القوات بالاستيلاء على سبعين محلة، أخضعتها لإدارة دولة يان بوصفها أقاليم إدارية تابعة للحكم المحلى، وظلت ثلاث محلات من أقاليم دولة

تشى لم يتم الاستيلاء عليها بعد. وفى تلك الأثناء توفّى الملك شاو، حاكم يان، فخلفه على العرش الملك "هوى"، ولجأ أهل تشى إلى خطة لنشر الإشاعات وبذر الشك والريبة فى صفوف أعدائهم، وصار الملك الجديد (الملك هوى، حاكم يان الجديد) يستريب فى "يوى" فأحلّ محله "تشى جيه" (قائدا عاما للقوات) فهرب يوى إلى دولة جاو حيث خلعت عليه، وبذلت له الصلات، وأقطعته أرضا ونال لقب أمير "وانجو" لكن تيان دان (المسئول الكبير بدولة تشى) استطاع أن يلقى عليه شباك خداعه، وهزمت قوات يان شر هزيمة، واستعادت دولة تشى أقاليمها السبعين، وأسقط فى يد حاكم يان، وندم الغاية على مافرط منه، وصار يخشى مايمكن أن تقوم به دولة جاو من انتهاز فرصة مأصاب قواته من الإنهاك، فتجنّد " يوى" فى صفوفها وتهاجم يان، فأرسل جلالة الملك من طرفه مبعوثا التقى بـ "يوى" وعاتبه عتابا خفيفا ثم قدم له التبرير والاعتذار قائلاً: "إن جلالة الملك يضع البلاد كلها أمانة بين يديك، سيدى القائد، وجلالته يقدر لك أن تثأر له وتردّ له اعتباره وتهزم دولة تشى. فمن ذا - فوق الأرض - يمكن أن ينكر مثل هذه الأفضال والمآثر الجليلة، بل كيف لجلالته أن ينسى مثل هذا العمل المجيد! لقد توليت العرش خلفا لحاكم كان قد تخلّى عن رجال دولته ووزرائه؛ فلما جئت مكانه ورثت أسوأ ماخلفه لى من سوى: الفهم الكامن فى أعماق رجال الحكم، (ومثلا..) فما كان لى أن أعيّن "تشى جيه" (مكانك) قائداً للجيش، إلا بسبب غياب القائد الأصلى خارج البلاد لمدة طالت أكثر من المعتاد [حرفيا: على مدى أيام تعاقبت عليها الشمس، وهبت فى أنحائها الريح]، فلما بعثت إليك أطلب إليك العودة، لتستريح من العناء، وتشير علينا بالمعهود من سداد رأيك، أسأت الفهم وظننت أن ثمة جفاء بيننا، فأغضيت عن دولة يان، لائذا بدولة جاو، وبالطبع فأنت تملك - ولك الحق - أن تقرر شئونك الشخصية كيف شئت؛ لكنى أسألك، أيها القائد العسكرى، كيف يمكن أن ترد الجميل للملك الراحل؛ إذ بذل لك التقدير اللائق بك؟".

الجزء الثاني من الفصل نفسه

وكان أن أرسل النبيل "وانجو" رسولا من عنده بخطاب إلى ملك يان، قال له فيه مانصّه: "لم أكن بالرجل الذى يستحق أى تكريم؛ فلست ذا موهبة فذة ولااقتدار باهر، وبالتالى، فلا أستطيع أن أسير على النهج الذى علمنى إياه الملك الراحل، بحيث أتأقلم مع طريقة تفكير الوزراء ورجال الدولة من حولك، كما أنى أخشى أن يطاح برأسي. ولئن كنت قد هربت إلى دولة جاو؛ فلأنى قد ارتكبت أخطاء فى حقك، وأسأت إلى فطنتك وإحساناتك، ومن ثم فإنى أتحمل وزر وجريمة خيانة الأمانة والثقة ولاأجد جرأة الدفاع عن نفسي، والتماس الحق فيما صدر عني، وقد جاءني رسولك الذى حملته عتابا وتذكيرا بما اقترفته من أخطاء، وأخشى ألا يفهم القائمون على خدمة البلاط الملكي سبب محاباة الملك الراحل لبعض وزرائه (وأنا واحد منهم..) كما أخشى أن يغيب عن تقديرهم مدى الإخلاص الذى بذلته لجلالتك؛ فلكل ذلك آثرت الرد بخطاب مخطوط، وقد علمت أن الملوك الحكماء، لايتكرمون على الثقات والأصفياء بالصلات والإقطاعات حسب أهوائهم وكيفما شاءت أنفسهم؛ فلا ينال التكريم إلا صاحب مأثرة، ولايحظى بالمنصب الرفيع إلا أكثر الناس جدارة وتفوقًا. وهكذا كان القادر على ملاحظة ذوى الجدارة والكفاءة، وإسناد المسئوليات الجسام إليهم هو الملك الحكيم. وكان من يصادق الناس حسبما عرف وأدرك من خصالهم (الحسنة) هو السيد الذى ذاعت شهرته فى الآفاق وتخلّد ذكره بين الممالك. وبعد، فعندما أتأمل الأحوال بما تعلمت، أجد أن الملك الراحل كان – فى اختياره وترشيحه العناصر الجديرة بالمناصب العليا – يتّسم بصدر رحب، من ذلك، أنه طلب الختم الرسمي [المتعلق بى] من ملك دولة وى، واستقدمنى إلى يان للمثول أمام (لجنة الفحص والاختبار) وأثنى عليّ وامتدح خصالى للغاية، وذكرنى فيمن عنده من الضيوف، وجعل لى مكانة خاصة فوق المسئولين الرسميين، واستشارنى (دون أبيه وأمه وإخوته) وتناقش معى فى شئون مهمة، وجعل لى مرتبة (قريبة من درجة النبالة) لذلك فقد نشأت على ماعلمنى إياه، واعتبرت أن الالتزام بالأوامر والتعليمات يمكن أن يعفى المرء من التعرض للمساءلة والعقاب، فلذلك امتثلت للأوامر (وقتئذ) ولم يكن فى مقدورى الاعتذار".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

"قد صدر لى الأمرمن الملك الراحل، بما نصه: "إن العداوة والبغضاء بينى وبين دولة تشى متأصلة وعميقة الغور، ولاأبالى بما تعانيه بلادى من الضعف وتردى أحوال الاستعداد العسكرى، ولسوف أجعل من تشى هدفًا (أصب عليه جام غضبى) وأسلّط عليه هجومى" فأجبته، قائلا: "لكن دولة تشى لديها من مواريث الزعامة، ومفاهيم [اقرأ: تعاليم ومبادئ] السيادة والسيطرة الشىء الكثير، وتاريخها حافل بالمنجزات والانتصارات، بالاضافة إلى خبرتها فى ميادين القتال، ومهاراتها الهجومية. فإذا كنت تريد الإغارة عليها، فلابد أن تحشد الدويلات جميعا فى التخطيط لهذا الموضوع، ولو أنى أرى أن أفضل مايمكن أن تفعله الآن، هوأن تقيم جسرا من العلاقات الودية مع دولة جاو (فهذا أجدى لك..) ثم إن تشى قد احتلت مناطق: "هوايبى"، و"أرض سونغ" مما تودّ دولتا وى وتشو الحصول عليها، فإذا مااستجابت جاو لخطتنا وعقدت معنا التحالف والصداقة، وتجاوبت معنا كل من وى وتشو؛ وبذلنا كل جهد ممكن من جانبهما، فقامت الدول الأربع دفعة واحدة بمهاجمة تشى، أمكن تدميرها".

وعندئذ، قال الملك الراحل.."هذا هو الرأى السديد!" وكان أن تلقيت الأمر شفاهة وأخذت الاستعداد المناسب [حرفيا: أعددت الأختام الرسمية] وأوفدنى جلالته الى الجنوب، حيث نزلت مبعوثا على دولة جاو، ثم عدت إلى الوطن وقدمت تقريرا عن البعثة، وتلا ذلك دفع القوات ومهاجمة تشى. (وكان من جملة الحوادث) أن عادت الى السيادة الوطنية، أراضى " خابى"، وذلك بفضل الهداية السماوية وحكمة وبصيرة الملك الراحل، ثم مالبثنا أن تمكنا من الاستيلاء على "جيشان". وكانت قوات دولة يان المرابطة عند نهر "جيشوى" قد تقدمت – طبقًا للأوامر الصادرة لها للهجوم على تشى، فهزمتها شر هزيمة، ولما كانت تلك القوات شديدة البأس موفورة الحميّة والحماس، فقد تقدمت، ظافرة، حتى بلغت عاصمة تشى، فهرب الملك إلى منطقة "إيندى" لائذًا بها التماسا للسلامة والأمان (لاأكثر ولا أقل) واستولت قوات يان على مجوهراته وأمواله وعرباته العسكرية، ومقتنياته الثمينة ودروعه (وكان من أبرز المقتنيات ميقاتا اسمه "طالوقون"

ثم نقله إلى القصر الملكى بدولة يان. كما أمكن استعادة الآنية المقدسة [حرفيا: "باودينغ"] التى كانت دولة تشى قد استولت عليها من القصر الملكى فيما سلف من الزمان. وجرى عرض الأدوات والمقتنيات الثمينة فى معرض خاص بدولة يان . بل إن بعضا من المحاصيل والنباتات التى ترعرعت فى أرض "جيشيو" (عاصمة يان) كانت مجلوبة، أصلاً، من غابات البامبو بأرض "أون" [هكذا، حرفيا] (وبالجملة) فلم يكن هناك انجاز، بطول الممالك وعرضها، يفوق ماقدمه الملك الراحل، منذ عصر الأباطرة الخمسة (فى التاريخ القديم) وقد رضى جلالته بما حققه من مآثر وقنع بتحقيق آماله وتطلعاته، بدليل أنه لم ير، فيما قمت به من واجبات أدنى تقصير، مما استوجب التكرم علىّ بإقطاعات كثيرة من الأراضى، فرفعنى إلى القدر الذى أكاد أتساوى فيه بأمراء الدويلات والنبلاء الأماجد؛ ولأنى لم أكن ذا موهبة فريدة ولامهارة فذة، فقد رأيت أنه ليس من سبيل إلا الامتثال للأوامر والتعليمات، وأن النجاة فى الافلات من ارتكاب الخطأ والوقوع فى المحظور، فامتثلت للأوامر دون أدنى بادرة أو مجرد تفكير فى الرفض أو الاعتذار".

الجزء الرابع من الفصل نفسه

"قد بلغنى إن الملك الحكيم لا تفنى مآثره ولاتنقطع مسالك ودروب مجده، ومن ثم يخلد ذكره فى التاريخ، ومن كان ذا بصيرة، ارتفع سرادق شهرته وانتشر صيته فى الآفاق وبقيت سيرته على مرّ الأجيال. أما ما اجتهد فيه الملك الراحل من إزالة آثار نكبة عارضة نالت من كرامته، ومحاولته القضاء على دولة كبرى (تملك عشرة آلاف مركبة حربية) وحيازته لما كان تحت سلطة تشى من المجوهرات والمقتنيات التى بقيت ثمانمائة سنة فى مخازنها. وفترة حكمه كلها حتى يوم انقضائها، فقد ظل على الأيام وصية (رسمية [هكذا] (تلقّن الأجيال فصولا من نصائحها، وتخاطب المسئولين والوزراء (قائلة) بأنه فى مقدورهم جميعا الاهتداء بسيرة الملك الراحل والعمل بما نص عليه من بنود لإصلاح كل ماتعلق (بمواريث الأبناء والأمراء [هكذا] وضبط شئونهم، والسير فى شئون

الناس بالإحسان ومراعاة العدل والرحمة معهم (فهي وصايا ملهمة على مرّ الأجيال) كما قد بلغني أيضا أن النجاح لم يكن مصير كل اجتهاد بإتقان، ولاالخاتمة الحسنة كانت نهاية كل بداية طيبة.

وقد كانت تعاليم ووصايا "أوتسى شيو" – فيما مضى – موضع اهتمام وتطبيق على يد "هيلو"؛ فلذلك استطاعت جهود ملك دولة "أو" أن تمد سلطانه ونفوذه حتى عاصمة دولة تشو، في حين أن "فوتشاى" لم يسترشد بذلك النمط (ولم يلتفت إلى تلك الوصايا، بل إنه ..) أهدى جلود الدواب إلى "أوتسى شيـو"، وانتهى الأمر بأن وجدت جثة هذا الأخير – ذات يوم – طافية داخل جلد حمار سميك في مياه النهر. وهكذا، يتضح أن فوتشاى [ملك دولة أو] لم يكن يدرك قيمة آراء ووصايا الملوك الحكماء ومالنطوت عليه من دروس مستفادة تضيء السبيل أمام أنجاز المآثرالعظيمة؛ لذلك نجده قد أغرق جثة أوتسى شيو، في النهر دون أن تطرف له عين أو يهتز له جفن، ندما أو استبشاعا لذلك الجرم.

أن "اوتسى شيـو" لم يدرك في وقت مبكر، أن الملك لم يكن يملك نفس الرؤية والتسامح والتقدير، مما كان يتمتع به ومن ثم، فلم يكن يستطيع أن يغير من مسيرة القدرالذى أودى به غريقا في النهر.

إن خطتى الأولى والرئيسية هى: تجنب الويلات والمهالك والحفاظ على سيرتى الحسنة، وما قدمت من سابق الإنجاز، استرشادا وتأصيلا لتعاليم ووصايا الملك الراحل، وأسوأ مايمكن أن ألاقيه وأبشع ماأخشاه هو أن تثار ضدى الأراجيف والفتن أو أن تترصدنى الوشايات الكاذبة، لطمس مآثر والمساس بسمعتى وكرامتى . ولا أظننى قادرا على تجاوز حدود المنطق والقفز فوق أسوارالمعقول؛ وأنا أمام تجريم يحاك ضدى، طى الخفاء، ومحاولة تجرى على عجل للإيقاع بى فى تهمة لاأعرفها، ومن ثم فلا أرى أنه بإمكانى الركون إلى مصادفة عارضة جاءت بيد المقادير.

فمن الخطر الاعتماد على الحظوظ وعوارض القدر. وكنت قد عرفت أيضا أن الملوك القدامى، كانوا إذا قطعوا علائق الود مع أحد من الناس، أمسكوا عن القدح فيه

والتشهير به. وأن الوزير المخلص إذا طرد من الخدمة، التمس تبرئة ساحته. ولئن كنت غراً، بليد الذهن، عديم الموهبة والبصيرة، فقد حاولت كثيرا أن أتعلم من الحكماء وأن أنصت إليهم، ولست أخشى أن ينصت خاصة الملك وحاشيته والقائمون على خدمته إلى تمويهات ووشايات أضراب من الناس هنا أو هناك، دون إدراك حقيقي لأسباب استبعادى من القصر، فلذلك كله - وختاما - تجرأت أن أكتب لجلالتكم، رداً على خطابكم بخطاب محرر على ورق، راجيا النظر بعين الاهتمام فى الأمر كله".

لما أرسل أحدهم خطاباً إلى ملك يان

أرسل أحدهم خطاباً إلى ملك يان، قال له فيه: "إذا كنت لاتجد وسيلة للاعتماد على أسباب قوتك، حمايةً لوطنك ودعماً لبقائه ووجوده، فلا سبيل لك إلا العمل على الانضواء تحت حماية بلد قوى دون أن تشغل نفسك كثيرا بمسألة تدنى المكانة وضياع السؤدد وما إلى ذلك، بل إنك إذا استطعت بهذه الوسيلة أن تمهد للاستقرار والأمن (طويل المدى) لبلدك، فما أحسنها من خطة سديدة ورائعة تخلد ذكرك على المدى؛ أما إذا رأيت أن الاعتراف بطاعة دولة قوية لا يضمن الأساس المتين لمشروع بناء أمة مستقرة، فالأفضل أن تتحالف مع دولة ضعيفة [هكذا] غير أن المشكلة الباقية هنا، هى أن الدول الضعيفة يصعب التزامها بالتحالفات البينية، والتحرك بتنيسق (واحد ومشترك)، وهو مثار شعورى بالأسف لما آلت إليه أحوال دويلات "شاندونغ".

إن السمكة ذات العينين المتجاورتين، لايمكنها الحركة إلا حسب مايتراءى لعينيها المتجاورتين فى جانب واحد من الرأس، وقد أطلق عليها القدماء هذه التسمية (ذات العينين المتلاصقتين) لأنها لا يمكن أن ترى الاشياء وتعيش وتتحرك إلا بعينين متحدتين ومتجاورتين. (ومايؤسف له، بالنسبة لحال الدويلات المذكورة هو أنها ..) قد عجزت عن توحيد الجهود وتنيسق الخطى؛ بمعنى أنها كانت اقل استبصارا مما لدى ذلك النوع من الأسماك المشار إليه آنفا. (ولنضرب مثلا آخر..) فإننا عندما نتأمل عمل الحوذيين وقائدى المركبات، تجد أن ثلاثة من الحوذيين المتصارعين فيما بينهم، لن يقدروا على

تحريك المركبة عبر طريق مليء بالعقبات، لكنهم إذا استعانوا باثنين آخرين، تيسرت مشاق الطريق، ودارت العجلات، إن ثلاثة دويلات (في شاندونغ) تتخذ كل منها وجهة مغايرة واتجاها مستقلا عن زميلاتها لن تستطيع الوقوف معًا بمواجهة دولة تشين، لكن الموقف يتغير تماما إذا تحالفوا – ثلاثتهم – مع دولتين أخريين، وإذ ذاك، يصير بمقدورهم منازلة تشين ودحرها. إن مشكلة دويلات شاندونغ أنها لاتعرف السبيل إلى الوحدة، أي أن تصورها لمواجهة الأزمة، يعد أدنى كثيرا مما يمكن أن يملكه الحوذيون من مضاء عزيمة ونجابة.

إن رجلا دخيلاً [من الشعوب الهمجية، غير الصينية] إذا صادف مواطنا من أهل دولة "يوي" على ظهر سفينة في عرض البحر، تتلاطمها الأمواج؛ فسيعاونه ويشد من أزره، ويصيران – وقت المحنة – يدًا واحدة على الرغم من تباين اللسان واختلاف الأفكار. إلا أن دويلات شاندونغ (ليست على هذه الشاكلة) وإنما هي أقرب شبهًا إلى ركاب سفينة يتشاجرون معًا، فإذا مادهمتهم دولة تشين، عجزوا عن حماية أنفسهم ككتلة واحدة وتجمع واحد من البشر، وهكذا يصبحون أقل مرونة وذكاء من الرجلين الذين أشرت إليهما، فيما سبق.

فهذه الحالات الثلاث، التي قصصتها عليك، لاتستعصي على أحد من الناس، ومع ذلك؛ فإن قادة وحكام دويلات شاندونغ لايدركون بداهتها ووضوحها، وهو أمر يحملني على الأسى والأسف، من أجلهم. فتأمل تلك الأحوال جيدًا وانظر فيها بإمعان وتدقيق".

الجزء الثاني من الفصل نفسه

"إن اتحاد دويلات شاندونغ ينأى بقدرها جميعا عن أن يتدنّى، ويحفظ لها مركزها وهيبتها وبقاءها الدهر الداهر؛ ثم إن الدفاع عن الحدود الغربية لدولتي هان و وي، يعد من أهم واجبات دولة يان (بحيث تجعل من هذا التحرك البند الرئيس في خطتها) وإلا تعرضت البلاد للخطر، ولاقى جلالة الملك – من جراء ذلك – أسوأ العواقب.

قد توحدت، الآن، الدول الثلاث: هـان، ووى، وجاو؛ واتفقت كلمتها وتآلفت عزيمتها، وهو الأمر الذى سيثير حنق دولة تشين، ويدفعها إلى الانطلاق جنوباً لمهاجمة دولة تشو، وإزاء تلك الأوضاع، فستسرع دولة جاو بالاندفاع شمالاً لشن الغارة على دولة يان ؛ أى أن ذلك الوضع (برمته) سيصبح بمثابة ساحة تتباين مواقف الأطراف فيها، بينما تتشابه بشاعة النهاية الداهمة لجميع مرتاديها. ولما كانت دولة تشين قد لبثت تواصل الهجوم دون هوادة على دولة هان، (فقد أتيحت الفرصة لدولة..) جاو لتقوم بتدمير دولة جونشان عن آخرها، فإذا ما أرادت تشين اليوم، أن تواصل هجومها ضد تشو، دون توقف، فلابد أن يان ستلقى أسوأ مصير على يد دولة جاو. وارى – فى وجهة نظرى المتواضعة – أنه من الأفضل لجلالتكم ضم قواتكم إلى جيش الدول الجنوبية الثلاث: هان، ووى، وجاو؛ والتنسيق معهم فى الدفاع عن الحدود الغربية لدولتى: وى وهان، وإذا لم تتمكن دولة جونشان من التصرف على هذا النحو، بعزم ثابت وإرادة صلبة، فلن يكتب لها البقاء" وكان، بعد ذلك، أن تحركت دولة يان (فى إطار هذه النصيحة) إذ قامت بضم قواتها إلى جيوش الدول الجنوبية الثلاث.

لما تحدث سوتشين إلى ملك يان

تحدث سوتشين إلى ملك يان، فقال لجلالته: "قد اتجهت دولة تشى جنوباً وهاجمت تشو، ثم استدارت غربا وأذاقت دولة تشين الهوان والمذلة، وساقت أمامها جيوش وى وهان، وألزمت قوات يان وجاو بالإذعان لها، حتى بدت وكأنها تسوق الجميع مثل قطعان من الدواب وتنهال عليهم بالسياط اللاهبة، وإذا ماعنّ لها أن تتجه شمالا لمهاجمة يان، فلن يقدر أحد على مواجهتها (حتى لو كانت هناك خمس دول فى حجم وقوة دولة يان) فلماذا لاتسرع، يامولاى، بإيفاد مبعوث سرى (ومناظر سياسى قوى الحجة) ليتنقّل بين الدول (داعيا لما تبثه فيهم من آراء) بحيث تضع العراقيل أمام قوات تشى، وتضع على كاهل أهلها أثقالاً من المصاعب الكفيلة باستنفاد عزمها وإفراغ طاقتها، فتضمن

الأمن والسلامة لدولة يان على مرّ الأجيال"، وردّ ملك يان، بقوله: "لكنى أحتاج لخمس سنوات لكي أدبّر شئوني وأحقق أهدافي" فأجابه سوتشين: "بل أمهلك عشر سنوات كاملة " فسرّ بذلك ملك يان، ومنح سوتشين خمسين مركبة، وأوفده سفيراً لدى تشي، حيث التقي هناك بملكها، وقال لجلالته: "هاهي ذى دولة تشي تهاجم تشو، في الجنوب، وتقوم بمحاولة إخضاع دولة تشين – غربًا – ثم تسوق أمامها قوات دولتي: وي وهان، وجنود كل من جاو ويان؛ كأنها تقود قطيعا من الجياد وهي تلهب ظهره بضربات السياط. وقد بلغني أن الملك الحكيم (فريد عصره وزمانه [هكذا، حرفيا] ينبغي له أن يبيد الطغاة والأمراء الجبارين وأن ينشر الاستقرار في ربوع الممالك، ويقمع كل فتنة ويزيل كل أسباب للفوضى وأن يضرب كل مستبد، سادر في غيه، ويرهب كل موطن للظلم والعسف والجور. وهاهو ملك سونغ يعيث فسادا في الأرض ويتحدى ملكوت السماء [حرفيا: "يرمي بسهامه قلب السماء، ويلهب ظهر الأرض بسوطه] ويصب التماثيل على هيئة الأمراء، ثم يقيمها في الطرقات والدروب ويضعها بجوار أبواب الحمامات العامة ودورات المياه [تحقيراً لأصحابها، ومن ترمز أليهم] وينصب بعضا منها وهي واقفة ممدودة الأذرع فيصوّب عليها بوصفها أهدافا للرماية، ويرميها بالحجارة على رؤوسها، (فمثل هذا الرجل) نموذج بارز للعربدة والحماقة والصلف، ومع ذلك فإن جلالتك لاتخرج إليه لمهاجمته وتأديبه؛ مما يعني أن ماأشتهر عنك، بين الممالك، من الحكمة ورجاحة العقل والشجاعة، وغيرها من الصفات الجليلة لن تنجز لك المآثر العظيمة، ناهيك عن أن الموقع الذى تشغله دولة سونغ في المنطقة الوسطى من امالك التي تحت السماء، يتميز بخصوصية أرضه. ثم إن الإقليم كله يجاور أرض بلادكم، وهكذا فإني أرى أن عشرة "لي" من أرض سونغ (تقتطعونها لكم) أفضل من مائة "لي" (تحصلون عليها من أرض دولة يان).

ومن ثم فإن الهجوم على دولة سونغ، سيستظل بمظلة الحق والعدل (من الناحية الاسمية) لكنه، في حقيقته، يستهدف اغتنام المصالح وأوجه النفع العام، ففيم قعودك عن ذلك؟" ووافقه ملك تشي على رأيه، ودفع بجيشه لمهاجمة سونغ، وتمكن، في ثلاث مرات

[هكذا] من دحر قوات دولة سونغ، وأخيرا فقد وقعت البلد كلها تحت احتلال دولة تشي، ووصلت أنباء ذلك إلى ملك يان الذى بادر على الفور بقطع علاقاته مع دولة تشي، ثم قام على رأس جيش كثيف فهاجم تشي، وماكاد يدخل معها في معركة حامية الوطيس واشتباكين قصيرين، حتى كان قد أنهك قواها، وأدال عليها وسجل في صفحة المجد سطور إنجاز باهر، طارت أصداؤه في الآفاق؛ ولذلك يقال: "إن منازلة دولة قوية اعتماداً على مايحوزه المهاجم من قوة وصلابة، يمكن أن يضعف كثيرا من مقدار تلك القوة والصلابة؛ والسعى لتوسيع آفاق الطموح، بأمل مضاعف وتطلعات أكبر، كفيل بأن يضرّ بكل المطامح ويقوّض أركان الأمل".

لما استعدت دولة جاو لمهاجمة

استعدت دولة جاو لمهاجمة دولة يان، فتحدث سوداى (مدافعًا عن موقف دولة يان، قائلا للملك هوى، حاكم جاو: "كنت وأنا قادم إليك، خلال الطريق، قد عبرت نهر "إيشوى"، وحدث أنى رايت، عند الشاطئ، محارة البحرتفتح صدفتيها؛ لتنعم قليلا بدفء الشمس، فجاء طائر الشنقب، بمنقاره الطويل المدبب فغمز المحارة وأطبق على جوفها المكتنز باللحم، فضمت المحارة أصدافها وأطبقت، بدورها على منقار الشنقب (آكل حيوان البحر)، فقال لها: "لن تمطر السماء طوال اليوم والغد، فلن تجدين ماء يرطب جسدك، فتهلكين". فأجابته المحارة:"وستظل صدفتي مطبقة على منقارك طيلة اليوم والغد، فلن تجد ماتقتاته، فتموت". وإذ بقيا كلاهما يتصارعان، دون أن يتنازل أحدهما عن تعنته وعناده، فقد مر الصياد بهما، ورأهما على هذا الحال فغنمهما معا، صيدا سهلا ووفيرا". وهاهى ذى دولة جاو تستعد لمهاجمة يان، وعندما يطول أمد النزال بينهما، يبلغ الإنهاك مبلغه من الناس فيهدر من الطاقة ما لايستعاض عنه، وأسوأ ما أخشاه أن تسلك دولة تشين، حينئذ، مسلك الصياد(فى الحكاية المذكورة) فأرجو تأمل هذا الأمر ومراجعته بعناية فائقة". فنزل ملك جاو على رأيه، وألغى محاولة الهجوم على يان.

لما تنازعت كل من تشى ووى للفوز بالوحدة مع

تنازعت كل من دولتي وى وتشى للفوز بالوحدة مع دولة يان، وكان أن تحدث ملك تشى إلى ملك يان، فقال له: "قد استطعت أن تفوز بيد العون من دولة جاو". وجاء ملك وى، وتكلم أيضا مع حاكم يان، قائلا: "أستطيع أن أقول لك أنى قد حزت مساندة وتأييد جاو". وتحير ملك يان فى أمره، فلم يقطع بقرار، ولم يدر، مع أى الفريقين يميل وإلى أيهما ينحاز! فتكلم معه سوتشين، قائلا لجلالته: "قد بلغنى أن من ثقلت هداياه وعظم مقدارها، فى حين خفت نبرة كلماته، كان هو الطرف المحروم من دعم الممالك ومساندتها؛ بينما أن من تعاظمت كلماته وعلا صوته، (فى حين..) تضاءلت هداياه، كان هو الطرف الآخر الحائز على دعم الدول والممالك حقا؛ وإنى أرى أمامى هدايا دولة ليست بالشيء الكبير، مقابل نبرة صوتها الرنان، وكلماتها ("من الوزن الثقيل" [حرفيا])" فكان أن أقدم ملك يان على الوحدة مع دولة وى، واستطاع . فى الوقت نفسه – أن يحوز دعم ومساندة دولة جاو. فكانت الكسرة على جيش تشى، فمنى بهزيمة شنيعة.

سجل يان الثالث

لما قامت الدول الثلاث بمهاجمة دولة

قامت الدول الثلاث: تشى، وهان، ووى بمهاجمة دولة يان، فأرسلت هذه أميرها إلى دولة تشو تستصرخها لنجدتها، فأوفد ملك تشو كبير قادته العسكريين (الملقب بـ"جينيان") على رأس حملة لإنقاذ البلد المنكوب، فلما حل المساء وحان مبيت المقاتلين أصدر جينيان أوامره لقادة فيالق الميمنة والميسرة باختيار الأماكن المناسبة لتمركز القوات وإنشاء المخيمات، فلما توغلوا فى الأنحاء المحيطة ووضعوا علامات على الأرض فى الأماكن التى رأوها مناسبة لإقامة المخيمات ذهب إليهم جينيان وتطلع إلى العلامات التى فوق الأرض، وثار غاضبا، وصاح فيهم، قائلا: "كيف يقع اختياركم على أماكن قريبة من مجرى السيل؟ إن هذا ليس بموضع مناسب!" وأمرهم بالانتقال إلى مكان آخر، وفى اليوم التالى هطلت أمطار غزيرة، وتدفقت أودية الجبل بأنهار السيول، فجرفت فى طريقها كل شىء، حتى العلامات التى أخطتها الرجال لإقامة الخيام، وهنالك اقتنع القادة العسكريون (بصحة تقدير القائد العام)، إلا أن قوات تشو لم تتمكن فى ظل تلك الأوضاع من انقاذ دولة يان، بل بادرت إلى مهاجمة إقليم "يون شيو" التابع لدولة وى، ولما تم لها احتلاله، قامت بإهدائه إلى دولة سونغ، وعندئذ، وقع الرعب فى قلوب الدول الثلاث (تشى - هان - وى) فتراجعت عن مهاجمة يان، غير أن قوات تشو لم تتمكن من العودة إلى بلادها (وقد أصبحت قوات دولة وى ملاصقة لجناحها الغربى، بينما كادت قوات تشى أن تطبق على الجانب الشرقى للقوات) فما كان من جينيان إلا أن قام بفتح ثغرة فى الجناح الغربى وجعل العربات والخيول تقوم بتحركات نشيطة فى هذا الجزء، وفى المساء أوقد الشموع الكثيرة والمشاعل التى انتشر ضوؤها على المدى،

وصار جينيان يرسل مجموعات (استطلاعية) صوب معسكرات جيش دولة وى، إلا أن دولة تشى استشعرت أن هناك شيئا مريبا يجرى فى الخفاء، ووقع فى ظنها أن دولتى يان وتشو تتآمران مع دولة وى ضدها، فحركت قواتها مبتعدة لتتمركز فى أماكن أخرى، فكان هذا التصرف من قوات تشى بمثابة ضربة قاصمة لدولة وى التى وجدت نفسها بغير حليف، من ثم تخاذلت عن مسعاها فى مهاجمة دولة تشو فانسحبت هى الأخرى، تحت جنح الليل. وكان أن عادت قوات تشو إلى ديارها سالمة.

لما سافر كبير وزراء تشى إلى دولة

سافر"جانشيو" (كبير وزراء تشى) إلى دولة يان، بخصوص موضوع رهينة السلام، وفكر جلالة ملك يان فى أن يطيح برأسه، فتسرب شىء من ذلك إلى نفس جانشيو ففر هاربا، ولما أوشك على الخروج من الحدود، قبض عليه ضابط الحراسة، فقال له"جانشيو": "ماكان ملك يان ليقتلنى، إلا لأن أحدهم أخبره بأن معى جوهرة ثمينة، وقد طمع جلالته فى اقتنائها، لكنها على أية حال - ضاعت منى ولم أعد أعثر لها على أثر، والمشكلة أن جلالة الملك لايصدقنى؛ فإذا مابدا لك أن تحملنى على الذهاب إلى جلالته، فسأقول له بأنك استوليت على الجوهرة بالإكراه وابتلعتها، ولابد أن جلالته سيقتلك، ويشق بطنك ليستخرج الجوهر الكريم. وبالطبع، فأنت من حقك أن تسعى للحصول على تقدير الملك لجهودك وتنال عظيم المكافأة، لكنك لست مطالبا بدفع ثمن باهظ لذلك، واعلم علم اليقين بأنى لو مت، فأنت مقتول فى كل الأحوال؛ لأنهم سيقطعون أحشاءك أشلاء متناهية الصغر (بحثا عن الذهب)" فنوجس الحارس خيفة، وأطلق سراح "جانشيو".

لما أوفد ملك يان رئيس الوزراء إلى دولة

أوفد ملك يان، رئيس وزرائه (ليفو) بهدية فخمة ومائة مثقال من الذهب إلى ملك جاو، وذلك بمناسبة عيد ميلاد جلالته، وبعد ثلاثة أيام من الاحتفالات والأفراح الغامرة وكئوس الخمر المترعة، عاد ليفو إلى ملك يان ليقدم تقريره عن الزيارة، قائلا لجلالته:

"لم يعد فى دولة جاو الكثير من الشبان، إذ مات معظمهم فى"تشانبين" كما أن أخواتهم وأبناءهم لم يبلغوا مبلغ الحلم(ولن يقدروا على حماية بلادهم إذا دهمها الخطر..) فهذا هو الوقت المناسب لمهاجمتها". فاستدعى الملك (أحد النبلاء ويدعى بلقب: أمير شانكو، وكان قد لجأ إلى دولة جاو، فترة من حياته، ولما عاد إلى يان أنعمت عليع بذلك اللقب، واسمه الأصلى..)"يوجيان" وسأله قائلا:"مارأيك فى موضوع مهاجمة دولة جاو؟" فأجابه: "من المعروف أن دولة جاو ذات دروب ومسالك شتى، وطرق اتصال مفتوحة (مع مختلف الممالك) وأهلها ذوو تجربة ودربة فى فنون القتال والمعارك، فلا تخض معها الحرب" فسأله الملك: "فماذا إذا تقدمت إليهم بضعف قواتهم؟" فرد الرجل :"لست أوافقك على ذلك أيضا!" فسأله جلالته:"فما رأيك إذا استعملت عليهم ثلاث أضعاف قواتهم من الجنود والعتاد؟" فلبث النبيل يردد الإجابة نفسها، فغضب الملك للغاية، بينما كان باقى الوزراء الذين بجانب الملك يرون أن مهاجمة جاو - على العكس - جديرة بأن تؤتى ثمارها، فما كان من جلالة الملك إلا أن دفع بقوات تعدادها ستمائة ألف مقتل لمنازلة جاو، ثم أرسل "ليفو" على رأس قوة قوامها أربعمائة ألف مقاتل للإغارة على إقليم "هاو"، كما بعث "تشينغ شين" [كبير وزراء دولة يان] لقيادة قوات قوامها مائتا ألف مقاتل لضرب منطقة "دايدى" ومن جانبها، فقد أرسلت دولة جاو "ليانبو" على رأس جيش من ثمانين ألف جندى للتصدى لقوات"ليفو" فى إقليم هاو، كما أوكلت إلى "يوشن" مهمة التصدى لـ "تشينغ شن"، وذلك بعد أن دفعت، تحت قيادته، قوات مقدارها خمسون ألف مقاتل فانهزمت دولة يان شر هزيمة، وهرب القائد "يوجيان" إلى دولة جاو.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وعاد ملك يان يسطر خطابا إلى يوجيان يعبرله فيه عن اعتذاره،قائلا:"اعترف بغفلتى وجهلى وتقصيرى إذ لم آخذ برأيك؛ مما دفعك إلى مجافتنا واتخاذ ملاذك لدى الآخرين، وقد اتضح بما لايدع مجالا لأى شك مدى مايعتور آرائى من غفلة وسطحية وضيق أفق، وقد نويت أن أصحح ما وقعت فيه من أخطاء، وتمنيت أن تساعدنى فى

هذا الأمر، لكن يبدو أنك لن تصغى إلى؛ لذلك فقد أوفدت إليك رسولا يشرح وجهة نظرى، فاستمع إليه وأبلغنى برأيك وتقديرك. إن المثل السائر يقول: "إن الرجل الفاضل لايسهل عليه قطع علاقات الأخوة والصداقة، كما أن الذكى العاقل لايسارع إلى اجتلاب العداوة والبغضاء". إن الجميع يدركون مدى ما كنت تتمتع به من عظيم مكانة واحترام لدى جلالة الملك الراحل (فأرجو أن يكون بينى وبينك القدر نفسه من المودة والتبجيل) وكم أتمنى أن تقبل عثرتى وتتغاضى عن هفوتى، فلست أريد أن يكون ذيوع مثالبى على يديك أو أن يعرف الجميع تفاصيل أخطائى من خلالك، بل أرجو أن تكون منك النصيحة وقت التقصير والرأى السديد عند الميل أو الانحراف عن جادة الصواب، فلا تكن أنت أول من يفضح سوأتى وينشر على الناس عيوبى ومثالبى، مع أنى واثق تماما من أن الناس تدرك ماوقعت فيه من الأخطــاء وأن الجميع يتهامسون فيما ارتكبت من الزلل. لكن الأخطاء ستصبح جرائم فاضحة إذا فررت إلى دولة يان (كما هو حادث الآن)، معلنا السخط علىّ متبرما بى رافضا البقاء فى خدمتى.

وعلى أية حال، فلابد أن تعرف أن خروجك عن مقتضى الواجب سينال من إخلاصك وعهد الثقة الذى قطعته على نفسك وهنا، فإن الحكمة السائرة تقول: "إن الرجل ذا القلب المخلص، يتعفف عن أن يغنم مغنما مقابل الإساءة للناس، كما أن العاقل الحكيم لايقيم صرح سمعته فوق أنقاض ماهدم من سمعة الآخرين"، ومن ثم كان ستر المخازى وحجب العيوب من صميم علامات الإخلاص، وكانت إقالة عثرات الناس من ألزم واجبات الفاضل الرحيم. أليس من بين أمنياتك الدفينة أن تتحلى الناس بهذه الصفات؟ ألاتكون أنت أول من يراد منه تحقيق تلك الأمنيات والتحلى بهذه الصفات، إذا ماخضت فى سيرتى وكشفت ستر عيوبى، طلبا لمغنم عاجل، أو استجابة لنوازع نفس غير عاقلة، خصوصا أنك نلت حظوة عندنا وترقيت فى بلاطنا – منذ أيام الملك الرحل – وصار لك فى عهدنا شأن ومكانة!

هنالك نقول: إننا قد أكرمنا من أساء إلينا، وأننا قد ضربنا صفحا عمن ارتكب فى حقنا أبشع الأخطاء، بل إننا أويناه وولبناه أرفع المناصب والدرجات . ولئن كنت أتحمل أوزار أخطاء وعثرات، فأنت أيضا مثقل بتبديد الثقة وعدم الوفاء، ولذلك فلست أراك قد

أحسنت الاختيار ولا أصبت الوسيلة المثلى، إن حدود الأوطان بعض مما نقيم حول أنفسنا وأهلينا من الجدران. إنها أشبه ماتكون بتلك الحيطان التى يلتئم وراءها شمل عائلة، وتحيط بالأفراح بقدر ما توارى من السوأة وعورات البيوت، ولايمكن أن نتصور أفراد عائلة متحابين فيما بينهم (ويذيعون فضائحهم وسط الجيران) وليست هذه طريقة مقبولة ولا ناجحة (فى حل المشكلات). ثم إنك، فى الوقت الذى لم تبدر فيه منى أدنى إساءة إليك أو حتى مجرد مشاعر بغيضة ضدك، سارعت إلى الفرار والهروب من البلاد، وهو سلوك خال تماما من معنى الالتزام بواجب الإخلاص والثقة والمسئولية".

الجزء الثالث من الفصل نفسه

"وإذا كنت سيئ التدبير، ثقيل الفهم، فلست غشوما بليد الذهن، مثل الطاغية تشو (سلسل أسرة شانغ الملكية) ولئن كنت قد جربت شيئا من الإحباط، فأنت لم تمر بتجربة أشق مما جرى على "شانرون" [أحد نبلاء آل شانغ، قبل الطاغية تشو نزع عنه خاتم الملك] ولم تعرف مرارة ماعاناه "جيه" . ومع ذلك، فلم تكتف بتعرية أخطائى داخل البلاد، وإنما فررت إلى الخارج، إعلانا لكل شعور عدائى واستجلابا للبغضاء، وهو ماسوف يعود وباله عليك وحدك، فمثل هذا التصرف سيمس قدرك وينتقص من شرفك، ويحط من مزلتك أمام الناس، أليس كذلك؟

لو كنت أبديت قدرا من العدل والحكمة، وحافظت على شرف مكانتك ومنزلتك الكريمة، فلربما أمكننى الصمود فى محنتى، واحتمال مانزل بى من وصمة العار، وهكذا فقد سعيت إلى اتهامى بنكث العهد فى حين أضعت أنت معنى الإخلاص، وأذعت على الناس نقيصتى وجلبت لى العار، دون أن تكسب لنفسك الشرف (أى أنك ارتكبت خطأين بفعل واحد) والحكيم لايتبع هواه فى التشهير بالآخرين، فما بالك إذا كان يؤذى نفسه بإيذائه للآخرين أيضا!

وأرجو منك، شديد الرجاء، بألا تظلم ماكان فيما مضى، من مآثر الفضل والخير (والأيام الطيبة) بسبب ماذكرته لك من غفلتى وسقطاتى. وقد قيل إن "ليوشياهوى"

كان يتولى منصبا مهما في دولة لو (فيما مضى من أخبار الزمان) وعلى الرغم من أنه خلع من منصبه ثلاث مرات، فلم يفكر، مرة واحدة، في مغادرة البلاد، حتى ذهب إليه من قال له:"إن ذهابي إلى بلد لن يغير حقيقة الاستغناء عني، بل ستظل هذه الحقيقة ورائي أينما حللت، ومادام الأمر كذلك فالبقاء في بلادي أفضل كثيرا من المغادرة". أي أن طرده من منصبه ثلاث مرات لم يجعله متحاملا على ماسبق له من أيادي الإنجاز والمآثر الجليلة.

ولم يحرص على ترك بلاده؛ مما حجب عنه الوشايات المغرضة أن أخطائي مازالت طي الخفاء داخل الوطن، لكنها الآن، أصبحت مذاعة على الملأ خارج الوطن، ويقدح في سيرتي كل قادح، والمثل السائر يقول:"لاينبغي للثناء أن يجمل الوقائع، ولا النقد الجاد أن يتحامل على الهنات وسفاسف الأمور، إن الحليم لا يقطع عرى المودة بأيسر طريق، والذكي لايجعل مآثره السالفة وراءه ظهريا".

(ذلك أن..) تجاهل ما سبق من الإنجازات دليل على سقوط الهمة، كما أن إنكار مواطن الحظوة، علامة على نوايا البغض والكراهية، وتلك كلها من الظواهر التي تشوب سلوك وتصرفات المبعدين من المسئولين والوزراء، ولا أريد لك أن تنساق إلى إبداء أي وجه منها. وأسألك هل كنت تبغضني لو كنت تلافيت الوقوع في ذلك الخطأ؟ أرجو أن تغضي عما سلف من الجفاء، وأن تذكرنا بكل خير، وأن تعود إلينا مشيرا بالرأي وناصحا أمينا. وقد فكرت في أمرك، ورأيت أن إضمار نية الغدر والانتقام منك، ونسيان ماسبق لك من فضل وأياد كريمة، وإشاعة القيل والقال عنك، لن يشيد قاعدة مجد ولن يكون مأثرة تدعو للفخر ولاوسيلة ناجعة لتصحيح ما اختل . فإذا كانت نفسك تنطوي على شيء من تلك النوايا البغيضة فتمعن قليلا واستعمل الفكر والروية، فإنما قصدت أن أطلعك على مكنون أفكاري، واستودعته في خطابي هذا إليك" ومع ذلك، فقد ظل يوجيان ناقما على ملك يان عدم الأخذ بخطته التي وضعها له، وآثر البقاء في دولة جاو، ولم يعد إلى يان.

لما قامت دولة تشين بضم جاو

بعد أن قامت دولة تشين بضم دولة جاو إلى حلفها، أمرت جيش جاو بالاتجاه شمالا للتصدى إلى قوات دولة يان. فلما سمع ملكها بذلك، أوفد مبعوثا إلى ملك تشين لتقديم التهنئة له [هكذا] وعند مرور هذا المبعوث عبر أراضى جاو، ثم إلقاء القبض عليه، فقال الرجل: "قد تم التحالف بين تشين وجاو، وسوف يقوم بمهامه فى إخضاع باقى الدول والممالك تحت سيطرته؛ ومن ثم فقد قبلت دولة يان بالعمل طبقا لما أملته عليها جاو بوصفها حليفة لـ تشين (تتلقى منها المساعدة والدعم، فى الواقع..) فإذا قامت جاو بالقبض على وأنا ذاهب إلى تشين، فهذا معناه حدوث فجوة وقطيعة هائلة بينها وبين تشين، فإذا تبادر إلى باقى الممالك الإحساس بوجود مثل هذا الصدع بينكما؛ فلن تسلم بالخضوع، ولن تذعن يان لأوامر جاو، بعد اليوم . وعلى أية حال، فقد كنت فى طريقى مبعوثا إلى تشين، أى أنى لم أكن أعرف أو أوثر أية تدبيرات هجومية تقومون بها ضد يان".

واقتنع ملك جاو بكلامه، فأفرج عنه، فلما التقى المبعوث بملك تشين، قال له :"قد علم ملك يان، على نحو خفى، بأمر انضمام جاو إلى حلفكم، فأوفدنى إليكم بألف مثقال من الذهب تعبيرا عن سعادته وتهنئة لكم بهذه المناسبة" فرد عليه الملك، قال: "ياله من رجل منافق لاخلاق له (يقصد ملك يان) قد أمرت دولة جاو بمهاجمة دولة يان، هذا ملكها يرسل لى بالتهنئة، أليس هذا بأمر عجيب؟" فقال المبعوث: "قد بلغنى أن دولة جاو كانت (قبل دخولها حلفكم) تتجاور فى حدودها الجنوبية مع أرضكم. وكانت تشتبك دائما مع جيرانها الشماليين، فكثيرا ما أغارت هناك، على دولة يان وإقليم "تشى وانغ"، ومعلوم أن مساحة يان ثلاثمائة لى مربع، وقد ظلت على مدى عشر سنوات تتمسك بموقفها (المستقل) مع دولة تشين، وإذا كانت قد أحجمت عن مهاجمتكم والظهور عليكم؛ فلأنها ضئيلة الأرض والمساحة، قليلة الإنتاج، وإذ أمرتها جلالتك بضم أراضى يان، فاعلم أن البلدين سيوحدان جهودهما ويتساندان معا، وينبذانك وحدك ويخرجان عن طاعتك، وأهمس فى أذن جلالتك، بأنك ستجد نفسك فى وضع مثير للقلق وقتئذ!"

فلما بدا للملك تشين أن الأمر يحتمل الصواب، دفع بقواته لمؤازرة دولة يان.

لما ذهب الأمير إلى دولة تشين رهينة سلام

ذهب الأمير "دان" [أمير دولة يان] إلى دولة تشين، ليقيم فيها رهينة سلام، ثم إنه هرب - فيما بعد - عائدا إلى بلاده، فلما رأى عيث دولة تشين فى أراضى الدويلات الست وإنزالها الهلاك بها واقترابها من منطقة إيشوى (وما قد يستتبعه ذلك من نتائج) جاشت نفسه بالقلق، وأفصح عن مكنون صدره لأستاذه "جيو"، قائلا له: "إن يان وتشين ليستا متكافئتين فى القوة، فليتك تتدبر لى خطة ناجعة لمواجهة تشين". فقال معلمه: "إن أرض تشين شاسعة تضرب فى الآفاق، وللدولة من القوة والمنعة مايحدوها على تهديد وى وهان وجاو مجتمعين، أما بالنسبة لأراضى يان الواقعة شمالى نهر إيشوى، فمن الصعب البت فى أمرها(وإلى أى الفريقين تنتمى!) فما الذى يجبرك على الاحتكاك بدولة وحشية مثل تشين، وهل لمجرد الإحساس بما قد يمسك من العار والتخاذل أمامها، تندفع إلى إثارة حفيظتها ضدك؟" فسأله الأمير: "كيف يمكن معالجة هذا الموضوع إذن؟" فأجابه أستاذه: "اذهب أنت الآن، ودعنى أتأمل الأمر مليا". وبعد فترة من الزمن، كان قائد قوات تشين "فان يوتشى" قد هرب من بلاده [على إثر مشادة بينه وبين جلالة الملك، وتطاول فيها القائد على مليكه] لاجئا إلى يان، فاستقبله الأمير دان، فنصح له أستاذه "جيو" قائلا: "ماكان يصح أن تتصرف على هذا النحو؛ فأنت تعلم جيدا مدى مايصم ملك تشين من طغيان واستبداد ووحشية، وهو يضمر لبلادك كل البغض والكراهية مما لامزيد عليه ولايملك المرء معه إلا أن ينتفض ذعرا ويتوجس خيفة فكيف فى ظل كل تلك الأحوال تتجاسر على استضافة القائد (الهارب) "فان يوتشى" فى أرضك؟ لكأنك - بذلك - تلقى اللحم الطازج فى طريق النمر الهائج (لفرط ماعانى من الجوع) فإذا وقع الافتراس فلا مفر ولامنقذ! حتى لو كان لديك أمهر رجال السياسة ودهاة التخطيط [مثل: "كوان تسى" و"يانين" (أبرع السياسيين القدامى)] فلن تجد مخرجا من ورطتك، وبناء على ذلك، فأرجو أن تسرع بإخراج القائد المخلوع "فان يو تشى" إلى أرض "شيونو" [البرابرة والهمج، خارج الحدود] تلافيا لما يمكن أن تتخذه دولة تشين من ذريعة لمهاجمة يان، وعليك أيضا بعقد ميثاق مع الدول الثلاث الواقعة إلى الغرب

منك (هان – جاو – وى) كما ينبغى أن تتحالف مع تشى وتشو – فى الجنوب – مثلما يتوجب عليك عقد صلات المودة والصداقة مع (قبائل) شيونو (برابرة الشمال) . وبعد ذلك تستطيع أن تقدر مواقفك وتجرى حساباتك" وهنالك قال الأمير دان: "هذه خطة، تحتاج – سيدى المعلم – فى تنفيذها إلى حقبة طويلة من الدهر، وقد ضاق صدرى، جزعا، وماعدت أطيق الصبر على تلك المعالجات طويلة المدى، هذا بالإضافة إلى أنى قد وجدت الطريق مسدودة فى وجه القائد "فان يوتشى" ولا أحد يريد استضافته، فلما قدم على شريدا بغير مأوى، وأناخ بساحتى، أكرمت وفادته، ووطأت له الأكناف؛ وماكنت لأرد صديقا تربطنى به مشاعر الود عن النزول بأرضى، وماكان لى أن أرسله إلى قبائل الشماليين حتى لو كان سيف التهديد والإجبار مشهرا فى وجهى؛ الموت لى – إذن – إن خذلته! بل أرجو منك أيها المعلم النابه أن تدبر مخرجا آخر غير هذا! فقال له جيو : "يقال: إن بدولة يان، رجلا بارعا فى الخطط السياسية يدعى "تيانكون" وهو واحد من أحذق فقهاء مذهب التخطيط [قل .."السياسى"] معروف ببعد نظره ودقة تدبيره وشجاعة شخصيته، فعليك باستشارته!" فقال الأمير دان: "فهل لك أن تساعدنى فى لقاء ذلك المدعو تيانكون؟"، فأجابه المعلم بما يفيد السمع والطاعة.

الجزء الثانى من الفصل نفسه

فذهب المعلم "جيو" إلى "تيانكون" وأبلغه بما سمعه عن سمو الأمير دان، قائلا له: "أرجو أن تجد فسحة من الوقت لمناقشة مسائل ذات شأن مع سمو الأمير" فأجاب الرجل بأنه طوع ماينصح به الأمير ثم قام وذهب إلى مقر سموه، فلما التقى به ركع له الأمير ترحيبا وتبجيلا، وانتحى جانبا ليفسح له الطريق، ثم ركع ثانية وهو يشير له بالجلوس (بل إن سموه مد يده ومسح له على كرسيه) فجلس تيانكون، مع الأمير، وحدهما ولا ثالث، وكان أن تقدم منه سموه، وكلمه، قائلا: "إن دولتى تشين ويان ليستا متكافئتين فى القوة، ذلك ماكنت أريد أن أنبهك إليه لتضعه نصب عينيك وتلتفت إليه فى تقديرك

للأمـور"، فـقـال له تيـانكون: "بلغني أن الجـواد الأصـيل، يستطيع في سني صـبـاه أن يركض ألف لي في لمح البصر، فإذا أدركته الشيخوخة، صارت حتى الخيول الهزيلة، تسبقه وتتخطاه. ومابلغك عني من الأنباء إنما يشير إلى ماكنت عليه أيام صباي من عنفوان وقوة، أما اليوم فقد وهن الجسم وذبلت القريحة، وعلى الرغم من ذلك، فالأمر جد، ولست أريد أن أضيع وقت سموك ومصالح الوطن عبثا، وأستطيع أن أدلك على رجل صديق لي، اسمه" جينكه"(وأظنه يرحب بالعمل في منصب حكومي بارز) فعليك به!" فقال الأمير: "ليتك تعرفني إليه" فقال له الرجل: إنه مطيع له في كل مايأمر به، ثم قام وغادر مسرعا، فودعه الأمير حتى الباب، وهمس في أذنه:" كل ماحدثتك عنه يعد من شئون الدولة العليا، وأتمنى ألا تذيع ماسمعت إلى الناس" وخفض الرجل نظره وهو يضحك قائلا: إن هذا مفهوم بالتأكيد. ومشى تيانكون إلى "جينكه" [تنطق بمقطعين، الأول كما في الهجين والثاني كما في مليكه] وهو محدوب الظهر وقال له: "إن مايربطني بك، ياسيدي، من علاقة طيبة، لايخفى أمرها على أحد، وهذا معلوم للكافة. وقد بلغ مسامع الأمير دان ماكنت عليه أيام صباي من العقل النابه والذهن المتفتح، لكنه لم يكن يعرف أن الشيخوخة رمتني بدائها، [حرفيا: الجسد لم يعد يطاوع الإرادة أو "المادة لم تعد تطاوع الطاقة"] لكني من حسن الحظ، عرفت منه أن.." يان وتشين ليستا متكافئتين في قوتهما، وهو أمر يحتاج من العاقل الكريم الحذر والانتباه" ولأني أعرفك تمام المعرفة، فقد ذكرتك عنده، وأتمنى لواستطعت أن تذهب إلى القصر لمقابلته" فقال له جنيكه:"سمعا وطاعة" فقال تيانكون:"قد بلغني أن الذكي الشريف، لايثير الشك في قلوب الناس، وقد حذرني سمو الأمير من إفشاء مادار بيني وبينه باعتباره من أدق أسرار الدولة، ومعنى هذا أنه يستبطن الشك فيّ وتساوره الظنون بشأني. فهذا دليل على أني لست أتصرف بالطريقة التي توحي بالثقة، أو أني لا أتمتع بالقدر الكافي من مظاهر الإباء والشهامة والفروسية" وأراد تيانكون أن يثير مشاعر جينكه، وهو يوعز إليه على نحو خفي، بما انتواه من الانتحار، قائلا: "أرجو أن تسرع إلى لقاء الأمير، وقل له أني مت، لعله يطمئن إلى أني لن أفشي السر لأحد"، ثم طعن نفسه ومات منتحرا.

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وذهب جنيكه للقاء الأمير دان، وأخبره بأن السيد تيانكون قد قتل نفسه تأكيدا للعهد الذى قطعه على نفسه بعدم إفشاء السر. فركع الأمير ذاهلا، وخفض رأسه وهو يتلو تلاوة الأسى على الفقيد، وتحدرت دموعه على وجهه، وظل راكعا فترة من الوقت، وقال بعدها: "ماطلبت إلى السيد تيانكون أن يحفظ السر، إلا أملا فى نجاح الخطط المتعلقة بشئون الدولة العليا، وقد قصد بموته أن يضمن عدم إفشاء الأسرار وهو مالم أكن أريده، ولاقصدت الإشارة إليه".

فلما استقر جينكه فى مجلسه، قام الأمير دان واقفا وغادر كرسيه، ثم سجد على الأرض، قائلا: "لم يكن يعلم السيد تيانكون مدى ما أعانيه من أهوال، ولا ما قاسيته من الشدة حتى طلبته وطلبت كل من أستطيع أن أتحدث أمامهم عن مكنون صدرى، فالسماء تتدارك بلادنا برحمتها، ولا تتخلى عنها فى ضعفها ووقوفها وحدها فى وجه الصعاب، لاسيما وقد استفحل طمع دولة تشين، واتسعت شهيتها للنهب والسلب بلاحدود، وها هى ذى قد أسرت ملك هان، وفرضت سيطرتها على أراضى الدولة، ولم تكتف بذلك، بل دفعت بقواتها صوب الجنوب لمهاجمة واحتلال دولة تشو، ثم ناوشت دولة جاو فى الشمال بعدد من قواتها. وكان "وانجيان" قد هاجم منطقتى "جانغ" و"بيه" بقوات تجاوز مقدارها مئات الألوف من المقاتلين، وكذلك دفع "ليشين" بقواته نحو"تاييوان" و"يوتجون"، وإذا عجزت دولة جاو عن مقاومة عدوان تشين، فسوف تستسلم لها وتذعن بالخضوع لمشيئتها، وإذا ماحدث ذلك، فسوف تقع الأهوال على رأس دولة يان التى لاتحوز الكثير من المساحة، والتى عانت الكثير من نكبات المعارك، وعندما أفكر فى الأمر بعمق، أجد أن كل ماهو متاح لنا من القوة لن يكفى لصد عدوان تشين، علما بأن كل الدويلات خضعت لسيطرة تشين، ولم تجسر واحدة منها على الدخول فى حلف المحور الرأسى إلى جانب يان وأحيانا أتأمل المسألة برمتها من زاوية شخصية بحتة وبتقدير ذاتى جدا وأقول لنفسى: إننا لوتمكنا من اختيار أشجع رجل من بين الممالك كافة وأرسلناه إلى تشين، بحيث أظهرنا لها مدى مايمكن أن تمنحه إياها دولة يان من الاعتبار وماتحققه

لها من المصالح، فلابد أن مسعى ملك تشين فى اجتناء كل الثمرات والاستيلاء على كل ماتطوله يده سيسير فى الطريق الذى نريده له. وإذا استطعت، فعلا، أن أمارس نوعا من الضغط والسيطرة على ملك تشين، بحيث أرغمه على إعادة أراضى الدويلات المسلوبة إلى أصحابها، على النحو الذى استطاع به"تساومو" أن يفرض به إرادته على ملك تشي، فسيكون هذا أعظم إنجاز على الاطلاق، فإذا لم تفلح هذه الخطة، انتهزنا الفرصة وقتلنا الرجل.

وبهذه الطريقة، تصبح السلطة العسكرية الكاملة فى يد القائد العسكرى الموجود خارج البلاد، بينما تسود الفوضى كل الأنحاء فى الداخل، وتضطرم نفوس الأمراء والوزراء بالشك المتبادل، وعندئذ ننتهز فرصة تلك الفوضى العارمة، ونقوم بدعوة الجميع إلى الدخول فى الحلف الرأسى، وهو مايعنى المواجهة الكاملة مع تشين تمهيدا لتدميرها. تلك هى أمنيتى الكبرى، ومشكلتى أنى لاأدرى من الذى أستطيع أن أوكل إليه تلك المهمة. وبالطبع فإنى أرجو منك – أيها السيد جينكه – التزام الحذر البالغ بشأن سرية هذه الأفكار". وانقضت فترة طويلة من الوقت حتى تكلم الرجل، فقال: "تلك موضوعات تتصل بمصالح الوطن العليا وأنا رجل متواضع الملكات، ولاقبل لى بتدبير تلك الخطط وتنفيذ السياسة المتعلقة بها".

فتقدم منه الأمير دان، وجثا على ركبتيه، وراح يرجو جينكه (بل أخذ يلح فى الرجاء..) بألا يعتذر عن قبول الاضطلاع بمسئوليتها، وظل به حتى وافق، ثم أنعم عليه بمنصب ودرجة "الوزير الأعظم" وأنزله أحسن مكان للإقامة، وأخذ يتردد عليه يوميا للاطمئنان عليه، ثم إنه أغدق عليه الصلات الوفيرة من الذهب والمال والتقادم الفخمة والجياد والغيد الحسان، ولم يدع له مطلبا أو حاجة إلا قضاها له، تسكينا لخواطره وتطييباً لنفسه.

الجزء الرابع من الفصل نفسه

فلما انقضى زمان طويل، بدا جينكه غير مستعد للبدء فى المهمة المشار إليها، وكان القائد العسكرى لدولة تشين (المدعو: "وانجيان") فى تلك الأثناء قد هاجم دولة جاو،

وأسر حاكمها واحتل أرض البلد بالكامل وتوغل شمالا بقواته فعاث في الأنحاء واستولى على المزيد من الأراضي، وهاجم الحدود الجنوبية لدولة يان، فأسقط في يد الأمير دان، فذهب إلي جينكه وأخذ يتوسل إليه، قائلا: "لابد أن قوات تشين ستعبر نهر إيشوي إن عاجلا أو آجلا، وعلي الرغم من أني كنت أود أن أقوم بخدمتك والتفاني في القيام على راحتك، فإني - بعد اليوم - لا أجد نفسي قادرا على ذلك"، فأجابه جينكه، قال: "قد أوشكت أن أتحدث إليك حتى قبل أن تبادر أنت إلى الكلام معي، وكنت أود أن أعرب لك عن استعدادي للتحرك، الآن، لكنى إذا ذهبت إلى دولة تشين دون أن أقدم لها برهانا دامغا على صدق مقالتي، فلن يوليني أحد اهتمامه ولن ينصت لي الملك . وقد بلغني - بخصوص القائد الهارب "فان يو" - أن ملك تشين قد رصد مكافأة مالية قدرها ألف مثقال من الذهب ومساحة (إقطاعية) هائلة من الأرض لمن يقبض عليه، فإذا استطعت أن أذهب إليهم برأس "فان يو" وخريطة توضح موقع أرض "طوكان" [الغنية الوفيرة المحاصيل (بأرض يان)]، فلابد أن ملك تشين سيلقاني متهللا، وعندئذ تحين الفرصة (التي أرد فيها الجميل، شاكرا فضل الأمير)" فرد عليه الأمير، بقوله: "لكن القائد "فان يو" استجار بي بعد أن سدت أمامه الأبواب، ولاتطاوعني نفسي أن أؤذي رجلا مخلصا تحقيقا لرغبات ذاتية، فلتبحث عن طريقة أخرى، إذن!"، فلما تيقن جينكه أن الأمير لايقدر على الوفاء بهذه الخطة، على هذا النحو. فقد ذهب والتقى سراً بالقائد "فان يو"، وقال له: "إن تشين تعاملك - كما هو واضح - بكل وحشية، حتى أنها نكلت بكل عائلتك وأقربائك وأفنتهم عن آخرهم، وقد سمعت أن المسئولين هناك أعلنوا عن مكافأة سخية لمن يأتيهم برأسك، فكيف ستتصرف الآن؟"، فرفع القائد رأسه إليه وقد سالت من عينيه الدموع، وقال: "كم لبثت أتذكر كل ذلك وتحاصرني الأفكار، حتى توجعني كل ذرة في كياني، لكني لا أجد وسيلة للانتقام"، فقال له جينكه: "عندي كلمة واحدة أقولها لك، فيها تكمن الفرصة الوحيدة لتخليص دولة يان من المخاطر المحدقة بها، كما تشتمل أيضا على الطريقة المثلى لانتقامك الكبير فما رأيك؟ إن كنت تود سماعها، فأعلمني بذلك!"، فمال القائد "فان يو" نحوه متسائلا: "فما هي تلك الطريقة؟" فقال له: "المطلوب (بل المرجو) أن تقدم رأسك إلى ملك تشين الذي سيبتهج كثيرا بذلك، ثم يحتفي بي بكل ود وترحاب، فأثب عليه وأقبض بيدي اليسرى على ذراعه،

وياليمنى أغمد الخنجر في صدره، فأنتقم لك، وأمحوالعار الذى طال سمعة دولة يان، فهل تراك موافق على الخطة؟"، فما كان من القائد فان يو إلا أن نزع صداريته حتى بان جانب صدره، واقترب من محدثه، قائلا: "ذلك بالضبط ما كنت أحاول أن أفعله، ولطالما فكرت فيه ليل نهار، فها قد حان الحين بعد أن قلت كلمتك الآن"، ثم طعن نفسه، فمات من ساعته، فلما بلغ الخبر مسامع الأمير دان، امتطى فرسه فى الحال وهرع إلى موقع الحادث، ثم انبطح عند جثة القائد وهو يبكي ويكاد ينشق قلبه حزنًا وأسفا عليه، لكن الحادث قد حدث، وانقضى القضاء والمقدور، وماعادت أى حيلة تغير من الأمر شئيا، وكان أن احتزت رأس فان يو، ووضعت فى علبة أعدت له بعناية فائقة.

الجزء الخامس من الفصل نفسه

ومنذ ذلك الحين راح الأمير دان يبحث عمن يأتيه بأقطع خنجر فى الممالك كلها، فجاءوا إليه به من رجل بدولة جاو، يدعى "شيوفو"، فعهد بالخنجر إلى الحداد ليسقيه بالسم الناقع، فلما جربوه فى جسد بعض الناس [هكذا!] ماتوا جميعا فى لحيظات معدودة، دون أن يخلف الجرح سوى خيط ضئيل من الدماء. وهنالك تجهز جينكه للسفر، ورتب أمتعته، وذهب الأمير لتوديعه، وكان بدولة يان رجل هجام، يدعى "تشينويان" قيل إنه ارتكب أول جريمة قتل وهو بعد، دون الثانية عشرة من عمره، حتى خافه الناس، وكانوا يخشون مجرد النظر فى عينيه . فاستدعاه الأمير دان، وكلفه بأن يكون مساعدا لـ"جينكه" وقت الحاجة (فلما أزف وقت الرحيل..) قعد جينكه ينتظر أحد مرافقيه وكان يقيم بمكان بعيد، وطال الانتظار عدة أيام، دون أن يخرج المسافر إلى الطريق، فاستبطأه الأمير دان، وظن به الظنون وفكر فى أنه ربما أحس بالندم، فذهب إليه ورجاه قائلا: "قد تجاوزت الأجل المضروب للرحيل، فهل معنى ذلك أنك نكصت عما وعدت به وتراجعت عن السفر؟ إذا كان الأمر كذلك فاسمح لى بإيفاد (الهجام) تشينويان (بدلا منك)"، فثار جينكه غاضبا، واحتد على الأمير، وهو يقول له: "إنما أنا ذاهب فى طريق لن أعود منه حيا، وأمسك بيدى خنجرا كى أدخل به بلد مشهور بالوحشية والبطش وسفك الدماء، فكأنى داخل إلى غور لاتؤمن غائلته؛ فلذلك بقيت عدة أيام أعد

نفسى للسفر، وأردت أن يصحبنى صديق لى فجلست فى انتظاره، وتجىء أنت وتظن أنى تأخرت عن الموعد، فالوداع إذن، وليكن الفراق الساعة!" ثم قام وانطلق مسافرا، فما ساع الأمير دان وأتباعه إلا أن قاموا يتبعوه لوداعه وهم يرتدون الملابس والقبعات البيضاء [شارات الحداد] حتى انتهوا إلى ضفاف نهر "إيشوى"، وذهب جينكه وقدم القرابين لآلهة الطريق، وطلب منها الهداية فى دروب السفر، ثم تخير لنفسه وجهة الرحيل، وكان صديقه "قاوجيان لى" يعزف على القيثارة، بينما ينشد جينكه، على الأنغام لحنا من مقام شجى، فامتلأت نفوس السامعين أسى وهو يغنى:

"موكب من الرياح

ينثر فى الأسماع

همس دفقات النسمات

فوق الطل البارد

والنهر الحزين

سيذهب البطل،

ولن يعود".

وعندئذ تحول العزف إلى مقام متسارع يثير الحماس والحزم والإقدام، فاتّقدت العيون ألقا، والنفوس استثارة وتصميما، وهنالك انطلق جينكه فى طريق السفر دون أن يلتفت خلفه.

الجزء السادس من الفصل نفسه

فلما وصل جينكه إلى تشين حمل الهدايا الثمينة وراح يوزع منها على رجال البلاط والوزراء والحاشية، كما أغدق منها على "منجيا" الشىء الكبير [منجيا: أخو القائد العسكرى العام بدولة تشين]، فذهب هذا إلى الملك وحدثه بشأن جينكه،

قـائلا: "إن ملك يان يخشى نفوذ وسطوة جـلالتكم، ولا يجد في نفسـه المقدرة على مواجهتكم عسكريا، وهو يتمنى أن تعلن كل الدويلات والممالك طاعتها وخضوعها لكم، وكأنهم بضعة من وزرائكم وعمالكم بحيث يفدون عليكم لتقديم آيات الطاعة والولاء مثلهم في ذلك كمثل محافظي الأقاليم والمحلات التابعة لسلطانكم، ولا يريدون إلا التقرب لكم بالهدايا اللائقة والقيام على خدمة معابد أسلافكم الأجلاء. ولما كان ملك يان مترددا في المجئ بنفسه للتعبير لكم عن كل تلك الأفكار، فقد تكرم بإرسال رأس القائد الهارب فان يو مرفقا بخريطة لإقليم "طوكان" وذلك كله طي صندوق مرسل إلى جلالتكم مباشرة من البلاط الحاكم، تحت إشراف ملك يان شخصيا، وقد أوفد إلى جلالتكم، بهذا الشأن، مبعوثا خاصا لمقابلتكم، ليشرح لكم، بالتفصيل فحوى الأمر برمته، وهو ينتظر الإذن من جلالتكم، فلما سمع الملك تلك الأنباء، ابتهج للغاية، وبلغ به السرور أشده، وأسرع بارتداء الملابس الملكية المقدسة، وأمر بتعيين تسعة مرافقين للضيوف، على أن تتم المقابلة في قاعة القصر الملكي الكبير (بالعاصمة)، وجاء جينكه وهو يحمل بين يديه الصندوق الذي يحوي رأس القائد فان يو، بينما حمل [الهجام المذكور آنفا، المدعو]: "تشينويان" الصندوق الآخر المشتمل على الخريطة، فتقدما كلاهما (حسب المراسم الرسمية) حتى بلغا أدنى موضع من كرسي الملك(الدرجة الثانية من درجات السلم) وعندئذ بلغ الذعر مبلغه من تشينويان، فتلوّن وجهه، حتى سرت الهمهمة والدهشة بين جموع الضيوف والوزراء، وعندئذ التفت جينكه نحوه ضاحكا وتقدم إلى الملك معتذرا إليه، قائلا لجلالته:" معذرة يامولاي؛ فهذا رفيقي رجل بسيط من بلاد الشمال لاعهد له بالمثول بين يدي الملوك؛ فلذلك ارتاع على النحو الذي ترى! فأرجو المغفرة وسعة الصدر وطول الأناة، ولتصبر عليه حتى تنفك عقدة الرهبة أو ائذن له بالاقتراب منك ليؤدي بقية المراسم!" فقال الملك لـ جينكه: "أقبل أنت، وخذ الوثائق والخريطة من يد رفيقك وسلمها لي"، فتناول جينكه الخريطة وتقدم بها نحو الملك، ثم فك الأربطة من حولها وفرد طياتها وماكادت تنفرد صفحتها، حتى كان الخنجر في يد، واليدالأخرى تقبض على ياقة الملك، وقبل أن تصل الطعنة إلى جسده انتفض جلالته مذعورا فانقطعت ياقة القميص، فأسرع إلى سيفه، لكنه لما كان في حال الاضطراب والارتباك

فلم يتمكن إلا من الإمساك بطرف غمده ولم يتيسر له انتزاعه، إذ كان مغلقا بإحكام، ولحق به جينكه، فدار الملك حول أحد الأعمدة، وضجّ الحضور وارتبك الوزراء، وعمت الفوضى لورود ذلك الحادث على حين غفلة من الجميع، ولم يتمكن أحد من مقاومة المعتدي؛ إذ كان من المعمول به في البلاط الملكي بدولة تشين وحسب اللوائح الرسمية، حظر دخول الأسلحة بكل أنواعها إلى داخل القصر، حتى المدى القصيرة النصل، لم يكن مسموحا بدخولها لأى سبب من الأسباب، بينما كان أفراد الحراسة المسلحين، يقفون خارج القاعات الكبرى، وليس مسموحا لهم بالدخول إلا بأوامر شخصية من جلالته، وفي تلك الأثناء، ومع احتدام الفوضى والارتباك، فلم يتيسر للملك استدعاء أى فرد من الحراس، ومن ثم فقد لحق به جينكه، والناس ينظرون حيارى، ولايدرون ماذا يفعلون، ولاكيف يجابهون جينكه ويحيلون بينه وبين الملك سوى مصارعته بالأيدى. وفى تلك الأثناء، تقدم طبيب القصر "شياوجى" ورمى جينكه بعلبة كبيرة كان يحملها للطوارئ وكانت تحتوى على كميات من الأدوية والعقاقير، (فلم تصبه بشيء) لكن الملك تمكن من أن يدور وراء العامود الحجرى الكبير وهو في غاية الاضطراب، وصار الوزراء وبعض القريبين منه يصيحون عليه: "دونك السيف سيدى الملك، اقلب عروته واضرب!" وهنالك استطاع الملك أن يسحب السيف من غمده،فضرب جينكه فجاءت الضربة على ساقه اليسرى فبترتها في الحال، فاحتمل جينكه الألم ورفع الخنجر تجاه الملك وأراد أن يصيبه فوقع النصل في العامود، فتمكن الملك من ضربه عدة طعنات متوالية،فأدرك جينكه أن قد حبط مسعاه، وعليه دارت الدائرة، فاستند إلى جسم العامود وصرخ صرخة عظيمة مختلطة بنوبات من الضحك المجنون المتقطع ثم وقع على الأرض وهو يهذى قائلا: "طاشت الضربة، وكنت أريد أن أخرج بك أسيرا، لينتقم منك الأمير بنفسه ويستولى على أرضك". وكان الرجال، في تلك اللحظة، قد أحاطوا به وقتلوه. بينما ظل الملك تائه الفكر مشوش الذهن فترة من الوقت.

ولما انقضت الفترة العصيبة حان أوان مكافأة من أبلى بلاء حسنا، ومعاقبة المقصّر والمسئول، كل على قدر تفانيه وإخلاصه أو إهماله وتقصيره، واستقر الأمر على منح طبيب القصر "شياوجى" مائتى مثقال من الذهب، وقال الملك: "إن هذا الرجل أكثر الجميع إخلاصا لى، بما أقدم عليه وقت الحادث".

الجزء السابع من الفصل نفسه

وصار قلب ملك تشين ذءوبا على دولة يان، وبات صدره مشحونا بمقتها، أكثر من ذى قبل، وأصدر أمره إلى القائد وانجيان بتوجيه ضربة عسكرية ساحقة إلى يان.

(وكان أن تمكنت قوات تشين من دحر دولة يان) فى عهد الملك "إينجن" ملك تشين، وذلك فى الشهر العاشر من السنة الحادية والعشرين [أكتوبر من عام ٢٢٦ ق. م] واقتحمت القوات مدينة "جى" عاصمة دولة يان [مدينة بكين عاصمة جمهورية الصين الشعبية، حاليا] فاحتلتها. أما الملك شى - حاكم يان [كان أميرا لدولة جاو، التى احتلتها تشين عام ٢٢٨ ق. م فهرب إلى إقليم داى وأعلن نفسه ملكا عليه ثم تحالف مع دولة يان - فى الشرق - وضم الجيشين معًا فى قوة عسكرية واحدة] والأمير دان وبعض رجال الحاشية، فقد انسحبوا جميعا على رأس قوة عسكرية منتخبة إلى منطقة "لياودون"، إلا أن قائد تشين (المدعو: ليشين) ظل يطارد ملك يان، الذى لجأ إلى مكيدة قديمة (كانت قد استخدمتها دولة جاو فى الماضى) إذ قتل الأمير، وأراد أن يقدم رأسه إلى ملك تشين، استرضاء له، إلا أن جلالته ظل يطارده ويضيق عليه، فما كادت تنقضى خمس سنوات، حتى كانت يان قد وقعت بالكامل وانتهى أمرها، وتم أسر الملك شى. وفيما بعد، فقد قامت تشين بتوحيد الممالك كلها، وكـان فى الحوادث أن الرجل الملقب بـ قاوجيان - صديق جينكه - استخدم حيلة ماكرة لمقابلة ملك تشين؛ وذلك بأن ادعى مقدرته على العزف البارع على القيثارة ليطرب جلالته، وأتيح له، بالفعل، أن يمثل بين يدى الإمبراطور الأعظم تشين شيهوانغ [أكثرالأباطرة الصينيين شهرة عبر التاريخ؛ إذ هو أول من وحّد الصين الكبرى] وانتهز تلك الفرصة لينتقم لهزيمة بلاده، لكنه فشل فى محاولته اغتيال الإمبراطور، فأعدم وقُضى أمره.

سجل الدولتين: "ويه" و"سونغ"

لما قامت دولة تشى بمهاجمة سونغ

قامت دولة تشى بمهاجمة دولة سونغ، فأرسلت هذه رسولها "تصانزى" إلى تشو، تستصرخها لنجدتها، وبدا أن الأمر يروق لملك تشو؛ إذ أبدى استعداده لتقديم المؤازرة التامة والمساندة الكاملة لها؛ للتعجيل بإنقاذها. واستدار"تصانزى" عائدا إلى دولة سونغ، وقلبه غارق فى الهموم، وكان أن قال له الحوذى، سائق مركبته:"على الرغم من أنك فزت بما أملته من الوعد بإنقاذ البلاد، فإن ملامحك تنطق بالقلق، فهل لى أن أسألك عن السبب فى هذا؟"، فأجابه: "دولة سونغ مجرد إقليم ضئيل المساحة على عكس ماتتميز به دولة تشى من الاتساع المتناهى والمنعة والغلبة. وعندما تقوم مثل هذه الدولة الضعيفة، الضئيلة باستثارة غضب تلك القوة الجبارة، فلابد أن الأمر لن يصير سهلا أمام حاكمها – أو أى حاكم آخر مكانه – ومع ذلك، فقد لاحظت علامات الابتهاج على وجه ملك تشو وأنا أكلّمه، وإحساسي ينبئني بأنه سيدعنا نواجه تشى وحدنا؛ ومن شأن ذلك أن يستنزف قوى تشى ويصيبها بالانهاك، وهو ماستعود فائدته على دولة تشو، بالتأكيد"، وبعد وصول تصانزى إلى سونغ، قامت دولة تشى بالإغارة عليها، فاحتلت خمسًا من مدنها، دون أن يوفى ملك تشو بوعده، ولم يتقدم لإغاثتها.

لما صنع لوبان آلة حربية لمهاجمة

قام لوبان [أحد أشهر الصناع المهرة في العصور القديمة] بصناعة آلة حربية قتالية لدولة تشو، لكى تستخدمها فى هجومها المزمع على دولة سونغ، فما عرف بذلك "موتزى" [فيلسوف قديم، عاش فى دولة سونغ، إبان عصر الدول المتحاربة] قام وقصد طريق

السفر إليه، متجشمًا صعاب الطريق، حتى تهرأت كعوب قدميه وانتثرت الثاليل فى رجليه، فما التقى مع لوبان، ابتدره بقوله: "بلغنى، وأنا فى دولة سونغ، ما أصبت من شهرة ومجد وصيت ذائع، والآن، فقد جئت إليك راجيا أن تمد لى يد العون لاغتيال أحد الأشخاص" فأجابه: "لكنى كنت، طوال عمرى، أمرأ فاضلا، أنشد الرحمة والحكمة، فكيف أقتل الناس؟" فردّ عليه موتزى، قائلا: "بلغنى أنك صنعت سلمًا صاعدا إلى السماء [هكذا] استعدادا لمهاجمة دولة سونغ، فما الذنب الذى جنته لتستحق ذلك؟ إن الزعم بأن المرء فاضل رحيم، فى حين إنه يعين على الإعداد لعمليات هجومية ضد دولة أخرى، معناه أنه لن يكتفي بقتل بضعة أشخاص وإنما سيعد العدة لاغتيال الجم الغفير من الناس. وإلا ففيم الحكمة والرحمة والفضل فى مهاجمة دولة سونغ؟"، فأقر لوبان بصحة قوله، فطلب إليه موتزى أن يصحبه ليرتب له لقاء مع ملك تشو، فلما مثل موتزى بين يدى جلالته، قال له: "أريد أن أسأل جلالتك عن رأيك فى رجل يعرض عما يملكه من عربات ذات زينة وبهاء وألوان ومتانة، ثم يطمع فيما لدى جاره من مركبات قديمة محطمة، وما رأيك فى رجل يخلع ملابسه الحريرية المطرزة البديعة، فيستولى على ثياب جيرانه الخشنة المهلهلة، ثم مارأيك فيمن يعاف طعام بيته الشهى، طيب النكهة والمذاق، ليسرق صحاف جاره من حثالة الطبخ ونخالة المائدة؟" فأجابه ملك تشو: "هذا رجل مريض بداء السرقة" فقال موتزى: "إن مساحة دولة تشو تبلغ خمسة آلاف "لى" مربع، بينما لاتزيد مساحة سونغ عن خمسمائة "لى" مربع؛ فذلك أشبه شىء بما بين العربة المزدانة بالألوان البهية المنظر، والأخرى المحطمة زريّة الهيئة؛ ثم إن دولة تشو تنعم بما لديها من حدائق غناء، وبحيرات رائعة، مثل بحيرة "يونمن" المشهورة بحيوانات البحيرة والأسماك والأيائل، والجميع يعرف ماتغلّه بلادكم من الثروة السمكية الهائلة التى يزخر بها نهر اليانغتسى ونهر هان من الأسماك والسلاحف والتماسيح وغيرها؛ فهى أغزر البلاد ثروة وأكثرها موارد طبيعية، ومنتجات بشرية، لكن دولة سونغ تفتقر إلى مثل تلك الثروات كما هو معروف لدى الكافة؛ فذلك أمر قريب مما بين أسمطة الطعام الشهى وفتات المائدة. ودولة تشو تزخر بأنواع من الأشجار العالية والغابات نادرة المثال، على حين أن سونغ تخلو من مثل تلك المزايا الطبيعية؛

وهذا قـريب الصلة مما ضـربت به المثل من المقـارنة بين المـلابس الحـريرية المطرزة والأسمـال الخشنة البالية، وإنما قصدت من ذلك كله أن أشير إلى مـابين مهاجمة تشو لدولة سونغ وبين ذلك المثال من أوجه الشبه الكبير" فأجاب عليه الملك، قائلا: "هذا قول صدق، ومنطق لامراء فيه، فاعلم أنا لن نهاجم سونغ أبدا".

لما قام كونسونيان على رأس قوات لمهاجمة

لما قام كونسونيان على رأس حملة عسكرية لمهاجمة دويلة "هوانغ" واضطر أن يسلك طريقًا مارا بأراضى دولة "ويه"، فبعث رسولا إلى ملكها، يقول له: "هل يصح أن تكون قـواتنا فى طريقـها مـارة بأطراف بلادك، دون أن ترسل وفدا من عندك لتقصّى الأحوال ومتابعة مجرى الأمور؟ واسمح لى بأن أسأل جلالتك عما إذا كان قد بدرت منى إساءة فى حقكم؟ إن مدن دويلة هوانغ قد صارت على وشك السقوط فى أيدينا، فحالما ننتهى من غزوتنا لها، فسنقصد أسوارك ونقتحم عليك مدنك بجيش جرار يعيث فى أنحاء بلادك" وأسقط فى يد حاكم "ويه"، وسارع إلى تجهيز ثلاثمائة غرارة من المال [هكذا]، وثلاثمائة مثقال من الذهب الخالص، وأرسلها مع مبعوث خاص، فاعترض طريقه "نانونزى" [كبير وزراء دويلة ويه] وقال لجلالته: "لو أحرز كونسونيان النصر على دويلة هوانغ، فلن يهاجم بلادنا، وحتى لو لم ينجح فى مسعاه، فلن يفكر فى الإغارة على "ويه"؛ ذلك إنه لو انتصر على مدن هوانغ، فسوف يلمع اسمه ويذيع صيته، وهو بطبيعته، من ذلك النوع الذى يتيه على رفاقه وزملائه بما أحرز من الظفر على أعدائه، ولذلك فسوف يهمل شأن باقى رجال الحاشية، مما يؤلب عليه صدور القوم، ويثير كراهيتهم ضده. فينشطون فى الوشاية به، وبالطبع، فلن يقعد كونسونيان، وهو صاحب الإنجازات الباهرة، فى انتظار مايمكن أن يوجّه إليه من انتقاد ولوم وتأنيب، ومهما بلغت به درجة الحماقة، فلن يقع فيما يزيد الموقف سوءًا. (هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى..) فهو إذا لم يستطع تحقيق النصر على دويلة هوانغ، فسوف يفر هاربًا، بقلب واجس، إلى دولة وى، وحتى إذا عاد إلى بلاده، فسوف يقبع خائفا وسط هواجسه المريرة، حذر مايمكن أن يصيب من اللوم واللعنات! فكيف يجازف بالوقوع فيما يمكن أن

يفاقم من أزمته حينئذ؟" وحدث أن تمكن كونسونيان من النصر على هوانغ، ثم مالبث أن عاد إلى بلاده، دون أن يتعـرض لدولة ويه بشيء، بل حتى دون أن يجازف بالمرور من أراضيها.

لما تمكن ملك وى من احتلال

تمكن ملك وى من اقتحام مدينة "هاندان" عاصمة دولة جاو، وماكاد يتم له ذلك، حتى استعد بالحشود للإغارة على دولة سونغ، فأرسل ملك سونغ إلى حاكم جاو يستحثه على سرعة التصرف، قائلا: "إن قوات وى من البطش وشدة البأس ماقد علمتم، فإذا مابادرت إلى مهاجمتنا، وصمدنا لها، فسوف نعرض بلادنا وأهلينا لمخاطر جمة، وإذا تطلب الأمر المساندة فى اجتياح أرض دولة جاو، فلا أظننا نوافق على ذلك، ومن ثم فنرجوكم صياغة أفكار معقولة ومناسبة، نستطيع الامتثال لها العمل بحسب ماترونه" فأجابه ملك جاو، قائلا: "هذا مفهوم تماما، فنحن ندرك أن دولة سونغ لن تقدر على مقاومة قوات وى، كما أن العمل على إضعاف جاو لصالح دولة وى، لن يعود على سونغ بأى نفع. وبناء على ذلك فلست أدرى ماهى الوسيلة الناجعة لصياغة قرار مناسب وخطة معقولة للتصرف !" وهنا، قال له رسول دولة سونغ: "إن المرجو من جلالتكم، السماح لدولة سونغ بمهاجمة إحدى المحلات الواقعة على حدودكم الغربية على أن يتواصل الهجوم ببطء، ريثما تنقضى عدة أيام، وتصل بعدها فرق الدفاع والحماية التابعة لكم، فتقوم بتحصينها" وهنا وافقه الملك على خطته. وعلى ذلك أقدمت دولة سونغ على مهاجمة إحدى القرى الواقعة على أطراف حدود دولة جاو، وحاصرتها؛ فتهلل ملك وى فرحًا، وراح يقول: "هاهى ذى دولة سونغ قد ساندتنى أعظم مساندة فى مهاجمة جاو" وفى الوقت نفسه، كان ملك جاو يشعر بالغبطة، وهو يقول (لمن حوله): "أعرف وأثق أن دولة سونغ ستتوقف عند هذا الحد ولن تتقدم خطوة واحدة أبعد مما وصلت إليه!"، فلما انتهت المعارك، وعاد الجنود إلى ثكناتهم، كانت دولة سونغ تشعر ببالغ الامتنان لدولة وى، كما أنها ماكانت تحمل إصرًا على دولة جاو؛ فلذلك ذاع مجدها وعلا قدرها وسط الممالك، بالإضافة إلى مانالته من مزايا وماكسبته من مواقع.

لما ذهب إلى كبير وزراء دولة سونغ

ذهب إلى "طايين" [كبير وزراء دولة سونغ] من قال له: "هذا ملك سونغ [الذى لم يبلغ الحلم، مازال تحت الوصاية] يكبر مع الأيام، فإذا مابلغ السن التي تؤهله لمباشرة مهام الحكم، فلن تعود مسئولا عن إدارة شئون البلاد، وأرى أن من الأفضل أن تطلب من دولة تشو تقديم تهنئة ذات شأن لجلالته، تمتدح فيها أخلاق ولى العهد، وتشيد بما يتحلي به من الوفاء لأهله والبر بوالديه، وهنالك فسيصعب على جلالته أن ينتزع سلطة الإدارة السياسية من يد الملكة الأم، وبالتالى يستمر بقاؤك في منصبك فترة أطول".

لما كانت سونغ وتشو دولتين

كان ما بين دولتي سونغ وتشو رباطا من العلاقات الأخوية، فلما قامت دولة تشى بمهاجمة سونغ، أعلنت تشو دعمها ومؤازرتها لدولة سونغ، وهو ما شجع هذه على توجيه دعوتها لدولة تشي بالجلوس على مائدة التصالح [بدلا من التمادى في حرب لاتقدر عليها مادامت تشو تقف إلى جانب سونغ!] إلا أن تشى لم تصغ لتلك الدعوة. فتكلم سوتشين [بالإنابة عن سونغ] إلى رئيس وزراء تشى، قائلا له: "أرى أن الأفضل لكم هو التصالح والمصافاة مع دولة سونغ، فمن شأن ذلك أن يبرز مدى المباهاة والفخر الذى تشعر به سونغ حيال موقف تشو المؤيد لها اعتمادا على ما تحوزه من قوة، ومن ثم فسيشعر ملك تشو بشيء من السخط والغضب من سونغ وربما يذهب في ذلك إلى حد قطع علاقاته معها وتوثيق علاقاته بكم، والعمل على تحقيق مصالحكم، وإذا يحدث التقارب والوحدة بين تشي وتشو، فسيسهل على تشى ضرب دولة سونغ بأيسر مايمكن".

لما قام أمير دولة وى بقيادة القوات

قام أمير دولة وى [الأمير"شن" ولد الملك هوى، حاكم وى] على رأس حملة عسكرية لمهاجمة دولة سونغ، وكان مارا فى طريقه بمنطقة "وايهوان" المتاخمة لدولة سونغ فالتقى به "شيوزى" [أحد أبناء هذا البلد] وقال له: "أعرف طريقة ناجعة لتحقيق النصر فى مائة معركة، فهل يسمح لى سمو الأمير بأن أطلعه عليها؟" فأومأ إليه بأن هات ماعندك، فقال شيوزى: "إنما أنا - فى كل الأحوال، تابعك الأمين، الذى يتفانى لما يعود عليك بالنفع، سيدى الأمير . وقد رأيتك تقوم بنفسك قائدا لحملة الهجوم ضد تشى، (وأتصور أنك فى غنى عن ذلك ولاداع لمثل هذا التحرك..) فأنت إذا أحرزت النصر، لم يضف إلى ماتملكه شيئا،(فلديك بلادك بأرضها الواسعة) ولم يزد جاهك قيمة (فأنت الملك القادم، مع الأيام..) أما إذا خسرت المعركة، فسوف تخسر معها دولة وى طوال حياتك، تلك هى خطتى التى تحارب بها مائة معركة وتحرز فيها مائة انتصار [حرفيا]. فنزل الأمير على رأيه، وأراد العودة إلى بلاده. وهنالك تكلم شيوزى، فقال: "لا أظنك تستطيع العودة بسهولة، كما جئت؛ لأن الذين انتهزوا فرصة وقوع المعارك بغية تحقيق مصالحهم الخاصة، كثيرون جدا، وأكثر منهم هؤلاء الساعون وراء مآربهم الذاتية باستمرار، فلا أظنك تستطيع العودة بسهولة، على النحو الذى يبدو لك". فركب الأمير مركبته وطلب من القادة العودة إلى البلاد، فتكلم إليه الحوذى، سائق مركبته. قائلا لسموه: "إن العودة من حملة عسكرية دون سبب مفهوم. تتساوى مع الانسحاب المخزى، فلا مفر من أن تتقدم فى طريقك المرسوم سلفا"، فما كان من أمير دولة وى إلا أن تقدم بقواته فى طريق الهجوم، واشتبك مع قوات تشى، (بيد أن طعنة أصابته..) فقتل أثناء المعارك، فلم يفز بما كان يؤمل به من ملك عريض فى دولة وى.

لما أفرخ العصفور نسرا جارحا فى زمن الملك

(جاء فى الحوادث..) أنه لما كان زمن الملك "كانغ" - حاكم سونغ - متوليا زمام الحكم فوق عرش البلاد، أفرخ أحد الطيور الصغيرة نسرا جارحا، فى عشه الذى ابتناه فوق أحد أضلاع سور المدينة، فاستدعى الملك أحد مؤرخى البلاط الملكى

[الموظف المسئول عن المدونات التاريخية والعرافة والكهانة فى الوقت نفسه] وطلب إليه النظر فى الطوالع وفنون العرافة للوقوف على ماينبئ به قدر الأيام المخبوءة طى الغيب، فأخبره المؤرخ بما مفاده: "الرمز فيما حدث من أن عصفورا يفرخ نسرا جارحا، يشير مؤكدا، إلى تسنّم ذرى الملك والرفعة فوق الأمم، فتلك نبوءة قيام الإمبراطورية الكبرى على يديك"، فتهلل وجه الملك بالبشر، وكان أن دفع قواته لمهاجمة دولة"تنغ" فأبادتها، وكتب له النصر، أيضا، على "هوايبى"، وامتلأت نفسه بالثقة الغامرة، وتطلع إلى تحقيق الحلم الإمبراطورى بأسرع مايمكن، فأطلق سهامه فى قلب السماء وضرب بسوطه بساط الأرض [هكذا حرفيا، دلالة على تمرده وثورته على كل المبادئ المستقرة] وحطم آلهة الأراضى الخصبة والمزارع الوفيرة، بل أشعل فيها النيران، قائلا: "سأخضع كل الجان والمردة فوق الأرض لإرادتى وسلطانى"، وصب جام غضبه وسيل شتائمه على كل المسئولين والوزراء - صغيرهم وكبيرهم - الذين تجرأوا على النصح له باتباع سبل الرشاد، وصار يخرج إلى الناس وهو يغطى رأسه بقبعة غريبة الشكل، ليس لها حاجز يقيه حرّ النهار، بدعوى إنها الزى المناسب للشجعان والأبطال، والأغرب من هذا أنه أصدر أحكامًا تقضى بشق ظهر كل ذى حدبة، وبتر ساق كل سابح فى النهر ساعات الصباح الباكر (وبالجملة، فقد التاث عقله وتشوّش ذهنه للغاية) حتى بات الناس فى رهبة منه، فما ترامت أنباء تلك الأحداث إلى دولة تشى، بادرت إلى مهاجمة سونغ، ففرّ الناس وولوا الأدبار،حتى صارت البلاد بلقعا خاليًا ودورا بلا ديار، وكان الملك كانغ قد هرب من القصر، وأقام فى منزل أحد كبار الوزراء، ثم مالبث أن وقع فى قبضة رجال دولة تشى، فقتلوه وانتهى أمره، وكان مثلاً لمن رأى بعينيه البشرى الطيبة دون أن يسلك لتحقيقها طريقًا طيبا، فانقلبت سعود المنى نحوسًا مريعة.

لما أراد جيبو مهاجمة دولة "ويه"

أراد جيبو أن يغزو دولة "ويه"، فأرسل إلى حاكمها أربعة خيول برية وقطعة من اليشب الأبيض [نوع من الحجر النفيس]، مما أثار البهجة فى نفس الملك، فجاءه الوزراء يهنئونه، إلا نانونزى، إذ كان الوحيد الذى ارتسمت على وجهه علامات القلق،

فسأله ملك ويه: "الجميع فرحون، وأنت وحدك تبدو مهموماً حزينا، فما السبب؟" فأجابه: "أن يتلقى المرء تكريما بغير مأثرة ويُعطى هدية سخية دون إنجاز وجدارة، فهذا أمر يستدعى استقصاء الأسباب والبحث في أغوارالتفاصيل، ثم إن الأغرب من ذلك أن ترسل إليك دولة كبرى أربعة خيول وقطعة من اليشب الكريم، وهذه هدية لا تقدمها دولة صغيرة، فما بالك بدولة عظمى لها قدرها ومكانتها بين الأمم، فتأمل هذا بعمق وانظر ماذا ترى!" فذهب ملك ويه وأخبر قائد حرس الحدود بما سمعه من نانونزى، وأما ما كان من أمر جيبو، فإنه حشد جنوده وانطلق ليباغت دولة ويه بالهجوم، لكنه ما إن وصل الى المنطقة الحدودية حتى تراجع سريعا وألغى كل خططه الهجومية، قائلا لمن حوله: "هوذا رجل حاذق أريب، في هذا البلد، أدرك مسبقًا ما اعتزمناه من خطط هجومية ضدها، فاتخذ أهبة الاستعداد".

لما أراد جيبو أن يقوم بغارة مفاجئة

أرد جيبو أن يقوم بغارة عسكرية مفاجئة على دولة ويه، فأرسل إليها ولده، باعتباره طريداً، وعهد إليه أن يتظاهر بأنه لائذ بدولة ويه، مستجير بالمقام في أرضها، فتكلم نانونزى قائلا: "إن المدعو "طاتسي يان" هو أكبر أبناء جيبو، وقد حاز القدر الأكبر من محبة أبيه وعطفه عليه، فليس ثمة مايتوقع من النفور أو التباغض بينهما بالدرجة التي تؤدى بالولد إلى الهرب من وجه أبيه، فلابد أن وراء الموضوع أسبابا كامنة". وأرسل نانونزى أحد المسئولين لاستقبال الوافد الطريد عند المنطقة الحدودية، وقبل أن يخرج المسئول لأداء مهمته، انتحى نانونزى به جانبا، وأوصاه قائلا: "إذا وجدت "طاتسي يان" قادما في موكب يزيد على خمس مركبات، فلا تدعه يدخل إلى البلاد" فلما وصلت الأنباء إلى جيبو بهذا الأمر، منع ولده من الذهاب إلى ويه.

لما قامت دولة تشين بمهاجمة إقليم

قامت دولة تشين بمهاجمة إقليم "بودى" التابع لدولة ويه، فتكلم خويان [من أهل ويه] إلى تشوليجى، قائلا: "فيم هجومك على أرض بودى؟ ألأجل دولة تشين (تقوم بهذا الهجوم) أم لصالح دولة وى؟ إذا كنت تريد بذاك مراعاة وجه النفع لدولة وى، فهى حقا، ستجنى ثمرة الفائدة؛ أما إذا كنت تقصد خدمة تشين، فاعلم أنه لن يعود عليها بأدنى نفع؛ فهذه الأرض (أرض بودى) جزء أساسى من كيان دولة ويه، فمن دونها لاتقوم لـ"ويه" قائمة، فإذا وقعت تحت سيطرة دولة وى، فلامفر من أن تخضع ويه لها. هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فإن السبب فى عجز دولة وى عن استرداد أراضيها المغتصبة منها فيما وراء إقليم "شيهو" هو ماأصابها من الضعف والانحلال، فإذا تصورنا انضواء دولة ويه تحت نفوذ دولة وى واندماجها فى كتلة أراضيها العامة، فلابد أن يتبع ذلك بلوغ دولة وى درجة فائقة من القوة؛ بسبب ماانضاف إليها من مدد وقوة دولة ويه، لكن يجب ألا نغفل المصير الذى يمكن أن تؤول إليه المناطق الواقعة فيما وراء "شيهو"، قبل أن تملك وى زمام أمرها، ويتقوى مركزها من جديد، والمؤكد أن مصير تلك المناطق سيكون مرهونًا باحتمالات الخطر، هذا، بالإضافة إلى ماسيقوم به ملك تشين من مراجعة تصرفاتك واستقصاء سيرة عملك، فإذا لاحظت أنك خدمت مصالح دولة وى على حساب دولة تشين (بل ألحقت بها بالغ الضرر بسبب الحرص على مافيه منفعة دولة وى..) فسوف ينحي باللائمة عليك ويذيقك كأس الغضب المرير"، وسأله تشوليجى: "فماالعمل، إذن، فى رأيك؟"، فأجابه خويان قائلا: "اقلع عن مهاجمة أرض "بودى" ولاتحاول الإغارة عليها، ثانية، وائذن لى بالذهاب إلى الحامية العسكرية المقيمة هناك لكى أخبرها – بالإنابة عنك – بضرورة التوقف عن القتال، وهو ماسيذكره لك ملك ويه ببالغ الامتنان والتقدير"، فوافقه تشوليجى على رأيه، وقام خويان وذهب إلى محلة "بودى"، وقال للحامية المتمركزة بها: "قد علم تشوليجى حجم الصعاب التى تكتنف الإغارة على محلة بودي، ومع ذلك فقد صرح، قائلا بأنه لابد مقتحم أرضها، عائث فى نواحيها، غير أنى استطعت اقناعه بالعدول عن ذلك، والاقلاع عن الهجوم" فسجد له رجال الحامية سجدتين، تحية وتقديراً له، وأهدوه ثلاثمائة مثقال من الذهب، قائلين له: "إذا ماقدر لجيش تشين

أن ينسحب حقا، فسنعمل على أن يبذل لك الملك مكافأة لائقة" وبالفعل، فقد حصل خويان، على مكافأة مالية جزيلة (من أرض بودى) وعلا قدره وارتفعت مكانته لدى دولة ويه، كما حصل تشوليجي على مكافأة قدرها ثلاثمائة مثقال ذهبا، وسحب قواته عائدا إلى بلاده، بعد أن ترك انطباعا عميقا عند ملك ويه بكثير الامتنان والعرفان.

لما أوفدت دولة ويه أحد كبار موظفى القصر

أوفدت دولة ويه أحد كبار موظفى القصر للعمل فى خدمة دولة وى، (فذهب الرجل وبقى فى انتظاراستدعاء الملك له؛ لتوليه مهام منصبه..) لكنه ظل – فى الانتظار – ثلاث سنوات، دون أن يتوجّه إليه الاستدعاء الملكى، فأصابه القلق، فذهب إلى أحد الشيوخ العجائز الجالسين تحت شجرة السرو ["جالس تحت شجرة السرو" كناية عن رجل فاضل ذى علم وحكمة، متقدم كثيرا فى السن] ووعده بإهدائه مائة مثقال من الذهب إذا توسط لدى المسئولين فى هذا الشأن فلبّى الرجل صريخه، وقام والتقى بملك وى، وقال لجلالته: "بلغنى أن دولة تشين قد خرجت بقواتها تريد القتال، لكن أحدا لا يعرف وجهتها، ولا أى بلد تقصد الإغارة عليها، وعلى الرغم مما بين وى وتشين من علاقات دبلوماسية، فإنهما لم تبلغا حد المصافاة التامة، ولا أصلحتا ذات بينهما منذ وقت بعيد، وأرى أنه من الواجب الاهتمام بتقريب الصلة وتوثيق العلاقة مع تشين دون أية نوايا أخرى"، فنزل الملك على رأيه، مقتنعا بكلامه، فقام الشيخ الجليل ومشى قليلا وماكاد يبتعد حتى عاد أدراجه، ليقول: "لكنى أظن، يامولاى، أن الوقت قد تأخر كثيرا على القيام بتوثيق روابطك مع دولة تشين، والعمل على تحقيق مصالحها" فلما سأله الملك عن السبب فى قوله هذا، أجابه شيخ شجرة السرو، قائلا: "إن المرء بحكم العادة، يستعجل مجلبة النفع واستقدام يد العون والخدمة، بينما يقوم متثاقلا إذا جاء الدور عليه لخدمة مصالح الآخرين؛ وأراك يامولاى، (على العكس..) تتثاقل عند القيام بما فيه مصلحتك، فكيف تنهض بأعباء العمل لما فيه وجه النفع للناس، (أما كنت أولى بأن تنفع نفسك!) فسأله الملك عما أدراه بذلك، وعلى أى أساس يبنى موقفه فيما يقول، فأجابه: "قد التقيت بالموظف الموفد من دولة ويه (للعمل فى الدوائر الملكية)، وقال: إنه قد بقى له ثلاث سنوات،

منتظرا أن تستدعيه، وهو باق فى الانتظار حتى اللحظة؛ فمن ثم أدركت أنك لست متلهفا على خدمة شئونك الداخلية"، وكان أن أسرع جلالته باستدعاء الموظف الكبير الموفد من بلاط دولة ويه.

لمـا اشتد المرض بالامير وريث العرش

اشتد المرض على الأمير، وريث عرش دولة ويه، فتكلّم "فوشو" مع "إينشون جيو" [كلاهما من كبار وزراء دولة ويه] قائلا: "أنصت لما أقول جيدا، ثم اذهب إلى سمو الأمير وانقل له نصائحى وكلماتى، دون أن تنقص أو تزيد حرفا واحدا، وهنالك فستجد الأمير أشد الناس إجلالا لك وأحرصهم على مجالستك وتقريبك منه. إن ما يأتيه المرء من أفعال وتصرفات أثناء حياته يختلف كثيرا عما يسيطر عليه قبيل انقضاء أجله وقد كان أمير البلاد، فى مقتبل أيام حياته منغمسا فى لهو الأيام، صاحب ليل ونساء، وهكذا فقد أصدر أوامره، حينئذ، بتعيين كل من "شيتزو" و" نوبوا" [اثنان من الوزراء من ذوى الحظوة لدى سموه] فى تلك الفترة من عمره، بناء على الانطباع الشخصى والهوى والميل الذى لا يستند إلى أسس منطقية، حتى وقع فى ظن كبار رجال الدولة أنه قد أهمل شئون عمله وتفرّغ لنزواته ومجونه (ملذاته وسهراته [حرفيا]) وبالتالى، فلم يكن هناك من يناقش معه شئون البلاد وأحوالها، وأريد منك أن تقول لسموه.."إن جميع تصرفاتك ليست على مستوى المسئولية، ولامبرر لها من منطق أو حكمة، فهذا "شيتزو" يعيث فسادا، وقد استبد بسلطانه أيما استبداد، لاسيما أن وراءه "نوبوا" يعضده ويمدّ له حبال البطش والعسف والجور، وهو ماسوف يؤدى إلى حرمان آل "قونصو" [العائلة الحاكمة] من أداء طقوس تقديم القرابين [للأجداد والآباء]، "فلما بلغت هذه الكلمات مسامع الأمير، فطن إلى مغزاها واقتنع بجدواها ثم سلم الخاتم الرسمى ليد "إينشون جيو" قائلا له: "إذا قضيت نحبى، فلتضبط أنت شئون دولة ويه من بعدى" فلما مات الأمير، عمل إينشون بوصيته، وقام على ترتيب شئون الحكم، وساند القون "تشى" [ولد الأمير الراحل] فى تولى زمام الحكم، وعندئذ، أجبرت أسر وقبائل الوزيرين السابقين "شيونزى" و"نوبوا" على الرحيل عن البلاد.

لما هرب شيومى إلى دولة وى

فرّ أحد المجرمين (ويدعى "شيومى"، من أبناء دولة ويه) إلى دولة وى – وذلك إبان حكم الأمير وريث عرش ويه – وكان أن عرضت دولة ويه مائة مثقال من الذهب مقابل إعادته، إلا أن وى رفضت هذا العرض، فعادت تعرض استبداله بإحدى محلاتها (وهى قرية تزوشى) وذهب جمع من الوزراء إلى وريث عرش ويه، ونصحوا له قائلين: "ليس من المناسب أن تطلب تسليمك شيومى، مقابل قرية تقدر قيمتها بمائة مثقال من الذهب" فأجابهم: "إن تحقيق الأمان والاستقرار، ليس مرهونًا بحجم البلاد، كما أن الفوضى والانحلال ليس مرتبطا بوزن بلد محدد بين الأمم. وإذا تعلّق الأمر بقيمة ما يحدثه التعليم والتربية فى بلد من البلدان، فأن قرية تسكنها ثلاثمائة عائلة تنضوى تحت لواء سياسة رشيدة تحقق الأمن والاستقرار أفضل كثيرا من عشر مدن لا يردعها وازع من خلق أو استقامة أو حياء".

لما أقيم حفل زواج لأحد مواطنى دولة

أقيم حفل زواج لأحد مواطنى دولة ويه، ولما جاءت العروس وركبت العربة المزينة، سألت الحوذى: "لمن هذه الخيول التى تقود العربة؟" فأجابها: "هى خيول مؤجرة، خصيصا لهذا الحفل" فقالت له العروس: "فلا تضرب بعصاك الخيل الأمامية، بل اضرب الخيول الخلفية" فلما وصلت المركبة إلى بيت الزوجية، جاءت الوصيفات ليصطحبنها إلى باب المنزل، فلما سارت معهن قليلا، سألتهن: "أرجوكن أن تطفئن وقود الأفران، لئلا يشعل الحريق المنزل" وعندما دخلت البيت ورأت الجرن الحجرى المستخدم فى دق الحبوب، قالت لمن حولها: "ضعوا هذا الجرن تحت الشباك ليحول دون عبور المارة، فى الطريق" وراح الزوج يضحك بشدة، لما لاحظه فى كلامها من عدم اتساق منطقى؛ ذلك إن كل ماقالته العروس، وعلى الرغم من أهميته، لم يستدع الاهتمام اللائق بقدر ما استوجب الضحك والسخرية، لا لشيء إلا لأنه لم يتحرّ الدقة واللحظة المناسبة والوقت الملائم والظرف اللائق.

سجل دولة جونشان

لما أراد أمير دولة وى إبادة دولة

أراد الأمير "أونهو" - أمير دولة وى - القضاء التام على دولة جونشان، فتكلم "شانجوان تان" [أحد وزراء دولة جاو] مع الملك شيانغ، حاكم جاو، قائلا لجلالته: "إذا تمكنت دولة وى من ابتلاع دولة جونشان، فلن تقوم لدولة جاو، بعدئذ، قائمة؛ فلماذا لاتحاول أن تتقدم إلى الأمير أونهو طالبًا الاقتران بابنته "كون زيشين" زوجة لك، على أن تفرض عليها الإقامة الدائمة (الإجبارية) بدولة جونشان مما يحفظ على هذا البلد وجوده وبقاءه دون مخاطر".

لما قام كونسونيان بتنصيب الملوك الخمسة

قام كونسونيان بتنصيب ملوك الدول الخمس: تشى، وجاو، ووى، وهان، وجونشان، وكانت جونشان هى آخر دولة تم تنصيب ملكها على يديه. وتكلم ملك تشى إلى حاكمى وى، وجاو قائلا: "أشعر أن من دواعى الاحساس بالعار، أن يتم تنصيبى ملكا على المنصة نفسها التى شهدت تولية حاكم جونشان، وكم أتمنى أن اشترك معكما فى مهاجمة بلاده، ونزع القب الملكى عنه" فلما ترامت أنباء ذلك الحوار إلى أسماع ملك جونشان، تولاه الفزع، فاستدعى كبير وزرائه [المدعو"جاندن"] وقال له: "قد تم تنصيبى ملكًا شرعيًا على البلاد، إلا أن ملك تشى صرح أمام حاكمى جاو، و وى بأنه يشعر بالعار إذ جرى تنصيبه معى فى نفس المكان، ويتدبر السبل لمهاجمتنا، وكل ماأخشاه هو أن تتعرَض البلاد للتدمير الشامل وخطر الإبادة، ولست أعبأ باللقب الملكى قدر

انشغالي بمصير الوطن، وليس غيرك ألجأ إليه في هذه المحنة وأطلب إليه الرأي والمشورة (.. والنجدة) فأجابه "جاندن" قائلا: "فأطلب من جلالتكم، إذن، أن تمدني بعدد وافر من المركبات والهدايا السخية، على أن تأذن لي بالذهاب لمقابلة تيانين".

وهنالك، قام حاكم جونشان بإيفاد جاندن إلى دولة تشي، حيث التقى بتيانين [رئيس وزراء تشي] وقال له: "بلغني إنكم تريدون نزع اللقب الملكي عن حاكم دولة جونشان، وأنكم تدبرون مع دولتي وي وجاو الخطط لمهاجمة البلاد، وأرى أنكم جميعا مخطئون في ذلك؛ لأنه بمجرد أن تبدأ الدول الثلاث في الإغارة على جونشان الضعيفة الضئيلة، فلن يسعها إلا الخضوع لأوامركم والرضوخ لإملاءاتكم حتى لو كان الأمر يتعلق بما هو أفدح من نزع اللقب الملكي. (هذا من جانب، أما من جانب آخر..) فإن وطأة القلق والخوف إذا اشتدت على دولة جونشان، فلابد أنها ستفقد لقبها الملكي، وكيانها المستقل لصلحة دولتي وي وجاو، وتصبح مجرد دويلة خاضعة لهما، وحينئذ، لن يزيد دورك عن تكون [دولة تشي] راعي أغنام للدولتين (هي ترعى وتشقى وهم يحلبون وينعمون) أي أن مثل هذا الوضع لن يثمر أي نفع لدولة تشي، أفليس الأفضل من هذا كله، أن تتنازل دولة جونشان عن لقبها الملكي لصالح بلادكم وحدها اعترافا بطاعتكم وولاء لسيادتكم؟"

الجزء الثاني من الفصل نفسه

وسأله تيانين: "فما العمل إذن، وكيف يمكن التصرف، في رأيك؟" فأجابه "جاندن": "أرى أنه عليك الآن أن تطلب لقاء ملك جونشان، أثناء اللقاء تقر لجلالته باللقب الملكي الحائز له، مما سيسعده كثيرا، وعندئذ فسيقطع علاقاته مع وي وجاو، وهو الأمر الذي سيثير غضبهما، فيهاجمان دولة جونشان التي ستتصاعد موجة الأزمة بها، وتتفاقم حدة المخاطر التي تحاصرها ويصبح معلوما للكافة أن الممالك لاتريد الاعتراف لها باللقب الملكي، وبالتالي فستكون عرضة لكل ألوان المخاوف والظنون، ومن ثم فستضطر إلى الاعتراف بطاعتكم، وهنالك يمكنها التنازل عن اللقب الملكي نزولا على مطلب الانضواء

تحت نفوذكم؛ لأن جلالة الملك سيجد نفسه مستعدا للتنازل عن اللقب الملكى حفاظا على مصلحة بلاده، وبالطبع فهذا أفضل لكم كثيرا من أن تصبحوا مجرد رعاة غنم ترعون مصالح الدولتين وى وجاو". فقال تيانين: "سمعا وطاعة، والرأى ماقلت!" وقال جنشو [كبير وزراء تشى]: "ليس هذا بالرأى السليم أبدا، وقد سمعت أن من تحدوهم تطلعات متشابهة هم أكثر الناس تنافرا، كما أن آلالام المتناظرة توحد بين النفوس والمشاعر فانظر إلى الدول الخمس تجدها متفقة جميعا حول تبادل اعترافها لبعضها البعض باللقب الملكى، وعندما ترفض تشى الاعتراف لدولة جونشان بهذا اللقب، فستكون القاسم المشترك بين الجميع هو قيمة الاعتراف لبعضهم بعضا بالمكانة الملكية، بينما تساورهم الظنون والمخاوف حول احتمال تدخل تشى فى هذا الأمر (على نحو غير مرض) أما إذا قمت بمقابلة ملك جونشان، واعترفت له بهذا اللقب الرسمى فستكون قد انتهكت سلطة وسيادة الدول الأربع الباقية، وتكون أيضا قد أعطيت دولة تشى ميزة تتفوق بها على الآخرين وإذ تفوز تشى وحدها بعلاقات طيبة مع جونشان وتخسر علاقتها بالدول الأربع، فسوف تصاب تلك الدول بخيبة أمل مروعة.

ومن ثم فلا بد لك، بادئ ذى بدء، للبلدين تشى وجونشان أن تعترفا بلقبيهما الملكين بين بعضيهما البعض، ثم تتعمد دولة تشى الاقتراب حثيثا من جونشان، وهو ماسيؤدى، بردود الفعل، إلى فتور ثم انقطاع العلاقات مع باقى الدول الأربع. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن قيام جاندن، (وعلى مدار فترة طويلة من الزمن) بتقديم الخطط وإهداء السياسات والأفكار إلى دولة جونشان، يجعل من الصعب تصديق فكرة أنه يمكن أن يشير علينا بما يعود بأدنى قيمة أو فائدة عملية".

ومع ذلك، فلم يأخذ تيانين بوجهة نظره، وإنما قام باستدعاء ملك جونشان، واعترف له باللقب الملكى، وتحدث جاندن مع الدولتين وى وجاو، قائلا: "كيف كان يمكن لى أن أعرف نية دولة تشى فى مهاجمة منطقة هدونغ (التابعة لكما)؟ قد كانت تشى – فى بادئ الأمر – تشعر بالعار لمجرد أن تعترف لـ"جونشان"، باللقب الملكى، فإذا بها الآن تقوم باستدعاء حاكم جونشان، وتعترف له أثناء اللقاء الرسمى معه باللقب الملكى؛ ذلك – بالطبع – رغبة منها فى استخدام قواته العسكرية (لمشروعاتها الخاصة) فأين

هذا كله من مسارعتكم إلى الاعتراف لدولة جونشان باللقب الملكى للحيلولة دون التقائهما؟"، ونزلت الدولتان وى وجاو على رأيه، وقامتا بالاعتراف لدولة جونشان باللقب الرسمى، بل وثقت علاقاتهما معها، وكان أن قامت جونشان، بالفعل، بقطع علاقاتها مع دولة تشى إذعانا لنفوذ وسيادة كل من وى وجاو.

لما استعدت جونشان للاعتراف الرسمى المتبادل

استعدت الدول الثلاث جونشان ويان وجاو للاعتراف المتبادل باللقب الملكى، إلا أن دولة تشى بادرت إلى إغلاق منفذها البرى فى وجه رسول دولة جونشان، وصرحت، قائلة: "كيف يمكن لدولة صغيرة مثل جونشان لا يزيد ماتملكه من مركبات عسكرية على ألف مركبة، وأن تتكافأ معنا ونحن دولة كبرى (ذات عشرة آلاف مركبة)؟!" بل اعتزمت تشى أيضا أن تقوم بالتنازل عن أرض "بينغ" لكل من يان وجاو، استرضاء واستحثاثا لهما على مهاجمة جونشان، مما آثار قلق "لا نجو" [رئيس وزراء جونشان] وكان أن تحدث "جاندن" إلى رئيس الوزراء المذكور، قائلا: "ماذا يقلقك من جانب دولة تشى؟"، فأجابه: "لانجو: "من المعروف أنها دولة كبرى ذات عدة وعتاد([حرفيا]: ذات عشرة آلاف عربة عسكرية) ومن ثم فهى تنظر بعين الازدراء إلى جونشان التى لاتتكافأ معها فى قوتها وعتادها، هذا بالإضافة إلى ما أبدته تشى من الكرم البالغ إذ تنازلت عن أجزاء من أراضيها لاسترضاء دولتى يان وجاو، ودفعهما لضرب جونشان، ومن المعلوم أن هاتين الدولتين لاتحفظان عهدا أو ميثاقا، ولا تنظران إلا بعين الطمع فى أراضى الغير، فأخشى أن تنكصا عن مؤازرتنا، بما يعرضنا لأفدح المخاطر (من الزاوية العامة للأمور) أو تسلبنا الحق الملكى (فى أقل القليل) فكيف يهدأ لنا بال؟" فقال له جاندن: "عليك أن تثق بأنى سأبذل جهدى لأحمل الدولتين يان وجاو على الإقرار بالحق الملكي لدولتكم، فتستقر الأحوال وتهدأ الأمور، فهل يكفي هذا لطمأنتك؟" فأجابه: "بل هذا عين ما أتمنى" فقال له: "فما رأيك بأن تنصت لى وأنا أحدثك كما لو كنت أنت ملك تشى (وأن تجادلنى فيما أقول بلسانه) علّنى أجد الوسيلة (بهذا "الإعداد التمثيلى") لإقناعه" فقال رانجو: "تفضل، قل ماعندك وأنا مستمع إليك".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

قال جاندن : "من الواضح أن ماتبديه، جلالة الملك، من استعداد للتنازل عن أجزاء من أراضيك لكل من يان وجاو، تحريضا لهما على المضى قدما فى حشد قواتهما لضرب جونشان، وإنما يهدف (أساسا) لنزع الحق الملكى عنها، ولابد أن جلالتك سترد قائلا: "نعم هو ذاك بالضبط. ومن ثم فإنى أجيبك قائلا بأن تصرفك هذا لن يكون مجرد تبديد للممتلكات والأموال، بل استجلاب للمخاطر، فتنازلك عن أراضى بلادك لتلكم الدولتين يمثل تقوية لأعدائك، وحض الجيوش على مهاجمة جونشان إشعالا لفتيل الحرب وإعداداً لساحتها بين متافسين كثيرين، ثم إنك تخاطر بشيئين مقابل لا شىء؛ لأنك لن تجنى شيئا مما تدبره لدولة جونشان، وأعرض عليك خطة، إذ قبلتها فلن تكون بحاجة إلى التنازل عن أرضك، أو تحريض على حشد الحشود، بل يمكنك – بغير داع إلى كل هذا – أن تسلب جونشان اللقب الملكى، بكل سهولة أيضا، ولابد أن جلالة ملك تشى سوف يسألنى ماخطتك فى ذلك وماتفاصيلها؟، وهنالك تكلم لانجو، فقال: "آه، صحيح، ماهى تلك الطريقة (من أولها إلى آخرها)؟"، فأجابه جاندن: "فقط، عليك أن ترسل مبعوثا من طرفك إلى ملك جونشان، ليقول له: "ما أغلقت طريق المرور فى وجه مبعوثكم إلا لما لاحظته من حرصكم على تبادل الاعتراف باللقب الملكى على نحو منفرد بتشجيع من الدولتين يان وجاو، دون أن تحاولوا الاتصال بى وإطلاعى على شىء من ذلك، فكان الطبيعى أن أغلق الطريق فى وجه الرسل، أما إذا تفضل جلالة الملك مشكورا بزيارتنا فسنبذل له المساعدة" وهكذا فعندما تخاطب جونشان بقولك إنك مستعد، على الفور، لمؤازرة مطلبها فى الاعتراف بالحق الملكى، خصوصا فى وقت تتوجس فيه خيفة من جدية مساعدة الدولتين: يان وجاو لها، فلابد أنها ستتحاشاهما – على نحو جاد وإن بطريقة خفية – وتتلمس اللقاء مع جلالتك، وهنالك فستبادر الدولتان المذكورتان، فور علمهما بتطورات الأحداث، إلى قطع علاقاتهما مع جونشان، إذ تثور ثائرة غضبهما، وهكذا يتيسر لك أنت أيضا أن تقطع علاقتك مع جونشان، بالمثل، فكيف إذن تستطيع دولة تم عزلها بالكامل عن كل عون ومساعدة ونصرة واعتراف وتأييد، بأن تحتفظ بالحق الملكى؟ فهل إذا سيقت مثل هذه الحجج إلى ملك تشى،

تكفى لإقناعه؟"، فأجابه لانجو: "بل إني واثق من أنه سيصدق ويقتنع بكل حرف مما قيل، لكن تلك هى خطة تحقيق عدم الاعتراف باللقب الملكى، فماذا عن خطة الاحتفاظ باللقب؟"، فقال له جاندن :"بل تلك هى خطة الاحتفاظ بالحق الملكى، باعتبار أنه سيتم نقل كل ماصدر عن ملك تشي إلى الدولتين يان وجاو، بحيث يجرى العمل على تحريضهما لقطع علاقتهما مع تشي، وتعميق صداقتهما مع جونشان، وعندئذ، فإن دولتي يان وجاو سوف تقولان، بضمير الحال، إن تنازل تشي عن أراضيها لنا لم يكن يهدف إلى إلغاء اللقب الملكى لدولة جونشان، بل كان يرمي أساسا، لبذر الشقاق بيننا وبينها، لتستأثر (تشي) بالاقتراب منها دون الآخرين.

ومن ثم فسترفض الدولتان هذا العرض من جانب تشي - برغم سخائه -"، فأبدى لانجو رضاه التام عن هذه الخطة قائلا: وإنها بارعة حقا، ثم بادر إلى إيفاد جاندن إلى دولة تشي، حيث تكلم هناك بنفس الحجج مستخدما المنطق والأسلوب ذاته، فيما بعد فقد قامت جونشان بنقل مادار من أحاديث إلى يان وجاو، فقطعتا علاقاتهما مع تشي، وبذلتا وافر الدعم والمساعدة لـ"جونشان" وأقرا لها باللقب الرسمى فانتظمت الأحوال واستقرت الأمور.

لما ذهب كبير وزراء جونشان إلى دولة

سافر"سماشي" [كبير وزراء دولة جونشان] فى مهمة رسمية إلى دولة جاو، وقد حاول أثناء الزيارة أن يقنع المسئولين هناك، بأن يعملوا على توليته منصب رئيس الوزراء [لدولة جونشان] بكل حيلة ممكنة، وكان أن أطلع أحد كبار المسئولين فى دولة جونشان [هو المدعو: "قونصون هونغ"] على ذلك الأمر، بوسائل سرية، فلما كان جلالة الملك خارج القصر، فى إحدى الجولات، ذهب برفقته سماشي، وكان ثالثهما - فى العربة الملكية - قونصون هونغ الذى ابتدر الملك قائلا: "ما رأيك فيمن تولى منصبًا ذا شأن ([حرفيا:] وزير فى الحكومة) وراح يستغل منصبه سعيًا لتحقيق مآربه الشخصية فى الترقى إلى مواقع وظيفية رفيعة المستوى؟" فأجابه الملك: "كنت دققت عظامه،

بل سحقتها سحقًا، وأكلت لحمه بأسناني [هكذا، حرفيا]"، وهنالك، قفز سماشي من العربة وركع عند العارضة الخشبية الأمامية، قائلا: "قد علمت أن الموت آخذ بناصيتي الساعة" فلما سأله الملك عن سبب قوله هذا، أجابه: "لأنه قد حق عليّ العقاب" فاستحثه الملك على النهوض والقيام معه، قائلا: "قم، تعال هاهنا، وليس ثمة مشكلة" وبعد فترة من الزمن، جاء رسول من دولة جاو يطلب من دولة جونشان تعيين "سماشي" في منصب رئيس لوزراء، وظن ملك جونشان أن وراء هذا الأمر مكيدة دبرها "قونصون هونغ" للإيقاع بزميله "سماشي" لإلحاق الأذى به، فما كان من قونصون، إلا أن فرّ هاربا خارج البلاد.

لما عمل سماشي رئيسا لوزراء دولة

عمل سماشي رئيسًا لوزراء دولة جونشان، ثلاث مرات متعاقبة، غير أن محظية الملك [المشهورة باسم: "إينجيان"] كانت تمقته وتستريب في أمره، فجاء "تيانجيان" [أحد كبار وزراء دولة جونشان] وقال لرئيس الوزراء: "لدينا مبعوث من دولة جاو، وقد علينا ليستطلع الأحوال، أفلا تكلمه في أمر تلك المحظية "أينجيان" (لعله يذكرها عند ملك جاو)؟ ولابد أن جلالة ملك جاو سيطلبها للمثول بين يديه، فإذا أرسلها له مليكنا، زال الخطر الجاثم، وانفضت الهموم؛ أما إذا لم يوافق جلالته على إهدائها إلى ملك جاو، فيمكنك أن تطلب من جلالته إتخاذها زوجة (رسمية)، ولابد أنها – عندما تعلم بذلك – ستشكر لك صنيعك بكل الامتنان، وتردّ لك الجميل مضاعفا" وبالفعل فقد عمل سماشي على أن تتقدم دولة جاو بطلب استقدام المحظية "إينجيان" إلا أن ملك جونشان رفض الاستجابة لهذا الطلب، فقال له سماشي: "إن رفضك إهداء المحظية إلى ملك جاو سيثير عضبه؛ مما قد ينجم عن تعقيدات ومخاطر لاحصر لها، ولذلك فأنت تستطيع أن تتدارك الأمر بأن تتزوجها رسميًا، وهو مالا يعطي الحق، لأي فرد، بأن يتدخل في شئونك الشخصية، ولا يعطي لأي انسان ذريعة للغضب؛ إذ ليس من المنطق أن تثور الحزازات في النفوس، لأن رجلا يمنع امرأته ويحافظ عليها".

وكان تيانجيان يرى بأنه وحده، هو (رتب الأحداث على هذا النحو..حيث،) طلب استقدام المبعوث من دولة جاو إلى جونشان، فى محاولة لخدمة رئيس الوزراء "سماشى" (والعمل على خروجه من المأزق الذى وجد نفسه فيه) وخدمة إينجيان نفسها ورفض تدخل جاو فى الشئون الداخلية فى الوقت نفسه.

لما قام الصراع بين المرأتين حول الفوز بموقع

تنافست المرأتان (المحظيتان) "إينجيان" و"جيانغ" حول الفوز بموقع الملكة الأم، وذهب رئيس الوزراء سماشى وتكلم مع والد إينجيان فقال له: "(إذ تم لها الفوز) فستكون لك الأراضى والإقطاعات الكثيرة، وستملك زمام السلطة والحكم، أما إذا كان العكس، فستكون حياتك فى خطر، فإذا كان النجاح هو المرغوب، فلماذا لايتم الحضور إلينا والتباحث معنا؟" فركع الرجل، وقال: "مادام الأمر هكذا، فأرجو أن تدلنى على الطريقة التى تمكننى من التعبير عن أعمق معانى الامتنان والشكر".

وذهب رئيس الوزراء إلى جلالة الملك، ورفع إليه مذكرة رسمية جاء فيها.."قد بلغنا مايفيد بأن هناك خطة جاهزة لإضعاف مركز دولة جاو، مقابل تقوية دور ومكانة دولة جونشان". فاستدعاه ملك جونشان، وهو فى غاية الابتهاج، قائلا له: "أود الاطلاع على تلك الخطة التى توهن دولة جاو وتعظم قوتنا". فأجابه سماشى، قائلا: "فائذن لى، يامولاى، بالذهاب إلى دولة جاو لمراقبة احوالها العامة والتعرف على طبيعة أرضها ومدى وعورة تضاريسها، ومستوى حياة الناس، ودرجة الثراء مقابل الفقر، والوقوف على كفاءة ووعى المشتغلين بالوظائف الحكومية، سواء من القيادات أم الموظفين، واستقصاء ومقارنة جوانب القوة والضعف بين البلدين، ولست أستطيع أن أتكلم فى شىء من هذا الآن، دون تمحيص، فالمسألة جد ولا مجال لهذا القول".

الجزء الثانى من الفصل نفسه

والتقى سماشى بملك جاو، وقال لجلالته: "بلغنى أن دولة جاو أكثر البلدان حظا من فتون النغم والموسيقى، والنساء الفاتنات، لكنى إذ حضرت اليوم إلى بلادكم وتجولت فى أنحائها وتطلعت فى الوجوه إنصت إلى الأغانى الشعبية، لكنى لم ألحظ شيئا من علامات الحسن أو الفتنة أو الروعة والجمال. لم أترك مكانا، إلا درت فى أنحائه، فلم أجد أجمل من المحظية "اينجيان" التى فى قصرنا الملكى (بدولة جونشان)، إن الذين رأوها (دون أن يتعرفوا إلى شخصيتها) ظنوا أنها آلهة الجمال تنزلت على الأرض، وليست هناك - من بين كلمات الوصف والبلاغة والتصوير - أساليب تفى بحقيقة صورة الجمال الأكمل، إن رائق بشرتها وبديع حسن وجهها يفوق ما اشتهر على طول الأحقاب والدهور من صفاء الحسن، ووسامة القسمات، وقد حبتها كنوز الملاحة بملامح أليق ماتكون بزوجة إمبراطور أو ملك عظيم"، وعندئذ بدا ملك جاو متأثرا بما سمع، وسأله بصدر منشرح: فماذا لو طلبت مشاهدتها؟" فأجابه سماشى: "لئن كنت قد ذكرت من فائق جمالها، فلأن العين قد رأت واستملحت وعز على الفم الصمت وحجب الكلام، أما ماتبديه جلالتك من رغبة فى مشاهدتها، فهذا ما لا أملك البت فيه بكلمة، وأرجو من جلالتك ألاتذيع شيئا مما تكلمنا فيه الآن". وقام سماشى واستأذن فى الانصراف، وقدم تقريره إلى ملك جونشان، قائلا:" إن ملك جاو ليس بالعاقل الحكيم، ولا قبل له بالسلوك المهذب القويم، بل هو صاحب نساء، يميل إلى التهتك والخلاعة قائده الهوى وليس آمر العدل والحكمة، وحاديه الطمع والاستبداد، وقد بلغنى إنه مفتون بالمحظية إينجيان، ويطلبها لمسراته"، فتغير وجه الملك وثار غضبه، فقال له سماشى: "إن جاو دولة كبرى، وما يطلبه ملكها، فسيحاول الوصول إليه بشتى الطرق؛ فإذا امتنعت جلالتك عن تلبية مطلبه، غضبت عليك آلهة الزرع والحصاد [آلهة الأوطان - قديما -] وجلبت عليك شر الكوارث. غير أنك لو اسجبت لطلبه فسوف تهزأ بك الدويلات والممالك". فسأله الملك عما يحسن أن يفعله فى مثل هذا الظرف، فأجابه: "أرى أن تجعل من إينجيان زوجة رسمية للعرش الحاكم، حسما لأطماع دولة جاو، ولم نسمع فى سير

الملوك أن أحدهم طلب زوجة الآخر وحتى لو ساورته الرغبة فى الحصول عليها فهو وشأنه مادام لن يجد من يصغى إليه"، وعندئذ أصدر ملك جونشان قرارا، باتخاذ المحظية اينجيان زوجة للبلاط الحاكم وانخرس لسان ملك جاو ولم يعد يكرر مطلبه القديم.

لما أراد ملك جاو مهاجمة جونشان

أراد الملك أولينغ – حاكم جاو – مهاجمة دولة جونشان وأوفد كبير وزرائه "ليتس" لتقصى الأحوال (وحدث أنه التقى بالملك أولينغ، وقال له): تستطيع أن تبادر بالهجوم الآن، وإلا فستسبقك إلى ذلك باقى الممالك، ويأتى دورك فى آخر الصفوف"، فسأله الملك عن السبب فى قوله هذا، فأجابه: "(قد بلغنى) إن ملك جونشان، يركب عربته الملكية، وينزع عريشها، ويذهب لزيارة الأحياء الفقيرة والدروب البسيطة، وينزل على الطلبة والدارسين وقراء الكتب والوثائق ضيفا، لساعات طويلة، وقد قيل إنه زار – حتى الآن – سبعين منزلا يقطن بها أولئك الدارسون" فقال ملك جاو: "فهذا، إذن، رجل فاضل حكيم لايجدر بنا مهاجمته!" فرد عليه ليتس، قال: "كلا، فليس الأمر على النحو الذى تظن؛ ذلك إن إعلاء شأن الدارسين وترشيحهم، دون غيرهم، لجلائل الأعمال، وتفضيلهم على سائر الناس، من شأنه أن يشد طموح الناس إلى التحلى بالرفعة والشهرة والمكانة الكذبة، ويلهيهم عن التركيز على أساس الحياة والأمور جميعا، ألا وهى الزراعة، وفلاحة الأرض، فيكون من أثر ذلك أن يصاب الفلاحون بالتكاسل والإهمال واللامبالاة، ويجبن المقاتلون . وتفتر الهمم، ويعظم الخوف على الحياة والحرص الأنانى على البقاء بأى ثمن. ولم يحدث، على مر التاريخ. أن دام البقاء لدولة على هذه الشاكلة".

لما قام ملك جونشان مأدبة لضيوفه

أقام ملك جونشان مأدبة لكبار رجال الدولة والعلماء، وكان بينهم "صما زيشى" [أحد مواطنى جونشان، سافر فيما بعد إلى تشو وعمل فى دوائر بلاطها الحاكم] وعندما جرى توزيع أطباق الحساء، لم يوضع أمامه نصيب فى طبق خاص به، فغضب،

وعدها سببا لما أزمع عليه أمره فيما بعد بالهرب إلى دولة تشو، حيث راح يقنع حاكمها بضرورة مهاجمة جونشان التى اضطر حاكمها إلى الفرار، طلبا للنجاة، وكان وهو فى طريق الهرب والتخفى يلاحظ أن اثنين من رعاياه يتبعانه وفى يد كل منهما حربة ذات نصل لامع، لا يفارقانه أينما حل أو ارتحل، فالتفت الملك إليهما مندهشا، وسألهما: "ماذا بكما، وفيم تقتفيان أثرى هكذا؟"، فأخبراه بقصتهما، قائلين له: "كان لنا أب شيخ كبير، وقد حكى لنا أنه تعرض ذات مرة لقاساة المجاعة، وكاد الجوع يفتك به لولا أن تداركته بطبق من اللحم، أعطيته له، فأنقذت حياته. فلما أوشك والدنا على الموت أوصانا، قائلا: "إذا ما ألمت المحنة بدولة جونشان فابذلا أرواحكما حماية وفداء؛ فلذلك اجتهدنا فى حمايتك والدفاع عنك ما أمكن. فرفع الملك رأسه ناحية السماء وتنهد قائلا: "ليس البر أو العطاء بما قل أو كثر وإنما بالبذل وقت المحنة، وليست البغضاء بما استقر فى سويداء القلب أو بما ارتسم فى الوجوه، وإنما بما بلغت به الإساءة مبلغها. قد فقدت عرشا ووطنا بسبب طبق حساء، وكسبت فارسين بطلين بسبب صحفة طعام".

لما قام يويانغ بالهجوم على دولة

قام يويانغ (بوصفه القائد العام لقوات دولة وى) على رأس حملة عسكرية لمهاجمة دولة جونشان، وكان ولده، فى تلك الأثناء، مقيما بهذه الدولة. فما كان من ملك جونشان إلا أن أخذ الولد وألقى جسده فى الإناء الذى فوق الموقد فطبخه كما يطبخ اللحم فى المرق، فصب منه فى الأطباق وأرسل طبقا إلى يويانغ (الوالد) ليصيب منه طعامه، فأكل حتى شبع . وظلت الناس من يومئذ يذكرون هذا الحادث (من الوجه الإيجابى) ويشيعون أن الأب التهم لحم ولده، دون غضاضة، زيادة فى رباطة الجأش والثقة والتجلد. ذلك إنه وعلى الرغم مما ينطويعليه مثل هذا السلوك من اقتحام لما تعافه النفس من مشاعر أبوية، لكنه – على الرغم من أى شىء – يبرز فى أروع مثال، صورة نادرة للالتزام بالانضباط العسكرى وتقاليد الجندية.

لما بلغت مستويات الحياة درجة من الاستقرار

بلغ مستوى حياة الناس، عهد الملك شاو – حاكم تشين – درجة عالية من النماء والدعة والاستقرار، وتطورت أسلحة القتال وبلغت العربات الحربية جودة فائقة فقد تهيأ الجو لشن غارات الهجوم على دولة جاو.

وتكلم بايتشى، فقال:" إن الهجوم على جاو أمر مستحيل" ورد ملك تشين، قائلا: "ما أغرب دعواك ياهذا، لقد كنت أنت نفسك، منذ سنتين تطالب بزيادة تعيينات الجيش ومضاعفة نسب التموين والإعاشة استعدادا للهجوم الكاسح ضد جاو، وعلى الرغم مما ما كان معروفا وقتها من خلو خزينة الدولة من الأموال وانتشار شبح البؤس والمجاعة. والإثقال على كاهل الناس بما لا يطيقون، فما بالك تأتى اليوم، بعد أن نال الناس قسطا من الدعة والاستجمام والرفاه، وفاضت مخازن الغلال وزاد معدل المدخرات وتموين الجند وتضاعفت رواتبهم عن ذى قبل، ثم تقول: ..من المستحيل مهاجمة دولة جاو!.. فما معنى كلامك، وما مغزاه؟"، فأجابه بايتشى: "إبان معركة "شابين" كانت تشين هى المنتصرة وجاو هى المهزومة، وكان أهل تشين يمرحون متهللين بالفرحة، وأهل جاو بائسين خائفين مخذولين. وكان الموتى من أهل تشين يشيعون فى جنازات مهيبة، والجرحى يلقون كل اهتمام ورعاية، والمكدودون يجلسون إلى موائد الترف يستجمون وينعشون أبدانهم، ويعودون إلى بيوتهم هانئين، وقد شبعت بطونهم وامتلأت جيوبهم بما حصلوا عليه من التعويضات والرواتب السخية، حتى نفذت أموال البلاد عن آخرها (هذا بينما..) كانت جثث الموتى من أهل جاو مطروحة فى العراء لا تجد من يسجيها فى أكفانها، ولاكان الجرحى يجدون الدواء، والبكاء والعويل يصمّ الأذان؛ فالمحنة قاسم مشترك والعذاب فوق الجميع، فما كان منهم إلا أن انصرفوا إلى زراعة الأرض والعمل بما فوق طاقتهم لتعويض مافات وسد الثغرات وإنماء الأموال وإدخار الثروات. وربما استطعت، فعلا، أن تدفع إليهم، الآن، جيشاً يفوق ماكان فى الماضى ضعفا أو ضعفين إلا أنى أتوقع أنهم الآن قد أعدوا للدفاع عن دولة جاو جيشا أقوى مما كان عشرة أضعاف.

إن كبار رجال الدولة والوزراء فى دولة جاو - ومنذ وقوع معركة "شانبين" حتى اليوم، يعملون فى أجواء يغلب عليها طابع التوجس والحذر، ومع ذلك فهم يواظبون على أداء أعمالهم بكل انضباط وجدية؛ يذهبون إلى الديوان الملكى مع إشراق ضوء النهار، ويعودون إلى بيوتهم فى آخر المساء يمدحون بالقليل ويجودون بالكثير، ثناءهم النذر اليسير، وعطاؤهم الفيض الزاخر. وقد أطلقوا الوفود فى كل اتجاه وإلى كل الممالك والدويلات يطلبون المصالحة والسلام (وهكذا فقد..) عقدوا ميثاق التحالف مع دولتى وى، ويان؛ وأقاموا علاقات الصداقة الحميمة مع دولتى تشو وتشى، ويضعون نصب أعينهم ومركز اهتمامهم ضرورة الاحتراس والحذر من دولة تشين ويعتبرون تلك أدق مسألة فى حياتهم.

إن الملاحظ فى أمر دولة جاو هو أنها: دولة قادرة وميسورة الحال، داخليا؛ وناجحة ونشيطة، خارجيا؛ ففى مثل هذا الوقت بالذات لايمكن مهاجمة دولة جاو"

الجزء الثانى من الفصل نفسه

وقال ملك تشين :"قد اتخذت أهبة الاستعداد للهجوم"، ثم إنه أرسل النبيل "وانلين" على رأس قوات لمهاجمة دولة جاو، إلا أنه منى بفشل ذريع وانتكست حملته، وتبددت عساكره وتشرذمت فلوله، وفكر الملك فى أن يجعل بايتشى قائدا للجيش، إلا أنه تعلل بعجزه عن القيام بتلك المهمة لمرض عضال أصابه، فأوفد الملك إليه "إينخو" ليعوده فى مرضه ويطمئن على أحواله، يبلغه عتاب الملك، بقوله: "على الرغم من أن دولة مثل جاو، تبلغ مساحتها خمسة آلاف لى مربع، وعدد مقاتليها [حاملى الرماح] أكثر من "مائة وان" [أكثر من مليون]، فإنك تمكنت بجيش كثيف قمت على قيادته من اقتحامها واستوليت على أهم إقليمين فى أرضها: "يان"، "ينغ"، وأحرقت الدور المقدسة والمعابد التابعة لها، توغلت شرقا حتى بلغت "حين لين"، وأوقعت الرعب والفزع فى قلب دولة تشو، حتى فر أهلوها فى الأنحاء النائية خشية بأسك ولم يجسر أحد منهم على التوجه إليك ومقاومتك، وظلت دولتا وى وهان تدفعان بقواتهما، حتى اجتمعت منهما الحشود الهائلة فقمت لهم

ثابتا رابط الجأش، واشتبكت معهم فى معركة "إيتشيو" فرددتهم على أعقابهم وأنزلت بهم أشنع هزيمة، حتى قيل إن الدروع والرماح صارت تسبح فى فيضان من دماء جارية، وأطحت برءوس بلغت جملتها مائتى ألف رأس، حتى أطلقت الدولتان (وى وهان) على انفسهما اسم "الدول التابعة لدولة تشين" وهو أثر من آثار ذلك العهد، ومأثرة من أبقى أمجادك، مما خلد ذكرك بين الناس، حتى اللحظة.

وكان من آثار معركة شانبين، الفتك بالكثير من جنود دولة جاو، وقد بلغ من كثرتهم أن أهل الضحايا أصبحوا هم العدد الأعظم من السكان، (وهو مايؤثر – اجمالا – فى عدد القوات التى يمكن حشدها فى جيش جاو)، فلذلك أرجو أن تقبل قيادة القوات، وسيكون لك النصر المظفر على جاو، التى لا أشك أنك ستبيدها من الوجود. إننى أذكر لك عبقريتك العسكرية، حيث انتصرت بطائفة قليلة من جندك على جموع غفيرة من أعدائك، وحققت الانتصار، كأنك ساحر جيوش أو عبقرى معارك، لم تعرف الدنيا له نظيرا . وأثق أنك ستظهر عليهم، لاسيما أنك فى عدة وافرة وكثرة غالبة على فلول منهزمة وبقايا كسيحة!"

الجزء الثالث من الفصل نفسه

وقال بايتشى: "كانت دولة تشو، وقتئذ، تعتمد على ضخامتها وسعة أراضيها دون اكتراث بالشئون السياسية الدقيقة ودون التفات إلى تفاصيل السلطة السياسية، وكان الصراع على أشده بين الوزراء وكبار رجال الدولة للتقرب إلى البلاط الحاكم والتزلف إليه ومداهنته، وكثيرا ما وقع التباغض والتحاسد بين رجال الحكم أنفسهم، وكان الأكفاء ينبذون ويستبعدون، وقلوب الناس متنافرة، وأسوار المدن متداعية بغير ترميم ومجارى الأنهار بغير رعاية وإصلاح، فلما كانت دولة تشو بغير رجال حكم أكفاء يجيدون الاضطلاع بمهام السلطة وترتيب شئون الحكم، وبغير قوات ساهرة على الدفاع، وجاهزة بالحشد والتأهب طوال الوقت، فقد استطعت أن أخترق صفوفهم، وأخضع الكثير من محلاتهم وأراضيهم، ولطالما أصدرت الأوامر بهدم الجسور وإحراق السفن والمعابر،

وألهبت عزيمة الجنود على المضى فى القتال، مما استوجب الاستيلاء على كميات هائلة من الحبوب والمحاصيل من الأحواز ومشارف الحواضر (لإعاشة القوات وتموين حاجاتها) وكان جنود تشين، فى تلك الأوقات أفراد أسرة واحدة، وكانوا ينظرون إلى الجيش نظرتهم إلى عائلة كبيرة متآلفة، لايعوق حركة أفرادها واتصالهم ومودتهم برباط القربى أى عائق، الكل متفاهم بغير مناقشة، والثقة مستقرة بين الجميع، والنفوس متطلعة إلى هدف النصر، والشجاعة لها معنى واحد هو الإقدام ببسالة لا الإحجام، (مهما كان الثمن) وكنت حينئذ، أرى جنود دولة تشو يقاتلون على أرض المعركة، أرض بلادهم الكبرى ولايفكرون إلا فى أهليهم وعائلاتهم وذويهم، ولكل واحد منهم مشاغله الذاتية، ومن ثم فقد تمكنت من الانتصار عليهم، دون أدنى مقاومة.

قد أثبتت لى معركة إيشيو أن قوات دولة هان، مجرد شرذمة متهافتة وتظاهرة بغير سند من القوة الحقيقية؛ إذ لم تكن تفكر البلد كلها وقتئذ، إلا فى كيفية استخدام إمكانات دولة وى لصالحها، واستغلالها إلى الحد الأقصى، دون أدنى اعتداد بقواتها واعتماد على طاقتها الذاتية. بينما كانت دولة وى ترى أنه يمكن الاعتماد على ذلك القدر من التدريب الذى حصلت عليه قوات هان؛ لتتقدم وحدها على الجبهة لكنها – فى الواقع – كانت تريد أن تدفع به كطليعة ورأس حربة – لا غير.

ولم تكن طاقة قوات البلدين – فيما يتعلق بالقدرة على تحقيق أفضل النتائج من القتال – متوازنة بأى حال؛ وبالتالى، فقد عولت على القيام بمناوشات خداعية مع جيش هان بينما أرسلت قوات فائقة التسليح والقدرة القتالية مقتحما جيش دولة وى على حين غفلة منه، فأوقعت به الهزيمة، ثم مالبثت قوات دولة هان أن انهارت من تلقاء نفسها. وإذا كنت قد حققت مأثرة من أى نوع، فلأنى انتهزت فرصة تحقيق النصر فواصلت القتال ولا حقت الفلول المهزومة فقطعت دابرها، وماكان يمكن أن يتم لى النجاح فى أى شيء من ذلك، لولا أنى درست طبيعة أرض المعركة جيدا، وتشكيل القوات، وتصرفت على نحو منطقى (نتائج مترتبة على مقدمات) فأين هى العبقرية، وفيم الحديث عن السحر وما إلى ذلك؟!

وإذ قد تحقق لقوات تشين النصر، في معركة شانبين على جيش جاو فيجب أن تفكر بسرعة في الخطوة القادمة فتسرع في استغلال فرصة ما أصاب جاو من الذعر، وتقدم على تدميرها التام، وتعجل بإبادتها وهي خائفة وخاضعة، فلا تعطيها الفرصة لتستجمع طاقتها؛ فتزرع الأرض وتجني الحصاد، وتعوّض ماخسرته من خزائنها، وتطعم الجائع وتعـول الثكلى واليتيم، وتعلّم الصغار، وتحشـد الكبار لبنـاء ما انهار من جيشها، وترميم ماتهدم من أسوارها، وتطهير ما انسد من قنواتها ومصارف أنهارها، وتقوية حاميات مدنها وقواعدها.

وعلى الملك أن يتحامل على نفسه ويقترب من رجال دولته ووزرائه، كما يجب على كبار الوزراء ألا يبخلوا بأرواحهم وجهدهم في السير على نمط ومثال جنودهم [هكذا]، ويحضرني، هنا، ماقام به "بينيوان جون" من تكليف زوجاته ومحظياته بالذهاب إلى الوحدات المقاتلة للمساعدة في رتق الملابس وغسيلها. يجب أن يقف الجميع يداً واحدة (حرفيًا: تجتمع الحكومة والناس على قلب رجال واحد) وأن يوحد الجميع جهودهم على نحو ماحدث في الحكاية المعروفة عن الملك قوجيان إبان محاصرته في جبل "كوايجي" [الملك قوجيان (... ٤٦٥ ق.م.) حاكم دولة يوي، في زمن الدول المتحاربة، كان قد لقي هزيمة على يد قوات دولة "أو" فحاصرته في جبل "كوايجي"، فاستسلم لها، واستعرّ في قلبه لهيب الانتقام، فعزم على بناء جيشه وتعويض خسائره، واستطاع بعد عشر سنوات، تحقيق مأربه، فانتهز الفرصة، الآن، واضرب جاو، فستلوذ بحصونها وتستميت في الدفاع، وسيبقى جيشها متحصنًا وراء مواقعه، ولن يخرج إليك أبدا، وحتى لو حاصرت العاصمة، فلن تملك أن تقهرها، ولاأي من المدن الأخرى، وإذا فكرت في أن تعيث في مشارف المدن، فلن تظفر بطائل. واعلم أن خروج أي جيش في حملة عسكرية دون تحقيق النصر هو الباعث الأساسي على تهيئة أسباب الغدر والخيانة بين الممالك والدويلات والأمراء، وحينئذ فسوف تهرع لمواجهتك قوات وجيـوش جاءت لنصـرة دولة جـاو. وقد كنت فيما حدثتك به حتى الآن أنظر إلى الوجه السلبي فيما يتعلق بالهجوم على جاو، لكني لم أتطرق إلى الجانب الإيجابي منه، ولولا أني مريض طريح الفراش لكنت قمت وذهبت إلى القتال.

الجزء الرابع من الفصل نفسه

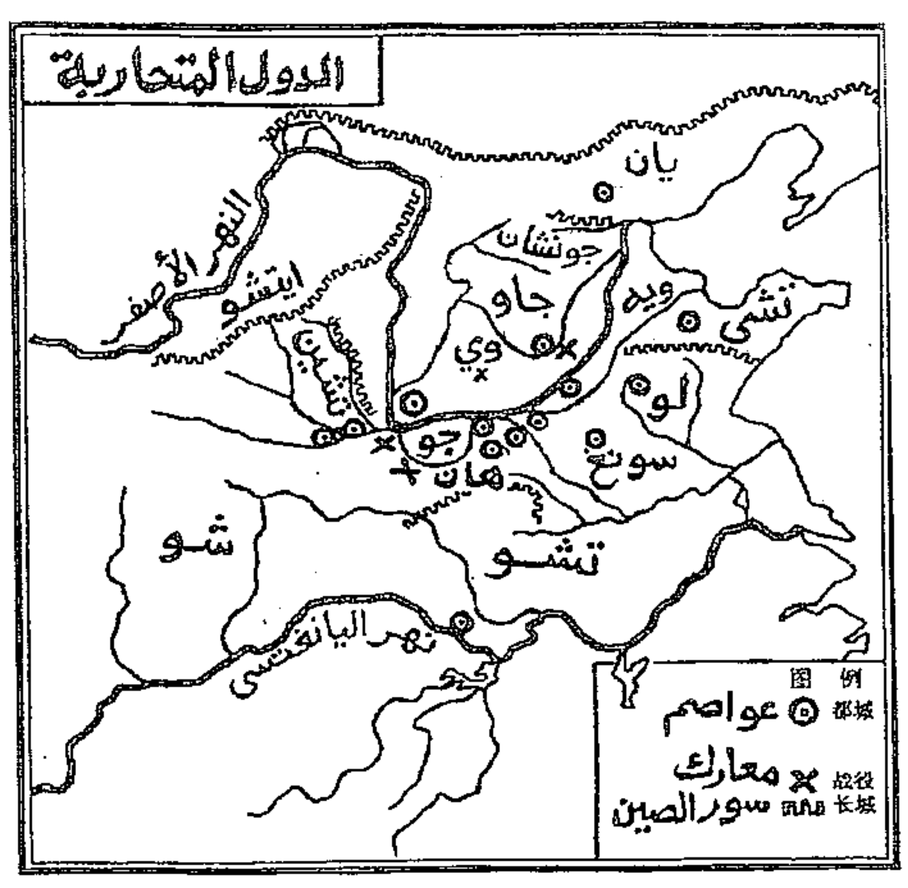
وخرج إينخو (من عنده) كسيفا خائب المسعى، وقصّ على ملك تشين كل مادار بينه وبين بايتشي، فقال الملك: "وهل أعجز عن تدمير دولة جاو، إذا لم يكن بايتشي معي يقاتل في صفوفي؟"، ثم إنه أرسل مددا من القوات، وأوفد وانخي، ليحلّ محل "وانلين" في قيادة الهجوم، حيث تمت محاصرة العاصمة هاندان طيلة ثمانية أو تسعة أشهر، سقط خلالها الكثير من القتلى والجرحى دون أن تستسلم المدينة، وأرسل ملك جاو (من وراء الحصار) كتيبة منتخبة، خفيفة التسلح، كثيفة النصال، وراحت تغير على مؤخرة جيش تشين، حتى نالت منها . بينما منيت كل غارات جيش تشين بالفشل الذريع، وحينئذ، تكلم بايتشي، قائلا: "هو ذا لم ينصت إلى خطتي، فكيف كانت العاقبة؟"، فلما سمع ملك تشين بهذا التعليق، ثار غاضبًا، وذهب بنفسه إلى بايتشي؛ مما اضطره إلى القيام عن فراشه، وقال له الملك: "حتى لو كنت مريضا طريح الفراش، فإني أريد منك أن تقود القوات، مهما كانت الظروف، فإذا تحقق النصر على يديك، فهذا قصارى ماأرجوه، وسأغدق عليك المكافآت الجزيلة، وأبذل لك الصلات الوافرة، إما إذا رفضت مطلبي، فسأنكرها لك وأطوي عليها صدر الكراهية"، فركع له بايتشي وضرب الأرض بجبينه أمامه وهويقول له: "قد علمت أني مبرأً من التهمة، حتى لو ذهبت القتال وانهزمت، وأني إذا رفضت الذهاب إلى الجبهة فسوف يُطاح برأسي، ولو من دون تهمة، لكني (في كل الأحوال) أرجو من جلالتك أن تنظربعين الاهتمام إلى مااقترحته عليك الآن، من خطة (متواضعة) فحواها: ..أن تدع القتال مع دولة جاو، وتمنح الناس قسطًا من الاستجمام والراحة، وتتدارك الأحداث والفتن التي ظهرت بوادرها بين الدويلات بعضها بعضًا؛ لعلك بذلك تهدئ من الروع وتلطّف من حدة الأجواء المفعمة بالنذر الوبيلة (وأرى أن تبادر إلى..) مهاجمة الطغيان والغطرسة، وتشرع في إبادة الجور والجهل والميل عن الحق ومجانبة العدل، وأن تكتب بذلك في أوامرك إلى قادة وأمراء الدويلات، فيعمّ السلام أرجاء الممالك، لماذا تريد أن تجعل من دولة جاو هدفا لهجومك؟

قد يكون صحيحًا أنى أرفض فى عناد .. وأنك غاضب بإصرار، وهب أنى رفضت حتى النهاية فذلك مايقال له "الخضوع لأحد الوزراء كان بداية إخضاع الأمم والممالك"، فإذا رفضت جلالتك مراجعة خطتى بعين الاعتبار، وأصررت على شفاء غليلك من دم دولة جاو، انتقامًا من كل من عاندوك (بما فيهم شخصى الضعيف..) فهذا ما يمكن تلخيصه فى عبارة، مفادها: "الانتصار على وزير واحد، مقابل الهزيمة أمام كل الممالك، والتراجع أمام الدنيا كلها" فانظر أيهما أعظم، الانتصار على وزيرك الضعيف (المريض) أم الظهور على الأمم التى تحت السماء؟

وقد بلغنى، ياسيدى، أن الملك الحكيم يحب وطنه، وأن رجل الدولة المخلص، حقًا، يفضّل دائما النزاهة والاستقامة. إن بلدا ممزقا، مقطّع الأوصال، لن تنضبط أحواله وتلتئم شئونه بسهولة، وإن راحلاً قد مات لا يعود أبدًا إلى سابق العهد بالحياة، واعلم تمام العلم، بأنى أقبل وأرضى أن يوقع علىّ العقاب بالموت، فهذا أفضل عندى من أن أجعل من نفسى أضحوكة القادة وهزأة الرجال، وبعد، فأرجو من جلالتك النظر فى الأمر بكل وجوهه وتفاصيله".

وقام الملك ومشى من عنده، دون أن يجيبه بكلمة.

(انتهى الكتاب)



خريطة الدول المتحاربة

المؤلف فى سطور :

ليو شيانغ

ليو شيانغ (٧٧٠ق.م – ٦ ق.م).

- واحد من أهم المؤرخين الصينيين القدماء.

- عاش فى زمن دولة خان الغربية.

- أحدث تجديداً فى أسلوب الكتابة التاريخية الصينية، حيث تميز أسلوبه بالإفاضة فى ذكر الملاحم والأساطير والسير الشعبية دون إغفال لدوره كمؤرخ.

- عثر بالصدفة على كتاب «سياسات الدول المتحاربة» فقام بجمع مادته، وأعاد ترتيب فصوله، وحقق نصوصه التي كانت مضطربة التدوين والتصنيف فاستطاع أن يجعل منه قطعة من النثر الأدبي الفريد، ومادة تاريخية مهمة.

المترجم فى سطور :

محسن فرجانى

- مدرس بقسم اللغة الصينية بكلية الألسن جامعة عين شمس.

- صدر له من ترجمات التراث الصينى:

- «الكتب الأربعة المقدسة»، و«الطاو» عن المشروع القومى للترجمة.

التصحيح اللغوى: محمد أبو الوفا
الإشراف الفنى: حسن كامل



وثيقة تاريخية مجهولة المؤلف، عثر عليها الأديب والمؤرخ الصينى الشاب ليو شيانغ فى الأرشيف الإمبراطورى لدولة خان الغربية، فنقحها وأعاد ترتيب مادتها، لتخرج إلينا كتابًا يتناول الأحداث التى وقعت فى الفترة التاريخية المعروفة باسم "عصر الدول المتحاربة" (475-221ق.م)، ويركز على المناورات والخطط والأراء المنسوبة إلى رجال البلاط، وقادة القصور، والمفكرين، والفلاسفة السياسيين الذين أسسوا اتجاهًا فكريًا سمى بـ "تسون هنغ" أى مدرسة المناورات السياسية، وهو ما أوحى إلى شيانغ بعنوان كتابه.

إنها فترة مهمة من تاريخ الصين، وكتاب آخر مهم من تراثها.

تصميم الغلاف: نسرين كشك